الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
و الدين أبي عبد الله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

بقية

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الأحد و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل الاشتراك مع الحق في التقدير و هو من الحضرة المحمدية»

لو كان في الكون غير الله ما وجدوا ... ما كان من فاعل فيه و منفعل
لكنه واحد في الكون منفرد ... بالاختراع و بالتبديل للدول
و ليس يرجع تكوين إلى عدم ... و لا استقامته في العين عن ميل
فانظر إلى دول في طيها ملل ... و انظر إلى ملل تبين عن نحل
و أرقى بها فلكا من فوقه فلك ... من الهلال على قصد إلى زحل
أتى بها ملك من سدرة بلغت ... نهاية الأمر في ستر من الكلل
و لا تناد بما نادت به فرق ... يا مبدأ الأمر بل يا علة العلل
لأنه لقب أعطت معالمه ... فقرا يقوم به كسائر العلل

اعلم أيدك الله بروح منه أن الله عز و جل يقول لإبليس ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ على جهة التشريف و الاختصاص لآدم ع أَسْتَكْبَرْتَ في نظرك و كذلك كان فإن الله أخبر عنه أنه استكبر و قال لنا عز و جل في كتابه العزيز إن إبليس قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ و قال لما قيل له اسجد أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً فهذا معنى قولنا في نظرك أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ في نفس الأمر أي إنك في نفس الأمر خير منه فهنا ظهر جهل إبليس و قد يريد بالعالين الملائكة المهيمة في جلال الله الذين لم يدخلوا تحت الأمر بالسجود و هم أرواح ما هم ملائكة فإن الملائكة هي الرسل من هذه الأرواح كجبريل ع و أمثاله فإن الألوكة هي الرسالة في لسان العرب فالملائكة هم الرسل من هذه الأرواح خاصة فما بقي ملك إلا سجد لأنهم الذين قال الله لهم اسْجُدُوا لِآدَمَ و لم تدخل الأرواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فإن الله ما ذكر أنه خاطب إلا الملائكة و لهذا قال فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ و نصب إبليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل و هذه الأرواح المهيمة في جلال الله لا تعلم أن الله خلق آدم و لا شيئا لشغلهم بالله يقول الله لإبليس أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ أي من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود و السجود التطأطؤ في اللسان لأن آدم خلق من تراب و هو أسفل الأركان لا أسفل منه و من هنا يعرف شرف نقطة الدائرة على محيطها فإن النقطة أصل وجود المحيط فالعالون ما أمروا بالسجود لأنهم

ما جرى لهم ذكر في تعريف الله إيانا و لولا ما ذكر الله إبليس بالإباءة ما عرفنا أنه أمر بالسجود فما أضاف آدم إلى يديه إلا على جهة التشريف على غيره و التنويه لتعلم منزلته عند الله ثم زاد في تشريفه بخلقه باليدين قوله معرفا الأناسي الحيوانيين بكمال الأناسي المكملين أو لم يروا الضمير في يروا يعود على الأناسي الحيوانيين أنا خلقنا لهم أي من أجلهم فالضمير في لهم يعود على الناس الكمل المقصودين من العالم بالخطاب الإلهي مما عملت أيدينا فأضاف عمل الخلق إلى الأيدي الإلهية و عم الأسماء الإلهية بالنون من أيدينا و ذلك لتمام التشريف الذي شرف به آدم ع في إضافة خلقه إلى يديه أنعاما و هي من إنعامه عليهمفهم لهم ما لكون فملكوها بتمليك الله بخلاف الإنسان الحيواني فإنه يملكها عند نفسه بنفسه غافلا عن إنعام الله عليه بذلك فيتصرف في المخلوقات الإنسان الحيوان بحكم التبعية و يتصرف الإنسان الكامل فيها بحكم التمليك الإلهي فتصرفه فيها بيد الله و بمال الله الذي آتاه كما قال تعالى آمرا في حق المماليك وَآتُوهُمْ من مالِ اللهِ الَّذِي آتاكُمْ فكل مخلوق في العالم فمضاف خلقه إلى يد إلهية لأنه قال مِمَّا عَمِلَتْ أَيدِينا فجمع فكل يد خالقة في العالم فهي يده يد ملك و تصريف فالخلق كله لله أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ و قد ورد أن شجرة طوبى غرسها الله بيده و خلق جنة عدن بيده فوحد اليد و ثناها و جمعها و ما ثناها إلا في خلق آدم ع و هو الإنسان الكامل و لا شك أن التثنية برزخ بين الجمع و الإفراد بل هي أول الجمع و التثنية تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال لأن المفرد لا يصل إلى الجمع إلا بها و الجمع لا ينظر إلى المفرد إلا بها فبالإنسان الكامل ظهر كمال الصورة فهو قلب لجسم العالم الذي هو عبارة عن كل ما سوى الله و هو البيت المعمور بالحق لما وسعه يقول تعالى في الحديث المروي ما وسعني أرض و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن فكانت مرتبة الإنسان الكامل من حيث هو قلب بين الله و العالم و سماه بالقلب لتقليبه في كل صورة كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و تصريفه و اتساعه في التقليب و التصريف و لذلك كانت له هذه السعة الإلهية لأنه وصف نفسه تعالى بأنه كل يوم في شأن و اليوم هنا الزمن الفرد في كل شيء فهو في شئون و ليست التصريفات و التقليبات كلها في العالم سوى هذه الشئون التي الحق فيها و لم يرد نص عن الله و لا عن رسوله في مخلوق أنه أعطى كن سوى الإنسان خاصة فظهر ذلك في وقت في النبي ص في غزوة تبوك فقال كن أبا ذر فكان أبا ذر و ورد الخبر في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم فيقول لهم بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناولهم كتابا من عند الله بعد أن يسلم عليهم من الله فإذا في الكتاب لكل إنسان يخاطب به من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت أما بعد فإني أقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ و قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون فقال ص فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء كن إلا و يكون فجاء بشيء و هو من أنكر النكرات فعم و غاية الطبيعة تكوين الأجسام و ما تحمله مما لا تخلو عنه و تطلبه بالطبع و لا شك أن الأجسام بعض العالم فليس لها العموم و غاية النفس تكوين الأرواح الجزئية في النشآت الطبيعية و الأرواح جزء من العالم فلم يعم فما أعطى العموم إلا الإنسان الكامل حامل السر الإلهي فكل ما سوى الله جزء من كل الإنسان فاعقل إن كنت تعقل و انظر في كل ما سوى الله و ما وصفه الحق به و هو قوله وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و وصف الكل بالسجود و ما

جعل لواحد منهم أمرا في العالم و لا نهيا و لا خلافة و لا تكوينا عاما و جعل ذلك للإنسان الكامل فمن أراد أن يعرف كماله فلينظر في نفسه في أمره و نهيه و تكوينه بلا واسطة لسان و لا جارحة و لا مخلوق غيره فإن صح له المعنى في ذلك فهو عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في كماله فإنه عنده شاهد منه أي من نفسه و هو ما ذكرناه فإن أمر أو نهى أو شرع في التكوين بوساطة جارحة من جوارحه فلم يقع شيء من ذلك أو وقع في شيء دون شيء و لم يعم مع عموم ذلك بترك الواسطة فقد كمل و لا يقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن أمره بالواسطة فإن الصورة الإلهية بهذا ظهرت في الوجود فإنه أمر تعالى عباده على السنة رسله ع و في كتبه فمنهم من أطاع و منهم من عصى و بارتفاع الوسائط لا سبيل إلا الطاعة خاصة لا يصح و لا تمكن إباية قال ص يد الله مع الجماعة و قدرته نافذة و لهذا إذا اجتمع الإنسان في نفسه حتى صار شيئا واحدا نفذت همته فيما يريد و هذا ذوق أجمع عليه أهل الله قاطبة فإن يد الله مع الجماعة فإنه بالمجموع ظهر العالم و الأعيان ليست إلا هو أنظر في قوله تعالى ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ ثم قال وَ لا أَدْنى من ذلِكَ و هو ما دون الثلاثة وَ لا أَكْثَرَ و هو ما فوق الثلاثة إلى ما لا يتناهى من العدد إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا وجودا أو عدما حيثما فرضوا فهو سبحانه ثان للواحد فإن المعية لا تصح للواحد من نفسه لأنها تقتضي الصحبة و أقلها اثنان و هو ثالث للاثنين و رابع للثلاثة و خامس للأربعة بالغا ما بلغ و إذا أضيفت المعية للخلق دون الحق فمعية الثاني ثاني اثنين و معية الثالث للاثنين ثالث ثلاثة و معية الرابع للثلاثة رابع أربعة بالغا ما بلغ لأنه عين ما هو معه في المخلوقية فهو من جنسه و الحق ليس كذلك ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فليس بثالث ثلاثة و لا خامس خمسة فافهمفقد تبين الحق من الخلق من وجه و قد ظهر بصورته أيضا من وجه و اعلم أن الطبيعة ظل النفس الكلية الموصوفة بالقوتين المعبر عنها بلسان الشرع باللوح المحفوظ فما لم يمتد من ظل النفس و بقي فيها فهو الذي نزلت به عن العقل في درجة النورية و الإضاءة و ما امتد من ظل النفس سمي طبيعة و كان امتداد هذا الظل على ذات الهيولى الكل فظهر من جوهر الهيولى و الطبيعة الجسم الكل مظلما و لهذا شبهوه بالسبجة السوداء لهذه الظلمة الطبيعية و سموا النفس الزمردة الخضراء لما نزلت به عن العقل في النور و في الجسم الكل ظهرت صور عالم الأجسام و أشكاله فكان ذلك للجسم الكل كالأعضاء فلما استعد الجسم بما استعد به توجهت عليه النفس و أنارته فانتشرت الحياة في جميع أعضائه كلها فتلك أرواح عالم الأجسام العلوي و السفلي من فلك و عنصر ثم استحال بعضه إلى بعضه لتأثير حكم الحركة الزمانية التي عينها الاسم الدهر في الأفلاك فظهرت للعين صور المولدات الفلكية كالكواكب و الجنات و مرتبتها و ما فيها و العنصرية من معدن و نبات و حيوان و صور غريبة و أشكال عجيبة في عين وجودية فما خرج شيء من العدم إلا الصور و الأعراض من تركيب و تحليل و الجوهر ثابت العين قابل لهذه الصور كلها دنيا و آخرة و إذا علمت هذا و تقرر فاعلم إن قوله تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ أن المعنى المراد من ذلك التقدير و الإيجاد فالتدبير للتقدير و التفصيل للإيجاد من فصلت الشيء عن الشيء إذا قطعته منه و فصلت بينه و بينه حتى تميز فإن كان الفصل عن تقدير فهو على صورته و شكله و إن كان عن غير تقدير فقد لا يكون على صورته و

إن أشبهه في أمر ما فإنه يفارقه في أمر آخر كالبياض و السواد يشتركان في اللونية و إن كانا ضدين و كاللون و الحركة يشتركان في العرضية و إن كانا مختلفين قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت و بعض الناس يخلق ثم لا يفري

و كالإسكاف و أمثاله من صائغ و خياط و حداد و أمثال ذلك يريد أن يقطع من جلد نعلا فيأخذ نعلا فيقدره على الجلد فإذا أخذ قدرة من الجلد قطع من الجلد ذلك المقدار و فصله منه و الظلالات أوجدها الله على مثال الأشخاص و لما أراد فصلها مدها فظهرت أعيانها على صورة من هي ظله حذوك النعل بالنعل فلما خلق الله العالم دون الإنسان أي دون مجموعه حذا صورته على صورة العالم كله فما في العالم جزء إلا و هو على صورة الإنسان و أريد بالعالم كل ما سوى الله ففصله عن العالم بعد ما دبره و هو عين الأمر المدبر ثم إنه تعالى حذاه حذوا معنويا على حضرة الأسماء الإلهية فظهرت فيه ظهور الصور في المرآة للرائي ثم فصله عن حضرة الأسماء الإلهية بعد ما حصلت فيه قواها فظهر بها في روحه و باطنه فظاهر الإنسان خلق و باطنه حق و هذا هو الإنسان الكامل المطلوب و ما عدا هذا فهو الإنسان الحيواني و رتبة الإنسان الحيواني من الإنسان الكامل رتبة خلق النسناس من الإنسان الحيواني هذا جملة الأمر في خلق الإنسان الكامل من غير تفصيل و أما تفصيل خلقه فاعلم إن الله لما خلق الأركان الأربعة دون الفلك و أدارها على شكل الفلك و الكل أشكال في الجسم الكل فأول حركة فلكية ظهر أثرها فيما يليها من الأركان و هو النار فأثر فيه اشتعالا بما في الهواء من الرطوبة فكان ذلك الاشتعال و اللهب من النار و الهواء و هو المارج أي المختلط و منه سمي المرج مرجا لأنه يحوي على أخلاط من الأزهار و النبات و منه وقع الناس في هرج أي قتل و مرج أي اختلاط ففتح الله في تلك الشعلة الجان ثم أفاضت الكواكب النيرة بأمر الله و إذنه فإنه أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها فطرحت شعاعها على الأركان و الأركان مطارح الشعاعات فظهرت الأركان بالأنوار و أشرقت و أضاءت فأثرت و ولدت فيها المعدن و النبات و الحيوان و هي على الحقيقة التي أثرت في نفسها لأن الأفلاك أعني السموات إنما أوجدها الله عن الأركان ثم أثرت في الأركان بحركاتها و طرح شعاعات كواكبها ليتولد ما تولد فيها من المولدات فبضاعتها ردت إليها فما أثر فيها سواها و جعل ذلك من أشراط الساعة فإنه من أشراطها أن تلد المرأة بعلها فولدت الأركان الفلك ثم نكحها الفلك فولد فيها ما ولد فهو ابنها زوجها و لم يظهر في الأركان صورة للإنسان الذي هو المطلوب من وجود العالم فأخذ التراب اللزج و خلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله إذ ليس كمثله شيء و تركه مدة يختمر بما يمر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتخمر و تغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح و من أراد أن يرى صدق ذلك إن كان في إيمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فيجد فيه رائحة الحماة و هي أصله التي خلق الجسم منها قال الله تعالى خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ و من حَمَإٍ مَسْنُونٍ فلما طهرت فخارة الإنسان بطبخ ركن

النار إياها و التأمت أجزاؤه و قويت و صلبت قصرها بالماء الذي هو عنصر الحياة فأعطاها الماء من رطوبته و ألان بذلك من صلابة الفخار ما ألان فسرت فيه الحياة و أمده الركن الهوائي بما فيه من الرطوبة و الحرارة ليقابل بحرارته برد الماء فامتنعا فتوفرت الرطوبة عليه فأحال جوهرة طينته إلى لحم و دم و عضلات و عروق و أعصاب و عظام و هذه كلها أمزجة مختلفة لاختلاف آثار طبيعة العناصر و استعدادات أجزاء هذه النشأة فلذلك اختلفت أعيان هذه النشأة الحيوانية فاختلفت أسماؤها لتتميز كل عين من غيرها و جعل غذاء هذه النشأة مما خلقت منه و الغذاء سبب في وجود النبات و به ينمو فعبر عن نموه و ظهور الزيادة فيه بقوله وَاللهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً و معناه فنبتم نباتا فإن مصدر أنبت إنما هو إنبات فأضاف النبات إلى الشيء الذي ينمو يقول جعل غذاءكم منها أي مما تنبته فتنبتون به أي تنمي أجسامكم و تزيد فلما أكمل النشأة الجسمية النباتية الحيوانية و ظهر فيها جميع قوى الحيوان أعطاه الفكر من قوة النفس العملية و أعطاه ذلك من قوة النفس العلمية من الاسم الإلهي المدبر فإن الحيوان جميع ما يعمله من الصنائع و ما يعلمه ليس عن تدبير و لا روية بل هو مفطور على العلم بما يصدر عنه لا يعرف من أين حصل له ذلك الإتقان و الإحكام كالعناكب و النحل و الزنابير بخلاف الإنسان فإنه يعلم أنه ما استنبط أمرا من الأمور إلا عن فكر و روية و تدبير فيعرف من أين صدر هذا الأمر و سائر الحيوان يعلم الأمر و لا يعلم من أين صدر و بهذا القدر سمي إنسانا لا غير و هي حالة يشترك فيها جميع الناس إلا الإنسان الكامل فإنه زاد على الإنسان الحيواني في الدنيا بتصريفه الأسماء الإلهية التي أخذ قواها لما حذاه الحق عليها حين حذاه على العالم فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير الذي هو ظل الله في خلقه من خلقه فعن ذلك هو خليفة و لذلك هم خلفاء عن مستخلف واحد فهم ظلاله للأنوار الإلهية التي تقابل الإنسان الأصلي و تلك أنوار التجلي تختلف عليه من كل جانب فيظهر له ظلالات متعددة على قدر أعداد التجلي فلكل تجل فيه نور يعطي ظلا من صورة الإنسان في الوجود العنصري فيكون ذلك الظل خليفة فيوجد عنه الخلفاء خاصة و أما الإنسان الحيواني فليس ذلك أصله جملة واحدة و إنما حكمه حكم سائر الحيواني إلا أنه يتميز عن غيره من الحيوان بالفصل المقوم له كما يتميز الحيواني بعضه عن بعض بالفصول المقومة لكل واحد من الحيوان فإن الفرس ما هو الحمار من حيث فصله المقوم له و لا البغل و لا الطائر و لا السبع و لا الدودة فالإنسان الحيواني من جملة الحشرات فإذا كمل فهو الخليفة فاجتمعنا لمعان و افترقا لمعان ثم إن الله أعطاه حكم الخلافة و اسم الخليفة و هما لفظان مؤنثان لظهور التكوين عنهما فإن الأنثى محل التكوين فهو في الاسم تنبيه و لم يقل فيه نائب و إن كان المعنى عينه و لكن قال إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و ما قال إنسانا و لا داعيا و إنما ذكره و سماه بما أوجده له و إنما فرقنا بين الإنسان الحيواني و الإنسان الكامل الخليفة لقوله تعالى يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فهذا كمال النشأة الإنسانية العنصرية الطبيعية ثم قال له بعد ذلك فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ إن شاء في صورة الكمال فيجعلك خليفة عنه في العالم أو في صورة الحيوان فتكون من جملة الحيوان بفصلك المقوم لذاتك الذي لا يكون إلا لمن ينطلق عليه اسم الإنسان و لم

يذكر في غير نشأة الإنسان قط تسوية و لا تعديلا و إن كان قد جاء الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى فقد يعني به خلق الإنسان لأن التسوية و التعديل لا يكونان معا إلا للإنسان لأنه سواه على صورة العالم و عدله عليه و لم يكن ذلك لغيره من المخلوقين من العناصر ثم قال له بعد التسوية و التعديل كن و هو نفس إلهي فظهر الإنسان الكامل عن التسوية و التعديل و نفخ الروح و قول كن و هو قوله إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فشبه الكامل و هو عيسى ع بالكامل و هو آدم ع خليفة بخليفة و غير الخلفاء إنما سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ و ما قال فيه إنه قال له كن إلا في الآية الجامعة في قوله إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فاجعل بالك لما نبهتك عليه فنقص عن مرتبة الكمال التي أعطاها الله للخلفاء من الناس و لما قسم الله الفلك الأطلس الذي هو فلك البروج و هو قوله وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ على اثني عشر قسما و أوحى الله تعالى في سماء البروج أمرها فلكل برج فيها أمر يتميز به عن غيره من البروج و جعل الله لهذه البروج أثرا من أمر الله الموحى به فيها فيما دون هذه السماء من عالم التركيب و الإنسان من حيث جسمه و طبيعته من عالم التركيب و هو زبدة مخض الطبيعة التي ظهرت بتحريك الأفلاك فهو المخضة التي ليس في اللبن ألطف منها بل هي روح اللبن إذا خرج منه بقي العالم مثل النخالة فهو فيه لا فيه فإنه متميز عنه بالقوة و هو منه فإن الإنسان ما خرج من العالم و إن كان زبد مخضة العالم إذ لو انفصل عنه ما بقي العالم يساوي شيئا مثل اللبن إذا خرج عنه الزبد استحال و قل ثمنه و زال خيره الذي كان المطلوب منه و من أجل تلك الزبدة كان يستعمل اللبن و يعظم قدره فلما قضى الله أن يكون لهذه البروج أثر في العالم الذي تحت حيطة سماء هذه البروج جعل الله في نشأة هذا الإنسان اثني عشر قابلا يقبل بها هذه الآثار فيظهر الإنسان الكامل بها و ليس ذلك للإنسان الحيوان و إن كان أتم في قبول هذه الآثار من سائر الحيوان و لكنه ناقص بالنظر إلى قبول الإنسان الكامل فمن الاثني عشر لصوقها بالعالم حين حذيت عليه و لصوقها بحضرة الأسماء الإلهية و به صح الكمال لهذه النفس و هذه المجاورة على ثلاث مراتب منها مرتبة الاختصاص و هي في الإنسان الحيوان بما هو محصل لحقائق العالم و هي في الكامل كذلك و بما اختص به من الأسماء الإلهية حين انطلقت عليه بحكم المطابقة للحذو الإلهي الاعتنائي و لكونه ظلا و لا شيء ألصق من الظل بمن هو عنه و المرتبة الثانية من المجاورة مرتبة الشيئية الرابطة بين الأمرين و هي الأدوات التي بها يظهر عن الإنسان ما يتكون عنه فيشترك الإنسان الحيوان مع الكامل في الأدوات الصناعية التي بها يتوصل إلى مصنوع ما مما يفعل بالأيدي و يزيد الكامل عليه بالفعل بالهمة فادواته همته و هي له بمنزلة الإرادة الإلهية إذا توجهت على إيجاد شيء فمن المحال أن لا يكون ذلك الشيء المراد و المرتبة الثالثة الاتصال بالحق فيفني عن نفسه بهذا الاتصال فيظهر الحق حتى يكون سمعه و بصره و هذا المسمى علم الذوق فإنه لا يكون الحق شيئا من هذه الأدوات حتى تحترق بوجوده فيكون هو لا هي و قد ذقنا ذلك و وجدت الحرق حسا في ذكري لله بالله فكان هو و لم أكن أنا فأحسست بالحرق في لساني و تألمت لذلك الحرق تألما حسيا حيوانيا لحرق حسي قام بالعضو فكنت ذاكرا الله بالله في تلك الحالة ست ساعات أو نحوها ثم أنبت الله لي لساني فذكرته بالحضور معه لا به و

هكذا جميع القوي لا يكون الحق شيئًا منها حتى يحرق تلك القوة وجوده فيكون هو أي قوة كانت و هو قوله كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و من لم يشاهد الحرق في قواه و بحسه و إلا فلا ذوق له و إنما ذلك توهم منه و هذا معنى قوله في الحجب الإلهية لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه فأي قوة أراد الحق إحراقها من عبده حتى يحصل له العلم بالأمر من طريق الذوق برفع الحجاب الذي بين الإنسان من حيث تلك القوة و بين الحق فتحترق بنور الوجه فيسد بنفسه خلل تلك القوة فإن كان سمعه كان الحق سمعه في هذه الحالة و إن كان بصره فكذلك و إن كان لسانه فكذلك و لنا في هذا المعنى

ألا إن ذكر الله بالله يحرق و حكمي بهذا فيه حكم محقق

فإني و رب الواردات طعمته فحكمي عليه أنه الحق يصدق

و لذلك قال الحق في الحديث الصحيح كنت سمعه و بصره فجعل كينونته سمع عبد منعوت بوصف خاص و هذا أعظم اتصال يكون من الله بالعبد حيث يزيل قوة من قواه و يقوم بكينونته في العبد مقام ما أزال على ما يليق بجلاله من غير تشبيه و لا تكييف و لا حصر و لا إحاطة و لا حلول و لا بدلية و الأمر على ما قلناه وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ يعني الجماعة الَّتِي كُنَّا فِيها يعني أهل الله المنعوتين بهذه الطريقة من عباد الله الذين قاموا بنوافل الخيرات و داوموا عليها و أقبلوا إلى الله بها و الله يؤيدنا بالعصمة في الاعتقاد و القول و العمل إنه ولي الرحمة الأثر الثاني من الاثني عشر إن المثلين اللغويين لا يلزم من وصف كل واحد منهما بالمثلية لصاحبه المماثل له الاشتراك في صفات النفس لأن المثلية لغوية و عقلية فالعقلية هي التي يشترك بها في صفات النفس و اللغوية بأدنى شبه بأمر ما يكون مثلا له في ذلك الأمر فيكون للمثل حكم مثله من حيث ما هو مثله فيه و قابل له و ما ثم بين العبد الإنسانيا لكامل و الحق في ليس كمثله شيء إلا قبوله لجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا و بها صحت خلافته و فضل على الملائكة فالخليفة إن لم يظهر فيمن هو خليفة عليه بأحكام من استخلفه و صورته في التصرف فيه و إلا فما هو خليفة له كما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه في ماله و جميع أحواله لما اتخذه وكيلا فهو فيما استخلفه الحق فيه من التصرف في المستخلف عليه لا يتصرف إلا بنظر وكيله فهو المستخلف بالمستخلف فاستخلاف العبد ربه لما اتخذه وكيلا خلافة مطلقة و وكالة مفوضة دورية و استخلاف الرب عبده خلافة مقيدة بحسب ما تعطيه ذاته و نشأته يقول النبي ص لربه عز و جل لما سافر أنت الصاحب في السفر و الخليفة في الأهل فسماه خليفة و الله تعالى قد أقسم بكل معلوم من موجود و معدوم فقال فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَما لا تُبْصِرُونَ فأقسم بنفسه و بجميع المعلومات فهل لنا أن نقسم بما أقسم الله تعالى به أو محجور علينا ذلك فلا نكون إذا خلفاء فيما هو محجور علينا و المقسم به قد يقسم بالأمر مضافا أو مفردا فالمفرد و الله لأفعلن كذا و المضاف مثل قول عائشة رضي الله عنها في قسمها و رب محمد فدخل المضاف في المضاف إليه في الذكر بالقسم فعلى هذا الحد

يقسم الإنسان الكامل بكل معلوم سواء ذكر الاسم أو لم يذكره و هو بعض تأويلات وجوه قسم الله بالأشياء في مثل قوله تعالى وَالشَّمْسِ وَالضُّحى وَ اللَّيْلِ وَالتِينِ يريد و رب الشمس و رب الضحى و رب التين فما أقسم إلا بنفسه فلا قسم إلا بالله و ما عدا ذلك من الأقسام فهو ساقط ما ينعقد به يمين في المقسوم عليه و لهذا قال تعالى لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيمانِكُمْ و اللغو الساقط فمعناه لا يؤاخذكم الله بالإيمان التي أسقط الكفارة فيها إذا حنثتم وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيمانَ فلما سقط العقد بالقلب عند اليمين سقطت الكفارة إذا وقع الحنث و لا خلاف بين العلماء أن الكفارة في الايمان المذكورة في القرآن أنها في اليمين بالله لا بغيره و جاء بالإيمان معرفة بالإضافة و الألف و اللام و قد صح عن النبي ص النهي عن اليمين بغير الله فالخليفة ينبغي له أن يكون مع إرادة من استخلفه فيما استخلفه فيه فإن الله يقول وَاللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ و الصورة قد تكون في اللسان الأمر و الشأن فقوله إن الله خلق آدم على صورته أي على أمره و شأنه فالله غالب على أمره أي على من أظهره بصورته أي بأمره فإن له حكم العزل فيه مع بقاء نشأته فيدلك ذلك على أنه ما أراد بالصورة النشأة و إنما أراد الأمر و الحكم فالعالم لا يعدل عن سنن العلم و مراد الله في الأشياء و هذا الأمر وحده على الاختصاص من آثار الجوزاء خاصة و هي برج هوائي فطابق الأمر قول النبي ص إن الرب كان في عماء بالمد و الهمزة و هو السحاب الرقيق ما فوقه هواء و ما تحته هواء فنفى عن هذا العماء إحاطة الهواء به و ما تعرض لنفي الهواء فالأمر لله فليست نسبة العماء إليه بأولى من نسبة الهواء فنفى الإحاطة الهوائية بهذا العماء لا بد فيه من نفي المجموع لا الجميع و قد بينا في النفس الرحماني حديث العماء و الجوزاء بين الماء و التراب لأنها بين الثور و السرطان كآدم بين الماء و الطين و لهذا كان حكم الهواء أعم من سائر الأركان لأنه يتخلل كل شيء و له في كل شيء سلطان فيزلزل الأرض و يموج الماء و يجريه و يوقد النار و به حياة كل نفس متنفس و له الإنتاج في الأشجار و هو الرياح اللواقح فهذا الأثر الثاني من الأقسام الاثني عشر و أما الأثر الثالث و هو ما يظهر في العالم مما يمكن أن يستغني عنه و إنما ظهر مع الاستغناء عنه لتظهر مرتبة قوة الاثنين لئلا يقال ما في الوجود إلا الله مع ظهور الممكنات و المخلوقين فيعلم فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ مع وجود العالمين و الاستغناء عنه معقول فجاء في العالم هذا الأمر الذي يمكن أن يستغني عنه مع وجوده لبيان غنى الحق عن العالم فما جعله الله في العالم عبثا فأعطى وجوده مع الاستغناء عنه هذا العلم و هو علم نافع و له نظم خاص يشبه نظم ما لا يستغني عنه مثل وجود الولد عن النكاح و هو مستغني عنه دليلنا نكاح أهل الجنة في الجنة و نكاح العقيم و أما الأثر الرابع فكقوله ص لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول الله الله فأتى به مرتين و لم يكتف بواحدة و أثبت بذلك أنه ذكر على الانفراد و لم ينعته بشيء و سكن الهاء من الاسم و هو تفسير لقوله تعالى اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً و هو تكرار هذا الاسم و قوله وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و لم يذكر إلا الاسم الله خاصة و هو مأمور من الله أن يبين للناس ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فلولا إن قول الإنسان الله الله له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر لميقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه و هو الدنيا و هذا الاسم كان ذكرنا و ذكر شيخنا الذي دخلنا عليه و ما في فوائد الأذكار أعظم من فائدته فلما قال

الحق وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ و لم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية فاتخذه أهل الله ذكرا وحده فانتج لهم في قلوبهم أمرا عظيما لم ينتجه غيره من الأذكار فإن بعض العلماء بالرسوم لم ير هذا الذكر لارتفاع الفائدة عنده فيه إذ كل مبتدأ لا بد له من خبر فيقال له لا يلزم ذلك في اللفظ بل لا بد له من فائدة و قد ظهرت في الذاكر به حين ذكره بهذه الكلمة خاصة فنتج له في باطنه من نور الكشف ما لا ينتجه غيره بل له خبر ظاهر لا في اللفظ كإضافة إلى تنزيه أو ثناء بفعل و معلوم أنه إذا ذكر أمر ما ثم ذكر أمر ما و كرر على طريق التأكيد له أنه يعطي من الفائدة ما لا يعطيه من ليس له هذا الحكم و لا قصد به فهو أسرع و أنجح في طلب الأمور فلا عبث في العالم جملة واحدة و أما الأثر الخامس و هو يشبه الرابع كما أشبه قسم الحمل من البروج قسم الأسد و القوس و غيره و إن كان هذا ما هو عين هذا و ينفرد كل واحد منهما بأمر لا يكون لغيره من مماثلة مع كونه على مثله فلهذا وقع الشبه في الآثار كما وقع في الأصل و هو كل ما وقع في العالم و يعطي معنى صحيحا غير ظهوره و لو سقط من العالم لم يختل ذلك الأمر الذي أعطى فيه هذا المعنى و لكنه لا بد أن ينقص عن الأمر الذي يعطيه وجوده و هذه تسمى عوارض الأعطيات التي لا يخل سقوطها و عدم وقوعها بحقيقة ما عدمت منه و إن كان لها معنى كوجود لذة الجماع من غير جماع فحصلت الفائدة التي كان لها الجماع و لكن لحصولها بالجماع معنى لا يحصل إلا بالجماع لأن المقصود بالنكاح الالتذاذ و وجود اللذة و قد وجدت فما أخل سقوط الجماع باللذة و لهذا زوجنا الله بالحور العين و أما الأثر السادس فهو ما يتعلق بصاحب الهمة إذا أراد أن يتكون عنه ما لا يقع بالعادة إلا بآلة فيفعله بهمته لا بآلة و في وقت بآلة فإن الله قادر أن يكون آدم ابتداء من غير تخمير و لا توجه يدين و لا تسوية و لا تعديل لنفخ روح بل يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و مع هذا فخمر طينته بيديه و سواه و عدله ثم نفخ فيه الروح و علمه الأسماء و أوجد الأشياء على ترتيب كما أنه لو شاء جعلنا نكتفي بالعلم به عن أسمائه و لكن تسمى بكذا في كل لسان وضعه في العالم فيسمى بالله في العرب و بخداي في الفرس و بواق في الحبش و في كل لسان له أسماء مع العلم بوجوده و أظهر فائدة ذلك مع الاستغناء عما ظهر و الاكتفاء و من هذا الباب ما يظهر عنا من الأفعال مع أنه يجوز أن يفعلها الله لا بأيدينا و لكن ما وصل إلى هذا الفعل في الشاهد إلا بأيدينا فأراد تحريك الجسم من مكان إلى مكان فجعل فينا إرادة طلب الانتقال فقمنا بحركة اختيارية نعقلها من نفوسنا و انتقلنا و الانتقال خلق الله بالأصل و لكنه وجد عن إرادة حادثة اختيارية بخلاف حركة المرتعش فإنها اضطرارية فالإنسان المختار مجبور في اختياره عند السليم العقل ثم ما من حقيقة لا يظهر حكمها إلا بالمحل فلا تظهر إلا بالمحل فيفرق بين ما يجوز و بين ما لا يجوز فالتحرك محال وجوده إلا في متحرك و من هذا الباب نزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل مع كونه معنا أينما كنا فهذا حكم نزول قد ظهر بفعل ما يمكن حصول ذلك المراد من غير هذا النزول لكن إذا أضفته إلى قوله تعالى فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ كان نزولا و لا بد عن مرتبة الغني لأنه لا يقبل هذا النزول إلا لنسبة إلهية تقتضيها ذاته فلم تكن إلا بنزول فافهم فإن الإضافات لها من الحكم الذاتي ما ليس لغير المضاف و الحقائق لا تتبدل و الشأن إنما هو ظهور حكم في محكوم فهو من

وجه تطلبه ذاته و من وجه لا تطلبه ذاته تعالى كالخالق يطلب الخلق و العالم يطلب المعلوم و أما الأثر السابع فوجود الظرفية في الكون هل هي أصل في الكون ثم حملناها على الحق حملا شرعيا أو هي في الحق بحسب ما يليق بجلاله و ظهرت في العالم بالفعل كقول رسول الله ص للسوداء أين الله فأشارت إلى السماء و كانت خرساء قال تعالى وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل و بمعنى المفعول كقتيل و جريح فعليم بمعنى عالم و بمعنى معلوم و كلا الوجهين سائغ في هذه الآية إذا كانت الباء من قوله بكل بمعنى الفاء فهو في كل شيء معلوم و بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ أي له في كل شيء إحاطة بما هو ذلك المعلوم عليه و ليس ذلك إلا لله أو لمن أعلمه الله و أما الأثر الثامن فقوله تعالى فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً أي إذا أردت أن تسأل عن حقيقة أمر فاسأل عنه من له فيه ذوق و من لا ذوق له في الأشياء فلا تسأله فإنه لا يخبرك إلا باسم ما سألت عنه لا بحقيقته فلا يسأل العبد عن اللهفإنه لا ذوق له في الألوهة و لا خبرة له بها فما عنده منها إلا الأسماء خاصة فاسأل الله عن الله و اسئل العبد عن العبودة فنسبة العبودة للعبد نسبة الألوهة لله فإخبار الحق عن العبودة اخبارا له و إخبار العبد عن الألوهة إخبار عبد و لذلك ورد من عرف نفسه عرف ربه فيعرف نفسه معرفة ذوق فلا يجد في نفسه للالوهة مدخلا فيعلم بالضرورة أن الله لو أشبهه أو كان مثلا له لعرفه في نفسه و علم بافتقاره أن ثم من يفتقر إليه و لا يمكن أن يشبهه فعرف ربه أنه ليس مثله و إن كان الله قد أقامه خليفة و أوجده على الصورة فيخاف و يرجى و يطاع و يعصى فقد بينا معنى ذلك في هذه الآثار من هذا الباب و أما الأثر التاسع و هو قوله في خلق السموات و الأرض إنه ما خلقهما إلا بالحق أي ما خلقهما إلا له تعالى جده و تبارك اسمه لأنه قال وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما خلق العالم إلا له تعالى و لذلك قال فيمن علم أنه جعل في نشأته عزة و هما الجن و الإنس وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أي ليتذللوا إلي لما ظهر فيهما من العزة و دعوى الألوهة و الإعجاب بنفوسهم فمن لطف الله بهم أن ينبههم على ما أراد بهم في خلقه إياهم فمن تنبه كان من الكثير الذي يسجد لله و من لم يتنبه كان من الكثير الذي حق عليه العذاب و أما قوله في هذه الآية وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ قد يريد به الإنسان وحده من حيث ما له ظاهر و باطن فمن حيث ما له ظاهر هو أنس من آنست الشيء إذا أبصرته قال تعالى في حق موسى إخبارا عنه إِنِّي آنَسْتُ ناراً أي أبصرت و الجن باطن الإنسان فإنه مستور عنه فكأنه قال و ما خلقت ما ظهر من الإنسان و ما بطن إلا ليعبدون ظاهرا و باطنا فإن المنافق يعبده ظاهرا لا باطنا و المؤمن يعبده ظاهرا و باطنا و الكافر المعطل لا يعبده لا في الظاهر و لا في الباطن و بعض العصاة يعبده باطنا لا ظاهرا و ما ثم قسم خامس و ما أخرجنا الجن الذين خلقهم الله من نار من هذه الآية و جعلناها في الإنسان وحده من جهة ما ظهر منه و ما استتر إلا لقول الله لما ذكر السجود أنه ذكر جميع من يسجد له ممن في السموات و من في الأرض و قال في الناس وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فما عمهم و دخل الشياطين في قوله من في الْأَرْضِ و ذلك أن الشيطان و هو البعيد من الرحمة يقول للإنسان إذا أمره بالكفر فكفر إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فأبان الله لنا عن معرفة الشيطان بربه و خوفه منه فلذلك كان صرف الجن في هذه الآية إلى ما استتر من الإنسان

أولى من إطلاقه على الجان و الله أعلم و أما الأثر العاشر فهو ما ظهر في العالم من إبانة الرسل المترجمين عن الله ما أنزل الله على عباده مع إنزال كتبه فما اكتفى بنزول الكتب الإلهية حتى جعل الرسل تبين ما فيها لما في العبارة من الإجمال و ما تطلبه من التفصيل و لا تفصل العبارة إلا بالعبارة فنابت الرسل مناب الحق في التفصيل فيما لم يفصله و أجمله و هو قوله تعالى لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ بعد تبليغه ما أنزل إلينا و هذه حقيقة سارية في العالم و لولاها ما شرحت الكتب و لا ترجمت من لسان إلى لسان و لا من حال إلى حال قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلامَ الله و هو ما أنزله خاصة و أما ما فصله الرسول و أبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل و يقع البيان بعبارة خاصة و يعقل بأي شيء كان و أما الأثر الحادي عشر و الثاني عشر فهما المرتبتان من المراتب الثلاثة التي ذكرناها في أول هذه لآثار و هما مرتبة الاتصال بالحق و مرتبة السبب الرابط بين الأمرين و قد تقدم فلنذكر ما في هذا المنزل من العلوم إن شاء الله فمن ذلك علم السبب الموجب لبقاء المؤمن في النعيم في دار النعيم و فيه علم أسباب الفوز و النجاة من الجهل الذي هو شر الشرور و فيه علم ما يستحقه الموطن من الأمور التي تكون بها السعادة للإنسان و قد تظهر في موطن آخر و لا تعطي سعادة و فيه علم كل ما ثبت عينه هل يسقط حكمه أو لا يسقط إلا حكم بعض ما ثبت عينه أو لا يسقط له حكم على الإطلاق بل يسقط عنه حكم خاص لا كل حكم فهل يشتغل بما سقط حكمه أو لا يشتغل به كلغو اليمين فإن الكفارة سقطت عنه في الحنث و فيه علم ما يظهر من الزيادة إذا أضيف الفعل إلى المخلوق بوجه شرعي يوجب ذلك أو كرم خلق عقلي و فيه علم الملإ و الخلأ و فيه علم فعل ما ينبغي و ترك ما لا ينبغي و فيه علم التعدي في حدود الأشياء و هل الحد داخل في المحدود فلا يكون تعديا و إذا دخل كيف صورة دخوله و الفرق بين قوله وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ و قوله أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ و هذا حد بكلمة معينة تقتضي في الواحد خروج الحد من المحدود و في الآخر دخول الحد في المحدود و ينبغي هذا على معرفة الحد في نفسه ما هو فإن للحد حدا و لا يتسلسل و فيه علم العهود و الأمانات و ما هي الأمانات و ما هي العهود و العقود التي أمرنا بها و العهد الإلهي هل له حكم عهد المخلوق أم لا و فيه علم الفضل بين المال الموروث و المكتسب و بأي المالين تقع اللذة أكثر لصاحبه و هو علم ذوق و يختلف باختلاف المزاج فإنه ثم من جبل على الكسل فمال الميراث عنده ألذ لأنه لا تعمل له فيه و منهم أهل الفتوح و من الناس من هو مجبول في نفسه على الرئاسة فيلتذ بالمال المكتسب ما لا يلتذ بالمال الموروث لما فيه من التعمل لإظهار قدرته فيه بجهة كسبه و فيه علم توقف المسببات على أسبابها هل هو توقف ذاتي أم اختياري من الله و فيه علم الاستحالات من حال إلى حال فهل تتبع الأعيان تلك الأحوال فتستحيل من عين إلى عين أم العين واحدة و الاستحالات تقع في الأحوال و المذاهب في ذلك مختلفة فأين الحق منها و فيه علم حفظ الصانع لصنعته هل حفظه لصنعته أو لعين المصنوع فإن الصنعة للصانع قد تكون مستفادة له كصنعة الخياطة و غير ذلك مما لا يحصل إلا بالتعلم و قد تكون الصنعة بالفطرة لا بالتفكر كصنعة الحيوانات كالنحل و العناكب و كلها بالجعل و قد تكون ذاتية كإضافة الصنعة إلى الله و ما معنى قوله مع هذا يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ فنسب التدبير إليه و فيه

علم حكمة ما يثبت من الأمور في الكون و ما لا يثبت و ضرب مثل النبي ص بذلك فيما جاء به بالمطر و البقاع فيمن نفعه الله بما جاء به و من لم ينفعه و فيه علم وجود الأعلى من الأدنى فأما في المعاني كوجود علمنا بالله عن وجود علمنا بأنفسنا و فيه علم ما للنيابة في الأمر من الحكم للنائب و فيه علم معرفة الشيء بما يكون منه لا به و في هذا الباب تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب أو يتضمنه و فيه علم التوحيد المطلوب من العالم ما هو و فيه علم الفضائل حتى يقع الحسد فيها هل هي فضائل لأنفسها أو هي بحكم العرف و الوضع و فيه علم ما يبقى به كل شيء على التفصيل و الاختلاف فما كل واق من شيء يكون واقيا من شيء آخر و ما الأمر الجامع لكل وقاية و فيه علم فائدة وجود الأمثال مع الاكتفاء بالأول من الأمثال و فيه علم الحجب الحائلة بين الناس و بين العلم بالأشياء و فيه علم من اتخذ الجهل علما هل يجد في نفسه القطع به أو تكون نفسه تزلزله في ذلك حتى إذا حقق النظر في نفسه وجد الفرق بين ما يوافق العلم من ذلك و بين ما لا يوافقه و ليس ذلك إلا في الجهل خاصة و أما في الظن و الشك فليس حكمهما هذا الحكم فإن الظان يعلم بظنه و الشاك يعلم بشكه و قد لا يعلم الجاهل بجهله فإنه من علم بجهله فله علم يمكن أن يوصف به و فيه علم حكمة التأييد هل هو عناية أو إقامة حجة أو في موضع عناية و في موضع إقامة حجة بالنظر إلى حال شخصين و فيه علم ما ينسب إلى العالم بالشيء مما لا يستحقه علمه به و مع ذلك ينسبه إلى نفسه كالترجي من العالم بوقوع ما يترجاه أو عدم وقوعه فما يتعلق الرجاء مع العلم و فيه علم حكمة من يأتي الأحسن و هو لا يقطع بثمرته هل ذلك راجع إلى علمه بجهل من أحسن إليه بمرتبة الإحسان أو راجع إلى نفسه لكونه لا يعلم أنه وفى حق الإحسان فيه و فيه علم حكمة استمرار العذاب و الضر على المضرورين من أصحاب الآلام هل ذلك على جهة الرحمة بهم أم لا و فيه علم من استعمل الأمر في غير ما وضع له أو لم يستعمله إلا فيما وضع له إذا كان له وجوه كثيرة متضادة فما خرج عن حكم ما هو له كالمرض له وجه إلى الصبر و له وجه إلى الضجر و فيه علم تذكر الناسي هل ينفعه تذكره أم لا و فيه علم الصادق يسمى كاذبا و فيه علم الاستعاذة و ما يستعاذ به و منه و أين يحمد و في أي موضع يذم و فيه علم ما ينفع من الاعتراف مما لا ينفع فإن للمواطن حكما في الاعتراف و للأحوال فيه حكما أيضا فإن من الناس من يعترف بالخطإ مع بقائه عليه و من الناس من يزول عنه و فيه علم شرف الخطاب و وجود الالتذاذ به و فيه علم حكمة وجود الشك في العالم و فيه علم نجاة المجتهد أخطأ أم أصاب مع توفيته ما آتاه الله من ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل سجود القلب و الوجه و الكل و الجزء و هما منزل السجودين و السجدتين»

مقام سهل سجود القلب ليس له ... في غير سهل من الأكوان أحكام

لا يرفع القلب رأسا بعد سجدته ... و الوجه يرفع و التغيير إعلام

فإنه غير مشهود بقبلته ... و قبلة القلب أسماء و أعلام

و ما له في علوم الخلق أقدام تبدي حقيقته تأيد سجدته

هذا المنزل يسمى منزل التمكين و إلى ما يؤول إليه أمر كل ما سوى الله و يسمى أيضا منزل العصمة اعلم أن الله تعالى لما خلق العالم جعل له ظاهرا و باطنا و جعل منه غيبا و شهادة لنفس العالم فما غاب من العالم عن العالم فهو الغيب و ما شاهد العالم من العالم فهو شهادة و كله لله شهادة و ظاهر فجعل القلب من عالم الغيب و جعل الوجه من عالم الشهادة و عين للوجه جهة يسجد لها سماها بيته و قبلته أي يستقبلها بوجهه إذا صلى و جعل استقبالها عبادة و جعل أفضل أفعال الصلاة السجود و أفضل أقوالها ذكر الله بالقرآن و عين للقلب نفسه سبحانه فلا يقصد غيره و أمره أن يسجد له فإن سجد عن كشف لم يرفع رأسه أبدا من سجدته دنيا و آخرة و من سجد من غير كشف رفع رأسه و رفعه المعبر عنه بالغفلة عن الله و نسيان الله في الأشياء فمن لم يرفع رأسه في سجود قلبه فهو الذي لا يزال يشهد الحق دائما في كل شيء فلا يرى شيئا إلا و يرى الله قبل ذلك الشيء و هذه حالة أبي بكر الصديق و لا تظن في العالم أنه لم يكن ساجدا ثم سجد بل لم يزل ساجدا فإن السجود له ذاتي و إنما بعض العالم كشف له عن سجوده فعلمه و بعض العالم لم يكشف له عن سجوده فجهله فتخيل أنه يرفع و يسجد و يتصرف كيف يشاء و اعلم أن السجود الظاهر لما كان نقلة من حال قيام أو ركوع أو قعود إلى تطأطؤ و وضع وجه على الأرض يسمى ذلك التطاطؤ سجودا علمنا أنه طرأ على الساجد حالة لم يكن عليها في الظاهر المرئي لأبصارنا فطلبنا من الله الوقوف على منقل هذا المنقول من حال إلى حال فمن الناس من جعل ذلك و أمثاله نسبا و هو الذي أعطاه الكشف الإلهي في العلم بالأكوان التي هي الحركة و السكون و الاجتماع و الافتراق فالحركة عبارة عن كون الجسم أو الجوهر قد شوهد في زمان في حيز أو في مكان ثم شوهد في الزمان الآخر في حيز آخر أو في مكان آخر فقيل قد تحرك و انتقل و السكون أن يشاهد الجوهر أو الجسم في حيز واحد زمانين فصاعدا فسمى إقامته في حيزه سكونا و الاجتماع عبارة عن جوهرين أو جسمين في حيزين متجاورين ليس بين الحيزين حيز ثالث و الافتراق عبارة عن جوهرين أو جسمين في حيزين غير متجاورين بينهما حيز ليس فيه أحدهما فليس الأمر سوى هذا و وافق بعض أهل الكلام أهل الكشف في هذا و بقي من المسألة من هو المحرك هل المتحرك أو أمر آخر فمن الناس من قال المحرك هي الحركة قامت بالجسم فأوجبت له التحرك و الانتقال و اختلفوا في الحركة التي أوجبت التحرك للجسم هل تعلقت بها مشيئة العبد فتسمى اختيارية أي حركة اختيار أو لم يتعلق بها مشيئة المتحرك فتسمى اضطرارية كحركة المرتعش و هذا كله إذا ثبت أن ثم حركة كما زعم بعضهم و لم يختلفوا في إن هذه الأكوان أعراض سواء كانت نسبا أو معاني قائمة بالمحال الموصوفة بها فإنا لا نشك أنه قد عرض لها حال لم تكن عليه و من المحال أن يكون واحد من تلك الأعراض ذاتيا لها و إنما الذاتي لها قبولها و اختلفوا فيمن أوجد تلك الحركة أو السكون إذا ثبت أن ذلك عين موجودة هل هو الله تعالى أو غير الله فمن قائل بهذا الوجه و من قائل بهذا الوجه و سواء في ذلك المرتعش و غير المرتعش و من قائل إن الأكوان لا وجود لها و إنما هي نسب فلمن تستند و نحن نقول في

النسبة الاختيارية إن الله خلق للعبد مشيئة شاء بها حكم هذه النسبة و تلك المشيئة الحادثة عن مشيئة الله يقول الله عز و جل وَما تَشاؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشاءَ اللهُ فأثبت سبحانه المشيئة له و لنا و جعل مشيئتنا موقوفة على مشيئته هذا في الحركة الاختيارية و أما في الاضطرارية فالأمر عندنا واحد فالسبب الأول مشيئة الحق و السبب الثاني المشيئة التي وجدت عن مشيئة الحق غير إن هنا لطيفة أعطاها الكشف و أشار بها من خلف حجاب الكون و هي قوله وَما تَشاؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشاءَ اللهُ فالله هو المشيء بالكشف و إن وجد العبد في نفسه إرادة لذلك فالحق عين إرادته لا غيره كما ثبت أنه إذا أحبه كان سمعه و بصره و يده و جميع قواه فحكم المشيئة التي يجدها في نفسه ليست سوى الحق فإذا شاء الله كان ما شاءه فهو عين مشيئة كل مشيء كما يقول مثبت الحركة إن زيدا تحرك أو إنه حرك يده فإذا حققت قوله على مذهبه وجدت أن الذي حرك يده إنما هي الحركة القائمة بيده و إن كنت لا تراها فإنك تدرك أثرها و مع هذا تقول إن زيدا حرك يده كذلك تقول إن زيدا حرك يده و المحرك إنما هو الله تعالى و اعلم أنه ليس في العالم سكون البتة و إنما هو متقلب أبدا دائما من حال إلى حال دنيا و آخرة ظاهرا و باطنا إلا إن ثم حركة خفية و حركة مشهودة فالأحوال تتردد و تذهب على الأعيان القابلة لها و الحركات تعطي في العالم آثارا مختلفة و لولاها لما تناهت المدد و لا وجد حكم للعدد و لا جرت الأشياء إلى أجل مسمى و لا كان انتقال من دار إلى دار و أصل وجود هذه الأحوال النعوت الإلهية من نزول الحق إلى السماء الدنيا كل ليلة و استواءه على عرش محدث و كونه و لا عرش في عماء و هذا الذي أوجب أن يكون الحق سمع العبد و بصره و عين مشيئته فبه يسمع و يبصر و يتحرك و يشاء فسبحان من خفي في ظهوره و ظهر في خفائه و وصف نفسه بما يقال فيه إنه صمد لا إله إلا هو يصورنا فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ و يقلب الليل و النهار و هو معنا أينما كنا و هو أقرب إلينا منا فكثرناه بنا و وحدناه به ثم طلب منا أن نوحده بلا إله إلا الله فوحدناه بأمره و كثرناه بنا

ما كل وقت يريك الحق حكمته … في كل وقت و لا يخليه عن حكم
فانظر إلى فرح في القلب من ترح … من الطباق عن الألواح عن قلم
جاءت بها رسل الأرواح نازلة … على سرائرنا من حضرة الكلم
فكل علم خفي عز مطلبه … على العقول التي لم تحظ بالقدم
فقمت حبا و إجلالا لمنزلها … أمشي على الرأس سعيا لا على القدم

و لما لم تكن الأكوان سوى هذه الأربعة الأحوال فبقي الكلام في الساكن إذا سكن فبمن و إذا تحرك فإلى من و إذا اجتمع فبمن و إذا افترق فعمن

فما ثم إلا الله ما ثم غيره … و ما ثم إلا عينه و إرادته

فسكن في الله فهو حيزه إذ كان في علمه و لا عين له فهو هيولاه فتصور بصورة العبد فكان له حكم ما خلق وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهارِ و من المحال أن يكون الأمر خلاف هذا فبه تلبس و عليه أسس بنيانه و ثبت

و إن تكثرت الآيات و الصور فإن شهدت سواه فهو صورته

لكنها سور تعنو لها سور ليست بغير سوى من كان منزلها

فما في الكون حركة معقولة كما أنه ما ثم سكون مشهود

فانظر إلى الضد كيف يخفى و ليس شيء سواه يبدو

فأعجب لحركة في عين سكون فإن الخلأ قد امتلأ فالعالم ساكن في خلائه و الحركة لا تكون إلا في خلاء هذه حركة الأجسام و الخلأ ملآن فلا يقبل الزيادة فإنه ما لها أين و كما سكن في الله تحرك إلى الله كما قال وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أي ارجعوا إلى ما منه خرجتم فإنهم خرجوا مقرين بربوبيته ثم فزعوا فيها فقيل لهم ارجعوا إلى ما منه خرجتم و ليس إلا الله و لا رجوع إليه إلا به إذ هو الصاحب في السفر فإن رجع رجعنا فإن الرجوع لا يكون إلا لمن له الحكم و لا حكم إلا لله ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا

فلا تعدل عن الرشد فهذا صدق ما قلنا

فإن الحق بالرصد فكونوا كيفما شئتم

و إذا تحركت إليه فهو الهادي أو منه فمن اسمه المضل فحيرك ثم هداك فتاب عليك بالهدى فتحركت إليه بالتوبة فمن مضل إلى هاد و إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى و أما قولنا إذا اجتمع فبمن فنقول اجتمع بالله في عين كونه تولاه الله و هو قوله لعبده هل واليت في وليا فإنه عند وليه فمن والى وليا في الله فقد والى الله و ليس الاجتماع سوى ما ذكرناه و ورد في الخبر أن الله يقول يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يا رب كيف أعودك و أنت رب العالمين فقال يا عبدي أما علمت إن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما أنك لو عدته لوجدتني عنده فإن المريض لا يزال ذاكر الله ذكر اضطرار و افتقار و هو الذكر الأصلي الذي أنبنى عليه وجود الممكن و الحق تعالى جليس الذاكر له فمن والى في الله وليا فقد اجتمع بالله فإن كنت أنت وليا فاعلم إن الله أيضا معك فإذا واليت وليا و الله معه فقد اجتمع الله بالله فجمعت بين الله و نفسه فحصل لك أجر ما يستحقه صاحب هذه الجمعية فرأيت الله برؤية وليه فإن كان في الولاية أكبر منك فالله عنده أعظم و أكبر مما هو عندك فإن الله عند أوليائه على قدر معرفتهم به فأكثرهم جهلا به و حيرة فيه أعظمهم علما به و إذا لم تحصل لك بولاية ولي الله نسبة الله إلى ذلك الولي الخاص حتى تفرق بين نسبته سبحانه إليك و نسبته تعالى إلى ذلك الولي فما واليته جملة واحدة فيكلمك الحق على لسان ذلك الولي بما يسمع ليفيدك علما لم يكن عندك أو يذكرك و تسمع أنت منه إن كنت وليا تشهد

ولايتك فتسمع بالحق إذ هو سمعك ما يتكلم به الحق على لسان ذلك الولي فيكون الأمر كمن يحدث نفسه بنفسه فيكون المحدث عين السامع و هذا ذوق يجده كل أحد من نفسه و لا يعرف ما هو إلا من شهد الأمر على ما هو عليه و أما قولنا الافتراق فعمن فتمام الخبر و هو قوله أو عاديت في عدو أو من عاديته فقد فارقته فإن الهادي يفارق المضل و الضار يفارق النافع فمن أحكم الأسماء الإلهية انفتح له في العلم بالله باب عظيم لا يضيق عن شيء

فلو علمت الذي أقول	لم تك غير الذي يقول
ما أنت مثلي بل أنت عيني	فلا قئول و لا مقول
تحيرت في الذي عنينا	فيما أتتنا به العقول

فالمحقق إذا اعتبر ما يشاهده صاحب الكشف ربما عثر على الحق المطلوب فإنه في غاية الوضوح و الظهور لذي عينين

كتلاعب الأسماء بالأكوان	فالحال يلعب بالعقول و بالنهى

فالعداوة و المعاداة من هناك ظهرت في الكون فالعالم المشاهد لا يتغير عليه الحال في عينه بقيام الأضداد به فإنه حق كله فإن فهمت ما أشرنا إليه علمت كيف توالي و كيف تعادي و من تعادي و من يعادي و من تولى و من يولي فسبحان من أوجدك منك و أشهدك إياك و امتن عليك بك ف من عرف نفسه عرف ربه فلم ينسب شيئا إلا إليه و اللهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و اعلم أن الله لما نسب الألوهة للهوى و جعله مقابلا له فقال لنبيه ع داود فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى و قال أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ و ليس الهوى سوى إرادة العبد إذا خالفت الميزان المشروع الذي وضع الله له في الدنيا و قد تقرر قوله وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ فقد علمت بمن حكم من حكم بهواه و لهذا قال وَ أَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ أي حيره فإن العلم بالله أوجب له الحيرة في الله إذ لا حاكم إلا الله

فقد زلزل الْأَرْضُ زِلْزالَها	و قال لنا ما لَها ما لَها
فلو نظرت أعين أدركت	إلى ربها حين أَوْحى لَها
وحدثت الأرض أخبارها	كما أخرجت لك أثقالها

فمن لم يشاهد هذا المشهد لم يشهد عظمة الله في الوجود و فاته علم كثير يفوت هذا المشهود و اعلم أن الأمر لما كان محصورا في أربع حقائق الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و قامت نشأة العلم على التربيع لم يكن في طريق الله تعالى صاحب تمكين إلا من شاهد التربيع في نفسه و أفعاله فأقام الفرائض و هي الإقامة الأولى و أقام النوافل و هي الإقامة الأخرى في ظاهره و في باطنه فإن حكم ذلك في الظاهر و في الباطن فعم حكم الله نشأته

فإذا شهد هذا ذوقا من نفسه علم ما يثمر له هذا الأمر فله في ظاهره ست جهات و الستة لها الكمال فإنها أول عدد كامل فإن سدسها إذا أضفته إلى ثلثها و نصفها كان كالكل و القلب له ستة وجوه لكل جهة وجه من القلب هو عين تلك الجهة بتلك العين يدرك الحق إذا تجلى له في الاسم الظاهر فإن عم التجلي الجهات كلها من كونه بكل شيء محيطا عم القلب بوجوهه ما بدا له من الحق في كل جهة فكان نورا كله و هناك يقول العبد فعلت يا رب و يخاطبه و يقول أنت كما قال العبد الصالح كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ فظهر الضمير مع كونه ضميرا و المضمر يخالف الظاهر و قد ظهر مع كونه مضمرا في حال ظهوره فيقول في الحق أنه الظاهر في حال بطونه و الباطن في حال ظهوره من وجه واحد فإن كلمة أنت ضمير مخاطب و ليس سوى عينك و أنت مشهود بالخطاب فأنت المضمر الظاهر بخلاف الاسم فأسماء المضمرات أعظم قوة و أمكن في العلم بالله من الأسماء (و حكي) عن بعض العارفين و رأيته منقولا عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في بعض مشاهده مع الحق في حال من الأحوال أنانيتي أنانيتك أي كما ينطلق على الاسم المضمر بحقيقته كذلك ينطلق عليك ما هو مثل الاسم الظاهر و لا مثل الوصف الظاهر و هذا عين ما قلناهمن قوة المضمرات و لما وقع في الكون التشبيه و الاشتراك في الصور بحيث أن يغيب أحد الشخصين و يحضر الآخر فيتخيل الناظر إلى الحاضر أن الحاضر عين الغائب وضع الله في العالم الإشارات في الإخبارات و الضمائر لارتفاع هذا اللبس و الفصل بين ما هو و بين من يظهر بصورته و اعتمدوا عليه و لما أخبر الله تعالى أن الإنسان مخلوق على الصورة قال عيسى ع كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ففصل بين الحق و بين من هو على الصورة فكأنه قال كنت من حيث عينك لا من هو على صورتك الرقيب عليهم فناب أنت في هذا الموضع مناب العين المقصودة و لنا جزء في هذه الأسماء المضمرات سميناه كتاب الهو و هو جزء حسن بالغنا فيه في هذه الأسماء المضمرة و هي تقبل كل صورة قديمة و حديثة لتمكنها و علو مقامها و العالم و إن تكثر فهو راجع إلى عين واحدة

و كل من في الشهود خلق فكل من في الوجود حق
في عين حق يحويه حق فانظر إلى حكمة تجلت
فليس حق و لا محق فالعبد محق والحق محق

فيا ولي لا تعطل زمانك في النظر في الحركات و تحقيقها فإن الوقت عزيز و انظر إلى ما تتجه فاعتمد عليه بما يعطيك من حقيقته فإنك إن كنت نافذ البصيرة عرفت من عين النتيجة عين الحركة و المحرك فإن الحركة حقيقة العين و المحرك من وراء حجاب الكون و النتيجة ظاهرة سافرة معربة عن شأنها فاعتمد عليها فهذه نصيحتي لك يا ولي و لهذا ما نسب الحق إلى نفسه انتقالا إلا و ذكر النتيجة ليعرفك ما هو عين الانتقال المنسوب إليه في نازلة ما مثل قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل ثم ذكر النتيجة فقال فيقول هل من تائب هل من داع هل من مستغفر و قال مثل

هذا كثيرا ليريح عباده من تعب الفكر و الاعتذار فإن المقصود من الحركات ما تنتج لا أعينها و كذا كل شيء فالمبتدأ لو لا الخبر ما كان له فائدة و لكان عبثا الإتيان به و من هنا يعرف قوله أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً و قوله وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا و من هنا يقع التنبيه على معرفة الحكمة التي أوجد الله لها العالم و أن اسمه الحق تعالى حق و قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ إن معناه غني عن وجوده لا عن ثبوته فإن العالم في حال ثبوته يقع به الاكتفاء و الاستغناء عن وجوده لأنه و في الألوهة حقها بإمكانه و لو لا طلب الممكنات و افتقارها إلى ذوق الحالات و أرادت أن تذوق حال الوجود كما ذاقت حال العدم فسألت بلسان ثبوتها واجب الوجود أن يوجد أعيانها ليكون العلم لها ذوقا فأوجدها لها لا له فهو الغني عن وجودها و عن إن يكون وجودها دليلا عليه و علامة على ثبوته بل عدمها في الدلالة عليه كوجودها فأي شيء رجح من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بالله فلهذا علمنا إن غناه سبحانه عن العالم عين غناه عن وجود العالم و هذه مسألة غريبة لاتصاف الممكن بالعدم في الأزل و كون الأزل لا يقبل الترجيح و كيف قبله عدم الممكن مع أزليته و ذلك أنه من حيث ما هو ممكن لنفسه استوى في حقه القبول للحكمين فيما يفرض له حال عدم إلا و يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه في حال الفرض فهو مرجح فالترجيح ينسحب على الممكن أزلا في حال عدمه و إنه منعوت بعدم مرجح و الترجيح من المرجح الذي هو اسم الفاعل لا يكون إلا بقصد لذلك و القصد حركة معنوية يظهر حكمها في كل واحد بحسب ما تعطيه حقيقته فإن كان محسوسا فرغ حيزا و شغل حيزا و إن كان معقولا أزال معنى و أثبت معنى و نقل من حال إلى حال و في هذا المنزل من العلوم علوم شتى منها علم الدعاء المقيد و الدعاء المطلق و ما ينبغي أن يقال لكل مدعو و يعامل به و منها علم الحركات و أسبابها و نتائجها و منها علم منزلة من تكلم فيما لا يعلم و يتخيل أنه يعلم هل ما تكلم به علم في نفس الأمر أم ليس بعلم أم يستحيل أن يكون إلا علما لكن لا يعلمه هذا المتكلم و هل ظهر مثل هذا في العالم و هو خلق لله لتمييز المراتب فيعلم به مرتبة الجهل من العلم و الجاهل من العالم أو ما ثم إلا علم و منها علم تعيين من جعل الله الحيرة في العالم على يديه و هل الحيرة تعطي سعادة على الإطلاق أو شقاوة أو فيها تفصيل منها ما يعطي سعادة و منها ما يعطي شقاوة و هل المتحير فيه هل كونه متحيرا فيه اسم مفعول لذاته أم يمكن أن لا يتحير فيه و فيه علم سبب الاحتراق الذي يجده صاحب الحيرة في باطنه في حال حيرته و هل إذا علم الحائر أن الذي تحير فيه لا يكون العلم به إلا عين التحير فيه فيزول عنه ألم الاحتراق و منها علم نصب الأدلة كيف رتبها الله للعقلاء أصحاب النظر و الإستبصار و منها علم غريب و هو هل يمكن أن يمر على القابل للعلوم زمان لا يستفيد فيه علما أم لا و منها علم الرتبة الإلهية هل تحجب عن الله أو تدل على الله و صفة من تحجبه و صفة من تكون له دلالة على خالقه و منها علم كون الله ما أوجد واحدا قط و لا يصح و إنما أوجد اثنين فصاعدا معا من غير تقدم في الوجود و لا تأخر و منها علم كون الحق لا تثبت له أحدية إلا في ألوهيته و أما في وجوده فلا بد من معقولين فصاعدا فاجعل ذلك ما شئت إما نسبا أو صفات بعد أن لا تعقل أحدية و منها علم تعلق الأسماء الإلهية

بالكائنات و منها علم سعي الآخرة إلى أن تجيء و من أين جاءت و ما هذه الحركة المنسوبة إليها و منها علم معقول الدنيا و الآخرة ما هو و منها علم جهل من أعرض عن الله و أينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ فكيف يشقى من أقبل على وجه الله و إن لم يقصد الإقبال على وجه الله و هو في نفس الأمر مقبل على وجه الله معرض عن وجه الله و متى ينطلق على الإنسان الإقبال على الله بكل وجه و ذلك إذا كان الإنسان وجها كله و عينا كله لم يصح في حق من هذه صفته إعراض عن الله و منها علم غريب و هو أنه لا يرجع إلى الإنسان إلا ما خرج منه للأصل الذي يعضده و هو قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و منه بدا الأمر كله و إليه يعود و هذا معنى قوله ص إنما هي أعمالكم ترد عليكم فاجهد إن لا يخرج عنك إلا ما تحمد رجوعه إليك و منها علم من يكون مع الله على آخر قدم ما يصنع و لا يكون ذلك إلا في حضرة التكليف إذ لا أجر إلا فيه فابحث على علم هذا و منها علم الربح و الخسران و ما يقع فيه الربح و الخسران و هل ثم موطن للإنسان يكون فيه لا يكون دنيا و لا آخرة و أعني بالآخرة الدار الآخرة التي جاءت الشرائع بها عن الله و منها علم ما انقسم بالحال في الدنيا انقسم بالدار في الأخرى ففي الآخرة منزلان جنة و جهنم و في الدنيا منزلتان عذاب و نعيم أو ألم و لذة فإذا كان الإنسان في حال يقال فيه إنه لا صفة له كدعوى أبي يزيد فهل صاحب هذه الدعوى هو الذي له الموطن الذي ليس بدنيا و لا آخرة و منها علم ما يؤول إليه حال من ترك الأخذ بالأهم فالأهم و فيه علم الأمور العوارض ما لها من الأثر في العالم و منها علم خزائن الأرزاق و قول بعض الصالحين و قد شكى إليه شخص كثرة العائلة فقال له أدخل إلى بيتك و انظر كل من ليس له رزق على الله فأخرجه فقال له كلهم رزقهم على الله فقال له فما تضرك كثرتهم أو قلتهم و منها علم الفصل بالشهود و الكشف بالحكم و فيه علم الفرق بين الإرادة و المشيئة و الهمة و العزم و القصد و النية و فيه علم ما للنائب من صفات من استنابه هل يقوم بها كلها أو ما يطلبه من استنيب فيه و منها علم مراتب القول و بما ذا ينسب السوء إليه من الحسن من الطيب و منها علم بيان الطرق الموصلة إلى الثناء على الله بطريق التنزيه و الإثبات و منها علم ما يقع به التساوي بين الأشقياء و السعداء في الدنيا و منها علم الميل إلى الأكوان و الميل إلى جانب الحق و ما يحمد من ذلك و ما يذم و منها علم إقامة نشأة ما نسب الحق إلى نفسه مما لا يقوم إلا على أيدي عباده و منها علم الكور و الحور و اللازم و القائم و الخاضع و النازل و منها علم الإعلام بتكرار القصد إلى الحق في الأمور التي دعا الحق عباده إليها من العبادات و منها علم السبل القريبة و البعيدة و السالكين فيها و احتساب الآثار إذا كان السلوك فيها و عليها مشروعا و غير مشروع لكن يقتضيه العقل السليم و النظر الصحيح و تعيين القرب الإلهية في ذلك من غير توقيف و ما يصح من ذلك و ما لا يصح و منها علم الحمد لله على آلائه القريبة المناسبة من الإنسان و منها علم ما لكل موجود من المنافع في العالم و منها علم الموانع في العالم و ما منعت عقلا و شرعا و منها علم ظهور المعدوم في صورة الموجود و تميزه في الوجود من الوجود الحقيقي و منها علم النحل و الملل و منها علم ما لا ينتفع به إلا بعد إزالة ما ينتفع به منه و منها علم أحوال السائلين و ما يليق بكل سائل من الجواب و منها علم ما يقبل الحق من أعمال عباده مما لا يقبل مع كونه ليس بمحرم و لا مذموم و منها علم

الفرق بين العظمة الإلهية و الكبرياء و منها علم الإحسان و معرفة ماهيته و منها علم صفة من ينوب الحق عنه في صرف ما يسوءه مع وجود ما يسوءه و منها علم المعارضة بالمثل و منها علم عواقب الأسماء الحسنى و منها علم العمارة و الخراب و حكمهما في الدنيا و الآخرة و منها علم الرجوع عن الحق ما يؤثر في الراجع و منها علم تقدير الواحد بالكثير كما قال بعضهم

وما على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

و منها علم تقدير التخالج في الحديث و ما يرفع من ذلك و ما لا يرفع و منها علم عرض الفتن على القلوب و حكم من أنس بها من غيره و منها علم السبب المبقي للشاك على شكه مع التمكن من النظر المخرج عن الشك فلم يفعل و منها علم الفرق بين الايمان و العلم و ما بين العالم و المؤمن من المراتب و منها علم تتبع الحق مراضي عباده الذين تتبعوا مراضيه جزاء وفاقا و منها علم تأخير البيان مع التمكن من استعجال إيضاحه لأمر يراه العالم مع الحاجة إليه و منها علم صفة من يطلبه العفو الإلهي و منها علم ما ينبغي أن يكشف من العلوم و ما ينبغي أن يستر منها و منها علم تداخل عالم الغيب في الشهادة و عالم الشهادة في الغيب و منها علم الاستدراج و المكر و منها علم كل علم غايته العمل فلم تظهر غايته ما العلة في ذلك و منها علم كون السماء كالخيمة لا كالكرة المجوفة و أن هيأة السموات على خلاف ما ذكره أصحاب علم الهيئة و لما ذا يرجع سير الكواكب هل لأنفسها أو لفلك دائر بها و فيه علم ما لا ينبغي فيه تنازع لوجود الإمكان العقلي فيه و منها علم ما يؤثر العلم به في نفس العالم به و منها علم استحالة خلق العالم أعيان الجواهر و منها علم المصطفى المختار من كل نوع من العالم و من كل جنس و منها علم الآباء و الأبناء في المعاني و غير المعاني و منها علم التعلق بالأسباب و ترك التعلق بها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الرابع و العشرون

((بسم الله الرحمن الرحيم))

«الباب الثالث و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل إحالة العارف ما لم يعرفه على من هو دونه ليعلمه ما ليس في وسعه أن يعلمه و تنزيه الباري عن الطرب و الفرح»

وضع الموازين للحساب   جاء به ناطق الكتاب
كتاب ذات بلا يراع   و لا مداد و لا اكتساب
و لا صفات و لا نعوت   و لا ذهاب و لا إياب
فإن يتب للذي اعتراه   قابلة قابل المتاب
طالبه الشكر في قدور   و في جفان مثل الجوابي

هذا منزل التوحيد العقلي أعني توحيد الأفعال أي لا فاعل إلا الله و هو منزل شريف فاعلم إن العالم لم يزل في حال عدمه مشاهد الواجب الوجود لأنه لم يزل في عدم مرجح و هو ثابت العين و قد وصفه الحق في حال عدمه بالسمع و الطاعة له فلم يستحل عليه إضافة المشاهدة و لهذا لم ينكره أحد من الممكنات في حال وجوده إلا أن هذا الموجود الإنساني وحده من بين العالم أشرك بعضه بهم من غلب عليه حجاب الطبع و هو ما اعتاد أن يسمع و يطيع و يعبد بالأصالة إلا لرب يشهده و قد صير ذلك المعبود حجاب الطبع غيبا له فاتخذ ما اتخذ من الموجودات التي يشهدها و يراها إما من العالم السماوي كالكواكب و إما من العالم الأسفل كالعناصر أو ما تولد عنها ربا يعبده على المشاهدة التي اعتادها و سكنت نفسه بها إليه و توهم في نظره أن ذلك المتخذ إلها يشهد الحق و أنه أقرب إليه منه فعبد نفسه له خدمة ليقربه إلى الله عز و جل كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا ما نَعْبُدُهُمْ يعني الآلهة الذين اتخذوها للعبادة إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فأكدوه بزلفى و كان هذا عن نظر و اجتهاد ثم رأوا أصحاب الشرائع المنزلة الإلهية قد قيدوا الناس بالسجود و وضع الوجوه على الأرض و الركوع و الاستقبال على طريق القربة إلى الله في جهة معينة و تقبيل حجر قالوا لنا إنه يمين الله و جاءوا بتعظيم شعائر و أعلام محدثات أضافوها إلى الله و جعلوا تعظيمنا إياها أي لتلك الشعائر و المناسك من تقوى القلوب و قرنوا بذلك التعظيم إذا ظهر منا سعادتنا فزادهم ذلك اعتمادا على ما قرروه و نصبوه من الآلهة و الشرائع و لم يفرقوا بين ما هو وضع لله في خلقه و بين ما وضعوه لأنفسهم من أنفسهم و كلامنا إنما هو مع الأئمة أصحاب النظر الأول الذين وضعوا هذه الأمور معبودة لهم على طريق القربة إلى الله عز و جل ثم إنهم مما اغتروا به ما رأوه و سمعوه في الشرائع الإلهية من سعادة المجتهد على الإطلاق سواء أخطأ أو أصاب فالأجر له محقق بعد استيفاء النظر في حقه و الاجتهاد في زعمه على قدر ما أعطاه الله في نفسه من الاستعداد فتخيلوا فيما ليس ببرهان أنه برهان على ما طلبوه فما اتخذوه إلها إلا عن برهان في زعمهم و هو قوله وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ به يعني في زعمه فدل على أنه من قام له برهان في نظره إنه غير مؤاخذ و إن أخطأ فما كان الخطاء له مقصودا و إنما كان قصده إصابة الحق على ما هو عليه الأمر و أصل هذا كله أن لا يعبد غيبا لأنه بالأصالة ما تعوده و لهذا جاء جبريل ع ليعلم النبي ص و أصحابه ما هو الأمر عليه في صورة أعرابي فقال النبي ص أ تدرون من هذا أو قال ردوا على الرجل فالتمس فلم يجدوه فقال النبي ص لأصحابه لما أدبر هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم و كان فيما سأله إن قال له ما الإحسان فقال له النبي ص في الجواب أن تعبد الله كأنك تراه لما علم إن العبادة على الغيب تصعب على النفوس ثم تمم و قال فإن لم تكن تراه فإنه يراك أي أحضر في نفسك أنه يراك و هو نوع آخر من الشهود من خلف حجاب تعلم أن معبودك يراك من حيث لا تراه و يسمعك فما أتانا الشرع في هذا كله إلا بما كان فيه لهؤلاء اغترار و إليه استناد و لذلك قال تعالى يُضِلُّ به كَثِيراً وَيَهْدِي به كَثِيراً و قال يُضِلُّ من يَشاءُ وَيَهْدِي من يَشاءُ و هو الذي يرزق الإصابة في النظر و الذي يرزق الخطاء فخرج من مضمون هذا كله إن العبادة لا تتعلق من العابد إلا بمشهود أو كالمشهود لا سبيل إلى الغيب و هذا من رحمة الله الخفية و ألطافه و

ما خرج عمن ذكرناه إلا المقلدة فبهم ألحق الشقاء فجعل لهم الحق في الشرع المنزل مستندا من رحمته فهم يستندون إليه فيه فقال فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و أهل الذكر هم أهل القرآن فإن الله تعالى يقول إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و هو القرآن و هم أهل الاجتهاد و منهم المصيب و المخطئ فإذا سأل المقلد من أخطأ من أهل الاجتهاد في نفس الأمر و عمل بما أفتاه فإنه مأجور لأنه مأمور بالسؤال فاستند مقلد و النظار الذين أخطئوا في نظرهم في الأصول مع توفية ما أداهم إليه استعدادهم فيما أفتوهم به من اتخاذهم الآلهة دون الله و إن لم ينظروا فإن الله ما كلف نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و هو ما جعل فيها فعمت رحمته الأئمة و المأمومين فما في العالم إلا موحد أي مستند إلى واحد و قد علمت من هذا المساق ما الشرك و ما صفة المشرك و قد أعذرهم الله من وجه فقال لهم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً هذا إذا قصد العبد فعل الذنب معتقدا أنه ذنب فكيف حال من لم يتعمد إتيان الذنب و اتخذ ذلك قربة لشبهة قامت له فهو أحق بالمغفرة و أما مؤاخذته أهل الشرك على القطع بقوله إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به فهو ظاهر لقرينة الحال و أما من طريق اللسان فهو الواقع فإن الله ما ستر الشرك على أهل الشرك بل ظهروا به فهو إخبار بما وقع في الوجود من ظهور الشرك و ستر ما دون ذلك لمن يشاء أن يستر فإن ثم أمورا لم تظهر لعين و لا لعقل كما جاء في وصف الجنة فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و لكن قرائن الأحوال تدل على القطع بمؤاخذة المشركين ثم لم يذكر سبحانه ما هو الأمر عليه فيهم بعد المؤاخذة التي هي إقامة الحد عليهم في الآخرة يوم الدين الذي هو الجزاء فيدخلون النار مع بعض آلهتهم ليتحققوا مشاهدة أن تلك الآلهة لا تغني عنهم من الله شيئا لكونهم اتخذوها عن نظرهم لا عن وضع إلهي فانظر يا ولي في عدل الله و فضله فله الحمد على كل حال و هذا حمد نبوي صحيح فإن الثناء على كل حال من مشرك و غير مشرك فإن المشرك كما قلنا ما جعل العظمة و الكبرياء إلا لله و جعل الآلهة كالسدنة و الحجاب فما عبدوهم إلا من أجله و إن أخطئوا فيهم فما أخطئوا إلا في الأحدية فهم أيضا من الحامدين لله إذ كانوا أهل ثناء على الله بتوحيد عظمته و إيثاره على هؤلاء الحجبة فاجعل بالك لرحمة الله السابغة الواسعة التي بسطها الله على خلقه ترشد للحق إن شاء الله و أما اختلاف العقائد في الله في أصحاب الشرائع الإلهية و غيرهم فإن العالم لو آخذهم الله تعالى بالخطاء لآخذ كل صاحب عقيدة فيه فإنه قد قيد ربه بعقله و نظره و حصره و لا ينبغي لله إلا الإطلاق فإن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فهو يقيد و لا يتقيد و لكن عفا الله عن الجميع فمن أراد إصابة الحق و إن يوفيه حقه و فقه لعلمه بسعته و اتساعه و أنه عند اعتقاد كل معتقد مشهود لا يصح أن يكون مفقودا عند اعتقاد المعتقد فإنه ربط اعتقاده به وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ فصاحب هذا العلم يرى الحق دائما و في كل صورة فلا ينكره إذا أنكره من قيده و مع هذا فالله قد عفا عمن قيده بتنزيه أو تشبيه من أئمة الدين ثم انظر في شهادة الله عز و جل عند نبيه ص في حق المشركين وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ من خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فهو تنبيه عجيب و لما قيل لهم اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ و ما رأوا له عينا و لا يعلمونه إلا مسمى الله و لم يعلموا أنه عين مسمى الرحمن فتخيلوا في الرحمن أنه شريك لله فأنكروا ذلك و لم ينكروا ذلك

فيمن نصبوه إلها على ما قررناه لأنهم عالمون بأسماء من نصبوهم آلهة من دون الله فعلموا بأسمائهم أنهم ليسوا في الحقيقة في الألوهة مثله فإن له تعالى عندهم توحيد العظمة و الكبرياء و دلهم بالسجود للرحمن على عبادة غيب ف قالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً لأنهم ما علموا في الغيب إلا إلها واحدا فقال الله لنبيه ص ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فتعجبوا من ذلك غاية العجب لأنهم تخيلوا أن مسمى الرحمن ليس هو مسمى الله و إن كان لكل واحد الأسماء الحسنى و ذلك لما أعمى الله بصائرهم و كثف أغطيتهم فلم يعقلوا عن الله ما أراد بما أنزله في حقهم و جعل الحق ذلك أيضا مستندا لهم حيث جاء إليهم باسم يطلب مسمى لا يعرفون هذه العلامة له حين علم ذلك أهل الله و خاصته

حقائق كلها في الذات تشترك ❊ فالله و الرب و الرحمن و الملك

لذا بدا الجسم و الأرواح و الفلك ❊ فالعين واحدة و الحكم مشترك

و بيننا و لهذا يضمن الدرك ❊ و كلها أدوات بين خالقنا

مع الكتاب الذي قد ساقه الملك ❊ جاءت بها رسل الرحمن قاطبة

و اعلم أن العلم بالله له طريقان طريق يستقل العقل بإدراكه قبل ثبوت الشرع و هو يتعلق بأحديته في الوهته و أنه لا شريك له و ما يجب أن يكون عليه إلا له الواجب الوجود و ليس له تعرض إلى العلم بذاته تعالى و من تعرض بعقله إلى معرفة ذات الله فقد تعرض لأمر يعجز عنه و يسيء الأدب فيه و عرض نفسه لخطر عظيم و هذا الطريق هو الذي قال فيه الخليل إبراهيم ع لقومه أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ فنبههم على إن العلم بالله من كونه إلها واحدا في الوهته من مدركات العقول فما أحالهم إلا على أمر يصح منه أن ينظر فيعلم بنظره ما هو الأمر عليه و الطريق الآخر طريق للشرع بعد ثبوته فأتى بما أتى به العقل من جهة دليله و هو إثبات أحدية خالقه و ما يجب له عز و جل و المسلك الآخر من العلم بالله العلم بما هو عليه في ذاته فوصفه بعد أن حكم العقل بدليله بعصمته فيما ينقله عن ربه من الخبر عنه سبحانه مع لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و إن لا يضرب له مثل بل هو الذي يضرب الأمثال لأنه يعلم و نحن لا نعلم فنسب إليه تعالى أمورا لا يتمكن للعقل من حيث دليله أن ينسبها إليه و لا يتمكن له ردها على من قام الدليل العقلي عنده على عصمته فأورثه ذلك حيرة بين الطريقين و كلا الطريقين صحيحان لا يقدر على الطعن على أحدهما فمن العقلاء من تأول تأويل تنزيه و تأييد و عضد تأويله ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و بقوله وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و من العقلاء من سلم علم ذلك إلى من جاء به أو إلى الله و من العقلاء من أهل اللسان من شبه و عذر الله كل طائفة و ما طلب من عباده في حقه إلا أن يعلموا أنه إله واحد لا شريك له في الوهته لا غير

و أن لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى بما هي عليه من المعاني في اللسان و قرن النجاة و السعادة بمن وقف عند ما جاء من عنده عز و جل في كتبه و على ألسنة رسله ع

إذا أبان الحق عن نفسه	بنفسه في كتبه فاعتقد
فما علينا من جناح به	و ذلك العلم به فاعتقد
فإن حظ العقل من علمه	به الذي ينفي وجود العدد
و إنه في شأنه واحد	و إنه الله الذي لَمْ يَلِدْ
كذاك لَمْ يُولَدْ و لمن رامه	بعقله عن فكره لا تزد

و برهان ذلك يا ولي اختلاف المقالات فيه من العقلاء النظار و اتفاق المقالات فيه من كل من جاء من عنده من رسول و نبي و ولي و كل مخبر عن الله و لو وقف العاقل من المؤمنين على معنى قوله في كتابه وَلَمْ يُولَدْ و علم إن ما أنتجه العقل من فكره بتركيب مقدمتيه أن تلك النتيجة للعقل عليها ولادة و إنها مولودة عنه و هو قد نفى أن يولد فأين الايمان و ليس المولود إلا عينه بخلاف ما إذا أنتج العقل نسبة الأحدية له فما معقولية الأحدية للواحد عين من نسبت إليها الأحدية فللعقل على الأحدية ولادة و على الاستناد إليه ولادة و على كل لا يكون له على عينه ولادة فأما هويته و حقيقته فما لعقل عليها ولادة و قد نفى ذلك بقوله وَلَمْ يُولَدْ و من هنا تعرف أن كل عاقل له في ذات الله مقالة إنما عبد ما ولده عقله فإن كان مؤمنا كان طعنا في إيمانه و إن لم يكن مؤمنا فيكفيه إنه ليس بمؤمن و لا سيما بعد بعثة محمد ص العامة و بلوغها إلى جميع الآفاق و إن لله عبادا عملوا على إيمانهم و صدقوا الله في أحوالهم ففتح الله أعين بصائرهم و تجلى لهم في سرائرهم فعرفوه على الشهود و كانوا في معرفتهم تلك على بصيرة و بينة بشاهد منهم و هو الرسول المبعوث إليهم فإن الله جعل الرسل شهداء على أممهم و لأممهم فمع كون هذا المؤمن على بينة من ربه حين تجلى له تلاه في تلك الحال شاهد منه و هو الرسول فأقامه له في الشهود مرآة فقال له هذا الذي جئتك من عنده فلما أبصره ما أنكره بعد ذلك مع اختلاف صور التجلي فربما كني عنه من هذه حالته من المؤمنين بما وصف نفسه في كتبه أو على ألسنة رسله أو وصفته به رسله فآمن العاقل المؤمن بذلك من كتاب الله و قول الرسول و كفر بذلك من قول صاحب هذه الحالة من المؤمنين المتبعين و أما غير المؤمنين فهم الذين يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ و هم الورثة الذين دعوا إلى الله على بصيرة كما دعوا الرسل قال تعالى عنه ص أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي و معنى البصيرة هنا ما ذكرناه أي على الكشف مثل كشف الرسل فكيف آمن بهذا المؤمن من الرسول و كفر به بعينه من التابع رسول الله ص أخيه المؤمن إذا جاء به فلا أقل من أن يأخذه منه حاكيا و ما رأينا و لا سمعنا عن صاحب كشف إلهي من المؤمنين خالف كشفه ما جاءت به

الرسل جملة واحدة و لا تجده فقد علمت الفرق بين العقلاء في معرفة عينه و بين الرسل و الأولياء و ما جاءت به الكتب المنزلة في ذلك فالمؤمن عند ما أعطاه سبيله و العاقل عند ما أعطاه دليله

سبحانه جل على نفسه و أين حكم العقل من حكمه

إلا به إذ ليس من جنسه هيهات لا يعرفه غيره

بفكره القاصر في حبسه و العقل قد أدخل معبوده

في خلدي فهو على قدسه و قال هذا ولدي صنته

قالوا تعالى الله في نفسه كلام حال فإذا حوقلوا

في فرعه الأعلى و في رأسه فخالقي المخلوق لي فاعتبر

فعليك بعبادة الله التي جاء بها الشرع و ورد بها السمع و لا تكفر بما أعطاك دليلك المؤدي إلى تصديقه و قصارى الأمر إن تسلم له و لأمثاله مقالته في ربه لثبوت صدقه و ثبوت المؤمن على اتباعه فإذا أنصفت في الأمر و علمت ما نطقت به الرسل ع في حق الله جوزت أن تهب من تلك المعرفة نفحة على قلوب المتبعين من المؤمنين تؤديهم إلى الموافقة في النطق و إنه حيث كان لسان الحق فتسلمه في الفرع كما سلمته في الأصل بجامع الموافقة و إياك و الكفران فإنه غاية الحرمان فتكون من الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ف اعْبُدْ رَبَّكَ المنعوت في الشرع حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فينكشف الغطاء و يحتد البصر فترى ما رأى و تسمع ما سمع فتلحق به في درجته من غير نبوة تشريع بل وراثة محققة لنفس مصدقة متبعة و هذا باب يتسع المجال فيه لاتساع الأفعال فإن توحيد الأفعال يتسع باتساعها فإن نسب الأفعال لا تنتهي بل هي في مزيد ما دام الفعل يظهر من الفاعل و منه طلب المزيد في قوله تعالى رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإن له في كل فعل تجليا خاصا لا يكون إلا لعين ذلك الفعل و لهذا يتميز كل فعل عن غيره بما يخصه من التجلي

لا ترعوي فيه و لا تأتلي قد قلت في الحق الذي قلته

من عنده و هو العليم الولي فإنه الحق الذي جاءني

مؤيد بكشفه كيف لي فكيف لي برده و هو لي

قال الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فأتى بكاف الصفة في نفي المماثلة عن المثل المفروض و لها عموم النفي حتى تقترن بها حال مخصصة إذ قصارى الناظر في ذلك التوقف حتى يرى ما تعطيه قرائن الأحوال فيها و هذه آية صاحب الدليل العقلي لكنه جاء هذا للنفي و الإثبات للمثلية باللسان

العربي و المماثلة في اللسان على غير المماثلة التي اصطلح على إطلاقها العقلاء فيحتاج العاقل أن يتكلف دليلا على إن الحق أراد المماثلة العقلية و لا دليل يطلب من صاحب اللسان فيها فإنه بلسانه نزلت و على اصطلاحه و مثل هذا لا يدرك بالقياس و لا بالنظر فإنه يرجع إلى قصد المتكلم و لا يعرف ما في نفس المتكلم إلا بإفصاحه عما في نفسه و قد قال تعالى وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ و العربي لا يعرف المماثلة العقلية و لا ينكرها إذا سمعها و كل لفظ ورد في وصف الله تعالى معرى عن لفظة المثل و حرف كاف الصفة فقد تعرى عن أدوات التشبيه و لحق بالألفاظ المشتركة و اعلم أن كاف الصفة لا فرق بينها و بين لفظة المثل و إن كان لهذا الحرف مواطن من جملتها موطن الصفة فإذا وردت في موطن الصفة في اللسان و هو أن تقول زيد كعمرو فإن العرب لا تريد إلا الإفادة فمن المحال أن تجيء بمثل هذا و تريد به أنه يماثله في الإنسانية و هي المماثلة العقلية و إنما تريد أنه كعمرو في الكرم مثلا أو في الشجاعة أو في الفصاحة أو في العلم أو في الحسن و ما أشبه ذلك مما دل عليه الحال بقرينته عند السامع لتقع له الفائدة فإذا قال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلا بد أن يقول فيما ذا أو يدل عليه قرينة الحال في المجلس و لا سيما و قد أردف نفي المماثلة بقوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و هاتان صفتان محققتان في المخلوق فلا بد أن تحقق ما نفى و أن يعلم هل هي كاف الصفات أو غيرها مما يطلبه اللسان منها بما وضعها له فإن كانت كاف صفة هنا فما نفى إلا مماثلة المثل أن يماثل فأثبت المثل له بالهاء التي في مثله و هي ضمير يعود على الحق و معلوم أن المثل ليس عين مماثله و لو كان عين من هو مثل له ما كان مثلا له لا عقلا و لا شرعا فوجود المثل عين إثبات الغير بلا شك فإن عمت المماثلة فهي العقلية بلا شك و لا ينكرها اللسان و إن خصت فهي لما خصت له حقيقة لا مجازا مثل زيد كالبحر لاتساعه في العلم أو في الجود و من العلماء من جعل الكاف في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ زائدة فإن كانت جاءت لمعنى فما هي زائدة فإن ذلك المعنى الذي سيقت له لا يظهر و لا يحصل إلا بها في نفس المخاطب فانتفى إن تكون زائدة فإن الله ما خلق شيئا باطلا و لا عبثا و الزائد لغير معنى إنما هو عبث و العرب من المحال أن تجيء بزائد لغير معنى فإذا جاءت بهذا الحرف جاءت به لمعنى فهو لما جاءت به فإن المتكلم لا يجيء بالكلمة فيما يقوله النحوي زائدة إلا لقصد التوكيد فإذا زالت زال التوكيد فإذا ما هي زائدة فإن الكلام المؤكد ما استقل دونها و ما يقوم مقامها فإذا أكد تعالى نفي المثل فما هي زائدة فجعل تأكيد نفي المثل في مقابلة من أثبت المثل فرضا و وجودا في زعمه و الصحيح في هذه الكاف أنها كاف الصفة بقرائن الأحوال أي لو فرض له مثل لم يماثل ذلك المثل فأحرى إن لا يماثل فهو أبلغ في نفي المماثلة في اللسان ثم نقول في قولنا بقرائن الأحوال لكون الحق ما وصف الإنسان الكامل إلا بما وصف به نفسه فنفى مماثلة الإنسان الكامل أن يماثله شيء من العالم و يعضد هذا قوله إنه خلق آدم على صورته فهذا خبر يقع به الأنس للنفس فما في العالم زائد لغير معنى لأنه ما فيه عبث و لا باطل بل كل ما فيه مقصود لمعنى فإن قلت فأين المماثلة في الفعل قلنا بيان هذا من وجهين الوجه الواحد أن يفعل بآلة ظاهرة فإذا قمت في توحيده في الأفعال جعلنا آلة له فيفعل بنا ما ينسب في الشاهد لنا فعله فنحن له كالقدوم للنجار و الإبرة للخائط مثلا هذا إذا جعلناه مثلا لنا فإذا جعلنا

أنفسنا مثالاله و هو الوجه الآخر من الوجهين في الجواب و هو الفعل بالإرادة و القصد و هي آلة باطنة فإنها نسبة فهو يفعل بالإرادة فإذا كان الإنسان صاحب همة نافذة فإنه يفعل بهمته كان مثالا له و لا يوجد ذلك في كل إنسان من هذا النوع فإنما نحن به و له فيفعلنا و يفعل بنا و يفعل فينا فلا يثبت التوحيد في الأعمال إلا أن نكون آلة لا بد من ذلك و الله العالم و المعلم الذي اطلع من شاء على ما شاء من علمه و في هذا المنزل من العلوم علم ما بقي من الزمان لقيام الساعة و فيه علم الفرق بين ما ينزل من العلم على قلوب العلماء من حضرة الربوبية و حضرة الرحمانية دون غيرهما من الحضرات الإلهية و فيه علم ما ينبغي أن يكون عليه صاحب هذا العلم من الصفة و هل يصح هذا العلم لمن لا يرفع به رأسا أم لا و فيه علم الأسرار التي لا تذاع و فيه علم الرد و القبول و فيه علم الفرق بين الرؤيا و المبشرات و أن الرؤيا أعم و المبشرات أخص فإن الإنسان قد يرى ما يحدث به نفسه و ما يلعب به الشيطان أو يحزنه و لو لم يكن لذلك أثر فيمن رويت له أو رآها لنفسه ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلا و هو قوله أن يتفل صاحب الرؤيا المفزعة على يساره ثلاثا و يستعيذ بالله من شر ما رأى فإنها لا تضره و ليتحول من شقه الذي كان عليه نائما حين الرؤيا إلى شقه الآخر فإنها تتحول بتحوله كما يحول صاحب الاستسقاء رداءه عند الدعاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب و يرمي شرها عمن اتخذه معاذا فلم يؤثر فيه إذ هو ليس بمحل للأثر و إن كان قد ورد و لكن على وجه خاص فقد ورد في الشرع أن العبد يفعل فعلا يسخط به ربه و يفعل فعلا يرضي به ربه و فيه علم في أي صورة يستعمل الدليل العقلي و في أي صورة لا يستعمل و فيه علم حقائق الأشياء التي بالعلم بها يصح أن تكون معلومات و فيه علم الحدود الإلهية الموضوعة في العالم في الدنيا و الآخرة و تنتهي أوقاتها و فيه علم العلم المولد من غير المولد علم ما ظهر عن الفكر و التدبر و الرؤية و فيه علم مقارعة الوجود العدم و في أي حضرة أو ميدان يجتمعان و ليس لهما ميدان مقارعة إلا الممكنات فالمرجح غالب و المرجوح مغلوب و فيه علم التوحيد الإلهي و أماكنه ستة و ثلاثون و فيه علم ما يعلل و ما لا يعلل و فيه علم ما ينبغي أن يتخذ عدة للشدائد من الأسباب و غيرها و ما ثم غير سبب تدفع به و فيه علم الفصل و الوصل و لهما بابان في هذا الكتاب و فيه علم الأصل الذي منه أو به ظهرت الأكوان و أعيان العالم و فيه علم من هو العالم و من يحفظ عليه صورته و من لا يحفظ عليه صورته و فيه علم نسبة الحركة إلى العالم العلوي و ما يطلب بتلك الحركة و فيه علم الانتقال من حال إلى حال و ما أصل ذلك و فيه علم نشأة الإنسان على الانفراد و أعني بالإنسان الإنسان الحيوان و فيه علم التثبت في الأمور و ما سبب و ما ينتج و فيه علم العجز و القصور و من هو أهله و فيه علم الحافظ و الحفظ و المحفوظ من حيث ما هو محفوظ و المحفوظ به و فيه علم الزيادة و النقص و أن الدنيا من حين خلقها الله ما زالت تنقص و أن الآخرة من حين شرع النقص في الدنيا ما زالت تزيد فيه في كل يوم في مزيد و الدنيا في كل يوم أيضا في نقص و فيه علم من علم أنه لا يكون منه كون كذا لما طولب بكون ذلك كمن يطلب القيام من المقعد الذي لا يصح منه القيام و لما ذا يريده مع علمه بأنه لا يستطيعه و فيه علم عناية الحق بعبده في حال لا يتصف فيه العبد بالعقل و لا بالوجود كأبي يزيد و أمثاله من الأولياء و كعيسى و

يحيى من الأنبياء و فيه علم إقامة الحجج و فيه علم ما يستقل العقل بإدراكه مما لا يستقل بإدراكه و فيه علم طيب الخبيث عند الخبيث و فيه علم نسبة الإصابة لكل مجتهد و معنى نسبة الخطاء إلى المجتهد و أن ذلك الخطاء علم في نفس الأمر و حكم الله و فيه علم الصنائع العملية بالفطرة و الرؤية و التعليم فهذه ثلاثة أحوال فهي بالفطرة في الحيوان و بالتعليم في الضعيف العقل و الرؤية و بالرؤية و التدبير في القوي العقل الصحيح الفكر و النظر و فيه علم ما يتقى و من يتقي و بما ذا يتقى و أصناف المتقين و فيه علم الفرق بين البلاء و الابتلاء و فيه علم القرين الصالح هل الصلاح فيه بالجعل أو بالأصالة و فيه علم حكم الجزاء الوفاق المناسب بالاتفاق و فيه علم أحوال الندم و متى يتعين وقته و فيه علم التبديل و التحويل في الصور مع بقاء العين و هل ينتقل الاسم بانتقال الحال أم لا و فيه علم ترتيب الكتب الإلهية مع أن الكلام واحد في نفسه و كيف ينسب للمتأخر التقدم على من هو متأخر عنه و فيه علم ما تعطيه العبادة من العلوم و فيه علم عموم رحمة المخلوق و هو من أسنى العلوم و أخفاها و فيه علم ما يمكن أن يكون فيه التساوي بين المخلوقات و بين ما لا يكون و فيه علم التنزيه و مكانة الخلق من الحق و الحق من الخلق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل سرين من عرفهما نال الراحة في الدنيا و الآخرة و الغيرة الإلهية»

إذا ما قام شخص عن سواه … بأحكام فذاك المستناب
فإن لم يستنبه و قام فيها … فلا شك لديه و لا ارتياب
و لو يدعو عليه إذا تعدى … لكان دعاؤه فيه يجاب
لصدق الوعد و الإخلاص فيه … يصيب إذا يريد و لا يصاب

هذا منزل البشري الإلهية بالراحة التي أوجبها الاعتناء الإلهي بمن بشر بها من عباد الله الصالحين إلى يوم القيامة و في القيامة فإن الله لم يزل كل شيء عنده بالفعل في عباده ما عنده شيء بالقوة فوردت التعريفات الإلهية إليه بما كان لله فيهمن الأفعال و الأحوال ليتذكر بعقله شهوده ذلك من ربه فيه في حال عدمه لما كان عليه من الثبوت الذي أوجب له قبول التصرف إلهي فيه و بتلك الحالة الثبوتية امتثل أمر الحق بالتكوين فإن الأمر لا يرد إلا على متصف بالسمع فالقول الإلهي لم يزل و السمع الثبوتي لم يزل و ما حدث إلا السمع الوجودي الذي هو فرع عن السمع الثبوتي فانتقلت الحال على عين السمع ما انتقل السمع فإن الأعيان لا تنقلب من حال إلى حال و إنما الأحوال تلبسها أحكاما فتلبسها فيتخيل من لا علم له أن العين انتقل فالأحوال تطلب الأسماء الإلهية لا أن الأعيان هي الموصوفة بالطلب و يحدث للاعيان أسماء و القلب بحسب أحكام الأحوال التي تنقلب عليها و لو لا الأحوال ما تميزت الأعيان فإنه ما ثم إلا عين واحدة تميزت بذاتها عن واجب الوجود كما اشتركت معه في وجوب الثبوت فله تعالى وجوب الثبوت و الوجود و لهذه العين وجوب الثبوت فالأحوال لهذه العين كالاسماء الإلهية للحق فكما إن الأسماء للعين الواحدة لا تعدد المسمى و لا تكثره كذلك

الأحوال لهذه العين لا تعددها و لا تكثرها مع معقولية الكثرة و العدد في الأسماء و الأحوال و بهذا صح لهذه العين أن يقال فيها إنها على الصورة أي على ما هو عليه الأمر الإلهي فحصل لهذه العين الكمال بالوجود الذي هو من جملة الأحوال التي تقلبت عليها فما نقصها من الكمال إلا و هو نفى حكم وجوب الوجود للتمييز بينها و بين الله إذ لا يرتفع ذلك و لا يصح لها فيه قدم و له تمييز آخر و ذلك أن الحق يتقلب في الأحوال لا تتقلب عليه الأحوال لأنه يستحيل أن يكون للحال على الحق حكم بل له تعالى الحكم عليها فلهذا يتقلب فيها و لا تتقلب عليه كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فإنها لو تقلبت عليه أوجبت له أحكاما و عين العالم ليس كذلك تتقلب عليه الأحوال فتظهر فيها أحكامها و تقليبها عليها بيد الله تعالى فأما تقليب الحق في الأحوال فمعلوم بالنزول و الاستواء و المعية و الضحك و الفرح و الرضي و الغضب و كل حال وصف الحق به نفسه فهو سبحانه يتقلب فيها بالحكم فهذا الفرق بيننا و بين الحق و هو أوضح الفروق و أجلاها فوقعت المشاركة في الأحوال كما وقعت في الأسماء لأن الأسماء هي أسماء الأحوال و مسماها العين كما أنه لها الأسماء بنسبة غير هذه النسبة و مسماها الحق ف هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ العالم القدير و أنت السميع البصير العالم القدير فحال السمع و البصر و العلم و القدرة لنا و له بنسبتين مختلفتين فإنه هو هو و نحن نحن فلنا آلات و نحن له آلات فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و قال فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الله و ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ الله رَمى و الآلة رسول الله ص فالتقلب للحق في الأحوال لإظهار أعيانها كتقلب الواحد في مراتب الأعداد لإظهار أعيانها و اعلم أن هذا المنزل ما سمي منزل سرين إلا لسر عجيب و هو أن الشيء الواحد تثنيه نفسه لا غيره في المحسوس و المعقول فأما في المحسوس فآدم ثناه ما فتح في ضلعه القصير الأيسر من صورة حواء فكان واحدا في عينه فصار زوجا بها و ليست سوى نفسه التي قيل بها فيه إنه واحد و أما في المعقول فالألوهية ليست غير ذاته تعالى و معقول الألوهة خلاف معقول كونه ذاتا فثنت الألوهة ذات الحق و ليست سوى عينها فكما بث في الحس من آدم و من ثناه من ذاته رجالا كثيرا و نساء على صورة الزوجين كذلك بث من ذات الحق تعالى و كونه إله العالم على صورة هذين المعقولين فالعالم خرج على صورة مؤثر و مؤثر فيه للتوالد أي لتوالد أجزائه فإن الألوهة حكم للذات فيها حكمت بإيجاد العالم فلما أثرت الحكم بإيجاد العالم لذلك ظهر العالم بصورة من أوجده بين مؤثر و مؤثر فيه كما جرى في المحسوس فإن الله ما خلق من آدم و حواء أرضا و لا سماء و لا جبلا و لا غير نوعه بل ما خلق منهما إلا مثلهما في الصورة و الحكم

ذات يقدس لفظها معناها	إن التي كان الوجود بكونها
مني و أهوى كل من يهواها	إني لأهواها و أهوى قربها
أتراب من حبي لها محياها	ليلى و لبنى و الرباب و زينب
فوجودنا عين لها و سواها	لو مت مات وجودها بمماتنا

فرد فلا ثان فمن ثناها عجبا لنا و لها فإن وجودنا

و لما كان الأصل واحدا و ما ثناه سوى نفسه و لا ظهرت كثرة إلا من عينه كذلك كانت له في كل شيء من العالم آية تدل على أنه واحد فالكون كله جسم و روح بهما قامت نشأة الوجود فالعالم للحق كالجسم للروح و كما لم يعرف الروح إلا من الجسم فإنا لما نظرنا فيه و رأينا صورته مع بقائها تزول عنها أحكام كنا نشاهدها من الجسم و صورته من إدراك المحسوسات و المعاني فعلمنا إن وراء الجسم الظاهر معنى آخر هو الذي أعطاه أحكام الإدراكات فيه فسمينا ذلك المعنى روحا لهذا الجسم فكذلك ما علمنا أن لنا أمرا يحركنا و يسكننا و يحكم فينا بما شاء حتى نظرنا في نفوسنا فلما عرفنا نفوسنا عرفنا ربنا حذوك النعل بالنعل و لهذا أخبر في الوحي بقوله من عرف نفسه عرف ربه و في الخبر المنزل الإلهي سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ فما ظهر العالم عن الله إلا بصورة ما هو الأمر عليه و ما في الأصل شرفا لي من تستند الشرور و العالم في قبضة الخير المحض و هو الوجود التام غير أن الممكن لما كان للعدم نظر إليه كان بذلك القدر ينسب إليه من الشر ما ينسب إليه فإنه ليس له من ذاته حكم وجوب الوجود لذاته فإذا عرض له الشر فمن هناك و لا يستمر عليه و لا يثبت فإنه في قبضة الخير المحض و الوجود ثم من تمام المعرفة الموضوعة في العلم بالله أن للجسم في الروح آثارا معقولة معلومة لما يعطيه من علوم الأذواق و ما لا يمكن أن يعلمها إلا به و أن الروح له آثار في الجسم محسوسة يشهدها كل حيوان من نفسه كذلك العالم مع الحق لله فيه آثار ظاهرة و هي ما يتقلب فيه العالم من الأحوال و ذلك من حكم اسمه الدهر و أخبر الحق سبحانه أن للعالم من حيث ما كلفه آثارا لو لا تعريفه إيانا بها ما عرفناها و ذلك أنه إذا اتبعنا رسوله فيما جاءنا به من طاعة الله أحبنا و أرضيناه فرضي عنا و إذا خالفناه و لم نمتثل أمره و عصيناه أخبرنا إنا أسخطناه و أغضبناه فغضب علينا و إذا دعوناه أجابنا فالدعاء من أثره و الإجابة من أثرنا ذلك لتعلموا أنه ما أظهر شيئًا إلا من صورة ما هو هو و يستحيل أن يكون الأمر إلا كذلك و إلا فمن أين و ما ثم إلا هو و لا يعطي الشيء إلا ما في قوته و لهذا نعت الحق لنا نفسه بنعوت المحدثات عندنا و هي في الحقيقة نعوته ظهرت فينا ثم ما عادت عليه و نعتنا سبحانه بنعوت ما يستحقه جلاله فهي نعوته على الحقيقة فلو لا ما أوجدنا على صورة ما هو عليه في نفسه ما صح و لا ثبت أن نقبل صفة مما وصفنا بها مما هي حق له و لا كان يقبل صفة مما وصف بها نفسه مما هي حق لنا و الكل حق له فهو الأصل الذي نحن فرعه و الأسماء أغصان هذه الشجرة أعني شجرة الوجود و نحن عين الثمر بل هو عين الثمر فما لنا مثل سوى وجود هذا الشجر و من تمام المعرفة بالله ما أخبرنا به على لسان رسوله ص من تحوله تعالى في الصور في مواطن التجلي و ذلك أصل تقلبنا في الأحوال باطنا و ظاهرا و كل ذلك فيه تعالى و كذلك هو تعالى في شئون العالم بحسب ما يقتضيه الترتيب الحكمي فشأنه غدا لا يمكن أن يكون إلا في غد و شأن اليوم لا يمكن أن يكون إلا اليوم و شأن أمس لا يمكن أن يكون إلا في أمس هذا كله بالنظر إليه تعالى و أما بالنظر إلى الشأن يمكن أن يكون في غير الوقت الذي تكون فيه لو شاء الحق تعالى و ما في مشيئته جبر و لا تحير تعالى

الله عن ذلك بل ليس لمشيئته إلا تعلق واحد لا غير و منها قوله سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ يعني منكم و من العالم الذي هو سوانا و إنما سمانا بالثقلين لما فينا من الثقل و هو عين تأخرنا بالوجود فأبطأنا و من عادة الثقيل الإبطاء كما أنه من عادة الخفيف الإسراع فنحن و الجن من الثقلين و نحن أثقل من الجن للركن الأغلب علينا و هو التراب فالإنسان آخر موجود في العالم لأن المختصر لا يختصر إلا من مطول و إلا فليس بمختصر فالعالم مختصر الحق و الإنسان مختصر العالم و الحق فهو نقاوة المختصر أعني الإنسان الكامل و أما الإنسان الحيوان فإنه مختصر العالم و له يفرغ الحق ليقيم عليه ميزان ما خلق له فإن قوله سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ كلمة تهديد و الإنسان الكامل لا يتوجه عليه هذا الخطاب غير إن في هذه الكلمة إشارة للحوق الرحمة بهما أعني الثقلين و ذلك في فتح اللام الداخلة على ضمير المخاطب في لكم و إن كان الفتح الإلهي قد يكون بما يسوء كما يكون بما يسر و لكن رحمته سبقت غضبه و جاء بآلة الاستقبال و هو السين و آخر درجة الاستقبال ما يؤول إليه أمر العالم من الرحمة التي لا غضب بعدها لارتفاع التكليف و استيفاء الحدود و لما جاء بضمير الخطاب في قوله لكم و علمنا من الكرم الإلهي أبدا أنه يرجح جانب السعداء و جانب الرحمة على النقيض و لهذا سمي ما يتألم به أهل الشقاء عذابا لأن السعداء يستعذبون آلام أهل الشقاء إيثارا لجناب الحق حيث أشركوا فلهم في أسباب الآلام نعيم فسمى الحق ذلك عذابا إيثارا لهم حين آثروه فلذلك جاء بحرف الخطاب ليفتح اللام و ليعلم بآلة الخطاب أنهم قوم مخصوصون لأنه لا يفقد من العالم ضمير الغائب فلا بد له من أهل مثل قوله في السعداء لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي فأتى بضمير الغائب فغابوا عن هؤلاء المخاطبين و فتح اللام فتح رحمة تعطيها قرائن الأحوال و لهذه الأداة مراتب يعامل الحق بها عباده مثل قوله وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ و مثل قوله ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ و ما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ و سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ و خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ ولَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى فله و لنا و مع هذا فالأدب يلزمنا و بالأدب يكون أصحاب السلطان جلساء من غير انبساط لأن الشهود و الانبساط لا يجتمعان قال بعضهم اقعد على البساط و إياك و الانبساط

إني عبدت من أمر ليس يصلح لي	و لست أعبد من نعتي بصورته
فإنه قال هذا لم أقله أنا	و ليس سورة حالي غير سورته

فإن الدون الأدون إذا نسب إليه ما لا يقتضيه مقامه من الصفات الشريفة يأنف من ذلك لأنه هجو به كما يأنف الشريف أن يوصف بدون ما يستحقه شرفه (وصل) و أما من قال من أصحابنا و ذهب إليه كالإمام أبي حامد الغزالي و غيره بأن الفرق بين الولي و النبي نزول الملك فإن الولي ملهم و النبي ينزل عليه الملك مع كونه في أمور يكون ملهما فإنه جامع بين الولاية و النبوة فهذا غلط عندنا من القائلين به و دليل على عدم ذوق القائلين به و إنما الفرقان إنما هو فيما ينزل به الملك لا في نزول الملك فالذي ينزل به الملك على الرسول و النبي خلاف الذي ينزل به الملك على الولي التابع فإن

الملك قد ينزل على الولي التابع بالاتباع و بإفهام ما جاء به النبي مما لم يتحقق هذا الولي بالعلم به و إن كان متأخرا عنه بالزمان أعني متأخرا عن زمان وجوده فقد ينزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبي و سقمه مما قد وضع عليه أو توهم أنه صحيح عنه أو ترك لضعف الراوي و هو صحيح في نفس الأمر و قد ينزل عليه الملك بالبشرى من الله بأنه من أهل السعادة و الفوز و بالأمان كل ذلك في الحياة الدنيا فإن الله عز و جل يقول لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و قال في أهل الاستقامة القائلين بربوبية الله إن الملائكة تنزل عليهم قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و من أولياء الله من يكون له من الله ذوق الإنزال في التنزيل فما طرأ ما طرأ على القائلين بخلاف هذا إلا من اعتقادهم في نفوسهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع الطرق و المقامات و أنه ما بقي مقام إلا و لهم فيه ذوق و ما رأوا أنهم نزل عليهم ملك فاعتقدوا إن ذلك مما يختص به النبي فذوقهم صحيح و حكمهم باطل و هم قائلون إنه من أتى منهم بزيادة قبلت منه لأنه عدل صاحب ذوق ما عندهم تجريح و لا طعن و لا يتعدون ذوقهم فمن هنالك وقع الغلط و لو وصل إليهم ممن تقدمهم أو كان معهم في زمانهم من أهل الله القول بنزول الملك على الولي قبلوه و ما ردوه و قد رأينا في الوقائع ممن تقدم جماعة غير قائلين بأمر ما فلما سمعوه منا قبلوه و لم ينكروه لارتفاع التهمة عنهم في أشكالهم و أمثالهم فإن قال أحد من أهل الله من أهل الإشارات و هم أصحاب النداء على رأس البعد إنك قد قلت إنه ما من حقيقة و لا نسبة في العالم إلا و هي صادرة عن نسبة إلهية و من نسب العالم الافتقار و قد قال أبو يزيد و هو من أهل الكشف و الوجود إن الله قال له في بعض مشاهده معه تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار فاعلم أيها المستفيد ان الحق تعالى له الرحمة و العفو و الكرم و المغفرة و ما جاء من ذلك من أسمائه الحسنى و هي له تعالى حقيقة و كذلك له الانتقام و البطش الشديد فهو سبحانه الرحيم العفو الكريم الغفور ذو انتقام و من المحال أن تكون آثار هذه الأسماء فيه أو يكون محلا لآثارها فرحيم بمن و عفو عمن و كريم على من و غفور لمن و ذو انتقام ممن فلا بد أن يقول إن الله الخالق يطلب المخلوق و المخلوق يطلب الخالق و صفة الطالب معروفة و الحاصل لا ينبغي فلا بد من العالم لأن الحقائق الإلهية تطلبه و قد بينا لك أن معقولية كونه ذاتا ما هي معقولية كونه إلها فثنت المرتبة و ليس في الوجود العيني سوى العين فهو من حيث هو غني عن العالمين و من حيث الأسماء الحسنى التي تطلب العالم لإمكانه لظهور آثارها فيه يطلب وجود العالم فلو كان العالم موجودا ما طلب وجوده فالأسماء له كالعائلة و رب العيال يسعى على عياله و الخلق عيال الله الأبعد و الأسماء الآل الأقرب فسأله العالم لإمكانه و سألته الأسماء لظهور آثارها و ما يسأل إلا فيما ليس له وجود فلا بد من وجود العالم و الكتاب حاكم و العلم سابق و المشيئة محققة فمن المحال أن لا يقع و إنما وقع التكفير في الطائفة التي قالت إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ بالمجموع فإنهم ليسوا بأغنياء عن الله و ليس الحق بمتأخر عن إيجادهم و لا عن إسباغ النعم عليهم فضلا منه و منة لحكم كتاب سبق قال الله تعالى لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ فالحكم للكتاب و نسبة الكتاب ما هي نسبة الذات و تعين إمضاء

الحكم فيمن أمضاه فهو للكتاب كالسادن و المتصرف بحكم جبر المرتبة هذا تعطيه الحقائق بأنفسها و هي لا تتبدل و لو تبدلت الحقائق اختل النظام و لم يكن علم أصلا و لا حق و لا خلق فلو نظر العاقل في حكمة الخطاب الإلهي في قوله تعالى سَنَكْتُبُ ما قالُوا و أخذه من قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ يريد أوجبها على نفسه لأنه ما ثم موجب إلا هو تعالى فقال سنوجب ما قالوه فيما يرجع ضرره عليهم و قال في تمام الآية وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ عقوبة لقولهم و لهذا كان تحقيق كفرهم بالمجموع فإنهم ليسوا بأغنياء فهذا روح هذه الآية و أما احتجاجك بما قاله لأبي يزيد فهو أيضا عين المجموع فلم يقل الذلة وحدها بل قال الذلة و الافتقار و نسبة المجموع ليست بنسبة الأفراد فلولا الممكن ما ظهر أثر للأسماء الإلهية و الاسم هو المسمى عينه و لا سيما الأسماء الإلهية فالوجود طالب و مطلوب و متعلق الطلب العدم فأما إعدام موجود و إما إيجاد معدوم قال الله تعالى الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فما نفى إلا الألوهة أن تكون نعتا لأكثر من واحد فللأسماء الإلهية أو المرتبة التي هي مرتبة المسمى إلها التصريف و الحكم فيمن نعت بها فبها يتصرف و لها يتصرف و هو غني عن العالمين في حال تصرفه لا بد منه فانظر ما أعجب الأمر في نفسه و من هنا يعرف قول أبي سعيد الخراز أنه ما عرف الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ و أما قول اليهود في البخل يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ فقال تعالى فيهم غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا أي أبعدوا عن صفة الكرم الإلهي فإن أقوالهم من أعمالهم فغلت أيديهم فوقع البخل الذي نسبوه إلى الله بهم فما شهدوا من الله إلا ما قالوا فأذاقهم طعم ما جاءوا به و كذبهم الله بعد ذلك في المال فبسط عليهم الكرم بالرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ليعرفهم بأنهم كانوا كاذبين و هو أشد العذاب عليهم و أشد النعيم فإنه إذا بسط عليهم الجود و الكرم علموا جهلهم فتوهموه فتعذبت نفوسهم بتصور الحال التي كانوا عليها من الجهل بالله و يتنعمون بإزالة ذلك و وقوفهم على العلم و علموا أن جهلهم أورثهم الكذب على الله تعالى بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ فالحكم للمشيئة فافهم و ليست مشيئته غير ذاته فأسماؤه عينه و أحكامها حكمه و ما ظهر العالم إلا بما هي عليه من القوي

و لا تجاوز حدك فانظر إليه تكنه

فإنما هو عندك فكل ما هو فيه

أظهر أمر الوجود منه من قدر الله حق قدره

من علمه فيه فهو عنه فكل أمر تراه عين

لذاك ما للوجود كنه فعينه عين من تراه

فإذا قلت الله فهو مجموع حقائق الأسماء الإلهية كلها فمن المحال أن يقال على الإطلاق فلا بد أن تقيده الأحوال و إن قيدته الألفاظ فبحكم التبعية للأحوال فكلما أضيف إليه فانظر أي اسم تستحقه تلك الإضافة فليس المطلوب من الله في ذلك الأمر إلا الاسم الذي تخصه تلك الإضافة و

الحقيقة الإلهية التي تطلبه فلا تتعداه و من كان هذا حاله فقد وفى الله حقه و قدر قدره مجملا فإنه لا يقدر قدره مفصلا لأن الزيادة من العلم با لله لا تنقطع دنيا و لا آخرة فالأمر في ذلك غير متناه أ لم تر أن الله تعالى بعث موسى ع برسالة إلى فرعون كان من جملتها أن يقول له إذا قال له فرعون فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى . . . عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَ لا يَنْسى يعني ما أوجبه على نفسه من ذلك فما كتبها في اللوح المحفوظ إلا ليعلم من ليس من شأنه أن لا يعلم إلا بالإعلام لا ليتذكر ما أوجبه على نفسه مما تستقبل أوقاته في المدد الطائلة فإنه سبحانه لا يَضِلُّ رَبِّي الذي جئتك من عنده لأدعوك إلى عبادته وَ لا يَنْسى و قالتعالى عن نفسه نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و ما نسوه على الإطلاق فما ينساهم على الإطلاق و إنما ينساهم فيما نسوه فيه مما لو علموا به نالتهم الرحمة من الرحيم بذلك فلما نسوه نسيهم الرحيم إذ تولاهم الاسم الإلهي الذي كانوا في العمل الذي يدعو ذلك الاسم إليه فإذا انقضى عدل ميزانه فيه زال النسيان إذ لا بد من زواله عند كشف الغطاء عند الموت في الدنيا فلا يموت أحد من أهل التكليف إلا مؤمنا عن علم و عيان محقق لا مرية فيه و لا شك من العلم بالله و الايمان به خاصة هذا هو الذي يعم فلا بأس أشد من الموت و ما بقي الأهل ينفعه ذلك الايمان أم لا أما في رفع العقوبة عنهم فلا إلا من اختصه الله مثل قوله تعالى فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا ثم قال و هو موضع استشهادنا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ و أما الاستثناء فقوله تعالى إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ فلا حكم على الله في خلقه و أما نفع ذلك الايمان في المال فإن ربك فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و إنه يقول تعالى إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فهذا قوله عهده إلينا في كتابه و على ألسنة رسله ع

رسول إلى قلبي من الملإ الأعلى ... فقد أن الحق فيما أتى به
أقول بأحرى في الأمور و لا أولى ... فأخبرني بالأمر من نصفه فما
فمن عالم يبلى و من عالم يبلى ... بل الأمر فيه واحد ليس غيره
و ليس بقرآن على قلبنا يتلى ... و ذلك فرقان يبين دليله
علي إذا ما جئت حضرته يملي ... و إن كان قول الله في كل حالة
و ما مر منه لا يزال و لا يبلى ... و خلقي عجيب لا يزال مجددا
فسبحان من أعمى و سبحان من أجلي ... فحكم الحكيم الحق في الخلق ظاهر
و قد خصني منه بمورده الأحلى ... لقد جاد لي إنعامه بشهوده

فمن اتقى الله جعل له فرقانا و إن كان في عين القرآن العزيز الذي هو الجمع من قريت الماء في الحوض إذا جمعته فما كل فرقان قرآن و كل قرآن فرقان

بعينك لاجتماع في افتراق فعين الجمع عين الفرق فانظر

عليه بالفراق و بالتلاق فليس المثل عين المثل فاحكم

حكمنا بالنكاح و بالطلاق و إن شئنا إذا فكرت فيه

فساق الحق ملتف بساقي فلو لا الحق ما كان اتساق

لا علم أن في العقبي مساقي و عند شرودنا عنه دعاني

فإن طبنا فمسك في حقاق إليه في جسوم من نبات

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ فتميز الواحد عمن ثناه فانفرد كل فريق بأحديته و جمعيته فمنهم من تأنس بانفراده بفرديته و أحديته و منهم من استوحش في انفراده بفرديته و أحديته فتلك عند العارفين وحشة الحجاب

و لله فيما قلته الخلق و الأمر فأي نعيم لا يكدره الدهر

و لولا وجودي لم ير في الورى الشر فلو لا وجود الحق ما كان خيره

و لكنه أخفى فشأني له ستر و لست سواه لو تسر حقيقتي

يلوح له من نشأتي الدر و الدر فمن يتحقق صورتي فإنه

و للعلم منها ما يجود به الدر فدر لا حجار تنافس نشأتي

و إن كنت ذا عين فقد رفع الستر فإن كنت ذا عقل تبين حكمه

و إن لم تشأ خمرا فمشربك المزر فإن شئت فأشر به رحيقا مختما

و لو لم يكن ذكر لقام به الفكر فسبحان من أحيا الفؤاد بذكره

و اعلم أيدك الله بروح منه أني ما رأيت ثبوت العلم على صورته لا يتغير إلا في هذا المنزل فأورثني الطمأنينة فيما علمت أنه لا يزول و أن الشبه لا تزلزله و أن الشبهة إذا جاءت لمن شاهد هذا الأمر في هذا المنزل رآها شبهة لا يمكن أن تتغير له عن صورتها بخلاف من ليس له هذا المنزل فإنه يتزلزل و يؤديه ذلك التزلزل إلى النظر فيما كان قد قطع أنه يعلمه و لا يعرف هل العلم الأول كان شبهة أو هل الشهود شبهة أو هل الأمران شبهة فيحار و ذلك أنه ليس هو في علمه بالأمور على بصيرة لأنه ولدها بفكره فإذا جاءت الأمور بأنفسها لا بجعلك و إنشائك أعطتك حقائقها فعلمتها على ما هي عليه و يتعلق بهذا المنزل آيات كثيرة من القرآن العزيز و لو بسطنا الكلام فيها لطال المدى فلنذكر منها بعض آيات لا كلها و لا أشرحها و

إنما أنبه عليها للعقول السليمة و الأبصا ر النافذة فمن ذلك وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و منها لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ في سورة التغابن و منها وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ و منها وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ و منها فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ و منها فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ حيث وقع و منها وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ و منها وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ توطئة لسعادتهم و منها لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فصدر بهذه الآية ليعلم بما هو الأمر عليه بالنسبة إليه و منها إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ فاكتفى بالخبرة عن العلم إذ كانت كل خبرة علما و منها وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فجاء بحرف امتناع لامتناع و منها وَلَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ و منها إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى و منها وَكَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا و منها ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ الآية و منها ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ و منها لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ و منها وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ الآية و منها وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ و منها يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها و منها أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى و هو الذي سقط على وجهه في النار من الصراط و هو من الموحدين و منها وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ و منها إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ أي تعجبا و منها فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ و منها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فتدبر منازل هذه الآيات و أمثالها و من هنا تعرف قوة الألف و اللام اللتين للعهد و التعريف و الجنس و إلحاق لام ألف بالحروف و الحروف على قسمين حروف هجاء و هي الحروف الأصلية و حروف معاني و كلاهما في الرقم بالوضع و في اللفظ بالطبع في الإنسان وكلها منك و فيك و ما ثم أمر خارج عنك فلا ترجو أن تعرف نفسك بسواك فإنه ما ثم فأنت دليل عليك و عليه و ما ثم من هو دليل عليك

و أنت في الحالتين وحدك ‌ من ذا الذي ترتجيه بعدك

فكل ما فيه فهو عندك ‌ فانظر إليه به تكن هو

و في هذا المنزل من العلوم علم ما للأسباب في المسببات من الأحكام و تفصيل الأسباب و هل العالم كله أسباب بعضه لبعضه و هل من الأسباب ما يكون عدما و هو سبب مثل النسب كتعلقات المعاني الموجبة أحكاما بتعلقها و فيه علم ما ثبت لله من الأحكام عقلا و شرعا و فيه علم ما فائدة الأخبار في المخبر المعقول و ما الأخبار التي تفيد علما من التي تفيد ظنا أو غلبة ظن من الأخبار التي تفيد حيرة من الأخبار التي تقدح في الأدلة النظرية لقدحها في العلم و فيه علم الخلق عيال الله هل معناه معنى يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ و فيما ذا يكون الفقر مع كونهم موجودين و علمهم من الحق أنهم لا يعدمون بعد وجودهم و إنما هو تقلب أحوال عليهم فمن حال يزول و حال يأتي و الزائل يعطي زواله حكما و الآتي يعطي إتيانه

حكما و المحكوم عليه بالحكمين واحد العين كالقائم يقعد فالقعود آت و القيام زائل فحكم زوال القيام كونه ليس بقائم و هو عين حكم القعود و يزيده القعود أحكاما لم تفهم من زوال القيام قد صا ر إليها و هي أنه ليس بمضطجع و لا راكع و لا ساجد و لا منبطح و فيه علم ما حكمة استفهام العالم عما يعلم و فيه علم لما ذا يرجع ما يد ركه البصر من تحول العين الواحدة في الصور في نظر الناظر هل هي في نفسها على ما يد ركها البصر أو هي على ما هي عليه في نفسها لم تنقلب عينها و هذا راجع إلى ما يرى من الأعيان و يحكم عليها بأنها أعيان هل تكثرت بأعراض أو بجواهر فإن الصور تختلف في النظر دائما و كل منظور إليه بالبصر من الأجسام جسم فالجسمية حكم عام و نرى فيها صورا مختلفة منها ما يكون سريع الزوال و منها ما يبطىء في النظر و الجسم جسم لم يتبدل و ليس الموصوف بما ظهر إلا الجسم و كذلك الصور الروحانية و التجلي الإلهي و هذا علم فيه إشكال عظيم و التخلص منه بطريق النظر الفكري عسير جدا و فيه علم ما للنائب من الشروط أن يشترطها على من استخلفه مع علمه بأنه مقهور في إقامته نائبا فهل اشتراطه مؤذن بجهله بمن استخلفه أو بنسيانه فيذكره أو يعلمه بمصالحه أكثر من علم من استخلفه بها و ينفتح في هذا الاشتراط أمور هائلة تقدح أو يعلم النائب أن من استخلفه يريد منه أن يسأله فيما اشترط عليه ليريه فقره إليه ذوقا إذ لو كان للنائب الاستقلال بما طلبه في شرطه ما اشترطه و فيه علم تعرض النائب لمن استخلفه بالرشاء و ما يقبل من الرشاء و ما لا يقبل و فيه علم إجابة المستخلف النائب في كل ما يسأله من مصالحه و فيه علم إن في الطعن على المستخدمين تسفيه من استخدمهم و هو علم خطر جدا و لذلك نهي عن الطعن على الملوك و الخلفاء و أخبرنا أن قلوبهم بيد الله إن شاء قبضها عنا و إن شاء عطف بها علينا و أمرنا أن ندعو لهم و إن وقوع المصلحة بهم في العامة أكثر من جورهم و ما حكمة جورهم مع كونهم نواب الله على الحقيقة في خلقه سواء كانوا كفا ر أو مؤمنين و عادلين أو جائرين ما يخرجهم ذلك عن إطلاق النيابة عليهم فهل إذا جا ر النائب انعزل فيما جا ر فيه من النيابة أو انعزل على الإطلاق من النيابة ثم جدد الحق له نيابة أخرى مجددة و فيه علم تعداد النعم من المنعم على المنعم عليه هل هو من قادح أو هل هو تعريف ليعلم قد ر ذلك لما طلب منه من الشكر عليها أو هل هو عقوبة لأمر وقع منهم أو هل تسوغ فيه مجموع هذه الوجوه كلها و فيه علم الرفق في التعليم في مواطن و الإغلاظ في مواطن و فيه علم من أين جئت و إلى أين تروح و هل ثم رجوع على الحقيقة أم لا أو هو سلوك أبدا قد ما لا رجوع فيه و الرجوع للمعقول و المحسوس في العالم لأية نسبة إلهية يرجع و هل وصف الحق بالرجوع على ما قلناه في الرجوع أم لا فإن الحقائق تأبى أن يكون ثم رجوع و فيه علم الفرق بين وصف النفوس الناطقة بالعقول و النهي و الأحكام و الألباب و أمثال هذه الألقاب لما ذا يرجع و فيه علم ما حكمة إقامة الدليل لمن لا يعلم أن ذلك دليل و هو يعلم أنه عالم بهذه الصفة فهل هو عينه مقصود بذاك الدليل أو غيره فيكون فيه ناقلا فينتفع به و يقبله من يصل إليه من نقل هذا الذي لم يعلم أن ذلك دليل و هذا يقع كثيرا و هو قول النبي ص رب حامل فقه ليس بفقيه فإذا حمله و نقله إلى فقيه قبله ذلك الفقيه و استفاد به علما لم يكن عنده و الناقل لا علم له بشيء من ذلك و فيه علم

تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه سبب و فيه علم لم أمر الشارع بقتل الساحر و لما ذا سمي كافرا و لما علم فرعون صدق موسى ع و أضمر الايمان في نفسه الذي أظهره عند غرقه حين رأى البأس هل قتل من قتل من السحرة الذين آمنوا لكونهم سحرة فقتلهم شرعا في باطن الأمر و لإيمانهم في ظاهر الأمر و إذا قتل الساحر هل ذلك القتل كفارة له و جزاء على سحره و لم يبق عليه من جهة ذلك السحر في الآخرة مطالبة فيه من الحق سبحانه و تعالى أم لا مطالبة عليه فيه من الله و فيه علم تفاضل المقربين عند الله بما ذا فضل بعضهم بعضا و فيه علم قول النبي ص في ابتلاء المؤمن بالرزايا و المصائب إن له خيرا في ذلك كله و لما ذا كان أهل الله في الدنيا أشد بلاء من سواهم و لما ذا يرجع اقتضاء ذلك في حقهم دون غيرهم من الناس المؤمنين و فيه علم لما ذا جبلت النفوس على حب المال و لا سيما الذهب هل لحيازته درجة الكمال المعدني فوقعت المناسبة بين الكاملين أو هل لما فيه من قضاء حوائجهم فهم فقراء إليه لوصولهم به إلى أغراضهم و قول عيسى ع قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء فمن اكتنز ماله فقد دفن قلبه في أرض طبيعته فلا يلتذ بمشاهدة أبيه الذي هو الروح الإلهي أبدا و مثل هذا يكون ابن أمه و إن كان له أب و لكن لا ينسب إليه كعيسى ابن مريم ع ينسب إلى أمه و ما وهبه لها إلا جبريل ع لما تمثل لَها بَشَراً سَوِيًّا و أعلمها و مع هذا فما نسب إلا إلى البقعة الجسمية مع كونه يحيي الموتى من حيث ما هو من هبات الروح الأمين و فيه علم الغيرة الإلهية و ممن زاحمه في الاسم الخاص الذي به شرفه و فيه علم متى يتعين إجابة السائل فيما سأل إذا سأل و من سأل بالحال هل يتعين إجابته بالحال فيكون الجواب مطابقا للسؤال و فيه علم وضع من ارتفع بنفسه و انحطاط من تطاول فوق قدره و فيه علم فائدة الموعظة و لو كفر بها فإن لها أثرا في الباطن عند السامع و إن لم يظهر ذلك فإنه يحس به من نفسه و فيه علم من أراد كيدا فصادف حقا فهو عنده كذب ثم أسفرت العاقبة إنه صدق في نفس الأمر و لكن لا علم له بذلك و فيه علم الأوقات و ما تعامل به عقلا و شرعا عند السليم الفكر و فيه علم تعيين مكارم الأخلاق و فيه علم أن العلم بما لا يعلم أنه لا يعلم علم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل أسرار اتصلت في حضرة الرحمة بمن خفي مقامه و حاله على الأكوان و هو من الحضرة المحمدية»

مرتبة الخمسة معروفة تحفظ ما جاوزها من عدد
تحفظ ذكر الله من رحمة قامت بها ليس لها مستند
سوى الذي يحفظ أعياننا و هو الإله المتعالي الصمد
جميع ما في الكون من خلقه له إذا يدعوه عبدي سجد

مع كونه سبحانه لم يلد ‏ ‏ ‏ ‏ لولاه لم نوجد بأعياننا

لم تنتف عنه صفات الأحد ‏ ‏ ‏ ‏ فهو مع الكثرة في حكمه

لما بدا منه وجود العدد ‏ ‏ ‏ ‏ لولا وجود الكثر في حكمه

و حكمه في كونه مستند ‏ ‏ ‏ ‏ فهو وحيد العين في ملكه

من نفسنا من فضله ما عبد ‏ ‏ ‏ ‏ لما حملناه على كوننا

و جل أن يبقى بحكم المدد ‏ ‏ ‏ ‏ عز فما يدركه غيره

قد قهر الكل و أهل العدد ‏ ‏ ‏ ‏ سبحانه من ملك قاهر

لكل من يعرفه معتمد ‏ ‏ ‏ ‏ ليس على غير من أكوانه

كذاك أيضا حكمه في الأبد ‏ ‏ ‏ ‏ من أزل صح له حكمنا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الله لما سمي نفسه بالظاهر و الباطن اقتضى ذلك أن يكون الأمر الوجودي بالنسبة إلينا بين جلي و خفي فما جلاه لنا فهو الجلي و ما ستره عنا فهو الخفي و كل ذلك له تعالى جلي قال رسول الله ص في دعائه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك و هو الجلي عند من علمه الله إياه و الخفي عمن لم يعلمه ثم قال أو استأثرت به في علم غيبك فهذا خفي عما سوى الله فلا يعلمه إلا الله فإنه تعالى يَعْلَمُ السِّرَّ و هو ما بينه و بين خلقه وَ أَخْفى و هو ما لا يعلمه إلا هو مثل مفاتح الغيب التي عنده لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ فهو عالِمُ الْغَيْبِ و هو الخفي وَ الشَّهادَةِ و هو الجلي و ما أوجده من الممكنات و هو الجلي أيضا و ما لم يوجده منها و هو الخفي أيضا و لا يخلو العالم من ها تين النسبتين دنيا و لا آخرة فالمزيد الواقع من العالم في العالم فهو من الخفي و المزيد لا يزال فالعالم مزيد خارج من الخفاء إلى الجلاء لا يزال فالجلي من سؤال السائلين إنما يسمعه الحق من الاسم الظاهر و الخفي منه يسمعه من الاسم الباطن فإذا أعطاه ما سأل فالاسم الباطن يعطيه للظاهر و الظاهر يعطيه للسائل فالظاهر حاجب الباطن و الجلي حاجب الخفي كما إن الشعور حاجب العلم و اعلم أن الله عز و جل يعامل عباده بما يعاملونه به فكأنه تعالى بحكم التبعية لهم و إن كان ابتداء الأمر منه و لكن هكذا علمنا و قرر لدينا فإنا لا ننسب إليه إلا ما نسبه إلى نفسه و لا يتمكن لنا إلا ذلك فمن حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق قوله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله و قوله ص في الصحيح إن الله لا يمل حتى تملوا و قوله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و قوله سبحانه من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه

إلا يكون الحق في مثلها ‏ ‏ ‏ ‏ فلا يكون العبد في حالة

كذا أتانا الحكم في شكلها   و كلها منه و لكنه

فكل مخالف أمر الحق فإنه يستدعي بهذه المخالفة من الحق مخالفة غرضه و لذلك لا يكون العفو و التجاوز و المغفرة من الحق جزاء لمخالفة العبد في بعض العبيد و إنما يكون ذلك امتنانا من الله عليه فإن كان جزاء فهو جزاء لمن عفا عن عبد مثله و تجاوز و غفر لمن أساء إليه في دنياه فقام له الحق في تلك الصفة من العفو و الصفح و التجاوز و المغفرة مثلا بمثل يدا بيدها و ها ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ص ما كان الله لينهاكم عن الربا و يأخذه منكم فما نهى الله عباده عن شيء إلا كان منه أبعد و لا أمركم بكريم خلق إلا كان الحق به أحق و اعلم أن هذا المنزل هو منزل الميراث المعنوي و هو منزل الشريعة و كون الحياة شرطا في جميع وجود النسب المنسوبة إلى الله و هذه النسبة أوجبت له سبحانه أن يكون له اسمه الحي فجميع الأسماء الإلهية موقوفة عليه و مشروطة به حتى الاسم الله فالاسم الله هو المهيمن على جميع الأسماء التي من جملتها الحي و نسبة الاسم الحي لها المهيمنية على جميع النسب الأسمائية حتى نسبة الألوهة التي بها تسمى الله الله قال ص العلماء ورثة الأنبياء و ما ورثوا دينارا و لا درهما و إنما ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر و قال نحن معاشر الأنبياء لا نرث و لا نورث ما تركنا صدقة يعني الورث أي ما يورث من الميت من المال فلم يبق الميراث إلا في العلم و الحال و العبارة عما وجدوه من الله في كشفهم و أهل النظر في نظرهم و هؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله لعلمهم بأنه يعلم حركاتهم و سكناتهم على التعيين و التفصيل فإنه ﴿ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ و في جميع أحوالك فأبان ص إن الأنبياء لهم التقدم فإنهم لا يورثون حتى ينقلبوا إلى الله من هذه الدار فكل ما يناله المتبع لنبي خاص في حياته فإنه إنعام من ذلك النبي لا ميراث و كل ما ناله من نبي قد مات فذلك علم موروث فكل وارث علم في زمان فإنما يرث من تقدمه من الأنبياء ع لا من تأخر عنه فوراثة عالم كل أمة كانت لنبي قبل رسول الله ص فوراثة جزئية و هذه الأمة المحمدية لما كان نبيها محمد ص آخر الأنبياء و كانت أمته خير الأمم صح للوارث منهم أن يرثه و يرث جميع الأنبياء ع و لا يكون هذا أبدا في عالم أمة متقدمة قبل هذه الأمة فلهذا كانت أفضل ﴿أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لأنها زادت على الوارثين بأمر لم ينله إلا هذه الأمة فكل وارث نبي فعلمه من فيض نور من ورثه من الله و نظره سبحانه إلى أنبيائه أتم النظر فعلم الورثة أتم العلوم و كل علم لا يكون عن ورث فإنه ليس بعلم اختصاص كعلم أصحاب الفترات فإن علمهم ليس بعلم وراثة و إن كانوا علماء و لكنهم لم يكونوا متبعين لنبي لأنه لم يبعث إليهم و ليسوا بأنبياء فما كان لهم من الله نظرة الأنبياء فنزلوا عن درجة الورثة في العلم و علموا إن لله أنبياء و أما الذين لا يقرون بالأنبياء و لا بالنبوة على ما هي عليه في نفسها و يرون أن مسمى الأنبياء إنما هو لمن صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات الطبيعية و التزم مكارم الأخلاق العرفية و إنه إذا كان بهذه المثابة انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بعلم الغيوب و ليست النبوة عندنا و لا هي في نفسها كذلك و لا بد و قد تكون في بعض الأشخاص على ما قالوه و لكن مع جواز ما ذكروه من نقش ما في العالم من الصور بالقوة في نفس هذا الشخص مما وقع في الوجود و لا

يقع في جزئيات الأمور فإن الذي في حركات الأفلاك و سباحة الكواكب و في السموات من العلوم التي تكون من آثا رها لا علم لها بذلك من كوكب و سماء و فلك و ملك فيعرف هذا الشخص منها ما لا تعرف من نفسها و ما ذكر عن أحد من نبي و لا حكيم أنه أحاط علما بما يحوي عليه حاله في كل نفس نفس إلى حين موته بل يعلم بعضا و لا يعلم بعضا مع علمنا إن الله عز و جل أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها و أن الله قد أودع اللوح المحفوظ علمه في خلقه بما يكون منهم إلى يوم القيامة و لو سئل اللوح ما فيك أو ما خط القلم فيك من علم الله عز و جل ما علم فإن الله أودع ذلك كله في نظره لمن هو دونه و لا يعلم ما يكون عن ذلك النظر من الأثر إلا الله فإن الأثر ما يظهر عن النظر بل عن استعداد القابل و لهذا قال وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فانظر في لمحة البصر الواحد ما تدرك من المنظورات و هذا الأمر و إن كان واحدة فإنه بالوجود مختلف لاختلاف القوابل في الاستعداد فلا يعلم الأمور على التفصيل إلا الله وحده وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ من عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ و كل صاحب مجاهدة و خلوة و تصفية نفس على غير شريعة و لا مؤمن بها على ما هي عليه فبنفسها فإن العلم الذي يكون عليه و يجده عند هذا الاستعداد ليس بعلم ميراث و لا للحق إليه نظر نبوي بل غايته إن يتلقى من الأرواح الملكية بقدر ما هو عليه من المناسبة و من الله على قدر ما أعطاه نظره الفكري لأنه لا كشف له البتة من الله لأن ذلك من خصائص الأنبياء ع و متبعيهم لا من قال بهم و لم يتبع واحدا منهم على التعيين من أصحاب التعريف و لا عمل عملا في زمان الفترة لقول نبي و إن وافق بعمله عمل نبي لكنه غير مقصود له الاتباع فإن الإلقاء إليه دون الإلقاء إلى الوارث العامل على ذلك لقول ذلك النبي و بين العلمين بون عظيم و تمييز ذوقي مشهود جعلنا الله و إياكم من الوارثين و كل من أظهر اعتقاد النبوة و صرف ما جاءت به من الأحكام الظاهرة إلى معان نفسية لم تكن من قصد النبي بما ظهر عنه ما اعتقدته العامة من ذلك فإنه لا يحصل على طائل من العلم و من اعتقد فيما جاء به هذا النبي أنه في الظاهر و العموم على ما هو عليه حق كله و له زيادة مصرف آخر مع ثبوت هذه المعاني فجمع بين الحس و المعنى في نظره فذلك الوارث العالم الذي شاهد الحق على ما هو عليه و هذا لا يحصل إلا بالتعمل و ليس معنى التعمل أن يقول هذا الذي ليس له هذا الاعتقاد ثم يسمع به مني أو من غيري فيقول أنا أعتقده و أربط نفسي به فإن كان ما قاله حقا فإنا له و إن لم يكن فما يضرني فمثل هذا لا ينفعه و لا يفتح له فيه لأنه غير مصدق به على القطع بل هو صاحب تجربة و أين الايمان من الشك و التجربة فهذا أعمى البصيرة ناقص النظر فإنه لو صح منه النظر الفكري في الأدلة لعثر على وجه الدلالة فانقدح له المطلوب و أسفر له عن الأمر على ما هو عليه كما أسفر لغيره ممن وفى النظر حقه فإنه إذا وفى الناظر نظره حقه لزمه الايمان ملازمة الظل للشخص لأنهما مزدوجان فإنه يطلع بعين الدليل على رتبة هذا المسمى بالنبي و الشارع عند الله فمن المحال أن يشهده ذوقا و لا يتبعه حالا هذا ما لا يتصور و لقد آمنا بالله و برسوله و ما جاء به مجملا و مفصلا مما وصل إلينا من تفصيله و ما لم يصل إلينا أو لم يثبت عندنا فنحن مؤمنون بكل ما جاء به في نفس الأمر أخذت ذلك عن أبوي أخذ تقليد و لم يخطر لي ما حكم النظر العقلي فيه من جواز و إحالة و وجوب فعملت على إيماني بذلك حتى

علمت من أين آمنت و بما ذا آمنت و كشف الله عن بصري و بصيرتي و خيالي فرأيت بعين البصر ما لا يد رك إلا به و رأيت بعين الخيال ما لا يد رك إلا به و رأيت بعين البصيرة ما لا يد رك إلا بها فصا ر الأمر لي مشهودا و الحكم المتخيل المتوهم بالتقليد موجودا فعلمت قد ر من اتبعته و هو الرسول المبعوث إلى محمد ص و شاهدت جميع الأنبياء كلهم من آدم إلى محمد ع و أشهدني الله تعالى المؤمنين بهم كلهم حتى ما بقي منهم من أحد ممن كان و يكون إلى يوم القيامة خاصهم و عامهم و رأيت مراتب الجماعة كلها فعلمت أقدا رهم و اطلعت على جميع ما آمنت به مجملا مما هو في العالم العلوي و شهدت ذلك كله فما زحزحني علم ما رأيته و عاينته عن إيماني فلم أزل أقول و أعمل ما أقوله و أعمله لقول النبي ص لا لعلمي و لا لعيني و لا لشهودي فواخيت بين الايمان و العيان و هذا عزيز الوجود في الاتباع فإن مزلة الاقدام للأكابر إنما تكون هنا إذا وقعت المعاينة لما وقع به الايمان فتعمل على عين لا على إيمان فلم يجمع بينهما ففاته من الكمال أن يعرف قد ره و منزلته فهو و إن كان من أهل الكشف فما كشف الله له عن قد ره و منزلته فجهل نفسه فعمل على المشاهدة و الكامل من عمل على الايمان مع ذوق العيان و ما انتقل و لا أثر فيه العيان و ما رأيت لهذا المقام ذائقا بالحال و إن كنت اعلم أن له رجالا في العالم لكن ما جمع الله بيني و بينهم في رؤية أعيانهم و أشخاصهم و أسمائهم فقد يمكن أن أكون رأيت منهم و ما جمعت بين عينه و اسمه و كان سبب ذلك أني ما علقت نفسي قط إلى جانب الحق أن يطلعني على كون من الأكوان و لا حادثة من الحوادث و إنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه و لا يستعملني فيما يباعدني عنه و أن يخصني بمقام لا يكون لمتبع أعلى منه و لو أشركني فيه جميع من في العالم لم أتأثر لذلك فإني عبد محض لا أطلب التفوق على عباده بل جعل الله في نفسي من الفرح أني أتمني أن يكون العالم كله على قدم واحدة في أعلى المراتب فخصني الله بخاتمة أمر لم يخطر لي ببال فشكرت الله تعالى بالعجز عن شكره مع توفيتي في الشكر حقه و ما ذكرت ما ذكرته من حالي للفخر لا و الله و إنما ذكرته لأمرين الأمر الواحد لقوله تعالى وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و أية نعمة أعظم من هذه و الأمر الآخر ليسمع صاحب همة فتحدث فيه همة لاستعمال نفسه فيما استعملها فينال مثل هذا فيكون معي و في درجتي فإنهلا ضيق و لا حرج إلا في المحسوس و الألوهية خاصة و لهذا لا يتعلق حكم الغيرة إلا بهذين المقامين فأما المحسوس فلحصره فإنه إذا كان عندك لم يكن عين ما هو عندك عند غيرك و أما في الألوهية فإن المدعي فيها كاذب و من هي له صادق فمتعلق الغيرة كون من ليست فيه الألوهية و يدعيها كاذبا فالغيرة على المقام فإنها لا تكون إلا لواحد ليس لغيره فيها قدم و الغيرة مشتقة من الغير فهذا قد أبنت لك عن سواء السبيل و اعلم أن أطيب ما يورث من العلم ما يرثه العالم من الأسماء الإلهية فإن قلت و كيف تورث الأسماء الإلهية و لا يكون الورث إلا بعد موت قلنا و كذلك أقول فاعلم أني أريد بهذا النوع من العلم كون الحق سبحانه قادرا على إن يفعل ابتداء ما لا يفعله و لا وقع إلا منك كما قد بينا إنك آلة له تعالى فلما كان منك و لا بد ما يمكن أن يكون له دونك و من المحال أن يكون لما هو منك كونان فإن الكائن لا يقبل كونين بل هو وجود واحد فينزل هذا القدر من الكون الظاهر منك مما كان له منزلة المال

الموروث ممن كان له إذ يستحيل أن يكون له مع موته كما استحال أن يكون هذا الكائن عن غير من كان عنه فتحقق هذه النكتة فإنها عجيبة في أصحاب الأذواق لا في أحكام العقل و اعلم أنه لما لم يتمكن أن يتقدم الاسم الحي الإلهي اسم من الأسماء الإلهية كانت له رتبة السبق فهو المنعوت على الحقيقة بالأول فكل حي في العالم و ما في العالم إلا حي فهو فرع عن هذا الأصل و كما لا يشبه الفرع الأصل بما يحمله من الثمر و ما يظهر منه من تصريف الأهواء له على اختلافها عليه و ما يقبل من حال التعرية و اللباس إذا أورق و تجرد عن ورقه و الأصل ليس كذلك بل هو الممد له بكل ما يظهر فيه و به إذ ليس له بقاء في فرعيته و أحكامها إلا بالأصل كذلك الاسم الحي مع سائر الأسماء الإلهية فكل اسم هو له إذا حققت الأمر فيسري سره في جميع العالم فخرج على صورته فيما نسب إليه من التسبيح بحمده و التسبيح تنزيه و التنزيه تعرية و كذلك الأصل معرى عن ملابس الفروع و زينتها من ورق و ثمر و كل ذلك منه و هو منزه في ذاته عن أن تقوم به فقد أعطى ما لا يقوم به و لا يكون صفة له و هذا علم لا يمكن أن يحصل إلا لصاحب كشف و إذا حصل له لا يمكن أن يقسم العالم إلى حي و إلى غير حي بل هو عنده كله حي و لكن تنسب عندنا الحياة لكل حي بحسب حقيقة المنعوت بها المسمى عند أهل الكشف و الشهود لا عند من لا يرى الحياة إلا في غير الجماد و النامي في نظره ليس كلامنا إلا مع أهل الكشف الذين أشهدهم الله الأمر على ما هو عليه في نفسه فاعلم ذلك و اعلم أنه لما كان الاسم الحي اسما ذاتيا للحق سبحانه لم يتمكن أن يصدر عنه إلا حي فالعالم كله حي إذ عدم الحياة أو وجود موجود من العالم غير حي لم يكن له مستند إلهي في وجوده البتة و لا بد لكل حادث من مستند فالجماد في نظرك هو حي في نفس الأمر و أما الموت فهو مفارقة حي مدبر لحي مدبر فالمدبر و المدبر حي و المفارقة نسبة عدمية لا وجودية إنما هو عزل عن ولاية ثم إنه ما من شرط الحي أن يحس فإن الإحساس و الحواس أمر معقول زائد على كونه حيا و إنما من شرطه العلم و قد يحس و قد لا يحس و لو أحس فليس من شرط الإحساس وجود الآلام و اللذات فإن العلم يغني عن ذلك مع كون العالم لا يحس بما جرت العادة أنه لا يدركه إلا بالحس و أنت تعلم و جميع العقلاء أن الله عالم بكل شيء مع تنزيهه عن الإحساس و الحواس فلحصول العلم طرق كثيرة عند من يستفيد علما و الحس طريق موصلة إلى العلم بالمحسوس فقد يوصل إلى العلم به من غير طريق الحس فيكون معلوما في الحالتين لكنه لا يكون محسوسا لمن علمه من غير طريق الحس لكنه هو له مشهود و معلوم كما لا نشك أنا نرى ربنا بالأبصار عيانا على ما يليق بجلاله و هو مرئي لنا و لا نقول فيه إنه محسوس لما يطلبه الحس من الحصر و التقييد فهذه رؤية غير مكيفة و كلامنا في هذا مع من يقول بالرؤية بالبصر و لا نقول بالكيف و لا الحصر و التقييد بل نراه منزها كما علمناه منزها و قد قدمنا في غير موضع من هذا الكتاب تصويب كل اعتقاد و صحة كل مقالة عقلية في الله و أما المقالات الشرعية المنزلة من الله فيه فالإيمان بها واجب و ما جاءت لتخالف العقل فإنها قد جاءت بموافقة العقل في لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ و قد جاءت بما لا يقبله دليل العقل من حيث نظره فزاد علما به لم يكن ليستقل به قبله بإيمانه إن كان عن خبر أو بذوقه إن كان عن شهود و سلمنا له ما وصف به نفسه من كل ما لا يستقل

به العقل من حيث انفراده بذلك في نظره لكوننا لا نحيط علما بذاته لا بل لا نعلمها رأسا و لما كانت الأعيان في الوجود لها اتصال بعضها ببعض و لها انفصال بعضها عن بعض جعلالله ذلك علامة لمن لا كشف له على إن للعالم بالله اتصالا معنويا من وجه و فصلا من وجه فهو من حقيقة ذاته و ألوهته و فاعليته متصل منفصل من وجه واحد ذلك الوجه عينه لأنه لا يتكثر و إن كثرت أحكامه و أسماؤه و معقولات أسمائه فاتصاله خلقه إيانا بيديه ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ و انفصاله انفصال ألوهة من عبودة لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ باتصاله و لكن لا يكون التكوين من العالم إلا باتصاله لا بانفصاله و العالم يكون ما كلفه الله به من العبادات و لهذا أضاف أعمالها إلى العبد و أمره أن يطلب الإعانة من الله في ذلك كما أنه آلة للحق في بعض الأفعال و الآلات معينة للصانع فيما لا يصنع إلا بآلة و العالم منفصل عن الحق بحده و حقيقته فهو منفصل متصل من عين واحدة فإنه لا يتكثر في عينه و إن تكثرت أحكامه فإنها نسب و إضافات عدمية معلومة فخرج على صورة حق فما صدر عن الواحد إلا واحد و هو عين الممكن و ما صدرت الكثرة أعني أحكامه إلا من الكثرة و هي الأحكام المنسوبة إلى الحق المعبر عنها بالأسماء و الصفات فمن نظر العالم من حيث عينه قال بأحديته و من نظره من حيث أحكامه و نسبه قال بالكثرة في عين واحدة و كذلك نظره في الحق فهو الواحد الكثير كما أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و أين التنزيه من التشبيه و الآية واحدة و هي كلامه عن نفسه على جهة التعريف لنا بما هو عليه في ذاته ففصل بليس و أثبت بهو و أما نداؤه تعالى للعالم و نداء العالم إياه فمن حيث الانفصال فهو ينادي يا أَيُّهَا النَّاسُ و نحن ننادي يا ربنا ففصل نفسه عنا كما فصلنا أيضا أنفسنا عنه فتميزنا و أين هذا المقام من مقام الاتصال إذا أحبنا و كان سمعنا و بصرنا و جميع قوانا و جعل ذلك حين أخبرنا اتصال محب بمحبوب فنسب الحب إليه و نحن المحبوبون و لا خفاء بالفرق بين أحكام المحب و منزلته و بين أحكام المحبوب و منزلته فارتفعنا به و نزل سبحانه بنا و ذلك حتى لا يكون الوجود على السواء فإنه محال التسوية فيه فلا بد من نزول و رفعة فيه و ما ثم إلا نحن و هو فإذا كان حكم واحد النزول كان حكم الآخر الرفعة و العلو و كل محب نازل و كل محبوب عال و ما منا إلا محب و محبوب فما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و ما منا إلا نازل علي فهذه أحكام مختلفة في عين واحدة

فيا أيها المؤمنون اتقوا ◻ و يا ربنا ما الذي نتقي
فنادى فناديت مستفهما ◻ فلم أدر من راح أو من بقي
و قسم حكمي على حكمه ◻ فأما سعيد و إما شقي
فيرضى و يغضب في حكمه ◻ و يشقى و يسعد إذا نتقي
فأين الإكاليل من رجله ◻ و أين النعال من المفرق

ليلقى العبيد الذي قد لقي فيظهر في ذا و ذا مثله

فقد علم العبد ما يتقى إذا كان ما قلته كائنا

و اعلم أيدك الله أن في هذا المنزل من العلوم علم الحجب المتصلة بالمحجوب فإن القرب المفرط حجاب مثل البعد المفرط و فيه علم مجالسة العبد ربه إذا ذكره و انقسام أهل الذكر فيه إلى من يعلم أنه جليس الحق في حين ذكره الحق و إلى من لا يعلم ذلك و سبب جهله بمجالسته ربه كونه لا يعلم ربه فلا يميزه أو كونه لا يعلم أن ربه ذكره لصمم قام به و غشاوة على بصره فإن الذاكر الصحيح يعلم متى يذكره ربه و إن لم يعلم شهودا مجالسة ربه و غيره يعلم ذلك و يشهد جليسه فكما هو الحق جليس من ذكره كذلك العبد جليس الحق إذا ذكره ربه و لا يجالسه إلا عبد في الحالتين و لو جالسة به فعبوديته لم تزل فإن عينه لم تزل لأن غاية القرب أن يكون الحق سمعه و بصره فقد أثبت عينه و ليس عينه سوى عبودته و فيه علم ما الفرق بين مجالسة الحق تعالى في الخلوة و الجلوة هل الصورة في ذلك واحدة أم تتنوع بتنوع المجالس و فيه علم ما يتحدث به جليس الحق مع الحق و في أي صورة يكون ذلك فإن المشاهدة للبهت فهل كل مشاهدة للبهت أو لا يكون البهت إلا في بعض المشاهدات و لا بد من العلم بأن المتجلي هو الله تعالى و فيه علم كل من دعا الله كائنا من كان إنه لا يشقى و لا أحاشي أحدا و إن شقي الداعي لعارض فالمآل إلى السعادة الأبدية و فيه علم من خاف غير الله بالله ما حكمه عند اللهو هو مقام عزيز لكونه خاف بالله و من هذه حالته لا يرى غير الله فكيف يخاف غير الله يقول الله تعالى فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و فيه علم من طلب الأمان من الله بالغير هل هو مصيب صاحب علم أو مخطئ صاحب جهل و هل يخاف الله لعينه أو يخاف لما يكون منه فمتعلق الخوف إن كان لما يكون منه فمتعلقه ما يكون منه و هو ما يقوم بك و فيه علم أثر العادات في الأكابر أهل الشهود لما ذا يرجع مع علمهم بأنه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فما مشهودهم هل مشهودهم فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و هم جاهلون بما في إرادة الحق بهم فتؤثر العادات فيهم بوساطة حالهم في هذا المقام الذي تعطيه الإرادة الإلهية و فيه علم هل الأمور كلها بالنسبة إلى الله على السواء أو ليست على السواء فإن لم تكن على السواء فما السبب الذي أخرجها أن تكون على السواء قال تعالى وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ و قوله وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو قوله لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ابتداء و إعادتهم أهون من ابتدائهم و ابتداؤهم أهون من خلق السموات و الأرض فخلق السموات و الأرض أكبر قدرا من خلق الناس فإن الناس لهما عليهم حق ولادة فالناس منفعلون عنهما فإن الجرمية غير معتبرة هنا فإنه قال وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و ما من أحد إلا و هو يعلم حسا أن خلق السموات و الأرض أكبر في الجرم من خلق الناس و ما ثم إلا انفعال الجسم الطبيعي عنهما لا غير و فيه علم ابتداء كل عين في كونها فليس لها مثال سبق و فيه علم الفرد الأول الذي هو أول الأفراد و فيه علم ما يسمى كلاما فإن ذلك مسألة خلاف طال فيها الكلام بين أهل النظر و قول الله لزكريا ع إن جعل الله له آية على وجود يحيى ع أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ

أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً فاستثني و ما استثنى إلا الكلام و الأثر موجود من الإشارة و الرمز كما هو موجود من نظم الحروف في النطق و فيه علم النيابة عن الله و نيابة الحق عن العبد و من أثم فإنه أمر أن يتخذ وكيلا و جعل بعضنا خلفاء في الأرض و أخبر أنا ننطق بكلامه و هو القائل منا إذا قلنا بعض أقوالنا و فيه علم المناسبة التي تشمل العالم كله و إنه جنس واحد فتصح المفاضلة فيما تحته من الأنواع و الأشخاص فإن الإمام أبا القاسم بن قسي صاحب خلع النعلين منع من ذلك فاعتبر خلاف ما اعتبرناه فهو مصيب فيما اعتبره مخطئ باعتبارنا إذ ما ثم إلا حق و أحق و كامل و أكمل فالمفاضلة سارية في أنواع الجنس للمفاضلة التي في الأسماء بالإحاطة و ما يزيد به هذا الاسم على غيره كالعالم و القادر و كالقادر و القاهر و فيه علم التأثيرات في العالم و فيه علم ما حكم من رأى لنفسه قدرا و هل إذا أتى بما يدل عليه و هو كامل هل إتيانه بذلك شفقة على الغير أو تعظيما لنفسه و هل يؤثر مثل ذلك في الرضاء أم لا يؤثر فيه و من أعلى من يحتج عن نفسه و يذب عنها أو من لا يحتج عنها بل يكون مع الناس عليها و متى يصلح أن يكون للإنسان هذا الحكم و متى يصلح أن لا يكون له هذا الحكم و قوله وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . . . فَاصْبِرْ و لم يقل تعالى فارض بحكم ربك و فيه علم سعى الإنسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته فهو من باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه لأمور تطرأ إن لم يكن عدلا لا يقبل الحاكم شهادته فربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا كما قال أنا سيد الناس يوم القيامة و ما قصد الفخر و إنما قصد الإعلام و إراحة أمته من التعب حتى لا تمشي في ذلك اليوم كما تمشي الأمم إلى نبي بعد نبي للشفاعة فتقتصر على محمد ص بما أعلمها من ذلك و أن الرجوع إليه في آخر الأمر

رأى الأمر يفضي إلى آخر فصير آخره أولا

فتميزت الأمة المحمدية عن سائر الأمم في ذلك الموطن بهذا القدر إلى غير هذا و فيه علم موطن بيان الأمور لجميع الخلق و ارتفاع التلبيس و رجوع الناس و غيرهم إلى الحق و هل ذلك نافعهم أم لا و فيه علم ما لا يصح إلا لله الاتصاف به و فيه علم ما يجب لله و ما يستحيل و فيه علم حكم من يبتغي نصرة من خذله الله تعالى عند الله تعالى و فيه علم من يريد شرفا بتشريف من ينسب إليه و فيه علم الفرق بين المهدي و الهادي و فيه علم النبوة العامة و النبوة الخاصة و ما يبقى منها و ما يزول و فيه علم هل يكون للولي الذي ليس بنبي مقام في الولاية لا يكون ذوقا لنبي أم لا و فيه علم ما هي النعم الظاهرة و الباطنة و من يتنعم بكل نعمة منهما من الإنسان و فيه علم علامات المقربين عند الله و بما ذا يعرفون و فيه علمهل يلحق اللاحق بالسابق و أي المنزلتين أفضل و فيه علم من يرى أن أحوال الآخرة على ميزان أحوال الدنيا سواء في جميع الأمور و فيه علم ما ينبغي أن يكون عليه صاحب جنة الأعمال و ما يكون عليه صاحب جنة الورث و ما يكون عليه صاحب جنة الاختصاص و فيه علم سبب اختصاص عالم الأمر بالأمر و عالم الإنسان بالنهي و الأمر و فيه علم ما نفى الله من أسمائه أن يشرك فيه فلم يشرك و فيه علم ما لا يدرك إلا بالحوالة و فيه علم الجزاء و

محله أيضا و فيه علم صفة الطريق إلى الجنة و من يسلك و فيه علم من أرخى الله له في طوله في الدنيا هل يرخي له في الآخرة كذلك جزاء و فيه علم اختلاف أحوال الخلق في الاستدعاء إلى الله تعالى يوم القيامة للفصل و القضاء و فيه علم ما هو أعظم الأهوال عند الله و لم يأت به إلا الإنسان خاصة و ما أجرأه على ذلك و قد خلقه الله ضعيفا فقيرا إلى كل شيء و فيه انقلاب الولي عدوا لمن كان له وليا و انقلاب العدو وليا لمن كان له عدوا و فيه علم العلم الضروري و النظري و البديهي وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل وزراء المهدي الظاهر في آخر الزمان الذي بشر به رسول الله ص و هو من أهل البيت»

إن الإمام إلى الوزير فقير ... و عليهما فلك الوجود يدور

و الملك إن لم تستقم أحواله ... بوجود هذين فسوف يبور

إلا الإله الحق فهو منزه ... ما عنده فيما يريد وزير

جل الإله الحق في ملكوته ... عن إن يراه الخلق و هو فقير

اعلم أيدنا الله أن لله خليفة يخرج و قد امتلأت الأرض جورا و ظلما فيملؤها قسطا و عدلا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ص من ولد فاطمة يواطئ اسمه اسم رسول الله ص جده الحسين بن علي بن أبي طالب يبايع بين الركن و المقام يشبه رسول الله ص في خلقه بفتح الخاء و ينزل عنه في الخلق بضم الخاء لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله ص في أخلاقه و الله يقول فيه وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ هو أجلي الجبهة أقنى الأنف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية و يعدل في الرعية و يفصل في القضية يأتيه الرجل فيقول له يا مهدي أعطني و بين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي جاهلا بخيلا جبانا و يصبح أعلم الناس أكرم الناس أشجع الناس يصلحه الله في ليلة يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله ص لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل و يقوي الضعيف في الحق و يقري الضيف و يعين على نوائب الحق بفعل ما يقول و يقول ما يعلم و يعلم ما يشهد يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفا من المسلمين من ولد إسحاق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم و أهله يقيم الدين ينفخ الروح في الإسلام يعز الإسلام به بعد ذله و يحيا بعد موته يضع الجزية و يدعو إلى الله بالسيف فمن أبي قتل و من نازعه خذل يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله ص لحكم به يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه و سطوته و رغبة فيما لديه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود و كشف بتعريف إلهي له رجال إلهيون يقيمون دعوته و

ينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة و يعينونه على ما قلده الله ينزل عليه عيسى ابن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين متكئا على ملكين ملك عن يمينه و ملك عن يساره يقطر رأسه ماء مثل الجمان يتحدر كأنما خرج من ديماس و الناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مقامه فيتقدم فيصلي بالناس يؤم الناس بسنة محمد ص يكسر الصليب و يقتل الخنزير و يقبض الله المهدي إليه طاهرا مطهرا و في زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق و يخسف بجيشه في البيداء بين المدينة و مكة حتى لا يبقى من الجيش إلا رجل واحد من جهينة يستبيح هذا الجيش مدينة الرسول ص ثلاثة أيام ثم يرحل يطلب مكة فيخسف الله به في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته القرآن حاكم و السيف مبيد و لذلك ورد في الخبر أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

إلا إن ختم الأولياء شهيد و عين إمام العالمين فقيد

هو السيد المهدي من آل أحمد هو الصارم الهندي حين يبيد

هو الشمس يجلو كل غم و ظلمة هو الوابل الوسمي حين يجود

و قد جاءكم زمانه و أظلكم أوانه و ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله ص و هو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات و حدثت أمور و انتشرت أهواء و سفكت دماء و عاثت الذئاب في البلاد و كثر الفساد إلى أن طم الجور و طمى سيله و أدبر نهار العدل بالظلم حين أقبل ليله فشهداؤه خير الشهداء و أمناؤه أفضل الأمناء و إن الله يستوزر له طائفة خبأهم له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا و شهودا على الحقائق و ما هو أمر الله عليه في عباده فبمشاورتهم يفصل ما يفصل و هم العارفون الذين عرفوا ما ثم و أما هو في نفسه فصاحب سيف حق و سياسة مدنية يعرف من الله قدر ما تحتاج إليه مرتبته و منزله لأنه خليفة مسدد يفهم منطق الحيوان يسرى عدله في الإنس و الجان من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له قوله تعالى وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ و هم على أقدام رجال من الصحابة صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ و هم من الأعاجم ما فيهم عربي لكن لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ ليس من جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء و أفضل الأمناء فأعطاهم الله في هذه الآية التي اتخذوها هجيرا و في ليلهم سميرا أفضل علم الصدق حالا و ذوقا فعلموا إن الصدق سيف الله في الأرض ما قام بأحد و لا اتصف به إلا نصره الله لأن الصدق نعته و الصادق اسمه فنظروا بأعين سليمة من الرمد و سلكوا بأقدام ثابتة في سبيل الرشد فلم يروا الحق قيد مؤمنا من مؤمن بل أوجب على نفسه نصر المؤمنين و لم يقل بمن بل أرسلها مطلقة و جلاها محققة فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا و قال وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً و قال وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ فسماهم مؤمنين و قال وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فسمى المشرك مؤمنا فهؤلاء هم المؤمنون الذين أيه الله بهم في قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ

فميزهم عن المؤمنين من أهل الكتاب و الكتب و ما ثم مخبر جاء بخبر إلا الرسل فتعين إن المؤمنين الذين أمروا بالإيمان أنهم الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ و آمنوا بالشريك عن شبه صرفتهم عن الدليل لأن الذين آمنوا بالباطل كفروا بالله و الذين آمنوا بالشريك اشمأزت قلوبهم إِذا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ فما أتاهم بهذا الخبر إلا أئمتهم المضلون الذين سبقوهم و كان ذلك في زعمهم عن برهان أعني الأئمة لا عن قصور بل وفوا النظر حقه فما أعطاهم استعدادهم الذي آتاهم الله و ما كلف اللهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها و ما آتاها غير ما جاءت به فآمن بذلك أتباعهم و صدقوا في إيمانهم و ما قصدوا إلا طريق النجاة ما قصدوا ما يرديهم و لما رأوا أن الله يفعل ابتداء و يفعل بالآلة جعلوا الشريك كالوزير معينا على ظهور بعض الأفعال الحاصلة في الوجود فلما ذكر الله وحده رأوا أن هذا الذاكر لم يوف الأمر حقه لما علموا من توقف بعض الأفعال على وجود بعض الخلق و ما كان مشهودهم إلا الأفعال الإلهية الحاصلة في الوجود عن الأسباب المخلوقة فلم يقبلوا توحيد الأفعال لأنهم ما شاهدوه و لو قبلوه أبطلوا حكمة الله فيما وضع من الأسباب علوا و سفلا فهذا الذي أداهم إلى الاشمئزاز و عدم الإنصاف فذمهم الله إيثار الجناب المؤمنين الذين لم يروا فاعلا إلا الله و أن القدرة الحادثة و الأمور الموقوفة على الأسباب لا أثر لها في الفعل فهذه الطائفة وحدها هي التي خص الله بهذا الخطاب و أما الذين كفروا بالله فهم الذين ستروه بحجاب الشرك و آمنوا بالباطل و الباطل عدم و ما رأوا من ينتفي عنه التشبيه و الشرك إلا العدم فإن الوجود صفة مشتركة فإيمانهم بالباطل إيمان تنزيه و كفرهم أي سترهم نسبة الوجود إلى الله لما وقع في ذلك من الاشتراك و لذلك قال تعالى أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ لأنهم خسروا في تجارتهم وجود ربح إظهار تمام الأمر على ما هو عليه ف اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى أي الحيرة بالبيان فأخذوا الحيرة و علموا إن الأمر عظيم و أن البيان تقيد و هو لا يتقيد فآثروا الحيرة على البيان و أما أصحاب العقل السليم و النظر الصحيح و الايمان العام فهم الذين أثبتوا الحيرة في مقامها و موطنها فقال ص زدني فيك تحيرا و أثبتوا البيان في مقامه الذي لا يتمكن معرفة ذلك الأمر إلا بالبيان و لا يقبل الحيرة فأعطوا كل ذي حق حقه و وضعوا الحكمة في موضعها فالكل مؤمنون فإن الله سماهم مؤمنين كما سماهم كافرين و مشركين و جعلهم على مراتب في إيمانهم و لهذا قال لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ فيما آمنوا به كما زادهم مرضا و رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ فيما كفروا به فمنهم الصادق و الأصدق فينصر الله المؤمن الذي لم يدخله خلل في إيمانه على من دخله خلل في إيمانه فإن الله يخذله على قدر ما دخله من الخلل أي مؤمن كان من المؤمنين فالمؤمن الكامل الايمان منصور أبدا و لهذا ما انهزم نبي قط و لا ولي ألا ترى يوم حنين لما ادعت الصحابة رضي الله عنهم توحيد الله ثم رأوا كثرتهم فأعجبتهم كثرتهم فنسوا الله عند ذلك فلم تغن عنهم كثرتهم شيئا كما لم تغن أولئك آلهتهم من الله شيئا مع كون الصحابة مؤمنين بلا شك و لكن دخلهم الخلل باعتمادهم على الكثرة و نسوا قول الله كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ فما أذن الله هنا إلا للغلبة فأوجدها فغلبتهم الفئة القليلة بها عن إذن الله

فما ثم إلا الله ليس سواه و كل بصير بالوجود يراه

و أما تأثير الصدق فمشهود في أشخاص ما لهم تلك المكانة من أسباب السعادة التي جاءت بها الشرائع و لكن لهم القدم الراسخ في الصدق فيقتلون بالهمة و هي الصدق قيل لأبي يزيد أرنا اسم الله الأعظم فقال لهم أرونا الأصغر حتى أريكم الأعظم أسماء الله كلها عظيمة فما هو إلا الصدق اصدق و خذ أي اسم شئت فإنك تفعل به ما شئت و به أحيا أبو يزيد النملة و أحيا ذو النون ابن المرأة التي ابتلعه التمساح فإن فهمت فقد فتحت لك بابا من أبواب سعادتك إن عملت عليه أسعدك الله حيث كنت و لن تخطئ أبدا و من هنا تكون في راحة مع الله إذا كانت الغلبة للكافرين على المسلمين فتعلم إن إيمانهم تزلزل و دخله الخلل و أن الكافرين فيما آمنوا به من الباطل و المشركين لم يتخلخل إيمانهم و لا تزلزلوا فيه فالنصر أخو الصدق حيث كان يتبعه و لو كان خلاف هذا ما انهزم المسلمون قط كما أنه لم ينهزم نبي قط و أنت تشاهد غلبة الكفار و نصرتهم في وقت و غلبة المسلمين و نصرتهم في وقت و الصادق من الفريقين لا ينهزم جملة واحدة بل لا يزال ثابتا حتى يقتل أو ينصرف من غير هزيمة و على هذه القدم وزراء المهدي و هذا هو الذي يقررونه في نفوس أصحاب المهدي ألا تراهم بالتكبير يفتحون مدينة الروم فيكبرون التكبيرة الأولى فيسقط ثلث سورها و يكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور و يكبرون الثالثة فيسقط الثلث الثالث فيفتحونها من غير سيف فهذا عين الصدق الذي ذكرنا و هم جماعة أعني وزراء المهدي دون العشرة و إذا علم الإمام المهدي هذا عمل به فيكون أصدق أهل زمانه فوزراؤه الهداة و هو المهدي فهذا القدر يحصل للمهدي من العلم بالله على أيدي وزرائه و أما ختم الولاية المحمدية فهو أعلم الخلق بالله لا يكون في زمانه و لا بعد زمانه أعلم بالله و بمواقع الحكم منه فهو و القرآن إخوان كما إن المهدي و السيف إخوان و إنما شك رسول الله ص في مدة إقامته خليفة من خمس إلى تسع للشك الذي وقع في وزرائه لأنه لكل وزير معه سنة فإن كانوا خمسة عاش خمسة و إن كانوا سبعة عاش سبعة و إن كانوا تسعة عاش تسعة فإنه لكل عام أحوال مخصوصة و علم ما يصلح في ذلك العام خص به وزير من وزرائه فما هم أقل من خمسة و لا أكثر من تسعة و يقتلون كلهم إلا واحدا منهم في مرج عكا في المائدة الإلهية التي جعلها الله مائدة لسباع الطير و الهوام و ذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل يكون ممن استثنى الله في قوله تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ الله أو يموت في تلك النفخة و أما الخضر الذي يقتله الدجال في زعمه لا في نفس الأمر و هو فتى ممتلئ شبابا هكذا يظهر له في عينه و قد قيل إن الشاب الذي يقتله الدجال في زعمه أنه واحد من أصحاب الكهف و ليس ذلك بصحيح عندنا من طريق الكشف و ظهور المهدي من أشراط قرب الساعة و يكون فتح مدينة الروم و هي القسطنطينية العظمى و الملحمة الكبرى التي هي المأدبة بمرج عكا و خروج الدجال في ستة أشهر و يكون بين فتح القسطنطينية و خروج الدجال ثمانية عشر يوما و يكون خروجه من خراسان من أرض المشرق موضع الفتن تتبعه الأتراك و اليهود يخرج إليه من أصبهان وحدها سبعون ألفا مطيلسين في أتباعه كلهم من اليهود و هو رجل كهل أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فاء راء فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من الأفعال أو أراد به كفر من

الأسماء إلا أنه حذف الألف كما حذفتها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم و النون و كان ص يستعيذ و أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال و من الفتن فإن الفتن تعرض على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء نعوذ بالله من الفتن حدثنا المكي أبو شجاع ابن رستم الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بالحرم المكي في آخرين كلهم قالوا حدثنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي قال أخبرنا مشايخي الثلاثة القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي و أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي و أبو بكر محمد بن أبي حاتم العورجي التاجر قال أخبرنا محمد بن عبد الجبار الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي قال حدثنا علي بن حجر أنا الوليد بن مسلم و عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن يحيى بن خالد الطائي عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر دخل حديث أحدهما في حديث الآخر عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن يحيى بن خالد الطائي عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان الكلابي قال ذكر رسول الله ص الدجال ذات غداة فخفض فيه و رفع حتى ظنناه في طائفة النخل قال فانصرفنا من عند رسول الله ص ثم رحنا إليه فعرف ذلك فينا فقال ما شأنكم فقلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه و رفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوف لي عليكم إن يخرج و أنا فيكم فإنا حجيجه دونكم و أن يخرج و لست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه و الله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية شبيه بعبد العزى بن قطن فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف قال يخرج ما بين الشام و العراق فعاث يمينا و شمالا يا عباد الله اثبتوا اثبتوا قلنا يا رسول الله و ما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة و سائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله أ رأيت اليوم الذي كالسنة أ يكفينا فيه صلاة يوم قال لا و لكن أقدروا له قلنا يا رسول الله فما سرعته في الأرض قال كالغيث إذا استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه و يردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم فيصبحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له و يصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر و يأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت درا و أمده خواصر و أدره ضروعا قال ثم يأتي الخربة فيقول لها أخرجي كنوزك و ينصرف عنها فتتبعه كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى بن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعا يديه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر و إذا رفعه انحدر منه جمان كاللؤلؤ قال و لا يجد ريح نفسه يعني أحد إلا مات و ريح نفسه منتهى بصره قال فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله قال و يلبث كذلك ما شاء الله قال ثم يوحي الله إليه أن أحرز عبادي إلى الطور فإني قد أنزلت عبادا لي لا يد لأحد بقتالهم قال و يبعث الله يأجوج و مأجوج و هم كما قال الله تعالى من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال فيمر أولهم ببحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمر بها آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء

ثم يسيرون إلى أن ينتهوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما و يحاصر عيسى بن مريم و أصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لهم من مائة دينا ر لأحدكم اليوم قال فيرغب عيسى بن مريم إلى الله و أصحابه قال فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي موتى كموت نفس واحدة قال و يهبط عيسى بن مريم و أصحابه فلا يجد موضع شبر إلا و قد ملأته زهمتهم و نتنهم و دماؤهم قال فيرغب عيسى إلى اللهو أصحابه قال فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم بالمهبل و يستوقد المسلمون من قسيهم و نشابهم و جعابهم سبع سنين و يرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت و لا وبر و لا مدر قال فيغسل الأرض و يتركها كالزلفة قال ثم يقال للأرض أخرجي ثمرتك و ردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمانة و يستظلون بقحفها و يبارك الله في الرسل حتى إن الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل و إن القبيلة ليكتفون باللقحة من البقر و إن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا فقبضت روح كل مؤمن و يبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة قال أبو عيسى هذا حديث غريب حسن صحيح ثم نرجع إلى ما بنينا عليه الباب من العلم بوزراء المهدي و مراتبهم فاعلم أني على الشك من مدة إقامة هذا المهدي إماما في هذه الدنيا فأني ما طلبت من الله تحقيق ذلك و لا تعيينه و لا تعيين حادث من حوادث الأكوان إلا أن يعلمني الله به ابتداء لا عن طلب فإني أخاف أن يفوتني من معرفتي به تعالى حظ في الزمان الذي أطلب فيه منه تعالى معرفة كون و حادث بل سلمت أمري إلى الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء فإني رأيت جماعة من أهل الله تعالى يطلبون الوقوف على علم الحوادث الكونية منه تعالى و لا سيما معرفة إمام الوقت فأنفت من ذلك و خفت أن يسرقني الطبع بمعاشرتهم و هم على هذه الحال و ما أردت منه تعالى إلا أن يرزقني الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به و إن تقلبت في الأحوال فلا أبالي و لما رأيته قد قدمني و أخرني و رأيت اختلاف عيني لاختلاف الحال فلم أر عينا واحدة تثبت فما استقر لي أمر أثبت عليه كما كنت عليه في حال عدمي و رأيت أن حكم الوجود و مقام الشهود حكم على عيني بذلك طلبت الإقالة من وجودي فخاطبته نظما و حكما

و من حكم التحقق بالشهود لك العتبى أقلني من وجودي
و قد أمسيت أطلب بالسجود لقد أصبحت قبلة كل شيء
أنا عين المسود و المسود عجبت لحالتي إذ قال كوني
و إما أن أميز في العبيد فأما إن تميزني إماما
خفايا الغيب في عين الوجود لقد لعبت بنا أيدي الخفايا

فلما سألت ذلك أبان لي عن جهلي و قال لي أ ما ترضى أن تكون مثلي ثم أقام لي اختلاف تجليه في الصور و ما يد ركه من ذاته البصر فقلت ما علي من اختلاف الأحوال على عين ثابتة لا تقبل التقييد فإني ما أنكرت اختلاف الأحوال فإن الحقائق تعطي ذلك و إنما أقلقني اختلاف العين من وجودي لاختلاف الأحوال فإني أعلم مع كونك كل يوم في شأن إنك العين الثابتة في الغني عن العالمين فإني علمت

نعت المهيمن بالخبر إن التحول في الصور

فيما تلاه من السور و بذاك أنزل وحيه

بمطول و بمختصر و لقد رأيت مثاله

أردت بالمطول العالم كله و بالمختصر الإنسان الكامل لما رأيت أن التقلب في كل ذلك لازم ففي العالم تقلب الليل و النهار و في الإنسان الكامل الذي ساد العالم في الكمال و هو محمد ص سيد الناس يوم القيامة و هو الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ و لما جرى بنا القلم في حلبة العبارة الرقية لأن التعريف قد يقع لفظا و كتابة و قد يقع في العموم عند الخواص بالنظر و قد وجدته و قد يقع بالضرب و قد وجده رسول اللّٰه ص و بأمور كثيرة غير ما ذكرنا و كل ذلك خطاب و تعريف فطريق علمنا الأخبار و لما كنت على هذه القدم التي جالست الحق عليها إن لا أضيع زماني في غير علمي به تعالى قيض اللّٰه واحدا من أهل اللّٰه تعالى و خاصته يقال له أحمد بن عقاب اختصه اللّٰه بالأهلية صغيرا فوقع منه ابتداء ذكر هؤلاء الوزراء فقال لي هم تسعة فقلت له إن كانوا تسعة فإن مدة بقاء المهدي لا بد أن تكون تسع سنين فإني عليم بما يحتاج إليه وزيره فإن كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج إليه و إن كانوا أكثر من واحد فما يكونون أكثر من تسعة فإنه إليها انتهى الشك من رسول اللّٰه ص في قولهخمسا أو سبعا أو تسعا في إقامة المهدي و جميع ما يحتاج إليه مما يكون قيام وزرائه به تسعة أمور لا عاشر لها و لا تنقص عن ذلك و هي نفوذ البصر و معرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء و علم الترجمة عن اللّٰه و تعيين المراتب لولاة الأمر و الرحمة في الغضب و ما يحتاج إليه الملك من الأرزاق المحسوسة و المعقولة و علم تداخل الأمور بعضها على بعض و المبالغة و الاستقصاء في قضاء حوائج الناس و الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون في مدته خاصة فهذه تسعة أمور لا بد أن تكون في وزير الإمام المهدي إن كان الوزير واحدا أو وزرائه إن كانوا أكثر من واحد فأما نفوذ البصر فذلك ليكون دعاؤه إلى اللّٰه على بصيرة في المدعو إليه لا في المدعو فينظر في عين كل مدعو ممن يدعوه فيرى ما يمكن له الإجابة إلى دعوته فيدعوه من ذلك و لو بطريق الإلحاح و ما يرى منه أنه لا يجيب دعوته يدعوه من غير إلحاح لإقامة الحجة عليه خاصة فإن المهدي حجة اللّٰه على أهل زمانه و هي درجة الأنبياء التي تقع فيها المشاركة قال اللّٰه تعالى أَدْعُوا إِلَى اللّٰهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي أخبر بذلك عن نبيه ص فالمهدي ممن اتبعه و هو ص لا يخطئ في دعائه إلى اللّٰه فمتبعه لا يخطئ فإنه يقفو أثره و كذا ورد الخبر في صفة المهدي أنه قال ص يقفو أثري لا يخطئ و هذه هي العصمة

في الدعاء إلى الله و ينالها كثير من الأولياء بل كلهم و من حكم نفوذ البصر أن يدرك صاحبه الأرواح النورية و النارية عن غير إرادة من الأرواح و لا ظهور و لا تصور كابن عباس و عائشة رضي الله عنهما حين أدركا جبريل ع و هو يكلم رسول الله ص على غير علم من جبريل بذلك و لا إرادة منه للظهور لهم فأخبرا بذلك رسول الله ص و لم يعلما أنه جبريل ع فقال لها ص أو قد رأيتيه و قال لابن عباس أ رأيته قالا نعم قال ذلك جبريل و كذلك يدركون رجال الغيب في حال إرادتهم الاحتجاب و أن لا يظهروا للابصار فيراهم صاحب هذا الحال و من نفوذ البصر أيضا إنهم إذا تجسدت لهم المعاني يعرفونها في عين صورها فيعلمون أي معنى هو ذلك الذي تجسد من غير توقف «وصل» و أما معرفة الخطاب الإلهي عند الإلقاء فهو قوله تعالى وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فأما الوحي من ذلك فهو ما يلقيه في قلوبهم على جهة الحديث فيحصل لهم من ذلك علم بأمر ما و هو الذي تضمنه ذلك الحديث و إن لم يكن كذلك فليس بوحي و لا خطاب فإن بعض القلوب يجد أصحابها علما بأمر ما من العلوم الضرورية عند الناس فذلك علم صحيح ليس عن خطاب و كلامنا إنما هو في الخطاب الإلهي المسمى وحيا فإن الله تعالى جعل مثل هذا الصنف من الوحي كلاما و من الكلام يستفيد العلم بالذي جاء له ذلك الكلام و بهذا يفرق إذا وجد ذلك و أما قوله تعالى أَوْ مِن وَراءِ حِجابٍ فهو خطاب إلهي يلقيه على السمع لا على القلب فيدركه من ألقى عليه فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك و قد يحصل له ذلك في صور التجلي فتخاطبه تلك الصورة الإلهية و هي عين الحجاب فيفهم من ذلك الخطاب علم ما يدل عليه و يعلم أن ذلك حجاب و أن المتكلم من وراء ذلك الحجاب و ما كل من أدرك صورة التجلي الإلهي يعلم أن ذلك هو الله فما يزيد صاحب هذه الحال على غيره إلا بأن يعرف أن تلك الصورة و إن كانت حجابا فهي عين تجلى الحق له و أما قوله تعالى أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فهو ما ينزل به الملك أو ما يجيء به الرسول البشري إلينا إذا نقلا كلام الله خاصة مثل التالي قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و قوله تعالى وَ نادَيْناهُ من جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا و قوله تعالى نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَ مَن حَوْلَها فإن نقلا علما و أفصحا عنه و وجداه في أنفسهما فذلك ليس بكلام إلهي و قد يكون الرسول و الصورة معا و ذلك في نفس الكتابة فالكتاب رسول و هو عين الحجاب على المتكلم فيفهمك ما جاء به و لكن لا يكون ذلك إذا كتب ما علم و إنما يكون ذلك إذا كتب عن حديث يخاطبه به تلك الحروف التي يسطرها و متى لم يكن كذلك فما هو كلام هذا هو الضابط فاللقاء للرسل و الإلقاء للخبر الإلهي بارتفاع الوسائط من كونه كلمه لا غير و الكتابة رقوم مسطرة حيث كانت لم تسطر إلا عن حديث ممن سطرها لا عن علم فهذا كله من الخطاب الإلهي لصاحب هذا المقام و أما علم الترجمة عن الله فذلك لكل من كلمه الله في الإلقاء و الوحي فيكون المترجم خلاقا لصور الحروف اللفظية أو المرقومة التي يوجدها و يكون روح تلك الصور كلام الله لا غير فإن ترجم عن علم فما هو مترجم لا بد من ذلك يقولالولي حدثني قلبي عن ربي و قد يترجم المترجم عن ألسنة الأحوال و ليس من هذا الباب بل ذلك من باب آخر يرجع إلى عين الفهم بالأحوال و هو معلوم عند علماء الرسوم و على ذلك

يخرجون قوله تعالى وَ إِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ يقولون يعني بلسان الحال و كذلك قوله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها فجعلوا هذه الإباية و الإشفاق حالا لا حقيقة و كذلك قوله عنهما قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ قول حال لا قول خطاب و هذا كله ليس بصحيح و لا مراد في هذه الآيات بل الأمر على ظاهره كما ورد هكذا يدركه أهل الكشف فإذا ترجموا عن الموجودات فإنما يترجمون عما تخاطبهم به لا عن أحوالهم إذ لو نطقوا لقالوا هذا و أصحاب هذا القول انقسموا على قسمين فبعضهم يقول إن كان هذا و أمثاله نطقا حقيقة و كلاما فلا بد أن يخلق في هؤلاء الناطقين حياة و حينئذ يصح أن يكون حقيقة و جائز أن يخلق الله فيهم حياة و لكن لا علم لنا بذلك إن الأمر وقع كما جوزناه أو هو لسان حال فأما أصحاب ذاك القول فكذا وقع في نفس الأمر لأن كل ما سوى الله حي ناطق في نفس الأمر فلا معنى للأحوال مع هذا عند أهل الكشف و الوجود و أما القسم الآخر و هم الحكماء فقالوا إن هذا لسان حال و لا بد لأنه من المحال أن يحيا الجماد و هذا قول محجوب بأكثف حجاب فما في العالم إلا مترجم إذا ترجم عن حديث إلهي فافهم ذلك و أما تعيين المراتب لولاة الأمر فهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح التي خلقت لها فينظر صاحب هذا العلم في نفس الشخص الذي يريد أن يوليه و يرفع الميزان بينه و بين المرتبة فإذا رأى الاعتدال في الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه و إن رجح الوالي فلا يضره و إن رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله لأنه ينقص عن علم ما رجحه به فيجور بلا شك و هو أصل الجور في الولاة و من المحال عندنا إن يعلم و يعدل عن حكم علمه جملة واحدة و هو جائز عند علماء الرسوم و عندنا هذا الجائز ليس بواقع في الوجود و هي مسألة صعبة و لهذا يكون المهدي يملؤها قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما يعني الأرض فإن العلم عندنا يقتضي العمل و لا بد و إلا فليس بعلم و إن ظهر بصورة علم و المراتب ثلاثة و هي التي ينفذ فيها حكم الحاكم و هي الدماء و الأعراض و الأموال فيعلم ما تطلبه كل مرتبة من الحكم الإلهي المشروع و ينظر في الناس فمن رأى أنه جمع ما تطلبه تلك المرتبة نظر في مزاج ذلك الجامع فإن رآه يتصرف تحت حكم العلم علم أنه عاقل فولاه و إن رآه يحكم على علمه و أن علمه معه مقهور تحت حكم شهوته و سلطان هواه لم يوله مع علمه بالحكم قال بعض الملوك لبعض جلسائه من أهل الرأي و النظر الصحيح حين استشاره فقال له من ترى إن أولي أمور الناس فقال ول على أمور الناس رجلا عاقلا فإن العاقل يستبرئ لنفسه فإن كان عالما حكم بما علم و إن لم يكن عالما بتلك الواقعة ما حكمها حكم عليه عقله إن يسأل من يدري الحكم الإلهي المشروع في تلك النازلة فإذا عرفه حكم فيها فهذا فائدة العقل فإن كثيرا ممن ينتمي إلى الدين و العلم الرسمي تحكم شهوتهم عليهم و العاقل ليس كذلك فإن العقل يأبى إلا الفضائل فإنه يقيد صاحبه عن التصرف فيما لا ينبغي و لهذا سمي عقلا من العقال و أما الرحمة في الغضب فلا يكون ذلك إلا في الحدود المشروعة و التعزير و ما عدا ذلك فغضب ليس فيه من الرحمة شيء و لذلك قال أبو يزيد بطشي أشد لما سمع القارئ يقرأ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ فإن الإنسان إذا غضب لنفسه فلا يتضمن ذلك الغضب رحمة بوجه و إذا غضب لله فغضبه غضب الله و غضب الله لا يخلص عن

رحمة إلهية تشوبه فغضبه في الدنيا ما نصبه من الحدود و التعزيرات و غضبه في الآخرة ما يقيم من الحدود على من يدخل النا ر فهو و إن كان غضبا فهو تطهير لما شا به من الرحمة في الدنيا و الآخرة لأن الرحمة لما سبقت الغضب في الوجود عمت الكون كله و وسعت كل شي ء فلما جاء الغضب في الوجود وجد الرحمة قد سبقته و لا بد من وجوده فكان مع الرحمة كالماء مع اللبن إذا شا به و خا لطه فلم يخلص الماء من اللبن كذلك لم يخلص الغضب من الرحمة فحكمت على الغضب لأنها صاحبة المحل فينتهي غضب الله في المغضوب عليهم و رحمة الله لا تنتهي فهذا المهدي لا يغضب إلا لله فلا يتعدى في غضبه إقامة حدود الله التي شرعها بخلاف من يغضب لهواه و مخالفة غرضه فمثل هذا الذي يغضب لله لا يمكن أن يكون إلا عادلا و مقسطا لا جائرا و لا قاسطا و علامة من يدعي هذا المقام إذا غضب لله و كان حاكما و أقام الحد على المغضوب عليه يزول عنه الغضب على ذلك الشخص عند الفراغ منه و ربما قام إليه و عانقه و آنسه و قال له أحمد الله الذي طهرك و أظهر له السرور و البشاشة به و ربما أحسن إليه بعد ذلك هذا ميزانه و يرجع لذلك المحدود رحمة كله و قد رأيت ذلك لبعض القضاة ببلاد المغرب قاضي مدينة سبتة يقال له أبو إبراهيم بن يغمور و كان يسمع معنا الحديث على شيخنا أبي الحسين بن الصائغ من ذ رية أبي أيوب الأنصا ري و على أبي الصبر أيوب الفهري و على أبي محمد بن عبد الله الحجري بسبتة في زمان قضائه بها و ما كان يأتي إلى السماع راكبا قط بل يمشي بين الناس فإذا لقيه رجلان قد تخاصما و تداعيا إليه وقف إليهما و أصلح بينهما غزير الدمعة طويل الفكرة كثير الذكر يصلح بين القبيلتين بنفسه فيصطلحان ببركته و القاضي إن بقي معه الغضب على المحدود بعد أخذ حق الله منه فهو غضب نفس و طبع أو لأمر في نفسه لذلك المحدود ما هو غضب لله فلذلك لا يأجره الله فإنه ما قام في ذلك مراعاة لحق الله و هذا من قوله تعالى وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ فابتلاهم أولا بما كلفهم فإذا عملوا ابتلى أعمالهم هل عملوها لخطاب الحق أو عملوها لغير ذلك و هو قوله عز و جل أيضا يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ و هذا ميزانه عند أهل الكشف فلا يغفل الحاكم عند إقامة الحدود عن النظر في نفسه و ليحذ ر من التشفي الذي يكون للنفوس و لهذا نهي عن الحكم في حال غضبه و لو لم يكن حاكما في حق من ابتلي بإقامة حد عليه فإن وجد لذلك تشفيا فيعلم أنه ما قام في ذلك لله و ما عنده فيه خير من الله و إذا فرح بإقامة الحد على المحدود إن لم يكن فرحه له لما سقط عنه ذلك الحد في الآخرة من المطالبة و إلا فهو معلول و ما عندي في مسائل الأحكام المشروعة بأصعب من الزنا خاصة و لو أقيم عليه الحد فإني أعلم أنه يبقى عليه بعد إقامة الحد مطالبات من مظالم العباد و اعلم أن غير الحاكم ما عين الله له إقامة الحد عليه فلا ينبغي أن يقوم به غضب عند تعدى الحدود فليس ذلك إلا للحكام خاصة و لرسول الله ص من حيث ما هو حاكم فلو كان مبلغا لا حاكما لم يقم به غضب على من رد دعوته فإنه ليس له من الأمر شي ء و ليس عليه هداهم فإن الله يقول في هذا للرسول ص إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ و قد بلغ فاسمع الله من شاء و أصم من شاء فهم أعقل الناس أعني الأنبياء و إذا كوشف الداعي على من أصمه الله عن الدعوة فما سمعها لم يتغير لذلك فإن الصائح إذا نادى من قام به الصمم و علم أنه لم يسمع نداءه لم يجد عليه و قام

عذ ره عنده فإن كان الرسول حاكما تعين عليه الحكم بما عين الله له فيه و هذا علم شريف يحتاج إليه كل وال في الأرض على العالم و أما علم ما يحتاج إليه الملك من الأرزاق فهو إن يعلم أصناف العالم و ليس إلا اثنان و أعني بالعالم الذي يمشي فيهم حكم هذا الإمام و هم عالم الصور و عالم الأنفس المدبرون لهذه الصور فيما يتصرفون فيه من حركة أو سكون و ما عدا هذين الصنفين فما له عليهم حكم إلا من أراد منهم أن يحكمه على نفسه كعالم الجان و أما العالم النوراني فهم خارجون عن إن يكون للعالم البشري عليهم تولية فكل شخص منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما يتنزل إلا بأمر ربه فمن أراد تنزيل واحد منهم فيتوجه في ذلك إلى ربه و ربه يأمره و يأذن له في ذلك إسعافا لهذا السائل أو ينزله عليه ابتداء و أما السائحون منهم فمقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر فإذا وجدوا أهل الذكر و هم أهل القرآن الذاكرون القرآن فلا يقدمون عليهم أحدا من مجالس الذاكرين بغير القرآن فإذا لم يجدوا ذلك و وجدوا الذاكرين الله لا من كونهم تالين قعدوا إليهم و نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم فذلك رزقهم الذي يعيشون به و فيه حياتهم فإذا علم الإمام ذلك لم يزل يقيم جماعة يَتْلُونَ آيَاتِ اللّٰهِ آنَاءَ اللَّيْلِ و النهار و قد كنا بفأس من بلاد المغرب قد سلكنا هذا المسلك لموافقة أصحاب موفقين كانوا لنا سامعين و طائعين و فقدناهم ففقدنا لفقدهم هذا العمل الخالص و هو أشرف الأرزاق و أعلاها فأخذنا لما فقدنا مثل هؤلاء في بث العلم من أجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم و رأينا أن لا نورد شيئا منه إلا من أصل هو مطلوب لهذا الصنف الروحاني و هو القرآن فجميع ما نتكلم فيه في مجالسي و تصانيفي إنما هو من حضرة القرآن و خزائنه أعطيت مفتاح الفهم فيه و الإمداد منه و هذا كله حتى لا نخرج عنه فإنه أرفع ما يمنح و لا يعرف قدره إلا من ذاقه و شهد منزلته حالا من نفسه و كلمه به الحق في سره فإن الحق إذا كان هو المكلم عبده في سره بارتفاع الوسائط فإن الفهم يستصحب كلامه منك فيكون عين الكلام منه عين الفهم منك لا يتأخر عنه فإن تأخر عنه فليس هو كلام الله و من لم يجد هذا فليس عنده علم بكلام الله عباده فإذا كلمه بالحجاب الصوري بلسان نبي أو من شاء الله من العالم فقد يصحبه الفهم و قد يتأخر عنه هذا هو الفرق بينهما و أما الأرزاق المحسوسة فإنه لا حكم له فيها إلا في بقية الله فمن أكل مما خرج عن هذه البقية لم يأكل من يد هذا الإمام العادل و ليس مسمى رزق الله في حق المؤمنين إلا بقية الله و كل رزق في الكون من بقية الله و ما بقي إلا أن يفرق بينهما و ذلك أن جميع ما في العالم من الأموال لا يخلو إما أن يكون لها مالك معين أو لا يكون لها مالك فإن كان لها مالك معين فهي من بقية الله لهذا الشخص و إن لم يكن لها مالك معين فهي لجميع المسلمين فجعل الله لهم وكيلا هذا الإمام يحفظ عليهم ذلك فهذا من بقية الله الذي زاد على المال المملوك فكل رزق في العالم بقية الله إن عرفت معنى بقية الله فمال زيد بقية الله لزيد لما حجر الله عليه التصرف في مال عمرو بغير إذنه و مال عمرو بقية الله لعمرو لما حجر عليه التصرف في مال زيد بغير إذنه فما في العالم رزق إلا و هو بقية الله فيحكم الإمام فيه بقدر ما أنزل الله من الحكم فيه فاعلم ذلك فالناس على حالتين اضطرار و غير اضطرار فحال الاضطرار يبيح قدر الحاجة في الوقت و يرفع عنه حكم التحجير فإذا نال ما يزيلها به رجح عليه

حكم التحجير فإن كان المضطر قد تصرف فيما هو ملك لأحد تصرف فيه بحكم الضمان في قول و بغير ضمان في قول فإن وجد أداه عند القائل بالضمان و إن لم يجد فإمام الوقت يقوم عنه في ذلك من بيت المال و إن كان المتصرف قد تصرف فيما لا يملكه أحد أو يملكه الإمام بحكم الوكالة المطلقة من الله له فلا شيء عليه لا ضمان و لا غيره و هذا علم يتعين المعرفة به على إمام الوقت لا بد منه فما تصرف أحد من المكلفين بالوجه المشروع إلا في بقية الله قال الله عز و جل بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و هو حكم فرعي و إنما الأصل إن الله خلق لنا ما في الْأَرْضِ جَمِيعاً ثم حجر و أبقى فما أبقاه سماه بقية الله و ما حجر سماه حراما أي المكلف ممنوع من التصرف فيه حالا أو زمانا أو مكانا مع التحجير فإن الأصل التوقف عن إطلاق الحكم فيه بشيء فإذا جاء حكم الله فيه كنا بحسب الحكم الإلهي الذي ورد به الشرع إلينا فمن عرف هذا عرف كيف يتصرف في الأرزاق و أما علم تداخل الأمور بعضها على بعض فهذا معنى قوله تعالى يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ فالمولج ذكر و المولج فيه أنثى هذا الحكم له مستصحب حيث ظهر فهو في العلوم العلم النظري و هو في الحس النكاح الحيواني و النباتي و ليس شيء من ذلك مرادا لنفسه فقط بل هو مراد لنفسه و لما ينتجه و لولا اللحمة و السد لما ظهر للشفة عين و هو سار في جميع الصنائع العملية و العلمية فإذا علم الإمام ذلك لم تدخل عليه شبهة في أحكامه و هذا هو الميزان الموضوع في العالم في المعاني و المحسوسات و العاقل يتصرف بالميزان في العالمين بل في كل شيء له التصرف فيه و أما الحاكمون بالوحي المنزل أهل الإلقاء من الرسل و أمثالهم فما خرجوا عن التوالج فإن الله جعلهم محلا لما يلقي إليهم من حكمه في عباده قال تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و قال تعالى يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فما ظهر حكم في العالم من رسول إلا عن نكاح معنوي لا في النصوص و لا في الحاكمين بالقياس فالإمام يتعين عليه علم ما يكون بطريق التنزيل الإلهي و بين ما يكون بطريق القياس و ما يعلمه المهدي أعني علم القياس ليحكم به و إنما يعلمه ليتجنبه فما يحكم المهدي إلا بما يلقي إليه الملك من عند الله الذي بعثه الله إليه ليسدده و ذلك هو الشرع الحقيقي المحمدي الذي لو كان محمد ص حيا و رفعت إليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بما يحكم هذا الإمام فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدي فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها و لذلك قال رسول الله ص في صفة المهدي يقفو أثري لا يخطئ فعرفنا أنه متبع لا متبوع و أنه معصوم و لا معنى للمعصوم في الحكم إلا أنه لا يخطئ فإن حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ فإنه لا ينطق عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى كما أنه لا يسوغ القياس في موضع يكون فيه الرسول ص موجودا و أهل الكشف النبي عندهم موجود فلا يأخذون الحكم إلا عنه و لهذا الفقير الصادق لا ينتمي إلى مذهب إنما هو مع الرسول الذي هو مشهود له كما إن الرسول مع الوحي الذي ينزل عليه فينزل على قلوب العارفين الصادقين من الله التعريف بحكم النوازل أنه حكم الشرع الذي بعث به رسول الله ص و أصحاب علم الرسوم ليست لهم هذه المرتبة لما أكبوا عليه من حب الجاه و الرئاسة و التقدم على عباد الله و افتقار العامة إليهم فلا يفلحون في أنفسهم و لا يفلح بهم و هي حالة فقهاء الزمان الراغبين في المناصب من

قضاء و شهادة و حسبة و تدريس و أما المتنمسون منهم بالدين فيجمعون أكتافهم و ينظرون إلى الناس من طرف خفي نظر الخاشع و يحركون شفاهم بالذكر ليعلم الناظر إليهم أنهم ذاكرون و يتعجمون في كلامهم و يتشدقون و يغلب عليهم رعونات النفس و قلوبهم قلوب الذئاب لا ينظر الله إليهم هذا حال المتدين منهم لا الذين هم قرناء الشيطان لا حاجة لله بهم لبسوا للناس جلود الضأن من اللين إخوان العلانية أعداء السريرة فالله يراجع بهم و يأخذ بنواصيهم إلى ما فيه سعادتهم و إذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة فإنهم لا تبقي لهم رياسة و لا تمييز عن العامة و لا يبقى لهم علم بحكم إلا قليل و يرتفع الخلاف من العالم في الأحكام بوجود هذا الإمام و لولا أن السيف بيد المهدي لأفتى الفقهاء بقتله و لكن الله يظهره بالسيف و الكرم فيطمعون و يخافون فيقبلون حكمه من غير إيمان بل يضمرون خلافه كما يفعل الحنفيون و الشافعيون فيما اختلفوا فيه فلقد أخبرنا أنهم يقتتلون في بلاد العجم أصحاب المذهبين و يموت بينهما خلق كثير و يفطرون في شهر رمضان ليتقووا على القتال فمثل هؤلاء لولا قهر الإمام المهدي بالسيف ما سمعوا له و لا أطاعوه بظواهرهم كما أنهم لا يطيعونه بقلوبهم بل يعتقدون فيه أنه إذا حكم فيهم بغير مذهبهم أنه على ضلالة في ذلك الحكم لأنهم يعتقدون أن زمان أهل الاجتهاد قد انقطع و ما بقي مجتهد في العالم و أن الله لا يوجد بعد أئمتهم أحدا له درجة الاجتهاد و أما من يدعي التعريف الإلهي بالأحكام الشرعية فهو عندهم مجنون مفسود الخيال لا يلتفتون إليه فإن كان ذا مال و سلطان انقادوا في الظاهر إليه رغبة في ماله و خوفا من سلطانه و هم ببواطنهم كافرون به و أما المبالغة و الاستقصاء في قضاء حوائج الناس فإنه متعين على الإمام خصوصا دون جميع الناس فإن الله ما قدمه على خلقه و نصبه إماما لهم إلا ليسعى في مصالحهم هذا و الذي ينتجه هذا السعي عظيم و له في قصة موسىع لما مشى في حق أهله ليطلب لهم نارا يصطلون بها و يقضون بها الأمر الذي لا ينقضي إلا بها في العادة و ما كان عندهع خبر بما جاءه فأسفرت له عاقبة ذلك الطلب عن كلام ربه فكلمه الله تعالى في عين حاجته و هي النار في الصورة و لم يخطر لهع ذلك الأمر بخاطر و أي شيء أعظم من هذا و ما حصل له إلا في وقت السعي في حق عياله ليعلمه بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصا في سعيه في حقهم فكان ذلك تنبيها من الحق تعالى على قدر ذلك عند الله تعالى و على قدرهم لأنهم عبيده على كل حال و قد وكل هذا على القيام بهم كما قال تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ فانتج له الفرار من الأعداء الطالبين قتله الحكم و الرسالة كما أخبر الله تعالى من قولهع فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ و أعطاه السعي على العيال و قضاء حاجاتهم كلام الله و كله سعى بلا شك فإن الفار أتى في فراره بنسبة حيوانية فرت نفسه من الأعداء طلبا للنجاة و إبقاء للملك و التدبير على النفس الناطقة فما سعى بنفسه الحيوانية في فراره إلا في حق النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن و حركة الأئمة كلهم العادلة إنما تكون في حق الغير لا في حق أنفسهم فإذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيته و ما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل و لا فرق بينه و بين العامة و لما أراد عمر بن عبد العزيز يوم ولي الخلافة أن يقيل راحة

لنفسه لما تعب من شغله بقضاء حوائج الناس دخل عليه ابنه فقال له يا أمير المؤمنين أنت تستريح و أصحاب الحاجات على الباب من أراد الراحة لا يلي أمور الناس فبكى عمر و قال الحمد لله الذي أخرج من ظهري من ينبهني و يدعوني إلى الحق و يعينني عليه فترك الراحة و خرج إلى الناس و كذلك خضر و اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ع كان في جيش فبعثه أمير الجيش يرتاد لهم ماء و كانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منه فعاش إلى الآن و كان لا يعرف ما خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء و لقيته بإشبيلية و أفادني التسليم للشيوخ و أن لا أنازعهم و كنت في ذلك اليوم قد نازعت شيخا لي في مسألة و خرجت من عنده فلقيت الخضر بقوس الحنية فقال لي سلم إلى الشيخ مقالته فرجعت إلى الشيخ من حيني فلما دخلت عليه منزله فكلمني قبل إن أكلمه و قال لي يا محمد أحتاج في كل مسألة تنازعني فيها أن يوصيك الخضر بالتسليم للشيوخ فقلت له يا سيدنا ذلك هو الخضر الذي أوصاني قال نعم قلت له الحمد لله هذي فائدة و مع هذا فما هو الأمر إلا كما ذكرت لك فلما كان بعد مدة دخلت على الشيخ فوجدته قد رجع إلى قولي في تلك المسألة و قال لي إني كنت على غلط فيها و أنت المصيب فقلت له يا سيدي علمت الساعة أن الخضر ما أوصاني إلا بالتسليم ما عرفني بأنك مصيب في تلك المسألة فإنه ما كان يتعين على نزاعك فيها فإنها لم تكن من الأحكام المشروعة التي يحرم السكوت عنها و شكرت الله على ذلك و فرحت للشيخ الذي تبين له الحق فيها و هذا عين الحياة ماء خص الله به من الحياة شارب ذلك الماء ثم عاد إلى أصحابه فأخبرهم بالماء فسارع الناس إلى ذلك الموضع ليستقوا منه فأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يقدروا عليه فهذا ما أنتج له سعيه في حق الغير و كذلك من والى في الله و عادى في الله و أحب في الله و أبغض في الله فهو من هذا الباب قال الله تعالى لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فما يدري أحد ما لهم من المنزلة عند الله لأنهم ما تحركوا و لا سكنوا إلا في حق الله لا في حق أنفسهم إيثارا لجناب الله على ما يقتضيه طبعهم و أما الوقوف على علم الغيب الذي يحتاج إليه في الكون خاصة في مدة خاصة و هي تاسع مسألة ليس وراءها ما يحتاج إليه الإمام في إمامته و ذلك أن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و الشأن ما يكون عليه العالم في ذلك اليوم و معلوم أن ذلك الشأن إذا ظهر في الوجود عرف أنه معلوم لكل من شهده فهذا الإمام من هذه المسألة له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق أن يحدثه من الشئون قبل وقوعها في الوجود فيطلع في اليوم الذي قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن فإن كان مما فيه منفعة لرعيته شكر الله و سكت عنه و إن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم و شفع و تضرع فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته و فضله و أجاب دعاءه و سؤاله فلهذا يطلعه الله عليه قبل وقوعه في الوجود بأصحابه ثم يطلعه الله في تلك الشئون على النوازل الواقعة من الأشخاص و يعين له الأشخاص بحليتهم حتى إذا رآهم لا يشك فيهم أنهم عين ما رآه ثم يطلعه الله على الحكم المشروع في تلك النازلة الذي شرع الله لنبيه محمد ص أن يحكم به فيها فلا

يحكم إلا بذلك الحكم فلا يخطئ أبدا و إذا أعمى الله الحكم عليه في بعض النوازل و لم يقع له عليه كشف كان غايته أن يلحقها في الحكم بالمباح و يعلم بعدم التعريف إن ذلك حكم الشرع فيها فإنه معصوم عن الرأي و القياس في الدين فإن القياس ممن ليس بنبي حكم على الله في دين الله بما لا يعلم فإنه طرد علة و ما يدريك لعل الله لا يريد طرد تلك العلة و لو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله ص و أمر بطردها هذا إذا كانت العلة مما نص الشرع عليها في قضية فما ظنك بعلة يستخرجها الفقيه بنفسه و نظره من غير أن يذكرها الشرع بنص معين فيها ثم بعد استنباطه إياها يطردها فهذا تحكم على تحكم بشرع لم يأذن به الله و هذا يمنع المهدي من القول بالقياس في دين الله و لا سيما و هو يعلم أن مراد النبي ص التخفيف في التكليف عن هذه الأمة و لذلك كان يقول ص اتركوني ما تركتكم و كان يكره السؤال في الدين خوفا من زيادة الحكم فكل ما سكت له عنه و لم يطلع على حكم فيه معين جعله عاقبة الأمر فيه الحكم بحكم الأصل و كل ما أطلعه الله عليه كشفا و تعريفا فذلك حكم الشرع المحمدي في المسألة و قد يطلعه الله في أوقات على المباح أنه مباح و عاقبة فكل مصلحة تكون في حق رعاياه يطلعه الله عليها ليسأله فيها و كل فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه فإن الله يطلعه عليه ليسأل الله في رفع ذلك عنهم لأنه عقوبة كما قال ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فالمهدي رحمة كما كان رسول الله ص رحمة قال الله عز و جل وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و المهدي يقفو أثره لا يخطئ فلا بد أن يكون رحمة كان رسول الله ص يقول لما جرح اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون يعتذر لربه عنهم و لما علم أنه بشر و أن أحكام البشرية قد تغلب عليه في أوقات دعا ربه فقال اللهم إنك تعلم أني بشر أرضى كما يرضى البشر و أغضب كما يغضب البشر يعني أغضب عليهم و أرضى لنفسي اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة له و رضوانا فهذه تسعة أمور لم تصح لإمام من أئمة الدين خلفاء الله و رسوله بمجموعها إلى يوم القيامة إلا لهذا الإمام المهدي كما أنه ما نص رسول اللهص على إمام من أئمة الدين يكون بعده يرثه و يقفو أثره لا يخطئ إلا المهدي خاصة فقد شهد بعصمته في أحكامه كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله ص فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده و في هذا المنزل من العلوم علم الاشتراك في الأحدية و هو الاشتراك العام مثل قوله وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و قال تعالى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فوصف نفسه تعالى بالأحدية و هذه السورة نسب الحق تعالى و أفرد العبادة له من كل أحد و فيه علم الإنزال الإلهي و فيه علم المعنى الذي جعل الكتابة كلاما و حقيقة الكلام معلومة عند العقلاء و الكلام مسألة مختلف فيها بين النظار و فيه علم الكلام المستقيم من الكلام المعوج و بما ذا يعرف استقامة الكلام من معوجه و فيه علم ما جاءت به الرسل عموما و خصوصا و فيه علم من تكلم بغير علم هل هو علم في نفس الأمر و لا علم عند من يرى أنه ليس بعلم أنه علم مع كونه يعلم أنه لا منطق إلا الله و فيه علم معرفة الصدق و الكذب و لما ذا يرجعان و الصادق و الكاذب و فيه علم إذا علمه الإنسان ارتفع عنه الحرج في نفسه إذا رأى ما جرت به العادة في النفوس من الأمور العوارض أن يؤثر فيها حرجا حتى يود الإنسان أن يقتل نفسه لما يراه و هذا يسمى علم الراحة

و هو علم أهل الجنة خاصة فمن فتح الله به على أحد من أهل الدنيا في الدنيا فقد عجلت له راحة الأبد مع ملازمة الأدب ممن هذه صفته في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بقدر مرتبته و فيه علم ما أظهر الله للابصار على الأجسام أنه حلية الأجسام و من قبح عنده بعض ما ظهر لما ذا قبح عنده و من رآه كله حسنا لما رآه و بأي عين رآه فيقابله من ذاته بأفعال حسنة و هذا العلم من أحسن علم في العالم و أنفعه و هو الذي يقول بعض المتكلمين فيه لا فاعل إلا الله و أفعاله كلها حسنة فهؤلاء لا يقبحون من أفعال الله إلا ما قبحه الله فذلك لله تعالى لا لهم و لو لم يقبحوا ما قبح الله لكانوا منازعين لله عز و جل و فيه علم ما وضعه الله في العالم على سبيل التعجب و ليس إلا ما خرق به العادة و أما الذين يعقلون عن الله فكل شيء في العادة عندهم فيه تعجب و أما أصحاب العوائد فإنهم لا تعجب عندهم إلا فيما ظهر فيه خرق العادة و فيه علم التشوق إلى معالي الأمور من جبلة النفوس و بما ذا تعلم معالي الأمور هل بالعقل أو بالشرع و ما هي معالي الأمور و هل هي أمر يعم العقلاء أو هو ما يراه زيد من معالي الأمور لا يراه عمرو بتلك الصفة فيكون إضافيا و فيه علم دخول الأطول في الأقصر و هو إيراد الكبير على الصغير و فيه علم أحكام الحق في الخلق إذا ظهر و إذا بطن و من أي حقيقة يقبل الاتصاف بالظهور و البطون و فيه علم الحيرة التي لا يمكن لمن دخل فيها إن يخرج منها و فيه علم من يرى أمرا على خلاف ما هو عليه ذلك الأمر في نفسه و هل يصح لصاحب هذا العلم أن يجمع بين الأمرين أم لا و فيه علم اتساع البرازخ و ضيقها و فيه علم ما للاعتدال و الانحراف من الأثر فيما ينحرف عنه أو يقابل و فيه علم الأحوال في العالم و هل لها أثر في غير العالم أم لا أثر لها فيه و فيه علم ما يعظم عند الإنسان الكامل و ما ثم أعظم منه و لما ذا يرجع ما يعظم عنده حتى يؤثر فيه حالة لا يقتضيها مقامه الذي هو فيه و هل حصل له ذلك العلم عن مشاهدة أو فكر و فيه علم هل يصح من الوكيل المفوض إليه المطلق الوكالة أن يتصرف في مال موكله تصرف رب المال من جميع الوجوه أو له حد يقف عنده في حكم الشرع و فيه علم حكمة طلب الأولياء الستر على مقامهم بخلاف الأنبياء عليهم صلوات الله و فيه علم السياسة في التعليم حتى يوصل المعلم العلم إلى المتعلم من حيث لا يشعر المتعلم أن المعلم قصد إفادته بما حصل عنده من العلم فيقول له المتعلم يا أستاذ لقد حصل لي من فعلك كذا و كذا مع كذا و كذا علم وافر صحيح و هو كذا و يتخيل المتعلم أن الذي حصل له من العلم بذلك الأمر لم يكن مقصودا للمعلم و هو مقصود في نفس الأمر للمعلم فيفرح المتعلم بما أعطاه الله من النباهة و التفطن حيث علم من حركة أستاذه علما لم يكن عنده في زعمه أن أستاذه قصد تعليمه و فيه علم من علوم الكشف و هو أن يعلم صاحب الكشف أن أي واحد أو جماعة قلت أو كثرت لا بد أن يكون معهم من رجال الغيب واحد عند ما يتحدثون فذلك الواحد ينقل أخبارهم في العالم و يجد ذلك الناس من نفوسهم في العالم يجتمع جماعة في خلوة أو يحدث الرجل نفسه بحديث لا يعلم به إلا الله فيخرج أو تخرج تلك الجماعة فتسمعه في الناس و الناس يتحدثون به و لقد عملت أبياتا من الشعر بمقصورة ابن مثنى بشرقي جامع تونس من بلاد إفريقية عند صلاة العصر في يوم معلوم معين بالتاريخ عندي بمدينة تونس فجئت إشبيلية و بينهما مسيرة ثلاثة أشهر

للقافلة فاجتمع بي إنسان لا يعرفني فأنشدني بحكم الاتفاق تلك الأبيات عينها و لم أكن كتبتها لأحد فقلت له لمن هي هذه الأبيات فقال لي لمحمد بن العربي و سماني فقلت له و متى حفظتها فذكر لي التأريخ الذي عملتها فيه و الزمان مع طول هذه المسافة فقلت له و من أنشدك إياها حتى حفظتها فقال لي كنت جالسا في ليلة بشرق إشبيلية في مجلس جماعة على الطريق و مر بنا رجل غريب لا نعرفه كأنه من السياح فجلس إلينا فتحدث معنا ثم أنشدنا هذه الأبيات فاستحسناها و كتبناها فقلنا له لمن هذه الأبيات فقال لفلان و سماني لهم فقلنا له فهذه مقصورة ابن مثنى ما نعرفها ببلادنا فقال هي بشرقي جامع تونس و هنالك عملها في هذه الساعة و حفظتها منه ثم غاب عنا فلم ندر ما أمره و لا كيف ذهب عنا و ما رأيناه و لقد كنت بجامع العديس بإشبيلية يوما بعد صلاة العصر و شخص يذكر لي عن رجل كبير من أهل الطريق من أكابرهم اجتمع به في خراسان فذكر لي فضله و إذا بشخص أنظر إليه قريبا منا و الجماعة معي لا تراه فقال لي أنا هو هذا الشخص الذي يصفه لك هذا الرجل الذي اجتمع بنا في خراسان فقلت للرجل المخبر إن هذا الرجل الذي رأيته بخراسان أ تعرف صفته فقال نعم فأخذت أنعته له بآثار كانت فيه و حلية في خلقه فقال الرجل هو و الله على صورة ما وصفت هل رأيته فقلت له هو ذا جالس يصدقك عندي فيما تخبر به عنه و ما وصفته لك إلا و أنا أنظر إليه و هو عرفني بنفسه و لم يزل معي جالسا حتى انصرفت فطلبته فلم أجده و أما الأبيات التي أنشدنيها لي فهي هذه

أمسيت فيها معنى … مقصورة ابن مثنى
حلوا للما يتمنى … بشادن تونسي
فأصبح الجسم مضنى … خلعت فيه عذاري
رأيته يتجنى … سألته الوصل لما
كالغصن إذ يتثنى … و هز عطفيه عجبا
إليك يا هذا عنا … و قال أنت غريب
و مت وجدا و حزنا … فذبت شوقا و يأسا

و هذا الصبي يقال له أحمد بن الإدريسي من تجار البلد كان أبوه و كان شابا صالحا يحب الصالحين و يجالسهم و فقه الله و كان هذا المجلس بيني و بينه سنة تسعين و خمسمائة و نحن الآن في سنة خمس و ثلاثين و ستمائة و فيه علم ما يحمد من الجدال و ما يذم منه و لا ينبغي لمسلم ممن ينتمي إلى الله أن يجادل إلا فيما هو فيه محق عن كشف لا عن فكر و نظر فإذا كان مشهودا له ما يجادل عنه حينئذ يتعين عليه الجدال فيه ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إذا كان مأمورا بأمر إلهي فإن لم يكن مأمورا فهو بالخيار فإن تعين له نفع الغير بذلك كان مندوبا إليه و إن يئس من قبول السامعين له فليسكت و لا يجادل

فإن جادل فإنه ساع في هلاك السامعين عند الله و فيه علم قول الإنسان إنا مؤمن إن شاء الله مع علمه في نفسه في ذلك الوقت أنه مؤمن و هذه مسألة عظيمة الفائدة لمن نظر فيها تعلمه الأدب مع الله إذا لم يتعد الناطق بها الموضع الذي جعلها الله فيه فإن تعداه و لم يقف عنده أساء الأدب مع الله و لم ينجح له طلب و فيه علم الشيء الذي يذكرك بالأمر الذي كنت قد علمته ثم نسيته و فيه علم الزيادة في الزمان و النقصان لما ذا ترجع و قول النبي ص قد يكون الشهر تسعا و عشرين لعائشة في إيلائه من نسائه و بما ذا ينبغي الأخذ من ذلك في الحكم الشرعي هل بأقل ما ينطلق عليه اسم الشهر أو بأكثر و فيه علم إيثار صحبة أهل الله على الغافلين عن الله و إن شملهم الايمان و فيه علم ما ينبغي لجلال الله أن يعامل به سواء أرضى العالم أم أسخطه و فيه علم المياه و هو علم غريب و ما حد الري منها في المرتوي من الماء الذي يروي فإن من الماء ما يروي و منه ما لا يروي و ما هو الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي هل هو كل ماء أو له خصوص وصف من بين المياه و وصف الماء الذي خلق الله منه بنى آدم بالمهانة فقال خلقنا الإنسان من ماءٍ مَهِينٍ و فيه علم علامة من أسعده الله ممن أشقاه في الحياة الدنيا و فيه علم ما هي الدنيا في نفسها و ما حياتها و ما زينتها و فيه علم ما يبقى و ما يفنى و ما يقبل الفناء من العالم و ما يقبل البقاء و فيه علم صورة الإحاطة بما لا يتناهى و ما لا يتناهى لا يوصف بأنه محاط به لأنه يستحيل دخوله في الوجود و فيه علم أحوال الجان و تكليف الحق إياهم بالشرائع المنزلة من عنده هل هو تكليف ألزمهم الحق به ابتداء أو ألزموه أنفسهم فألزمهم الحق به كالنذر و فيه علم الفرق بين الفعل و المفعول و فيه علم من يقبل الإعانة في الفعل و فيه علم النحل و الملل و فيه علم الاستحقاق و فيه علم ما لا ينفع العلم به و فيه علم العلم الغريب بما ذا تقبله النفوس و تقبل عليه أكثر من غيره و فيه علم يصح الإعراض عن العلم مع بقائه علما في المعرض عنه أو يقدح عنده شبهة فيه فلا يعرض عنه حتى يزول عنه أنه علم و هذا عند المحققين العارفين من أخفى العلوم و فيه علم الحجب التي تحول بين عين البصيرة و ما ينبغي لها أن تدركه لو لا هذه الحجب و فيه علم الحلم و الفرق بينه و بين العفو و علم الغفور الرحيم هل هو برزخ بين الحليم و العفو و لهما حكم في هذا أم لا و فيه علم لا تتعدى الأمور مقاديرها عند الله و فيه علم ما الذي أغفل الأكابر عن الاستثناء الإلهي في أفعالهم كقصة سليمان و موسى و غيرهما و فيه علم رد ما ينبغي لمن ينبغي و هو أفضل العلوم لأنه يورث الراحة و يسلم من الاعتراض عليه في ذلك و الله أعلم و فيه علم ما يحمده من نفسه و ينكره من غيره و يذمه و فيه علم الوقوف بين العالمين ما حال الواقف فيه و فيه علم كون الحق ما أوجد شيئا إلا عن سبب فمن رفع الأسباب فقد جهل فمن يزعم أنه رفعها فما رفعها إلا بها إذ لا يصح رفع ما أقره الله و ما يعطيه حال الوجود و ما الفرق بين الأسباب المعتادة التي يجوز رفعها و بين الأسباب المعقولة التي لا يمكن رفعها و فيه علم من احتاط على عباد الله ما له عند الله و فيه علم اتخاذ الشبه أدلة ما الذي أعماهم عن كونها شبها و فيه علم من يهمل من عباد الله يوم القيامة ممن لا يهمل و فيه علم الخواص وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين لقلة القابلين له و قصور الأفهام عن دركه»

إن التوكل يثبت الأسبابا و يفتح الأغلاق و الأبوابا
و يجود بالخير الأعم لنفسه و يقرب الأعداء و الأحبابا
و يقول للنفس الضعيفة ناصحا وحد إلهك و اترك الأربابا
إني خليفته و قد وكلته فمن اقتفى أثري إليه أصابا
إني له رحم و ذاك وسيلتي فلقد نجا من يحفظ الأنسابا

قال الله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا له تعالى و هو قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل في حال كونه استوى على العرش في حال كونه في العماء في حال كونه في الأرض و في السماء في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ الْوَرِيدِ منه و هذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراه بل ليريه من آياته التي غابت عنه قال تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا و كذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه أيضا من آياته فنقله في أحواله مثل قوله ص زويت لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها و كذلك قوله تعالى عن إبراهيم ع وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ و ذلك عين اليقين لأنه عن رؤية و شهود و كذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى إلا بتلك الآية و هو قوله تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا و حديث الإسراء يقول ما أسريت به لا لرؤية الآيات لا إلي فإنه لا يحويني مكان و نسبة الأمكنة إلى نسبة واحدة فأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن فكيف أسرى به إلي و أنا عنده و معه أينما كان فلما أراد الله أن يرى النبي عبده محمدا ص من آياته ما شاء أنزل إليه جبريل ع و هو الروح الأمين بدابة يقال لها البراق إثباتا للأسباب و تقوية له ليريه العلم بالأسباب ذوقا كما جعل الأجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم و البراق دابة برزخية فإنه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين و فوق الحمار الذي تولد من جنس واحد فجمع البراق بين من ظهر من جنسين مختلفين و بين من ظهر منجنس واحد لحكمة علمها أهل الله في صدور عالم الخلق و عالم الأمر و في صدور الأجسام الطبيعية و ما فوقها فركبه ص و أخذه جبريل ع و البراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل إليه للرسول ليركبه تهمما به في الظاهر و في الباطن أن لا يصل إليه إلا على ما يكون منه لا على ما يكون لغيره ليتنبه بذلك فهو تشريف و تنبيه لمن لا يدري مواقع الأمور فهو تعريف في نفس الأمر كما قررناه بما

قلناه فجاء ص إلى البيت المقدس و نزل عن البراق و ربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء ع كل ذلك إثبات للأسباب فإنه ما من رسول إلا و قد أسرى به راكبا على ذلك البراق و إنما ربطه مع علمه بأنه مأمور و لو أوقفه دون ربط بحلقة لوقف و لكن حكم العادة منعه من ذلك إبقاء لحكم العادة التي أجراها الله في مسمى الدابة أ لا تراه ص كيف وصف البراق بأنه شمس و هو من شأن الدواب التي تركب و إنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة الآتية إلى مكة فوصف البراق بأنه يعثر و العثور هو الذي أوجب قلب الآنية أعني القدح فلما ص جاءه جبريل بالبراق فركب عليه و معه جبريل فطار البراق به في الهواء فاخترق به الجو فعطش و احتاج إلى الشرب فأتاه جبريل ع بإناءين إناء لبن و إناء خمر و ذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل ع أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك و لذلك كان ص يتأول اللبن إذا رآه في النوم بالعلم خرج البخاري في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال أريت كأني أتيت بقدح لبن فشربته حتى رأيت الري يخرج من تحت أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم فلما وصل إلى السماء الدنيا استفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال جبريل قال و من معك قال محمد ص قال و قد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح فدخلنا فإذا بآدم ص و عن يمينه أشخاص بنيه السعداء أهل الجنة و عن يساره نسم بنيه الأشقياء عمرة النار و رأى ص نفسه في أشخاص السعداء الذين على يمين آدم فشكر الله تعالى و علم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين و هو عينه لا غيره فكان له كالصورة المرئية و الصور المرئيات في المرآة و المرايا فقال مرحبا بالابن الصالح و النبي الصالح ثم عرج به البراق و هو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الأولى و السماء الثانية أو سمك السموات فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأولى و قال و قيل له فلما دخل إذا بعيسى ع بجسده عينه فإنه لم يمت إلى الآن بل رفعه الله إلى هذه السماء و أسكنه بها و حكمه فيها و هو شيخنا الأول الذي رجعنا على يديه و له بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة و أرجو أن ندرك زمان نزوله إن شاء الله فرحب به و سهل ثم جاء السماء الثالثة فاستفتح و قال و قيل له ففتحت و إذا بيوسف ع فسلم عليه و رحب و سهل و جبريل في هذا كله يسمى له من يراه من هؤلاء الأشخاص ثم عرج به إلى السماء الرابعة فاستفتح و قال و قيل له ففتحت فإذا بإدريس ع بجسمه فإنه ما مات إلى الآن بل رفعه الله مَكاناً عَلِيًّا و هو هذه السماء قلب السموات و قطبها فسلم عليه و رحب و سهل ثم عرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح و قال و قيل له ففتحت فإذا بهارون و يحيى ع فسلما عليه و رحبا به و سهلا ثم عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح و قال و قيل له ففتحت فإذا بموسى ع فسلم عليه و رحب و سهل ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتح و قال و قيل له ففتحت فإذا بإبراهيم الخليل ع مسندا ظهره إلى البيت المعمور فسلم عليه و رحب و سهل و سمي له البيت المعمور الضراح فنظر إليه و ركع فيه ركعتين و أعلمنا أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد و يخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب و الخروج من باب مغارب الكواكب و أخبره أن أولئك الملائكة يخلقهم الله كل يوم من قطرات ماء الحياة

التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عند ما يخرج من انغماسه في نهر الحياة فإن له كل يوم غمسة فيه ثم عرج به إلى سد رة المنتهى فإذا نبقها كالقلال و ورقها كآذان الفيلة فرآها و قد غشاها الله من النور ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها لأن البصر لا يد ركها لنورها و رأى يخرج من أصلها أربعة أنها ر نهران ظاهران و نهرانباطنان فأخبره جبريل أن النهرين الظاهرين النيل و الفرات و النهرين الباطنين نهران يمشيان إلى الجنة و أن هذين النهرين النيل و الفرات يرجعان يوم القيامة إلى الجنة و هما نهرا العسل و اللبن و في الجنة أربعة أنها ر نهر من ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ و نهر من لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ و نهر من خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ و نهر من عَسَلٍ مُصَفًّى و هذه الأنها ر تعطي لأصحابها علوما عند شربهم منها متنوعة يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا و لنا فيها جزء صغير فلينظر ما ذكرناه في ذلك الجزء و أخبره أن أعمال بنى آدم تنتهي إلى تلك السد رة و إنها مقر الأرواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها و نهاية لما يعرج إليها مما هو دونها و بها مقام جبريل ع و هناك منصته فنزل ص عن البراق بها و جيء إليه بالرفرف و هو نظير المحفة عندنا فقعد عليه و سلمه جبريل إلى الملك النا زل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال لا أقد ر لو خطوت خطوة احترقت ف ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و ما أسرى الله بك يا محمد إلا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه و انصرف على الرفرف مع ذلك الملك يمشي به إلى أن ظهر لمستوي سمع منه صريف القلم و الأقلام في الألواح بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه و ما تنسخه الملائكة من أعمال عباده و كل قلم ملك قال تعالى إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثم زج في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه و تأخر عنه فاستوحش لما لم يره و بقي لا يد ري ما يصنع و أخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور و أصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين و ذات الشمال و استفزعه الحال و كان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام و صريفها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرناه من سريان الحال فيه و حكمه عليه فتقوى بذلك الحال و أعطاه الله في نفسه علما علم به ما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يد ري وجهته فطلب الأذن في الرؤية بالدخول على الحق فسمع صوتا يشبه صوت أبي بكر و هو يقول له يا محمد قف إن ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب و قال في نفسه أ ربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب و أنس بصوت أبي بكر الصديق تلي عليه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق فلما فرغ من الصلاة مثل قوله سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ مع أنه لا يشغله شأن عن شأن و لكن لخلقه أصناف العالم أزمان مخصوصة و أمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها و لا مكانها لما سبق في علمه و مشيئته في ذلك فأوحى الله إليه في تلك الوقفة ما أوحى ثم أمر بالدخول فدخل فرأى عين ما علم لا غير و ما تغيرت عليه صورة اعتقاده ثم فرض عليه في جملة ما أوحى به إليه خمسين صلاة في كل يوم و ليلة فنزل حتى وصل إلى موسى ع فسأله موسى عما قيل له و ما فرض عليه فأجابه و قال إن الله فرض على أمتي خمسين صلاة في كل يوم و ليلة فقال له يا محمد قد تقدمت إلى هذا الأمر قبلك و عرفته ذوقا و تعبت مع أمتي فيه و أني أنصحك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجع ربك و سله التخفيف فراجع ربه فترك له عشرا فأخبر موسى بما ترك له ربه فقال له موسى راجع ربك

فراجعه فترك له عشرا فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فترك له عشرا فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فترك له عشرا فأخبر موسى فقال له راجع ربك فراجعه فقال له ربه هي خمس و هي خمسون ما يبدل القول لدي فأخبر موسى فقال راجع ربك فقال إني أستحي من ربي و قد قال لي كذا و كذا ثم ودعه و انصرف و نزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر فنزل بالحجر فطاف و مشى إلى بيته فلما أصبح ذكر ذلك للناس فالمؤمن به صدقه و غير المؤمن به كذبه و الشاك ارتاب فيه ثم أخبرهم بحديث القافلة و بالشخص الذي كان يتوضأ و إذا بالقافلة قد وصلت كما قال فسألوا الشخص فأخبرهم بقلب القدح كما أخبرهم رسول اللهص و سأله من حضر من المكذبين ممن رأى بيت المقدس أن يصفه لهم و لم يكن رأى منه ص إلا قدر ما مشى فيه و حيث صلى فرفعه الله له حتى نظر إليه فأخذ ينعته للحاضرين فما أنكروا من نعته شيئا و لو كان الإسراء بروحه و تكون رؤيا رآها كما يراه النائم في نومه ما أنكره أحد و لا نازعه و إنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه في هذه المواطن كلها و له ص أربعة و ثلاثون مرة الذي أسرى به منها إسراء واحد بجسمه و الباقي بروحه رؤيا رآها و أما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني و لهم الإسراء في الأرضو في الهواء غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء و بهذا زاد على الجماعة رسول اللهص بإسراء الجسم و اختراق السموات و الأفلاك حسا و قطع مسافات حقيقية محسوسة و ذلك كله لورثته معنى لا حسا من السموات فما فوقها فلنذكر من إسراء أهل الله ما أشهدني الله خاصة من ذلك فإن إسراءاتهم تختلف لأنها معان متجسدة بخلاف الإسراء المحسوس فمعارج الأولياء معارج أرواح و رؤية قلوب و صور برزخيات و معان متجسدات فمما شهدته من ذلك و قد ذكرناه في كتابنا المسمى بالإسراء و ترتيب الرحلة

أ لم تر أن الله أَسْرى بِعَبْدِهِ من الحرم الأدنى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
إلى أن علا السبع السموات قاصدا إلى بيته المعمور بالملإ الأعلى
إلى السدرة العليا و كرسيه الأحمى إلى عرشه الأسنى إلى المستوي الأزهى
إلى سبحات الوجه حين تقشعت سحاب العمي عن عين مقلته النجلا
و كان تدليه على الأمر إذ دنى من الله قربا قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى
و كانت عيون الكون عنه بمعزل تلاحظ ما يسقيه بالمورد الأحلى
فخاطبه بالأنس صوت عتيقة توقف فرب العرش سبحانه صلى
فأزعجه ذاك الخطاب و قال هل يصلي إلهي ما سمعت به يتلى

و أوحى إليه في الغيوب الذي أوحى و شال حجاب العلم عن عين قلبه
و أيده الرحمن بالعروة الوثقى فعاين ما لا يقدر الخلق قدره
فأكرمه الرحمن بالمنظر الأجلى و ألفاه تواقا إلى وجه ربه
بغار حراء قبل ذلك في المجلى و من قبل ذا قد كان أشهد قلبه

فإذا أراد الله تعالى أن يسرى بأرواح من شاء من ورثة رسله و أوليائه لأجل أن يريهم من آياته فهو إسراء لزيادة علم و فتح عين فهم فيختلف مسراهم فمنهم من أسرى به فيه فهذا الإسراء فيه حل تركيبهم فيوقفهم بهذا الإسراء على ما يناسبهم من كل عالم بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب و البسيط فيترك مع كل عالم من ذاته ما يناسبه و صورة تركه معه أن يرسل الله بينه و بين ما ترك منه مع ذلك الصنف من العالم حجابا فلا يشهده و يبقى له شهود ما بقي حتى يبقى بالسر الإلهي الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه فإذا بقي وحده رفع عنه حجاب الستر فيبقى معه تعالى كما بقي كل شيء منه مع مناسبه فيبقى العبد في هذا الإسراء هو لا هو فإذا بقي هو لا هو أسرى به من حيث هو لا من حيث لا هو إسراء معنويا لطيفا فيه لأنه في الأصل على صورة العالم و صورته على صورته تعالى فكله على صورته من حيث هو تعالى فإن العالم على صورة الحق و الإنسان على صورة العالم فالإنسان على صورة الحق فإن المساوي لأحد المتساويين مساو لكل واحد من المتساويين فإنه إذا كان كل ألف با و كل با جيم فكل ألف جيم فلينظر جيم من حيث هو ألف لا من حيث هو با كذلك ينظر الإنسان نفسه من حيث هو على صورة الحق لا من حيث هو على صورة العالم و إن كان العالم على صورة الحق و لما كان الترتيب على ما وقع عليه الوجود لتاخر النشأة الجسمية الإنسانية عن العالم فكانت آخرا فظهرت في نشأتها على صورة العالم و ما كان العالم على الكمال في صورة الحق حتى وجد الإنسان فيه فبه كمل العالم فهو الأول بالمرتبة و الآخر بالوجود فالإنسان من حيث رتبته أقدم من حيث جسميته فالعالم بالإنسان على صورة الحق و الإنسان دون العالم على صورة الحق و العالم دون الإنسان ليس على الكمال في صورة الحق و لا يقال في الشيء إنه على صورة كذا حتى يكون هو من كل وجوهه إلا الذي لا يمكن أن يقال فيه هو كما قلنا في جيم إنه ألف لكونه با و الباء ألف و لكن قد تميز عين كل واحد بأمر ليس هو عين الآخر و هو كون الألف ألف و الباء باء و الجيم جيم كذلك الحق حق و الإنسان إنسان و العالم عالم و قد بان ذلك بالتساوي فإنه إن لم تكن ثم حقيقة يقع بها تميز الأعيان لم يصح أن تقول كذا مساو لكذا بل تقول عين كذا بلا تجوز فإني قد أشرت إلى أمرين فقد وقع التمييز فلا بد من فصل يعقل لو لا ذلك الفصل ما كانت كثرة في عين الواحد فلم يبق للواحد سوى أحديته التي يقال بها لا هو عين الآخر و بالذي يقال به هو عين الآخر هو أحدية الكثرة فإنه كثرة بإطلاق ألف با جيم عليه ثم قال في إقامة البرهان كل هذا هو هذا فأشار فكثر و أعاد الضمير فوحد فوصل و فصل فالفصل في عين الوصل لمن عقل فإذا وقف الغير على ما قدمناه و

علم أنه ما كان على صورة العالم و إنما كان على صورة الحق أسرى به الحق في أسمائه ليريه من آياته فيه فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهي سواء كان ذلك الاسم من المنعوت بالحسن أو لا و بها يظهر الحق في عباده و بها يتلون العبد في حالاته فهي في الحق أسماء و فينا تلوينات و هي عين الشئون التي هو فيها الحق ففينا بنا يتصرف كما نحن به فيه نظهر و لهذا قلنا

و هذا منك يكفيني   دليلي فيك تلويني
الذي إليك يدعوني   فلم أسأل عن الأمر
و ليس الأمر يدريني   فإني لست أدريه
لما ميزت تكويني   فلو يدريني الأمر
سيهديني و يحييني   و لا قلنا و لا قالوا
فأعنيه و يعنيني   وقد قالوا وقد قلنا
و يفنيني و يبقيني   فأفنيه و أبقيه
و أغضبه فيهجوني   فارضيه فيمدحني

فإذا أسرى الحق بالولي في أسمائه الحسنى إلى غير ذلك من الأسماء و كل الأسماء الإلهية علم تقلبات أحواله و أحوال العالم كله و إن ذلك التقلب هو الذي أحدث فينا عين تلك الأسماء كما علمنا أن تقلبات الأحوال أحكام تلك الأسماء فاسم الحال الذي انقلبت منه و الذي انقلبت إليه هو اسمي به أقلب كما به تقلبت فبالرءوف الرحيم كان ص بالمؤمنين رءوفا رحيما و بالمؤمن كان مؤمنا و بالمهيمن كان مهيمنا فجعلنا شهداء بعضنا على بعض و على أنفسنا و بالصبور و الشكور كان ما ابتلي به من الريح لسوق الجواري في البحر آية لِكُلِّ صَبَّارٍ لما فيها من الأمر المفزع الهائل شَكُورٍ لما فيها من الفرح و النعمة بالوصول إلى المطلوب بسرعة و لقد رأيت ذلك ذوقا من نفسي جرينا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب الشمس مسيرة عشرين يوما في موج كالجبال فكيف لو كان البحر فارغا و الريح من ورائنا كنا نقطع أكثر من ذلك و لكن أراد الله أن يرينا آيات كل صبار شكور فما من اسم سمي به نفسه إلا و سمانا به فبها نتقلب في أحوالنا و بها نقلب فمن علم هذه الآيات فقد أسرى الحق به في أسمائه فأراه من آياته ليكون سميعا بصيرا سميعا لما يخبر به الحق من التعريفات باللسان الخاص و هو ما أنزله من كلامه الذي نسبه إليه و باللسان العام و هو ما يتكلم به جميع العالم مما يتكلمون به كان ما كان فإنه قد سمعنا ما حكاه الحق لنا من كلام اليهود فيه و سمعناه من اليهود فسمعناه باللسان العام و الخاص فحكى ما نطقهم به إذ ليس في وسع المخلوق أن ينطق من غير أن ينطق فإذا نطق نطق فافهم فحكى به عنهم بهم عنه فإذا كمل حظه من الإسراء في الأسماء

و علم ما أعطته من الآيات أسماء الله في ذلك الإسراء عاد يركب ذاته تركيبا غير ذلك التركيب الأول لما حصل له من العلم الذي لم يكن عليه حين تحلل فما زال يمر على أصناف العالم و يأخذ من كل عالم ما ترك عنده منه فيتركب في ذاته فلا يزال يظهر في طور طور إلى أن يصل إلى الأرض فيصبح في أهله و ما عرف أحد ما طرأ عليه في سره حتى تكلم فسمعوا منه لسانا غير اللسان الذي كانوا يعرفونه فإذا قال له أحدهم ما هذا يقول له إن الله أسرى بي فأراني من آياته ما شاء فيقول له السامعون ما فقدناك كذبت فيما ادعيت من ذلك و يقول الفقيه منهم هذا رجل يدعي النبوة أو قد دخله خلل في عقله فهو إما زنديق فيجب قتله و إما معتوه فلا خطاب لنا معه فيسخر به قوم و يعتبر به آخرون و يؤمن بقوله آخرون و ترجع مسألة خلاف في العالم و غاب الفقيه عن قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ و لم يخص طائفة من طائفة فمن أراه الله شيئا من هذه الآيات على هذه الطريقة التي ذكرناها فليذكر ما رآه و لا يذكر الطريقة فإنه يصدق و ينظر في كلامه و لا يقع الإنكار عليه إلا إذا ادعى الطريقة و اعلم أنه ليس بين العالم و صاحب هذه الطريقة و الصفة فرق في الإسراء لأنه لرؤية الآيات و تقلبات الأحوال في العالم كله آيات فهم فيها و لا يشعرون فما يزيد هذا الصنف على سائر الخلق المحجوبين إلا بما يلهمه الله في سره من النظر بعقله و بفكره أو من التهيؤ بصقالة مرآة قلبه ليكشف له عن هذه الآيات كشفا و شهودا و ذوقا و وجودا فالعالم ينكرون عين ما هم فيه و عليه و لو لا ذكره الطريقة التي بها نال معرفة هذه الأشياء ما أنكره عليه أحد فالناس كلهم لا أحاشي منهم من أحد يضربون الأمثال لله و قد تواطئوا على ذلك و لا واحد منهم ينكر على الآخر و الله يقول فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ و هم في عماية عن هذه الآية فأما أولياء الله فلا يضربون لله الأمثال فإن الله هو الذي يضرب الأمثال للناس لعلمه بمواقعها لأن الله يعلم و نحن لا نعلم فيشهد الولي ما ضربه الله من الأمثال فيرى في ذلك الشهود عين الجامع الذي بين المثل و بين ما ضرب له ذلك المثل فهو عينه من حيث ذلك الجامع و ما هو عينه من حيث ما هو مثل فالولي لا يضرب لله الأمثال بل هو يعرف ما ضرب الله له الأمثال كقوله تعالى اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ أي صفة نوره كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ بما ضربه لعباده من هذا النور بالمصباح لنوره الممثل به من يشاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهذا مصباح مخصوص ما هو كل مصباح فلا ينبغي أن يقال نور الله كالمصباح من كونه يكشف المصباح كل ما انبسط عليه نوره لصاحب بصر مثل هذا لا يقال فإن الله ما ذكره من شروط هذا المصباح و نعوته و صفاته الممثل به سدى فمثل هذا المصباح هو الذي يضرب به المثل فإن الله يعلم كيف يضرب الأمثال و قد قال إنه ما يضرب الأمثال إلا للناس و نهانا أن نضرب لله الأمثال فإن الله يعلم و نحن لا نعلم فإن ضربنا الأمثال فلننظر فإن كان الله قد ضرب في ذلك مثلا للناس فلنقف عنده و هو الأدب الإلهي و إن لم نجد لله في ذلك مثلا مضروبا فلنضرب عند ذلك مثلا للناس الذين لا يعلمون ذلك إلا بالمثل المضروب و إن أنصفنا فلا نضربه لله فإن الله يعلمه و نتحرى الصواب في

ضرب ذلك المثل إن كنت صاحب فكر و اعتبا ر و إن كنت صاحب كشف و شهود فلا تتحرى فإنك على بينة من ربك فلا تقصد ما أنت فيه بل تبديه كما شهدته مثل ما يحكى ما ضرب الله لنفسه من المثل فهذه حالة أولياء الله في ضرب الأمثال كما قال في اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف رجما بالغيب لأنهم ما شاهدوهم و لذا جاء بفعل الاستقبال فقال سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ الآية ثم قال قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ يعني كم عددهم إِلَّا قَلِيلٌ إما من شاهدهم ممن لا يغلب عليه الوهم و إما من أعلمه الله بعدتهم و قال تعالى ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ من باب الإشارة في الجمع بين الآيتين و لكن كما قال من أنه رابع ثلاثة لا ثالث ثلاثة لأنه لا يقال رابع أربعة إلا في الجنس الواحد و الأمثال فإذا انتفت المثلية لم يقل فيه إنه خامس خمسة إذا كان معهم و إنما يقال فيه خامس أربعة أو سادس خمسة ألا ترى الكلب لما لم يكن من النوع الإنساني قالوا سبعة و ثامنهم كلبهم و لم يقولوا ثمانية ثامنهم كلبهم فافهم تصب إن شاء الله

من أكوانه مثلا فلا تضرب لرب الكون
فجل بذاته و علا فلا أحد يماثله
و كل الناس قد فعلا فلم أضرب له مثلا
وكن في حزب من عقلا فلا تضرب له مثلا

فلما أراد الله أن يسرى بي ليريني من آياته في أسمائه من أسمائي و هو حظ ميراثنا من الإسراء أزالني عن مكاني و عرج بي على براق إمكاني فزج بي في أركاني فلم أر أرضى تصحبني فقيل لي أخذه الوالد الأصلي الذي خلقه الله من تراب فلما فارقت ركن الماء فقدت بعضي فقيل لي إنك مخلوق من ماءٍ مَهِينٍ فأهانته ذلته فلصق بالتراب فلهذا فارقته فنقص مني جزآن فلما جئت ركن الهواء تغيرت على الأهواء و قال لي الهواء ما كان فيك مني فلا يزول عني فإنه لا ينبغي له أن يعدو قدره و لا يمد رجله في غير بساطه فإن لي عليك مطالبة بما غيره مني تعفينك فإنه لولاه ما كنت مسنونا فإني طيب بالذات خبيث بصحبة من جاورني فلما خبثني صحبته و مجاورته قيل فيه حمأ مسنون فعاد خبثه عليه فإنه هو المنعوت و هو الذي غيرني في مشام أهل الشم من أهل الروائح فقلت له و لما ذا أتركه عندك قال حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك و مجاورة طينك و مائك فتركته عنده فلما وصلت إلى ركن النار قيل قد جاء الفخار فقيل و قد بعث إليه قال نعم قيل و من معه قال جبريل الجبر فهو مضطر في رحلته و مفارقة بنيته فقال لي عنده في نشأته جزء مني لا أتركه معه إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها ملكي و اقتداري و نفوذ تصرفي فنفذت إلى السماء الأولى و ما بقيمعي من نشأتي البدنية شيء أعول عليه و لا أنظر إليه فسلمت على والدي و سألني عن تربتي فقلت له إن الأرض أخذت مني جزأها و حينئذ خرجت عنها و عن الماء بطينتي فقال لي يا ولدي هكذا جرى لها مع أبيك فمن طلب حقه فما تعدى و لا

سيما و أنت لها مفارق و لا تعرف هل ترجع إليها أم لا فإنه تعالى يقول إذا شاءَ أَنْشَرَهُ و لا يعلم أحد ما في مشيئة الحق إلا أن يعلمه الحق بذلك فالتفت فإذا أنا بين يديه و عن يمينه من نسم بنيه عيني فقلت له هذا أنا فضحك فقلت له فأنا بين يديك و عن يمينك قال نعم هكذا رأيت نفسي بين يدي الحق حين بسط يده فرأيتني و بنى في اليد و رأيتني بين يديه فقلت له فما كان في اليد الأخرى المقبوضة قال العالم قلت له فيمين الحق تقضي بتعيين السعادة فقال نعم تقضي بالسعادة فقلت له فقد فرق الحق لنا بين أصحاب اليمين و أصحاب الشمال فقال لي يا ولدي ذلك يمين أبيك و شماله ألا ترى نسم بنى على يميني و على شمالي و كلتا يدي ربي يمين مباركة فبنى في يميني و في شمالي و أنا و بنى في يمين الحق و ما سوانا من العالم في اليد الأخرى الإلهية قلت فإذا لا نشقى فقال لو دام الغضب لدام الشقاء فالسعادة دائمة و إن اختلف المسكن فإن الله جاعل في كل دار ما يكون به نعيم أهل تلك الدار فلا بد من عمارة الدارين و قد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر و أمر بإقامة الحدود فأقيمت و إذا أقيمت زال الغضب فإن الرسالة تزيله فهو عين إقامة الحدود على المغضوب عليه فلم يبق إلا الرضاء و هو الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فإذا انتهت الحدود صار الحكم للرحمة العامة في العموم فأفادني أبي آدم هذا العلم و لم أكن به خبيرا فكان لي ذلك بشرى معجلة إلهية في الحياة الدنيا و تنتهي القيامة بالزمان كما قال الله خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ و هذه مدة إقامة الحدود و يرجع الحكم بعد انقضاء هذه المدة إلى الرحمن الرحيم و للرحمن الأسماء الحسنى و هي حسنى لمن تتوجه عليه بالحكم فالرحيم برحمته ينتقم من الغضب و هو شديد البطش به مذل له مانع بحقيقته فيبقى الحكم في تعارض الأسماء بالنسب و الخلق بالرحمة مغمورون فلا يزال حكم الأسماء في تعارضها لا فينا فافهم فإنه علم غريب دقيق لا يشعر به بل الناس في عماية عنه و ما منهم إلا من لو قلت له ترضى لنفسك أن يحكم عليك ما يسوءك من هذه الأسماء لقال لا و يجعل حكم ذلك الاسم الذي يسوء في حق غيره فهذا من أجهل الناس بالخلق و هو بالحق أجهل فأفاد هذا الشهود بقاء أحكام الأسماء في الأسماء لا فينا و هي نسب تتضاد بحقائقها فلا تجتمع أبدا و يبسط الله رحمته على عباده حيث كانوا فالوجود كله رحمة ثم رحلت عنه بعد ما دعا لي فنزلت بعيسى ع في السماء الثانية فوجدت عنده ابن خالته يحيى ع فكانت الحياة الحيوانية و لو كان يحيى بن خالته لكان روحا و لما كانت الحياة الحيوانية ملازمة للروح وجدت يحيى عند روح الله عيسى لأن الروح حي بلا شك و ما كل حي روح فسلمت عليهما فقلت له بما ذا زدت علينا حتى سماك الله بالروح المضاف إلى الله فقال ألم تر إلى من وهبني لأمي ففهمت ما قال فقال لي لو لا هذا ما أحييت الموتى فقلت له فقد رأينا من أحيا الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتك فقال ما أحيا الموتى من أحياهم إلا بقدر ما ورثه عني فلم يقم في ذلك مقامي كما لم أقم أنا مقام من وهبني في إحياء الموتى فإن الذي وهبني يعني جبريل ما يطأ موضعا إلا حيي ذلك الموضع بوطأته و أنا ليس كذلك بل حظنا أن نقيم الصور بالوطء خاصة و الروح الكل يتولى أرواح تلك الصور و ما يطؤه الروح الذي وهبني هو يعطي الحياة في صورة ما أظهره الوطء فاعلم ذلك ثم رددت وجهي إلى يحيى ع و قلت له أخبرت إنك تذبح الموت إذا أتى الله به يوم القيامة فيوضع

بين الجنة و النا ر ليراه هؤلاء و هؤلاء و يعرفون أنه الموت في صورة كبش أملح قال نعم و لا ينبغي ذلك إلا لي فإني يحيى و إن ضدي لا يبقى معي و هي دا ر الحيوان فلا بد من إزالة الموت فلا مزيل له سواى فقلت له صدقت فيما أشرت إلي به و لكن في العالم يحيى كثير فقال لي و لكن لي مرتبة الأولية في هذا الاسم فبي يحيى كل من يحيى من الناس من تقدم و من تأخر و إن الله ما جعل لي من قبل سميا فكل يحيى تبع لي فبظهوري لا حكم لهم فنبهني على شيء لم يكن عندي فقلت جزاك الله عني خيرا من صاحب موروث و قلت الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة أعني روح الله عيسى و يحيى ع حتى أسألكما عن مسألة واحدة فيقع الجواب بحضور كل واحد منكما فإنكما خصصتما بسلام الحق فقيل في عيسى إنه قال في المهد وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا و قيل في يحيى وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا فأخبر عيسى عن نفسه بسلام الحق عليه و الحق أخبر بسلامه على يحيى فأي مقام أتم فقال لي أ لست من أهل القرآن قلت له بلى أنا من أهل القرآن فقال انظر فيما جمع الحق بيني و بين ابن خالتي أ ليس قد قال الله في وَنَبِيًّا من الصَّالِحِينَ فعينني في النكرة فقلت له نعم قال أ لم يقل في عيسى ابن خالتي إِنَّهُ من الصَّالِحِينَ كما قال عني فعينه في النكرة ثم قال إن عيسى هذا لما كان كلامه في المهد دلالة على براءة خالتي مما نسب إليها لم يترجم عن الله إلا هو بنفسه فقال وَ السَّلامُ عَلَيَّ يعني من الله قلت له صدقت قلت و لكن سلم بالتعريف و سلام الحق عليك بالتنكير و التنكير أعم فقيل لي ما هو تعريف عين بل هو تعريف جنس فلا فرق بينه بالألف و اللام و بين عدمهما فإنا و إياه في السلام على السواء و في الصلاح كذلك و جاء الصلاح لنا بالبشرى في و في عيسى بالملائكة فقلت له أفدتني أفادك الله فقلت له فلم كنت حصورا فقال ذلك من أثر همة والدي في استفراغه في مريم البتول و البتول المنقطعة عن الرجال لما دخل عليها المحراب و رأى حالها فأعجبه فدعا الله أن يرزقه ولدا مثلها فخرجت حصورا منقطعا عن النساء فما هي صفة كمال و إنما كانت أثر همة فإن في الإنتاج عين الكمال قلت له فنكاح الجنة ما فيه نتاج فقال لا تقل بل هو نتاج و لا بد و ولادته نفس تخرج من الزوجة عند الفراغ من الجماع فإن الإنزال ريح كما هو في الدنيا ماء فيخرج ذلك الريح بصورة ما وقع عليه الاجتماع بين الزوجين فمنا من يشهد ذلك و منا من لا يشهده كما هو الأمر عليه في الدنيا عالم غيب لمن غاب عنه و عالم شهادة في حق من شهده قلت له أفدتني أفادك الله من نعمه العلم به ثم قلت له هذه سماؤك قال لي لا أنا متردد بين عيسى و ها رون أكون عند هذا و عند هذا و كذلك عند يوسف و إدريس ع فقلت له فلما ذا خصصت ها رون دون غيره من الأنبياء فقال لي لحرمة النسب ما جئت لعيسى إلا لكونه ابن خالتي فأزوره في سمائه و آتي إلى ها رون لكون خالتي أختا له دينا و نسبا قلت فما هو أخوها لأن بينهما زمانا طويلا و عالما فقال لي قوله وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً ما هذه الأخوة أ ترى هو أخو ثمود لأبيه و أمه فهو أخوهم فسمى القبيلة باسم ثمود و كان صالح من نسل ثمود فهو أخوهم بلا شك ثم جاء بعد ذلك بالدين أ لا ترى أصحاب الأيكة لما لم يكونوا من مدين و كان شعيب من مدين فقال في شعيب أخو مدين وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً و لما جاء ذكر أصحاب الأيكة قال إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ و لم يقل

أخاهم لأنهم ليسوا من مدين و شعيب من مدين فزيا رتي لهما صلة رحم و أنا لعيسى أقرب مني لها رون ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف ع فقلت له بعد أن سلمت عليه فرد و سهل بي و رحب يا يوسف لم تجب الداعي حين دعاك و رسول الله ص يقول عن نفسه إنه لو ابتلي بمثل ما ابتليت به و دعي لأجاب الداعي و لم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقول النسوة فقال لي بين الذوق و الفرض ما بين السماء و الأرض كثير بين أن تفرض الأمر أو تذوقه من نفسك لو نسب إليه ص ما نسب إلي لطلب صحة البراءة في غيبته فإنها أدل على براءته من حضوره و لما كان رحمة كان من عالم السعة و السجن ضيق فإذا جاء لمن حاله هذا سارع إلى الانفراج و هذا فرض فالكلام مع التقدير المفروض ما هو مثل الكلام مع الذائق أ لا تراه ص ما ذكر ذلك إلا في معرض نسبة الكمال إلي فيما تحملته من الفرية علي فقال ذلك أدبا معي لكونى أكبر منه بالزمان كما قال في إبراهيم نحن أحق بالشك من إبراهيم فيما شك فيه إبراهيم و كما قال في لوط يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ أ تراه أكذبه حاشى لله فإن الركن الشديد الذي أراده لوط هو القبيلة و الركن الشديد الذي ذكره رسول الله ص هو الله فهذا تنبيه لك أن لا تجري نفسك فيما لا ذوق لك فيه مجرى من ذاق فلا تقل لو كنت أنا عوض فلان لما قيل له كذا و قال كذا ما كنت أقوله لا و الله بل لو نالك ما ناله لقلت ما قاله فإن الحال الأقوى حاكم على الحال الأضعف و قد اجتمع في يوسف و هو رسول الله حالان حال السجن و حال كونه مفترى عليه و الرسول يطلب أن يقرر في نفس المرسل إليه ما يقبل به دعاء ربه فيما يدعوه به إليه و الذي نسب إليه معلوم عند كل أحد إنه لا يقع من مثل من جاء بدعوته إليهم فلا بد أن يطلب البراءة من ذلك عندهم ليؤمنوا بما جاء به من عند ربه و لم يحضر بنفسه ذلك المجلس حتى لا تدخل الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره و فرق كبير بين من يحضر في مثل هذا الموطن و بين من لا يحضر فإذا كانت المرأة لم تخن يوسف في غيبته لما برأته و أضافت المراودة لنفسها لتعلم أن يوسف لم يخن العزيز في أهله و علمت أنه أحق بهذا الوصف منها في حقه فما برأت نفسها بل قالت إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ فمن فتوة يوسف ع إقامته في السجن بعد أن دعاه الملك إليه و ما علم قدر ذلك إلا رسول الله ص حيث قال عن نفسه لأجبت الداعي ثناء على يوسف فقلت له فالاشتراك في إخبار الله عنك إذ قال وَلَقَدْ هَمَّتْ به وَهَمَّ بِها و لم يعين فيما ذا يدل في اللسان على أحدية المعنى فقال و لهذا قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل عن النسوة و شأن الأمر فما ذكرت المرأة إلا أنها راودته عن نفسه و ما ذكرت أنه راودها فزال ما كان يتوهم من ذلك و لما لم يسم الله في التعبير عن ذلك أمرا و لا عين في ذلك حالا فقلت له لا بد من الاشتراك في اللسان قال صدقت فإنها همت بي لتقهرني على ما تريده مني و هممت أنا بها لأقهرها في الدفع عن ذلك فالاشتراك وقع في طلب القهر مني و منها فلهذا قال وَلَقَدْ هَمَّتْ به يعني في عين ما هم بها و ليس إلا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قولها الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ و ما جاء في السورة قط إنه راودها عن نفسها فأراه الله البرهان عند إرادته القهر في دفعها عنه فيما تريده منه فكان البرهان الذي رآه أن يدفع عن نفسه بالقول اللين كما قال لموسى و هارون فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً أي لا

تعنف عليها و تسبها فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال فقلت له أفدتني أفادك الله ثم ودعته و انصرفت إلى إدريس ع فسلمت عليه فرد و سهل و رحب و قال أهلا بالوارث المحمدي فقلت له كيف أبهم عليك الأمر على ما وصل إلينا فما علمت أمر الطوفان بحيث لا تشك فيه و النبي واقف مع ما يوحى به إليه فقال وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فهذا مما أوحى به إلي قلت له وصلني عنك إنك تقول بالخرق فقال فلو لا الخرق ما رفعت مكانا عليا فقلت فأين مكانتك من مكانك فقال الظاهر عنوان الباطن قلت بلغني أنك ما طلبت من قومك إلا التوحيد لا غير قال و ما فعلوا فإني كنت نبيا أدعو إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد فإن التوحيد ما أنكره أحد قلت هذا غريب ثم قلت يا واضع الحكم الاجتهاد في الفروع مشروع عندنا و أنا لسان علماء الزمان قال و في الأصول مشروع فإن الله أجل أن يكلف نفسا إلا وسعها قلت فلقد كثر الاختلاف في الحق و المقالات فيه قال لا يكون إلا كذلك فإن الأمر تابع للمزاج قلت فرأيتكم معاشر الأنبياء ما اختلفتم فيه فقال لأنا ما قلناه عن نظر و إنما قلناه عن إل واحد فمن علم الحقائق علم إن اتفاق الأنبياء أجمعهم على قول واحد في الله بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر قلت فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم فإن أدلة العقول تحيل أمورا مما جئتم به في ذلك فقال الأمر كما قيل لنا وكما قال من قال فيه فإن الله عند قول كل قائل و لهذا ما دعونا الناس إلا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد و من تكلم في الحق من نظره ما تكلم في محظور فإن الذي شرع لعباده توحيد المرتبة و ما ثم إلا من قال بها قلت فالمشركون قال ما أخذوا إلا بالوضع فمن حيث كذبوا في أوضاعهم و اتخذوها قربة و لم ينزلوها منزلة صاحب تلك الرتبة الأحدية قلت فإني رأيت في واقعتي شخصا بالطواف أخبرني أنه من أجدادي و سمي لي نفسه فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التأريخ لمدته فقال لي عن أي آدم تسأل عن آدم الأقرب فقال صدق إني نبي الله و لا أعلم للعالم مدة نقف عندها بجملتها إلا أنه بالجملة لم يزل خالقا و لا يزال دنيا و آخرة و الآجال في المخلوق بانتهاء المدد لا في الخلق فالخلق مع الأنفاس يتجدد فما أعلمناه علمناه و لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ فقلت له فما بقي لظهور الساعة فقال اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ قلت فعرفني بشرط من شروط اقترابها فقال وجود آدم من شروط الساعة قلت فهل كان قبل الدنيا دار غيرها قال دار الوجود واحدة و الدار ما كانت دنيا إلا بكم و الآخرة ما تميزت عنها إلا بكم و إنما الأمر في الأجسام أكوان و استحالات و إتيان و ذهاب لم يزل و لا تزال قلت ما ثم قال ما ندري و ما لا ندري قلت فأين الخطاء من الصواب قال الخطاء أمر إضافي و الصواب هو الأصل فمن عرف الله و عرف العالم عرف أن الصواب هو الأصل المستصحب الذي لا يزال و أن الخطاء بتقابل النظرين و لا بد من التقابل فلا بد من الخطاء فمن قال بالخطإ قال بالصواب و من قال بعدم الخطاء قال صوابا و جعل الخطاء من الصواب قلت من أي صفة صدر العالم قال من الجود قلت هكذا سمعت بعض الشيوخ يقول قال صحيح ما قال قلت و إلى ما ذا يكون المال بعد انتقالنا من يوم العرض قال رحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ قلت أي شيء قال الشيئيتان فالباقي أبقاه برحمته و الذي أوجده أوجده برحمته ثم قال محال

العوارض ثابتة في وجودها و العوارض تتبدل عليها بالأمثال و الأضداد قلت ما الأمر الأعظم قال العالم به أعظم ثم ودعته و انصرفت فنزلت بها رونع فوجدت يحيى قد سبقني إليه فقلت له ما رأيتك في طريقي فهل ثم طريق أخرى فقال لكل شخص طريق لا يسلك عليها إلا هو قلت فأين هي هذه الطرق فقال تحدث بحدوث السلوك فسلمت على ها رونع فرد و سهل و رحب و قال مرحبا بالوارث المكمل قلت أنت خليفة الخليفة مع كونك رسولا نبيا فقال أما أنا فنبي بحكم الأصل و ما أخذت الرسالة إلا بسؤال أخي فكان يوحى إلي بما كنت عليه قلت يا ها رون إن ناسا من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم فلا يرون إلا الله و لا يبقى للعالم عندهم ما يلتفتون به إليه في جنب الله و لا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم و أخبرنا الحق إنك قلت لأخيك في وقت غضبه لا تشمت بي الأعداء فجعلت لهم قدرا و هذا حال يخالف حال أولئك العارفين فقال صدقوا فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم و لكن انظر هل زال من العالم ما زال عندهم قلت لا قال فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم فعندهم عدم العالم فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم فإن العالم كله هو عين تجلى الحق لمن عرف الحق فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ بما هو الأمر عليه

فمن فاته ليس بالكامل　فليس الكمال سوى كونه
وحوصل من السنبل الحاصل　فيا قائلا بالفناء اتئد
و لا تبع النقد بالآجل　و لا تركنن إلى فائت
و لا تمزج الحق بالباطل　و لا تتبع النفس أغراضها

ثم ودعته و نزلت بموسى ع فسلمت عليه فرد و سهل و رحب فشكرته على ما صنع في حقنا مما اتفق بينه و بين نبينا محمد ص في المراجعة في حديث فرض الصلوات فقال لي هذه فائدة علم الذوق فللمباشرة حال لا يدرك إلا بها قلت ما زلت تسعى في حق الغير حتى صح لك الخير كله قال سعى الإنسان في حق الغير إنما يسعى لنفسه في نفس الأمر فما يزيده ذلك إلا شكر الغير و الشاكر ذاكر لله بأحب المحامد لله و للساعي منطقة بتلك المحامد فالساعي ذاكر لله بلسانه و لسان غيره قال الله تعالى لموسى ع يا موسى اذكرني بلسان لم تعصني به فأمره أن يذكره بلسان الغير فأمره بالإحسان و الكرم ثم قلت له إن الله اصطفاك على الناس برسالته و بكلامه و أنت سألت الرؤية و رسول الله ص يقول إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت فقال و كذلك كان لما سألته الرؤية أجابني فخررت صعقا فرأيته تعالى في صعقتي قلت موتا قال موتا قلت فإن رسول الله ص شك في أمرك إذا وجدك في يوم البعث فلا يدري أ جوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق فإن نفخة الصعق ما تعم فقال صدقت كذلك كان جازاني الله بصعقة الطور فما رأيته تعالى حتى مت ثم أفقت فعلمت من رأيت و لذلك قلت تُبْتُ إِلَيْكَ فإني ما رجعت إلا إليه فقلت أنت من جملة العلماء

بالله فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إياها فقال واجبة وجوبا عقليا قلت فيما ذا اختصصت به دون غيرك قال كنت أراه و ما كنت أعلم أنه هو فلما اختلف على الموطن و رأيته علمت من رأيت فلما أفقت ما انحجبت و استصحبتني رؤيته إلى أبد الأبد فهذا الفرق بيننا و بين المحجوبين عن علمهم بما يرونه فإذا ماتوا رأوا الحق فميزه لهم الموطن فلو ردوا لقالوا مثل ما قلنا قلت فلو كان الموت موطن رؤيته لرآه كل ميت و قد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته قال نعم هم المحجوبون عن العلم به إنه هو و إذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه و أنت طالب له من اسمه و حاجتك إليه فلقيته و سلمت عليه و سلم عليك في جملة من لقيت و لم يتعرف إليك فقد رأيته و ما رأيته فلا تزال طالبا له و هو بحيث تراه فلا معول إلا على العلم و لهذا قلنا في العلم إنه عين ذاته إذ لو لم يكن عين ذاته لكان المعول عليه غير إله و لا معول إلا على العلم قلت إن الله دلك على الجبل و ذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل فقال لا يثبت شيء لتجليه فلا بد من تغير الحال فكان الدك للجبل كالصعق لموسى يقول موسى فالذي دكه أصعقني قلت له إن الله تولى تعليمي فعلمت منه على قدر ما أعطاني فقال هكذا فعله مع العلماء به فخذ منه لا من الكون فإنك لن تأخذ إلا على قدر استعدادك فلا يحجبنك عنه بأمثالنا فإنك لن تعلم منه من جهتنا إلا ما نعلم منه من تجليه فإنا لا نعطيك منه إلا على قدر استعدادك فلا فرق فانتسب إليه فإنه ما أرسلنا إلا لندعوكم إليه لا لندعوكم إلينا فهي كلمة سَوَاءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَ لا نُشْرِكَ به شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً من دُونِ الله قلت كذا جاء في القرآن قال و كذلك هو قلت بما ذا سمعت كلام الله قال بسمعي قلت و ما سمعك قال هو قلت فبما ذا اختصصت قال بذوق في ذلك لا يعلمه إلا صاحبه قلت له فكذلك أصحاب الأذواق قال نعم و الأذواق على قدر المراتب ثم ودعته و انصرفت فنزلت بإبراهيم الخليل ع فسلمت عليه فرد و سهل و رحب فقلت يا أبت لم قلت بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ قال لأنهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها قلت فأشارتك بقولك هذا قال أنت تعلمها قلت إني أعلم أنها إشارة ابتداء و خبره محذوف يدل عليه قولك بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إقامة الحجة عليهم منهم فقال ما زدت على ما كان عليه الأمر قلت فما قولك في الأنوار الثلاثة أكان عن اعتقاد قال لا بل عن تعريف لإقامة الحجة على القوم ألا ترى إلى ما قال الحق في ذلك وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ و ما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمروذ بن كنعان لم تكن تلك الأنوار آلهتهم و لا كان نمروذ إلها عندهم لهم و إنما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا إليه و لذلك لما قال إبراهيم رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ لم يجرأ نمروذ أن ينسب الأحياء و الإماتة لآلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ فعدل إلى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون و لما علم إبراهيم قصور أفهام الحاضرين عما جاء به لو فصله و طال المجلس فعدل إلى الأقرب في أفهامهم فذكر حديث إتيان الله بالشمس من المشرق و طلبه أن يأتي بها من المغرب فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ فقلت له هذا إعجاز من الله كونه بهت فيما له فيه مقال و إن كان فاسدا لأنه لو قاله قيل له قد كانت الشمس طالعة من المشرق و أنت لم تكن و أكذبه من تقدمه بالسن على البديهة فقال و ما المقال قلت يقول ما

نفعل الأمر بحكمك و لا تبطل الحكمة لأجلك قال صدقت فكان بهته إعجازا من الله سبحانه حتى علم الحاضرون أن إبراهيم ع على الحق و لم يكن لنمرود أن يدعي الألوهة ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبي و إذا بالملائكة التي تدخله كل يوم تجلى الحق له سبحانه الذي وسعه في سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة فهو يتجلى فيها لقلب عبده لو تجلى دونها لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد فلما فارقته جئت سدرة المنتهى فوقفت بين فروعها الدنيا و القصوى و قد غشيتها أنوار الأعمال و صدحت في ذري أفنانها طيور أرواح العاملين و هي على نشأة الإنسان و أما الأنهار الأربعة فعلوم الوهب الإلهي الأربعة التي ذكرناها في جزء لنا سميناه مراتب علوم الوهب ثم عاينت متكآت رفارف العارفين فغشيتني الأنوار حتى صرت كلي نورا و خلع علي خلعة ما رأيت مثلها فقلت إلهي الآيات شتات فأنزل علي عند هذا القول قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فأعطاني في هذه الآية كل الآيات و قرب علي الأمر و جعلها لي مفتاح كل علم فعلمت أني مجموع من ذكر لي و كانت لي بذلك البشرى بأني محمدي المقام من ورثة جمعية محمد ص فإنه آخر مرسل و آخر من إليه تنزل آتاه الله جوامع الكلم و خص بست لم يخص بها رسول أمة من الأمم فعم برسالته لعموم ست جهاته فمن أي جهة جئت لم تجد إلا نور محمد ينفق عليك فما أخذ أحد إلا منه و لا أخبر رسول إلا عنه فعند ما حصل لي ذلك قلت حسبي حسبي قد ملأ أركاني فما وسعني مكاني و أزال عني به إمكاني فحصلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها فرأيتها ترجع إلى مسمى واحد و عين واحدة فكان ذلك المسمى مشهودي و تلك العين وجودي فما كانت رحلتي إلا في و دلالتي إلا علي و من هنا علمت أني عبد محض ما في من الربوبية شيء أصلا و فتحت خزائن هذا المنزل فرأيت فيها من العلوم علم أحدية عبودة التشريف و لم أكن رأيته قبل ذلك و إنما كنت رأيت جمعية العبودية و رأيت علم الغيب بعين الشهادة و أين منقطع الغيب من العالم و يرجع الكل في حق العبد شهادة و أعني بالغيب غيب الوجود أي ما هو في الوجود و هو مغيب عن بعض الأبصار و البصائر و أما غيب ما ليس بموجود فمفتاح ذلك الغيب لا يعلمه إلا هو تعالى و رأيت فيه علم القرب و البعد ممن و عمن و رأيت فيه علم خزائن مزيد العلوم و تنزلها على قلوب العارفين و بمن تحق و من يقسمها على القلوب و ما ينزل منها عن سؤال و عن غير سؤال فإذا سأل الإنسان مزيد العلم فليسأل كما أمر الله تعالى نبيه أن يسأل إذ قال له وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فنكر و لم يعين فعم فأي علم نزل عليه دخل تحت هذا السؤال فإن النزول عن سؤال أعظم لذة من النزول عن غير سؤال فإن في ذلك إدراك البغية و ذلة الافتقار و إعطاء الربوبية حقها و العبودة حقها فإن العبد مأمور ان يعطي كل شيء حقه كما أعطى الله كل شيء خلقه و في العلم المنزل عن السؤال من علو المنزلة ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله و رأيت علم حصر الآيات في السمع و البصر فأما شهود و إما خبر و رأيت التوراة و علم اختصاصها بما كتبها الله بيده و تعجبت من ذلك كيف كتبها بيده و لم يحفظها من التبديل و التحريف الذي حرفه اليهود أصحاب موسى فلما

تعجبت من ذلك قيل لي في سرى اسمع الخطاب بل أرى المتكلم و أشهده في اتساع رحمة أنا فيها واقف و قد أحاطت بي فقال لي أعجب من ذلك إن خلق آدم بيديه و ما حفظه من المعصية و لا من النسيان و أين رتبة اليد من اليدين فمن هذا فأعجب و ما توجهت اليدان إلا على طينته و طبيعته و ما جاءته الوسوسة إلا من جهة طبيعته لأن الشيطان وسوس إليه و هو مخلوق من جزء ما خلق منه آدم فما نسي و لا قبل الوسوسة إلا من طبيعته و على طبيعته توجهت اليدان ثم مع هذا فما حفظه مما حمله في طينته من عصاة بنيه فلا تعجب لتغيير اليهود التوراة فإن التوراة ما تغيرت في نفسها و إنما كتابتهم إياها و تلفظهم بها لحقه التغيير فنسب مثل ذلك إلى كلام الله فقال يُحَرِّفُونَهُ من بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أن كلام الله معقول عندهم و أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في صدورهم عندهم و في مصحفهم المنزل عليهم فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل و أبقوا الأصل على ما هو عليه ليبقى لهم العلم و لعلمائهم و آدم مع اليدين عصى بنفسه و لم يحفظ حفظ كلام الله فهذا أعجب و إنما عصم كلام الله لأنه حكم و الحكم معصوم و محله العلماء به فما هو عند العلماء محرف و هم يحرفونه لأتباعهم و آدم ما هو حكم الله فلا يلزمه العصمة في نفسه و تلزمه العصمة فيما ينقله عن ربه من الحكم إذا كان رسولا هو و جميع الرسل و هذا علم شريف فإن الله ما جعل في العالم هدى لا يصح أن يعود عمى فإنه أبان لمن أوصله إليه فما اتصف بالعمى إلا من لم يصل إليه الهدى من ربه و من قيل له هذا هدى لا يقال إنه وصل إليه حتى يكون هو الذي أنزل عليه الهدى و حصل له العلم بذلك فإن هذا لا يكون عنده عمى أبدا فما استحب العمى على الهدى إلا من هو مقلد في الأمرين لأبناء جنسه فالعمى يوافق طبعه و الهدى يخالف طبعه فلذلك يؤثره عليه فرأيت فيها علم من اتأد و على الله اعتمد و هذا هو التوكل الخامس و هو قوله تعالى في سورة المزمل فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا و رأيت فيها علم ما ينال بالورث و علم ما ينال بالكسب و رأيت فيها علم الفرق بين شكر المكلف و شكر العبد و رأيت فيها علم تنوع الأحكام لتنوع الأزمان فإنه من المحال أن يقع شيء في العالم إلا بترتيب زماني و تقدم و تأخر و مفاضلة لأن الله أشهدني أسماءه فرأيتها تتفاضل لاشتراكها في أمور و تميزها في أمور مع الاشتراك و كل اسم لا يقع فيه اشتراك مع اسم لا مفاضلة بين ذاتك الاسمين فاعلم ذلك فإنه علم عزيز و رأيت فيها علم تسليط العالم بعضه على بعض و ما سببه فرأيته من حكم الأسماء الإلهية في طلبها ظهورها و ولايتها و ما هي عليها من الغيرة و رأيتها تستعين بالمشارك لها من الأسماء فهي المعانة المعينة و لذلك خرج الخلق على صورتها فمنها المعان و المعين و لما وقع الأمر هكذا خاطبهم بحكم التعاون فقال وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى فيكون ما فطروا عليه عباده فإنهم قد يتعاونون بتلك الحقيقة عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ و رأيت علم الجبر فرأيته آخر ما تنتهي إليه المعاذر و هو سبب مال الخلق إلى الرحمة فإن الله يعذر خلقه بذلك فيما كان منهم فإنهم لا يبقى منهم إلا التضرع الطبيعي و لو لا إن نشء الآخرة مثل نشء الدنيا ذو جسم طبيعي و روح ما صح من الشقي طلب و لا تضرع إذ لو لم يكن هناك أمر طبيعي لم يكن للنفس إذا جهلت من ينبهها على جهلها لعدم إحساسها إذ لا حس لها إلا بالجزء الطبيعي الذي هو الجسد المركب و بالجهل شقاؤها فكانت

النفس بعد المفارقة إذا فارقت و هي على جهالة كان شقاؤها جهلها و لا تزال فيه أبدا فمن رحمة الله بها إن جعل لها هذا المركب الطبيعي في الدنيا و الآخرة و ما كل أحد يعلم حكمة هذا المركب الذي لا يخلو حيوان عنه و رأيت علم الرجعة و هو علم البعث و حشر الأجساد في الآخرة و أن الإنسان إذا انتقل عن الدنيا لن يرجع إليها أبدا لكنها تنتقل معها بانتقاله فمن هذه الدار من ينتقل إلى الجنة و منهم من ينتقل إلى النار فالنار و الجنة تعم الدار الدنيا و نعيمها فإنه ما يبقى دار إلا الجنة و النار و الدنيا لا تنعدم ذاتها بعد وجودها و لا شيء موجود فلا بد أن يكون في الدارين أو في أحدهما فأعطى الكشف أن تكون مقسمة بين الدارين و قد ورد في الخبر النبوي من ذلك ما فيه غنية و كان بعض الصحابة يقول يا بحر متى تعود نارا و هو الحميم الذي يشربه أهل النار و قوله ص في الأنهار الأربعة إنها من الجنة فذكر سيحان و جيحان و النيل و الفرات و بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة و مجالس الذكر حيث كانت روضات من روضات الجنة و الأخبار في ذلك كثيرة و لسنا من أهل التقليد بحمد الله بل الأمر عندنا كما آمنا به من عند ربنا شهدناه عيانا و رأيت فيها علم مرتبة قول النبي ص إني مكاثر بكم الأمم و إن ذلك من الشرف و المجد في موطنه فلا يهمل مثل هذا فإن لكل موطن شرفا يخصه لا يكون شرفه إلا به و هنا زلت جماعة من العارفين حيث لم يفرقوا بين شرف النفوس و شرف العقول و إنهما لا يتداخلان و أن الكمال في وجود الشرفين و رأيت فيها علم ما يرى الإنسان إلا ما كان عليه سواء عرف ذلك أو جهله فإنه لا بد أن يشهده فيعرفه في الموضع الذي لا ينفعه العلم به و لا مشاهدته إياه و رأيت فيها علم التداخل و الدور و هو أنه لا يكون الحق إلا بصورة الخلق في الفعل و لا يكون الخلق فيه إلا بصورة الحق فهو دور لا يؤدي إلى امتناع الوقوع بل هو الواقع الذي عليه الأمر فإن الله لا يمل حتى تملوا فهذا حكم خلق في حق و قال فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً فهذا منه كما كان عوده و مآله منا و رأيت فيها علم منزلة القرآن من العالم و لمن جاء و بما جاء و إلى أين يعود و رأيت فيها علم التلبيس و أن أصله العجلة من الإنسان فلو اتئد و تفكر و تبصر لم يلتبس عليه أمر و قليل فاعل ذلك و رأيت فيها علم الليل وحده و النهار وحده و الزمان وحده و اليوم وحده و الدهر وحده و العصر وحده و المدة وحدها و رأيت فيها علم التفصيل و فيما ظهر و رأيت فيها علم ما لزم الإنسان من حكم الله الذي فصله الشرع فلا ينفك عنه و رأيت فيها علم تقابل النسختين و أن الإنسان في نفسه كتاب ربه و رأيت فيها علم سبب وجوب العذاب في الآخرة و هو جلي و العلم الخفي إنما هو في وجود سبب عذاب الدنيا و لا سيما في حق الطفل الرضيع و هل الطفل الرضيع و جميع الحيوان لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم لا يشعر به و إن الصغير إذا كبر و كلف لا يشعر و لا يتذكر تكليفه في حال صغره لما يقوم به من الآلام و بالحيوان فإنه تعالى ما يعذب ابتداء و لكن يعذب جزاء فإن الرحمة لا تقتضي في العذاب إلا الجزاء للتطهير و لو لا التطهير ما وقع العذاب و هذا من أسرار العلم الذي اختص الله به من شاء من عباده وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ و إِنْ من أُمَّةٍ إِلَّا خَلاٰ فِيهٰا نَذِيرٌ و ما من شيء في الوجود إلا و هو أمة من الأمم قال تعالى وَ ما من دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ

بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ في كل شيء و قال ص في الكلاب إنها أمة من الأمم فعمت الرسالة الإلهية جميع الأمم صغيرهم و كبيرهم فما من أمة إلا و هي تحت خطاب إلهي على لسان نذير بعث إليها منها و فيها و رأيت فيها علم حكم الوجوب الموسع المخير كأوقات الصلوات و التخيير في الكفارات و رأيت فيها علم كون الحق مع إرادة العبد لا يخالفه و هذه الصفة بالعبد أولى فكما أمر الله عبده فعصاه كذلك دعاه عبده فلم يجبه فيما سأل فيه كما أمره فلم يطعه ألا ترى إلى الملائكة لما لم تعص أمر الله أجابها الله في كل ما سألته فيه حتى إن العبد إذا وافق في الصلاة تأمينه تأمين الملائكة غفر له و رأيت فيها عموم العطاء الإلهي و إنه من الكرم الإلهي إتيان الكبائر في العالم المكلف فإنه لا بد لطائفة من التبديل فيبدل بها كبير بكبير

إحياء نفس بقتل نفس في كل نوع و كل جنس

فمن الناس من يبدل له بالتوبة و العمل الصالح و من الناس من يبدل له بعد أخذ العقوبة حقها منه و سبب إنفاذ الوعيد في حق طائفة حكم المشيئة الإلهية فإذا انتهت المدة طلبت المشيئة في أولئك تبديل العذاب الذي كانوا فيه بالنعيم المماثل له فإن حكم المشيئة أقوى من حكم الأمر و قد وقع التبديل بالأمر فهو بالإرادة أحق بالوقوع و ستر الله هذا العلم عن بعض عباده و اطلع عليه من شاء من عباده و هو من علم الحكمة التي من أوتيها فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و لذلك قال الحق تعالى وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً غفورا أي يستر رحيما بذلك الستر بعد قوله فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ و قال في المسرفين لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فجاء بالمغفرة و الرحمة في حق التائب و صاحب العمل الصالح كما جاء بهما في المسرفين الذين لم يتوبوا و نهاهم عن القنوط و أكد بقوله جَمِيعاً و أكثر من هذا الإفصاح الإلهي في مال عباده إلى الرحمة ما يكون مع عمارة الدارين الجنة و جهنم و إن لكل واحدة منهما ملأها لا يخرجون منها فعطاء الله لا مانع له و إنما الاسم المانع إنما متعلقة أن نعيم زيد ممنوع عن عمرو كما إن نعيم عمرو ممنوع عن زيد فهذا حكم المانع لا أنه يمنع شمول الرحمة و رأيت فيها علم الفرق بين مفاضلة المفضولين في الدنيا و بينهم في الآخرة و رأيت فيها علم من ترك ما هو عليه لما ذا ترك و سببه و رأيت فيها علم إن الله هو المعبود في كل معبود من خلف حجاب الصورة و رأيت فيها علم الرفق بالعالم و معاملة كل صنف بما يليق به من الرفق و رأيت فيها علم ما يجني الإنسان إلا ثمرة غرسه لا غير و رأيت فيها علم الحدود في التصرفات و مقاديرها و أوزانها و رأيت فيها علم التخلق بالأخلاق الإلهية من كونه ربا خاصة و رأيت فيها علم حكم مرتبة الجزء من الكل و إن كان الجزء على صورة الكل و رأيت فيها علم نتاج المقدمتين الفاسدتين علما صحيحا مثل كل إنسان حجر و كل حجر حيوان فكل إنسان حيوان فلم يلزم من فساد المقدمتين أن لا تكون النتيجة صحيحة و هذا لا يعرف ميزانه و رأيت فيها علم تأثير المثل في مثله بما ذا أثر فيه و ليس أحدهما بأولى من الآخر و لا أحق بنسبة التأثير إليه و المثلان ضدان فافهم و رأيت فيها علم العبث و كيف يصح مع قوله تعالى وَ ما

خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا و العبث فيما بينهما فبأي نظر يكون عبثا و بأي نظر لا يكون باطلا و قول الله تعالى أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً فقيد و ما قيد الباطل و رأيت علم فضل الذكور على الإناث و هي مفاضلة عرضية لا ذاتية و رأيت فيها علم أحكام المحال و الحال و المكان و المتمكن فيه و رأيت فيها علم الحجب المانعة من التأثير الإلهي في المحجوب بها و رأيت فيها علم سلطنة الأحدية و أنه لا يبقى لسلطانها أحد و هل يصح فيها تجل أم لا فالذي قال بالتجلي فيها ما يريد هل أحدية الواحد أو أحدية المجموع و كذلك من لا يقول بالتجلي فيها هل يريد أحدية الواحد أو أحدية المجموع و رأيت فيها علم آداب السماع و ترك الكلام عنده و رأيت علم إلحاق الأدنى بالأعلى في حكم ضرب المثل له و من هو هذا الأعلى و بما ذا كان أعلى و رأيت فيها علم المجبور على الثناء على من كان يذمه قبل الجبر و رأيت فيها علم السبب المانع الذي يمنع العاقل من سلوك الأشد و الأخذ بالأولى و الأحق و رأيت فيها علم العروج و النزول من الشخص الواحد لاختلاف الأحوال و من نزل لما ذا نزل و من أنزله و من صعد لما ذا صعد و من أصعده و رأيت فيها علم أحوال الناس في البرزخ فإنه تقابلت فيه الأخبار فهل يعم التقابل أو يخص و هل العموم و الخصوص في الزمان أو في الأشخاص و رأيت فيها علم ما فائدة الآيات التي لا تأتي للاعجاز فلأي شيء أتت و رأيت فيها علم ما السبب الذي أجرأ الضعيف من جميع الوجوه على القوي من جميع الوجوه مع علمه بأنه قادر على إهلاكه و رأيت فيها علم طاعة إبليس ربه في كل شيء إلا في السجود لآدم و ما ذكر آدم بأنه عصى نهي الله و قيل في إبليس أَبى و لم يقل فيه عصى أمر الله هل ذلك شرف يرجع لآدم لكونه على الصورة و ما لإبليس هذا المقام و ذكر الله في آدم أنه عصى ربه فذكر من عصى و لم يذكر في حق إبليس إلا أبى و لم يذكر أنه أبى امتثال أمر ربه و في آية أخرى قيل لَمْ يَكُنْ من السَّاجِدِينَ و في آية أخرى قيل اسْتَكْبَرَ و في آية أخرى قال أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً و في آية أخرى قيل أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ فانظر ما أفادك الحق في هذه الآيات و ما في طيها من الأسرار و رأيت فيها علم الاعتزار و رأيت فيها علم من فضل آدم من المخلوقين و أن فضله لم يعم و هكذا أخبرني رسول الله ص في واقعة رأيتها و هكذا أخبر الخليل إبراهيم ع شيخنا أبا مدين بأن فضل آدم لم يعم و رأيت فيها علم الإمامة و الإمام و رأيت فيها علم إن الدنيا عنوان الآخرة و ضرب مثال لها و أن حكم ما فيها هو أتم و أكمل في الآخرة و رأيت فيها علم السبب الذي لأجله يميل قلب صاحب العلم بالشيء عما يعطيه علمه و ما حكمه و رأيت فيها علم سنة الله في عباده لا تتبدل و رأيت فيها علم توقيت محادثة الحق التي لا بد لصاحب العناية منها و الجمع بين الشهود و المحادثة و ما يكون من المحادثة مسامرة و إن الحق لا يمتنع من المسامرة و يمتنع من المحادثة في أوقات ما و هي خطاب إلهي من العبد لله و من الله للعبد و ما ينتج هذا العلم لمن علمه يوم القيامة و رأيت فيها علم أحوال الصادقين فيحركاتهم في الدخول إلى الحضرة الإلهية من العالم و الخروج منها إلى العالم و ممن تمكن في هذا المقام أبو يزيد البسطامي و رأيت فيها علم تشخص العدم حتى يقبل الحكم عليه بما يؤثر فيه الوجود و إن لم يكن كذلك فلا يعقل و صورته صورة تجلى الحق في أي صورة ظهر يحكم عليه بما يحكم به على تلك الصورة

التي تجلى فيها و يستلزمه حكمها و من ذلك نسب إليه تعالى ما نسب من كل ما جاءنا في الكتاب و السنة و لا يلزم التشبيه و رأيت فيها علم الطب الإلهي في الأجسام الطبيعية لا في الأخلاق و قد يكون في الأخلاق فإن مرض النفس بالأخلاق الدنية أعظم من مرض الأجسام الطبيعية و رأيت فيها علم ما لا يتعدى العامل ما يقتضيه طبعه و مزاجه إن كان ذا مزاج فإن كان العامل ممن لا مزاج له فإن عمله بحسب ما هو عليه في ذاته و رأيت فيها علم حكم من يسأل عما يعلم فيجيب أنه لا يعلم فيكون ذلك علما به عند السائل أنه يعلم ما سأله عنه فإن أجابه بما يعلم كما هو الأمر في نفسه و عليه علم أنه لا يعلم المجيب ما سأل عنه السائل و رأيت فيها علم التعاون على حصول العلم إذا وجد هل يحصل به كل علم يتعاون عليه أو يحصل به علم بعض العلوم دون بعض و رأيت فيها علم سبب وضع الشرائع و إرسال الرسل و رأيت فيها علم التحكم على الرسل ما سببه و هل هو محمود أو مذموم أو لا محمود و لا مذموم أو في موطن محمود و في موطن مذموم و رأيت فيها علم المانع من وقوع الممكنات دفعة واحدة أعني ما وقع منها و هل ذلك ممكن أم لا و فيما يمكن ذلك و فيما لا يمكن و الذي يمكن فيه هل وقع أم لا و ما ثم إلا جوهر أو عرض حامل و محمول قائم بنفسه و غير قائم بنفسه فيدخل في ذلك التقسيم الجسم و غيره و هل الجسم مجموع أعراض و صفات و الجوهر كذلك أم ليس كذلك و رأيت فيها علم مرتبة التسعة من العدد و رأيت فيها علم تعارض الخصمين ما أداهما إلى المنازعة هل أمر وجودي أو عدمي و رأيت فيها علم الحق المخلوق به و رأيت فيها علم تسمية الاسم الواحد من الأسماء بجميع الأسماء كما ذهب إليه صاحب خلع النعلين أبو القاسم بن قسي رحمه الله في كتاب خلع النعلين و رأيت فيها علم مراتب المحامد و عواقبها وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل الأفعال مثل أتى و لم يأت و حضرة الأمر وحده»

فأين امتيازي بالحديث عن النحل　　إذا كان غير الجنس مثلي في الفصل
كما جاء في القرآن في سورة النمل　　أنا ناطق و الطير مثلي ناطق
به فوجود الشكل يأنس بالشكل　　فلا تفرحن إلا بما أنت واحد
يقول بتفضيل الأمور و بالوصل　　لقد كان لي شيخ عزيز مقدس

قال الله تعالى وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ و هذا القول لا يكون إلا يوم القيامة فما وقع فعبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه و لا بد و زوال حكم الإمكان فيه إلى حكم الوجوب و كل ما كان بهذه المثابة فحكم الماضي فيه و المستقبل على السواء و سياقه بالماضي آكد في الوقوع و تحققه من بقائه على الاستقبال اعلم يا ولي أسعدك الله بالحق و نطقك به إن جماعة من أهل الله غلطوا في أمر جاء من عند الله تعالى و ساعدناهم على غلطهم و ما ساعدناهم و لكن مشينا أقوالهم لانتمائهم إلى الله حتى لا ينتمي إليه سبحانه

إلا أهل حق و صدق و ذلك أن الأمر الذي غلطوا فيه علم الحق المخلوق به و جعلوا هذا المخلوق به عينا موجودة لما سمعوا الله يقول إنه خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ و ما أشبه هذه الآيات الواردة في القرآن و الباء هنا بمعنى اللام و لهذا قال تعالى في تمام الآية فَتَعالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ من أجل الباء و الأمر في نفسه في حق السماء و الأرض و ما أنزل ما بينهما حتى يعم الوجود كله مثل قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ كذلك ما خلق السماوات و الأرض إلا بالحق أي للحق فاللام التي نابت الباء هنا منابها عين اللام التي في قوله لِيَعْبُدُونِ فخلق السموات و الأرض للحق و الحق أن يعبدوه و لهذا قال فَتَعالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ و الشرك هو الظلم العظيم و ما ظهر من موجود إلا من هذا النوع الإنساني و ما ذكر الجن معه في الخلق للعبادة إلا لكونه أغواه بالشرك لا أنه أشرك و الإنس هو الذي أشرك هذا إذا لم تكن الجن عبارة عن باطن الإنسان فكأنه يقول و ما خلقت الجن و هو ما استتر من الإنسان و ما بطن منه و الإنس و هو ما يبصر منه لظهوره إلا ليعبدونظاهرا و باطنا ثم قال أَ وَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ أي بين الخصومة ظاهر بها و قال خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ و ذلك لدعواه في الربوبية و ما خلقه الله إلا عبدا فلا يتجاوز قدره فنازع ربه في ربوبيته و ما نازعه مخلوق إلا هو و وصف خصومته بالإبانة دون من وصفه بالخصومة من الملإ الأعلى و غيرهم و في دعوى غير الربوبية فإنه ما من خصام يكون من مخلوق في أمر خلاف دعوى الربوبية إلا و هو ممكن أن يكون الحق بيده في ذلك و يخفى على السامع و الحاكم فلا يدري هل الحق معه أو مع خصمه و هل هو صادق في دعواه أو هو كاذب للاحتمال المتطرق في ذلك إلا دعواه في الربوبية فإنه يعلم من نفسه و يعلم كل سامع من خلق الله أنه كاذب في دعواه و أنه عبد و لذلك خلقه الله فلهذا قيل فيه إنه خصيم مبين أي ظاهر الظلم في خصومته فمن نازع ربه في ربوبيته كيف يكون حاله ثم إن هذا الإنسان ليته يسعى في ذلك في حق نفسه فإنه يعلم من نفسه أنه ليس له حظ في الربوبية ثم يعترف بالربوبية لخلق من خلق الله من حجر أو نبات أو حيوان أو إنسان مثله أو جان أو ملك أو كوكب فإنه ما بقي صنف من المخلوقات إلا و قد عبد منه و ما عبده إلا الإنسان الحيوان فأشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره و من هلك فيما لا يحصل بيده منه شيء فيشهد على نفسه أنه أجهل الناس بغيره و أعلم الناس بنفسه لأنه ما ادعاها لنفسه و من ادعاها لنفسه فإنما فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ لذلك و هو يعلم خلاف ذلك من نفسه و لذلك قال ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي أي في اعتقادكم و اعلم أن الحق تعالى لا يخلق شيئا بشيء لكن يخلق شيئا عند شيء فكل ما يقتضي الاستعانة و السببية فهي لام الحكمة فما خلق الله شيئا إلا للحق و الحق أن يعبدوه فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ و ما ذاك إلا من عمى القلوب الَّتِي فِي الصُّدُورِ عن الحق فلو كانت غير معرضة عن الحق مقبلة عليه لأبصرت الحق فأقرت بالربوبية له في كل شيء و لم يشرك بعبادة ربه أحدا و لذلك قال فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً و الصالح الذي لا يدخله خلل فإن ظهر فيه خلل فليس بصالح و ليس الخلل في العمل و عدم الصلاح فيه إلا الشرك فقال وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً فنكر فعم كل من ينطلق عليه اسم أحد و هو كل شيء في عالم الخلق و الأمر و عم الشرك

الأصغر و هو الشرك الذي في العموم و هو الربوبية المستورة المنتهكة في مثل فعلت و صنعت و فعل فلان و لو لا فلان فهذا هو الشرك المغفور فإنك إذا راجعت أصحاب هذا القول فيه رجعوا إلى الله تعالى و الشرك الذي في الخصوص فهم الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ و هو الظلم العظيم الذي ظلموا به هذا المقول عليه إنه إله مع الله فظلموا الله في وحدانية الألوهية له و ظلموا الشريك في نسبة الألوهية إليه فيأخذهم الله بظلم الشريك لا بظلمه في أحديته فإن الذي جعلوه شريكا يتبرأ منهم يوم القيامة حيث تظهر الحقوق إلى أربابها المستحقين لها فعلى الحقيقة أن الله لا يخلق شيئا بشيء و إن خلقه لشيء فتلك لام الحكمة و عين خلقه عين الحكمة إذ خلقه تعالى لا يعلل فالخلق عبد بالذات أثرت فيه العوارض و لا سيما الشخص الإنساني بل ما أثرت العوارض إلا في الشخص الإنساني وحده دون سائر الخلق و ما سواه فعلى أصله من تنزيه خالقه عن الشريك و لذلك قال وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ و هذا ضمير الجمع في تفقهون إنما هم الناس خاصة فجميع المخلوقات عبدوا الله إلا بعض الناس فالإنسان أَلَدُّ الْخِصامِ حيث خاصم فيما هو ظاهر الظلم فيه و ليس إلا الربوبية و هل رأيتم عبدا يخاصم ربه إلا إذا خرج عن عبوديته و زاحم سيده في ربوبيته فادعى ملكا لنفسه فإذا تصرف فيه سيده نازعه فيه و خاصمه فما وقعت خصومة من عبد في عبودية و إنما وقعت فيما هو رب فيه و مالك له و كثير من أهل الله من العلماء منهم ممن لا أذكره و لا أسميه فإن هذه النسبة إليه نسبة تنص على جهله فلذلك تأدبت معه فقرروا المخلوق به على وجهين فمنهم من جعل هذا الحق المخلوق به عين علة الخلق و الحق تعالى لا يعلل خلقه هذا هو الصحيح في نفسه حتى لا يعقل فيه أمر يوجب عليه ما ظهر من خلقه بل خلقه الخلق منة منه على الخلق و ابتداء فضل و هو الغني عن العالمين و منهم من جعل هذا الحق المخلوق به عينا موجودة بها خلق الله ما سواها و هم القائلون بأنه ما صدر عن الواحد إلا واحد و كان صدور ذلك الواحد صدور معلول عن علة أوجبت العلة صدوره و هذا فيه ما فيه و الذي أقول به إنه

و ذلك توحيد إلى من له الأمر — إذا جاء أمر الله فالآمر الأمر
عليه و هذا الظلم قد عمه الحجر — فلا تشركوا فالشرك ظلم مبرهن

و لما كان العلم تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح أعيان الأجسام كلها سمي العلم روحا تنزل به الملائكة على قلوب عباد الله و تلقيه و توحى به من غير واسطة في حق عباده أيضا فأما القاؤه و وحيه به فهو قوله يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و قوله وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا و أما تنزيل الملائكة به على قلوب عباده فهو قوله تعالى يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فهم المعلمون و الأستاذون في الغيب يشهدهم من نزلوا عليه فإذا نزل هذا الروح في قلب العبد بتنزيل الملك أو بإلقاء الله و وحيه حيي به قلب المنزل عليه فكان صاحب شهود و

وجود لا صاحب فكر و تردد و لا علم يقبل عليه دخلا فينتقل صاحبه من درجة القطع إلى حال النظر فالعبد العالم المجتبى إما يعرج فيرى و إما ينزل عليه في موضعه

نعت المحقق في شهود الذات إن العروج لرؤية الآيات
و انظر إلى الماضي يريك الآتي فانظر بفعل الحال تشهد كونه
بوجوده في أكثر الحالات إن الوجود مبرهن عن نفسه
و الماضي و الآتي مع الأموات فالحال في الأحياء يشهد دائما

فإن قال المعتذر عن هؤلاء فما فائدة خلق الإنسان الكامل على الصورة قلنا ليظهر عنه صدور الأفعال و المخلوقات كلها مع وجود عينه عنده أنه عبد فإن غاية الأمر الإلهي أن يكون الحق مع العبد و بصره بل جميع قواه فقال تعالى فإذا أحببته كنت سمعه و بصره و يده الحديث فأثبت بالضمير عينه عبدا لا ربوبية له و جعل ما يظهر به و عليه و منه أن ذلك هو الحق تعالى لا للعبد فهذا الخبر يؤيد ما ذهبنا إليه و هو عليهم لو اعتذروا به محتجين علينا كما فعلت أنت و لم يكن لهم هذا الخبر فلا شيء أعلى من كلام النبوة و لا سيما فيما أخبرت به عن الله عز و جل فإن قالوا إن الإمكان جعلنا أن نقول ما نقول قلنا الإمكان حكم وهمي لا معقول لا في الله و لا في المسمى ممكنا فإنه لا يعقل أبدا هذا المسمى ممكنا إلا مرجحا و حالة الاختيار لا تعقل إلا و لا ترجيح و هذا غير واقع فهو غير واقع عقلا لكن تقع و هما و الوهم حكم عدمي فما ثم إلا واجب بذاته أو واجب به فمشيئة الحق في الأشياء واحدة

وحيدة العين لا شرك يثنيها و الحق ليس له إلا مشيئته
أتى فحكمته الإمكان تدريها و الاختيار محال فرضه فإذا
و الله بالحال أخفى نفسه فيها فلا تزال على الترجيح نشأته
في الممكنات فيبديها و يخفيها فزال من علمنا الإمكان عن نظر

و إذا زال الإمكان زال الاختيار و ما بقي سوى عين واحدة لأن المشيئة الإلهية ما عندها إلا أمر واحد في الأشياء و لا تزال الأشياء على حكم واحد معين من الحكمين فما الأمر كما توهمه القائل بالإمكان فثبت أنه ما ثم إلا حق لحق و حق لخلق فحق الحق ربوبيته و حق الخلق عبوديته فنحن عبيد و إن ظهرنا بنعوته و هو ربنا و إن ظهر بنعوتنا فإن النعوت عند المحققين لا أثر لها في العين المنعوتة و لهذا تزول بمقابلها إذا جاء و لا تذهب عينا بل لا يزال كونها في الحالين فالقائم عين القاعد من حيث عينه و القائم ليس القاعد من حيث حكمه فالقائم لا يمكن أن يقعد في حال

قيامه و القاعد لا يمكن أن يقوم في حال قعوده و ما شاء الحق إلا ما هو الأمر عليه في نفسه فمشيئة الحق في الأمور عين ما هي الأمور عليه فزال الحكم فإن المشيئة إن جعلتها خلاف عين الأمر فأما إن تتبع الأمر و هو محال و إما أن يتبعها الأمر و هو محال و بيان ذلك أن الأمر هو أمر لنفسه كا ن ما كان فهو لا يقبل التبديل فهو غير مشاء بمشيئة ليست عينه فالمشيئة عينه فلا تابع و لا متبوع فتحفظ من الوهم فإن له سلطانا قويا في النفس يحول بينها و بين العلم الصحيح الذي يعطيه العقل السليم و لما دخلت هذا المنزل عند ما رفعت إلى أعلامه فاستدللت عليه بأعلامه حتى وصلت إليه بعد ما قاسيت مشقة و طالت على الشقة فلما دخلته صعب على التصرف فيه لما فيه من المهالك و هو منزل مظلم لا سراج فيه فكنت أمشي فيه بجس الرجل و التثبت مخافة الوقوع في مهلك من مهالكه فإذا ثبت قدمي في موضع أحس به و لا أبصره حينئذ شرعت في نقله أطلب موضعا أنتقل إليه فإذا وقعت قدمي بفراغ علمت إن هنالك مهلكا فسرت أتتبع بقدمي يمينا و شمالا حتى أجد لقدمي موضعا يستقر فيه و أنا معتمد على القدم الأخرى و ما زلت كذلك أنتقل من مكان إلى مكان في هذه الظلمة و لا أبصر شيئًا لعدم النور من الخارج المقا رن لنور بصري فكان رجلي بصري فعلمت من ذلك قد ر ما تصرفت فيه و أنا على حذ ر ما أدري ما يعرض لي في طريقي من حيوان يؤذيني و لا أحس به حتى يوقع الأذى بي و مع هذا خاطرت بنفسي لأني قلت أنا في ظلمة على كل حال فسواء علي قعدت أو تصرفت فإني إذا قعدت لم آمن أن يأتيني حيوان يؤذيني و إن تصرفت لم آمن أيضا من حيوان يؤذيني أو مهلك أقع فيه فالتثبت في التصرف أرجى لي فرجحته على القعود طلبا للفائدة فبينا أنا كذلك إذ فجئني نور الشرع من خا رج بصورة سراج مصباح لا تحركه الأهواء لكونه في مشكاة و مشكاته الرسول فهو محفوظ من الأهواء التي تطفيه و ذلك المصباح في زجاجة قلبه و جسمه المصباح و اللسان ترجمته و الإمداد الإلهي زيته و الشجرة حضرة إمداده فاجتمع نور البصر مع هذا النور الخا رج فكشفنا ما في الطريق من المهالك و الحيوانات المضرة فاجتنبنا كل ما يخاف منها و يحذ ر و سلكنا محجة بيضاء ما فيها مهلك و لا حيوان مضر و لو تعرض إلينا عدلنا عنه لاتساع الطريق و سهولته و الموانع و الحصون التي فيه المانعة ضرر تلك الحيوانات ف مَن لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ و بعد أن ظهر هذا المصباح لم ينطف و لا زال فمن استدبره و أعرض عنه مشى في ظلمة ذاته و تلك الظلمة ظلمته فيكون ممن جنى على نفسه بإعراضه عن المصباح و استد با ره فهذا حكم من ترك الشرع و استقل بنظره فهو و إن ثبت في سعيه لظلمة ذاته على خطر من دواب الطريق و إن لم يقع في مهلك فينبغي للعاقل أن لا يستعجل في أمر له فيه اناة و لا يتأتى في أمر يكون الحق في المبادرة إليه و الإسراع في تحصيله هذا فائدة العقل في العاقل و رأيت في هذا المنزل علوما جمة منها علم الحاصل في عين الفائت لأنه لولا ذلك ما علمت فضل الحاصل على الفائت في حقك إذا كان فيه سعادتك و لا فضل الفائت على الحاصل إذا كان الفائت مطلوبك و لو حصل لك أشقاك و أنت لا تعلم فكان الفضل فيه في حقك فوته فإن بفوته سعدت و هذا لا يكون إلا لمن أسعده الله و هو قوله تعالى وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ و منه ما روى أن رسول الله ص قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فيريد أن يدخل إلى مكة ليصيب فيها ما يصيب الشبان فإذا دخل مكة و ترك في الغنم بعض من يعرفه يحفظها حتى يأتي إليه يرسل الله عليه النوم فيفوته تحصيل ما دخل من أجله فيستعجل الرجوع إلى غنمه فيخرج و قد فاته ما دخل من أجله و كانت في ذلك عصمته و حفظه من حيث لا يشعر و يقال في المثل في هذا المعنى من العصمة أن لا تجد و في هذا المنزل من العلوم علم أحدية الأفعال و هو أمر مختلف فيه فمن مثبت ذلك للحق تعالى و من مثبت ذلك للخلق فهو أحدي في الطائفتين و من مثبت في ذلك شركا خفيا و هم القائلون بالكسب و فيه علم ما لا يعلم إلا بالوهب ليس للكشف فيه مدخل جملة واحدة و هو ما لا يدرك إلا بذات المدرك اسم فاعل على حسب ما هو المدرك اسم فاعل عليه فإن كان ممن تنسب إليه الحواس فالحواس له ذاتية لا محالها المعين لها و إن كان ممن لا تنسب إليه الحواس فإدراكه للأمور المحسوسة كصاحب الحواس أيضا بذاته و لا يقال إنها محسوسة له لأنه لا ينسب إليه حس فهي معلومة له و الحواس طريق موصلة إلى العلم و العلم بالأمر هو المطلوب لا بما حصل فقد رأيت الأكمه يدرك الفرق بين الألوان مع فقد حس البصر و جعل الله بصره في لمسه فيبصر بما به يلمس و فيه علم الإعلام بتوحيد الحق نفسه في ألوهيته بأي لسان اعلم ذلك و ما السمع الذي أدرك هذا الإعلام الإلهي إذا تبعه الفهم عنه فإن لم يتبعه فهم فهل يقال فيه إنه سمع أم لا و فيه علم رتبة الإنسان الحيوان و مزاحمته الإنسان الكامل بالقوة فيما لا يكون من الإنسان الكامل إلا بالفعل و أن الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحكم فإن الإنسان الحيوان يرزق رزق الحيوان و هو للكامل و زيادة فإن الكامل له رزق إلهي لا يناله الإنسان الحيوان و هو ما يتغذى به من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان و الكشف و الذوق و الفكر الصحيح و فيه علم رحمة الله بالعالم حيث أحالهم على الأسباب و ما جعل لهم رزقا إلا فيها ليجدوا العذر في إثباتها فمن أثبتها جعلا فهو صاحب عبادة و من أثبتها عقلا فهو مشرك و إن كان مؤمنا فما كل مؤمن موحد عن بصيرة شهودية أعطاه الله إياها و فيه علم رتبة المباح من الشرائع و ما حدوه به من أنه لا أجر فيه و لا وزر حد صحيح أم لا و هل فيه حصول الأجر في فعله و تركه و ما ينظر إليه من أفعال الله و مما يحكم به في الله فإنه لا يماثلها إلا الاختيار المنسوب إلى الله فإن لم يثبت هنالك اختيار على حد الاختيار فلا يثبت هنا مباح على حد المباح لأنه ما هو ثم و فيه علم ما يعلمه المخلوق و أنه محدود مقيد لا ينسب إليه الإطلاق في العلم به فإن ذلك من خصائص الحق سبحانه و تعالى و فيه علم اختلاف الطبائع فيمن تركب منها و بما ذا اختلف من لا طبيعة له و لو لا حكم الاختلاف فيمن لا طبيعة له ما ظهر الاختلاف في الطبيعة كما أنه لو لا اختلاف الطبيعة ما ظهر خلاف فيما تألف منها و هو علم عجيب في المفرد العين و المفرد الحكم فبالقوابل ظهر الخلاف بالفعل و هو في المفرد بالقوة و فيه علم حكمة توقف العالم بعضه على بعض فيما يستفاد منه مع التمكن من ذلك دونه و فيه علم رتبة من كثرت علومه ممن قلت علومه و من قلت علومه عن كثرة أو من قلت لا عن كثرة و إن كان الشرف عند بعضهم في قلة العلم فلما ذا أمر الله عز و جل رسوله ص أن يطلب الزيادة من العلم و الزيادة كثرة و من كان

علمه من المعلومات و إن كثرت أحدية كل معلوم التي هي عين الدلالة على أحدية الحق فهو صاحب علم واحد و لا أقل من الواحد في معلومات كثيرة مجمل كل معلوم أحدية هي معلومة للعالم بالله وحده و ما نبه على هذه المسألة إلا ابن السيد البطليوسي فإنه قال فيما وقفنا عليه من كلامه إن الإنسان كلما علا قدره في العالم قلت علومه و كلما نزل عن هذه المرتبة لشريفة اتسعت علومه و أعني العلم بالأفعال و أعني بالقلة العلم بالذات من طريق الشهود و كان رأيه في علم التوحيد رأى الفيثاغوريين و هم القوم الذين أثبتوا التوحيد بالعدد و جعلوه دليلا على أحدية الحق و على ذلك جماعة من العقلاء و فيه علم العلم الثابت الذي لا يقبل الزوال في الدنيا و لا الآخرة و فيه علم نصب الأدلة لمن لا يعرف الأمر إلا بالنظر الفكري و فيه علم ما لا يمكن أن ينسب إلا إلى الله فإن نسب إلى غير الله دل عند من يعرف ذلك العلم على جهل من ينسبه إلى غير الله بالله و فيه علم كون الموجودات كلها نعما إلهية أنعم الله بها و علم من هو الذي أنعم الله بها عليه و هل هو هذا المنعم عليه من جملة النعم فيكون عين النعمة عين المنعم اسم مفعول فاعلم ذلك و فيه علم الموت في الحياة و الحياة في الموت و من هو الحي الذي لا يموت و الميت الذي لا يحيا و من يموت و يحيا و من لا يموت و لا يحيا و فيه علم سبب وجود الإنكار في العالم و لما ذا يستند من الحضرة الإلهية و هل قوله لعبده عند ما ينسب إليه ما ظهر عليه من الأمور التي نهى أن يعملها و ما أصابك من سيئة فمن نفسك إنكار إلهي عن نسبة ذلك الفعل إلى الله و لما ذا سمي منكرا و هو معروف و قوله الذين يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ و هو الأمر بما هو معلوم له وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ و هو أن يأمر بما ليس معلوما عنده من النكرة التي لا تتعرف و لما كان المنكر فعل ما أمر بتركه أو ترك ما أمر بفعله و لا يوصف بأنه أتى منكرا حتى يعلم أنه مأمور به ذلك العمل أو منهي عنه فصح له اسم المنكر لما يحصل للعبد من الحيرة في ذلك و عدم تخلصه إلى أحد الجانبين فإن نسبه إلى الحق في بعض الأمور عارضة الأدب أو الدليل الحسي و العقلي و السمعي فيسلب عن ذلك العمل نعت المعرفة و يلحقه بالنكرة و لما اختص المنكر بالمذموم من الأفعال لا بالمحمود و فيه علم ذم الله المتكبر و الكبرياء صفته و قد علم الله عز و جل أنه لا يدخل قلب إنسان الكبر على الله و لكن يدخله الكبر على خلق الله و هو الذي يزال منه و حينئذ يدخل الجنة فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر على غير الله حتى يزال و أما على الله فمحال فإن الله قد طبع على القلوب التواضع له و إن ظهر من بعض الأشخاص صورة الكبرياء على أمر الله و هو الذي جاءت به الوسائط و هم الرسل ع من الله لا على الله فإنه يستحيل الكبرياء من المخلوق عليه لأن الافتقار له ذاتي و لا يمكن للإنسان أن يجهل ذاته و فيه علم الحيل و الكفالة و انتقال الحق إلى الكفيل من الذي عليه الحق و براءة من انتقل الحق عنه منه و فيه علم السبب الذي أوجب للإنسان أن يؤخذ من مأمنه و فيه علم التسليم و التفويض و فيه علم اختلاف أحوال الخلق عند الموت ما سبب ذلك و لما ذا لم يقبضوا على الفطرة كما ولدوا عليها و ما الذي أخرجهم عن الفطرة أو أخرج بعضهم و ما هي الفطرة و هل يصح الخروج عنها أو لا يصح و رحمة الله تعالى بخلقه في أخذ العهد على الناس لما أخذهم الله من ظهور آبائهم و أشهدهم على أنفسهم بربوبيته عليهم فقالوا بلى أنت ربنا و لم

يشهدهم بتوحيده إبقاء عليهم لعلمه أن فيهم من يشرك به إذا خرج إلى الدنيا و تبريه من الشريك في العقبي يوم العرض الأكبر و فيه علم المحاجة يوم القيامة و الفرق بين الحجة الداحضة و الحجة البالغة و ما هو الموطن الذي يقال فيه للإنسان لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ و فيه علم ما يجب على المبلغين عن الله تعالى من رسول و وارث و فيه علم ما يؤتى عن أمر الله و ما يجتنب و أحكامهم في ذلك عن بينة و عن غير بينة و فيه علم ما لا يمكن التبدل فيه عقلا مع إمكان ذلك عقلا و كيف يدخل النسخ في أدلة العقول كما يدخل في أحكام الشرائع و فيه علم التحكم على الله هل يسوغ ذلك لأحد من أهل الله من غير أمر الله أو لا يسوغ و فيه علم كيف يوجد الله من يوجده من العالم و فيه علم هل عين الاعتماد على الله في دفع المكروه و الضراء عين الاعتماد عليه في إبقاء النعم على المنعم عليه اسم مفعول و على أي اسم إلهي يكون كل اعتماد من هذين الاعتمادين و فيه علم صفة الشخص الذي ينبغي أن يسأل في العلم الذي يعطي السعادة للعامل به و فيه علم السبب الذي يوجب الخوف عند من أعطاه الله الأمان في الدار الدنيا و ارتفاع ذلك عنه في الدار الآخرة و اختلاف وجوه الأخذ الإلهي مع الأمان و فيه علم تنقل الصور الموجودة عن الأشخاص تطلب وجه الله في تنقلها و هي كالظلال مع الأشخاص الظاهرة عنه عند استقبال النور و استدباره أو يكون عن يمينه ذلك النور أو شماله و فيه علم نفى أن يتخذ الحق إلها في المجموع و هل يتخذ بغير المجموع أو لا يصح أن يكون متخذا فإنه إله لعينه لا بالاتخاذ فاعلم ذلك و فيه علم ما لله من الدين و ما للعبد منه أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ و الدين الذي تدخله المشقة هل هو لله فإنه يقول وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ و قال يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و قال رسول الله ص دين الله يسر و قال بعثت بالحنيفية السمحة كما قال أيضا وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً وقال من يشاد هذا الدين يغلبه و قال لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها فإنه ما كلفها إلا ما آتاها من القوة عليه و فيه علم رد النعم إلى الله و لما ذا يغلب على الإنسان شهود الضراء حتى تحول بينه و بين ما فيها من طعم النعم حتى يضجر من البلاء و هذا كان مقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاهد نعم البلاء في البلاء فيجمع بين الصبر و الشكر في الآن الواحد و كان صاحب عملين و فيه علم الاستدراج بالنعم و فيه علم حكم من عامل الحق بجهله و هو يظن في نفسه أنه على علم في ذلك و فيه علم التعرية و فيه علم صفة المفتي و الفتيا و متى يفتي المفتي هل بعد الاستفتاء أو يفتي و إن لم يستفت و هل يفتقر المفتي إلى إذن الإمام له في ذلك أم لا و فيه علم استخراج العلوم من النظر في الموجودات و تفاصيله و فيه علم أنواع الوحي و ضروبه و ما يختص بالأولياء الاتباع من ذلك و ما لا يشارك فيه النبي من الوحي و فيه علم الإحاطة بوجوه كل معلوم من هو ذلك العالم بها و ما صفته و فيه علم تفاضل الصفات لما ذا يرجع و فيه علم الأرزاق الروحانية و ما هو الرزق الذي في تناوله حياة القلوب من أرزق الذي فيه موت القلوب فإنه قد يكون الموت من الجوع و قد يكون من الشبع و الامتلاء و ما هو الرزق الذي يشبع منه و الرزق الذي لا يشبع منه و الرزق الذي يتساوى فيه جميع العالم و الرزق الذي يخص بعض العالم دون بعض و فيه علم لعلم بالرازق و أنه أحق بالعبادة لافتقار المرزوق إلى الرزق و فيه علم التحرك و السكون و من أحق بالمقام هل المتحرك أو

الساكن و حكاية المتحرك و الساكن لما تحاكما في ذلك إلى العالم بذلك ذوقا و ما جرى لهما و إن صاحب الرزق من يأكله لا من يجمعه و أخبر تعالى عن لقمان الحكيم فيما أوصى به لابنه يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ و لم يقل يأت إليها و فيه علم العدل و أداء الحقوق و فيه علم النسيان بعد العلم بحيث لا يدري أنه علم ما قد نسيه أصلا و فيه علم الاسم الإلهي الواقي و اختلاف صوره في العالم مثل اختلاف الاسم الرزاق و فيه علم اختلاف الحال على المشاهد في حال رؤيته و فيه علم من يدعو الناس إلى ما هو عليه حتى يكون داعي حق و فيه علم الأوامر الإلهية و فيه علم المحسن و الإحسان و فيه علم الأنساب و قول النبي ص إن ربكم واحد و إن أباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي و لا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى فإن اللّٰه يقول اليوم أرفع نسبكم و أضع نسبي أين المتقون و قال تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقاكُمْ فهل هو المتقي من يكون وقاية للّٰه أو من يتخذ اللّٰه وقاية و لهذا رجال و لهذا رجال و فيه علم الإيلاء و أقسامه و أحكامه في المولى و صورة الإيلاء و ما يكون للّٰه من ذلك و ما يكون للعبد و فيه علم كون العالم العامل في دنياه في جنة معجلة في نفسه و إن كان رديء الحال فنعيمه في نفسه أعظم النعيم و فيه علم المداخلة في القرآن مع كونه محفوظا من عند اللّٰه فلا يصح في القرآن تحريف و لا تبديل كما وقع في غيره من الكتب المنزلة و فيه علم النسخ ما هو و فيه علم حكم من يخالف ظاهره باطنه عن شهود و فيه علم دفع الإنسان عن نفسه إعظاما لها لما رأى من تعظيم اللّٰه حقها في تحريم الجنة على من قتل نفسه و إن كان قاتل نفسه لا يدخل جهنم إلا بنفسه الحيوانية لأن جهنم ليست موطنا للنفس الناطقة و لو أشرفت عليها طفئ لهيبها بلا شك لأن نورها أعظم فإن الذي قتل نفسه عظم جرمه لحق الجوار الأقرب و حال بذلك بينها و بين ملكها و ما سوى نفسه فبعيد عن هذا القرب الخاص الذي لنفسه و فيه علم ما حلل و حرم هل حرم أو حلل لنفسه أو لأمور مخصوصة و أحوال في المحرم و المحرم عليه و لا محلل و لا محرم إلا اللّٰه بلسان الشرع لسان الرسول ص أو المجتهد من علماء الرسوم كالفقهاء و فيه علم تغير الإقبال الإلهي لتغير الأحوال و فيه علم إقامة العظيم مقام الجماعة و فيه علم السياسات في المخاطبات من العلماء و العارفين الدعاة إلى اللّٰه و فيه علم الجزاء بالمماثل في أي نوع كان و فيما يحمد من ذلك كله و فيما يذم و فيه علم المعية الإلهية وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الستون و ثلاثمائة في معرفة منزل مفاتيح خزائن الجود»

قلت لما أن قال قومي بأني	قلت ما قلت و الكؤس تدار
من مدير الكؤس قلت حبيبي	و هو شربي الذي عليه المدار
ثم قالوا فما يقول حبيب	في إله له القلوب تغار
و لسان الكريم يعطيك مالا	ثم يأتيك سائلا فتحار

و لك الحكم بعد ذا و الخيار كرما منه و امتنانا و فضلا

أو تشأ ضده فليس يغار إن تشأ قلت أنت مالك هذا

حكم الجبر فيه و الاضطرار كل هذا أباحه لك فضلا

اعلم أيدنا الله و إياك أنه ما من شيء أوجده الله في العالم الذي لا أكمل منه في الإمكان إلا و له أمثال في خزائن الجود و هذه الخزائن في كرسيه و هذه الأمثال التي تحتوي عليها هذه الخزائن لا تنتهي أشخاصها فالأمثال من كل شيء توجد في كل زمان فرد في الدنيا و الآخرة لبقاء كل نوع وجد منه ما وجد و اختلف أصحابنا في هذا النوع الإنساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه و من كشف قال بعدم انتهائه و إن التوالد في الآخرة في هذا النوع الإنساني باق في المثل في نكاح الرجل المرأة الآدمية الإنسانية على صورة أذكرها و التوالد أيضا بين جنسين مختلفين و هما بنو آدم و الحور اللاتي أنشأهن الله في الجنان على صورة الإنسان و لسن بأناسي فتوالدهما بنكاح بينهما في الإنس و الحور و يتناكحان في الزمن الفرد ينكح الرجل إذا أراد جميع من عنده من النساء و الحور من غير تقدم و لا تأخر مثل فاكهة الجنة لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ بل بقطف دان من غير فقد مع وجود أكل و طيب طعم فإذا أفضى الرجل إلى الحوراء أو الإنسية له في كل دفعة شهوة و لذة لا يقدر قدرها لو وجدها في الدنيا غشى عليه من شدة حلاوتها فتكون منه في كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فيتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل دفعة و يكمل نشؤه ما بين الدفعتين و يخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة روحا مجردا طبيعيا فهذا هو التوالد الروحاني في البشري بين الجنسين المختلفين و المتماثلين فلا يزال الأمر كذلك دائما أبدا و يشاهد الأبوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح و هم كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور و لا يعودون إليه أبدا هذا صورة توالد هذا النوع الإنساني و لا حظ لهؤلاء الأولاد في النعيم المحسوس و لا بلغوا مقام النعيم المعنوي فنعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه و ذلك لما يقتضيه النشء الطبيعي فلا يزال النوع الإنساني يتوالد و لكن حكمه ما ذكرناه و أما توالد الأرواح البشرية فإن لهما في الآخرة مثل ما لهما في الدنيا اجتماعات برزخيات مثل ما يرى النائم في النوم أنه ينكح زوجته و يولد له فإذا أقيم العبد في هذا المقام سواء كان في الدنيا أو في الآخرة و نكح الرجل من حيث روحه زوجته من حيث روحها يتولد بينهما من ذلك النكاح أولاد روحانيون ما يكون حكمهم حكم المولدين من النكاح الحسي في الأجسام و الصور المحسوسات التي تقدم ذكرها فيخرج الأولاد ملائكة كراما لا بل أرواحا مطهرة و هذا هو توالد الأرواح و لكن لا بد أن يكون ذلك عن تجل برزخي فتجلى الحق في الصور المقيدة فإن البرزخ أوسع الحضرات جودا و هو مجمع البحرين بحر المعاني و بحر المحسوسات فالمحسوس لا يكون معنى و المعنى لا يكون محسوسا و حضرة الخيال التي عبرنا عنه بمجمع البحرين هو يجسد المعاني و يلطف المحسوس و يقلب في عين الناظر عين كل معلوم فهو الحاكم المتحكم الذي يحكم و لا يحكم عليه مع كونه مخلوقا إلا

إن الأنفاس التي تظهر من تنفس الحوراء أو الآدمية إذا كانت صورة ما ظهرت فيه من نفس النكاح يخرج مخالفا للنفس الذي لا صورة فيه يميزه أهل الكشف و لا يدرك ذلك في الآخرة إلا أهل الكشف في الدنيا و صورة هذا النشء المتولد عن هذا النكاح في الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين الله و ما يخلق الله من صور الأعمال و قد صحت الأخبار بذلك عن رسول الله ص و إنما جعلنا الكرسي موضع هذه الخزائن لأن الكرسي لغة عبارة عن العلم كما قال وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أي علمه و كذلك هو هنا فإن الخزائن فيها أشخاص الأنواع و هذه الأشخاص لا تتناهى و ما لا يتناهى لا يدخل في الوجود إذ كل ما يحصره الوجود فإنه متناه فلا بد أن يكون الكرسي هنا علمه فإن علمه محيط بما لا يتناهى فلا تتخيل في الكرسي الذي ذكرناه أنه هذا الكرسي الذي فوق السموات و دون العرش فإنه كرسي محصور موجود متناهى الأجزاء و اعلم أن أفضل ما جاد به الله تعالى على عباده العلم فمن أعطاه الله العلم فقد منحه أشرف الصفات و أعظم الهبات و العلم و إن كان شريفا بالذات فإن له شرفا آخر يرجع إليه من معلومه فإنها صفة عامة التعلق و تشرف المفاتيح بشرف الخزائن و تشرف الخزائن بقدر شرف ما اختزن فيها فالموجود الحق أعظم الموجودات و أجلها و أشرفها فالعلم به أشرف العلوم و أعظمها و أجلها ثم ينزل الأمر في الشرف إلى آخر معلوم و ما من شيء إلا و العلم به أحسن من الجهل به فالعلم شرفه ذاتي له و الشرف الآخر مكتسب و الخزائن محصورة بانحصار أنواع المعلومات و مرجعها و إن كثرت إلى خزانتين خزانة العلم بالله و خزانة العلم بالعالم و في كل خزانة من هاتين الخزانتين خزائن كالعلم بالله من حيث ذاته بالإدراك العقلي و من حيث ذاته بالإدراك الشرعي السمعي و العلم به من حيث أسماؤه و العلم به من حيث نعوته و العلم به من حيث صفاته و العلم به من حيث النسب إليه و كل ذلك من حيث النظر الفكري و من حيث السمع و هو من حيث السمع كما هو من حيث الكشف و الخزانة الأخرى التي هي العلم بالعالم تحوي على خزائن و في كل خزانة خزائن فالخزائن الأول العلم بأعيان العالم من حيث إمكانه و من حيث وجوبه و من حيث ذواته القائمة بأنفسها و من حيث أكوانه و من حيث ألوانه و من حيث مراتبه و من حيث مكانه و زمانه و نسبه و عدده و وضعه و تأثيره و كونه مؤثرا فيه منه و من غيره إلى أمثال هذا من العلوم و علم الدنيا و البرزخ و الآخرة و الملإ الأعلى و الأدنى فأول مفتاح من هذه الخزائن أعطاه العالم بالله مفتاح خزانة العلم بالوجود مطلقا من غير تقييد بحادث و لا قديم و بما ذا تميز هل بنفسه أو بغيره و هو العدم فالوجود ظهور الموجود في عينه فإن به تظهر جميع الأحكام من نفي و إثبات و وجوب و إمكان و إحالة و وجود و عدم و لا وجود و لا عدم هذا كله لا يثبت و لا يصح إلا من موجود يكون عينه و ماهيته و وجوده لا يقبل التكثر إلا بحكمه عليه فإن الحقائق التي تبرز إليه فيه لوجوده فنقول بالكثرة في عينه و هو واحد و لكل حقيقة اسم فله أسماء

و لم يرني غير فكنت بصيرا تجسدت أسمائي فكنت كثيرا

فيا قائلا بالغير أين وجوده و أين يكون الغير كنت غيورا

تعالى على من أو بعز فليس ثم فبالحق كان الحق فيه غفورا

فو الله لو لا الله ما كان كونه غنيا و لا كان الغني فقيرا

بمن أو إلى من علق الفقر و الغني فسل بالذي قام الوجود خبيرا

فإذا كان الوجود أول خزائن الجود و أعطاك الحق مفتاح هذه الخزانة كالذي كان عرفك بك فعرفته فأنت أول معلوم و هو آخر معلوم و أنت آخر موجود و هو أول موجود فإنه ليس في قوتك إن تعلم المعدوم لأن العلم شهود و إن لم يكن كذلك فليس بعلم هذا هو الحق الذي لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ فأوجد من كل خزانة عينا قائمة أو عينا في عين أو لا عينا في عين و أعني بقولي لا عين في عين النسب فإنه ليست لها أعيان و حكمها يحكم على الوجود لا عيان بها و لا وجود لها إلا بالحكم فلما أوجد ما ذكرناه عمد إليك فأوجدك كاملا لانتهاء طرفي الدائرة فظهرت في وجودك و إن كنت آخرا بصورة الأول فانحصر العالم بينك و بينه فلا مخلص له منكما فلم تتميز عنه و لا تميز عنك في الحكم و ظهرت فيك صور العالم كلها التي أخرجها من تلك الخزائن فشاهدتك فحصل لك العلم بها فعلمت من العالم ما لم يعلم العالم من نفسه من الحكم فردا فردا و قال لك كلما بقي في الخزائن مما لا يتناهى فهو مثل ما علمت فمن أحاط علما بواحد من الجنس فقد أحاط علما بالجنس فإنه ما ثم إلا أمثال فما التقى طرفا الدائرة حتى حدث المحيط و دل المحيط على نقطة الدائرة فحدثت الخطوط من النقطة إلى المحيط و لم تتجاوزه فإن انتهاء الخط إنما يكون إلى نقطة من المحيط فانتهى إلى ما منه خرج فصورة أوليته عين صورة آخريته فيصير من حكم نقطة آخره الذي انتهى إليها من المحيط من كذا إلى محيط آخر نصفه من داخل المحيط الأول و نصفه من خارجه لحكم الظاهر و الباطن و يلتقي طرفاه أيضا كالتقاء المحيط الأول حتى يكون على صورته لأنه من المحال أن يخرج على غير صورته ثم يظهر من الحكم في المحيط ما ظهر في المحيط الأول إلى ما لا يتناهى و هو ما يبرز من تلك الخزائن الذي لا يتناهى ما تحوي عليه و هو الخلق الجديد الذي الكون فيه دائما أبدا و بعض الناس أو أكثر الناس في لبس من ذلك كما قال تعالى بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ مع الأنفاس و لكن بصورة ما ذكرناه فالنقطة سبب في وجود المحيط و المحيط سبب في حصول العلم بالنقط فالمحيط حق و خلق و النقطة حق و خلق فهذان حكمان يسريان في كل دائرة ظهرت من الدائرة الأولى و لما ظهرت الدوائر بالغا ما بلغت و لا تزال تظهر صارت الدائرة الأولى التي أحدثت هذه الدوائر خفية لا تعرف و لا تدرك لأن كل دائرة قربت منها أو بعدت عنها فهي على صورتها فكل دائرة يقال فيها تشهدها ما تشهدها فهذا هو غيب في شهادة فالدوائر الظاهرة في الدائرة الأولى عددها مساو لعدد خزائن الأجناس كانت ما كانت لا يزاد فيها و لا ينقص منها و ما يخرج و يحدث عنها من الدوائر إلى ما لا يتناهى دوائر أشخاص تلك الأجناس إلى ما لا يتناهى و تدل عين دائرة الشخص على أمر يسمى

نوعا و هو ما بين الجنس و الشخص فيحدث عندك أنواع في أنواع و لكن منحصرة و لا تعرف إلا من الأشخاص لأن النوع معقول بين الجنس الأعم و الشخص و كل متوسط بين طرفين إن شئت قلت إن الطرفين أظهرا له حكم التوسط و إن شئت قلت إن التوسط أظهر حكم الطرفين و هذا عين معرفة الحق بالخلق و الخلق بالحق

و لو لا شهود الحق بالخلق لم تكن　　فلو لا شهود الخلق بالحق لم يكن

و ما ثم إلا من يكون بقول كن　　فمن قال كن فهو الذي قد شهدته

و من علمه بالحق كان و لم يكن　　فمن علمه بالخلق يعرف حقه

فالمحيط يحفظ النقطة علما و النقطة تحفظ المحيط وجودا فكل واحد منهما حافظ محفوظ و لاحظ ملحوظ قال تعالى وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ فالكل مشهود و شاهد و الكل فاضل و مفضول فإن قال أحدهما أنا قال الآخر أنا و إن قال أحدهما أنت قال الآخر له أنت فلا يظهر كل واحد للآخر إلا بما يبدأ به كل واحد و القولان صحيحان

لمن تفني لمن تبقي　　فيا حقي و يا خلقي

و قد غص بها حلقي　　شربت شربة منه

فمن يقبل ما تلقى　　و ما ثم سوى عين

إذا ما قلت فاستبقي　　فقال لي الذي أعني

بين الخلق و الحق　　فإن الأمر محصور

فأخف الذكر في الحق　　و لو لا ذاك ما كنا

فأنت يا ولي الذكر المنزل فأنت المحفوظ و ما نزل إلا بك فأنت الحافظ فلا تفن عينك فإنه في نفس الأمر ما يفنى و غايتك إن تقول أنا هو فمدلول هو ما هو مدلول أنا فما يتخلص لك ما ترومه أبدا و إذا عز عن التخلص فقل به و قل بك و تميز عنه و ميزه عنك تميز الأول عن الآخر و الآخر عن الأول و تميز عن العالم و ميزه عنك تميز الظاهر من الباطن و الباطن من الظاهر فإنك من العالم روح العالم و العالم صورتك الظاهرة و لا معنى للصورة بلا روح فلا معنى للعالم دونك فإذا ميزت عينك من الحق و من العالم عرفت قدرك بمعرفة الحق و عرفت منزلتك بمعرفة العالم

و أنزلت عهدا مثل ما أنزل العهدا　　فكنت لذا ربا و كنت لذا عبدا

فلا تلتزم ذما و لا تلتزم حمدا　　فإن كنت ذا لب و غوص و فطنة

بسهو وحرر عند فعلتك القصدا　　و لا تفعلن شيئًا إذا ما فعلته

يغالبكم فاعمد إلى تركه عمدا　　فما أنت ذاك الشخص إن كان سهوكم

فهذا الذي أنبأتك به مفتاح من مفاتح خزائن الجود فلا تضيعه فإنه يعمل عمل كل مفتاح و لا يعمل مفتاح عمله فبه يفتح كل مغلق و لا يفتح بغيره ما أغلقه هذا المفتاح و مفتاح الغيب لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ فلا تعلم إلا منه فلا تطمع أن تصل إلى علمها بك و من طمع في غير مطمع فقد شهد على نفسه بالجهل وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و ما ثم الا سماء و أرض وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فله صورة في كل سماء و أرض وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ و هُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ من كونه في الأرض وَجَهْرَكُمْ من كونه في السماء و من حيث النشأة يعلم سركم من كونه في السماء و هو معناكم الذي خفي عن الأبصار عينه و ظهر حكمه و له العلو فهو في السماء و هو الباطن و يعلم أيضا جهركم من كونه في الأرض و هو ظاهركم الذي ظهر للابصار عينه و خفي حكمه لأن حكمه في روحه فإنه الذي تفيده العلوم بحواسه فله النزول فهو الأرض فهو الظاهر

و أن الذي قلناه أمر محقق　　فقد بان أن الحق بالحق ينطق

فعكس الذي قلناه لفظ ملفق　　فلا تعدلن إن كنت للحق طالبا

فيقول العبد الكامل الذي لا أكمل منه لي وقت لا يسعني فيه غير ربي و يقول الأصل لي وقت لا يسعني فيه غير نفسي فإن الأوقات كلها استغرقها العالم في الجانبين و لهذا كان الإنسان الكامل خليفة له تعالى فلهذا سبق علمه بنفسه على علمه بربه و بهذا جاء الخبر من عرف نفسه عرف ربه فإن من استخلفه علم العالم من علمه بنفسه و الخليفة على صورة من استخلفه فعلم ربه من علمه بنفسه و علم إن كل من اتصف بالوجود فهو متناه أي كل ما دخل في الوجود و بقيت الحيرة في العلم بالله من كونه موجودا هل يتصف بالتناهي لكونه موجودا أو لا يتصف بالتناهي فإن أرادوا بالتناهي كون عين الموجود موصوفا بالوجود فهو متناهى كما هو كل موجود و إن عينه موجودة و إن أرادوا بالتناهي انتهاء مدة وجوده ثم ينقطع فهذا لا يصح عقلا في الحق لأنه واجب الوجود لذاته فلا يقبل التناهي وجوده و لأن بقاءه ليس بمرور المدد عليه المتوهمة فهو محال من وجهين تناهيه و كذلك في أهل الآخرة أعني في أعيانهم و في الدار الآخرة سمعا و لا يتناهى بقاؤهم في الآخرة و لا استمرار المدد عليهم فنسبة البقاء إلى الله تخالف نسبة البقاء للعالم فالإطلاق في العلم و الحصر في الوجود

و الذي في العلم مطلق　　كل ما في الكون محصور

بوجوده　　تحقق　　فتدبر قول حبر

من وجود الحق أسبق　　إن علمي بوجودي

جاء علم الله يلحق　　فإذا علمت كوني

و لما كان العالم لا بقاء له إلا بالله و كان النعت الإلهي لا بقاء له إلا بالعالم كان كل واحد رزقا للآخر به يتغذى لبقاء وجوده محكوما عليه بأنه كذا

كما أنه رزق الكيان بلا شك　　فنحن له رزق تغذى بكوننا

إلها و هذا القول ما فيه من إفك　　فيحفظنا كونا و نحفظ كونه

يقر لملك الملك بالرق و الملك　　فلا غرو أن الكون في كل حالة

فالوجود الحادث و القديم مربوط بعضه ببعضه ربط الإضافة و الحكم لا ربط وجود العين فالإنسان مثلا موجود العين من حيث ما هو إنسان و في حال وجوده معلوم الأبوة إذا لم يكن له ابن يعطيه وجوده أو تقدير وجوده نعت الأبوة و كذلك أيضا هو معدوم نعت المالك ما لم يكن له ملك يملكه به يقال إنه مالك و كذلك الملك و إن كان موجود العين لا يقال فيه ملك حتى يكون له مالك يملكه فالله من حيث ذاته و وجوده غني عن العالمين و من كونه ربا يطلب المربوب بلا شك فهو من حيث العين لا يطلب و من حيث الربوبية يطلب المربوب وجودا و تقديرا و قد ذكرنا أن كل حكم في العالم لا بد أن يستند إلى نعت إلهي إلا النعت الذاتي الذي يستحقه الحق لذاته و به كان غنيا و النعت الذاتي الذي للعالم بالاستحقاق و به كان فقيرا بل عبدا فإنه أحق من نعت الفقر و إن كان الفقر و الذلة على السواء و لهذا قال الحق لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار و القادر على الشيء و الانفعال الذاتي عن الشيء لا يتصف ذلك القادر و لا الذي عنه انفعل ما انفعل بالافتقار بخلاف المنفعل فإنه موصوف بالذلة و الافتقار فتميز الحق من الخلق بهذا و إن كان الخلق بالحق و الحق بالخلق مرتبطا بوجه فالأمر كما قررناه و هذا المنزل قد حواه فيقول القائل فلما ذا يستند الحكم بالهوى و هو موجود في الكون و الحق لا يحكم بالهوى فالأهواء ما مستندها قلنا إن تفطنت لقول الله تعالى إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فلم يصف نفسه بالتحجير عليه في حكمه و الكون موصوف بالتحجير فتوجه عليه الخطاب بأنه لا يحكم بكل ما يريد بل بما شرع له ثم إنه لما قيل فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى أي لا تحكم بكل ما يخطر لك و لا بما يهوى كل أحد منك بل احكم بما أوحى به إليك فإن الله تعالى قال جبر القلب خلفائه قل يا محمد رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ أي و لا تفعل ما تريد فليكن حكمك في الأمم يوم القيامة بما شرعت لهم و بعثتنا به إليهم فإن ذلك مما يراد فإنك ما أرسلتنا إلا بما تريد حتى يثبت صدقنا عندهم و تقوم الحجة عليهم إذا حكم الحق في كل أمة بما أرسل به نبيه إليهم و بهذا تكون لله الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فدل التحجير على الخلق في الأهواء أن لهم الإطلاق بما هم في نفوسهم ثم حدث التحجير في الحكم و التحكم كما أنه فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ ثم إنه ما حكم إلا بما شرع و أمر عبده أن يسأله تعالى في ذلك حتى يكون حكمه فيه عن سؤال عبده كما كان حكم العبد بما قيده من الشرع عن أمر

ربه بذلك فليست الأهواء إلا مطلق الإرادات فقد علمت لما ذا استندت الأهواء و استند التحجير ثم لتعلم إن الهوى و إن كان مطلقا فلا يقع له حكم إلا مقيدا فإنه من حيث القابل يكون الأثر فالقابل لا بد أن يقيده فإنه بالهوى قد يريد القيام و القعود من العين الواحدة التي تقبلهما على البدل في حال وجود كل واحد منهما في تلك العين و القابل لا يقبل ذلك فصار الهوى محجورا عليه بالقابل فلما قبل الهوى التحجير بالقابل علمنا إن هذا القبول له قبول ذاتي فحجر الشرع عليه فقبل و ظهر حكم القابل في الهوى ظهوره في مطلق الإرادة فيمن اتصف بها فلما خلق الله النفس الناطقة أو الخليفة قل ما شئت خلق فيه قوى روحانية معنوية نسبية معقولة و إن كانت هذه القوي عين من اتصف بها كالاسماء و الصفات الإلهية التي مرجعها و كثرتها إلى نسب في عين واحدة لا تقبل الكثرة في عينها و لا العدد الوجودي العيني فكان من القوي التي خلقها في هذا الخليفة بل في الإنسان الكامل و الحيوان و هو مطلق الإنسان قوة تسمى الوهم و قوة تسمى العقل و قوة تسمى الفكر و ميز الحضرات الثلاثة لهذا الخليفة و ولاه عليها حضرة المحسوسات و حضرة المعاني المجردة في نفسها عن المواد و إن لم يظهر بعضها إلا في بعض المواد و حضرة الخيال و جعل الخيال حضرة متوسطة بين طرفي الحس و المعنى و هو خزانة الجبايات التي تجبيها الحواس و جعل فيه قوة مصورة تحت حكم العقل و الوهم يتصرف فيها العقل بالأمر و كذلك الوهم أيضا يتصرف فيها بالأمر و قوى في هذه النشأة سلطان الوهم على العقل فلم يجعل في قوة العقل أن يدرك أمرا من الأمور التي ليس من شأنها أن تكون عين مواد أو تكون لا تعقل من جهة ما إلا في غير مادة كالصفات المنسوبة إلى الله المنزه عن إن يكون مادة أو في مادة فعلمه المنسوب إليه ما هو مادة و لا ينسب إلى مادة فلم يكن في قوة العقل مع علمه بهذا إذا خاض فيه أن يقبله إلا بتصور و هذا التصور من حكم الوهم عليه لا من حكمه فالحس يرفع إلى الخيال ما يدركه و تركب القوة المصورة في الخيال ما شاءته مما لا وجود لهفي الحس من حيث جملته لكن من حيث أجزاء تلك الجملة فإن كانت القوة المصورة قد صورت ذلك عن أمر العقل بقوة الفكر فذلك لطلبه العلم بأمر ما و العلم مقيد بلا شك و إن كان ما صورته المصورة عن أمر الوهم لا من حيث ما تصرف به العقل من حكم الوهم بل من الوهم نفسه فإن تلك الصورة لا تبقي فإن الوهم سريع الزوال لإطلاقه بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده و لما كان الغالب على الخلق حكم الأوهام لسلطنة الوهم على العقل فإنه أثر فيه إنه لا يقبل معنى يعلم قطعا أنه ليس بمادة و لا في مادة إلا بتصور و ذلك التصور ليس غير الصورة التي لا يحكم بها إلا الوهم فصار العقل مقيدا بالوهم بلا شك فيما هو به عالم بالنظر و أما علمه الضروري فليس للوهم عليه سلطان و به يعلم أن ثم معاني ليست بمواد و لا في أعيان مواد و إن لم يقبلها بالنظر إلا في مواد من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم و لما علم الحق ما ركب عليه العالم المكلف مما ذكرناه أرسل الرسل إلى الناس و المكلفين فوقفوا في حضرة الخيال خاصة ليجمعوا بين الطرفين بين المعاني و المحسوسات فهو موقف الرسل ع فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة اعبد الله كأنك تراه ثم نبه هذا المخاطب المكلف بعد هذا التقرير على أمر آخر الطف منه لأنه علم إن ثم رجالا علموا إن ثم معاني مجردة عن المواد فقال له فإن لم تكن تراه أي

تقف مع دليلك الذي أعلمك أنك لا تراه فإنه يعني الله يراك أي ألزم الحياء منه و الوقوف عند ما كلفك فعدل في الخطاب إلى حكم و هم ألطف من الحكم الأول فإنه لا بد لهذا المكلف أن يعلم أنه يراه إما بعقله أو بقول الشرع و بكل وجه فلا بد أن يقيده الوهم فإن العبد بحيث يراه الله فأخرجه عنه فحده إذ ميزه مع علمه أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فحيره و هذه الحيرة سارية في العالم النوري و الناري و الترابي لأن العالم ما ظهر إلا على ما هو عليه في العلم الإلهي و ما هو في العلم لا يتبدل فالمرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها و القوابل تنفي الإطلاق عنها بالوقوع فعلمت سبب الحيرة في الوجود ما هو قال تعالى ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ أي ما حكم به العلم و سبق به الكتاب فعرفنا ذلك من العلم و الكتاب إذ كان له الحكم و الخلفاء إنما هم خلفاء العلم و الكتاب فالعلم و الكتاب حجابان عن الحق الذي هو غني عن العالمين فمرجع الكون للعلم و الكتاب فتنتج الأهواء مع إطلاقها ما تنتجه العقول مع تقييدها فلا يسلم لعقل حكم أصلا بلا وهم في هذه النشأة لأن النشأة لها ولادة على كل من ظهر فيها و ما ثم أعلى من الحق رتبة و مع هذا تخيلته و قال لها تخيليني أمرها بذلك لكونه لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها و وسعها ما تعطيه حقيقتها و جعل سعادتها في ذلك التخيل ثم قال لها لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فجمعت بين التنزيه فقيدته و بين التشبيه فقيدته فإنها مقيدة فلا تعلم إلا التقييد الذي هو حقيقتها

فالعقل ينتج ما الأهواء تنتجه ... فإنه عن هوى قد كان مخرجه

فليس يحكم في شيء بغير هوى ... إلا الضروري و الفكر يخرجه

و قد نبه الحق عباده في كتابه العزيز إن عنده خزانة خزائن كل شيء و الخزائن تقتضي الحصر و الحصر يقتضي التقييد ثم بين أنه ما ينزل شيئا منها إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و هو تقييد و لولا التقييد بين المقدمتين الذي يربطهما ما ظهرت بينهما نتيجة أصلا و لا ظهر خلق عن حق أصلا و لهذا سرى النكاح في المعاني و المحسوسات للتوالد قديما و حديثا و لكن لا يفقهون حديثا أي أنتم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به فإن الشرع كله حديث و خبر إلهي بما يقبله العقل و الوهم حتى تعم الفائدة و يكون كل من في الكون مخاطبا و يا علماء بالله و بالأمر لا تعلمون حديثا بل تعلمون قديما و إن حدث عندكم فما هو حديث العين ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و ما هو إلا كلام الله المنعوت بالقدم فحدث عندهم حين سمعوه فهو محدث بالإتيان قديم بالعين و جاء في مواد حادثة ما وقع السمع و لا تعلق إلا بها و تعلق الفهم بما دلت عليه هذه الأخبار و الذي دلت عليه منه ما هو موصوف بالقدم و منه ما هو موصوف بالحدوث فله الحدوث من وجه و القدم من وجه و لذلك قال من قال إن الحق يسمع بما به يبصر بما به يتكلم و العين واحدة و الأحكام تختلف قال تعالى إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ فعلق الذهاب بالمشيئة و قال وَإِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ فعلق الذهاب بالاقتدار فما به قدرته أراد و شاء و هنا علم شريف و هو أن متعلق القدرة الإيجاد لا الإعدام فيتعرض هنا أمران الأمر الواحد أن الذهاب المراد هنا ليس الإعدام و إنما هو انتقال من حال إلى حال فمتعلق القدرة ظهور المحكوم عليه بالحال التي انتقل إليها فأوجدت القدرة له ذلك الحال فما تعلقت إلا

بالإيجاد و الأمر الآخر إن وصفه بالاقتدار على الذهاب أي لا مكره له على إبقائه في الوجود فإن وجود عين القائم بنفسه أعني بقاءه إنما هو مشروط بشرط بوجود ذلك الشرط يبقى الوجود عليه و ذلك الشرط بيده الله به في كل زمان و له أن يمنع وجود ذلك الشرط و لا بقاء للمشروط إلا به فلم يوجد الشرط فانعدم المشروط و هذا الإمساك ليس من متعلق القدرة و قد وصف نفسه بالقدرة على ذلك فلم يبق إلا فرض المنازع الذي يريد بقاءه فهو قادر على دفعه لما لم يرد الله بقاءه فيقهر المنازع فلا يبقى ما أراد المنازع بقاءه و القهر حكم من أحكام الاقتدار و لما علمنا هذا و تقرر لدينا علمنا من تقدم و حكمه و من تأخر و حكمه كما قدمنا إن الشيء يكون متقدما من وجه متأخرا من وجه و في هذا المنزل من العلوم علم المثلثات الواقعة في الوجود و من أين أصلها و ما يتصل منها و ما ينفصل و فيه علم مناسبة القرآن للكتاب و كون التوراة و غيرها كتابا و ليست بقرآن و فيه علم تقليل النظير في المحمود و المذموم و فيه علم حكمة السبب في وجود ما لا يوجد إلا بسبب هل يجوز وجوده بغير سبب أم لا عقلا و فيه علم تهيؤ القوابل بذاتها لما يرد عليها مما تقبله و فيه ترك الإهمال من ترك ما يترك لمنفعة و كله ترك و فيه علم تأخير الوعيد ممن لا مانع له فهل ذلك لمانع لا يمكن رفعه أو هل هو عن اختيار إن صح وجود الإنسان في العالم فإنه ليس له مستند وجودي في الحق و إنما هو أمر متوهم ذكرناه في الباب الذي يليه هذا الباب فقد تقدم و فيه علم الآجال في الأشياء و الترتيب في الإيجاد مع تهيؤ الممكنات لقبول الإيجاد فما الذي أخرها و الفيض الإلهي غير ممنوع و القوابل مهياة للقبول و التأخير و التقديم مشهود فلما ذا يرجع فلا بد في هذا الموطن من حكم يسمى المشيئة و لا بد و لا يمكن رفع هذا الحكم بوجه من الوجوه و فيه علم ما ستر عن العالم أن يعلمه هل ينقسم إلى ما لا يزال مستورا عنه فلا يعلمه أبدا و إلى ما يعلمه برفع الستور و هل علم ما لا يرفع ستره ممكن أن يعلم لو رفع الستر أو ستره عينه فلا يمكن أن يعلم لذاته و فيه علم سبب طلب البينة من المدعي اسم فاعل و قبول الطالب لذلك شهادة البينة من غير حكم الحاكم و لا يكون ذلك حتى يتذكر المدعي عليه بشهادة البينة فهل قبوله شهادتهم للذكرى أم لأمر آخر و هو عدم التهمة لهم فيما شهدوا به و جوزوا النسيان منه لما شهدوا به عليه و ذلك لإنصافهم و فيه علم تأخير البيان عند الحاجة مع التمكن منه لا يجوز و فيه علم إقامة الجماعة مقام الواحد و إقامة الواحد مقام الجماعة و فيه علم رد الدلائل للأغراض النفسية هل يكون ردها عن خلل عنده في كون تلك الدلائل كما هي في نفسها صحيحة أو لا عن خلل و فيه علم من حفظ من العالم و بما ذا حفظ و ممن حفظ و لما ذا حفظ و فيه علم ما تحوي عليه الأرض من الكنوز و ما يظهر عليها مما يخرج منها أنه على حد معلوم لا يقبل الزيادة و النقص و فيه علم رزق العالم بعضه بعضا و فيه علم ترك الادخار من صفة أهل الله الذاكرين منهم و فيه علم نشء الحيوان على اختلاف أنواعه و فيما ذا يشترك و بما ذا يتميز صنف عن صنف و فيه علم التعريف الإلهي من شاء الله من عباده و فيه علم سبب سجود الملائكة لآدم إنما كان لأجل الصورة لا لأن علمهم الأسماء فأمروا بالسجود قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله من الأسماء و لو كان السجود بعد ظهوره بالعلم ما أبى إبليس و لا قال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ و لا استكبر عليه و لهذا قال أ

أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً و قال خَلَقْتَنِي من نا رٍ وَخَلَقْتَهُ من طِينٍ ثم بعد ذلك أعلم الله الملائكة بخلافته فقالوا ما أخبر الله عنهم و لهذا قال تعالى في بعض ما كرره من قصته وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فأتى بالماضي من الأفعال و بأداة إذ و هي لما مضى من الزمان فاجعل بالك لهذه المسألة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته و لما ذا نهي في الشرع أن يسجد إنسان لإنسان فإنه سجود الشيء لنفسه فإنه مثله من جميع وجوهه و الشيء لا يخضع لنفسه و لهذا لما سئل ص في الرجل إذا لقي الرجل أ ينحني له قال لا قيل له أ يصافحه قال نعم و فيه علم ما السبب في عداوة الأمثال هل لكون المثلين ضدين أو لأمر آخر و فيه علم ما جهل الأعلى من الأدنى حين افتخر عليه و ما له شرف إلا به فإنه لو لا الأدنى ما ظهر فضل الأعلى فأي فائدة لافتخاره و الحال يشهد له بذلك و لم يكتف و لهذا قال ص أنا سيد ولد آدم و لا فخر أي ما قصدت الفخر عليكم بذلك فإنه معلوم بالمقام و الحال أنه سيد الناس و فيه علم حكمة منسأل أمرا فيه شقاؤه فأجابه المسئول مع علمه بذلك و لم ينبهه على ما عليه من الشقاء في ذلك و فيه علم إن المأمور يمتثل أمر سيده ثم يعاقبه السيد على امتثال أمره ما حكم هذا الفعل من السيد و فيه علم الفرق بين من أخذ بالحجة و بين من أخذ بالقهر و فيه علم الخمسة عشر و فيه علم التساوي بين الضدين فيما اجتمعا فيه و فيه علم المبادرة لكرامة الضيف النازل عليك و إن لم تعرفه بما ذا تقابله و أنت لا تعرف منزلته فتكرمه بقدر ما تعرف من منزلته و تعامله بذلك فإن الكرامة على قسمين القسم الواحد يعم المعروف و غير المعروف و القسم الآخر ما يفضل بها المعروفون و فيه علم التعريف بما يقع به الأمان للخائف و الأنس للمستوحش و فيه علم النصائح و فيه علم التذكير و المواعظ و فيه علم من ينبغي أن يصحب ممن لا ينبغي أن يصحب و من ينبغي أن يتبع ممن لا ينبغي أن يتبع و من ينبغي أن يعرف من غير صحبة و لا اتباع و من يصحب و يتبع و لا يعرف و فيه علم ما لا بد من العلم به و هو العلم بطريق نجاتك «وصل» هذا المنزل بينه و بين الباب السبعين و مائتين وصلة بنسبة خاصة فألحقنا منه في هذا المنزل هذا القدر الذي أذكره إن شاء الله و ذلك أن الله تعالى لما خلق الأرواح النورية و النارية أعني الملائكة و الجان شرك بينهما في أمر و هو الاستتار عن أعين الناس مع حضورهم معهم في مجالسهم و حيث كانوا و قد جعل الله عز و جل بينهما و بين أعين الناس حِجاباً مَسْتُوراً فالحجاب مستور عنا و هم مستورون بالحجاب عنا فلا نراهم إلا إذا شاءوا أن يظهروا لنا و لهذا سمى الله الطائفتين من الأرواح جنا أي مستورين عنا فلا نراهم فقال في حق الملائكة في الذين قالوا إن الملائكة بنات الله وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً يعني بالجنة هنا الملائكة لقولهم ما ذكرناه آنفا و كانوا يكرهون نسبة البنات إليهم فأخبرنا الله بذلك في قوله وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ما يَكْرَهُونَ فإنهم كانوا يكرهون البنات و بهذا أخبرنا الله عنهم في قوله تعالى وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ و هو قوله تعالى وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ و أنكر الله عليهم نسبة الأنوثة إلى الملائكة في قوله أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَهُمْ شاهِدُونَ فلما شرك الله تعالى بين الملائكة و بين الشياطين في الاستتار سمي الكل جنة فقال في الشياطين من شَرِّ

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ يعني بالجنة هنا الشياطين و قال في الملائكة وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً يعني الملائكة وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ و الملائكة رسل من الله إلى الإنسان موكلون به حافظون كاتبون أفعالنا و الشياطين مسلطون على الإنسان بأمر الله فهم مرسلون إلينا من الله و قال عن إبليس إنه كان من الْجِنّ يعني الملائكة فَفَسَقَ أي خرج أي عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أي من الذين يستترون عن الإنس مع حضورهم معهم فلا يرونهم كالملائكة فلما شرك بينهم في الرسالة أدخله أعني إبليس في الأمر بالسجود مع الملائكة فقال وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ فأدخله معهم في الأمر بالسجود فصح الاستثناء و جعله منصوبا بالاستثناء المنقطع فقطعه عن الملائكة كما قطعه عنهم في خلقه من نار فكأنه يقول إلا من أبعده الله من المأمورين بالسجود و لا ينطلق على الأرواح اسم جن إلا لاستتارهم عنا مع حضورهم معنا فلا نراهم فحينئذ ينطلق عليهم هذا النعت فالجنة من الملائكة هم الذين يلازمون الإنسان و يتعاقبون فينا بالليل و النهار و لا نراهم عادة و إذا أراد الله عز و جل أن يراهم من يراهم من الإنس من غير إرادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم و قد يأمر الله الملك و الجن بالظهور لنا فيتجسدون لنا فنراهم أو يكشف الله الغطاء عنا فنراهم رأى العين فقد نراهم أجسادا على صور و قد نراهم لا على صور بشرية بل نراهم على صورهم في أنفسهم كما يدرك كل واحد منهم نفسه و صورته التي هو عليها و أن الملائكة أصل أجسامها نور و الجن نار مارج و الإنسان مما قيل لنا و لكن كما استحال الإنس عن أصل ما خلق منه كذلك استحال الملك و الجن عن أصل ما خلقا منه إلى ما هما عليه من الصور فقد بان لك ما اشترك فيه الجان و الملك و ما تميز به بعضهما عن بعض فيعتبر الله في التعبير لنا عن كل واحد منهما إما بالصفة المشتركة بينهما أو بما ينفرد كل جنس منهما به كيف شاء لمن نظر نظرا صحيحا في ذلك و خلق الله الجان شقيا و سعيدا و كذلك الإنس و خلق الله الملك سعيدا لا حظ له في الشقاء فسمى شقي الإنس و الجان كافرا و سمي السعيد من الجن و الإنس مؤمنا و كذلك شرك بينهما في الشيطنة فقال تعالى شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ و قال الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ و قد علمنا إن النفس بذاتها و إن كانت مقيدة لا تشتهي التقييد بذاتها و تطلب السراح و التصرف بما يخطر لها من غير تحجير فإذا رأيت النفس قد حبب إليها التحجير فقامت به طيبة و كره إليها تحجير آخر فقامت به إن قامت غير طيبة مكرهة فتعلم قطعا إن ذلك التحجير مما ألقي إليها من غير ذاتها كان التحجير ما كان فإذا حبب إلى نفوس العامة القيام بتحجير خاص فتعلم قطعا إن ذلك التحجير هو الباطل الذي يؤدي العمل به إلى شقاوة العامل به و الواقف عنده فإن الشيطان الذي يوسوس في صدره يوسوس إليه دائما و يحببه إليه لأن غرضه أن يشقيه و إذا رأيته يكره ذلك التحجير و يطلب تأويلا في ترك العمل به فتعلم إن ذلك تحجير الحق الذي يحصل للعامل به السعادة إلا أهل الكشف الذين حبب الله إليهم الايمان و زينه في قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان و إن لم يعرفوا أنهم كشف لهم و لكن علمناه نحن منهم و هم لا يعلمونه من نفوسهم و لهذا نرى من ليس بمسلم يثابر على دينه و ملازمته كأكثر اليهود و

النصارى أكثر مما يثابر المسلم على إقامة جزئيات دينه و مثابرته على ذلك دليل على أنه على طريق يشقى بسلوكه عليها و هذا من مكر الله الخفي الذي لا يشعر به كل أحد إلا من كان على بصيرة من ربه و هذا الصنف قليل و لا يوجد في الجن لا في مؤمنهم و لا في كافرهم من يجهل الحق و لا من يشرك و لهذا ألحقوا بالكفار و لم يلحقهم الله بالمشركين و إن كانوا هم الذين يجعلون الإنس أن يشركوا فإذا أشركوا تبرءوا ممن أشرك كما قال تعالى كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ و هو وحي الشيطان إلى وليه ليجادل بالباطل أهل الحق فإذا كفر يقول له إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فوصف الشيطان بالخوف من الله و لكن على ذلك الإنسان لا على نفسه فخوف الشيطان على الذي قبل إغواءه لا على نفسه كما تخاف الأنبياء ع يوم القيامة على أممهم لا على أنفسهم و سبب ارتفاع الخوف من الشيطان على نفسه علمه بأنه من أهل التوحيد و لهذا قال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فأقسم به تعالى لعلمه بربه كأنه يرى الحق أنه قد علم من نشأة الإنسان قبوله لكل ما يلقي إليه فلما سأل ذلك أجاب الله سؤاله فأمره بما أغوى به الإنس فقال له اذهب يعني إلى ما سألته مني و ذكر له جزاءه و جزاء من اتبعه من الإنس فكان جزاء الشيطان إن رده إلى أصله الذي منه خلقه و جزاء الإنسان الذي اتبعه كذلك و لكن غلب جزاء الإنسان على جزاء إبليس فإن الله ما جعل جزاءهما إلا جهنم و فيها عذاب إبليس فإن جهنم برد كلها ما فيها شيء من النارية فهو عذاب لإبليس أكثر منه لمتبعه و إنما كان ذلك لأن إبليس طلب أن يشقي الغير فحار وباله عليه لما قصده فهو تنبيه من الحق لنا أن لا نقصد وقوع ما يؤدي إلى الشقاء لأحد فإن ذلك نعت إلهي و لذلك أبان الله طريق الهدى من طريق الضلالة فالعبد المستقيم هو الذي يكون على صراط ربه مع أن الشيطان تحت أمر ربه في قوله اذْهَبْ و اسْتَفْزِزْ و أَجْلِبْ و شارِكْهُمْ و عِدْهُمْ و هذه كلها أوامر إلهية فلو كانت ابتداء من الله ما شقي إبليس و لما كانت إجابة له لما قال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ و لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ شقي بها كما تعب المكلف فيما سأله من التكليف فإن الشرع منه ما نزل ابتداء و منه ما نزل عن سؤال و لو لا إن الرحمة شاملة لكان الأمر كما ظهر في العموم و لما قيدت هذا الوصل غفوت غفوة فرأيت في المبشرة يتلى على شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ من الوحدة فهو كثير بالأحكام فإن لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و كل اسم علامة على حقيقة معقولة ليست هي الأخرى و وجوه العالم في خروجه من العدم إلى الوجود كثيرة تطلب تلك الأسماء أعني المسميات و إن كانت العين واحدة كما إن العالم من حيث هو عالم واحد و هو كثير بالأحكام و الأشخاص ثم تلي على الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ و ما ذكر لشقي هنا نعتا و لا حالا بل ذكر الأمر بين اجتباء و هداية ثم قيل لي من علم الهداية و الاجتباء علم ما جاءت به الأنبياء و كلا الأمرين إليه فمن اجتباه إليه جاء به إليه و لم يكله إلى نفسه و من هداه إليه أبان له الطريق الموصلة إليه ليسعده و تركه و رأية ف إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ و لما جاء تعالى في هذه الآية العامة و لم يذكر للشقاوة اسما و لا عينا و ذكر الاجتباء و الهداية و هو البيان هنا و جعل

الأمرين إليه علمنا إن الحكم للرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و ما ذكر في المشرك إلا كون هذا الذي دعي إليه كبر عليه لأنه دعي من وجه واحد و هو يشهد لكثرة من وجوده الذي جعله الحق دليلا عليه في قوله من عرف نفسه عرف ربه و ما عرف نفسه إلا واحدا في كثير أو كثيرا في واحد فلا يعرف ربه إلا بصورة معرفته بنفسه فلذلك كبر عليه دعاء الحق إلى الأحدية دون سائر الوجوه و ذلك لأن المشرك ما فهم عن الله مراد الله بذلك الخطاب فلما علم الحق أن ذلك كبر عليه رفق به و جعل الأمر إليه تعالى بين اجتباء و هداية فشرك بالاجتباء و الهداية و وحد بإليه في الأمرين رفقا به و أنسا له ليعلم أنه الغفور الرحيم بالمسرفين على أنفسهم و لما رأى إبليس منة الله قد سرت في العالم طمع في رحمة الله من عين المنة لا من عين الوجوب الإلهي فعبده مطلقا لا مقيدا ففي أي وجهة تصرف لم يخرج عن حق كما إن الشرع الذي وصى به من ذكره في هذه الآية متنوع الأحكام ينسخ بعضه بعضا و الكل قد أمروا بإقامته و أن لا يتفرق فيه للافتراق الذي فيه فهو يدعو بالكثرة إلى عين واحدة أو بالوحدة إلى حقائق كثيرة كيف شئت فقل ما شئت مما لا يغير المعنى

كالكل في عين الشهود	فالكل في حكم الوجود
و تبين أعلام الجحود	لتعم رحمته الورى
يدعي الشقي أو السعيد	فيكون رحمانا بمن
هذا بجنات الخلود	هذا بدار جهنم
عن الانحصار عن الحدود	و الله جل بذاته

و هذا الوصل واسع المجال فيه علم الأوامر المختصة بالشارع وحده و هو الرسول و علم ما يتقى به من الأسماء الإلهية و علم مالك الملك و مدلول اسم الإله و نعته بالأحدية في قوله ما من إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ واحِدٌ و إضافته إلى الضمير مثل إِلٰهُكُمْ و إلى الظاهر مثل وَإِلٰهُ مُوسى و إِلٰهِ النّاسِ هل الحكم واحد أو يتغير بتغير الإضافة أو بالنعت و علم الربوبية و كونها لم تأت قط من عند الله من غير تقييد و علم الإلهام و اختلاف الاسم عليه بالطرق التي منها يأتي «الوصل الثاني من هذا الباب» و هو ما يتصل به من المنزل الثاني من المنازل المذكورة في هذا الكتاب و هو يتضمن علوما منها علم الفصل بين ما يقع به الإدراك للأشياء و بين ما لا يدرك به إلا نفسه خاصة و علم اختزان البزرة و النواة و الحبة ما يظهر منها إذا بزرت في الأرض و كيف تدل على علم خروج العالم من الغيب إلى الشهادة لأن البزرة لا تعطي ما اختزن الحق فيها إلا بعد دفنها في الأرض فتنفلق عما اختزنته من ساق و أوراق و بزور أمثالها من النواة نوى و من الحبة حبوب و من البزرة بزور فتظهر عينها في كثير مما خرج عنها فتعلم من هذا ما الحبة التي خرج منها العالم و ما أعطت بذاتها فيما ظهر من الحبوب و لما ذا يستند ما ظهر منها من سوى أعيان الحبوب فلو لا ما هو مختزن فيها بالقوة ما ظهر بالفعل فاعلم ذلك و

هذا كله من خزائن الجود و يتضمن علم الأمر المطلق في قوله اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ و المقيد بعمل مخصوص و اختلاف الصيغ في ذلكو يتضمن علم إضافة الشرور إلى غير الله لأنها معقولة عند العالم فقال ص و الشر ليس إليك فأثبته في عينه و نفى إضافته إلى الحق فدل على إن الشر ليس بشيء و أنه عدم إذ لو كان شيئا لكان بيد الحق فإن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و هو خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ و قد بين لك ما خلق بالآلة و بغير الآلة و بكن و بيده و بيديه و بأيد و فصل و أعلم و قدر و أوجد و جمع و وحد فقال إني و نحن و أنا و إنا و لهذا كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فإن معقول نحن ما هو معقول إني و جاء الخطاب بإليه فوحد و ما رأوا للجمع عينا فكبر ذلك عليهم و نون العظمة في الواحد قول من لا علم له بالحقائق و لا بلسان العرب و يتضمن علم ظلمة الجهل إذا قامت بالقلب فأعمته عن إدراك الحقائق التي بإدراكها يسمى عالما قال تعالى أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ أراد العلم و الجهل و ما كل ما يدرك و لا يدرك به يكون ظلمة فإن النور إذا كان أقوى من نور البصر أدركه الإنسان و لم يدرك به و لهذا ذكر رسول الله ص في الله أن حجابه النور فلا يقع الكشف إلا بالنور الذي يوازي نور البصر ألا ترى الخفافيش لا تظهر إلا في النور الموازي نور بصرها و هو نور الشفق و يتضمن علم الشبهات و هو كل معلوم يظهر فيه وجه للحق و وجه لغير الحق فيكون في الأرزاق ما هو حلال بين و حرام بين و بينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن لاحت له وقف عندها حتى يتبين له أمرها فأما إن يلحقها بالحلال و إما أن يلحقها بالحرام فلا يقدم عليها ما دامت في حقه شبهة فإنها في نفس الأمر مخلصة لأحد الجانبين و إنما اشتبه على المكلف لتعارض الأدلة الشرعية عنده في ذلك و في المعقولات كالأفعال الظاهرة على أيدي المخلوقين فيها وجه يدل أنها لله و وجه يدل أنها للمخلوق التي ظهرت في الشهادة عليه و هي في نفس الأمر مخلصة لأحد الجانبين و كذلك السحر و المعجزة فالسحر له وجه إلى الحق فيشبه الحق و له وجه إلى غير الحق فيشبه الباطل مشتق من السحر و هو اختلاط الضوء و الظلمة فلا يتخلص لأحد الجانبين و لما سحر رسول الله ص فكان يخيل إليه أنه يأتي نساءه و هو لم يأتهن فأتاهن حقيقة في عين الخيال و لم يأتهن حقيقة في عين الحس فهو لما حكم عليه و هذه مسألة عظيمة و إذا أراد من أراد إبطال السحر ينظر إلى ما عقده الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة يحلها بها كانت ما كانت فإن نقص عنها بالكلمات بقي الأمر عليه فإنه ما يزول عنه إلا بحل الكل و هو علم إلهي فإن النبي ص يقول إن روح القدس نفث في روعي و لا يكون النفث إلا ريحا بريق لا بد من ذلك حتى يعم فكما أعطاه من روحه بريحة أعطاه من نشأته الطبيعية من ريقه فجمع له الكل في النفث بخلاف النفخ فإنه ريح مجرد و كذلك السحر و هو الرئة و هي التي تعطي الهواء الحار الخارج و الهواء البارد الداخل و فيها القوتان الجاذبة و الدافعة فسميت سحرا لقبولها النفس الحار و البارد و بما فيها من الرطوبة لا تحترق بقبول النفس الحار و لهذا يخرج النفس و فيه نداوة فذلك مثل الريق الذي يكون في النفث الذي ينفثه الروح في الروع و الساحر في العقدة و يتضمن علم الفرق بين من يريد بسط رحمة الله على عباده طائعهم و عاصيهم و بين من يريد إزالة رحمة الله عن بعض عباده و هو الذي يحجر رحمة الله التي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ و لا يحجرها على نفسه و صاحب هذه الصفة لو لا إن الله سبقت رحمته غضبه لكان هذا الشخص ممن لا يناله رحمة الله أبدا و اعلم أن الله تعالى لما أوجد الأشياء عن أصل هو عينه وصف نفسه بأنه مع كل شيء حيث كان ذلك الشيء ليحفظه بما فيه من صورته لإبقاء ذلك النوع في الوجود فظهرت كثرة الصور عن صورة واحدة هي عينها بالحد و غيرها بالشخص كما قلنا في الحبوب عن الحبة الواحدة فهي خزانة من خزائن الجود لما يشبهها و لما يلزمها و إن خالفها في الصورة إذ الخزانة تخزن خزائن و تخزن ما في تلك الخزائن من المخزون فيها فهو و إن خرج عن غير صورتها فلا بد من جامع يجمع بينهما و أظهرها الجسمية في الحبة و الورق و الثمر و الجسد و الفروع و الأصول و هذا مشهود لكل عين من الحبة الواحدة أو البزرة الواحدة زائدا على الأمثال فالكامل من الخلفاء كالحبوب من الحبة و النوى من النواة و البزور من البزرة فيعطي كل حبة ما أعطته الحبة الأصلية لاختصاصها بالصورة على الكمال و ما تميزت إلا بالشخص خاصة و ما عدا الخلفاء من العالم فلهم من الحق ما للأوراق و الأغصان و الأزهار و الأصول من النواة أو البزرة أو الحبة و من هنا يعلم فضل الإنسان الخليفة على الإنسان الحيوان الذي هو أقرب شبها بالإنسان الكامل ثم على سائر المخلوقات فافهم ما بيناه فإنه من لباب العلم بالله الذي أعطاه الكشف و الشهود فإن قلت بما ذا أعلم من نفسي هل أنا من الكمل أو من الحيوان الذي يسمى إنسانا قلنا نعم ما سألت عنه فاعلم إنك لا تعلم أنك على الصورة ما لم تعلم قوله ص المؤمن مرآة أخيه فيرى المؤمن نفسه في مرآة أخيه و يرى الآخر نفسه فيه و ليس ذلك إلا في حضرة الاسم الإلهي المؤمن و قال إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و قال المؤمن كثير بأخيه كما أنه واحد بنفسه فيعلم إن الأسماء الإلهية كلها كالمؤمنين إخوة فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ يعني إذا تنافروا كالمعز و المذل و الضار و النافع و أما ما عدا الأسماء المتقابلة فهم إخوان عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ و ليس يصلح بين الأسماء إلا الاسم الرب فإنه المصلح و المؤمن من حيث ما هو مرآة فمن رأى نفسه هكذا علم أنه خليفة من الخلفاء بما رآه من الصورة و هذا الإنسان الحيوان لا مرآة له و إن كان له شكل المرآة لكنها ما فيها جلاء و لا صقالة قد طلع عليها الصدا و الران فلا تقبل صورة الناظر فلا تسمى مرآة إلا بالرؤية فإذا أقامك الحق في العبودة المطلقة التي ما فيها ربوبية فأنت خليفة له حقا فإنه لا حكم للمستخلف فيما ولى فيه خليفة عنه جملة واحدة فاستخلفه في العبودة فلا حظ للربوبية فيها لأن الخليفة استقل بها استقلالا ذاتيا فهو بيد الله و في ملك الله قال تعالى سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ فجعل عبدا محضا و جرده عن كل شيء حتى عن الإسراء فجعله يسرى به و ما أضاف السري إليه فإنه لو قال سبحان الذي دعي عبده لأن يسرى إليه أو إلى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول و لكن المقام منع من ذلك فجعله مجبورا لا حظ له من الربوبية في فعل من الأفعال «الوصل الثالث» من خزائن الجود فيما يناسبه و يتعلق به من المنزل الثالث و هو يتضمن علم الأمر الواقع عند السؤال فإن الأوامر منها ما يقع ابتداء و منها ما يقع جوابا و يتضمن علم الهوية و الفرق بين الهوية و الأحدية و الواحدية و يتضمن علم مسمى الله ما هو و لما ذا ينعت و لا ينعت به و حقيقة الهوية هل لها شبه بشيء من العالم في شيء من الوجوه أو لا شبه فيها بوجه من الوجوه و صورة ما يتقيد به الاسم

الله إذا ورد بقرائن الأحوال و يتضمن علم ظهور العالم هل هو ظهور ذاتي لذات الحق أو لحكم ما تقرر في العلم الإلهي أو ظهر بحكم الاختيا ر فيكون العالم لما يضاف إليه حتى تتبين المراتب و يتضمن علم نفي المماثل الذي لو ثبت صح أن يكون العالم بينهما فما هو لنا أب و لا نحن أبناء بل هو الرب و نحن العبيد فيطلبنا عبيدا و نطلبه سيدا

كما جل عن حكم البصيرة و البصر   تعالى عن التحديد بالفكر و الخبر
على كل حال في الدلالات و العبر   فليس لنا منه سوى ما يرومه
و اعلم إني ما علمت سوى البشر   فاعلم أني ما تحققت غيره
لسان رسول الله في ذاته النظر   لذا منع الرحمن في وحيه على
به فيكون الناظرون على خطر   فقال وَ لا تَقْفُ الذي لست عالما
وجودا فحقق من نهاك و من أمر   ف لَمْ يُولَدْ الرحمن علما و لَمْ يَلِدْ

و لما لم يكن في الإمكان أن يخلق الله فيما خلق قوة في موجود يحيط ذلك الموجود بالله علما من حيث قيامها به لم يدرك بعقل كنه جلاله و لم يدرك ببصر كنه ذاته عند تجليه حيثما تجلى لعباده فهو تعالى المتجلي الذي لا يدرك الإدراك الذي يدرك فيه هو نفسه لا علما و لا رؤية فلا ينبغي أن يقفو الإنسان علم ما قد علم أنه لا يبلغ إليه قال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك فمن لا يدرك إلا بالعجز فكيف يوصف المدرك له بتحصيله

هو مقصود لأرباب الحجاج   كلما فيه نكاح و ازدواج
فترانا في نكاح و نتاج   فإذا انتجني أنتجه
هو ما بين انتضاح و اندماج   فالذي يظهر من أحوالنا
إن عين الضيق عين الانفراج   فكما نحن به فهو بنا

و اعلم أن من خزائن الجود أن يعلم الإنسان أنه لا جامع له بين العبودة و الربوبية بوجه من الوجوه و إنهما أشد الأشياء في التقابل فإن المثلين و إن تقابلا فإنهما يشتركان في صفات النفس و السواد و البياض و إن تقابلا فلم يمكن اجتماعهما و الحركة و السكون و إن تقابلا فلم يمكن اجتماعهما فإن الجامع للبياض و السواد اللون و الجامع للحركة و السكون الكون و الجامع للاكوان و الألوان العرضية فكل ضدين و إن تقابلا أو مختلفين من العالم فلا بد من جامع يجتمعان فيه إلا العبد و الرب فإن كل واحد لا يجتمع مع الآخر في أمر ما من الأمور جملة واحدة فالعبد من لا يكون فيه من الربوبية وجه

و الرب من لا يكون فيه من العبودية وجه فلا يجتمع الرب و العبد أبدا و غاية صاحب الوهم أن يجمع بين الرب و العبد في الوجود و ذلك ليس بجامع فإني لا أعني بالجامع إطلاق الألفاظ و إنما أعني بالجامع نسبة المعنى إلى كل واحد على حد نسبته إلى الآخر و هذا غير موجود في الوجود المنسوب إلى الرب و الوجود المنسوب إلى العبد فإن وجود الرب عينه و وجود العبد حكم يحكم به على العبد و من حيث عينه قد يكون موجودا و غير موجود و الحد في الحالين على السواء في عينه فإذا ليس وجوده عينه و وجود الرب عينه فينبغي للعبد أن لا يقوم في مقام يشم منه فيه روائح ربوبية فإن ذلك زور و عين جهل و صاحبه ما حصل له مقام العبودة كما هو الأمر في نفسه و لا أزيد من قولي لا تشم فيه رائحة ربوبية إلا عنده في نفسه لا يغفل عن مشاهدة عبودته و أما غيره فقد ينسبون إليه ربوبية لما يرونه عليه من ظهور آثارها فذلك لله لا له و هو في نفسه على خلاف ما يظهر للعالم منه فإن ذلك محال أن لا يظهر للربوبية أثر منها عليه و إذا عرف التلميذ من الشيخ أنه بهذه المثابة فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فإنه يتجرد إلى جانب الحق بتجرد الشيخ فإنه عرف منه و اتكل على الله لا عليه و بقي ناظرا في الشيخ ما يجري الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه أو بعلم يفيده فيأخذه التلميذ من الله على لسان هذا الشيخ و يعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه أنه محل جريان أحكام الربوبية حتى لو فقد الشيخ لم يقم فقده عند ذلك التلميذ ذلك القيام لعلمه بحال شيخه كأبي بكر الصديق مع رسول الله ص حين مات رسول الله ص فما بقي أحد إلا اضطرب و قال ما لا يمكن أن يسمع و شهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره و عدم معرفته برسوله الذي اتبعه إلا أبا بكر فإنه ما تغير عليه الحال لعلمه بما ثم و ما هو الأمر عليه فصعد المنبر و قال قارئا وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ الآية فتراجع من حكم عليه وهمه و عرف الناس حينئذ فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الإمامة و التقديم فما بايعه من بايعه سدا و ما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه ما جهل أيضا من رسول الله ص أو من كان في محل نظر في ذلك أو متأولا فإنه رضي الله عنه قد شهد له رسول الله ص في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم و ليس إلا ما ذكرناه و هو استيفاء مقام العبودة بحيث إنه لم يخل منه بشيء في حقه و في حق رسول الله ص فعلم محمد ص أن أبا بكر الصديق مع من دعاه إليه و هو الله تعالى ليس معه إلا بحكم أنه يرى ما يخاطبه الحق سبحانه به على لسان رسوله ص في كل خطاب يسمعه منه بل من جميع من يخاطبه و قد علمه الحق في نفسه ميزان ما يقبل من خطابه و ما يرد و نرجو إن شاء الله أن يكون مقامنا هذا و لا يجعلها دعوى غير صادقة فإني ذقت هذا المقام ذوقا لا مزاج فيه أعرفه من نفسي و ما سمعته عن أحد ممن تقدمني بالزمان غير أبي بكر الصديق إلا واحد من الرجال المذكورين في رسالة القشيري فإنه حكي عنه أنه قال لو اجتمع الناس أن ينزلوا نفسي منزلتها مني من الخسة لم يستطيعوا ذلك و هذا ليس إلا لمن ذاق طعم العبودية لغيره لا يكون و لما شهدت لي جماعة أني على قدم أبي بكر الصديق من الصحابة علمت أنه ليس إلا مقام العبودة المحضة لله الحمد و

الشكر على ذلك فالله يجعل من نظر إلى مرة واحدة من عمره إن يكون هذا نعته في نفسه دنيا و آخرة و كذلك حكى صاحب البياض و السواد في كتابه عن بعض الرجال أنه قال العارف مسود الوجه في الدنيا و الآخرة فإن كنى عن نفسه فهو صاحب المقام و إن عثر عليه من غير إن يكون نعته فقد وفى ما خلق الله الإنسان له حقه لأنه قال وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ يعني ظاهرا و باطنا فما جعل لهم في الربوبية قدما فهكذا ينبغي أن يكون الإنسان في نفسه فيقوم بحق ما خلق له و إن لم يفعل فهو إنسان حيوان وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل الرابع» من خزائن الجود فيما يناسبه و يتعلق به من المنزل الرابع و قد ذكرنا ما يتضمنه من العلوم في موضعه في الباب الثالث و السبعين و مائتين فاعلم أنه من خزائن الجود ما يجب على الإنسان أن يعلمه ذوقا و هو علم ما يستغني به مما لا يستغني به و ذلك أن يعلم أن غاية درجة الغني في العبد أن يستغني بالله عما سواه و ليس ذلك عندنا مقاما محمودا في الطريق فإن في ذلك قدرا لما سوى الحق و تميزا عن نفسه و صاحب مقام العبودة يسرى ذوقه في كل ما سوى الله أنه عبد كهو لا فرق و يرى أن كل ما سوى الله محل جريان تعريفات الحق له فيفتقر إلى كل شيء فإنه ما يفتقر إلا إلى الله و لا يرى أن شيئا يفتقر إليه في نفسه و إن أفاد الله الناس على يديه فهو عن ذلك في نفسه بمعزل و يرى أن كل اسم تسمى به شيء مما يعطيه فائدة إن ذلك اسم الله غير أنه لا يطلقه عليه حكما شرعيا و أدبا إلهيا و الاسم الإلهي المغني هو الذي يعطي مقام الغني للعبد بما شاء مما تستغني به نفسه و الغني و إن كان بالله فهو محل الفتنة العمياء فإنه يعطي الزهو على عباد الله و يورث الجهل بالعالم و بنفسه كما قال صاحب الجنيد و من العالم حتى يذكر مع الله هذا و إن كان الذي قال هذا القول صاحب حال و علم بأن الله ما خاطب عباده إلا بقدر ما جعل فيهم من القبول لمعرفة خطابه فيتنوع خطابه ليتسع الأمر و يعم فما خلق الله العالم على قدم واحدة إلا في شيء واحد و هو الافتقار فالفقر له ذاتي و الغني له أمر عرضي و من لا علم له يغيب عن الأمر الذاتي له بالأمر العارض و العالم المحقق لا يزال الأمر الذاتي من كل شيء و من نفسه مشهودا له دائما دنيا و آخرة فلا يزال عبدا فقيرا تحت أمر سيده لا يستغني في نفسه عن ربه أبدا ألا ترى أن السجود لله تعالى عام في كل مخلوق إلا هذا النوع الإنساني فإنه لم يعمه السجود لله و مع هذا فقد عمه السجود فإنه لا يخلو أن يكون ساجدا لأن السجود له ذاتي لأنه عبد فقير محتاج يتألم فالحاجة به منوطة قائمة فأما إن يسجد لله و إما أن يسجد لغير الله على إن ذلك السجود له عنده إما لله و إما لمن يقرب إلى الله في زعمه لا بد من هذا التوهم و لهذا رحم الله عباده بما كلفهم و أمرهم به من السجود لآدم و للكعبة و لصخرة بيت المقدس لعلمه بما جعل في عباده إن منهم من يسجد للمخلوقات عن غير أمر الله فأمر من أمر من ملك و إنسان بالسجود للمخلوق و جعل ذلك عبادة يتقرب بها إليه سبحانه ليقل السؤال يوم القيامة عن الساجدين لغير الله عن غير أمر الله فلا يبقى للحق عليهم مطالبة إلا بالأمر فيقول لهم من أمركم بذلك ما يقول لهم لا يجوز السجود لمخلوق فإنه قد شرع ذلك في مخلوق خاص حسا و خيالا كرؤيا يوسف ع الذي رأى الشمس و القمر و أحد عشر كوكبا ساجدين له فكان ذلك أباه و خالته و إخوته فوقع حسا ما كان إدراكه خيالا و القصة فيه

معروفة متلوة قرآنا في صورة كوكبية فلما دخلوا عليه خَرُّوا لَهُ سُجَّداً فقال يوسف ع لأبيه هذا تَأْوِيلُ أي مال رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا أي حقا في الحس و قد كانت حقا في الخيال في موطن الرؤيا فما ثم إلا حق و ما كان الله ليسرمد عذابا على من أتى حقا فإن الله لما قسم الحق إلى ما هو مأمور به و منهي عنه فأراد الحق أن يفرق بين من أتى المأمور به و بين من أتى المنهي عنه ليتميز الطائع من العاصي فتتميز المراتب فإذا عرف كل أحد قدره و ما أتى عمت الرحمة الجميع كل صنف في منزله من حيث إنه ما جاء إلا بحق و إن كان منهيا عنه فإن المفتري صاحب حق خيالي لا حق حسي فإنه لا يفتري المفتري حتى يحضر في خياله الافتراء و المفترى عليه و يقيمه في صورة ما افترى به عليه فإذا تخلية مثل صورة النوم سواء أخبر عنه بحق خيالي لكنه سكت عن التعريف بذلك للسامع فأخذه السامع على أنه حق محسوس فأراد الله الفرقان بين طبقات العالم و مراتبه فلذلك أعقب صاحب هذا النعت بالعقوبة على ذلك أو بالمغفرة بأيهما شاء لأن من هؤلاء العصاة المعاقب و المغفور له كما أنه من الطائعين العالم بالأمر على ما هو عليه في نفسه و هم العاملون على بصيرة أهل الكشف و الوجود و منهم المحجوب عن ذلك مع كونه مطيعا فلم يجعل الله أهل الطاعة على رتبة واحدة فما في الوجود المعنوي و الحسي و الخيالي إلا حق فإنه موجود عن حق و لا يوجد الحق إلا الحق و لهذا قال ص في دعائه يخاطب ربه تعالى و الخير كله في يديك و الشر ليس إليك فإنه ضد الخير فما صدر عن الخير إلا الخير و الشر إنما هو عدم الخير فالخير وجود كله و الشر عدم كله لأنه ظهور ما لا عين له في الحقيقة فهو حكم و الأحكام نسب و إنما قلنا ظهور فيه لأن ذلك لغة عربية قال إمرؤ القيس لو يشرون مقتلي أي يظهرون و لذلك قال تعالى عن نفسه فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ و هو إخفاء ما له عين وَأَخْفَى و هو إظهار ما لا عين له فيتخيل الناس أن ذلك حق و الله يعلم أنه ليس له وجود عين في نفس الحكم فيعلم السر و أخفى أي أظهر في الخفاء من السر كما قال مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا يعني في الصغر و هكذا هذا هو أظهر في الخفاء من السر و الشيء الخافي هو الظاهر لغة منقولة قال تعالى في تأيد ما ذكرناه كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فكل شيء هو موجود نشاهده حسا و نعلمه عقلا فليس بها لك فكل شيء وجهه و وجه الشيء حقيقته فما في الوجود إلا الله فما في الوجود إلا الخير و إن تنوعت الصور فإن رسول الله ص قد أخبرنا أن التجلي الإلهي يتنوع و قد أخبرنا الله تعالى أنه كل يوم في شأن فنكر و ما هو إلا اختلاف ما هو فيه فكل ما ظهر فما هو إلا هو و لنفسه ظهر فما يشهده أمرو لا يكثره غير و لذلك قال لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أي من يعتقد أن كل شيء جعلناه هالكا و ما عرف ما قصدناه إذا رآه ما يهلك و يرى بقاء عينه مشهودا له دنيا و آخرة علم ما أردنا بالشيء الهالك و أن كل شيء لم يتصف بالهلاك فهو وجهي فعلم إن الأشياء ليست غير وجهي فإنها لم تهلك فردها إلى حكمها فهذا معنى قوله وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و هو معنى لطيف يخفى على من لم يستظهر القرآن فإذا كان الغني عبارة عمن هذه صفته و الغني عبارة عن هذه الصفة فلا غنى إلا الله و كذلك الغني صفته و نحن ما تكلمنا إلا في العبد لا في الحق فالعبد له الفقر المطلق إلى سيده و الحق له الغني المطلق عن العالم فالعالم لم يزل مفقود العين هالكا بالذات في حضرة إمكانه و أحكامه يظهر بها

الحق لنفسه بما هو ناظر من حقيقة حكم ممكن آخر فالعالم هو الممد بذاته ما يظهر في الكون من الموجودات و ليس إلا الحق لا غيره فتحقق يا ولي هذا الوصل فإنه وصل عجيب حكمه خلق في حق بحق و لا خلق في نفس العين مع وجود الحكم و قبول الحق لحكم الخلق و هو قبول الوجود لحكم العدم و ليس يكون إلا هكذا و لو لا ذلك لم يظهر للكثرة عين و ما ثم إلا الكثرة مع أحدية العين فلا بد من ظهور أحكام الكثير و ليس إلا العالم فإنه الكثير المتعدد و الحق واحد العين ليس بكثير و قد رميت بك على الطريق لتعلم ما الأمر عليه فتعلم من أنت و من الحق فيتميز الرب من العبد وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ «الوصل الخامس» من خزائن الجود فيما يناسبه و يتعلق به من المنزل الخامس و يتضمن هذا المنزل الخامس من العلوم الإلهية علم تفصيل الرجوع الإلهي بحسب المرجوع إليه من أحوال العباد و هو علم عزيز فإن الله يقول وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و يقول وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و هنا رجوع الحق إلى العباد من نفسه مع غناه عن العالمين فلما خلقهم لم يمكن إلا الرجوع إليهم و الاشتغال بهم و حفظ العالم فإنه ما أوجده عبثا فيرجع إليه سبحانه بحسب ما يطلبه كل شخص شخص من العالم به إذ لا يقبل منه إلا ما هو عليه في نفسه من الاستعداد فيحكم باستعداده على مواهب خالقه فلا يعطيه إلا ما يقتضيه طلبه و لما كان الأمر على ما ذكرناه و أدخل الحق نفسه تحت طلب عباده فأطاعهم كلفهم إن يطيعوه على ألسنة الرسل فمن أطاعه منهم ظهر له بصفة الحق التي ظهر للعباد بها في إعطاء ما طلبوه منه و من عصاه علم عند ذلك ما السبب الذي أدى هذا العاصي إلى أن يعصي ربه فلم يكن ذلك إلا إظهار الحكمة عموم الرجوع الإلهي إلى العباد بحسب أحوالهم فإنه عام الرجوع فرجع على الطائعين بما وعد و رجع على العاصين بالمغفرة و إن عاقب و ظهرت المعصية في أول إنسان و الإباية في أول جان ثم انتشرت المعاصي في الأناسي و الجن بحسب الأوامر و النواهي و كان ذلك على قدر ما علم الحق من الرجوع الإلهي إليهم بهذه المخالفات فلم يقدر مخلوق على إن يطيع الله تعالى طاعة الله بما يطلبه العبد منه بحاله مما يسوءه و مما يسره فإن الحال الذي قام فيه العبد إذا كان سوء فإن لسان الحال يطلب من الحق ما يجازيه به و يرجع به عليه إما على التخيير و ذلك ليس إلا لحال المعصية القائم بالعاصي و إما على الوجوب بالتعيين فالرجوع الإلهي على العاصي إما بالأخذ و إما بالمغفرة و الرجوع على الطائع بالإحسان فما أعطى الحق برجوعه للعبد إلا ما طلب منه العبد بلسان حاله و هو أفصح الألسنة و أقوم العبارات فأصل المعاصي في العباد يستند إلى نسبة إلهية و هي أن الله هو الآمر عباده و الناهي تعالى و المشيئة لها الحكم في الأمر الحق المتوجه على المأمور إما بالوقوع أو بعدم الوقوع فإن توجهت بالوقوع سمي ذلك العبد طائعا و يسمى ذلك الوقوع طاعة فإنه أطاعت الإرادة الأمر الإلهي و إن لم تتوجه المشيئة بوقوع ذلك الأمر عصت الإرادة الأمر و ليس في قوة الأمر الحكم على المشيئة فظهر حكم المشيئة في العبد المأمور فعصى أمر ربه أو نهيه و ليس ذلك إلا للمشيئة الإلهية فقد تبين لك من العاصي و من الطائع و إلى أي أصل ترجع معصية المكلف أو طاعته فلا رجوع إلا لله على العباد و رجوع العباد إلى الله برجوع الحق عليهم كما قال تعالى ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا فلو لا توبة الله عليهم ما تابوا و التوبة الرجوع فالله أكثر رجوعا إلى العباد

من العباد إليه فإن رجوع العباد إلى الله بإرجاع الله فما رجعوا إلى الله إلا بالله و بعد أن أوجد الله العالم و أبقى الوجود عليه لم يتمكن إلا بحفظه فإنه لا بقاء له إلا بالحفظ الإلهي فالعبد يرجع إلى الله من نفسه و يرجع إلى نفسه من الله و الحق ما له رجوع إلا إلى عباده من عباده فما كانت له رجعة من نفسه إلا الأولى المعبر عن ذلك بابتداء لعالم و لو كانت المشيئة تقتضيالاختيا ر لجوزنا رجوع الحق إلى نفسه و ليس الحق بمحل للجواز لما يطلبه الجواز من الترجيح من المرجح فمحال على الله الاختيا ر في المشيئة لأنه محال عليه الجواز لأنه محال أن يكون لله مرجح يرجح له أمرا دون أمر فهو المرجح لذاته فالمشيئة أحدية التعلق لا اختيا ر فيها و لهذا لا يعقل الممكن أبدا إلا مرجحا إلا أن الحق من كونه غفورا أرسل ستره و حجابه بين بعض عباده و بين إحالة رجوع الحق إلى نفسه في غناه عن العالم فقال في ذلك الستر فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ و هذا ليس يتمكن الحكم به إلا و لا عالم أو يكون متعلق المشيئة الاختيا ر و كلا الأمرين مع وجود العالم لا يكون و لا واحد منهما فالمحجوب بهذا الحجاب يقول فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ و لا يعلم صورة الأمر كيف هو و المرفوع عنه من العباد هذا الستر إذا قالها تلاوة و علم متعلقها و ما هو الأمر عليه الآن و ما كان عليه الأمر و ترك متعلق غناه فيما بقي من الممكنات لم يوجد فإنها غير متناهية بالأشخاص فلا بد من بقاء ما لم يوجد فبه تتعلق صفة الغني الإلهي عن العالم فإن بعض العالم يسمى عالما فمن فهم الغني الإلهي هكذا فقد علمه و أما تنزيه الحق عما تنزهه عباده مما سوى العبودية فلا علم لهم بما هو الأمر عليه فإنه يكذب ربه في كل حال يجعل الحق فيه نفسه مع عباده و هذا أعظم ما يكون من سوء الأدب مع الله أن ينزهه عما نسبه سبحانه إلى نفسه بما نسبه إلى نفسه فهو يؤمن ببعض و هو قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و يكفر ببعض ف أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا فجعل العبد نفسه أعلم منه بربه نفسه و أكثر من هذا الجهل فلا يكون و العبد المؤمن ينبغي له أن ينسب إلى الحق ما نسبه الحق إلى نفسه على حد ما يعلمه الله من ذلك إذا لم يكن ممن كشف الله عن بصيرته حتى رأى الأمر على ما هو عليه و هذا هو الشرك الخفي فإنه نزاع لله تعالى خفي في العبد لا يشعر به كل أحد و لا سيما الواقع فيه و يتخيل أنه في الحاصل و هو في الفائت و لهذا أمر الحق تعالى أن يسبح بحمده أي بما أثنى على نفسه و ما وصف تعالى نفسه بشيء إلا في معرض الثناء عليه بذلك الوصف و هذا المنزه الجاهل ينزهه عن ذلك الوصف الذي وصف به الحق نفسه و أخذ يثني عليه بما يرى أنه ثناء على الله و الله ما أمره أن ينزهه إلا بحمده أي بما أثنى على نفسه به في كتبه و على السنة رسله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ إلا هذا الإنسان فإن بعضه يسبحه بغير حمده و يكذب الحق في بعض ما أثنى به على نفسه و هو لا يشعر بذلك و لهذا قال تعالى وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً فلم يؤاخذكم على ما تركتم من الثناء عليه مما أثنى به على نفسه و لم يعجل عليكم العقوبة غَفُوراً بما ستره عنكم من علم ذلك ممن هو بهذه المثابة فإذا أراد العبد نجاة نفسه و تحصيل أسباب سعادته فلا يحمد الله إلا بحمده كان ما كان على علم الله في ذلك من غير تعيين فإن قبضه الله تعالى على ذلك اطلع على الأمر على ما هو عليه إذا لم يكن من أهل الكشف في الحياة الدنيا و إن لم يفعل و تأول فهو لما تأوله و حرمه الله كل ما خرج عن تأويله فلم يره فيه و

هذا أعظم الحرمان و عند الكشف الأخروي يرى ما كان عليه من سوء الأدب مع الله و الجهل به كما ورد أن أهل هذا المقام إذا تجلى لهم الحق تعالى في الآخرة ينكرونه و لا يقرون به لأنهم ما عبدوا ربا إلا مقيدا بعلامة فإذا ظهر لهم بتلك العلامة أقروا له بالربوبية و هو عين ما أنكروه و أي جهل أعظم من أن يقر بما هو له منكر و يتضمن هذا المنزل علم الوافدين على الله و علم أنواع الفتوح و مجيء المعاني بمجيء من قامت به فينسب المجيء إليها لا إليه و علم الزمان

«الوصل السادس» من خزائن الجود فيما يناسب و يتعلق به المنزل السادس

من ستر الحق و لم يفشه		فذلك الشخص الذي قد كفر
و ليس مخفيا على ناظر		فيه بعين العقل أو بالبصر
تبارك الله الذي لم يزل		يظهر فيما قد بدا من صور
فإنه منشئها دائما		في كل ما يظهر أو قد ظهر

اعلم أيدك الله أن عبادة الله بالغيب عين عبادته بالشهادة فإن الإنسان و كل عابد لا يصح أن يعبد معبوده إلا عن شهود إما بعقل أو ببصر أو بصيرة فالبصيرة يشهده العابد بها فيعبده و إلا فلا تصح له عبادة فما عبد إلا مشهودا لا غائبا فإن أعلمه بتجليه في الصور للبصر حتى يميزه عبده أيضا على الشهود البصري و لا يكون ذلك إلا بعد أن يراه بعين بصيرته فمن جمع بين البصيرة و البصر فقد كملت عبادته ظاهرا و باطنا و من قال بحلوله في الصور فذلك جاهل بالأمرين جميعا بل الحق إن الحق عين الصور فإنه لا يحويه ظرف و لا تغيبه صورة و إنما غيبه الجهل به من الجاهل فهو يراه و لا يعلم أنه مطلوبه فقال له الرسول ص اعبد الله كأنك تراه فأمره بالاستحضار فإنه يعلم أنه لا يستحضر إلا من يقبل الحضور فاستحضار العبد ربه في العبادة عين حضور المعبود له فإن لم يعلمه إلا في الحد و المقدار حده و قدره و إن علمه منزها عن ذلك لم يحده و لم يقدره مع استحضاره كأنه يراه و إنما لم يحده و لم يقدره العارف به لأنه يراه جميع الصور فمهما حده بصورة عارضته صورة أخرى فانخرم عليه الحد فلم ينحصر له الأمر لعدم إحاطته بالصور الكائنة و غير الكائنة له فلم يحط به علما كما قال وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً مع وصفه بأنه أقرب إلى الإنسان من حبل وريده فالحق أقرب إليه من نفسه فإنه أتى بأفعل من فثم قريب و أقرب الأشياء قرب الظاهر من الباطن فلا أقرب من الظاهر إلى الباطن إلا الظاهر عينه و لا أقرب من الباطن إلى الظاهر إلا الباطن عينه و هو أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فهو عين المنعوت بأن له حبل الوريد فعلمنا أنه عين كل صورة و لا نحيط بما في الوجود من صور فلا نحيط به علما فإن قلت فأنت من الصور قلنا و كذلك نقول إلا أن الصور و إن كانت عين المطلوب فإنها أحكام الممكنات في عين المطلوب فلا نبالي بما ينسب إليها من الجهل و العلم و كل وصف فإني أعلم كيف أنسب و أصف و أنعت فـ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ

فالحق حق و إن لم تكن كما هو الحق حق و إن كنت لا فرقان فللظاهر حكم لا يكون للباطن من حيث ما قلت فيه باطن في العبادة و للباطن حكم لا يكون للظاهر من حيث ما قلت فيه ظاهر في العبادة و كل حكم له مقام معلوم و كل مقام له حكم معلوم فلا يعلم شيء إلا به فلا يعبد إلا به و لهذا نبه الحق من لا علم له بما ذكرناه على رتبة العلماء بالله فقال إنه سمع العبد و بصره فما أبصرته إلا به و لا سمعته إلا به فعينه عين سمعك و بصرك فما عبدته إلا به و ليس بعد إعلام الحق عز اسمه و جل ذكره إعلام و لا بعد أحكامه فيما حكم فيه أحكام

و ليس إلا غيره بالبصر　　فليس إلا عينه بالخبر

قد ركبوا فيه عظيم الخطر　　فأين أهل الفكر في ذاته

لهم به علم بحكم النظر　　تعارض الأمر لديهم فما

لأنه مطلوبكم بالفكر　　إن قيل هو قيل لهم ليس هو

عين الذي تشهده في الصور　　أو قيل ما هو قيل هو إنه

(واقعة) رأيت عينا من لبن حليب ما رأيت لبنا مثله في البياض و الطيب في جرمه دخلت فيه حتى بلغ ثديي و هو يتدفق فتعجبت لذلك و سمعت كلاما غريبا إلهيا يقول من سجد لغير الله عن أمر الله قربة إلى الله طاعة لله فقد سعد و نجا و من سجد لغير الله عن غير أمر الله قربة إلى الله فقد شقي فإن الله عز و جل يقول وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً فإن الله مع الخلق ما الخلق مع الله لأنه يعلمهم ف هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا في ظرفية أمكنتهم و أزمانهم و أحوالهم ما الخلق معه تعالى جل جلاله فإن الخلق لا تعرفه حتى تكون معه فمن دعا الله مع الخلق ما هو كمن دعا الخلق مع الله فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً و لا يصح السجود إلى غير الله إلا لكون الله مع الخلق حيث كانوا فلا نعلمه و لا نجده إلا بالخلق فالسجود على الحقيقة لله الموصوف بالمعية مع الخلق و لهذا شرعت القبلة كما قال ص إن الله في قبلة المصلي فالقبلة ما هي الله و الله فيها فأمرنا بالسجود لها لكون الله فيها و معها فمن رأى الخلق ببصره فقد رأى الحق ببصيرته مطلقا و ليس له إذا رأى ذلك أن يسجد له إلا إذا أمره بالسجود و إن كان لله فلا يقع في الحس إلا لغير الله أبدا لأنه لا يصح أن يقع السجود لله لأن الله بكل شيء محيط فالجهات كلها نسبتها أو نسبة الحق إليها على السواء و من خر على قفاه فما سجد لله و إن كان الله خلفه كما هو أمامه لكن الله ما راعى إلا وجهه لم يراع من جهات العبد سوى وجهه فلذلك لا يصح السجود لغير الله إلا عن أمر الله قال الله تعالى اسْجُدُوا لِآدَمَ فالسجود لغير الله و العبادة لله لا تكون لغير الله أبدا فإنه لا أعظم من الشرك و قد قال المشرك ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فما عبدوا الشركاء لأعيانهم فما أوخذوا إلا لكونهم عبد و هم فإن الله لا يأمر خلقه و لا يصح أن يأمر خلقه بعبادة مخلوق و يجوز أن يأمرنا بالسجود للمخلوق فمن سجد عبادة لمخلوق عن أمر الله أو عن غير أمر الله فقد شقي و من سجد غير عابد لمخلوق فإن

كان عن أمر الله كان طاعة فسعد و إن سجد لمخلوق غير عابد إياه عن غير أمر الله كانت رهبانية ابتدعها فما رعاها حَقَّ رِعايَتِها . . . إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللهِ لأنه ما قصدها إلا قربة إلى الله فما خلت هذه الحالة عن الله و الله عند ظن عبده به لا يخيبه فليظن به خيرا فلا بد من أخذ المشركين لتعديهم بالاسم غير محله و موضوعة و لم يرد عليه أمر بذلك من الله و من المحال أن ترد عبادة و إن ورد سجود و لو لا وضع اسم الألوهية على الشريك ما عبدوه فإن نفوس الأناسي بالأصالة تأنف من عبادة المخلوقين و لا سيما من أمثالها فأصحبوا عليها الاسم الإلهي حتى لا يتعبدهم غير الله لا يتعبدهم مخلوق فما جعل المشرك يشرك بالله في وضع هذا الاسم على المخلوق إلا التنزيه لله الكبير المتعالي لأن المشرك لا بد له في عبادته من حركات ظاهرة تطلب التقييد و لا بد من تصور خيالي لأنه ذو خيال و لا بد من علم عن دليل عقلي يقضي بتنزيه الحق عن التقييد و نفي المماثلة فلذلك نقلوا الاسم للشريك و النبي ص يقول لجبريل ع في معرض التعليم لعباد الله اعبد الله كأنك تراه فأمره بتصوره في الخيال مرئيا فما حجر الله على العباد تنزيهه و لا تخيله و إنما حجر عليه إن يكون محسوسا له مع علمه بأن الخيال من حقيقته أن يجسد و يصور ما ليس بجسد و لا صورة فإن الخيال لا يدركه إلا كذلك فهو حس باطن بين المعقول و المحسوس مقيد أعني الخيال و ما قرر الحق هذا كله إلا للرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ حتى إذا رحم من وقع الأخذ به عرف الخلق أن هذه الرحمة الإلهية قد تقدم الإعلام بها من الحق في الدار الدنيا دار التكليف فلا ينكرها العالمون فما أخرج الله العالم من العدم الذي هو الشر إلا للخير الذي أراده به ليس إلا الوجود فهو إلى السعادة موجود بالأصالة و إليها ينتهي أمره بالحكم فإن الدار التي أشرك فيها دار مزج فهي دار شبهة و هي الدنيا فلها وجه إلى الحق بما هي موجودة و لها وجه لغير الحق بما ينعدم ما فيها و ينتقل عنها إلى الأخرى و الشبهة نسبة الحل إليها و الحرمة على السواء و ما جعلها الله على هذه الصفة إلا لإقامة عذر العباد إذا أراد أن يرحمهم رحمة العموم فما ألطف الله بخلقه فإن الصانع له اعتناء بصنعته فالمؤمن العالم ما جحد إن المشرك عبد الله فإنه سمعه يقول ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى و المشرك ما جحد الله تعالى بل أقر به و أقر له بالعظمة و الكبرياء على من اتخذه قربة إليه فإذا علمت من أين أخذ من أخذ و أن الأخذ الأخروي كالحدود في الدنيا لا تؤثر في الايمان بوجود الله و لا في أحدية العظمة له التي تفوق كل عظمة عند الجميع فإنه من رحمة الله إن جعل الله من يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ و حرمات الله و الشعائر الإعلام و المناسك قربة إلى الله و إن ذلك من تَقْوَى الْقُلُوبِ فهذا أيضا من المشاركة في العظمة و هي مشروعة لنا فما عظم المشرك الشريك إلا لعظمة الله لما رأى أن العظمة في المخلوقات سارية يجدها كل إنسان في جبلته و مع ذلك فأفرد المشرك عظم عظمة الله في قلبه إلى الله فما وقعت المؤاخذة إلا لكون ما وقع من ذلك عن غير أمر الله في حق أشخاص معينين و نقل الاسم إلى أولئك الأشخاص «وصل» و أما الأصول فمحفوظة بالفطرة التي فطر الله الخلق عليها ألا ترى إلى ما قال بعضهم وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ فقال الله تعالى في الوحي الصريح الصحيح لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر تراه قال هذا و جاء به سدى لا و الله بل جاء به رحمة لعباده فإن الدهر عند القائلين به

ما هو محسوس عندهم و إنما هو أمر متوهم صورته في العالم وجود الليل و النهار عن حركة كوكب الشمس في فلكها المحرك بحركة الفلك الأعظم فلك البروج الذي له اليوم بحركته كما الليل و النهار بظهور كوكب الشمس فيه فقد كان اليوم و لا ليل و لا نهار مع وجود الدرجات و الدقائق و أقل من ذلك فلم يصح مع هذا شرك عام و لا تعطيل عام و إنما هي أسماء سموها أطلقوها على أعيان محسوسة و موهومة عن غير أمر الله فأخذوا بعدم التوقيف فقد وجدنا الأمر عين ما وجد منهم عن غير أمر فتحقق هذا الوصل فإنه دقيق جدا انتهى السفر الخامس و العشرون بانتهاء الوصل السادس من الباب التاسع و الستين و ثلاثمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الوصل السابع» من مفاتح خزائن الجود من الباب التاسع و الستين و ثلاثمائة هذه الخزانة فيها وجوب تأخر العبد عن رتبة سيده و تخليص عبوديته لله من غيره كما أقر له بذلك في قبضة الذرية يريد الحق أن يستصحبه ذلك الإقرار في حياته الدنيا موضع الحجاب و الستر فإن الحق له التقدم على الخلق بالوجود من جميع الوجوه و بالمكانة و الرتبة فكان و لا مخلوق هذا تقدم الوجود و قدر و قضى و حكم و أمضى إمضاء لا يرد و لا يقضى عليه فهذا تقدم الرتبة ف ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ أن تشاءوا فوجب التأخر عن رتبة الحق من جميع الوجوه فإن العبد أعطى الكثرة لتكون الأحدية له تعالى و أعطى كل مخلوق أحدية التمييز لتكون عنده الأحدية ذوقا فيعلم إن ثم أحدية ليعلم منها الأحدية الإلهية حتى يشهد بها لله تعالى إذ لو لم يكن لمخلوق أحدية ذوقا يتميز بها عما سواه ما علم إن لله أحدية يتميز بها عن خلقه فلا بد منها فللكثرة أحدية الكثرة و لكل عدد أحدية لا تكون لعدد آخر كالاثنين و الثلاثة إلى ما فوق ذلك مما لا يتناهى وجودا عقليا فلكل كثرة من ذلك أحدية تخصه و على كل حال أوجب الحق على عبده أن يتأخر عن رتبة خالقه كما أخر سبحانه علمنا به عن علمنا بأنفسنا فوجود العلم المحدث به متأخر بالوجود عن وجود العلم المحدث بنا و جعل المفاضلة في العالم بعضه على بعض لنعرف المفاضلة ذوقا من نفوسنا فنعلم من ذلك فضل الحق علينا و إن تأخر علمنا به عن علمنا بنفوسنا لنعلم أن علمنا بنفوسنا إنما كان للدلالة على علمنا به فعلمنا أنا مطلوبون له لا لأنفسنا و أعياننا لأن الدليل مطلوب للمدلول لا لنفسه و لهذا لا يجتمع الدليل و المدلول أبدا فلا يجتمع الخلق و الحق أبدا في وجه من الوجوه فالعبد عبد لنفسه و الرب رب لنفسه فالعبودية لا تصح إلا لمن يعرفها فيعلم أنه ليس فيها من الربوبية شيء و الربوبية لا تصح إلا لمن يعرفها فيعرف أنه ليس فيها من العبودية شيء فأوجب على عباده التأخر عن ربوبيته فشرع له الصلاة ليسميه بالمصلي و هو المتأخر عن رتبة ربه و نسب الصلاة إليه تعالى ليعلم أن الأمر يعطي تأخر العلم الحادث به عن العلم الحادث بالمخلوق فقال هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ و قال فَصَلِّ لِرَبِّكَ و لما علمنا أنه من تأخر عن أمر فقد انقطع عنه علمنا إن كل واحد قد تميز في رتبته عن الآخر بلا شك و إن أطلق على كل واحد ما أطلق على الآخر فيتوهم الاشتراك و هو لا اشتراك فيه فإن الرتبة قد ميزته فيقبل كل

واحد ذلك الإطلاق على ما تعطيه الرتبة التي تميز بها فإنا نعلم قطعا إن الأسماء الإلهية التي بأيدينا تطلق على الله و تطلق علينا و نعلم قطعا بعلمنا برتبتنا و بعلمنا برتبة الحق إن نسبة تلك الأسماء التي وقع في الظاهر الاشتراك في اللفظ بها إلى الله غير نسبتها إلينا فما انفصل عنا إلا بربوبيته و ما انفصلنا عنه إلا بعبوديتنا فمن لزم رتبته منا فما جنى على نفسه بل أعطى الأمر حقه

و قد بان لك الخلق   فقد بان لك الحق

فكل قوله حق   فقل ما شئت أو سمه

و ما في كوننا صدق   فما في كونه مين

و في هذا المعنى قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال رسول الله ص في هذا البيت أصدق بيت قالته العرب قول لبيد يعني هذا النصف منه قلنا و هذه رتبة ما خص الله بها أحدا من الناس و أثنى عليه بها إلا الذاكر و ذلك أن الذاكر هو الذي كان له علم بأمر ما ثم نسيه لما جبل عليه الإنسان من النسيان كما قال الله عز و جل نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ و صورة نسيانهم إنهم توهموا بما أضاف الله إليهم من الأعمال و الأموال و التمليك أن لهم حظا في الربوبية أو ضرب الله لهم بسهم فيها بقوله أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمانُكُمْ فلما اعتنى الله تعالى بمن اعتنى منهم و آتاه رحمة من عنده ذكر اسم ربه و الله يقول أنا جليس من ذاكرني و الذاكرون هم جلساء الحق فأورثه الذكر مجالسة الحق و أورثته المجالسة مشاهدة الحق و رؤيته في الأشياء يقول الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله و عمر معه و غيره بعده و غيره فيه و غيره ما رأيت شيئا من غير ارتباط بشيء و أورثته رؤية الحق تأخره عما كان يتوهم من أن الله تعالى ضرب له بسهم في الربوبية و إنها من نعوته و له فيها قدم بوجه ما فتأخر عن ذلك بالذكر فقال وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى أي تأخر إلى مقام عبودته و أفرد الربوبية لله تعالى فأفلح من جميع وجوهه و ليست هذه الصفة مشاهدة لغير الذاكر فالذاكر عبد مخلص لله تعالى ألا ترى إلى ما قال في الذي اتصف بنقيض هذه الحال لما جاءه ذكر ربه و هو القرآن يذكره بنفسه و بربه فَلا صَدَّقَ من أتى به أنه من عند ربه وَ لا صَلَّى يقول و لا تأخر عن دعواه و تكبره و قد سمع قول الله الحق و لو لم يكن من عند الله فينبغي للعاقل إذا سمع الحقممن سمعه أن يرجع إليه و يقول به ليكون من أهله من رد الحق فما صدق ذلك القول فيما دل عليه قاله من قاله فذمه الله و قال و لكن استدراك لتمام القصة كذب من أتى به إليه و هو الرسول ص و كذب الحق إما بجهله فلم يعلم أنه الحق و إما بعناد و هو على يقين أنه حق في نفس الأمر فغالط نفسه لكون هذا الرسول جاء به كما قال في حق من هذه صفته وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا ثم قال و تولى بعد تكذيبه بالحق و بمن جاء به فتولى عن الحق ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى و هذا شغل المتكبر المشغول الخاطر المفكر الحائر الذي كسله ما سمعه فإنه بالوجه الظاهر يعلم أنه الحق لأن المعجزة لم يأت بها الله إلا لمن يعلم أن في قوته قبولها بما ركب الله فيه من ذلك و لذلك اختلفت الدلالات من كل نبي و في حق كل طائفة و لو جاءهم بآية ليس في

وسعهم أن يقبلوها لجهلهم ما آخذهم الله بإعراضهم و لا بتوليهم عنها فإن الله عليم حكيم عادل و من تأخر عن حق غيره إلى ما يستحقه في نفسه فقد أنصف من نفسه و لم يتوجه لصاحب حق عليه طلب فحاز الخير بكلتي يديه فوقفه الله على جوامع الخير كله فإنه من أوتي الحكمة فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً فإن الحكيم هو الذي ينزل كل شيء في مرتبته و يعطي كل ذي حق حقه فله الحجة البالغة و الكلمة الدامغة و لم تنقطع مشاهدته و لم تتأخر المعونة الإلهية في عبادته عن مساعدته فإنا فرضناه عبد السيد ما فرضناه ملكا فإن الملك قد يكون فيمن يعقل عبوديته و فيمن لا يعقلها فالعبد حاله السمع و الطاعة لسيده و ما عدا العبد فهو ملك يتصرف فيه المالك كيف يشاء من غير أن يتعلق به ثناء بعدم منعه من التصرف فيه بخلاف من يعقل و هو العبد فإذا قام في تصريف الحق فيه مقام الأموال أثنى الله عليه بذلك لأن الله قد خصه في نشأته بقوة المنع و الرد لكلمة الحق و مكنه من الطاعة و المعصية فهو لما استعمله من ذلك فوقع الثناء عليه كما أثنى الله على الملائكة بقوله لا يَعْصُونَ الله ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ فلو لم يكن في قوتهم و نشأتهم ما يقتضي رد أمر الله و ما يقتضي قبوله ما أثنى الله عليهم بما أثنى به من نفي العصيان عنهم و فعلهم ما أمرهم به فإن المجبور لا ثناء عليه أ لا ترى إلى المصلي إذا وقف بين يدي ربه في الصلاة يتكتف شغل العبد الذليل بين يدي سيده في حال مناجاته و السنة قد وردت بذلك و هو أحسن من إسبال اليدين و ذلك أن الله تعالى لما قسم الصلاة بينه و بين عبده نصفين فجزء منها مخلص له تعالى من أول الفاتحة إلى قوله يَوْمِ الدِّينِ فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد لأن الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً فأعطيناه اليمين و الجزء الآخر مخلص للعبد من قوله اهْدِنَا إلى آخر السورة فهذا الجزء بمنزلة اليد اليسرى و هي الشمال فإنه الجناب الأضعف و العبد هذه مرتبته فإنه خلق من ضعف ابتداء و رد إلى ضعف انتهاء و جزء منها بين الله و بين عبده فجمع هذا الجزء بين الله و عبده و هو قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فلهذا الجمع جمع العبد بين يديه في الصلاة إذا وقف فكملت صلاة العبد بجمعه بين يديه و صورة هذا التكتيف أن يجعل اليمنى على اليسرى كما قررناه من أن اليمين لله فلها العلو على الشمال و صورتها أن يجعل باطن كفه اليمنى على ظهر كفه اليسرى و الرسغ و الساعد ليجمع بالإحاطة جميع اليد التي أمر الله عبده في الوضوء للصلاة أن يعمها بالطهارة فأخذ الرسغ و ما جاوره من الكف و الساعد فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين ثم نهى النبي ص أن يرفع المصلي عينيه إلى السماء في صلاته فإن الله في قبلة العبد و لا يقابله في وقوفه إلا الأفق فهو قبلته التي يستقبلها و يحمد له أن ينظر إلى موضع سجوده فإنه المنبه له على معرفة نفسه و عبوديته و لهذا جعل الله القربة في الصلاة في حال السجود و ليس الإنسان بمعصوم من الشيطان في شيء من صلاته إلا في السجود فإنه إذا سجد اعتزل عنه الشيطان يبكي على نفسه و يقول أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة و أمرت بالسجود فأبيت فلي النار «الوصل الثامن» من خزائن الجود و هو متعلق بهذا الوصل الذي فرغنا منه و هو أن العبد متأخر في نفس الأمر عن رتبة خالقه و قد حيل بينه و بين شهود ذلك بما جعل الله فيه من النسيان و السهو و الغفلة فيتخيل إن له قدما في السيادة و الحال تشهد بخلاف ذلك فهو بالحال محقق و في نفس الأمر على ما هو

عليه صاحب الشهود و لا سعادة له في ذلك بل له الشقاء و هذا غاية الحرمان و لا يزال كذلك حتى ينكشف الغطاء فيحتد البصر فيرى الأمر على ما هو عليه فيؤمن به فما ينفعه إيمانه فإن الايمان لا يكون إلا بالخبر لا بالعيان فليس المؤمن إلا من يؤمن بالغيب و هو الخبر الذي جاء من عند الله فإن الخبر بما هو خبر يقبل الصدق و الكذب كالممكن يقبلالوجود و العدم و اعلم أنه ما أتى على أحد إلا من الغفلة عما يجب عليه من الحقوق التي أوجب الشرع عليه أداءها فمن أحضرها نصب عينيه و سعى جهده في أدائها ثم حالت بينه و بين أدائها موانع تقيم له العذر عند الله فقد وفى الأمر حقه و وفى الله بذمته و لا حرج عليه و لا جناح و لا خاطبه الحق بوجوب حق عليه مع ذلك المانع و الموانع على نوعين نوع يكون مع الحضور و نوع يكون مع عدم الحضور و هو الغفلة فأما النوع الذي يكون مع الحضور فينقسم قسمين قسم يرجع إلى النظر في ذلك الواجب هل هو واجب عليه أم لا فيجتهد جهد وسعه الذي كلفه الله في طلب الدليل على وجوب ذلك الأمر فلا يجده و هو من أهل الاجتهاد فلا يجب عليه إلا ما يقتضيه دليله و هو واجب في نفس الأمر عند الله و لكن أخطأ هذا المجتهد فهو مأجور عند الله بنص الله و نص رسوله ص و ما كلفه الله إلا ذلك و قد أدى ما كلفه الله من الاجتهاد في طلب الدليل فلم يجده و ليس للمجتهد أن يقلد غيره في حكم لا يعرف دليله و لكن من اجتهاده إذا لم يعثر على دليل أن يسأل في ذلك الأمر أهل الاجتهاد الذين حكموا عليه بالوجوب و صورة سؤاله أن يقول لهم ما دليلكم على ما أوجبتموه في هذا الأمر و لا يقلدهم في الحكم فإذا عرفوه بدليلهم فإن كان ذلك الدليل مما قد حصل له في اجتهاده فقدح فيه فلا يجب عليه النظر فيه و لا الحكم به فإنه قد تركه وراءه و إن كان لم يعثر عليه فيما عثر من نظره فله عند ذلك النظر في دليل ذلك المجتهد المسئول هل هو دليل في نظر هذا السائل المجتهد أو ليس بدليل فإن أداه اجتهاده في إن ذلك هو دليل كما هو عند من اتخذه دليلا تعين عليه العمل به و إن قدح فيه بوجه لم يعثر ذلك الآخر عليه فإنه ليس له الأخذ به و تقليد ذلك المسئول في الحكم الذي حكم هذا الدليل عليه عند ذلك المجتهد فهذا مانع و القسم الآخر أن يعلم وجوب ذلك عليه من فعل أو ترك ثم يحول بينه و بين ذلك إن كان تركا اضطرار و إن كان أمرا فعدم استطاعة و ما ثم مانع آخر هذا مع الحضور و النوع الآخر من الموانع الغفلة و هي على نوعين غفلة عن كذا و غفلة في كذا فالغفلة عن كذا ترك ذلك بالكلية و هو غير مؤاخذ بذلك عند الله فإن الله قد رفع عن عباده رحمة بهم الخطاء و هو حال المجتهد الذي ذكرناه آنفا و النسيان و هو الغفلة و ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به فإن الكلام عمل فيؤاخذ به من حيث ما هو متلفظ به فإن كان ليس لذلك المتلفظ به عمل إلا عين التلفظ كالغيبة و النميمة فإنه يؤاخذ بذلك بحسب ما يؤدي إليه ذلك التلفظ و إن كان تلفظ به و له عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه إلا عين ما تلفظ به فهو مسئول عند الله من حيث لسانه و لا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس فإن الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس فإن لذلك مواطن فإنه من يرد في الحرم المكي بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ سواء وقع منه ذلك الظلم الذي أراده أو لم يقع و أما في غير المسجد الحرام المكي فإنه غير مؤاخذ بالهم فإن لم يفعل ما هم به كتب له حسنة إذا

ترك ذلك من أجل الله خاصة فإن لم يتركها من أجل الله لم يكتب له و لا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسي و الإرادة التي هي الهم فهذا و أمثاله رحمة من الله بعباده و أما الغفلة في كذا فهو تكليف صعب لو كلفه الإنسان لكن الله ما آخذ عباده بالغفلة في كذا كما لم يؤاخذهم بالغفلة عن كذا فإنه إذا غفل في كذا فإنه غفل عن جزء من أجزاء ما هو فيه شارع أو عامل فهو من غفلت عن كذا و قد شرع الله للغفل في كذا في بعض الأعمال حكما كالساهي في صلاته فإنه قد شرع له سجود السهو جبرا لما سها عنه و ترغيما للشيطان الذي وسوس له حتى وقع منه السهو و الغفلة فيما هو فيه عامل فإن تغافل حتى أوجب له ذلك التغافل الغفلة آخذه الله بها فإنه متعمل قاصد فيما يحول بينه و بين ما أوجب الله عليه فعله أو تركه فإذا غفل الإنسان أو سها عن عبوديته و رأى له فضلا على عبد آخر مثله و لا سيما إن كان العبد الآخر ملك يمينه أو يكون هذا الغافل من أولي الأمر كالسلطان و الوالي فيرى لنفسه مزية على غيره ما يرى تلك المزية للمرتبة التي أقيم فيها إن كان من أولي الأمر و لا للصفة القائمة به من حيث الاختصاص الإلهي له بها كالعلم و كرم الأخلاق فلم يفرق بين نفسه و المرتبة و لا بين الصفة و الموصوف بها فإنه صاحب جهل و غفلة مردية و لهذا يقول في حالها و أنت مثلي أو فلان مثلي أو يعادلني و من هو فلان و أي شيء قيمة فلان و هل هو إلا عبدي أو من رعيتى أو هو كذا من كل أمر مذموم ينزه نفسه عنه و ينوطه بذلك الآخر بخلاف من ليس بغافل عن نفسه فإنه يجعل الفضل للصفة و المرتبة لا لنفسه فإنه لم ينلها باستحقاق و إنما نالها بامتنان إلهي إما لشقاوته إن كفر بها أو لسعادته إن شكرها و لو لا حكم الجهل فيمن هذه صفته ما اتصف بهذا و إن كان عالما بهذا كله و تغافل فإنه مباهت فهذا أعظم في الجور بل هو في هذه الحالة كصاحب اليمين الغموس و الغافل كصاحب لغو اليمين فإذا كان مستحضرا لحقيقته عالما بأن الذي هو عليه مما حرمه غيره جائز أن يسلب عنه و يخلع على ذلك الغير الذي قد ازدراه لإهمال الله إياه فشكر نعمة الله عليه و دعا الله لذلك الغير أن ينيله مثل ما أعطاه الله و أدركته الشفقة فإنه و إن كان كافرا فهو أخوه من حيث إنه و إياه من نفس واحدة و إن كان مؤمنا فهو أخوه أخوة اختصاص ديني سعادي فعلى كل حال وجبت عليه الشفقة على خلق الله و الرحمة بعباد الله يقول رسول الله ص انصر أخاك ظالما أو مظلوما فأما نصرة المظلوم فمعلومة عند الجميع و أما نصرة الظالم فرحمة نبوية خفية فإنه علم إن الظلم ليس من شيم النفوس لأنها طاهرة الذات بالأصالة فكلما ينقص طهارتها فهو أمر عرضي عرض لها لما عندها من القبول في جبلتها و الذي من شيمها إنما هو القهر و الظهور و من هنا دخل عليها إبليس بوسوسته و لقد جهل القائل الذي قال

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

و ما أنصف و ما قال حقا فلو قال بدل الظلم القهر من شيم النفوس فالظلم الذي يصدر من زيد في حق من كان ما هو منه و إنما هو ممن يلقي إليه و هو الشيطان و للإنسان فيه مدافعة يجدها من نفسه لأن ذلك ليس من شيم النفوس و إنما الذي من شأنها إنما هو جلب المنافع و دفع المضار فدفع

المضار به تشارك الحيوان كله و جلب المنافع مما تختص به النفس الإنسانية فإذا رأيت الحيوان يجلب المنافع فليس ذلك إلا لدفع المضار لا لأمر آخر فكل ضرر يطرأ من الحيوان في حق حيوان آخر أو في حق إنسان إنما هو لدفع المضار عن نفسه خاصة و لما كانت نفس الإنسان بهذه المثابة و وقع منه الظلم في حق أحد فيسمى ظالما فنصرة الظالم أن تنصره على إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه من الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس و تنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته إذا كان ظالما و لذا جاء في الخبر في نصرة الظالم أن يأخذ على يده و المراد به ما ذكرناه و لهذا جاء بلفظ النصرة التي أوجبها الأخوة لأنه لا بد أن تكون النصرة على شيء و ما ثم إلا ما ذكرناه لأن العدو الموسوس إليه في صدره يقول مقسما بربه لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ و هم الذين أخلصهم الله إليه مما ألقي إليهم و فيهم من نور الحفظ و العصمة و لذلك قال تعالى إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ أي قوة و قهر و حجة لأن الله تولى حفظهم و تعليمهم بما جعل فيهم من التقوى فلما اتخذوا الله جل جلاله وقاية لم يجد اللعين من أين يدخل عليهم بشيء فإنه أينما تولى منه ليدخل عليه بما يخرجه عن دينه و علمه وجد في تلك الجهة وجه الله يحفظه فلا يستطيع الوصول إليه بالوسوسة فيتجسد له في صورة إنسان مثله فيتخيل أنه إنسان و يأتيه بالإغواء من قبل أذنه فيدخل له فيما حجر عليه تأويلا أدناه أن يبيح له ذلك فلا يضره الوقوع فيه بسبب ذلك التأويل لعلمه بأن الإنسان لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسة من العدو الذي يزين له سوء عمله فيراه حسنا فإذا جاء بهذه المثابة للعالم الذي ما له عليه سلطان بما ذكرناه من التأويل فيما يريد إيقاعه به صار ذلك العالم من أهل الاجتهاد فإن أخطأ فله أجر و إن أصاب فله أجران فهو مأجور على كل حال فما تم له مراده و إن نسي كما نسي آدم فإن الله تعالى الذي شرع المعصية و الطاعة و بين حكمهما رفع حكم الأخذ بالمعصية في حق الناسي و المخطئ كما رفعها في حق المجتهد فما تحرك الإنسان إلا في أمر مشروع فقد أحاط بالإنسان وجه الله ظاهرا و باطنا فأينما تولاه الشيطان من ظاهر و باطن فثم وجه الله يحفظه فما له عليه سلطان و هو قوله ص في حق القرين أعانني الله عليه فأسلم برفع الميم على جهة الخبر فما له عليه سلطان أي حجة لأن الحجة هنا شرعية فهو لو ألقى على ظاهره أو باطنه و في الشرع حكم برفع المؤاخذة فيما أتى به هذا العدو فما له عليه سلطان لأن الحجة الشرعية له فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و قوله فأعانني الله عليه هي نصرة الله له بالحجة فلا يبالي و لهذا شرع لعباده أن يقولوا وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ أي بك نستنصر و ما ثم إلا العلم فهو خبر ناصر يعطيه الله عبده و الذي نسي آدم إنما هو قوله تعالى له إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فنسي ما أخبره الله به من عداوته فقبل نصيحته و لما علم إبليس أن آدم محفوظ من الله و رأى الله قد نهاه عن قرب الشجرة لا قرب الثمرة جاء بصورة الأكل لا بصورة القرب فإنه علم أنه لا يفعل لنهي ربه إياه عن قرب الشجرة فأتاه بثمرها فأكل آدم و زوجته حواء و صدقا إبليس و هو الكذوب في قوله هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلى و كذلك كان أورثه ذلك الأكل منها الخلد في الجنة و الملك الذي لا يبلى و ما قال له متى و جعل ذلك من خاصية تلك الشجرة فيمن أكل منها فأورثه الاجتباء

الإلهي فأهبطه الله للخلافة في الأرض تصديقا لما قاله للملائكة إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و أهبط حواء للنسل و أهبط إبليس للاغواء ليحور عليه جميع ما يغوي به بنى آدم إذا عمت الناس رحمة الله فجعل الله كل مخالفة تكون من الإنسان من إلقاء العدو و إغوائه فقال الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ أي بإظهارها يعني بذلك وقوعها منكم لما علم إن الإنسان قد رفع عنه الحق ما حدث به نفسه و ما هم به من السوء إلا أن يظهر ذلك على جوارحه بالعمل و هو الفحشاء فقال تعالى وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ لما وقع منكم من الفحشاء التي أمركم بها الشيطان و فضلا لما وعدكم به من الفقر و هذه أعظم آية و أشدها مرت على سمع إبليس فإنه علم أنه لا ينفعه إغواؤه و لهذا لا يحرص إلا على الشرك خاصة لكونه سمع الحق يقول إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به و تخيل أن العقوبة على الشرك لا ينتهي أمدها و الله ما قال ذلك فلا بد من عقوبة المشرك و من سكناه في جهنم فإنه ليس بخارج من النار فهو مؤبد السكنى و لم يتعرض لانتهاء مدة العذاب فيها بالشقاء و ليس الخوف إلا من ذلك لا من كونها دار إقامة لمن يعمرها فصدق الله بكون المشرك مأخوذا بشركه فهو بمنزلة إقامة الحد على من تعين عليه سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة فهي حدود إلهية يقيمها الحق على عبده إذا لم يغفر له أسبابها و جهل إبليس انتهاء مدة عقوبة المشرك من أجل شركه و لهذا طمع إبليس في الرحمة الإلهية التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و طمعه فيها من عين المنة لإطلاقها لأنه علم في نفسه أنه موحد و إنما سماه الله كافرا في قوله تعالى وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ لأنه يستر عن العباد طرق سعاداتهم التي جاء بها الشرع في حق كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك فقال فيه أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ و لم يقل من المشركين لأنه يخاف الله رب العالمين و يعلم أن الله واحد و قد علم حال مال الموحدين إلى أين يصير سواء كان توحيده عن إيمان أو عن نظر من غير إيمان كما قال عيسى ع لإبليس لما عجز إبليس أن يطيعه عيسى ع فقال له إبليس يا عيسى قل لا إله إلا الله حرص أن يطيعه فقال له عيسى ع أقولها لا لقولك لا إله إلا الله و قد علم إبليس أن جهنم لا تقبل خلود أهل التوحيد فيها و أن الله لا يترك فيها موحدا بأي طريق كان توحيده فعلى هذا القدر اعتمد إبليس في حق نفسه فعلم من وجه و جهل من وجه إذ لا يعلم الشيء من جميع وجوهه إلا الله عز و جل الذي أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً سواء كان الشيء ثابتا أو موجودا أو متناهيا أو غير متناه

قال لي الحق في ضميري ... ما أجهل الخلق بالأمور
ما عرف الأمر غير شخص ... منبئ عالم خبير
ندب بأمر الورى بصير ... مهيأ للهدى معد
قد علم الحق علم ذوق ... ليس بحدس و لا شعور
و لا تناء و لا تدان ... و لا خفاء و لا ظهور

«الوصل التاسع من خزائن الجود» قال تعالى وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فهو التفاف لا ينحل فإنه تعالى تمم فقال إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ فأتى بالاسم الذي يعطي الثبات و الأمر ملتف بالأمر و إلى الرب المساق فلا بد من ثبات هذا الالتفاف في الدار الآخرة فعين أمر الدنيا عين أمر الآخرة غير إن موطن الآخرة لا يشبه موطن الدنيا لما في الآخرة من التخليص القائم بوجود الدارين فوقع التمييز بالدار و الكل آخرة فالتف أمر الدنيا بأمر الآخرة لا عين الدنيا بأمر الآخرة و لا عين الدنيا بعين الآخرة و لكل دار أهل و جماعة و الأمر ما هو عليه ذلك الجميع و إن اختلفت الأحوال فلا تزال الناس في الآخرة ينتقلون بالأحوال كما كانوا في الدنيا ينتقلون بالأحوال و الأعيان ثابتة فإن الرب يحفظها فالانتقال هو الجامع و فيما ذا ينتقلون فذلك علم آخر يعلم من وجه آخر فمن كون الآخرة دار جزاء كما كانت الدنيا دار جزاء في الخير و الشر ظهر في الآخرة ما ظهر من سعادة و شقاء فالشقاء للغضب الإلهي و السعادة للرضى الإلهي فالرضي بسط الرحمة من غير انتهاء و الغضب منقطع بالخبر النبوي فينتهي حكمه و لا ينتهي حكم الرضي و لا سيما و قد قدمنا في كتابنا هذا أن الإنسان ولد على الفطرة و هي العلم بوجود الرب إنه ربنا و نحن عبيد له و أن الإنسان لا يقبض حين يقبض إلا بعد كشف الغطاء فلا يقبض إلا مؤمنا و لا يحشر إلا مؤمنا غير إن الله لما قال فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا فما آمنوا إلا ليندفع عنهم ذلك البأس فما اندفع عنهم و أخذهم الله بذلك البأس و ما ذكر أنه لا ينفعهم في الآخرة و يؤيد ذلك قوله فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا حين رأوا البأس كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فهذا معنى قولنا فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ في رفع البأس عنهم في الحياة الدنيا كما نفع قوم يونس فما تعرض إلى الآخرة و مع هذا فإن الله يقيم حدوده على عباده حيث شاء و متى شاء فثبت انتقال الناس في الدارين في أحوالهم من نعيم إلى نعيم و من عذاب إلى عذاب و من عذاب إلى نعيم من غير مدة معلومة لنا فإن الله ما عرفنا إلا إنا استروحنا من قوله فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ إن هذا القدر مدة إقامة الحدود و الله أعلم فإنه لا علم لي بذلك من طريق الكشف فرحم الله عبدا أطلعه الحق على انتهاء مدة الشقاء فيلحقها في هذا الموضع من كتابي هذا فإني علمت ذلك مجملا من غير تفصيل و لما كان إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ و الرب المصلح فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة هكذا جاء في الخبر النبوي في الرجلين يكون لأحدهما حق على الآخر فيقفان بين يدي الله تعالى فيقول رب خذ لي بمظلمتي من هذا فيقول له ارفع رأسك فيرى خيرا كثيرا فيقول المظلوم لمن هذا يا رب فيقول لمن أعطاني الثمن فيقول يا رب و من يقدر على ثمن هذا فيقول له أنت بعفوك عن أخيك فيقول قد عفوت عنه فيأخذ بيده فيدخلان الجنة فقال رسول الله ص عند إيراده هذا الخبر فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة الكريم إذا كان من شأنه أن يصلح بين عباده بمثل هذا الصلح حتى يسقط المظلوم حقه و يعفو عن أخيه فالله أولى بهذه الصفة من العبد في ترك المؤاخذة بحقوقه من عباده فيعاقب من شاء بظلم الغير لا بحقه المختص به و لهذا الأخذ بالشرك من ظلم الغير فإن الله ما ينتصر لنفسه و إنما ينتصر لغيره و الذي شاء سبحانه ينتصر له فإن الشركاء يتبرءون من أتباعهم يوم

القيامة و الرب أيضا المغذي و المربي فهو يربي عباده و المربي من شأنه إصلاح حال من يربيه فمن التربية ما يقع بها الألم كمن يضرب ولده ليؤدبه و ذلك من جملة تربيته و طلب المصلحة في حقه لينفعه ذلك في موطنه كذلك حدود الله تربية لعباده حيث أقامها الله عليهم فهو يربيهم بها لسعادة لهم في ذلك من حيث لا يشعرون كما لا يشعر الصغير بضرب من يربيه إياه و الرب أيضا السيد و السيد أشفق على عبده من العبد على نفسه فإنه أعلم بمصالحه و لن يسعى سيد في إتلاف عبده لأنه لا تصح له سيادة إلا بوجود العبد فإنها صفة إضافية فعلى قدر ما يزول من المضاف يزول من حكم المضاف إليه كالسلطان إذا لم يكن شغله دائما في أمور رعيته و إلا فما له من السلطنة إلا الاسم و هو معزول في نفس الأمر فإن المرتبة لا تقبله سلطانا إلا بشروطها فعلى قدر ما يشتغل عن رعيته بنفسه في لهوه و طربه فهو إنسان من جملة الناس لا حظ له في السلطنة و ينقصه في الآخرة من أجر السلطنة و عزها و شموخها على قد ما فرط فيه من حقها في الدنيا بلهوه و لعبة و صيده و تغافله عن أمور رعيته و إذا سمع السلطان باستغاثة بعض رعيته عليه فلم يلتفت لذلك المستغيث و لا قضى فيه بما تعطيه مسألته إما له و إما عليه فقد شهد على نفسه بهذا الفعل أنه معزول و أنه ليس بسلطان و لا فرق بينه و بين العامة فما يقع مثل هذا إلا من سلطان جاهل لا معرفة له بقدر ما ولاة الله عليه و لا غرو أن هذا الفعل يوجب أن يحور عليه وباله يوم القيامة و تقوم عليه الحجة عند الله لرعيته فيبقى موبقا بعمله و لا ينفعه عند ذلك لهوه و لا ماله و لا بنوه و لا كل ما شغله عما تطلبه السلطنة بذاتها و أما الرب الذي هو المالك فلشدة ما يعطيه هذا الاسم من النظر فيما تستحقه المرتبة فيوفيها حقها فقد بان لك في هذا المساق معنى اختصاص هذا الاسم الرب الذي إليه المساق عند التفاف الساق بالساق فبه انتظم الأمران و ثبت الانتقالان و من علم ثبوت الوجود و من هو مالكه و سيده و مصلحه و الثابت له حكمه فيه علم إن الرب مالكه و من علم منزلة عبوديته علم منزلة سيادة سيده فخافه و رجاهو صدقه في أمنه إذا أمنه لعلمه بأنه السيد الوفي الصادق الغني و مهما تهدم شيء من بيت الوجود رمه هذا السيد بيد عبده لأنه آلته في ذلك و المستخدم فعلى يده يكون صلاح ما تهدم منه و يأمره سيده في ذلك إما بمشافهة أو بتبليغ مبلغ يبلغ إليه من السيد بإصلاحه أو صورة حال تعطيه إصلاح ذلك من غير توقف على الأمر الآتي من عند السيد كالرهبانية الحسنة التي ابتدعها من ابتدعها فهو مأجور فيها موافقة بصورة الحال لما في نفس السيد و إن لم يأمر بها في النواميس في أهل الفترات فإن الشرع ما جاء إلا لمصالح الدنيا و الآخرة فالآخرة لا تعرف إلا بأخبار خالقها و أنها في حكم العقل ممكنة و الدنيا و مصالحها معلومة لأنها واقعة مشهودة فللنظر في مصالحها مجال بخلاف الآخرة فلا تتوقف مصالح الدنيا على ما تتوقف عليه مصالح الآخرة و لهذا ما خلت طائفة من ناموس تكون عليه لأن طلب المصالح ذاتي في الحيوان فكيف في الإنسان صاحب الفكر و الرؤية فمن تدبر هذا الوصل رأى عجبا و علم علما يعطيه الرفعة في الدنيا و الآخرة و ينضم إليه علم الجمع و الفرق الذي في عين الجمع و علم الأحوال و الشئون

و علم الزمانين و علم ما يختص بالكون و علم القلوب التي وسعت الحق جل جلاله و علم ما يقع به البقاء لهذا الوجود أعني الموجودات كلها و علم العاقبة و هو وصل شريف

تصح له السيادة في الوجود	إذا صحت عبودة كل عبد
عليه بذاك أعلام المزيد	فيحكم مثل سيده و تبدو
بأن الأمر فيه من الشهود	و يخبرنا لسان الحال عنه
كما عنت الملائك بالسجود	له تعنو الوجوه إذا تبدي
فيدعي بالمراد و بالمريد	فيسمو رفعة و يذل عزا

«الوصل العاشر من خزائن الجود» و هذا وصل الأذواق و هو العلم بالكيفيات فهي لا تقال إلا بين أربابها إذا اجتمعوا على اصطلاح معين فيها و أما إذا لم يجتمعوا على ذلك فلا تنقال بين الذائقين و هذا لا يكون إلا في العلم بما سوى الله مما لا يدركه إلا ذوقا كالمحسوسات و اللذة بها و بما يجده من التلذذ بالعلم المستفاد من النظر الفكري فهذا يمكن فيه الاصطلاح بوجه قريب و أما الذوق الذي يكون في مشاهدة الحق فإنه لا يقع عليه اصطلاح فإنه ذوق الأسرار و هو خارج عن الذوق النظري و الحسي فإن الأشياء أعني كل ما سوى الله لها أمثال و أشباه فيمكن الاصطلاح فيها للتفهيم عند كل ذائق له فيها طعم ذوق من أي نوع كان من أنواع الإدراكات و الباري ليس كمثله شيء فمن المحال أن يضبطه اصطلاح فإن الذي يشهد منه شخص ما هو عين ما شهده شخص آخر جملة واحدة و بهذا يعرفه العارفون فلا يقدر عارف بالأمر أن يوصل إلى عارف آخر ما يشهده من ربه لأن كل واحد من العارفين شهد من لا مثل له و لا يكون التوصيل إلا بالأمثال فلو اشتركا في صورة لاصطلحا عليها بما شاء و إذا قبل ذلك واحد جاز أن يقبل جميع العالم فلا يتجلى في صورة واحدة لشخصين من العارفين و لكن قد رفع الله بعض عباده درجات لم يعطها لغير عباده الذين لم يصح لهم هذه الدرجات و هم العامة من أهل الرؤية فيتجلى لهم في صور الأمثال و لهذا تجتمع الأمة في عقد واحد في الله فيعتقد كل واحد من تلك الطائفة المعينة في الله ما يعتقده الآخر منها كمن اتفق من الأشاعرة و المعتزلة و الحنابلة و القدماء فقد اتفقوا على أمر واحد لم تختلف فيه تلك الطائفة فجاز إن يصطلحوا فيما اتفقوا عليه و أما لعارفون أهل الله فإنهم علموا إن الله لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين و لا في صورة واحدة مرتين فلم ينضبط لهم الأمر لما كان لكل شخص تجل يخصه و رآه الإنسان من نفسه فإنه إذا تجلى له في صورة ثم تجلى له في صورة غيرها فعلم من هذا التجلي ما لم يعلمه من هذا التجلي الآخر من الحق هكذا دائما في كل تجل علم إن الأمر في نفسه كذلك في حقه و حق غيره فلا يقدر أن يعين في ذلك اصطلاحا تقع به الفائدة بين المتخاطبين فهم يعلمون و لا ينقال ما يعلمون و لا في قوة أصحاب هذا المقام الأبهج الذي لا مقام في الممكنات أعلى

منه أن يضع عليه لفظا يدل على ما علمه منه إلا ما أوقعه تعالى و هو قوله عز و جل لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ فنفى المماثلة فما صورة يتجلى فيها لأحد تماثل صورة أخرى

و جل فليس يضبطه اصطلاح   فعز الأمر أن يدري فيحكي
تعبر عنه السنة فصاح   فتجهله العقول إذا تراه
لا مكان يكون به الصلاح   من أقوام مقلدة عقولا
على جهل فخانهم الفلاح   فهم بالفكر قد جمعوا عليه
فما اصطلحوا فجاءهم النجاح   و قال العارفون بما رأوه
و ليس له بنا إلا السراح   فليس كمثله في الكون شيء

فبتقييدنا حكمنا عليه بالإطلاق و أما الأمر في نفسه فغير منعوت بتقييد و لا إطلاق بل وجود عام فهو عين الأشياء و ما الأشياء عينه فلا ظهور لشيء لا تكون هويته عين ذلك الشيء فمن كان وجوده بهذه المثابة كيف يقبل الإطلاق أو التقييد هكذا عرفه العارفون فمن أطلقه فما عرفه و من قيده فقد جهله

و هو المنزه و المجمع بيننا   فالله ليس سواه مشهودا لنا
و كلاهما حكم عليه له بنا   فالقيد و الإطلاق فيه واحد
لب تجده بالسريرة معلنا   فانظر إليه بعينه إن كنت ذا
ما قد رأيت مبرهنا و مبينا   هذا هو الحق الصريح لمن يرى

و اعلم أن الله تعالى ما جعل للأرواح أجنحة إلا للملائكة منهم لأنهم السفراء من حضرة الأمر إلى خلقه فلا بد لهم من أسباب يكون لهم بها النزول و العروج فإن موضوع الحكمة يعطي هذا فجعل لهم أجنحة على قدر مراتبهم في الذي يسرون به من حضرة الحق أو يعرجون إليه من حضرة الخلق فهم بين الخلق و الأمر يترددون و لذلك قالوا وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ فاعلم ذلك فإذا نزلت هذه السفرة على القلوب فإن رأتها قلوبا طاهرة قابلة للخير أعطتها من علم ما جاءت به على قدر ما يسعها استعدادها و إن رأتها قلوبا دنسة ليس فيها خير نهتها عن البقاء على تلك الحال و أمرتها بالطهارة بما نص لها الشارع إن كان في العلم بالله فبالعلم به مما يطلبه الفكر و جاء به الخبر النبوي عن الله و إن كان في الأكوان فبعلم الأحكام و اعتقاداتها هذا و يلزمه حكمها في ذلك إذا وجدت القلوب و إذا لم تجدها كقلوب العارفين الذين هم في لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ فلا تعرف الملائكة أين

ذهبوا فهؤلاء هم الذين يأخذون عن الله من الوجه الخاص ما هم عليه من الأحوال فيجهلون و يؤخذ عليهم ما يأتون به و من هنا أخذ خضر علمه فهؤلاء ينكر عليهم و لا ينكرون على أحد إلا بلسان الشرع فلسان الشرع هو الذي أنكر لا هم كالمسبح بحمد الله فالله هو الذي أثنى على نفسه بما يعلم نفسه عليه فإن قام فضول بالإنسان و استنبط له ثناء لم يجيء بذلك اللفظ خطاب إلهي فما سبحه بحمده بل بما استنبطه من عنده فينقص عن درجة ما ينبغي فقل ما قاله عن نفسه و لا تزد في الرقم و إن كان حسنا فقد أبنت لك ما إذا عملت به كنت من أهل الحق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الوصل الأحد عشر من خزائن الجود»

و الدار داران دار الفوز و العطب	النار ناران نار الله و اللهب
فاجزع من الكون لا تجزع من السبب	و كلها سبب من كون منشئها
و اجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب	و خف من العلم إن العلم يحكمه

اعلم علمك الله أن النار جاء بها الحق مطلقة مثل قوله تعالى النار بالألف و اللام حيث جاءت و جاء بها مضافة فمنها نار أضافها إلى الله مثل قوله نارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ و نار أضافها إلى غير الله مثل قوله لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ ثم نعت هذه النار بنعوت و أخبر عنها بأخبار من الوقد و الإطباق و غير ذلك و جعل لها حكما في الظاهر فجعلها ظرفا مثل قوله فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها فجاء بالظرف و حكما في الباطن و هو أن يكون ظاهر العبد ظرفا لها و هي نارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ و الأفئدة باطن الإنسان فهي تظهر في فؤاد الإنسان و عن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة و العبد منشا النارين في الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه كذلك ما أغضب الحق سوى ما خلقه فلو لا الخلق ما غضب الحق و لو لا المكلف الذي أنشأ صورة النارين بعمله الظاهر و الباطن ما تعذب بنار فما جنى أحد على أحد في الحقيقة و النظر الصحيح

فكن عبدا و كن حقا	فلا تعمل فلا تشقى
فانظر تر الحقا	فما ثم سوى ما قلته
فحقا كنت أو خلقا	عذاب الخلق بالخلق

«و من ذلك»

كما بصالحها في الحال تطفيها	فالنار منك و بالأعمال توقدها
و أنت في كل حال فيك تنشيها	فأنت بالطبع منها هارب أبدا

و قد أتيت إليها اليوم أنبيها　　　أما لنفسك عقل في تصرفها

بأنه يوم عرض الخلق يملؤها　　　قبل الممات فإن الله قال لنا

و اعلم أنه تعالى لما ذكر على السنة رسله ع إن الله يغضب يوم القيامة غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله و أن الحق إذا قالت النار هَلْ من مَزِيدٍ لأنه وعدها أن يملأها و هي دار الغضب قال فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي قد امتلأت و ليست تلك القدم إلا غضب الله فإذا وضعه فيها امتلأت فإنها دار الغضب و اتصف الحق بالرحمة الواسعة فوسعت رحمته جهنم بما ملأها به من غضبه فهي ملتذة بما اخترنته و رحم الله من فيها أعني في النار الذين هم أهلها فيجعل لهم من هذه الرحمة نعيما فيها كما نعم جهنم بما وضع فيها من الغضب الإلهي فإن المخلوق الذي من حقيقته أن يفنى لا يملؤه مخلوق فإنه كل ما حصل منه فيه أفناه كما ورد في نضج الجلود فلا يملأ مخلوقا إلا الحق و غضب الله حق فأنعم على جهنم به فوضعه فيها فامتلأت بحق كما امتلأت الجنة برضى الحق و رحمته

لأنه عين كل شيء　　　قد وسع الحق كل شيء

في كل نور و كل في　　　فما ترى فيه غير حق

«و من ذلك»

و نار جهنم ذات الوقود　　　فنار الله ليس سوى وجودي

و هم فيها على حكم الخلود　　　بآلهة　تعبدها　أناس

و لقد رأيت في هذا الوصل مشهدا هالني في الواقعة و تليت على سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات عرضا علي فكان من صورة ما تلته ثُلَّةٌ من الْأَوَّلِينَ ثُلَّةٌ من الْآخِرِينَ بحذف واو العطف و لم يكن عندي من ذلك سر قبل هذا فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل فرجعت إلى نفسي و علمت ما نبهني الحق به في ذلك الحذف من الاقتطاع بين العالم فإذ جاء بالواو راعى ما يقع فيه الاشتراك في الصورة الظاهرة و المفهوم الأول و إذا أزال الواو راعى ما يقع به التميز و الانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء لأنه لا حقيقة له إلا بما يتميز به فعلمت ما أراد بحذف الواو من نطقها بذلك و هو الله ليعلم أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مع وجود الأشياء و أنه بعدمها و وجودها منفي المماثلة و ما بقي الأمر الأهل هو منفي المناسبة أم لا لأن الإيجاد بغير المناسبة لا يتصور و قد حصل الإيجاد و ظهر المخلوق فعلمنا إن المناسب لا بد منه و لا يعطي المماثلة أصلا لأن الخلق كله لله و الأمر كله لله فلا شركة فارتفعت المماثلة مع وجود المناسب الذي يطلبه الحق بذاته و كل خلق أضيف إلى خلق فمجاز و صورة حجابية ليعلم العالم من الجاهل و فضل الخلق بعضهم على بعض ليتحقق الشكر من الفاضل و الطلب و الافتقار من المفضول فيزاد الفاضل لشكره و يعطي

المفضول لطلبه فكل في مزيد و لا يرتفع التفاضل كلما ارتقى الفاضل بالمزيد درجة ارتقى المفضول خلفه يطلبه درجة فالكل في ارتقاء من غير لحوق

في كل حال على الشهود	ناداني الحق من وجودي
ملا محال هَلْ من مَزِيدٍ	امتلأت ذاتكم فقلنا
جاد على الخلق بالوجود	ما يملأ الكون غير من قد
ما رتبة الرب كالعبيد	و ذلك الحق لا سواه
لم يدر ما لذة السجود	من علم الحق علم ذوق

فنار جهنم لها نضج الجلود و حرق الأجسام و نار الله نار ممثلة مجسدة لأنها نتائج أعمال معنوية باطنة و نار جهنم نتائج أعمال حسية ظاهرة ليجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل بأهل الجزية في إعطائها عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ فعذبهم بعذاب إخراج المال من أيديهم و بين الصغار و القهر الذي هو عذاب نفوسهم مما يجدون في ذلك من الحرج ألا ترى المنافق في الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ من النَّارِ فهو في نار الله لما كان عليه من إصرار الكفر و ما له في الدرك الأول مقعد لما أتى به من الأعمال الظاهرة بخلاف الكافر فإن له من جهنم أعلاها و أسفلها فما عنده من يعصمه من نار الله و لا من نار جهنم و أما حكم الذي جحدها و استيقن الحق و اعتقده فإنه على ضد أو عكس عذاب المنافق فإنه عالم بالحق يتحقق به في نفسه و لم يظهر ذلك على ظاهر نشأته فأظهر خلاف ما أضمر و النار إنما تطلب من الإنسان من لم تظهر عليه صورة حق من ظاهر و باطن فالعلم للباطن كالعمل للظاهر و الجهل للباطن كترك الواجب للظاهر و هنا يتبين للإنسان مراتب و أسباب المؤاخذات الإلهية لعباده في الدار الآخرة فإذا استوفيت الحدود عمت الرحمة من خزانة الجود و هو قوله فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ . . . خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَالْأَرْضُ الآية و هذا هو الحد الزماني لأن التبديل لا بد أن يقع بالسموات و الأرض فتنتهي المدة عند ذلك و هو في حق كل إنسان من وقت تكليفه إلى يوم التبديل لأنه غير مخاطب ببقاء السموات و الأرض قبل التكليف و هذا في حق السعيد و الشقي فهما في نتائج أعمالهما هذه المدة المعينة فإذا انتهت انتهى نعيم الجزاء الوفاق و عذاب الجزاء و انتقل هؤلاء إلى نعيم المنن الإلهية التي لم يربطها الله بالأعمال و لا خصها بقوم دون قوم و هو عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ما له مدة ينتهي بانتهائها كما انتهى الكفر و الايمان هنا بانتهاء عمر المكلف و انتهت إقامة الحدود في الأشقياء و النعيم الجزائي في السعداء بانتهاء مدة السموات و الأرض إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ في حق الأشقياء إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ و كذا وقع الأمر بحسب ما تعلقت به المشيئة الإلهية و ما قال تعالى في الأشقياء عذابا غير مجذوذ كما قال تعالى في السعداء فعلمنا بذكر مدة السماء و الأرض و حكم الإرادة في الأشقياء و الإعراض عن ذكر العذاب

إن للشقاء مدة ينتهي إليها حكمه و ينقطع عن الأشقياء بانقطاعها و أن جزاء السعيد على مثل ذلك ثم تعم المنن و الرضي الإلهي على الجميع في أي منزل كانوا فإن النعيم ليس سوى ما يقبله المزاج و غرض النفوس لا أثر للامكنة في ذلك فحيثما وجد ملاءمة الطبع و نيل الغرض كان ذلك نعيما لصاحبه فاعلم ذلك و متعلق الاستثناء معلوم في الطائفتين لما كان عليه الكافر من نعيم الحياة الدنيا من نيل أغراضه و صحة بدنه و لما كان عليه المؤمن من عدم نيل أغراضه و أمراضه في الدنيا كل ذلك من زمان تكليف كل واحد من الطائفتين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل الثاني عشر من خزائن الجود» و هو الإهمال الإلهي فلا يدري صاحبه ما له فإن كل عبد استحق العقاب على مخالفته لما جاء الرسول إليه به فقد أمهله الله و ما أخذه و هو تحت حكم سلطان الاسم الحليم فهو كالمهمل فلا يدري هل تسبق له العناية بالمغفرة و العفو قبل إقامة الحد الإلهي عليه بالحكم أو يؤخذ فيقام عليه حدود جناياته إلى أجل معلوم و لما كان هذا الاحتمال يسوغ فيمن أمهله الله كانت صورة صاحب هذا الوصف صورة المهمل فإن الإهمال من جانب الحق ما يصح فإنه في علم الله السابق إما مغفور له و إما مؤاخذ بما جنى على نفسه فهو على خطر و على غير علم بما سبق له في الكتاب الماضي الحكم فإن الحكم يحكم على الحاكم العادل كما يحكم على المحكوم عليه فأما بالأخذ و إما بالعفو في الشخص الذي هو على نعت و حال يوجب له أحد الأمرين مما ذكرناه و ليس إلا من أمهله الله فلم يؤاخذه في وقت المخالفة وكفى بالترقب للعارف العاصي المهمل الذي هو في صورة المهمل عذابا في حقه لأنه لا يدري ما عاقبة الأمر فيه و ما من طائفة إلا و هي تحت ناموس شرعي حكمي أو وضع حكمي فلا تخلو أمة من مخالفة تقع منها لناموسها كان ما كان فلا ينفك صاحب هذه المخالفة من مراقبة العفو أو المؤاخذة على ما قرره عليه واضع ناموسه فقد عمت النواميس جميع الأمم و هو قوله تعالى وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ فهو إما نذير بأمر الله و إرادته أو نذير بإرادة الله لا بوحي نزل عليه يعلم به أنه من عند الله فأمر الله إنما متعلقة عين إيجاد إنذاره فيه فقيل لإنذاره كن في هذا العبد فكان فوجد الإنذار في نفسه و لم يدر من أين جاء فهذا الفرق بين الشرع الإلهي الذي جاءت به الرسل من عند الله و بين ما وضعته حكماء الأعصار لاتباعها لمصالحهم فمن وفى بحق ناموسه و احترمه و وقف عند حده ابتغاء رضوان الله فقد أحسن في عمله و أن الله لا يضيع أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا و الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه أو تعلم أنه يراك فهذا هو الحد الضابط للإحسان في العمل و ما عدا هذا فهو سوء عمله فإن كان ممن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فلا يخلو إما أن تكون رؤية سوء العمل حسنا بعد اجتهاد يفي بما في وسع ذلك الشخص المجتهد فقد وفى الأمر حقه و هو صاحب عمل حسن و يكون حكم كونه سوء عمل يراه في اجتهاده سوء عين حكم المصيب للحق صاحب الأجرين و يكون هذا المزين له بهذه الصفة صاحب الأجر الواحد و إن لم يكن عن استيفاء الاجتهاد بقدر الوسع و رآه حسنا عن غير اجتهاد فهو في المشيئة فلا يدري بما ختم له و لما ذا يؤول أمره في مدة إقامة الحدود في الدنيا و الآخرة فإنه ممن أسرف على نفسه فإن قنط من رحمة الله فما وفى الأمر حقه و ساء ظنا بربه و الرب عند ظن عبده به و

قد نهى الله المسرف على نفسه عن القنوط فهل قنوطه با رتكاب هذا المنهي عنه الآتي بعد حصول إسرافه معتبر له أثر يحول بين المغفرة و بين صاحبه أو حكمه حكم كل إسراف سواه فهذا أيضا ممهل لا يد ري ما الأمر فيه إذا أنصف الناظر لأنه قال إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً مع ا رتفاع القنوط أو مع وجوده إلا المشرك الذي لم يبذل وسع نفسه في طلبه عدم الكثرة في الاسم الإلهي فإنه لا بد من مؤاخذ ته فتعين على العاقل معرفة المد د الزمانية و اختلاف الأزمان و الدهور و الأعصا ر و ما يجري من ذلك إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى في الأشخاص المقول عليها إنها أ زمان و ما يجري منها إلى غير أجل مسمى و ما الحق الذي يوجب الشكر و ما الحق الذي يوجب الصبر وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَ أما الايمان فهو أمر عام و كذلك الكفر الذي هو ضده فإن الله قد سمي مؤمنا من آمن بالحق و سمي مؤمنا من آمن بالباطل و سمي كافرا من يكفر بالله و سمي كافرا من يكفر بالطاغوت و بين مال هؤلاء و هؤلاء و الطريق التي جاءت ببيانها أيده بالدلالات على صحته أنه من عند الله المرجو في كل ملة و نحلة و عند كل طائفة و الأعمال الصالحة رأسها الايمان فهي تا بعة له كا ن الايمان بما كا ن و ما في الأمور الوجودية أغمض من هذه المسألة لأن الله قرن العمل السيئ بالتزيين حتى يراه العامل حسنا فيتخذه صالح عمل وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ فجاء بالألف و اللام للشمول في السبيل فإنها كلها سبل يراها من جا هد في الله فأبان له ذلك الجهاد السبل الإلهية فسلك منها الأسد في نفسه و عذ ر الخلق فيما هم عليه من السبل و انفرد بالله فهو على نور من الله

إذا عرف الله من فعله — فإهماله عين إمهاله
فعين تراه بتفصيله — و عين تراه بإجماله
فقوم على حكم إحسانه — و قوم على حكم إجلاله
فيقبض شخصا بتعريفه — ويبسط شخصا بإهماله
فسبحان من حكمه واحد — بإعراضه أو بإقباله
و سبحان من عم إحسانه — بإدلاله أو بإدلاله
و كل بإعداده قابل — لخسرانه و لإفضاله

وَ اللهُ يَدْعُوا إِلى دا رِ السَّلامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ «الوصل الثالث عشر من خزائن الجود» مال الأمر الرجوع من الكثرة إلى الواحد من مؤمن و مشرك لأن المؤمن الذي يعطي كشف الأمور على ما هي عليه يعطي ذلك و هو قوله تعالى فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ و ذلك قبل خروجه من الدنيا فما قبض أحد إلا على كشف حين يقبض فيميل إلى الحق عند ذلكو الحق التوحيد و الايمان به فمن حصل له هذا اليقين قبل الاحتضا ر فمقطوع بسعا دته و اتصالها فإن اليقين عن النظر الصحيح و الكشف الصريح يمنعه من العدول عن الحق فهو على بينة من الأمر و

بصيرة و من حصل له هذا اليقين عند الاحتضا ر فهو في المشيئة و إن كان المال إلى السعادة و لكن بعد ا رتكاب شدائد في حق من أخذ بذنوبه و لا يكون الاحتضا ر إلا بعد أن يشهد الأمر الذي ينتقل إليه الخلق و ما لم يشاهد ذلك فما حضره الموت و لا يكون ذلك احتضا را فمن آمن قبل ذلك الاحتضا ر بنفس واحد أو تاب نفعه ذلك الايمان و المتاب عند الله في الدا ر الآخرة و حاله عند قبض روحه حال من لا ذنب له و سواء رده لذلك شدة ألم و مرض أوجب له قطع ما يرجوه من الحياة الدنيا أو غيره فهو مؤمن تائب ينفعه ذلك فإنه غير محتضر فما آمن و لا تاب إلا لخميرة كانت في باطنه و قلبه لا يشعر بها فما مال إلى ما مال إليه إلا عن أمر كان عليه في نفسه لم يظهر له حكم على ظاهره و لا له في نفسه إلا في ذلك الزمن الفرد الذي جاء في الزمان الذي يليه الاحتضا ر الذي يوجب له الايمان المحصل في المشيئة

فكم بين محكوم له بسعادة … و ما بين من تقضي عليه مشيئته

فذلك تخليص عزيز مقدس … و ذاك على حال أرته حقيقته

فلولاه ما بانت عليه طريقته … و لا شهدت يوما عليه خليقته

فإذا انتقل العبد من الحياة الدنيا إلى حياة العرض الأكبر فإن الله عز و جل قد جعل في الكون قيامتين قيامة صغرى و قيامة كبرى فالقيامة الصغرى انتقال العبد من الحياة الدنيا إلى حياة البرزخ في الجسد الممثل و هو قوله ص من مات فقد قامت قيامته و من كان من أهل الرؤية فإنه يرى ربه فإن رسول الله ص يقول لما حذ ر أمته الدجال إن الله لا يراه أحد حتى يموت و القيامة الكبرى هي قيامة البعث و الحشر الأعظم الذي يجمع الناس فيه و هو في القيامة الكبرى أعني الإنسان ما بين مسئول و محاسب و مناقش في حسابه و غير مناقش و هو الحساب اليسير و هو عرض الأعمال على العبد من غير مناقشة و المناقشة السؤال عن العلل في الأعمال فالسؤال عام في الجميع حتى في الرسل كما قال يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ فالسؤال على نوعين سؤال على تقرير النعم على طريق مباسطة الحق للمسئول فهو ملتذ بالسؤال و سؤال على طريق التوبيخ أيضا لتقري النعم فهو في شدة فقال ص لأصحابه و قد أكلوا تمرا و ماء عن جوع إنكم لتسألون عن نعيم هذا اليوم و هذا السؤال موجه للإنذا ر و البشا رة في قوم مخصوصين و هم أهل ذلك المجلس و هو تنبيه بما هو عليه الأمر في حق الجميع فما خلق الله العالم بعد هذا التقرير إلا للسعادة بالذات و وقع الشقاء في حق من وقع به بحكم العرض لأن الخير المحض الذي لا شر فيه هو وجود الحق الذي أعطى الوجود للعالم لا يصد ر عنه إلا المناسب و هو الخير خاصة فلهذا كان للعالم الخير بالذات و لكون العالم كان الحكم عليه بالإمكان لاتصافه بأحد الطرفين على البدل فلم يكن في رتبة الواجب الوجود لذاته عرض له من الشر الذي هو عدم نيل الغرض و ملاءمة الطبع ما عرض لأن إمكانه لا يحول بينه و بين العدم فبهذا القد ر ظهر الشر في العالم فما ظهر إلا من جهة الممكن لا من جانب الحق و لذلك قال رسول الله ص لله في دعائه ص و الخير كله في يديك و الشر ليس إليك و إنما هو إلى الخلق من حيث إمكانه

ولا مكان الورى كان الشقا فلذات الحق نحن السعدا
فأبشروا بكل خير في اللقا و لقاء الحق حق واجب
و لنا منه وجود و لقا فلنا منا فناء و بقاء
فإذا ما الخير بالخير التقى فهو خير ما له ضد يرى
مذهب الشر و أسباب التقا كان خيرا كل ما كان به

و اعلم أن الأجسام نواويس الأرواح و مذاقها و هي التي حجبتها إن تشهد و تشهد فلا ترى و لا ترى إلا بمفارقة هذه الضرائح فناء عنها لا انفصالا فإذا فنيت عن شهودها و هي ذات بصر شهدت موجدها بشهودها نفسها فمن عرف نفسهعرف ربه كذلك من شهد نفسه شهد ربه فانتقل من يقين علم إلى يقين عين فإذا رد إلى ضريحه رد إلى يقين حق من يقين عين لا إلى يقين علم و من هنا يعلم الإنسان تفرقة الحق بإخباره الصدق بحق اليقين و عين اليقين و علم اليقين فاستقر عنده كل حكم في رتبته فلم تلتبس عليه الأشياء و علم أنه لم تكذبه الأنباء فمن عرف الله بهذا الطريق فقد عرف و علم حكمة تكوين الجوهر في الصدف عن ماء فرات في ملح أجاج فصدفته جسمه و ملحه طبيعته و لهذا ظهر حكم الطبيعة على صدفته فإن الملحة البياض و هو بمنزلة النور الذي يكشف به فتحقق بهذا الدليل وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ «الوصل الرابع عشر» من خزائن الجود يقرع الأسماع و يعطي الاستمتاع و يجمع بين القاع و اليفاع لما كان المقصود من العالم الإنسان الكامل كان من العالم أيضا الإنسان الحيوان المشبه للكامل في النشأة الطبيعية و كانت الحقائق التي جمعها الإنسان متبددة في العالم فناداها الحق من جميع العالم فاجتمعت فكان من جمعيتها الإنسان فهو خزانتها فوجوه العالم مصروفة إلى هذه الخزانة الإنسانية لترى ما ظهر عن نداء الحق بجميع هذه الحقائق فرأت صورة منتصبة القامة مستقيمة الحركة معينة الجهات و ما رأى أحد من العالم مثل هذه الصورة الإنسانية و من ذلك الوقت تصورت الأرواح النارية و الملائكة في صورة الإنسان و هو قوله تعالى فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا و قول رسول الله ص و أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فإن الأرواح لا تتشكل إلا فيما تعلمه من الصور و لا تعلم شيئا منها إلا بالشهود فكانت الأرواح تتصور في كل صورة في العالم إلا في صورة الإنسان قبل خلق الإنسان فإن الأرواح و إن كان لها التصور فما لها القوة المصورة كما للإنسان فإن القوة المصورة تابعة للفكرة التي هي صفة للقوة المفكرة فالتصور للأرواح من صفات ذات الأرواح النفسية لا المعنوية لا لقوة مصورة تكون لها إلا أنها و إن كان لها التصور ذاتيا فلا تتصور إلا فيما أدركته من صور العالم الطبيعي و لهذا كان ما فوق الطبيعة من الأرواح لا يقبلون التصور لكونهم لا علم لهم بصور الأشكال الطبيعية و ليس إلا النفس و العقل و الملائكة المهيمون دنيا و آخرة فما فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم و إن كان بعضهم كالنفس الكلي يعطي الإمداد بذاته لعالم الطبيعة من غير قصد كما تعطي الشمس ضوءها لذاتها من غير قصد منها

لمنفعة أو ضرر و هذا معنى الذاتي لها و نسبة العلم و العمل نسبة ذاتية لها لعلمها بنفسها لا بما فوقها من علتها و غيرها و أما عملها فينسب إليها العمل كما ينسب إلى الشمس تبييض الشقة و سواد وجه القصار و كما ينسب إلى النار التسخين و الإحراق فيقال بيضت الشمس كذا و أظهرت الشمس كذا و أحرقت النار كذا و أنضجت كذا و سخنت كذا فهكذا هو الأمر في العالم إن كنت ذا لب و فطنة وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و لهذا يتجلى في كل صورة فجميع العالم برز من عدم إلى وجود إلا الإنسان وحده فإنه ظهر من وجود إلى وجود من وجود فرق إلى وجود جمع فتغير عليه الحال من افتراق إلى اجتماع و العالم تغير عليه الحال من عدم إلى وجود فبين الإنسان و العالم ما بين الوجود و العدم و لهذا ليس كمثل الإنسان من العالم شيء

فما أنا مخضة الوجود	إلا لكونى من الوجود
ليس لأمر على حكم	من عدم يقضي في وجودي
فليس لي في الكتاب مثل	إذاقة لذة المزيد
لذلك اختص بالسجود	كوني و كونت للسجود
اسجد لي الأمر كل كون	إلا الذي قال بالجحود

و لما تحلل الجامد تغيرت الصور فتغير الاسم فتغير الحكم و لما تجمد المائع تغيرت الصورة فتغير الاسم فتغير الحكم فنزلت الشرائع تخاطب الأعيان بما هي عليه من الصور و الأحوال و الأسماء فالعين لا خطاب عليه من ذاته و لا حكم عليه من حقيقته و لهذا كان له المباح من الأحكام المشروعة و فعل الواجب و المندوب و المحظور و المكروه من الململات الغريبة في وجوده و ذلك مما قرن به من الأرواح الطاهرة الملكية و غير الطاهرة الشيطانية فهو يتردد بين ثلاثة أحكام حكم ذاتي له منه عليه و حكمان قرنا به و له القبول و الرد بحسب ما سبق به الكتاب و قضى به الخطاب فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ كما كان من القرباء مقرب و طريد فهو لمن أجاب و على الله تبيان الخطاء من الصواب و غاية الأمر أن الله عنده حسن المآب و ما قرن الله قط بالمآب إليه سوء تصريحا و غاية ما ورد في ذلك في معرض التهديد في الفهم الأول وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ فسيعلمون من كرم الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ قبل المؤاخذة لمن غفر له و بعد المؤاخذة لانقطاعها عنهم فرحمته واسعة و نعمته سابغة جامعة و أنفس العالم فيها طامعة لأنه كريم من غير تحديد و مطلق الجود من غير تقييد و لذلك حشر العالم يوم القيامة كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ لأن الرحمة منبثة في المواطن كلها فانبث العالم في طلبها لكون العالم على أحوال مختلفة و صور متنوعة الوجوه فتطلب بذلك الانبثاث من الله الرحمة التي تذهب منه تلك الصورة التي تؤديه إلى الشقاء فهذا سبب انبثاثهم في ذلك اليوم و كذلك الجبال الصلبة تكون كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ لما خرجت عنه من القساوة إلى اللين الذي يعطي الرحمة

بالعباد و لا يدري ما قلناه إلا أهل الشهود و المتحققون بحقائق الوجود و أما من بقي مع ثقليته فإن الثقلين ما سماهما الله بهذا الاسم إلا ليميزهما به عمن سواهما دائما حيث كانا فلا تزال أرواحهما تدبر أجساما طبيعية و أجسادا دنيا و برزخا و آخرة و كذلك منازلهما التي يسكنونها من جنس نشأتهما فما لهما نعيم إلا بالمشاكل لطبعهما و أما القائلون بالتجريد فهم مصيبون فإن النفس الناطقة مجردة في الحقيقة عن هذه الأجسام و الأجساد الطبيعية و ما لها فيها إلا التدبير غير أنهم ما عرفوا إن هذا التدبير لهذه النفوس دائما أبدا فهم مصيبون من هذا الوجه إن قصدوه مخطئون إن قالوا بأنها تنفصل عن التدبير فالنفوس الناطقة عندنا متصلة بالتدبير منفصلة بالذات و الحد و الحقيقة الشخصية فلا متصلة و لا منفصلة و التدبير لها ذاتي كمثل الشمس فإن لها التدبير الذاتي فيما تنبسط عليه أنوار ذاتها غير إن الفرق بين الشمس و القمر و الكواكب و أكثر الأسباب التي جعل الله فيها مصالح لعالم لذاتها لا علم لها بذلك و النفوس الناطقة و إن كان تدبيرها ذاتيا فهي عالمة بما تدبره فالنفوس الفاضلة منها التي لها الكشف تطلع على جزئيات ما هي مدبرة لها بذاتها و غير الفاضلة لا تعلم بجزئيات ذلك و قد تعلم و لا تعلم أنها تعلم و هكذا كل روح مدبرة فمن له التدبير للعالم هو الأعلم بجزئيات العالم و هو الله تعالى العالم بالجزء المعين و الكل مع التدبير الذاتي الذي لا يمكن إلا هو فالنفوس السعيدة مراكبها النفوس الحيوانية في ألذ عيش و أرغده يوم القيامة أعطاها ذلك الموطن كما أنها في أشد ألم و أضيق حبس إذا شقيت و حبست في المكان الضيق كما قال تعالى وَإِذا أُلْقُوا مِنْها يعني من جهنم مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالِكَ ثُبُوراً هذه الأحوال للنفوس الحيوانية و النفوس الناطقة ملتذة بما تعلمه من اختلاف أحوال مراكبها لأنها في مزيد علم بذلك إلهي مناسب أ لا ترى ذوقا هنا في شخصين لكل واحد منهما نفس ناطقة و نفس حيوانية فيطرأ على كل واحد من الشخصين سبب مؤلم فيتألم به الواحد و يتنعم به الآخر لكون الواحد و إن كان ذا نفس ناطقة فحيوانيته غالبة عليه فتبقى النفس الناطقة منه معطلة الآلة الفكرية النظرية و الآخر لم تتعطل نفسه الناطقة عن نظرها و فكرها و مشاهدتها و من أين قام بنفسها الحيوانية ذلك الأمر المؤلم حتى يوصلها ذلك إلى السبب الأول فتستغرق فيه فتتبعها في ذلك النفس الحيوانية فيزول عنها الألم مع وجود السبب و كلا الشخصين كما قلنا ذو نفس ناطقة و سبب مؤلم فارتفع الألم في حق أحد الشخصين و لم يرتفع في حق الآخر فإن الحيوان بنور النفس الناطقة يستضيء فإذا صرفت النفس الناطقة نظرها إلى جانب الحق تبعها نورها كما يتبع نور الشمس الشمس بغروبها و أفولها فتلتذ النفس الحيوانية بما يحصل لها من الشهود لما لم تره قبل ذلك فلا ألم و لا لذة إلا للنفوس الحيوانية إن كان كما ذكرناه فهي لذة علمية و إن كان عن ملاءمة طبع و مزاج و نيل غرض فلذة حسية و النفس الناطقة علم مجرد لا يحتمل لذة و لا ألما و يطرأ على الإنسان الذي لا علم له بالأمر على ما هو عليه في نفسه تلبيس و غلط فيتخيل إن النفس الناطقة لها التذاذ بالعلوم حتى قالوا بذلك في الجناب الإلهي و إنه بكماله مبتهج فانظر بذلك يا أخي ما أبعد هؤلاء من العلم بحقائق الأمور و ما أحسن قول الشارع من عرف نفسه عرف ربه فلم ينسب إليه إلا ما ينسبه لنفسه فتعالى الله عز و جل عن أن يحكم عليه حال أو محل بل لِلّٰهِ

الْأَمْرُ من قَبْلُ وَمن بَعْدُ عصمنا الله و إياكم من الآفات و بلغ بنا أرفع الدرجات و أبعد النهايات «الوصل الخامس عشر» من خزائن الجود و هو ما تخزنه الأجسام الطبيعية من الأنوار التي بها يضيء كونها و إنظهرت في أعيننا مظلمة كما يخرج اللبن من بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ تخزنه ضروع مواشيهم و إبلهم لهم كما يخرج من بطون النحل شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ و الله يقول اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و لو لا النور ما ظهر للممكنات عين و قول رسول الله ص في دعائه اللهم اجعل في سمعي نورا و في بصري نورا و في شعري نورا حتى قال و اجعلني نورا و هو كذلك و إنما طلب مشاهدة ذلك حتى يظهر للابصار فإن النور المعنوي خفي لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فأراد رسول الله ص أن يدرك بالحس ما أدركه بالإيمان و العقل و ذلك لا يظهر إلا لأرباب المجاهدات

النار في أحجارها مخبوءه لا تصطلي ما لم تثرها الأزند

فنحن نعلم أن ثم نار أو لا نرى لها تسخينا في الحجر و لا إحراقا في المرخ و العفار و هكذا جميع الموجودات لمن نظر و استبصر أو من شاهد فاعتبر فالحق مخبوء في الخلق من كونه نورا فإذا قدحت زناد الخلق بالفكر ظهر نور الحق من عرف نفسه عرف ربه فمن عرف القدح و ميز الزناد فالنار عنده فهو عَلى نُورٍ من رَبِّهِ متى شاء أظهرها فهو الظاهر و متى شاء أخفاها فهو الباطن فإذا بطن ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و إذا ظهر ف هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فالقادح ما جاء بنور من عنده فالحق معنا أينما كنا في عدم أو وجود فبمعيته ظهرنا فنحن ذو نور و لا شعور لنا

و للكون ما للكون من نور ذاته فلله ما لله من عين كوننا

توحد في أسمائه و صفاته فنحن كثير و المهيمن واحد

و إنما قلنا نحن كثير و هو واحد لأن الأزند كثير و النار من كل زناد منها واحد العين فسواء كان الزناد حجرا أو شجرا و لهذا اختلفت المقالات في الله و المطلوب واحد فكل ما ظهر لكل طالب فليس إلا الله لا غيره فالكل منه بدأ و إليه يعود و إنما سمي طالب النار في الزناد قادحا لأن طلب الحق من الخلق ليعرف ذاته قدح في العلم الصحيح بذاته فإنه لا يعلم منه إلا المرتبة و هي كونه إلها واحدا خاصة فإن رام العلم بذاته و هي المشاهدة و لا تكون المشاهدة إلا عن تجليه و لا يكون ذلك إلا بالقدح فيه فإنك لا تراه إلا مقيدا قيده عقلك بنظره و تجلى لك في صورة تقييدك و هذا قدح فيما هو عليه في نفس الأمر و لولا ما أنت في نفسك ذو نور عقلي ما عرفته و ذو نور بصري ما شهدته فما شهدته إلا بالنور و ما ثم نور إلا هو فما شهدته و لا عرفته إلا به فهو نور السموات من حيث العقول و الأرض من حيث الأبصار و ما جعل الله عز و جل صفة نوره إلا بالنور الذي هو المصباح و هو نور أرضي لا سماوي فشبه نوره بالمصباح و رؤيتنا إياه كرؤيتنا الشمس و القمر أي و إن كان كالمصباح فإنه يعلو في الرؤية و الإدراك عن رؤية المصباح فهو بنفسه أرضى لأنه لو لا نزوله إلينا ما عرفناه و هو بالرؤية سماوي فانظر ما أحكم علم الشارع بالله أين هو من نظر

العقل و لهذا قال لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ لأنه نور و النور لا يدرك إلا بالنور فلا يدرك إلا به وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ لأنه نور وَ هُوَ اللَّطِيفُ لأنه يلطف و يخفى في عين ظهوره فلا يعرف و لا يشهد كما يعرف نفسه و يشهدها الْخَبِيرُ علم ذوق و ما قال لا تدركه الأنوار

فلولا النور لم تشهده عين   و لولا العقل لم يعرفه كون

فبالنور الكوني و الإلهي كان ظهور الموجودات التي لم تزل ظاهرة له في حال عدمها كما هي لنا في حال وجودها فنحن ندركها عقلا في حال عدمها و ندركها عينا في حال وجودها و الحق يدركها عينا في الحالين فلولا إن الممكن في حال عدمه على نور في نفسه ما قبل الوجود و لا تميز عن المحال فبنور إمكانه شاهده الحق و بنور وجوده شاهده الخلق فبين الحق و الخلق ما بين الشهودين فالحق نور في نور و الخلق نور في ظلمة في حال عدمه و أما في حال وجوده فهو نور على نور لأنه عين الدليل على ربه و ما يحتمل هذا الوصل أكثر من هذا فإن فيه مكرا خفيا لعدم المثل للحق و لا يتمكن أن يشهد و يعلم إلا بضرب مثل و لهذا جعل لنا مثل نوره في السموات و الأرض كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ من شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ ثم قال نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ من هذين النورين فيعلم المشبه و المشبه به من يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ فجعله ضرب مثل للتوصيل و يجوز في ضرب الأمثال المحال الذي لا يمكن وقوعه فكما لا يكون المحال الوجود وجودا بالفرض كذلك لا يكون الخلق حقا بضرب المثل فما هو موجود بالفرض قد لا يصح أن يكون موجودا بالعين و لو كان عين المشبه ضرب المثل لما كان ضرب مثل إلا بوجه فلا يصح أن يكون هنا ما وقع به التشبيه و ضرب المثل موجودا إلا بالفرض فعلمنا بضرب هذا المثل إننا على غاية البعد منه تعالى في غاية القرب أيضا و لهذا قبلنا ضرب المثل فجمعنا بين البعد و القرب و تسمى لنا بالقريب و البعيد فكما هو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ هو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ و هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فهو القريب بالمثل البعيد بالصورة لأن فرض الشيء لا يكون كهو و لا عين الشيء و في هذا الوصل إفاضة الحاج من عرفة إلى جمع و من جمع إلى مني فإن إفاضة عرفات ليلا و إفاضة جمع نهار الصائم و إن شئت قلت نهارا من غير إضافة و الحج يجمع ذلك كله فقبل تفصيل اليوم الزماني الذي هو الليل و النهار كما إن فيه ما يشوش العقول عن نفوذ نورها إلى رؤية المطلوب و هو حجاب لطيف لقربه من المطلوب فإن الشوق أبرح ما يكون إذا أبصر المحب دار محبوبه قال الشاعر

و أبرح ما يكون الشوق يوما   إذا دنت الديار من الديار

فمن أعجب الأمور أن بالإنسان استتر الحق فلم يشهد و بالإنسان ظهر حتى عرف فجمع الإنسان بين الحجاب و الظهور فهو المظهر الساتر و هو السيف الكهام الباتر يشهد الحق منه ذلك لأنه على ذلك خلقه و يشهد الإنسان من نفسه ذلك لأنه لا يغيب عن نفسه و إنه مريد للاتصال بما قد علم أنه لا يتصل به فهو كالحق في أمره من أراد منه أن يأمره بما لا يقع منه فهو مريد لا مريد فلولا ما هو الحق صدفة أعياننا ما كنا صدفة عين العلم به و في

الصدف يتكون اللؤلؤ فما تكونا إلا في الوجود و ليس الوجود إلا هو و لكنه ستر علينا ستر حفظ ثم أظهرنا ثم تعرف إلينا بنا و أحالنا في المعرفة به علينا فإذا علمنا بنا سترنا على علمنا به فلم يخرج الأمر عن صدف ساتر لؤلؤ و لكن تارة و تارة

و ما لنا كون بغير الندا فذلك التبر و نحن الصدى
و ليس ذاك الكون منه ابتدا فمن يناديه يكن كأنه
و قوله كن لا يكون سدى لأنه يحدث عن قوله
هذا الذي في عينه قد بدا فمنه كنا و به قد بدا
كما أنا منه نهارا سدى فهو الندى ليلا كما كنته
فإنه الليل و نحن الندى و إن تشأ عكس الذي قلته

وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل السادس عشر» من خزائن الجود اعلم أن الله تعالى ما خلق شيئا من الكون إلا حيا ناطقا جمادا كان أو نباتا أو حيوانا في العالم الأعلى و الأسفل مصداق ذلك قوله تعالى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً فلم يعجل عليكم بالعقوبة غَفُوراً ساترا تسبيحهم عن سمعكم فكل شيء في عالم الطبيعة جسم متغذ حساس فهو حيوان ناطق بين جلي و خفي في كل فصل فصل من فصول هذا الحد فكل ما نقص منه في حد محدود فذلك النقص هو ما خفي منه في حق بعض الناس و ما ظهر منه فهو الجلي و لذلك اختلفت الحدود في الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان و الكل عند أهل الكشف حيوان ناطق مسبح بحمد الله تعالى و لما كان الأمر هكذا جاز بل وقع و صح أن يخاطب الحق جميع الموجودات و يوحي إليها من سماء و أرض و جبال و شجر و غير ذلك من الموجودات و وصفها بالطاعة لما أمرها به و بالإباءة لقبول عرضه و أسجد له كل شيء لأنه تجلى لكل شيء و أوحى إلى كل شيء بما خاطب ذلك الشيء به فقال للسماء و الأرض ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فـ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا و الأرض كذلك أوحى لها وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يعني محمدا بالخطاب ص رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا فعم وحيه الجميع و لكن بقي من يطيع و من لا يطيع و كيف فضل السميع للسميع فمن أعجب الأشياء وصف السامع بالصمم و البصير بالعمى و المتكلم بالبكم فما عقل و لا رجع و إن فهم

كالنار تحرق بالقبول و إن خبت فالجحد من صفة النفوس إذا أبت
فيه لما أبت النفوس إذا أبت لو لا وجود الاختبار و جبرها

قال الله تعالى يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و لذلك يقولون لجلودهم إذا شهدت عليهم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا فتقول الجلود أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ فعمت فكانت الجلود أعلم بالأمر ممن جعل النطق فصلا مقوما للإنسان خاصة و عرى غير الإنسان عن مجموع حده في الحيوانية و النطق فمن فاته الشهود فقد فاته العلم الكثير فلا تحكم على ما لم تر و قل الله أعلم بما خلق و أرض الإنسان جسده و قد شهد عليه بما عمل أ تراه شهد عليه بما لم يعلم أ تراه علم من غير وحي إلهي جاءه من عند الله عز و جل كما نشهد نحن على الأمم بما أوحى الله تعالى به إلينا من قصص أنبيائه مع أممهم

إذا أتاه الخبر الصادق فيشهد الشخص بما لم يرا
أوحى به فكله ناطق فالكل قد أوحى إليه الذي
فهو وجود الخلق و الخالق فانظر فما في كونه غيره

فإذا انحصر الأمر بين خبر صادق و شهود علمنا إن العالم كله مكشوف له

بل كله ظاهر مبين ما ثم ستر و لا حجاب
و سره في الحشا دفين فيعلم الحق دون شك

فيوحي بالتكوين فيكون و يشهده ما شاء فيرى فشهادته بالخبر الصادق كشهادته بالعيان الذي لا ريب فيه مثل شهادة خزيمة فأقامه رسول الله ص في شهادته مقام رجلين فحكم بشهادته وحده فكان الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالعين لأن خزيمة لو شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين و به حفظ الله علينا لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إلى آخر السورة إذ لم يقبل الجامع للقرآن آية منه إلا بشهادة رجلين فصاعدا إلا هذه الآية لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فإنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده رضي الله عنه «وصل و تنبيه» و أما التحدث بالأمور الذوقية فيصح لكن لا على جهة الأفهام و لكن كل مذوق له مثال مضروب فتفهم منه ما يناسب ذلك المثال خاصة فاذن ما ينبئ عن حقيقة إلا في الذوق المشترك الذي يمكن الاصطلاح عليه كالتحدث بالأمور المحسوسة مع كل ذي حس أدرك ذلك المخبر عنه بحسه و عرف اللفظ الذي يدل عليه بالتواطؤ بين المخاطبين فنحن لا نشك إذا تلي علينا القرآن إنا قد سمعنا كلام الله و موسى ع لما كلمه الله قد سمع كلام الله و أين موسى منا في هذا السماع فعلى مثل هذا تقع الأخبار الذوقية فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله في نفسه من الله برفع الوسائط ما يمكن أن يساوي في الإدراك من يسمعه بالترجمة عنه فإن الواحد صاحب الواسطة هو مخير في الإخبار بذلك عن الواسطة إن شاء و عن صاحب الكلام إن شاء و هكذا جاء في القرآن قال تعالى في إضافة الكلام إليه فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فأضاف الكلام إلى الله و قال في إضافة ذلك الكلام إلى الواسطة و المترجم فقال مقسما إِنَّهُ يعني

القرآن لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ و قال إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ فإن فهمت عن الإله ما ضمنه هذا الخطاب وقفت على علم جليل و كذلك ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فأضاف الحدوث إلى كلامه فمن فرق بين الكلام و المتكلم به اسم مفعول فقد عرف بعض معرفة و ما أسمع الرحمن كلامه بارتفاع الوسائط إلا ليتمكن الاشتياق في السامع إلى رؤية المتكلم لما سمعه من حسن الكلام فتكون رؤية المتكلم أشد و لا سيما و رسول الله ص يقول إن الله جميل يحب الجمال و الجمال محبوب لذاته و قد وصف الحق نفسه به فشوق النفوس إلى رؤيته و أما العقول فبين واقف في ذلك موقف حيرة فلم يحكم أو قاطع بأن الرؤية محال لما في الإبصار من التقييد العادي فتخيلوا إن ذلك التقييد في رؤية الأبصار أمر طبيعي ذاتي لها و ذلك لعدم الذوق و ربما يتقوى عند المؤمنين منهم إحالة ذلك بقوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ و للابصار إدراك و للبصائر إدراك و كلاهما محدث فإن صح أن يدرك بالعقل و هو محدث صح أو جاز أن يدرك بالبصر لأنه لا فضل لمحدث على محدث في الحدوث و إن اختلفت الاستعدادات فجائز على كل قابل للاستعدادات أن يقبل استعداد الذي قبل فيها أنه أدرك الحق بنظره الفكري فأما إن ينفوا ذلك نفيا جملة واحدة و إما أن يجوزوه جملة واحدة و إما أن يقفوا في الحكم فلا يحكمون فيه بإحالة و لا جواز حتى يأتيهم تعريف الحق نصا لا يشكون فيه أو يشهدونه من نفوسهم و أما الذي يزعم أنه يدركه عقلا و لا يدركه بصرا فمتلاعب لا علم له بالعقل و لا بالبصر و لا بالحقائق على ما هي عليه في أنفسها كالمعتزلي فإن هذه رتبته و من لا يفرق بين الأمور العادية و الطبيعية فلا ينبغي أن يتكلم معه في شيء من العلوم و لا سيما علوم الأذواق و ما شوق الله عباده إلى رؤيته بكلامه سدى و لولا إن موسى ع فهم من الأمر إذ كلمه الله بارتفاع الوسائط ما جرأه على طلب الرؤية ما فعل فإن سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم عنه فلا يفتقر إلى تأويل و فكر في ذلك و إنما يفتقر من كلمه الله بالوسائط من رسول أو كتاب فلما كان عين السمع في هذا المقام عين الفهم سأل الرؤية ليعلم التابع و من ليست له هذه المنزلة عند الله أن رؤية الله ليست بمحال و قد شهد الله لموسى إنه اصطفاه على الناس برسالاته و بكلامه ثم قال له فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَكُنْ من الشَّاكِرِينَ و هو تعالى يقول لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و لا شك أن موسى قد شكر الله على نعمة الاصطفاء و نعمة الكلام شكرا واجبا مأمورا به فيزيده الله لشكره نعمة رؤيته إياه فهل رآه في وقت سؤاله بالشرط الذي أقامه له كما ورد في نص القرآن أو لم يره و الآية محتملة المأخذ فإنه ما نفى زمان الحال عن تعلق الرؤية و إنما نفى الاستقبال بأداة سوف و لا شك أن الله تجلى للجبل و هو محدث و تدكدك الجبل لتجليه فحصل لنا من هذا رؤية الجبل ربه التي أوجبت له التدكدك فقد رآه محدث فما المانع أن رآه موسى ع في حال التدكدك و وقع النفي على الاستقبال ما لذلك مانع لمن عقل و لا سيما و قد قام الصعق لموسى ع مقام التدكدك للجبل ثم لتعلم أنه من أدرك الحق علما لم يفته من العلم الإلهي مسألة و من رأى الحق ببصره رأى كل نوع من العالم لا يفوته من أنواعه شيء إذا رآه في غير مادة و إذا علمه بصفة إثبات نفسية فإن علمه بصفة تنزيه لم يكن له هذا المقام و إن رآه في مادة لم يكن له هذا المقام و أما من ذهب إلى أن رؤية الحق إنما هي

عبارة عن مزيد وضوح في العلم النظري بالله لا غير فهذه قولة من لا علم له بالله من طريق الكشف و التجلي إلا أن يكون قال ذلك لمعنى كان حاضرا من لا ينبغي أن يسمع مثل هذا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل السابع عشر» من خزائن الجود قال بعض السادة في هذه الخزانة إنها تتضمن فناء من لم يكن و بقاء من لم يزل و هذه المسألة تخبط فيها من لم يستحكم كشفه و لا تحقق شهوده فإن من الناس من تلوح له بارقة من مطلوبه فيكتفي بها عن استيفاء الحال و استقصائه فيحكم على هذا المقام بما شاهد منه ظنا منه أو قطعا أنه قد استوفاه و قد رأيت ممن هذه صفته رجالا و قد طرأ مثل هذا السهل بن عبد الله التستري المبرز في هذا الشأن في علم البرزخ فمر عليه لمحة فأحاط علما بما هو الناس عليه في البرزخ و لم يتوقف حتى يرى هل يقع فيما رآه تبديل في أحوال مختلفة على أهله أو يستمرون على حالة واحدة فحكم ببقائهم على حالة واحدة كما رآهم فرؤيته صحيحة صادقة و حكمه بالدوام فيما رآهم عليه إلى يوم البعث ليس بصحيح و أما الذين رأيت أنا من أهل هذه الصفة لما رأيتهم سريعين الرجعة غير ثابتين عند ما يؤخذ عن نفسه سألت واحدا منهم ما الذي يردك بهذه السرعة فقال لي أخاف أن تنعدم عيني لما نراه فيخاف على نفسه و من تكون هذه حالته فلا تثبت له قدم في تحقيق أمر و لا يكون من الراسخين فيه فلو اقتصروا على ما عاينوه و لم يحكموا لكان أولى بهم فيتخيل الأجنبي إذا سمع مثل هذا من صادق و سمع عدم الثبوت في البرزخ على حالة واحدة إن بين القوم خلافا في مثل هذا و ليس بخلاف فإن الراسخ يقول بما شاهده و هو مبلغه من العلم و غير الراسخ يقول أيضا بما شاهده و يزيد في الحكم بالثبوت الذي ذهب إليه و لو أقام قليلا لرأى التغيير و التبديل في البرزخ كما هو في الدنيا فإن الله في كل يوم و هو الزمن الفرد في شأن يقول تعالى يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و الخلق جديد حيث كان دنيا و آخرة و برزخا فمن المحال بقاء حال على عين نفسين أو زمانين للاتساع الإلهي لبقاء الافتقار على العالم إلى الله فالتغيير له واجب في كل نفس و الله خالق فيه في كل نفس فالأحوال متجددة مع الأنفاس على الأعيان و حكم الأعيان يعطي في العين الواحدة بحسب حقائقها أن لو صح وجودها لكانت بهذه الأحوال فمن أصحابنا من يرى أن عين الوجود هو الذي يحفظ عليه أحوال أعيان الممكنات الثابتة و إنها لا وجود لها البتة بل لها الثبوت و الحكم في العين الظاهرة التي هي الوجود الحقيقي و من أصحابنا من يرى أن الأعيان اتصفت بالوجود و استفادته من الحق تعالى و إنها واحدة بالجوهر و إن تكثرت و أن الأحوال يكسوها الحق بها مع الأنفاس إذ لا بقاء لها إلا بها فالحق يجددها على الأعيان في كل زمان فعلى الأول يكون قوله حتى يفنى من لم يكن فلا يبقى له أثر في عين الوجود فيكون مسلوب النعوت و ذلك حال التنزيه و يبقى من لم يزل على ما هي عليه عينه و هو الغني عن العالمين فإن العالم ليس سوى الممكنات و هو تعالى غني عنها إن تدل عليه فإنه ما ثم من يطلب على ما قلناه الدلالة عليه فإن الممكنات في أعيانها الثابتة مشهودة للحق و الحق مشهود للاعيان الممكنات بعينها و بصرها الثابت لا الموجود فهو يشهدها ثبوتا و هي تشهده وجودا و على القول الآخر الذي يرى وجود أعيان الممكنات و آثار الأسماء الإلهية فيها و إمداد الحق لها بتلك الآثار لبقائها

فتفني تلك الآثار و الأعيان القابلة لها عن صاحب هذا الشهود حالا و الأمر في نفسه موجود على ما هو عليه لم يفن في نفسه كما فنى في حق هذا القائل به فلا يبقى له مشهود إلا الله تعالى و تندرج الموجودات في وجود الحق و تغيب عن نظر صاحب هذا المقام كما غابت أعيان الكواكب عن هذا الناظر بطلوع النير الأعظم الذي هو الشمس فيقول بفناء أعيانها من الوجود و ما فنيت في نفس الأمر بل هي على حالها في إمكانها من فلكها على حكمها و سيرها و كلا القولين قد علم من الطائفة و من أصحاب هذا المقام من يجعل أمر الخلق مع الحق كالقمر مع الشمس في النور الذي يظهر في القمر و ليس في القمر نور من حيث ذاته و لا الشمس فيه و لا نورها و لكن البصر كذلك يدركه فالنور الذي في القمر ليس غير الشمس كذلك الوجود الذي للممكنات ليس غير وجود الحق كالصورة في المرآة فما هو الشمس في القمر و ما ذلك النور المنبسط ليلا من القمر على الأرض بمغيب نور الشمس غير نور الشمس و هو يضاف إلى القمر كما قيل في كلام الله إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ و قيل في قول الرسول ص إنه كلام الله تعالى إذا تلاه و قول كل تال للقرآن و لكل مقالة وجه من الصحة و الكشف يكون في كل ما ذكرناه فأهل الله اختلافهم اتفاق لأنهم يرمون عن قوس واحد فالأمر متردد بين فناء عين و فناء حال و لا جامع في العالم بين الضدين إلا أهل الله خاصة لأن الذي تحققوا به هو الجامع بين الضدين و به عرف العارفون فهو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن من عين واحدة و نسبة واحدة لا من نسبتين مختلفتين ففارقوا المعقول و لم تقيدهم العقول بل هم الإلهيون المحققون حققهم الحق بما أشهدهم فهم و ما هم وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فأثبت و نفى و حسبنا الله و كفى فكان الشيخ أبو العباس بن العريف الصنهاجي الإمام في هذا الشأن يقول و إنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم و كان الشيخ أبو مدين يقول لا بد من بقاء رسم العبودية ليقع التلذذ بمشاهدة الربوبية و كان القاسم بن القاسم من شيوخ رسالة القشيري يقول مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة و كل قائل صادق فإنه قد قدمنا قبل هذا في هذا الكتاب إن شخصين لا يجتمعان أبدا في تجل واحد و أن الحق لا يكرر على شخص التجلي في صورة واحدة و قد قدمنا إن تجلياته تختلف لأنها تعم الصور المعنوية و الروحانية و الملكية و الطبيعية و العنصرية ففي أي صورة شاء ظهر كما أنه في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ و في الطريق في أي صورة ما شاء أقامك فالمراكب مختلفة و الراكب واحد فمن تجلى له في الصور المعنوية قال بفناء الرسم و من تجلى له في الصور الطبيعية و العنصرية قال باللذة في المشاهدة و من قال بعدم اللذة في المشاهدة كان التجلي له في الصور الروحانية فكل صدق و بما شاهد نطق و أي الشهود أعلى وكلناك في ذلك لذوقك حتى تعلم من ذلك ما علمناه و من هذا الوصل تعلم المفارق و غير المفارق و من يفرق و من لا يفرق و تعلم منه من هو عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ و ما هي البينة و تعلم أنواع الطهارات لكل موصوف بالطهارة و تعلم الميل المحمود و الميل المذموم و تعلم ما يقع به الاشتراك في الدين و ما نسخ منه فلم يجتمع فيه رسولان و تعلم من خلق من المخلوقات من شيء موجود و من خلق لا من شيء موجود و مراتب العالم في ذلك و تعلم أن كل ما طلب الحق منعباده أن يعاملوه به عاملهم به فعم أحكام الشرائع كلها و حكم بذلك على نفسه كما حكم على خلقه و

أن مكا رم الأخلاق في الأكوان هي الأخلاق الإلهية «الوصل الثامن عشر» من خزائن الجود يتضمن فضل الطبيعة على غيرها و ذلك لشبهها بالأسماء الإلهية فإن العجب ليس من موجود يؤثر و إنما العجب من معدوم يؤثر و النسب كلها أمور عدمية و لها الأثر و الحكم فكل معدوم العين ظاهر الحكم و الأثر فهو على الحقيقة المعبر عنه بالغيب فإنه من غاب في عينه فهو الغيب و الطبيعة غائبة العين عن الوجود فليس لها عين فيه و عن الثبوت و ليس لها عين فيه فهي عالم الغيب المحقق و هي معلومة كما إن المحال معلوم غير إن الطبيعة و إن كانت مثل المحال في رفع الثبوت عنها و الوجود فلها أثر و يظهر عنها صور و المحال ليس كذلك و مفاتيح هذا الغيب هي الأسماء الإلهية التي لا يعلمها إلا الله العالم بكل شيء و الأسماء الإلهية نسب غيبية إذ الغيب لا يكون مفتاحه إلا غيبا و هذه الأسماء تعقل منها حقائق مختلفة معلومة الاختلاف كثيرة و لا تضاف إلا إلى الحق فإنه مسماها و لا يتكثر بها فلو كانت أمورا وجودية قائمة به لتكثر بها فعلمها سبحانه من حيث كونه عالما بكل معلوم و علمناها نحن باختلاف الآثا ر منها فينا فسميناه كذا من أثر ما وجد فينا فتكثرت الآثا ر فينا فكثرت الأسماء و الحق مسماها فنسبت إليه و لم يتكثر في نفسه بها فعلمنا أنها غائبة العين و لما فتح الله بها عالم الأجسام الطبيعية باجتماعها بعد ما كانت مفترقة في الغيب معلومة الافتراق في العلم إذ لو كانت مجتمعة لذاتها لكان وجود عالم الأجسام أزلا لنفسه لا لله و ما ثم موجود ليس هو الله إلا عن الله و ما ثم واجب الوجود لذاته إلا الله و ما سواه فموجود به لا لذاته فالسر معقول النسب و إلا خفي منها أعيانها فبالمشيئة ظهر أثر الطبيعة و هي غيب فالمشيئة مفتاح ذلك الغيب و المشيئة نسبة إلهية لا عين لها فالمفتاح غيب و إن لم تثبت هذه النسب في العلم و إن كانت غيبا و عدما فلم يكن يصح الوجود لموجود أصلا و لا كان خلق و لا حق فلا بد منها فالغيب هو النور الساطع العام الذي به ظهر الوجود كله و ما له في عينه ظهور فهو الخزانة العامة التي خا زنها منها و إن أ ردت أن يقرب عليك تصور ما قلت فانظر في الحدود الذاتية للمحدود التي لا يعقل المحدود إلا بها و ينعدم المعلوم بعدمها و يكون معلوما بوجودها اتساعا و إن لم توصف بالوجود و ذلك إذا أخذت في حد الجوهر مثلا أعني الجوهر الفرد فتقول فيه هو الشيء فجئت بالجنس الأعم و الشيئية للأشياء ليست وجودية و لا بد فيدخل فيها كل ما هو محدود بشيء مما يقوم بنفسه و مما لا يقوم بنفسه فإذا أ ردت أن تبينه و لا تتبين المعلومات إلا بذاتها و هو الحد الذاتي لها فتقول الموجود فجئت بما هو أخص منه فدخل فيه كل موجود و انفصل عنه كل من له شيئية و لا وجود له ثم قلت القائم بنفسه و هذه كلها معان معلومة هي للمحدود المعلوم بها صفات و الصفة لا تقوم بنفسها و باجتماع هذه المعاني جاء منها أعيان وجودية تد رك حسا و عقلا فخرج منه كل موجود لا يقوم بنفسه ثم تقول المتحيز فيشركه غيره و يتميز عنه بهذا غير آخر و التحيز حكم و هو ما له قد ر في المساحة أو القابل للمكان ثم تقول الفرد الذي لا ينقسم ذاته فخرج عنه الجسم و كل ما ينقسم ثم تقول القابل للاعراض فخرج منه من لا يقبل الأعراض و دخل معه في الحد من يقبل الأعراض و بمجموع هذه المعاني كان المسمى جوهرا فردا كما بالتأليف مع بقية الحدود ظهر الجسم فلما ظهر من ائتلاف المعاني صور قائمة

بنفسها و طالبة محال تقوم بها كالأعراض و الصفات علمنا قطعا إن كل ما سوى الحق عرض زائل و غرض ماثل و إنه و إن اتصف بالوجود و هو بهذه المثابة في نفسه في حكم المعدوم فلا بد من حافظ يحفظ عليه الوجود و ليس إلا الله تعالى و لو كان العالم أعني وجوده لذات الحق لا للنسب لكان العالم مساوقا للحق في الوجود و ليس كذلك فالنسب حكم لله أزلا و هي تطلب تأخر وجود العالم عن وجود الحق فيصح حدوث العالم و ليس ذلك إلا لنسبة المشيئة و سبق العلم بوجوده فكان وجود العالم مرجحا على عدمه و الوجود المرجح لا يساوق الوجود الذاتي الذي لا يتصف بالترجيح و لما كان ظهور العالم في عينه مجموع هذه المعاني فكان هذا المعقول المحدود عرض له جميع هذه المعاني فظهر فما هو في نفسه غير مجموع هذه المعاني و المعاني تتجدد عليه و الله هو الحافظ وجوده بتجديدها عليه و هي نفس المحدود فالمحدودات كلها في خلقجديد الناس منه في لبس فالله خالق دائما و العالم في افتقار دائم له في حفظ وجوده بتجديده فالعالم معقول لذاته موجود بالله تعالى فحدوده النفسية عينه و هذا هو الذي دعا الحسبانية إلى القول بتجديد أعيان العالم في كل زمان فرد دائما و ذهلت عن معقولية العالم من حيث ما هو محدود و هو أمر وهمي لا وجود له إلا بالوهم و هو القابل لهذه المعاني و في العلم ما هو غير جميع هذه المعاني فصار محسوسا أمر هو في نفسه مجموع معقولات فأشكل تصوره و صعب على من غلب عليه وهمه فحار بين علمه و وهمه و هو موضع حيرة و قالت طائفة بتجدد الأعراض على الجوهر و الجوهر ثابت الوجود و إن كان لا بقاء له إلا بالعرض و ما تفطن صاحب هذا القول لما هو منكر له فغاب عنه شيء فجهله و ظهر له شيء فعلمه و قالت طائفة أخرى بتجدد بعض الأعراض و هي المسماة عندهم أعراضا و ما عداها و إن كانت في الحقيقة على ما يعطيه العلم أعراضا فيسمونها صفات لازمة كصفرة الذهب و سواد الزنجي و هذا كله في حق من يثبتها أعيانا وجودية و ثم من يقول إن ذلك كله نسب لا وجود لها إلا في عين المدرك لها لا وجود لها في عينها و إلى هذا ذهب القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني على ما وصل إلينا و العهدة على الناقل و أهل الكشف لهم الاطلاع على جميع المذاهب كلها و النحل و الملل و المقالات في الله اطلاعا عاما لا يجهلون منه شيئا فما تظهر نحلة من منتحل و لا ملة بناموس خاص تكون عليه و لا مقالة في الله أو في كون من الأكوان ما تناقض منها و ما اختلف و ما تماثل إلا و يعلم صاحب الكشف من أين أخذت هذه المقالة أو الملة أو النحلة فينسبها إلى موضعها و يقيم عذر القائل بها و لا يخطئه و لا يجعل قوله عبثا فإن الله ما خلق سماء و لا أرضا و ما بينهما باطلا و لا خلق الإنسان عبثا بل خلقه ليكون وحده على صورته فكل من في العالم جاهل بالكل عالم بالبعض إلا الإنسان الكامل وحده فإن الله علمه الأسماء كلها و آتاه جوامع الكلم فكملت صورته فجمع بين صورة الحق و صورة العالم فكان برزخا بين الحق و العالم مرآة منصوبة يرى الحق صورته في مرآة الإنسان و يرى الخلق أيضا صورته فيه فمن حصل في هذه المرتبة حصل رتبة الكمال الذي لا أكمل منه في الإمكان و معنى رؤية صورة الحق فيه إطلاق جميع الأسماء الإلهية عليه كما جاء في الخبر فبهم تنصرون و الله الناصر و بهم ترزقون و الله الرازق و بهم ترحمون و الله الراحم و قد ورد في

القرآن فيمن علمنا كماله و اعتقدنا ذلك فيه أنه بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ و ما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أي لترحمهم لما دعا على رعل و ذكوان و عصية و التخلق بالأسماء يقول به جميع العلماء فالإنسان متصف يسمى بالحي العالم المريد السميع البصير المتكلم القادر و جميع الأسماء الإلهية من أسماء تنزيه و أفعال تحت إحاطة هذه الأسماء السبعة التي ذكرناها لا يخرج عنها جملة واحدة فلهذا لم نأت بها على التفصيل و قد ذكرنا منها طرفا شافيا في كتابنا المسمى إنشاء الجداول و الدوائر صورنا فيه العالم و الحضرتين ممثلتين في أشكال ليقرب العلم بها على صاحب الخيال إذ لا يخلو الإنسان مع عقله عن حكم الوهم فيما يعلم أنه محال و مع هذا تصوره و تغلب عليه حكم الوهم إذ كان لا ينضبط لها العلم بذلك إلا بعد تصوره و حينئذ تضبطه القوة الحافظة و تحكم عليه القوة المذكرة إذا غلب على القوة الحافظة فخرج من تحت حكمها فإن المذكرة لا تفرط فيه فلا يزال المعلوم محصورا في العلم و لهذا كان المعلوم محاطا به قال تعالى أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً فمن علم ما ذكرناه في هذا الوصل و ما حوت عليه هذه الخزانة علم نفسه و علم ربه و علم العالم و ما أصله و إذا بدا له منه ما بدا علم من أين جاء و إلى أين يعود و علم ما يستحقه منه فوفاه حقه فأعطى كل ذي حق حقه كما إن الله أعطى كل شيء خلقه فالذي انفرد به الحق إنما هو الخلق و الذي انفرد به من العالم الكامل إنما هو الحق فيعلم ما يستحقه كل موجود فيعطيه حقه و هو المسمى بالإنصاف فمن أعطيته حقه فقد أنصفته فإن تغاليت فما كملت و أنت ناقص فإن الزيادة في الحد نقص في المحدود فلا يتعدى الكامل بالشيء رتبته و قد ذم الله تعالى تعليما لنا في إقامة العدل في الأشياء من تغالى في دينه و نزه الحق تعالى عما يستحقه فهو و إن قصد تعظيما بذلك الفعل في التغالي فقد وقع في الجهل و جاء بالنقص في موضع الكمال فقال لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ فالغلو مثل أن ينسب إلى الله الأحوال و هي ليست إلا أحكام المعاني فالمعاني لله وجودها و إذا وجدت فيمن وجدت فيه أعطت بذاتها الحال المنعوت به ذلك المحل الذي قام به هذا المعنى فهذا من التغالي و هذا مثل العالم و القادر و الأبيض و الأسود و الشجاع و الجبان و المتحرك و الساكن فهذه هي الأحوال و هي أحكام المعاني المعقولة أو النسب كيف شئت فقل و هي العلم و القدرة و البياض و السواد و الحماسة و الجبن و الحركة و السكون فقال لنا لا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ كان ما كان كما نسبوا إليه تعالى الصاحبة و الولد و ضربوا له الأمثال و جعلوا له أندادا غلوا في دينهم و تعظيما لرسلهم فقالوا عيسى هو الله و قالت طائفة هو ابن الله و قال من لم يغل في دينه هو عبد الله وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فلم يتعد به ما هو الأمر عليه فمن سلك مسلكنا فقد سلك طريق النجاة و الايمان و أعطى الايمان حقه و لم يجر على العقل و الفكر في حقه و لا فيما له وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذه الخزانة من العلوم علم مقام الملائكة كلها و علم الأنوار و الأسرار و الفضل الزماني لا الفضل بالزمان و من هنا تنزل الملائكة على قلوب الإرسال من البشر بالوحي المشروع و على قلوب الأولياء بالحديث و الإلهام و كل من أدرك هذا سرا أو غيبا فكان له جهرا و شهادة فمن هذه الخزانة فسبحان مرتب الأمور و شارح الصدور و باعث من في القبور بالنشور لا إله إلا هو العليم القدير

«الوصل التاسع عشر» من خزائن الجود هذه خزانة التعليم و رفعة المعلم على المتعلم و ما يلزم المتعلم من الأدب مع أستاذه اعلم أن المعلم على الحقيقة هو الله تعالى و العالم كله مستفيد طالب مفتقر ذو حاجة و هو كماله فمن لم تكن هذه أوصافه فقد جهل نفسه و من جهل نفسه فقد جهل ربه و من جهل أمرا فما أعطاه حقه و من لم يعط أمرا حقه فقد جار عليه في الحكم وعرا عن ملابسة العلم فقد تبين لك أن الشرف كله إنما هو في العلم و العالم به بحسب ذلك العلم فإن أعطى عملا في جانب الحق عمل به و إن أعطاه عملا في جانب الخلق عمل به فهو يمشي في بيضاء نقية سمحاء لا يرى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً و أول متعلم قبل العلم بالتعلم لا بالذات العقل الأول فعقل عن الله ما علمه و أمره أن يكتب ما علمه في اللوح المحفوظ الذي خلقه منه فسماه قلما فمن علمه الذي علمه أن قال له أدبا مع المعلم ما أكتب هل ما علمتني أو ما تمليه علي فهذا من أدب المتعلم إذا قال له المعلم قولا مجملا يطلب التفصيل فقال له اكتب ما كان و ما قد علمته و ما يكون مما أمليه عليك و هو علمي في خلقي إلى يوم القيامة لا غير فكتب ما في علمه مما كان فكتب العماء الذي كان فيه الحق قبل أن يخلق خلقه و ما يحوي عليه ذلك العماء من الحقائق و قد ذكرناه في هذا الكتاب في باب النفس بفتح الفاء و كتب وجود الأرواح المهيمة و ما هيمهم و أحوالهم و ما هم عليه و ذلك كله ليعلمه و كتب تأثير أسمائه فيهم و كتب نفسه و وجوده و صورة وجوده و ما يحوي عليه من العلوم و كتب اللوح فلما فرغ من هذا كله أملى عليه الحق ما يكون منه إلى يوم القيامة لأن دخول ما لا يتناهى في الوجود محال فلا يكتب فإن الكتابة أمر وجودي فلا بد أن يكون متناهيا فأملى عليه الحق تعالى و كتب القلم منكوس الرأس أدبا مع المعلم لأن الإملاء لا تعلق للبصر به بل متعلق البصر الشيء الذي يكتب فيه و السمع من القلم هو المتعلق بما يمليه الحق عليه و حقيقة السمع أن لا يتقيد المسموع بجهة معينة بخلاف البصر الحسي فإنه يتقيد إما بجهة خاصة معينة و إما بالجهات كلها و السمع ليس كذلك فإن متعلقة الكلام فإن كان المتكلم ذا جهة أو في جهة فذلك راجع إليه و إن كان لا في جهة و لا ذا جهة فذلك راجع إليه لا للسامع فالسمع أدل في التنزيه من البصر و أخرج عن التقييد و أوسع و أوضح في الإطلاق فأول أستاذ من العالم هو العقل الأول و أول متعلم أخذ عن أستاذ مخلوق هو اللوح المحفوظ و هذه الاسمية شرعية و اسم اللوح المحفوظ عند العقلاء النفس الكلية و هي أول موجود انبعاثي منفعل عن العقل و هي للعقل بمنزلة حواء لآدم منه خلق و به زوج فثنى كما ثنى الوجود بالحادث و ثنى العلم بالقلم الحادث ثم رتب الله الخلق بالإيجاد إلى أن انتهت النوبة و الترتيب الإلهي إلى ظهور هذه النشأة الإنسانية الآدمية فأنشأها في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثم نفخ في آدم من روحه و أمر الملائكة بالسجود له فوقعت له ساجدة عن الأمر الإلهي بذلك فجعله للملائكة قبلة ثم عرفهم بخلافته في الأرض فلم يعرفوا عمن هو خليفة فربما ظنوا أنه خليفة في عمارتها عمن سلف فاعترضوا لما رأوا من تقابل طبائعه في نشأته فعلموا إن العجلة تسرع إليه و أن تقابل ما تركب منه جسده ينتج منه نزاعا فيؤثر فسادا في الأرض و سفك دماء فلما أعلمهم أنه خلقه سبحانه على صورته و علمه الأسماء كلها المتوجهة على إيجاد العالم العنصري و غيره فمافوقه ثم عرض المسميات على الملائكة فقال

أَنبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ الذين توجهتم على إيجادهم أي توجهت الأسماء هل سبحتموني بها و قدستموا لي فإنكم زعمتم أنكم تسبحوني بحمدي و تقدسون إلي فقالت الملائكة لا عِلْمَ لَنا فقال لآدم أَنبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فجعله أستاذا لهم فعلمهم الأسماء كلها فعلموا عند ذلك أنه خليفة عن الله في أرضه لا خليفة عن سلف ثم ما زال يتلقاها كامل عن كامل حتى انتهت إلى السيد الأكبر المشهود له بالكمال محمد ص الذي عرف بنبوته و آدم بين الماء و الطين فالماء لوجود البنين و الطين وجود آدم و أوتي ص جوامع الكلم كما أوتي آدم جميع الأسماء ثم علمه الله الأسماء التي علمها آدم فعلم علم الأولين و الآخرين فكان محمد ص أعظم خليفة و أكبر إمام و كانت أمته خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ و جعل الله ورثته في منازل الأنبياء و الرسل فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام فهو تشريع عن خبر الشارع فكل مجتهد مصيب كما أنه كل نبي معصوم و تعبدهم الله بذلك ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع و تثبت لهم فيه قدم فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ص فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الأنبياء لا في صفوف الأمم فهم شهداء على الناس و هذا نص في عدالتهم فما من رسول إلا و لجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة أو ما كان و كل عالم منهم فله درجة الأستاذية في علم الرسوم و الأحوال و المقامات و المنازل و المنازلات إلى أن ينتهي الأمر في ذلك إلى خاتم الأولياء خاتم المجتهدين المحمديين إلى أن ينتهي إلى الختم العام الذي هو روح الله و كلمته فهو آخر متعلم و آخر أستاذ لمن أخذ عنه و يموت هو و أصحابه من أمة محمد ص في نفس واحد بريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذي قد جهده السهر و أتاه النوم في السحر الذي سماه الشارع العسيلة لحلاوته فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة و كان الروح الأمين جبريل عليه السلام معلم الرسل و أستاذهم فلما أوحى إلى محمد ص كان يعجل بالقرآن قبل أن يقضي إليه وحيه ليعلم الله بالحال أن الله تولى تعليمه من الوجه الخاص الذي لا يشعر به الملك و جعل الله الملك النازل بالوحي صورة حجابية ثم أمره تعالى فيما أوحى إليه لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ أدبا مع أستاذه فإنه ص يقول إن الله أدبني فأحسن أدبي و هذا مما يؤيد أن الله تولى تعليمه بنفسه ثم قال مؤيدا أيضا لذلك إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ فما ذكر سوى نفسه و ما أضافه إلا إليه و لم يجز لغير الله في هذا التعريف ذكر و بهذا جاء لفظ النبي ص في قوله إن الله أدبني فأحسن أدبي و لم يذكر إلا الله ما تعرض لواسطة و لا لملك فإن الله هكذا عرفنا ثم وجدنا ذلك ساريا في ورثته من العلماء في كل طائفة أعني من علماء الرسوم و علماء القلوب فرجوع التعليم بالواسطة و غير الواسطة إلى الرب و لذلك قال الملك وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلّا بِأَمْرِ رَبِّكَ فتبين لك من هذا الوصل صورة التعليم ثم إنه شرع تعالى لكل أستاذ أن لا يرى له مزية على تلميذه و أن لا تغيبه مرتبة الأستاذية عن علمه بنفسه و عبوديته هذا هو الأصل المرجوع إليه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل العشرون» من خزائن الجود و هذه خزانة الأحكام الإلهية و النواميس الوضعية و الشرعية و أن لله تعالى في وحيه إلى قلوب عباده بما يشرع في كل أمة طريقين طريقا بإرسال الروح الأمين المسمى جبريل أو من كان من الملائكة إلى

عبد من عباد الله فيسمى ذلك العبد لهذا النزول عليه رسولا و نبيا يجب على من بعث إليهم الايمان به و بما جاء به من عند ربه و طريقا آخر على يدي عاقل زمانه يلهمه الله في نفسه و ينفث الروح الإلهي القدسي في روعة في حال فترة من الرسل و درس من السبل فيلهمه الله في ذلك لما ينبغي من المصالح في حقن الدماء و حفظ الأموال و الفروج لما ركب الله في النفوس الحيوانية من الغيرة فيمهد لهم طريقة يرجعون بها إذا سلكوا عليها إلى مصالحهم فيأمنون على أهليهم و دمائهم و أموالهم و يحد لهم حدودا في ذلك و يخوفهم و يحذرهم و يرجيهم و يأمرهم بالطاعة لما أمرهم به و نهاهم عنه و أن لا يخالفوه و يعين لهم زواجر من قتل و ضرب و غرم ليردع بذلك ما تقع به المفسدة و التشتيت و يرغب في نظم شمل الكلمة و أن الله تعالى يأجره على ذلك في أصحاب الفترات و أما في الأمة التي فيها رسول أو هم تحت خطا برسول فحرام عليه ذلك و حرام عليه خروجه عن شرع الرسول و لم تظهر هذه الطريقة الوضعية التي تطلبها الحكمة في نوع من الأنواع إلا في النوع الإنساني خاصة لخلقه على الصورة فيجد في نفسه قوة إلهية تدعوه لتشريع المصالح فإن شرعها أحد غيره و هو الرسول فلا يزال يؤيده و يمهد لأمته و ما وضعه لها ذلك الرسول و يبين لهم ما خفي عنهم من رسالته لقصور فهمهم و إن لم يفعل ذلك مع قدرته عليه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة كما جاء في الإمام إذا صلى و هو يعلم أن خلفه من هو أحق بالإمامة منه فلم يقدمه و تقدم عليه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة إلا أن يقدمه ذلك الأفضل فيتقدم عن أمره كصلاة أبي بكر برسول الله ص و صلاة عبد الرحمن بن عوف برسول الله ص لما جاء و قد فاتته ركعة و تقدم لأجل خروج الوقت فجاء رسول الله ص و قد صلوا ركعة فصلى خلفه و شكرهم على ما فعلوا و قال أحسنتم و لولا إن الشارع قرر حكم المجتهد من علماء هذه الأمة ما ثبت له حكم و اعلم أن العلماء بالله على مراتب في أخذهم العلم الإلهي فمنهم من أخذ العلم بالله من الله و هم الذين قيل لهم فاعلموا أنه إله واحد و منهم من أخذ العلم بالله عن نظر و استدلال و هم الذين نصب الله لهم الأدلة و الآيات في الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ و أمرهم بالنظر في ذلك حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ مثل قوله أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللهُ من شَيْءٍ و قوله لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا و قوله ص من عرف نفسه عرف ربه و منهم من أخذ العلم بالله من تقوى الله مثل قوله تعالى إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً تفرقون به بين الله و بين الآلهة التي عبدها المشركون و تعرفون ما عبدوا من ذلك مع علمهم إذا سموهم أنهم أحجار و أشجار و كواكب و ملائكة و ناس و جان و يعلمون حقيقة كل مسمى و لما ذا اختصوا بالعبادة ما اختصوا منها و هي و من لم يتخذوه معبودا من أمثالها في الحد و الحقيقة على السواء و ما في هذه الطوائف أعلى ممن حصل العلم بالله عن التقوى فهذا المأخذ أعلى المراتب في الأخذ فإن له الحكم الأعم يحكم على كل حكم و على كل حاكم بكل حكم فهو خير الحاكمين و لا يكون هذا العلم ابتداء و لهذا لا يختص به إلا المؤمنون العالمون الذين علموا إن ثم واحدا يرجع إليه و يوصل إلى شهوده و إن لم يعلموا ذلك قصرت هممهم و لو تجلى لهم الحق بنفسه أنكروه و ردوه فإنه عندهم مقيد بأمر ما مهما لم يجدوا ذلك الأمر الذي قيدوه به فيمن تجلى لهم و قال لهم أو قيل لهم إنه الله ردوه و لا بد فلما

قصرت هممهم و أعطاهم نظرهم أن الحق لا يراه أحد كالفيلسوف و المعتزلي و إن علم فبالضرورة ينكرونه في تجليه لهم فلا بد للمؤمن أن يعطيه نور إيمانه ما أعطى لموسى ع في نفسه حتى سأل الرؤية ثم أخبر الله أنه تجلى للجبل و الجبل من العالم و تدكدك الجبل عند رؤيته ربه و إذا تجلى لمحدث جاز أن يراه كل محدث إذا شاء و جاز أن يتجلى له فإذا علموا و آمنوا و انبسط نور الايمان على المراتب و المقامات فعلموها كشفا و وجودا و انبسط على نفوسهم فشاهدوا نفوسهم فعرفوها فعرفوا ربهم بلا شك علما و إيمانا ثم عملوا بتقوى الله فجعل الله لهم فرقانا بين ما أدركوه من الله بالعلم الخبري و بالعلم النظري و بالعلم الحاصل عن التقوى و علموا عند ذلك ما هو التام من هذه العلوم و الأتم فمن ادعى التقوى و لم يحصل له هذا الفرقان فما صدق في دعواه فإن الكذب كله عدم أي مدلوله عدم و إن كان مذموما بالإطلاق عرفا محمودا بالتقييد الذي يحمد به و الصدق كله حق أي مدلوله حق و إن كان محمودا بالإطلاق عرفا مذموما بالتقييد الذي يذم به

جودا و فضلا على وجودي أوقفني الحق في شهودي

أرغب في لذة المزيد فقمت شكرا به إليه

بالله في نسبة الوجود فزادني جوده علوما

ترى على الكشف و الشهود إليه سبحانه تعالى

كالبدر في منزل السعود لا يعرف الله غير قلب

ما بين بيض و بين سود يرقى إليه يجيء منه

فأما العلماء بالله من طريق الخبر فلا يعلمون من الله إلا ما ورد به خبر الله عن الله في كتاب أو سنة فهم بين مشبه بتأويل و بين واقف و هو الأسلم و الأنجى من الرجلين فإنه لا يتمكن له رد الألفاظ و لا رد ما تدل عليه فيقع في التشبيه و الآخر و إن لم يكن له رد الألفاظ و لا رد ما تدل عليه فإنه ما نزل ما نزل من ذلك إلا بلغته و رأى التقابل فيما نزل من نفي التشبيه فآمن و صرف علم ذلك إلى الله من غير تعيين لأن المسمى و الموصوف لم يره و لم يعلم ما هو عليه إلا من هذه الأخبار الواردة عنه و أما علماء النظر فهم طوائف كثيرة كل طائفة نزعت في الله منزعا بحسب ما أعطاها نظرها في الذي اتخذته دليلا على العلم به فاختلفت مقالاتهم في الله اختلافا شديدا و هم أصحاب العلامات لما ارتبطوا بها و أما علماء الكشف و الشهود و هم المؤمنون المتقون فإن الله جعل لهم فرقانا أوقفهم ذلك الفرقان على ما ادعى أهل كل مقالة في الله من علماء النظر و الخبر أن يقولوا بها و ما الذي تجلى لقلوبهم و بصائرهم من الحق و هل كلها حق أو فيه ما هو حق و ما ليس بحق كل ذلك معلوم لهم كشفا و شهودا فيعبده من هذه صفته عبادة أمر و عبادة ذاتية و ليس ذلك إلا لهم و للملائكة و أما الأرواح التي لا تعرف الأمر فعبادتهم ذاتية و أما علماء النظر و الخبر فعبادتهم أمرية قال

رسول الله ص نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه و هذه هي العبادة الذاتية فأخبر أنه ذو عبادتين عبادة أمر و ذات و بالعبادة الذاتية يعبده أهل الجنان و أهل النار و لهذا يكون المال في الأشقياء إلى الرحمة لأن العبادة الذاتية قوية السلطان و الأمر عارض و الشقاء عارض و كل عارض زائل يجري إلى أجل مسمى و اعلم أنه ما تقدم لنبي قط قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله و لا ينبغي له ذلك و كذلك كل ولي مصطفى لا يتقدم له نظر عقلي في العلم بالله و كل من تقدمه من الأولياء علم بالله من جهة نظر فكري فهو و إن كان وليا فما هو مصطفى و لا هو ممن أورثه الله الكتاب الإلهي و سبب ذلك أن النظر يقيده في الله بأمر ما يميزه به عن سائر الأمور و لا يقدر على نسبة عموم الوجود لله فما عنده سوى تنزيه مجرد فإذا عقد عليه فكل ما أتاه من ربه مخالف عقده فإنه يرده و يقدح في الأدلة التي تعضد ما جاءه من عند ربه فمن اعتنى الله به عصمه قبل اصطفائه من علوم النظر و اصطنعه لنفسه و حال بينه و بين طلب العلوم النظرية و رزقه الايمان بالله و بما جاء من عند الله على لسان رسول الله هذا في هذه الأمة التي عمت دعوة رسولها و أما في النبوة الأولى ممن كان في فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ فإنه يرزق و يحبب إليه الشغل بطلب الرزق أو بالصنائع العملية أو الاشتغال بالعلوم الرياضية من حساب و هندسة و هيأة و طب و شبه ذلك من كل علم لا يتعلق بالإله فإن كان مصطفى و يكون نبيا في زمان النبوة في علم الله فيأتيه الوحي و هو طاهر القلب من التقييد بالله محصور في إحاطة عقله و إن لم يكن نبيا و جاء رسول إلى أمة هو منها قبل ما جاءه به نبيه ذلك لسذاجة محله ثم عمل بإيمانه و اتقى ربه رزقه الله عند ذلك فرقانا في قلبه و ليس لغيره ذلك هكذا أجرى الله عادته في خلقه و إن سعد صاحب النظر العقلي فإنه لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله إلا من حيث إيمانه و تقواه و هذا هو وارث الأنبياء في هذه الصفة فهو معهم و في درجتهم هذه فاعلم ذلك وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و أما علوم الملائكة و ما عدا النفوس الناطقة المدبرة لهذه الهياكل الإنسانية و الهياكل الإنسانية فكلهم علماء بالله بالفطرة لا عن تفكر و لا استدلال و لهذا تشهد الجلود من هذه النشأة و الأسماع و الأبصار و الأيدي و الأرجل و جميع الجوارح على مدبرها بما أمرها به من التعدي لحدود ربه و ما شهادتها إلا إخبار بما جرى فيها من أفعال الله لأنها لا تعرف تعدي الحدود و لا العصيان فيكون ذلك التعريف بتعيين هذه الأفعال شهادة على النفوس المصرفة لها في تلك الأفعال فإن كل ما سوى هذه النفوس المشهود عليها ما تعلم إلا التسبيح بحمد ربها لا غير ذلك لما تجده في فطرتها و ما في العلوم أصعب تصورا من هذا العلم لطهارة النفوس الناطقة بحكم الأصل و لطهارة الأجسام و قواها بما فطرت عليه ثم باجتماع النفس و الجسم حدث الإنسان و تعلق التكليف و ظهرت الطاعات و المخالفات فالنفوس الناطقة لا حظ لها في المخالفة لعينها و النفوس الحيوانية تجري بحكم طبعها في الأشياء ليس عليها تكليف و الجوارح ناطقة بحمد الله مسبحة له تعالى فمن المخالف و العاصي المتوجه عليه الذم و العقوبة فإن كان قد حدث بالمجموع للجمعية القائمة بالإنسان أمر آخر كما حدث له اسم الإنسان فهو المذموم بالمخالفة خاصة فإن الإنسان العاقل البالغ هو المكلف لا غير و من زالت عنه هذه الشروط من هذا النوع فليس بمكلف و لا

مذموم على ترك أو فعل منهي عنه ثم العلماء بالله انقسموا على أربعة أقسام لا خامس لها فمنهم من أخذ العلم بالله من الله من غير دليل ظاهر و لا شبهة باطنة و منهم من أخذه بدليل ظاهر و شبهة باطنة و هم أهل الأنوار و الطائفة الأولى هم أهل الالتذاذ بالعلوم و القسم الثالث هم الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و لهم في علمهم بالله ميل إلى خلق الله ليروا ما قبل الخلق من صورة الحق لا شبهة لهم في علمهم بالله و لا بالخلق و هم أهل الأسرار و علم الغيوب و كنوز المعارف و العلوم و الثبات في حال الأمور المزلزلة أكبر العقول عما عقدت عليه و القسم الرابع هم أهل الجمع و الوجود و الإحاطة بحقيقة كل معلوم فلا يغيب عنهم وجه فيما علموه و لهم التصريف بذلك العلم في العالم حيث شاءوا و لهم الأمان فلا أثر لشبهة قادحة في علمهم و هم أيضا من أهل الأسرار و ما عدا هؤلاء العلماء فخلق من خلق الله يتصرفون فيما يصرفون مجبورون في اختيارهم من كان منهم من أهل الاختيار وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الوصل الأحد و العشرون» من خزائن الجود و هذه خزانة إظهار خفي المنن التي لأهل الله في الورود و الصدور و وضع الآصار و الأغلال و الأعباء و الأثقال و لها رجال أي رجال و لهم مشاهد راحة عند حط الرحال و هم البيوت التي أذن اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ . . . بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ و من هذه الخزانة يعلم إحاطة الرحمة بجميع الأعمال في الأحوال و الأقوال و الأفعال و ما ينبغي للعبد أن يكون عليه من التوجه إلى ربه و الإقبال و الفراغ إليه تعالى من جميع ما يشغل عنه من الأشغال فهي خزانة الكرم و معدن الهمم و قابلة أعذار الأمم و ناطقة بكل طريق هو العالم عليه بأنه هو الطريق الأقوم فأقول و الله الموفق للصواب مترجما عن هذه الخزانة بما كشفه لنا الجود الإلهي و الكرم اعلم أن كل موجود من العالم في مقامه الذي فطره الله عليه لا يرتقى عنه و لا ينزل قد أمن من التبديل و التحويل سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ . . . فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا فيئس من الزيادة التي طلبها من لا علم له بما أشرنا إليه و صار الأمر مثل الأجل المسمى بالإنسان فإنه في ترق دائم أبدا شقيه و سعيدة فأما السعيد فمعلوم عند جميع الطوائف و أما ارتقاء الشقي في العلم بالله فلا يعرفه إلا أهل الله و الشقي لا يعرف أنه كان في ترق في أسباب شقائه حتى تعمه الرحمة و يحكم فيه الكرم الإلهي و يفتح له الفتح في المال فيعرف عند ذلك ما ترقي فيه من العلم بالله في تلك المخالفات التي شقي بها فيحمد الله عليها و قد أعطى الله منها أنموذجا في الدنيا فيمن تاب و آمن و عمل صالحا فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ و معنى ذلك أنه كان يريه عين ما كان يراه سيئة حسنة و قد كان حسنها غائبا عنه بحكم الشرع فلما وصل إلى موضع ارتفاع الأحكام و هو الدار الآخرة رأى عند كشف الغطاء حسن ما في الأعمال كلها لأنه ينكشف له أن العامل هو الله لا غيره فهي أعماله تعالى و أعماله كلها كاملة الحسن لا نقص فيها و لا قبح فإن السوء و القبح الذي كان ينسب إليها إنما كان ذلك بمخالفة حكم الله لا أعيانها فكل من كشف الغطاء عن بصيرته و بصره متى كان رأى ما ذكرناه و يختلف زمان الكشف فمن الناس من يرى ذلك في الدنيا و هم الذين يقولون أفعال الله كلها حسنة و لا فاعل إلا الله و ليس للعبد فعل إلا الكسب المضاف إليه و هو عبارة عما له في ذلك العمل من الاختيار و أما القدرة الحادثة فلا أثر لها

عندهم في شيء فإنها لا تتعدى محلها و أما العارفون من أهل الله فلا يرون أن ثم قدرة حادثة أصلا يكون عنها فعل في شيء و إنما وقع التكليف و الخطاب من اسم إلهي على اسم إلهي في محل عبد كياني فسمى العبد مكلفا و ذلك الخطاب تكليفا و أما الذين يقولون إن الأفعال الصادرة من الخلق هي خلق لهم كالمعتزلة فعند كشف الغطاء يتبين لهم ما هو الأمر عليه فأما لهم و إما عليهم و منهم من يكون له الكشف عند الموت و في القيامة عند كشف الساق و التفاف الساق بالساق و بعد نفوذ الحكم بالعقاب فينكشف لهم نسبة تلك الأعمال إلى الله فللإنسان وحده ورود على الله و صدور عن الله هو عين وروده على الله من طريق آخر غير الورود الأول فهو بين إقبال على الله للاستفادة و صدور عن الله بالإفادة و هذا الصدور هو عين الإقبال على الله لاستفادة أخرى و أكثر ما يكون الفتح في الصدور عن الله من حيث ما هو عين إقبال على الله فهو ممن يرى الحق في الخلق فمن ثقل عليه من أهل الله رؤية الحق في الخلق لما فيه من بعد المناسبة التي بين الواجب الوجود بالذات و بين الواجب الوجود بالغير فإذا كان ذوق هذا العبد هذا الشهود أراه الحق عين ما ثقل عليهليس إلا الله وحده وجودا و يسمى خلقا لحكم الممكن في تلك العين فإذا علم العبد ما هي العين الموجودة و ما هو الحكم و إنه عن عين معدومة لم يبال و زال ما كان يجده من ثقل الكون الذي من أجله سمي الجن و الإنس بالثقلين و هو اسم لكل موجود طبيعي و زال عنه ما كان يحس به من الألم النفسي و الحسي و رفعه الله عند هذا مَكاناً عَلِيًّا و هو نصيبه من مقام إدريس ع فارتفعت مكانته و زالت زمانته و حمد مسراه و علم ما أعطاه سراة فتميزت المراتب و اتحدت المذاهب و تبحرت الجداول و المذانب و استوى القادر و غير القادر و الكاسب فأعظم الإقبال و أعلاه من يكون إقباله على الله عين نفسه الخارج و صدوره عن الله و هو عين إقباله عين نفسه الداخل فهو مقبل على الله من كونه محيطا بالنفس الخارج و مقبل على الله في صدوره بنفسه الداخل من كون الحق وسعه قلبه فيكون مستفيدا في كل نفس بين اسم إلهي ظاهر و بين اسم إلهي باطن فالنفس الخارج إلى الحق المحيط الظاهر ليريه عين الحق في الآيات في الآفاق و النفس الداخل إلى الحق الباطن ليريه عين الحق في نفسه فلا يشهد ظاهرا و لا باطنا إلا حقا فلا يبقى له في ذاته اعتراض في فعل من الأفعال إلا بلسان حق لإقامة أدب فالمتكلم و المكلم عين واحدة في صورتين بإضافتين ثم لتعلم يا ولي أن الله لما خلق العالم و ملأ به الخلأ لم يبق في العالم جوهر يزيد و لا ينقص فهو بالجوهر واحد غير إن هذا الجوهر الذي قد ملأ الخلأ لا يزال الحق تعالى فيه خلاقا على الدوام بما يفتح فيه من الإشكال و يلطف فيه من الكثائف و يكثف فيه من اللطائف و يظهر فيه من الصور و يحدث فيه من الأعراض من أكوان و ألوان و يميز كل صورة فيه من الكثائف بما يوجده فيها من الصفات و على الصورة التي تفتح فيه تقع الحدود الذاتية و الرسمية و فيه تظهر أحكام النسب و الإضافات فما أحدث الله بعد ذلك جوهرا لكن يحدث فيه فإذا علمت هذا فاعلم من تقع عليه العين و ما هي عليه العين و ما تسمعه الأذن و ما هي الأذن و ما يصوت به اللسان و ما هو الصوت و ما نلمسه الجوارح و ما هي الجارحة و ما يذوق طعمه الحنك و ما هو الحنك و ما يشمه الأنف و ما هو الأنف و ما يدركه العقل و ما هو العقل و ما

هو السمع و البصر و الشم و الطعم و اللمس و الحس و ما هو المتخيل و المتخيل و الخيال و ما هو التفكر و المتفكر و الفكر و المتفكر فيه و ما هو المصور و المصور و الصورة و الذاكر و الذكر و المذكور و الوهم و المتوهم و التوهم و المتوهم فيه و الحافظ و الحفظ و المحفوظ و ما هو المعقول فما يحصل لك إلا علم بأعراض و نسب و إضافات في عين واحدة هي الواحدة و الكثيرة و عليها تنطلق الأسماء كلها بحسب ما أحدث الله فيها مما ذكرناه و هي بالذات عين هذا الجوهر الذي ملأ الخلأ و قابل لكل ما ذكرناه و فيه يظهر الجوهر الصوري و العرض و الزمان و المكان و هذه أمهات الوجود ليس غيرها و ما زاد عليها فإنه مركب منها من فاعل و منفعل و إضافة و وضع و عدد و الكيف و من هنا يعرف هل تقوم المعاني بالمعاني أو الجوهر القابل للمعنى الذي يظن أن المعنى الآخر قائم به إنما هو قائم بالجوهر الذي قام به المعنى الموصوف مثل إشراق السواد فتقول سواد مشرق أو علم حسن أو خلق كريم أو حمرة في بياض مشربة به فإذا علمت هذا علمت من أنت و ما هو الحق الذي جاد عليك بما ذكرناه كله و أشباهه و علمت أنه لا يمكن أن يماثله شيء من خلقه مع معقولية المناسبة التي ربطت وجودك بوجوده و عينك بعينه كما ربط وجود علمك به بعلمك بك في قوله من عرف نفسه فقد عرف ربهفإن أعرف الخلق بالخلق أعرفهم بالله و علمت أحدية الواحد من أحدية الكثرة و انحصا ر الوجود قديمه و حديثه فيما ذا ينحصر و تمييز القديم من المحدث بما ذا يتميز و ما ينسب إلى القديم الأزلي من الأسماء و الأحكام و ما ينسب إلى المخلوق المحدث من الأسماء و الأحكام و لما ذا يرجع عين العالم و ما يشهد من الحق إذا تجلى لك و رأيته و لما ذا يرجع اختلاف التجلي و تغايره هل لتغاير إدراكك في عين واحدة تختلف رؤيتك فيه و هو غير متنوع في نفسه أو ذلك التنوع في التجلي راجع إلى النسبة لا إليك و لا إليه فأما إليه فمحال عند أهل الله و ما بقي إلا لأحد أمرين أو لهما إما إليك أو إلى أمر آخر ما هو هو و لا هو أنت و هكذا تشهده فما كل من رأى عرف ما رأى و ما حار أهل الحيرة سدى فإن الأمر عظيم و الخطب جسيم و المشهد عام و الوجود طام و الكمال حاصل و العلم فاصل و الحكم نازل و التجدد مع الأنفاس في الأكوان معقول و ما يقال على الحقمنقول بين معقول و غير معقول و ليس يدرك هذه الأغوار إلا أهل الأسرار و الأنوار و أولو البصائر و الأبصار فمن انفرد بسر بلا نور أو بنور بلا سر أو ببصيرة دون بصر أو ببصر دون بصيرة أو بظاهر دون باطن أو بباطن دون ظاهر كان لما انفرد به و لم يحصل على كمال و إن اتصف به و إن كان تاما فيما هو عليه و لكن الكمال هو المطلوب لا التمام فإن التمام في الخلق و الكمال فيما يستفيده التام و يفيده و متى لم تحصل له هذه الدرجة مع تمامه فإن الله أعطى كل شيء خلقه فقد تم ثم هدى لاكتساب الكمال فمن اهتدى فقد كمل و من وقف مع تمامه فقد حرم رزقنا الله و إياكم الفوز و الوصول إلى مقام العجز إنه الولي المحسان «الوصل الثاني و العشرون» من خزائن الجود و هذه خزانة الفترات فتوهم انقطاع الأمور و ما هي الأمور منقطعة و ما يصح أن تنقطع لأن الله لا يزال العالم محفوظا به فلا يزل حافظا له فلو انقطع الحفظ لزال العالم فإن الله ما هو غني عن العالم إلا لظهوره بنفسه للعالم فاستغنى إن يعرف بالعالم فلا يدل عليه الغير بل هو الدليل على نفسه بظهوره لخلقه فمنهم من عرفه و

ميزه من خلقه و منهم من جعله عين خلقه و منهم من حا ر فيه فلم يد ر أ هو عين خلقه أم هو متميز عنه و منهم من علم أنه متميز عن الخلق و الخلق متميز عنه و لكن لا يد ري بما ذا تميز خلق عن حق و لا حق عن خلق و لهذا حا ر أبو يزيد فإنه علم إن ثم في الجملة تمييزا و ما عرف ما هو حتى قال له الحق التمييز في الذلة و الافتقا ر فحينئذ سكن و ما قال له النصف الآخر من التمييز و هو الغني الإلهي عن العالم فإن قلت الذلة و الافتقا ر يغني قلنا في الشاهد لا يغني لما نشاهده من الذلة لذليل و من الافتقا ر لفقير فإن الله قد جعل العالم على مراتب و درجات مفتقرا بعضه إلى بعض و رفع بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا فجعل العالم فاضلا مفضولا و لما كان الأمر الحق فيما نبه الله عليه أبا يزيد نبهنا بذلك على علم قوله يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أي المثنى عليه بكل ما يفتقر إليه فالعالم كله أسماؤه الحسنى و صفاته العليا فلا يزال الحق متجليا ظاهرا على الدوام لأبصا ر عباده في صور مختلفة عند افتقا ر كل إنسان إلى كل صورة منها فإذا استغنى من استغنى عن تلك الصورة فهي عند ذلك المستغني خلق فإذا عاد افتقا ره إليها فهي حق و اسمها هو اسم الحق و في الظاهر لها فيتخيل المحجوب أنه افتقر إليها و ذل من أجل حاجته إليها و ما افتقر و ذل إلا لله الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فالناس في واد و العلماء بالله في واد و أما التفاضل الظاهر في العالم فمجهول عند بعض الناس و معلوم عند بعضهم و منهم المخطئ فيه و المصيب و ذلك أن العالم قسمه الله في الوجود بين غيب و شهادة و ظاهر و باطن و أول و آخر فجعل الباطن و الآخر و الغيب نمطا واحدا و جعل الأول و الظاهر و الشهادة نمطا آخر فمن الناس من فضل النمط الذي فيه الأولية و من الناس من فضل النمط الذي فيه الآخرية و من الناس من سوى مطلقا و من الناس من قيد و هم أهل الله خاصة فقالوا النمط الذي فيه الآخرية في حق السعداء خير و في حق الأشقياء ما هو خير و إن أهل الله تعلقهم بالمستقبل أولى من تعلقهم بالماضي فإن الماضي و الحال قد حصلا و المستقبل آت فلا بد منه فتعلق الهمة به أولى فإنه إذا ورد عن همة متعلقة به كان لها لا عليها و إذا ورد عن غير همة متعلقة به كان إما لها و إما عليها و إنما أثر فيه تعلق الهمة أن يكون لها لا عليها لما يتعلق من صاحب الهمة من حسن الظن بالآتي و الهمم مؤثرة فلو كان إتيانه عليه لا له لعاد بالهمة له لا عليه و هذه فائدة من حافظ عليها حا ز كل نعيم فإذا ورد الآتي على ذي همة متعلقة بإتيانه بادر إلى الكرامة به و التأدب معه على بصيرة و سكون و حسن تأن في ذلك بخلاف من يفجأه الآتي فيدهش و يحا ر في كيفية تلقيه و معاملته و هو سريع الزوال فربما فا رق الحال و مضى و ما قام صاحب الدهش بحقه و بما يجب عليه من الأدب معه بخلاف المستعد غير إن المستعد للآتي لا بد إن كان كاملا إن يحفظ الماضي فإنه إن لم يحفظه فاته خيره و قد جعل الله في العبد من خزائن الجود خزانة الحفظ فيكون عليه جعله في تلك الخزانة فهو صاحب حال في الحال و في الماضي فما يبقى له إلا الآتي مع الأنفاس فلا تزال القوة الحافظة على باب خزانة الحفظ تمنع إن يخرج منها ما اختزنته فيها و تأخذ ما فا رق الحال فتخزنه فيها و لهذه القوة الحافظة سادنان الواحد الذكر و قد وكلته بحفظ المعاني المجردة عن المواد و السادن الآخر الخيال و قد وكلته بحفظ المثل في تلك الخزانة

و بقيت هي مشتغلة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة زمان الحال و حكم الزمان الماضي على هذا الآتي فتأخذه فتلقيه في الخزانة خزانة الحفظ و إنما سميت خزانة الحفظ لأنها تحفظ على الآتي زمان الحال و هو الدائم فلا يحكم عليه الزمان الماضي بخلاف من ليس له هذا الاستعداد و لا هذا التهيؤ فإن الماضي يأخذه فينساه العبد فلا يدري أين ذهب و هو الذي يستولي عليه سلطان الغفلة و السهو و النسيان فيكون الحق يحفظه له أو عليه و العبد لا يشعر لهذا الحفظ الإلهي بل أكثر العبيد لا كلهم و هو قوله فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ و قال تعالى أيضا في كتابه لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً فالعبد الكامل رب الحفظ يحضر و الغافل الذي لا حفظ له يحضر له فبين الرجلين بون بعيد فالحكم العام إنما هو لزمان الحال و هو الدائم يحضر المستقبل قبل إتيانه و يمسك ما أتى به الماضي فإن الزمان صورة روحها ما يأتي به لا غير فزمان الحال حي بحياة كل زمان لأنه الحافظ و الضابط لكل ما أتى به كل زمان و لما كانت الأزمنة ثلاثة كانت الأحوال ثلاثة حال اللين و العطف فإنه يأتي باللين ما يأتي بالقهر و الفظاظة و لا يأتي بالقهر ما يأتي باللين فإن القهر لا يأتي بالرحمة و المودة في قلب المقهور و باللين ينقضي المطلوب و تأتي بالمودة فتلقيها في قلب من استملته باللين و صاحب اللين لا يقاوم فإنه لا يقاوم لما يعطيه اللين من الحكم و الحال الثاني حال هداية الحائر فإن الحائر إذا سأل يسأل إما بحاله و إما بقوله فإن العالم بما حار فيه يجب عليه إن يبين له ما حار فيه فإن كان المسئول فيه مما تكون حقيقة الحيرة فيه أبان له هذا العالم أن العلم به أنه يحار فيه فأزال عنه الحيرة في الحيرة و إن كانت من العلوم التي إذا بينت زالت الحيرة فيه و بان بيان الصبح لذي عينين أبانه له فعلمه فأزال عنه الحيرة و لا يرده و لا يقول له ليس هذا عشك فأدرج و لا سألت ما لا يعطيه مقامك فإن الإنسان إذا قال مثل هذا القول لمن سأله عن علم ما فليس بعالم و هو جاهل بالمسألة و بالوجه الذي ينبغي من هذه المسألة أن يقابل به هذا السائل و العلم و سوء الخلق لا يجتمعان في موفق فكل عالم فهو واسع المغفرة و الرحمة و سوء الخلق إنما هو من الضيق و الحرج و ذلك لجهله فلا يعلم قدر العلم إلا العلماء بالله فله السعة التي لا نهاية لها مددا و مدة و لقد شفعت عند ملك في حق شخص أذنب له ذنبا اقتضى ذلك الذنب في نفس ما يطلبه الملك أن يقتل صاحبه فإن الملك يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء فإنه لا يعفو عنها إذ لا عفو فيها و ما يتفاضل الملوك فيها إلا في صورة العقوبة و الثلاثة الأشياء التي لا عفو فيها عند الملوك التعرض للحرم و إفشاء سره و القدح في الملك و كان هذا الشخص قد جاء لهذا الملك بما يقدح في الملك فعزم على قتله فلما بلغتني قصته تعرضت عند الملك للشفاعة فيه إن لا يقتله فتغير وجه الملك و قال هو ذنب لا يغفر فلا بد من قتله فتبسمت و قلت له أيها الملك و الله لو علمت إن في ملكك ذنبا يقاوم عفوك و يغالبه ما شفعت عندك و لا اعتقدت فيك إنك ملك و الله إني من عامة المسلمين و الله ما أرى في العالم كله ذنبا يقاوم عفوي فتحير من قولي و وقع لي بالعفو عن ذلك الشخص فقلت له فاجعل عقوبته إنزاله عن الرتبة التي أوجبت له عندك إن تطلعه على أسرارك حتى ركب مركبا يقدح في الملك فإني كما كنت له في دفع القتل عنه إنا أيضا للملك معين فيما يدفع عن القدح في ملكه ففرح

الملك بذلك و سر و قال لي جزاك الله خيرا عني ثم صعد من عندي إلى قلعته و أخرج ذلك المحبوس و بعث به إلي حتى رأيته فوصيته بما ينبغي و تعجبت من عقل الملك و تأدبه و شكرته على صنيعه و الحال الثالث إظها ر المنعم عليه نعمة المنعم عليه فإن إظها رها عين الشكر و حقه و بمثل هذا يكون المزيد كما يكون بالكفران لها زوال النعم و الكفران سترها فإن الكفر معناه الستر قال تعالى وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً من كُلِّ مَكَانٍ و هذا غاية النعم من المنعم فَكَفَرَتْ يعني الجماعة التي أنعم عليها المنعم بهذه النعم بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ بإزالة الرزق وَالْخَوْفِ بإزالة الأمن بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ من ستر النعم و جحدها و الأشر و البطر بها و قال تعالى لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و قال وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ هذا مع غناه عن العالمين فكيف بالفقير المحتاج إذا أنعم على مثله من نعمة الله التي أعطاه إياه و امتن عليه بها فهو أحوج إلى الشكر و أفرح به من الغني المطلق الغني عن العالمين و هذه خزانة شريفة العلم بها شريف و مقامها مقام منيف «الوصل الثالث و العشرون» من خزائن الجود و هذه خزانة الاعتدال و إعطاء كل ذي حق حقه فهي خزانة العدل لا خزانة الفضل من هذه الخزانة يقيم الله العدل في العالم بين عباده و هي خزانة ينقطع حكمها و يغلق بابها و إن خزانة الفصل تنعطف عليها و إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ لما فيه من الفضل لمن أخذ له بالحق وَالْإِحْسَانِ معطوف على العدل في الأمر به فيكون من ظهر فيه سلطان العدل و أخذ بجريمته أن يعطف عليه بالإحسان فينقضي أمر المؤاخذة و لا ينقضي أمد الإنعام و الإحسان و قد يكون الإحسان ابتداء و جزاء للإحسان الكوني كما جاء في قوله تعالى هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ و قوله سبحانه لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى جزاء و زيادة الإحسان بعد العدل و الإحسان قبل المؤاخذة وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ و لم يجازِ بالسيئة على السيئة فهو أولى فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ أي هذه صفة الحق فيمن عفي عنه فيما هو حق له معرى عن حق الغير فإقامة العدل إنما هو في حق الغير لا فيما يختص بالجناب الإلهي فما كان الله ليأمر بمكارم خلق و لا يكون الجناب الإلهي موصوفا به و لهذا جعل أجر العافين عن الناس على الله و هذه الخزانة أرسلت حجب الأسرار دون أعين الناس و هو ما أخفى الحق عنهم من الغيوب و هو قوله تعالى عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه لا يحيط من علم غيب الله إلا بما شاء الله كما رفعت الستور و انكشفت الأنوار فأدركت البصائر بها كل معقول و أدركت الأبصار بها كل مبصر فأحاط العقل بهذه الأنوار كلما يمكن أن يدرك عقلا و أحاط البصر بهذه الأنوار كلما يمكن أن يدرك حسا و هذا لخصوص عباده المصطفين الأخيار فلهم الكشف الدائم للخلق الجديد فلا يتناهى كشفهم كما لا يتناهى الخلق الجديد في العالم ثم إن هذه الخزانة تعطي في العلم الإلهي علم الفاعل و الفعل و المفعول و المفعول فيه و المفعول به و المفعول معه فيقف على التكوين الإلهي و التكوين الكياني فيعلم إن لكل فاعل طريقا يخصه في نسبة الفعل إليه فأما أهل الكرم و الجود على الغير فإن الله يمكنه من أسباب الخير و يهون عليه الشدائد و يرفع عنه الأمور المحرجة و يخرجه من الظلمات إلى النور و من الضيق إلى السعة و من الغي إلى الرشد و أما من نظر في الحقائق و رأى نفسه أحق بنظره إليها من نظره

إلى غيره و إن نظره إلى غيره إنما جعله الله ليعود بما فيه من الخير على نفسه فغفل عن كل شيء سواه فشغل نفسه بنفسه و صرف همته إلى عينه و أعطاها من كل شيء أعطاه الحق حقها فاستغنى بربه و كشف له عن ذاته و رأى جميع العالم في حضرته و رأى الرقائق بينه و بين كل جزء من العالم فعمد يحسن إلى العالم من نفسه على تلك الرقيقة التي بين ما يناسب من العالم و بين المناسب له فيوصل الإحسان لكل ما في العالم بهمته من الغيب كما يوصله الحق من الأسباب فيجهله العالم لأنه لا يشهده في الإحسان كما يجهل الحق بالأسباب فيقول لو لا كذا ما كان كذا و نسي الحق في جنب السبب فلا بد أن ينسى هذا العبد الكامل و كما أن لله عبادا و إن وقفوا مع الأسباب يقولون هذا من عند الله ليس للسبب فيه حكم كذلك لله عباد يقولون هذا ببركة فلان و همته و لو لا همته ما جرى كذا و ما دفع الله عنا كذا و منهم من يقول ذلك عقدا و إيمانا و منهم من يقول ذلك عن غلبة ظن فهذا عبد قد أقامه الحق في قلوب عباده مقامه في الحالين فالناس ينطقون بذلك و لا يعرفون أصله و قد ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ص قال لأصحابه من الأنصار في واقعة وقعت في فتح مكة في غزوة حنين فقال لهم أ لم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فذكر نفسه و وجدتكم عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ الله بي و هذا معنى قول الناس هذا ببركة فلان و هذا بهمة فلان و قولهم اجعلني في خاطرك و في همتك و لا تنساني و أشباه هذا فمن أعرض عن هذه المشاهد و لم يفرق بين المشهود و الشاهد فذلك الحائر الخاسر كما أن الآخر هو الرابح في تجارته المقسط بصفقته و الرابحون انقسموا إلى قسمين إلى عاملين على الجزاء و إلى عاملين على الوفاء فالعاملون على الجزاء لهم نعوت تخصهم و العاملون على الوفاء على قسمين عمال لا عمال و عمال عمال و العمال العمال على قسمين عمال بحق و عمال بأنفسهم و كلاهما قائل بالجزاء و العمال لا عمال يرون الجزاء للعمل لا للعامل و العمل لا يقبل نعيم الجزاء فيعود عليهم جزاء العمل و أما جزاء العامل فهم يرون العامل هو الله و ليس بمحل للجزاء لأن الجزاء على قدر العامل فيحصلون على الجزاء الإلهي و هو القصور عن الوفاء بما يستحقه العامل فهو جزاء لما قام بالعلماء بالله في الثناء عليه بمحامده و هو قول النبي ص لا أحصي ثناء عليك أنت كما ثنيت على نفسك و لكن عند من عند نفسك أو عند خلقك فانظر فيما نبهتك عليه فإنه ينفعك إن قبلت مقالتي و أصغيت إلى نصيحتي و هذا وصل الكلام فيه يطول جدا فإنه يحوي على أسرار و أنوار و مزج و اختلاط و تخليص و تمييز و ما يردي و ما ينجي و يكتفى بهذا القدر من هذا الباب وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل المزيد و سر و سرين من أسرار الوجود و التبدل و هو من الحضرة المحمدية»

إن الزيادة في الأعمال صورتها مثل الزيادة في الإنعام يا رجل

و ليس يعرفها إلا رجال حجى و ليس يحصرها عد و لا أجل

لله في طيها مكر لذي نظر محقق و لنا في مكره أمل

و ليس يعصم إلا العلم و العمل　　فإنه صادر من سر حضرته

للناظرين به قد جاءنا المثل　　إن الفروع لها أصل يبينها

اعلم أن الحكمة في الأشياء كلها و الأمور أجمعها إنما هو للمراتب لا للاعيان و أعظم المراتب الألوهية و أنزل المراتب العبودية فما ثم إلا مرتبتان فما ثم إلا رب و عبد لكن للالوهة أحكام كل حكم منها يقتضي رتبة فأما يقوم ذلك الحكم بالإله فيكون هو الذي حكم على نفسه و هو حكم المرتبة في المعنى و لا يحكم بذلك الحكم إلا صاحب المرتبة لأن المرتبة ليست وجود عين و إنما هي أمر معقول و نسبة معلومة محكوم بها و لها الأحكام و هذا من أعجب الأمور تأثير المعدوم و أما أن يقوم ذلك الحكم بغيره في الموجود إما أمرا وجوديا و إما نسبة فلا تؤثر إلا المراتب و كذلك للعبودة أحكام كل حكم منها رتبة فأما يقوم ذلك الحكم بنفس العبد فما حكم عليه سوى نفسه فكأنه نائب عن المرتبة التي أوجبت له هذا الحكم أو يحكم على مثله أو على غيره و ما ثم إلا مثل أو غير في حق العبد و أما في الإله فما ثم إلا غير لا مثل فإنه لا مثل له فأما الأحكام التي تعود عليه من أحكام الرتبة وجوب وجوده لذاته و الحكم بغنائه عن العالم و إيجابه على نفسه بنصر المؤمنين بالرحمة و نعوت الجلال كلها التي تقتضي التنزيه و نفي المماثلة و أما الأحكام التي تقتضي بذاتها طلب الغير فمثل نعوت الخلق كلها و هي نعوت الكرم و الإفضال و الجود و الإيجاد فلا بد فيمن و على من فلا بد من الغير و ليس إلا العبد و ما منها أثر يطلب العبد إلا و لا بد أن يكون له أصل في الإله أوجبته المرتبة لا بد من ذلك و يختص تعالى بأحكام من هذه المرتبة لا تطلب الخلق كما قررنا و مرتبة العبد تطلب من كونه عبدا أحكاما لا تقوم إلا بالعبد من كونه عبدا خاصا فهي عامة في كل عبد لذاته ثم لها أحكام تطلب تلك الأحكام وجود الأمثال و وجود الحق فمنها إذا كان العبد نائبا و خليفة عن الحق أو خليفة عن عبد مثله فلا بد أن يخلع عليه من استخلفه من صفاته ما تطلبه مرتبة الخلافة لأنه إن لم يظهر بصورة من استخلفه و إلا فلا يتمشى له حكم في أمثاله و ليس ظهوره بصورة من استخلفه سوى ما تعطيه مرتبة السيادة فأعطته رتبة العبودة و رتبة الخلافة أحكاما لا يمكن أن يصرفها إلا في سيده و الذي استخلفه كما أن له أحكاما لا يصرفها إلا فيمن استخلف عليه و الخلافة صغرى و كبرى فأكبرها التي لا أكبر منها الإمامة الكبرى على العالم و أصغرها خلافته على نفسه و ما بينهما ينطلق عليها صغرى بالنسبة إلى ما فوقها و هي بعينها كبرى بالنظر إلى ما تحتها فأما تأثير رتبة العبد في سيده فهو قيام السيد بمصالح عبده ليبقى عليه حكم السيادة و من لم يقم بمصالح عبده فقد عزلته المرتبة فإن المراتب لها حكم التولية و العزل بالذات لا بالجعل كانت لمن كانت و أما التأثير الذي يكون للعبد من كونه خليفة فيمن استخلفه كان المستخلف ما كان إن يبقى له عين من استخلفه عليه لينفذ حكمه فيه و إن لم يكن كذلك فليس بخليفة و لا يصدق إذا لم يكن ثم على من و لا فيمن لأن الخليفة لا بد له من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات أ لا ترى من لا يقبل المكان كيف اقتضت المرتبة له أن يخلق سماء جعله عرشا ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء و طلب

الحوائج و لا يبقى العبد حائرا لا يدري أين يتوجه لأن العبد خلقه الله ذا جهة فنسب الحق الفوقية لنفسه من سماء و عرش و إحاطة بالجهات كلها بقوله فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و بقوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب هل من داع هل من مستغفر ويقول عنه رسولهإن الله في قبلة المصليهذا كله حكم المراتب إن عقلت فلو زالت المراتب من العالم لم يكن للاعيان وجود أصلا فافهم فإذا أراد الأعلى أن يعرفه الأدنى لأن الأدنى لا قدم له في العلو و الأعلى له الإحاطة بالأدنى فلا بد أن يتعرف الأعلى إلى الأدنى و لا يمكن ذلك إلا بأن يتنزل إليه الأعلى لأن الأدنى لا يمكن أن يترقى إليه لأنه تنعدم عينه إذ لا قدم له في العلو فالأدنى أبدا لا يزال في رتبته ثابتا و الأعلى له النزول و له الثبوت في رتبته و من ثبوته في رتبته حكم على نفسه بالنزول فهو ثابت في مرتبته العالية في عين نزوله لأن النزول من أحكامها و كذلك فعل الله تعالى في سفرائه الذين هم رسله إلى خلقه من خلقه فما أرسل رسولا إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فإذا أرسله عامة كانت العامة قومه فأعطاه جوامع الكلم و هو فصل الخطاب و ما كمل إلا آدم بالأسماء و كمال محمد ص بجوامع الكلم فنزل إليهم برسالة ربهم بلسانهم و لحنهم فما دعاهم إلا بهم ثم إنه ما شرع لهم من الأحكام إلا ما كانوا عليه فما زادهم في ذلك إلا كونها من عند الله فيحكمون بها على طريق القربة إلى الله لتورثهم السعادة عند الله و إنما قلنا ما شرع لهم من الأحكام إلا ما كانوا عليه لأنه لم تخل أمة من الأمم على ناموس تكون عليه لمصالح أحوالها و ليست إلا خمسة فلا بد من واجب أوجبه إمامهم و واضع ناموسهم عليهم و هو الواجب و الفرض عندنا و كذلك المندوب و المحظور و المكروه و المباح لأنه لا بد لهم من حدود في الأحكام يقفون عندها عليها و ما جاءهم الشرع من عند الله إلا بهذا الذي كانوا عليه من حكم نظرهم فيما يزعمون و هو في نفس الأمر من جعل الله ذلك في نفوسهم من حيث لا يشعرون و لذلك كان لهم بذلك أجر من الله من حيث لا يعلمون لكن إذا انقلبوا إليه وجدوا ذلك عنده فلما رأينا أنه ما أرسل رسولا إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ علمنا أنه ما تعرف إلينا حين أراد منا أن نعرفه إلا بما نحن عليه لا بما تقتضيه ذاته و إن كان تعرفه إلينا بنا مما تقتضيه ذاته و لكن يختلف اقتضاء ذاته بين ما يتميز به عنا و بين ما يتعرف به إلينا و لما كان الخلق على مراتب كثيرة و كان أكمل مرتبة فيه الإنسان كان كل صنف من العالم جزءا بالنظر إلى كمال الإنسان حتى الإنسان الحيوان جزء من الإنسان الكامل فكل معرفة لجزء من العالم بالله معرفة جزئية إلا الإنسان فإن معرفته بالله معرفة العالم كله بالله فعلمه بالله علم كلي لا علم كل إذ لو كان علما كلا لم يؤمر أن يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً أ ترى ذلك علما بغير الله لا و الله بل بالله فخلق الإنسان الكامل على صورته و مكنه بالصورة من إطلاق جميع أسمائه عليه فردا فردا و بعضا بعضا لا ينطلق عليه مجموع الأسماء معا في الكلمة الواحدة ليتميز الرب من العبد الكامل فما من اسم من الأسماء الحسنى و كل أسماء الله حسني إلا و للعبد الكامل أن يدعي بها كما له أن يدعو سيده بها و من هذه الأسماء الإلهية ما يدعوه الحق تعالى بها على طريق الثناء على العبد بها و هي أسماء الرحمة و اللطف و الحنان و منها ما يدعوه بها على طريق المذمة مثل قوله تعالى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ و كذلك كان في قومه يدعى بهذا الاسم و دعاه الحق به هنا سخرية به على جهة

الذم قال تعالى فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فلما أوجد الكامل منا على الصورة عرفه الكامل من نفسه بما أعطاه من الكمال و كان العبد الكامل حقا كله و فنى عن عينه في نفسه لأنه قابلة بذاته و قد جعل الله له مثالا في باب المحبة فعشق إليه ما عشق من العالم من أي شيء كان من فرس أو دار أو دينار أو درهم فما قابلة به إلا بالجزء المناسب ففني منه ذلك الجزء المناسب لعشقه في ذلك و بقي سائره صاحيا لا حكم له فيه إلا إذا عشق شخصا مثله من جارية أو غلام فإنه يقابله بذاته كلها و بجميع أجزائه فإذا شاهده فنى فيه بكله لا بجزء منه فيغشى عليه و ذلك لكونه قابلة بكله كذلك العبد إذا رأى الحق أو تخيله فنى فيه عند مشاهدته لأنه على صورته فيقابله بذاته فما بقي فيه جزء يصحو حتى يعقل به ما فنى منه فيه و هكذا كل جزء من العالم مع الحق إذا تجلى له خشع له و فنى فيه لأن كل ما هو عليه شيء من العالم هو صورة الحق لما أعطاه منه إذ لا يصح أن يكون شيء من العالم له وجود ليس هو صورة الحق فلا بد أن يفنى العالم في الحق إذا تجلى له و لا يفنى الحق في الخلق لأن الخلق من الحق ما هو الحق من الخلق فنسبة الحق إلى الخلق نسبة الإنسان إلى كل صنف من العالم ما عدا نوع الإنسان فتفطن لما ذكرته لك من فناء كل شيء من العالم عن نفسه عند تجليه سبحانه له و لا يفنى الحق بمشاهدة الخلق و قد جاء الشرع بتدكدك الجبل و صعق موسى ع عند التجلي الرباني فما عرفنا منا الحق إلا ما نحن عليه و فينا الكامل و الأكمل فإن الله أعطى كل شيء خلقه فلما قرر الله هذه النعم على عبده و هداه السبيل إليها قال إِمَّا شاكِراً فيزيده منها لأنا قلنا إنه ما أعطاه إلا منه ما أعطاه مطلقا وَ إِمَّا كَفُوراً بنعمه فيسلبها عنه و يعذبه على ذلك فليحترز الإنسان لنفسه في أي طريق يمشي فما بعد بيان الله بيان و قال موسى ع لبني إسرائيل إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ينبه أن الله تعالى ما أوجد العالم إلا للعالم و ما تعبده بما تعبده به إلا ليعرفه بنفسه فإنه إذا عرف نفسه عرف ربه فيكون جزاؤه على علمه بربه أعظم الجزاء و لذلك قال إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و لا يعبدونه حتى يعرفوه فإذا عرفوه عبدوه عبادة ذاتية فإذا أمرهم عبدوه عبادة خاصة مع بقاء العبادة العامة الذاتية فجازاهم على ذلك فما خلقهم إلا لهم و لهذا قال تعالى عن نفسه إنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و ما ذكر موسى الأرض إلا لكمالها بوجود كل شيء فيها و هو الإنسان الجامع حقائق العالم فقوله في الأرض لأنها الذلول فهي الحافظة مقام العبودة فكأنه قال إن تكفروا أنتم و كل عبد لله فإن الله غني عن العالمين و لذلك جعل الله الأرض محل الخلافة و منزلها فكأنه كنى أي إني جاعل في الأرض خليفة منهم لا يزول عن مقام عبوديته في نفسه أي لا يحجبه مرتبة الخلافة بالصفات التي أمره بها عن رتبته و لهذا جعلناه خليفة و لم نذكره بالإمامة لأن الخليفة يطلب بحكم هذا الاسم عليه من استخلفه فيعلم أنه مقهور محكوم عليه فما سماه إلا بما له فيه تذكرة لأنه مفطور على النسيان و السهو و الغفلة فيذكره اسم الخليفة لمن استخلفه فلو جعله إماما من غير أن يسميه خليفة مع الإمامة ربما اشتغل بإمامته عمن جعله إماما بخلاف خلافته لأن الإمامة ليست لها قوة التذكير في الخلافة فقال في الجماعة الكمل جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فوقع هذا في مسموعهم فتصرفوا في العالم بحكم الخلافة و قال لإبراهيم ع بعد أن أسمعه خلافة

آدم و من شاء الله من عباده إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً لما علم إن الخلافة قد أشربها فلا يبالي بعد ذلك أن يسميه بأي اسم شاء كما سمي يحيى بسيد و لما عرفه العارفون به تميزوا عمن عرفه بنظره فكان لهم الإطلاق و لغيرهم التقييد فيشهده العارفون به في كل شيء أو عين كل شيء و يشهده من عرفه بنظره منعزلا عنه ببعد اقتضاه له تنزيهه فجعل نفسه في جانب و الحق في جانب فيناديه من مكان بعيد و لما كانت الخلافة تطلب الظهور بصورة من استخلفه و الذي جعله خليفة عنه ذكر عن نفسه أنه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فلا بد أن يكون هذا الخليفة على صراط فنظر في الطرق فوجدها كثيرة منها صِراطِ اللهِ و منها صِراطِ الْعَزِيزِ و منها صراط الرب و منها صراط محمد ص و منها صراط النعم و هو صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ و هو قوله لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً فاختار هذا الإمام المحمدي سبيل محمد ص و ترك سائر السبل مع تقريرها و إيمانه بها و لكن ما تعبد نفسه إلا بصراط محمد ص و لا تعبد رعاياه إلا به و رد جميع الأوصاف التي لكل صراط إليه لأن شريعته عامة فانتقل حكم الشرائع كلها إلى شرعه فشرعه يتضمنها و لا تتضمنه فمنها صِراطِ اللهِ و هو الصراط العام الذي عليه تمشي جميع الأمور فيوصلها إلى الله فيدخل فيه كل شرع إلهي و موضوع عقلي فهو يوصل إلى الله فيعم الشقي و السعيد ثم إنه لا يخلو الماشي عليه إما أن يكون صاحب شهود إلهي أو محجوبا فإن كان صاحب شهود إلهي فإنه يشهد أنه مسلوك به فهو سالك بحكم الجبر و يرى أن السالك به هو ربه تعالى و ربه عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ كذا تلاه علينا سبحانه و تعالى إن هو داع قاله و هو رسول من رسل الله فلهذا كان مآله إلى الرحمة و إذا أدركه في الطريق النصب فتلك أعراض عرضت له من الشئون التي الحق فيها كل يوم و ذلك قوله تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و لا يمكن أن يكون الأمر إلا هكذا و ما أحد أكشف للأمور و أشهد للحقائق و أعلم بالطرق إلى الله من الرسل عليهم الصلاة و السلام و مع هذا فما سلموا من الشئون الإلهية فعرضت لهم الأمور المؤلمة النفسية من رد الدعوة في وجهه و ما يسمعه في الحق تعالى مما نزه جلاله عنه و في الحق الذي جاء به من عند الله و كذلك الأمور المؤلمة المحسوسة من الأمراض و الجراحات و الضرب في هذه الدار و هذا أمر عام له و لغيره و قد تساوى في هذه الآلام السعيد و الشقي و كُلٌّ يَجْرِي فيه إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى عند الله فمنهم من يمتد أجله إلى حين موته و يحصل في الراحة الدائمة و الرحمة العامة الشاملة و هم الذين لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ و لا يخافون على أنفسهم و لا على أممهم لأنهم كانوا مجهولين في الدنيا و الآخرة و هم الذين تغبطهم الرسل في ذلك لما هم فيه من الراحة لأن الرسل ع يخافون يوم الفزع الأكبر على أممهم و أتباعهم لا على أنفسهم و منهم من يمتد أجله إلى دخول الجنة من العرض و منهم من يمتد أجله في الآلام إلى أن يشفع فيه بالخروج من النار إلى الجنة و منهم من يمتد أجله في الآلام إلى أن يخرجه الله بنفسه لا بشفاعة شافع و هم الموحدون بطريق النظر الذين ما آمنوا و لا كفروا و لا عملوا خير القول الشارع قط فإنهم لم يكونوا مؤمنين و لكنهم وحدوا الله جل جلاله و ماتوا على ذلك و من كان له علم بالله منهم و مات عليه جنى ثمرة علمه فإن قدحت له فيه شبهة حيرته أو صرفته عن اعتقاد ما كان يظن أنه علم و هو علم في نفس الأمر ثم بدا له ما حيره فيه أو صرفه عنه فعلم يوم القيامة أن ذلك حق

في نفس الأمر و هو ممن أخرجه الله إلى الجنة من النا ر عا د عليه ثمرة ذلك العلم و نا ل د رجته و منهم من يمتد أجله في الآلام ممن ليس بخا رج من النا ر و هو من أهلها القاطنين فيها و مد ته معلومة عندنا ثم تعمه رحمة الله و هو في جهنم فيجعل الله له فيها نعيما بحيث إنه يتألم بنظره إلى الجنة كما يتألم أهل الجنة بنظرهم إلى النا ر فهؤلاء إن كا ن لهم علم بوجود الله و قد دخلهم شبهة في توحيد الله أو في علم مما يتعلق بجناب الله حيرته أو صرفته إلى نقيض ما كا ن يعتقد ه فإنه يوم القيامة إذا تبين له أن ذلك كا ن علما في نفس الأمر لا ينفعه ذلك التبين كما لم ينفع الايما ن في الدنيا عند رؤية البأس فذلك العلم هو الذي يخلع على المؤمن الذي لم يكن له علم بإله له من الموحدين المؤمنين و يؤخذ جهل ذلك المؤمن الموحد و يلقي على هذا الذي هو من أهل النا ر فيتنعم في النا ر بذلك الجهل كما كا ن يتنعم به المؤمن الجاهل في الدنيا و يتنعم المؤمن بذلك العلم الذي خلع عليه الذي كا ن لهذا العالم بوجود الله لا بتوحيده و إنه لما وحده قدحت له شبهة في توحيده و علمه با لله حيرته و صرفته و هذا آخر المدد لأصحاب الآلام في النا ر و بعد انقضاء هذا الأجل فنعيم بكل وجه أينما تولى و لا فرق بينه و بين عما ر جهنم من الخزنة و الحيوانات فهي تلدغه لما للحية و العقرب في ذلك اللدغ من النعيم و الراحة و الملدوغ يجد لذلك اللدغ لذة و استرقادا في الأعضاء و خد را في الجوارح يلتذ بذلك التذاذا هكذا دائما أبدا فإن الرحمة سبقت الغضب فما دام الحق منعوتا بالغضب فالآلام باقية على أهل جهنم الذين هم أهلها فإذا زال الغضب الإلهي كما قدمنا و امتلأ به النا ر ارتفعت الآلام و انتشر ذلك الغضب فيما في النا ر من الحيوانات المضرة فهي تقصد راحتها بما يكون منها في حق أهل النا ر و يجد أهل النا ر من اللذة ما تجده تلك الحية من الانتقام لله لأجل ذلك الغضب الإلهي الذي في النا ر و كذلك النا ر و لا تعلم النا ر و لا من فيها إن أهلها يجدون لذة لذلك لأنهم لا يعلمون متى أعقبتهم الراحة و حكمت فيهم الرحمة و هذا الصراط الذي تكلمنا فيه هو الذي يقول فيه أهل الله إن الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق و كل نفس إنما يخرج من القلب بما هو عليه القلب من الاعتقاد في الله فالاعتقاد العام وجوده فمن جعله الدهر فوصوله إلى الله من اسمه الدهر فإن الله هو الجامع للأسماء المتقابلة و غير المتقابلة و قد قدمنا إنه سبحانه تسمى بكل اسم يفتقر إليه في قوله عز و جل في الكتاب العزيز يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ و إن أنكر ذلك فما أنكره الله و لا الحال و كذلك من اعتقد أنه الطبيعة فإنه يتجلى له في الطبيعة و من اعتقد أنه كذا كا ن ما كا ن فإنه يتجلى له في صورة اعتقاده و تجري الأحكام كما ذكرنا من غير مزيد فافهم و أما صراط العزة و هو قوله تعالى إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ فاعلم أن هذا صراط التنزيه فلا يناله ذوقا إلا من نزه نفسه أن يكون ربا أو سيدا من وجه ما أو من كل وجه و هذا عزيز فإن الإنسا ن يغفل و يسهو و ينسى و يقول أنا و يرى لنفسه مرتبة سيادة في وقت غفلته على غيره من العباد فإذ و لا بد من هذا فليجتهد أن يكون عند الموت عبدا محضا ليس فيه شيء من السيادة على أحد من المخلوقين و يرى نفسه فقيرة إلى كل شيء من العالم من حيث إنه عين الحق من خلف حجاب الاسم الذي قال الله فيه لمن لا علم له بالأمر قُلْ سَمُّوهُمْ و لما كا ن الإنسا ن فقيرا بالذات احتجب الله له بالأسباب و جعل نظر هذا العبد إليها و هو

من ورائها فأثبتها عينا و نفاها حكما مثل قوله تعالى لمحمد ص وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى ثم أعقب هذه الآية بقوله وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً فجعل ذلك بلاء أي اختبارا و هذا الصراط العزيز الذي ليس لمخلوق قدم في العلم به فإنه صراط الله الذي عليه ينزل إلى خلقنا و عليه يكون معنا أينما كنا و عليه نزل من العرش إلى السماء الدنيا و إلى الأرض و هو قولهوَ هُوَ اللهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ و عليه يقرب من عبده أضعاف ما يتقرب إليه عبده إذا سعى إليه بالطريق التي شرع له فهو يهرول إليه إذا رآه مقبلا ليستقبله تهمما بعبده و إكراما له و لكن على صراط العزة و هو صراط نزول لا عروج لمخلوق فيه و لو كان لمخلوق فيه سلوك ما كان عزيزا و ما نزل إلينا إلا بنا فالصفة لنا لا له فنحن عين ذلك الصراط و لذلك نعته بالحميد أي بالحامد المحمود لأن فعيل إذا ورد يطلب اسم الفاعل و المفعول فأما إن يعطي الأمرين معا مثل هذا و إما أن يعطي الأمر الواحد لقرينة حال و قد أثنى على نفسه فهو الحامد المحمود و أعظم ثناء أثنى به على نفسه عندنا كونه خلق آدم على صورته و سماه بأمهات الأسماء التي يدخل كل اسم تحت إحاطتها و لذلك قال ص أنت كما أثنيت على نفسك فأضاف النفس الكاملة إليه إضافة ملك و تشريف لما قال من عرف نفسه عرف ربه فكل ثناء أثنى الله به على الإنسان الكامل الذي هو نفسه لكونه أوجده على صورته كان ذلك الثناء عين الثناء على الله بشهادة رسول الله ص و تعريفه إيانا فيقوله ص أنت كما أثنيت على نفسك أي كل ما أثنيت به على من خلقته على صورتك هو ثناؤك عليك و لما كان الإنسان الكامل صراط العزيز الحميد لم يكن للصراط أن يسلك فيه و لا يتصف الصراط بالسلوك فلهذا سماه بالعزيز أي ذلك ممنوع لنفسه فالحق سبحانه يختص بالنزول فيه كما أخبر عن نفسه من النزول و الهرولة و العبد العارف على الحقيقة ما يسلك إلا في الله فالله صراطه و ذلك شرعه

فهو صراطي و أنا صراطه … به رباطي و بنا رباطه

محكم محقق مناطه … فانظر مقالي فهو قول صادق

حواه قلبي فإنا فسطاطه … فهو حبيبي و أنا به فقد

لقربه فقد طوى بساطه … عز فما تدركه أبصارنا

هذا و ما قد قلته استنباطه … فبعده لقربه ليس سوى

فهو على صراط عزيز لأنه الخالق فلا قدم لمخلوق فيه أروني ما ذا خلق الذين من دونه لا يجدونه أصلا لا علما و لا عينا بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ لأنه كل ما علم فقد بان و الله تعالى أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود فكنا نورا بإذن ربنا إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة و لهذا إذا سمعناه يثني على نفسه فنرى ذلك في نفوسنا و إذا أثنى علينا فنرى ما أثنى به علينا هو ثناؤه على نفسه ثم ميزنا عنه و ميز نفسه

عنا ب لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و بما علم و جهلناه و بما نحن عليه من الذلة و يتعالى عن هذا الوصف في نفسه فنقول نحن هو ما نحن هو بعد ما قلنا إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور هو هو و نحن نحن فتميزنا فلما جاء بالثناء بعد وجودنا ثناء منه على نفسه و علينا و كلفنا بالثناء عليه أوقفنا في الحيرة فإن أثنينا عليه بنا فقد قيدناه و إن أطلقناه كما قال لا أحصي ثناء عليك فقد قيدناه بالإطلاق فميزناه و من تقيد فلا يوصف بالغنى فإن التقييد يربطه إذ قد أدرك المحدث إطلاقه تعالى و قد قال عن نفسه إنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فحيرنا فلا ندري ما هو و لا ما نحن فما أظن و الله أعلم أنه أمرنا بمعرفته و أحالنا على نفوسنا في تحصيلها إلا لعلمه أنا لا ندرك و لا نعلم حقيقة نفوسنا و نعجز عن معرفتنا بنا فنعلم أنا به أعجز فيكون ذلك معرفة به لا معرفة

فإنه ظاهر مبين و غير هذا فلا يكون

علما و قد جاءك اليقين فاصغ إلى قولنا تجده

فالجهل صفة ذاتية للعبد و العالم كله عبد و العلم صفة ذاتية لله فخذ مجموع ما أشرت إليه في هذا تجده الصراط العزيز و أما صراط ربك فقد أشار إليه تعالى بقوله فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ يقول كأنما يخرج عن طبعه و الشيء لا يخرج عن حقيقته كَذلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ و هذا فأشار إلى ما تقدم ذكره صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً و ما ذكر إلا إرادته للشرح و الضيق فلا بد منهما في العالم لأنه ما يكون إلا ما يريد و قد وجد ثم وصف نفسه يعني بالغضب و الرضاء و التردد و الكراهة ثم أوجب فقال و مع الكراهة فلا بد له من لقائي فهذا عين قوله كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ فهو كالجبر في الاختيار فمن ارتفع عنه أحد الوصفين من عباد الله فليس بكامل أصلا و لذا قال في حق الكامل وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ فَاصْبِرْ و هو الصبور على أذى خلقه و سمي هذا الصراط صراط الرب لاستدعائه المربوب و جعله مستقيما فمن خرج عنه فقد انحرف و خرج عن الاستقامة و لهذا شرع لنا الود في الله و البغض في الله و جعل ذلك من العمل المختص له ليس للعبد فيه حظ إلا ما يعطيه الله من الجزاء عليه و هو أن يعادي الله من عادى أولياءه و يوالي من والاهم فالسالك على صراط الرب هو القائم بالصفتين و لكن بالحق المشروع له لله لا لنفسه فإن الله لا يقوم لأحد من عباده إلا لمن قام له و لهذا قال وَ لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ و حق الله أحق بالقضاء من حق المخلوق إذا اجتمعا فإنه ليس لمخلوق حق إلا بجعل الله فإذا تعين الحقان في وقت ما بدأ العبد الموفق بقضاء حق الله الذي هو له ثم أخذ في أداء حق المخلوق الذي أوجبه الله و هذا خلاف ما عليه اليوم الفقهاء في الوصية و الدين فإن الله تعالى قدم الوصية على الدين و الوصية حق الله و قال ص حق الله أحق أن يقضى فمن سامح في حق الله عاد عليه عمله فيسامح في حقه فإن تكلم قيل له كذلك فعلت فأجن ثمرة غرسك و صراط الرب لا يكون إلا مع التكليف فإذا ارتفع التكليف لم يبق لهذا الصراط عين وجودية و

لهذا يكون المآل إلى الرحمة و أزاله حكم الغضب الإلهي في العاصين و قول هود ع إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يعني فيما شرع مع كونه تعالى آخذا بنواصي عباده إلى ما أراد وقوعه منهم و عقوبته إياهم مع هذا الجبر فاجعل بالك و تأدب و اسلك سواء السبيل و أما صراط المنعم و هو صراط الذين أنعم الله عليهم و هو قوله تعالى شَرَعَ لَكُمْ من الدِّينِ ما وَصَّى به نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا به إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى و ذكر الأنبياء و الرسل ثم قال أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و هذا هو الصراط الجامع لكل نبي و رسول و هو إقامة الدين و أن لا يتفرق فيه و أن يجتمع عليه و هو الذي بوب عليه البخاري باب ما جاء أن الأنبياء دينهم واحد و جاء بالألف و اللام في الدين للتعريف لأنه كله من عند الله و إن اختلفت بعض أحكامه فالكل مأمور بإقامته و الاجتماع عليه و هو المنهاج الذي اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيه من الأحكام فهو الشرعة التي جعل الله لكل واحد من الرسل قال تعالى لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً فلم تختلف شرائعكم كما لم يختلف منها ما أمرتم بالاجتماع فيه و إقامته فلما كان الاختلاف منه و هو أهل العدل و الإحسان و كان في الناس الدعوى في نسبة أفعالهم إليهم و اختيارهم فيما اختاروه و لم يسندوا الأمر إلى أهله و إلى من يستحقه نزل الحكم الإلهي على الرسل بكون هذا سيئا و هذا حسنا و هذا طاعة و هذا معصية و نزل الحكم الإلهي على العقول بأن هذا في حق من لا يلائم طبعه و مزاجه أو يوافق غرضه حسن و هذا الذي لا يوافق غرضه و لا يلائم طبعه و مزاجه ليس بحسن و لم يسندوا الأمر إلى عين واحدة فجوزوا بما جوزوا لهذا الأمر فعدل فيما حكم به من الجزاء بالسوء و أحسن بعد الحكم و نفوذه بما آل إليه عباده من الرحمة و رفع الأمور الشاقة عليهم و هي الآلام فعمت رحمته كل شيء و أما الصراط الخاص و هو صراط النبي ص الذي اختص به دون الجماعة و هو القرآن حبل الله المتين و شرعه الجامع و هو قوله وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ يعني هذا الصراط المضاف إليه و ذلك أن محمدا ص كان نبيا و آدم بين الماء و الطين و هو سيد الناس يوم القيامة بإخباره إيانا بالوحي الذي أوحى به إليه و بعثه العامة إشعارا بأن جميع ما تقدمه من الشرائع بالزمان إنما هو من شرعه فنسخ ببعثته منها ما نسخ و أبقى منها ما أبقى كما نسخ ما قد كان أثبته حكما و من ذلك كونه أوتي جوامع الكلم و العالم كلمات الله فقد آتاه الله الحكم في كلماته و عم و ختم به الرسالة و النبوة كما بدأ به باطنا ختم به ظاهرا فله الأمر النبوي من قبل و من بعد فورثته الذين لهم الاجتهاد في نصب الأحكام بمنزلة الرسل الذين كانوا قبله بالزمان فمن ورث محمدا ص في جمعيته فكان له من الله تعريف بالحكم و هو مقام أعلى من الاجتهاد و هو أن يعطيه الله بالتعريف الإلهي أن حكم الله الذي جاء به رسول الله ص في هذه المسألة هو كذا فيكون في ذلك الحكم بمنزلة من سمعه من رسول الله ص و إذا جاءه الحديث عن رسول الله ص رجع إلى الله فيه فيعرف صحة الحديث من سقمه سواء كان الحديث عند أهل النقل من الصحيح أو مما تكلم فيه فإذا عرف فقد أخذ حكمه من الأصل و قد أخبر أبو يزيد بهذا المقام أعني الأخذ عن الله عن نفسه أنه ناله فقال فيما روينا عنه يخاطب علماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن

ميت و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت و لنا بحمد الله في هذا المقام ذوق شريف فيما تعبدنا به الشرع من الأحكام و هذا مما بقي لهذه الأمة من الوحي و هو التعريف لا التشريع و أما أهل الاجتهاد فأحكامهم تشريع الشرع إذا أخطئوا فإن رسول الله ص هو المقرر لذلك الحكم فما هو تشريع لهم و إنما هو تشريع رسول الله ص و إذا أصاب المجتهد فهو صاحب نقل شرع كل ذلك في نفس الأمر فإن المخطئ من المجتهدين و المصيب واحد لا بعينه لكن المصيب في نفس الأمر ناقل و المخطئ في نفس الأمر مقرر حكم مجهول لم يعلم إلا عند نظر هذا المجتهد فهو معلوم عند الله قبل كونه فما قرر الشارع و هو الرسول إلا الحكم المعين المعلوم عند الله و ما هو عنده بمعلوم على التفصيل و التعيين فكان حكم المجتهد المخطئ تشريعا للتشريع و أهل الله ما لهم حكم في الشرع إلا ما هو المحكوم به على التعيين عند رسول الله ص و هم الورثة على الحقيقة فإن الوارث لا يرث إلا ما كان ملكا للموروث عنه إذا مات عنه و حكم المجتهد المخطئ ما هو ملك له عينه حتى يورث عنه فليس بوارث لأن ما عنده سوى تقرير ما أداه إليه نظره ذلك أباحه له رسول الله ص فهو كالعصبة لا نصيب لهم في الميراث على التعيين إنما لهم ما بقي بعد إلحاق الفرائض بأهلها و كوريث أولي الأرحام و المسلمين بعد أخذ الفرائض فإن مات عن غير صاحب فريضة كرسول و نبي مات و ما اتبعه واحد فيحشر مفردا فقد يرثه في خلقه أو في حاله لا في حكمه من هذه الأمة من صادف ذلك الحال أو الحكم و أما الايمان به و قد آمن به كل من آمن بمحمد ص فأمة محمد ص المؤمنون به أتباع كل نبي و كل كتاب و كل صحيفة جاء أو نزل من عند الله في الايمان به لا بالعمل بالحكم فما بقي نبي إلا و قد أومن به فالنبي محمد ص له الإمامة و التقدم و جميع الرسل و الأنبياء خلفه في صف و نحن خلف الرسل و خلف محمد و من الرسل من يكون له صورتان في الحشر صورة معنا و صورة مع الرسل كعيسى و جميع الأمم خلفنا غير إن لنا صورتين صورة في صف الرسل ع و ليست إلا لعلماء هذه الأمة و صورة خلف الرسل من حيث الايمان بهم و كذلك سائر الأمم لهم صورتان صورة يكونون بها خلفنا و صورة يكونون بها خلف رسلهم فوقتا يقع نظر الناظر على صورهم خلفنا و وقتا خلف رسلهم و وقتا على المجموع فهذه أحوال العلماء في الآخرة في حشرهم و أما ورثة الأفعال فهم الذين اتبعوا رسول الله ص في كل فعل كان عليه و هيأة مما أبيح لنا اتباعه حتى في عدد نكاحه و في أكله و شربه و جميع ما ينسب إليه من الأفعال التي أقامه الله فيها من أوراد و تسبيح و صلاة لا ينقص من ذلك فإن زاد عليها بعد تحصيلها فما زاد عليها إلا من حكم قوله ص فهذه وراثة أفعاله و أما وراثة أحواله فهو ذوق ما كان يجده في نفسه في مثل الوحي بالملك فيجد الوارث ذلك في اللمة الملكية و من الملك الذي يسدده و من الوجه الخاص الإلهي بارتفاع الوسائط و أن يكون الحق عين قوله و أن يقرأ القرآن منزلا عليه يجد لذة الإنزال ذوقا على قلبه عند قراءته فإن للقرآن عند قراءة كل قارئ في نفسه أو بلسانه تنزلا إلهيا لا بد منه فهو محدث التنزل و الإتيان عند قراءة كل قارئ أي قارئ كان غير إن الوارث بالحال يحس بالإنزال و يلتذ به التذاذا خاصا لا يجده إلا أمثاله فذلك صاحب ميراث الحال و قد ذقناه حالا بحمد الله و هو الذي قال فيه أبو يزيد لم أمت حتى استظهرت القرآن و هو وجود لذة

الإنزال من الغيب على القلوب و ما عدا هؤلاء فإنما يقرءون القرآن من خيالهم فهم يتخيلون صور حروفه المرقومة إن كان حفظ القرآن من المصاحف و الألواح أو يتخيلون صور حروف ما تلقونه من معلمهم هذا إذا كانوا عاملين به و أما إذا قرءوه من غير إخلاص فيه فلا يتجاوز حناجرهم أي لا يقبل الله منه شيئا فيبقى في محل تلاوته و هو مخرج الصوت فلا يقرأ القرآن من قلبه إلا صاحب التنزل و هو الذوق الميراثي فمن وجد ذلك فهو صاحبه يعرف ذلك عند وجوده إياه فلا يحتاج فيه إلى معرف فإنه يفرق عند ذلك بين قراءته من خياله و بين قراءته عن تنزيل ربه مشاهدة و ما ثم أمر آخر لنبي أو رسول يقع فيه ميراث إنما هو قول أو فعل أو حال فالوارث الكامل من جمع و الوارث الناقص من اقتصر على بعض هذه المراتب و اعلم أن هذا المنزل هو منزل من اتصف بالخلة من الأنبياء ع فمن حصل له حصر له نصيب من الخلة الإلهية و ضرب له فيها بسهم و الكلام فيها طويل لا يفي الوقت بتفصيلهفلنذكر ما فيه من العلوم كسائر المنازل فنقول فيه علم رحمة الخلان و الفرق بينها و بين رحمة المحبوبين و الأبناء و الآباء و المستلذات كلها و فيه علم حلاوة التنزل و أين يحس بها من نفسه من ينزل عليه القرآن جديدا عند تلاوته و فيه علم الأغيار و الأسرار و الأنوار و الهداية و أنواع المحامد و المراتب الخاصة بكل نفس مما لا يقع لأحد معه فيها اشتراك و ذلك إنا نعلم أنه لكل نفس صفة أو حقيقة تختص بها و تتميز بها عن كل شيء في العالم لا بد من ذلك فإذا جاءها الأمر الإلهي من طريق تلك الحقيقة الخاصة فإن ذوقه ذلك مقصور عليها و هذا أدنى حظ النفس من مقام العزة الإلهية فإنه لكل نفس و إن لم تشعر به و هو كفعل الأمور الطبيعية بالخاصية كالمغناطيس و أشباهه غير أن الخاصية في الأمور الطبيعية على نوعين بالإفراد و بالمجموع و في المزاج الخاص فإن الخواص الطبيعية ما تسري في كل مزاج و لا في كل صورة و خاصية أهل الله إذا وقفوا عليها ذوقا من أنفسهم سرى حكمها في كل ما في العالم و فيه علم الملكوت و المشاهدة و رؤية المعدوم في حال عدمه من غير تخيل و لا تمثل و لا بإدراك خيال بل بالبصر الحسي و فيه علم أسباب التحير و الحيرة و فيه علم ما يعلم الإنسان إلا ما يعطيه استعداده إذا استعمله أو فجأه لا يقبل فوق ذلك فإنه ليست له قوة القبول و فيه علم الرسل و الرسالة و فيه علم إن الإنسان عالم بالذات إلا أنه ينسى فكل علم يحصل له إنما هو تذكر و لا يشعر به أنه تذكر إلا أهل الله و فيه علم البلايا و النعم و فيه علم الفرقان في التعريف بين التقرير و التوبيخ و ما يكون على طريق المنة أو المطالبة و فيه علم صفات التنزيه في الأفعال و أن كل طلب في العالم أو من كل طالب إنما هو طلب ذاتي ما ثم طلب عارض لا يكون بالذات هذا لا يكون و إنما يعرض للشخص أمر ما لم يكن عنده فهذا الأمر الذي حصل عنده هو الذي يكون له الطلب الذاتي للمطلوب و انحجب الناس بمن قام به ذلك الأمر العارض و هو الذي يسمونه طالبا و ليس الطالب إلا ذلك الأمر فالطلب له ذاتي و الشخص الذي قام به هذا الأمر مستخدم له إذ قد كان موجودا و هو فاقد لهذا الطلب فعلمنا أنه طلب مستخدم في أمر ما أوجب عليه هذا الأمر الذي حل به فالطلب ذاتي لذلك الأمر و قد استخدم في تحصيله هذا الشخص الذي نزل به و لا شعور للناس بذلك و فيه علم النظر و التفكر و الاعتبار و أن العالم بعضه

لبعض عبرة و فيه علم ما يختص به الله من العلوم المتفرقة في العالم و ذلك جمعيتها لا يعلم ذلك إلا الله هذا فيما دخل في الوجود منه مع علمه بما لم يدخل في الوجود و لا اتصف بالعلم به مخلوق فله من علم الدنيا علم الجمعية بما أضيف إليه من علم الأخرى و لا بد من ذلك و فيه علم الاستدلال بالمحدث على القديم و ما يحصل في النفس من ذلك فإن القديم لا يحصل في النفس و إن حصل المحدث فما هو المطلوب و كل ما حصل محدث و فيه علم ما يكون التوكل فيه شكر الله تعالى و فيه علم من قام به معنى أوجب له اسما يستحقه و من هنا تعرف أسماء الله الحسنى من أسمائه فإن أسماء الله في الكون عن آثار هذه النفوس و أسماء الكون عن المعاني القائمة به فالحق منزه في أسمائه واحد العين و الكون متكثر بأسمائه لقيام المعاني به التي أوجبت له الأسماء و فيه علم أسباب الميراث و فيه علم من ظفر و من خاب و الكل طالب و فيه علم مشاهدة الموت مع كونه نسبة عدمية و فيمن يحكم و أنه لا حكم للموت فيمن لا تركيب فيه و كل مركب بالوضع فإنه يقبل الموت فإن لم يمت فذلك لأمر آخر اقتضته المشيئة الإلهية و قد يجعل له سببا ظاهرا أو معلوما و قد لا يكون إلا حكم عين المشيئة خاصة و فيه علم الحكم على الله بما يقتضيه من حيث ما هو ممكن لا بما هو الله عليه و قد ورد في القرآن من ذلك كثير و لكن لا يعلم معنى ذلك إلا العلماء بما تعطيه حقائق الموجودات و العالمون بماهية الأشياء و فيه علم يوم القيامة و الحشر و النشر و ما يختص به ذلك اليوم من الحكم و من هو الحاكم فيه و مراتب المتصرفين فيه و فيه علم الأمر المقتضي في ذلك اليوم ما هو و فيه علم تشبيه الإنسان بالنبات من حيث ما هو شجر لا من حيث ما هو نجم و من هنا نهى أن يقرب الشجرة آدم فهو تنبيه على نهيه أن يقرب أغراض نفسه و هواها و هو قوله وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى و هو إرادة النفس ما لم يشرع لها العمل به أو تركه و فيه علم التمكين و الثبات على علم ما تعطيه الحقائق في القول و الفعل و فيه علم ما يحمد من التبديل و التلوين و ما يذم و فيه علم الإمهال و الإهمال المقصود و فيه علم حكمة التسخير الكوني و الإلهي و فيه علم أفراد ذات الحق بالألوهة و فيه علم الاقتداء و بمن ينبغي أن يقتدي و فيه علم تقييد الثناء بالحال و إطلاقه بالقول و فيه علم ما يظهر في الوجود إنه معلوم و ظاهر عن علم متعلق به أوجب له ذلك الظهور و فيه علم كون الإنسان مع علمه أن الله لا يتقيد بالجهات و هو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيدِ و هو مع هذا كله يتوهم فيه جهة الفوق و التحديد لا تعطيه نشأته أن يخلو عن حكم الوهم على عقله فيعقل حقيقة الأمر مع حكم وهمه من غير تأخر فيجمع في الآن بين حكم العقل و الوهم كما جمع بين الأمور التي كان بها إنسانا كذلك يجمع بين أحكامها و فيه علم مراتب القرآن في الناس فيكون في حكم طائفة على غير حكمه في طائفة أخرى فهذا بعض ما يحوي عليه هذا المنزل من العلوم مجملا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الأحد و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل سر و ثلاثة أسرار لوحية أمية محمدية)

أو فتى ذا كرم نسترفده لو وجدنا ملكا نستعبده

و اتخذناه إماما نقصده | لبذلنا مهج النفس له
و الذي قام بهم لا أجحده | إنما الخلق عيال كله
فالتفت رمزي ترى ما أقصده | و كما قام بهم قاموا به
و بهذا القدر كنا نعبده | و كما كنا به كان بنا
و إذا ما لم يكن لا أشهده | و إذا لم يك عيني لم يكن
إذ تعالى و تعالى مشهده | فغناه غير معلوم لنا
والد الكون و كوني ولده | إنما الحق الذي أعرفه

قوله وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ اعلم أن الله هو اللطيف الخبير العلي القدير الحكيم العليم الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فنزه و شبه فتخيل من لا علم له أنه شبه لكن الفظ المشترك هو الذي ضمن لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ مرجع الدرك و لما خلق الله الأشياء و ذكر أن لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ وضع الأسباب و جعلها له كالحجاب فهي توصل إليه تعالى كل من علمها حجابا و هي تصد عنه كل من اتخذها أربابا فذكرت الأسباب في إنبائها إن الله من ورائها و إنها غير متصلة بخالقها فإن الصنعة لا تعلم صانعها و لا منفصلة عن رازقها فإنها عنه تأخذ مضارها و منافعها فخلق الأرواح و الأملاك و رفع السموات قبة فوق قبة على عمد الإنسان و أدار الأفلاك و دحا الأرض ليميز بين الرفع و الخفض و عين الدنيا طريقا للآخرة و أرسل بذلك رسله تترى لما خلق في العقول من العجز و القصور عن معرفة ما خلق الله من أجرام العالم و أرواحه و لطائفه و كثائفه فإن الوضع و الترتيب ليس العلم به من حظ الفكر بل هو موقوف على خبر الفاعل لها و المنشئ لصورها و متعلق علم العقل من طريق الفكر إمكان ذلك خاصة لا ترتيبه فإن الترتيب لا يعرف إلا بالشهود في الأشخاص حتى يقول هذا فوق هذا و هذا تحت هذا و هذا قبل هذا و هذا بعد هذا و العقل يحكم بالإمكان في ذلك كله ثم إن الله تعالى قدر في العالم العلوي المقادير و الأوزان و الحركات و السكون في الحال و المحل و المكان و المتمكن فخلق السموات و جعلها كالقباب على الأرض قبة فوق قبة على الأرض كما سنوقفك في هذا الباب على شكل وضع عالم الأجرام و جعل هذه السموات ساكنة و خلق فيها نجوما جعل لها في سيرها و سباحتها في هذه السموات حركات مقدرة لا تزيد و لا تنقص و جعلها عاقلة سامعة مطيعة وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها ثم إن الله لما جعل السباحة للنجوم في هذه السموات حدثت لسيرها طرق لكل كوكب طريق و هو قوله وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ فسميت تلك الطرق أفلاكا فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب و هي سريعة السير في جرم السماء الذي هو مساحتها فتخترق الهواء المماس لها فيحدث لسيرها أصوات و نغمات مطربة لكون

سيرها على وزن معلوم فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماوية فهي تجري في هذه الطرق بعادة مستمرة قد علم بالرصد مقادير تلك الحركات و دخول بعضها على بعض في السير و جعل سيرها للناظر بين بطء و سرعة و جعل لها تقدما و تأخرا في أماكن معلومة من السماء تعين تلك الأماكن أجرام الكواكب فإن أجرام السموات متماثلة الأجزاء فلولا إضاءة الكواكب ما عرف تقدمها و لا تأخرها و هي التي يدركها البصر و يدرك سيرها و رجوعها فجعل أصحاب علم الهيئة للأفلاك ترتيبا جائزا ممكنا في حكم العقل أعطاهم علم ذلك رصد الكواكب و سيرها و تقدمها و تأخرها و بطئها و سرعتها و أضافوا ذلك إلى الأفلاك الدائرة بها و جعلوا الكواكب في السموات كالشامات على سطح جسم الإنسان أو كالبرص لبياضها و كل ما قالوه يعطي ميزان حركاتها و إن الله تعالى لو فعل ذلك كما ذكروه لكان السير السير بعينه و لذلك يصيبون في علم الكسوفات و دخول الأفلاك بعضها على بعض و كذلك الطرق يدخل بعضها على بعض في المحل الذي يحدث فيه سير السالكين فهم مصيبون في الأوزان مخطئون في إن الأمر كما رتبوه و أن السموات كالأكر و أن الأرض في جوف هذه الأكر و جعل الله لهذه الكواكب و لبعضها وقوفا معلوما مقدرا في أزمان مخصوصة لم يخرج الله العادة فيها ليعلم صاحب الرصد بعض ما أوحى الله من أمره في السماء و ذلك كله ترتيب وضعي يجوز في الإمكان خلافه مع هذه الأوزان و ليس الأمر في ذلك إلا على ما ذكرناه شهودا و كشفا ثم إن الله تعالى يحدث عند هذه الحركات الكوكبية في هذه الطرق السماوية في عالم الأركان و في المولدات أمورا مما أوحى في أمر السماء و جعل ذلك عادة مستمرة ابتلاء من الله ابتلى بها عباده فمن الناس من جعل ذلك الأثر عند هذا السير لله تعالى و من الناس من جعل ذلك لحركة الكوكب و شعاعه لما رأى أن عالم الأركان مطارح شعاعات الكواكب فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بالله فَزادَتْهُمْ إِيماناً بالله و أما الذين آمنوا بالباطل فزادتهم إيمانا بالباطل و كفروا بالله و هم الخاسرون الذين فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ ثم إن الله تعالى وكل ملائكة بالأرحام عند مساقط النطف فيقلبون النطف من حال إلى حال كما قد شرع لهم الله و قدر ذلك التنقل بالأشهر و هو قوله تعالى وَما تَغِيضُ الْأَرْحامُ أي ما تنقص عن العدد المعتاد وَما تَزْدادُ على العدد المعتاد وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ فهو سبحانه يعلم شخصية كل شخص و شخصية فعله و حركاته و سكونه و ربط ذلك بالحركات الكوكبية العلوية فنسب من نسب الآثار لها و جعله الله عندها لا لها فلا يعلم ما في الأرحام و لا ما تخلق مما لم يتخلق من النطف على قدر معلوم إلا الله تعالى و من أعلمه الله تعالى من الملائكة الموكلة بالأرحام و لهذا تكون الحركة الكوكبية العلوية واحدة و يحدث عندها في الأركان و المولدات أمور مختلفة لا تنحصر و لا يبلغها نظر في جزئيات أشخاص العالم العنصري لأن الله قد وضعه على أمزجة مختلفة و إن كان عن أصل واحد كما نعلم أن الله خلق الناس من نفس واحدة و هو آدم و جعلنا مختلفين في عقولنا متفاوتين في نظرنا و الأصل واحد و منا الطيب و الخبيث و الأبيض و الأسود و ما بينهما و الواسع الخلق و الضيق الخلق الحرج

فالأصل فرد و الفروع كثيرة　　　فالحق أصل و الكيان فروع

و ما خلق الله العالم الخارج عن الإنسان إلا ضرب مثال للإنسان ليعلم أن كل ما ظهر في العالم هو فيه و الإنسان هو العين المقصودة فهو مجموع الحكم و من أجله خلقت الجنة و النار و الدنيا و الآخرة و الأحوال كلها و الكيفيات و فيه ظهر مجموع الأسماء الإلهية و آثارها فهو المنعم و المعذب و المرحوم و المعاقب ثم جعل له أن يعذب و ينعم و يرحم و يعاقب و هو المكلف المختار و هو المجبور في اختياره و له يتجلى الحق بالحكم و القضاء و الفصل و عليه مدار العالم كله و من أجله كانت القيامة و به أخذ الجان و له سخر ما في السماوات و ما في الأرض ففي حاجته يتحرك العالم كله علوا و سفلا دنيا و آخرة و جعل نوع هذا الإنسان متفاوت الدرجات فسخر بعضه لبعضه و سخره لبعض العالم ليعود نفع ذلك عليه فما سخر إلا في حق نفسه و انتفع ذلك الآخر بالعرض و ما خص أحدا من خلق الله بالخلافة إلا هذا النوع الإنساني و ملكه أزمة المنع و العطاء فالسعداء خلفاء و نواب و من دون السعداء فنواب لا خلفاء ينوبون عن أسماء الله في ظهور حكم آثارها في العالم على أيديهم فهم خلفاء في الباطن نواب في الظاهر فالنائب هو الظاهر بالليل لأنه نائب لا خليفة إلهي بوضع شرعي و مستتر بالنهار فيعلم من حكمة تغير الحكم المشروع أن الشرع الإرادي في جوره مستور و لما كان الحكام في الخلق خلفاء و نوابا كما قررناه بين الله بما شرعه الحق من الباطل و ما ينفع مما يضر

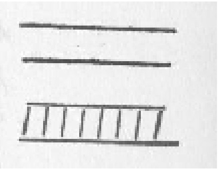

من الأفعال الظاهرة و الباطنة و قسم العمل بين الجوارح و القلب فجعل الله القلوب محلا للحق و الباطل و الايمان و الكفر و العلم و الجهل إلى اضمحلال و زوال لأنه حكم لا عين له في الوجود فهو عدم له حكم ظاهر و صورة معلومة فيطلب ذلك الحكم و تلك الصورة أمرا وجوديا يستندان إليه فلا يجدانه فيضمحلان و ينعدمان فلهذا يكون المآل إلى السعادة و الايمان و الحق و العلم يستندون إلى أمر وجودي في العين و هو الله عز و جل فيثبت حكمهم في العين أي في عين المحكوم عليه بهم لأن الذي يحفظ وجود هذا الحكم هو موجود بل هو عين الوجود و هو الله المسمى بهذه الأسماء المنعوت بهذه النعوت فهو الحق العالم المؤمن فيستند الايمان للمؤمن و العلم إلى العالم و الحق إلى الحق و الله تعالى ما تسمى بالباطل لوجوده و لا بالجاهل و الكافر تعالى الله عن هذه الأسماء علوا كبيرا فنزلت الكتب الإلهية و الصحف على قلوب المؤمنين الخلفاء و الرعايا و الورثة فسرت منفعتها في كل قلب كان محلا لكل طيب و أما الأمور العوارض التي ليست منزلة عن أمر إلهي مشروع فهي أهواء عرضت للنواب و الرعايا تسمى جورا و العوارض لا ثبات لها فيزول حكمها بزوالها إذا زال و العين الذي كان قبلها و اتصف بها موجود و لا بد له من حال يتصف به و قد زال عنه الشقاء لزوال موجبة إذ كان الموجب عارضا عرض فلا بد من نقيضه و هو المسمى سعادة و من دخل النار منهم فما دخلها إلا لتنفى عنه خبثه و تبقي طيبه فإذا ذهب الخبث و بقي الطيب فذلك المعبر عنه بالسعيد الذي كان سعده مستهلكا في خبثه هكذا هو الأمر في نفسه و لا يعلم قدر ما قررناه إلا ذو عينين لا ذو عين واحدة و من وقف بين النجدين فرأى غاية كل طريق

فسلك طريق سعادته التي لا يتقدمها شقاء فإنها طريق سهلة بيضاء مثلي نقية لا شوب فيها و لا عوجا و لا أمتا و الطريق الأخرى و إن كانت غايتها سعادة و لكن في الطريق مفاوز و مهالك و سباع عادية و حيات مضرة فلا يصل مخلوق إلى غايتها حتى يقاسي هذه الأهوال و الطريقان متجاوران ينبعثان من أصل واحد و ينتهيان إلى أصل واحد و يفترقان ما بين الأصلين ما بين البداية و الغاية و صورتهما في الهامش كما تراه فيشاهد صاحب المحجة البيضاء ما في طريق صاحبه لأنه بصير و صاحبه أعمى فليس يرى الأعمى طريق البصير فيطرأ على البصير من مشاهدة تلك الآفات التي في طريق الأعمى مخاوف لما يرى من الأهوال و يتوهم في نفسه لو كان فيها ما كان يقاسيه و يرى الأعمى ليس عنده خبر من هذا كله لما هو عليه من العمي فلا يبصر شيئًا فيسير ملتذا بسيره حتى يتردى في حفرة أو تلدغه حية من تلك الحيات فحينئذ يحس بالألم و يستغيث بصاحبه فمن الأصحاب من يغيثه و من الأصحاب من يكون قد سبقه فلا يسمعه فيبقى مضطرا ما شاء الله فيرحمه الله فيسعده و الحيوان بما هو حيوان يحس بالألم و اللذة و بما هو عاقل و هو الإنسان يعلم السبب المؤلم و السبب الملذ ذوقا من العادة حتى إن جماعة غلطت في ذلك فجعلوا الألم للسبب المؤلم ذاتيا و ليس كذلك و إنما الذي يتألم به الإنسان أو يلتذ إنما هو قيام الألم به أو اللذة به عقلا لا سببها هذا في الآلام و اللذات العادية و ثم أسباب أخر لا يستقل العقل بإدراكها فيخبره الله بها على لسان رسوله بالوحي فيعلمها فيأتي من ذلك ما أمره الله به أن يأتيه و يجتنب من ذلك ما أمره الله به أن يجتنبه و قد علم الألم و اللذة عقلا فيتذكرهما عند علمه بهذه الأسباب الشرعية الموجبة لهما فمن أطاع أطاع على بصيرة من أمره و من عصى و علم أنه عاص عصى على بصيرة من المعصية و ليس هو على بصيرة من المؤاخذة عليها كما هو على بصيرة في الطاعة من الجزاء عليها فما أجرأه على المعصية بالقدر السابق إلا كونه على غير بصيرة من المؤاخذة و لا ينبغي للمؤمن بل لا يصح أن يكون على بصيرة في المؤاخذة بالمعصية فإن الرحمة الإلهية و المغفرة ما هو الانتقام و الأخذ بأولى من المغفرة إلا ما عين الله من صفة خاصة يستحق من مات و هي به قائمة المؤاخذة و لا بد و ليس إلا الشرك و ما عدا الشرك فإن الله أدخله في المشيئة فلا يصح أن يكون أحد على بصيرة في العقاب فهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم و الدخول في المأثم إلا من عصم الله بخوف أو رجاء أو حياء أو عصمة في علم الله به خارجة عن هذه الثلاثة و لا خامس لهذه الأربعة المانعة من وقوع المخالفة و التعرض للعقوبة و الممكن قد عهد الله على قبوله لكل ممكن بذاته فمن وفي بهذا العهد مع الله فإنه يسعده بلا شك ابتداء فإن نقض عهد الله في ذلك و صير الممكن محالا أو واجبا فقد خرج عما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ و عرض بذاته لما تخيل أنه لا يصيبه و مثل هذا هو الذي رد دعوة الحق التي جاء بها الرسول من عند الله كالبراهمة و من قال بقولهم و اعلم أنه لما كان الإنسان الكامل عمد السماء الذي يُمْسِكُ اللهُ بوجوده السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فإذا زال الإنسانالكامل و انتقل إلى البرزخ هوت السماء و هو قوله تعالى وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ أي ساقطة إلى الأرض و السماء جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فعادت دخانا أحمر

كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة و زال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور إلا أن سباحتها لا تزول في النار لا بل انتثرت فهي على غير النظام الذي كان سيرها في الدنيا فتعطي من الأحكام في أهل النار على قدر ما أوحى فيها الله تعالى لأن الأخرى تجديد نشأة أخرى في الكل لا يعرفها العقل الأول و لا اللوح المحفوظ و لذلك قال ص إنه يحمد الله يوم القيامة في المقام المحمود بمحامد لا يعلمها الآن يعلمه الله إياها في ذلك اليوم بحسب ما يظهر في ذلك من حكم الأسماء الإلهية لا يعلمها أحد اليوم فنشأة الخلق و أحوالهم و ما يكون منهم في القيامة و الدارين على غير نشأة الدنيا و إن أشبهتها في الصورة و لذلك قال وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْلاٰ تَذَكَّرُونَ أنها كانت على غير مثال كذلك ينشئكم في ما لا تَعْلَمُونَ يوم القيامة فلنذكر في هذا الباب طرفا من هيأة جهنم و هيأة الجنات و ما فيها مما لم نذكره في بابهما فيما تقدم و لنجعل ذلك كله في أمثلة ليقرب تصورها على من لا يتصور المعاني من غير ضرب مثل كما ضرب الله للقلوب مثلا بالأودية بقدرها في نزول الماء و كما ضرب المثل لنوره بالمصباح كل ذلك ليقرب إلى الأفهام الضعيفة الأمر و هو قوله خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ بما بين له فعلم كيف يبين لغيره فنقول إن الجسم لما ملأ الخلأ كان أول شكل قبله الاستدارة فسمى تلك الاستدارة فلكا و في تلك الدائرة ظهرت صور العالم كله أدناه و أعلاه و لطيفه و كثيفه و ما يتحيز منه و ما لا يتحيز فالذي ملأ الخلأ غير متحيز و لا في مكان و لا يقبل المكان و لولا اتصاف الحق بالإحاطة ما توهم العقل انحصار هذا الجسم الكل في الخلأ و لا توهم الخلأ إلا من شهود الجسم المحسوس كما لم يتوهم انحصار الممكنات و إن كانت لا تتناهى في نفس الأمر و ما وجد منها هو متناه و يدخل في ذلك العقل الأول و كل ما لا يتحيز و لا يقبل المكان و كان ينبغي أن يقال فيما لا يتحيز أن ذلك غير متناه لأن التناهي لا يعقل إلا في المكان و الزمان الموجود و قد وجد ما لا يتحيز فكيف يعقل فيه التناهي و كذلك ما دخل في الوجود من المراتب و إن كانت عدما فإنها متوهمة الوجود فإن المراتب نسب عدمية و هي المكانة تنزل كل شيء موجود أو معدوم بالحكم في رتبته سواء كان واجب الوجود لذاته أو واجب الوجود لغيره أو محال الوجود فللعدم الخالص مرتبة و للوجود المحض مرتبة و للممكن المحض مرتبة كل مرتبة متميزة عن الأخرى فلابد من الحصر المتوهم و المعقول و المعلومات كلها في علم الله على ما هي عليه فهو يعلم نفسه و يعلم غيره و وجوده لا يتصف بالتناهي و ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي و الأجناس متناهية و هي معلومة بعلمه و العلم محيط بما يتناهى و ما لا يتناهى مع حصر العلم له و هنا حارت العقول من حيث أفكارها ثم إن الحق إن حققت الأمر قد أدخل نفسه في الوصف الذي وصف به من الظرفية فوصف نفسه بأنه في العماء و على العرش و في السماء و في الأرض و وصف نفسه بالقبل و بالمعية و بكل شيء و جعل نفسه عين كل شيء بقوله كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ ثم قال لَهُ الْحُكْمُ و هو ما ظهر في عين الأشياء ثم قال وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أي مردكم من كونكم أغيارا إلي فيذهب حكم الغير فما في الوجود إلا أنا و نبين ذلك مثلا باسم الإنسان بجملة تفاصيله و اتصافه بأحكام متغايرة من حياة و حس و قوى و أعضاء مختلفة في الحركات و كل ما يتعلق بهذا المسمى إنسانا و ليست هذه الأعيان التي تظهر

فيها هذه الأحكام بأمر غير الإنسان فإلى الإنسان ترجع هذه الأحكام و الأحكام في الحق صور العالم كله ما ظهر منه و ما يظهر و الأحكام منه و لهذا قال لَهُ الْحُكْمُ ثم يرجع الكل إلى أنه عينه فهو الحاكم بكل حكم في كل شيء حكما ذاتيا لا يكون إلا هكذا فسمى نفسه بأسمائه فحكم عليه بها و سمي ما ظهر به من الأحكام الإلهية في أعيان الأشياء ليميز بعضها عن بعض كما ميز جسم الإنسان عن روحه و ليس إنسانا إلا بمجموعه كما تسمى خالقا به و بخلقه فلا يقال في روح الإنسان إنها عين الإنسان و لا غيره و كذلك في حقائقه و لوازمه و عوارضه لا يقال في يد الإنسان و لا في شيء من أعضائه أنه عين الإنسان و لا غير الإنسان كذلك أعيان العالم لا يقال إنها عين الحق و لا غير الحق بل الوجود كله حق و لكن من الحق ما يتصف بأنه مخلوق و منه ما يوصف بأنه غير مخلوق لكنه كل موجود فإنه موصوف بأنه محكوم عليه بكذا فنقول في الله إنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَفحكمنا عليه بهذا النعت و قلنا في المسمى سواه إنه فقير إلى الله فحكمنا عليه فالكل محكوم عليه كما حكمنا على كل شيء بالهلاك و حكمنا على وجهه بالاستثناء من حكم الهلاك فهو أول محكوم عليه من عين هويته فمما حكم به على هويته أن وصف نفسه بأن له نفسا بفتح الفاء و أضافه إلى الاسم الرحمن لنعلم إذا ظهرت أعياننا و بلغتنا سفراؤه هذا الأمر شمول الرحمة و عمومها و مال الناس و الخلق كله إليها فإن الرحمن لا يظهر عنه إلا المرحوم فافهم فالنفس أول غيب ظهر لنفسه فكان فيه الحق من اسمه الرب مثل العرش اليوم الذي استوى عليه بالاسم الرحمن و هو أول كثيف شفاف نوري ظهر فلما تميز عمن ظهر عنه و ليس غيره و جعله تعالى ظرفا له لأنه لا يكون ظرفا له إلا عينه فظهر حكم الخلاء بظهور هذا النفس و لو لا ذلك ما قلنا خلاء ثم أوجد في هذا العماء جميع صور العالم الذي قال فيه إنه هالك يعني من حيث صوره إِلَّا وَجْهَهُ يعني إلا من حقيقته فإنه غير هالك فالهاء في وجهه تعود على الشيء فكل شيء من صور العالم هالك إلا من حقائقه فليس بهالك و لا يتمكن أن يهلك و مثال ذلك للتقريب أن صورة الإنسان إذا هلكت و لم يبق لها في الوجود أثر لم تهلك حقيقته التي يميزها الحد و هي عين الحد له فنقول الإنسان حيوان ناطق و لا نتعرض لكونه موجودا أو معدوما فإن هذه الحقيقة لا تزال له و إن لم تكن له صورة في الوجود فإن المعلوم لا يزول من العلم فالعلم ظرف المعلومات فصورة العالم بجملته صورة دائرة فلكية ثم اختلفت فيها صور الأشكال من تربيع و تثليث و تسديس إلى ما لا يتناهى حكما لا وجودا و الملائكة الحافون من حول العرش ما لهم سباحة إلا في هذا العماء المستدير الذي ظهر فيه أيضا عين العرش على التربيع بقوائمه و حملته من صور المعاني و صور أجسامها التي هي الحروف الدالة عليها فإن المعنى لا يستدل عليه إلا من حكم صورته و هو الحرف و الحرف لا يعلم إلا من حيث معناه فهو العالم العلم المعلوم فما في الوجود إلا الواحد الكثير و فيه ظهرت الملائكة المهيمة و العقل و النفس و الطبيعية و الطبيعة هي أحق نسبة بالحق مما سواها فإن كل ما سواها ما ظهر إلا فيما ظهر منها و هو النفس بفتح الفاء و هو الساري في العالم أعني في صور العالم و بهذا الحكم يكون تجلى الحق في الصور التي ذكرها عن نفسه لمن عقل عنه ما أخبر به عن نفسه تعالى فانظر في عموم حكم الطبيعية و انظر في قصور حكم العقل لأنه في الحقيقة

صورة من صور الطبيعة بل من صور العماء و العماء هو من صور الطبيعة و إنما جعل من جعل رتبة الطبيعة دون النفس و فوق الهيولى لعدم شهوده الأشياء و إن كان صاحب شهود و مشى هذه المقالة فإنه يعني بها الطبيعة التي ظهرت بحكمها في الأجسام الشفافة من العرش فما حواه فهي بالنسبة إلى الطبيعة نسبة البنت إلى المرأة التي هي الأم فتلد كما تلد أمها و إن كانت البنت مولودة عنها فلها ولادة على كل من يولد عنها و كذلك العناصر عندنا القريبة إلينا هي طبيعة ما تولد عنها و كذلك الأخلاط في جسم الحيوان فلهذا سميناها طبيعة كما نسمي البنت و البنات و الأم أنثى و نجمعها إناثا و إنما ذكرنا هذا لما نظهره من الأشكال لضرب الأمثال للتقريب على الأفهام القاصرة عن إدراك المعاني من غير مثل فإن الله ما جعل معرفة الإنسان نفسه إلا ضرب مثال لمعرفة ربه إذ لو لم يعرف نفسه لم يعرف ربه و هذا صورة العماء الذي هو الجسم الحقيقي العام الطبيعي الذي هو صورة من قوة الطبيعية تجلى لما يظهر فيه من الصور و ما فوقه رتبة إلا رتبة الربوبية التي طلبت صورة العماء من الاسم الرحمن فتنفس فكان العماء فشبهه لنا الشرع مما ذكر عنه من هذا الاسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال ما فوقه هواء يعلو عليه فما فوقه إلا حق و ما تحته هواء يعتمد عليه أي ما تحته شيء ثم ظهرت فيه الأشياء فالعماء أصل الأشياء و الصور كلها و هو أول فرع ظهر من أصل فهو نجم لا شجر ثم تفرعت منه أشجار إلى منتهى الأمر و الخلق و هو الأرض و ذلك بتقدير العزيز العليم فهذا المثل المضروب المشكل الممثل الذي نضربه و نشكله هو العماء و هو الدائرة المحيطة و هو فلك الإشارات و النقط التي في الدائرة مثال أعيان الأرواح المهيمة و النقطة العظمى في هذه النقط العقل و الدائرة التي إلى جانب النقطة العظمى التي في داخلها نقطتان هي النفس الكل و اللوح المحفوظ و تانك النقطتان فيهما القوتان العلمية و العملية و الأربع النقط المجاورات لدائرة النفس رتبة الطبيعة التي هي بنت الطبيعة العظمى و الدائرة التي في جوف هذه الدائرة العظمى هي جوهر الهيولى و هو الهباء و الشكل المربع فيه هو العرش و الدائرة في جوف هذا الشكل المربع هو الكرسي موضع القدمين و الدائرة التي في جوفه هي الفلك الأطلس و الدوائر الثمانية هي الجنات و الدائرة التي تحت الثمانية هو الفلك المكوكب فلك المنازل و ما تحت مقعره هو جهنم و فيما تحت مقعره انفتحت أشكال السموات و الأرض و ما بينهما من الأركان و الكواكب الثابتة كل ذلك جهنم فإذا بدلت السماء و الأرض فإنما يقع التبديل في الصور لا في الأعيان و إن كانت الأعيان صورا و لكن إذا علم المراد فلا مشاحة في الألفاظ و العبارات و الخطان اللذان تحت الشكل المربع المسمى عرشا الخط الواحد الماء و الآخر الهواء و اتصاف الدوائر التي في جوف فلك الكواكب هي السموات و الخطوط التي تستقر عليها أطراف إنصاف الدوائر الأرض و ما بين القبة التي في أول خط من خطوط الأرض ثلاثة خطوط بالحمرة هي الثلاثة الأركان الماء و الهواء و النار و المقادير المعينة في الفلك الأطلس هي البروج و المقادير المعينة في الفلك الموكب هي المنازل و كل قبة من القباب السبعة فيها نقطة حمراء هي صورة كوكب كل قبة ثم جميع ما في جوف الفلك المكوكب يستحيل في الآخرة إلى صور غير هذه الصور و في جوف الفلك المكوكب يكون الحشر و النشر و الحساب و العرش الذي يتجلى

فيه الحق للفصل و القضاء و الملائكة في تلك الأرض سبعة صفوف بين يدي ذلك العرش و الناس و الجان بين العرش و صفوف الملائكة و الصراط منصوب كالخط الذي يقسم الدائرة نصفين و ينتهي إلى المرج الذي خارج سور الجنة موضع المأدبة التي يأكلها أهل الجنة قبل دخول الجنة و بعد الجواز على الصراط و سأشكل هذا كله و أمثاله و اكتب على كل شكل اسم المراد به فمن ذلك صورة العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء فإن موضع صور الأشكال ضيق هنا لا يتسع لصور ما نريد تشكيلة واحدة فإنه لو اتسع كان أبين للناظر فيه

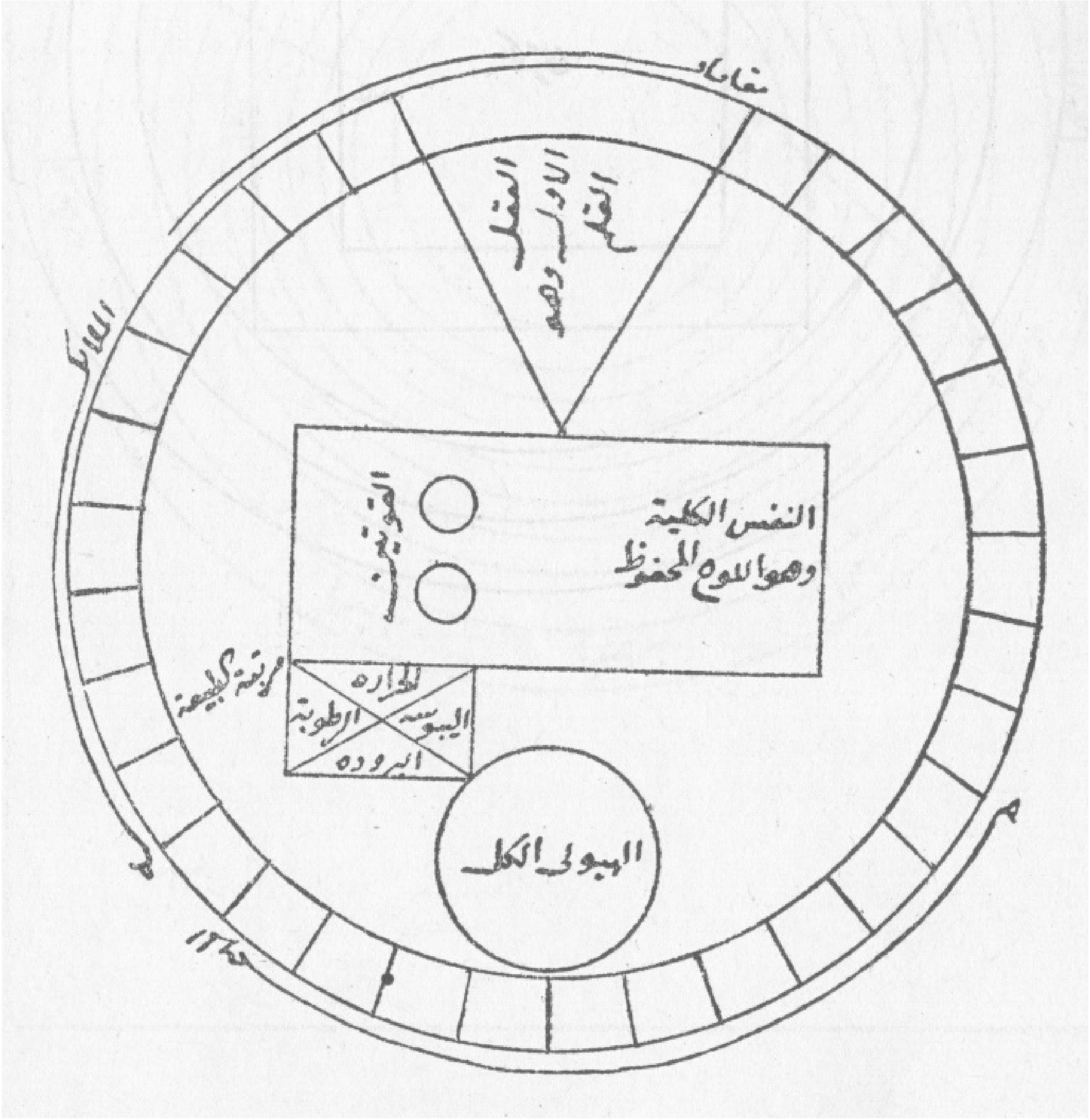

ومن ذلك صورة عرش الاستواء والكرسي والقدمان والماء الذي عليه العرش والهواء الذي يمسك الماء والظلمة

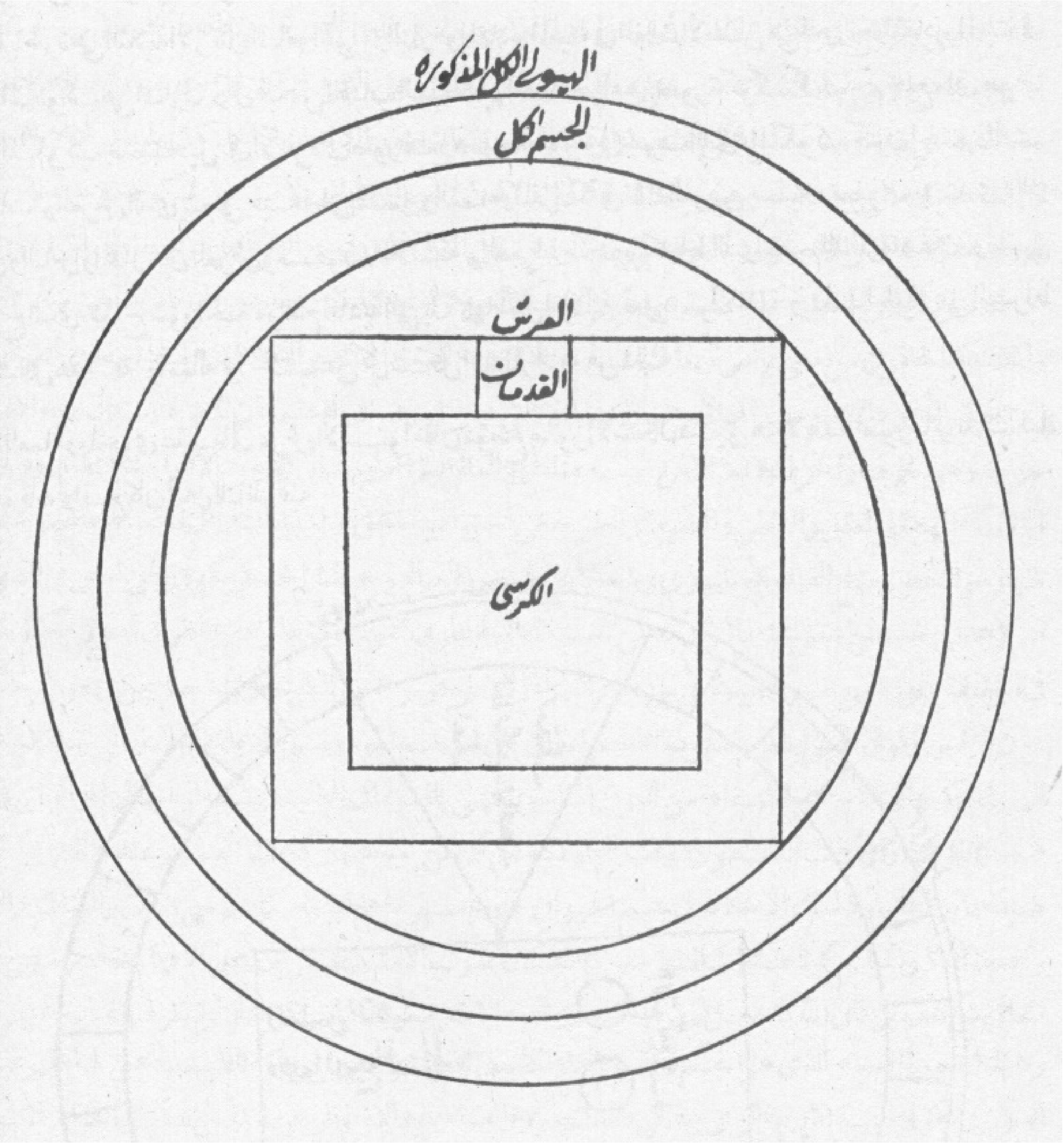

ومن ذلك صورة الفلك الأطلس والجنات وسطح فلك الكواكب وشجرة طوبى

الكرسي المذكور

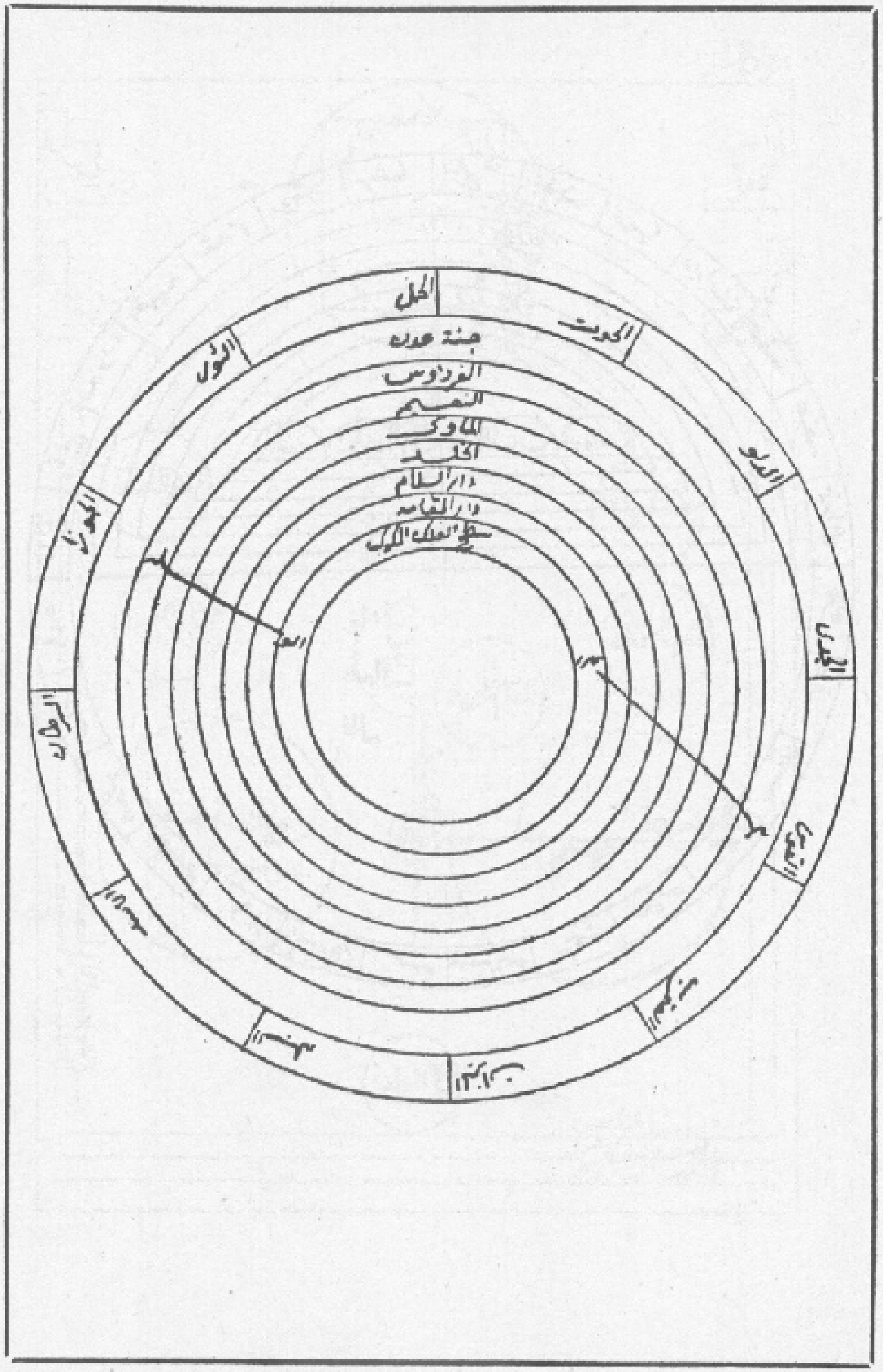

و من ذلك صورة الفلك المكوكب و قباب السموات و ما تستقر عليه و هو الأرض و الأركان الثلاثة و العمد الذي يمسك الله به القبة و المعدن و النبات و الحيوان و الإنسان

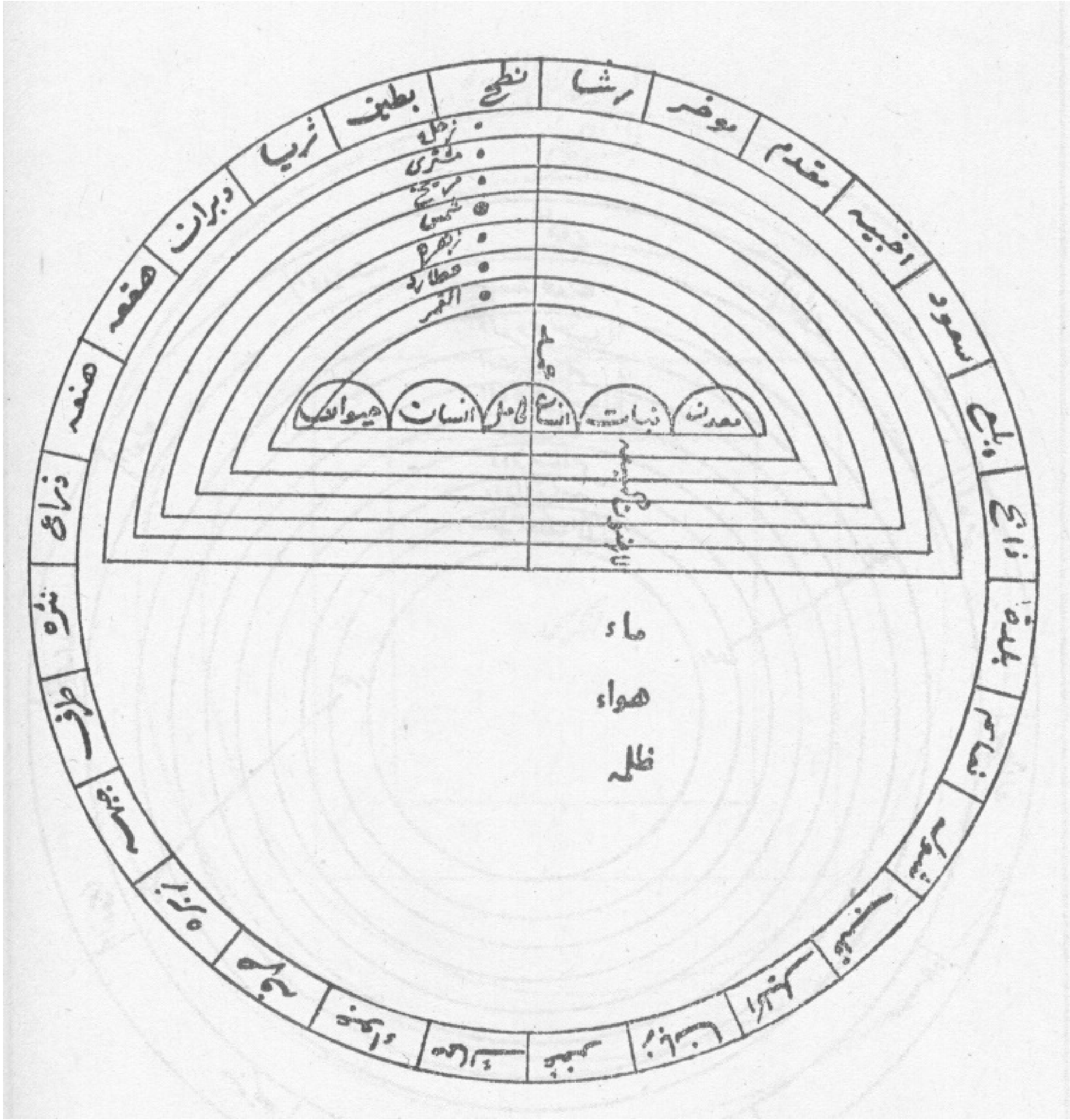

و من ذلك صورة أرض المحشر و ما يحوي عليه من الأعيان و المراتب و عرش الفصل و القضاء و حملته و صفوف الملائكة

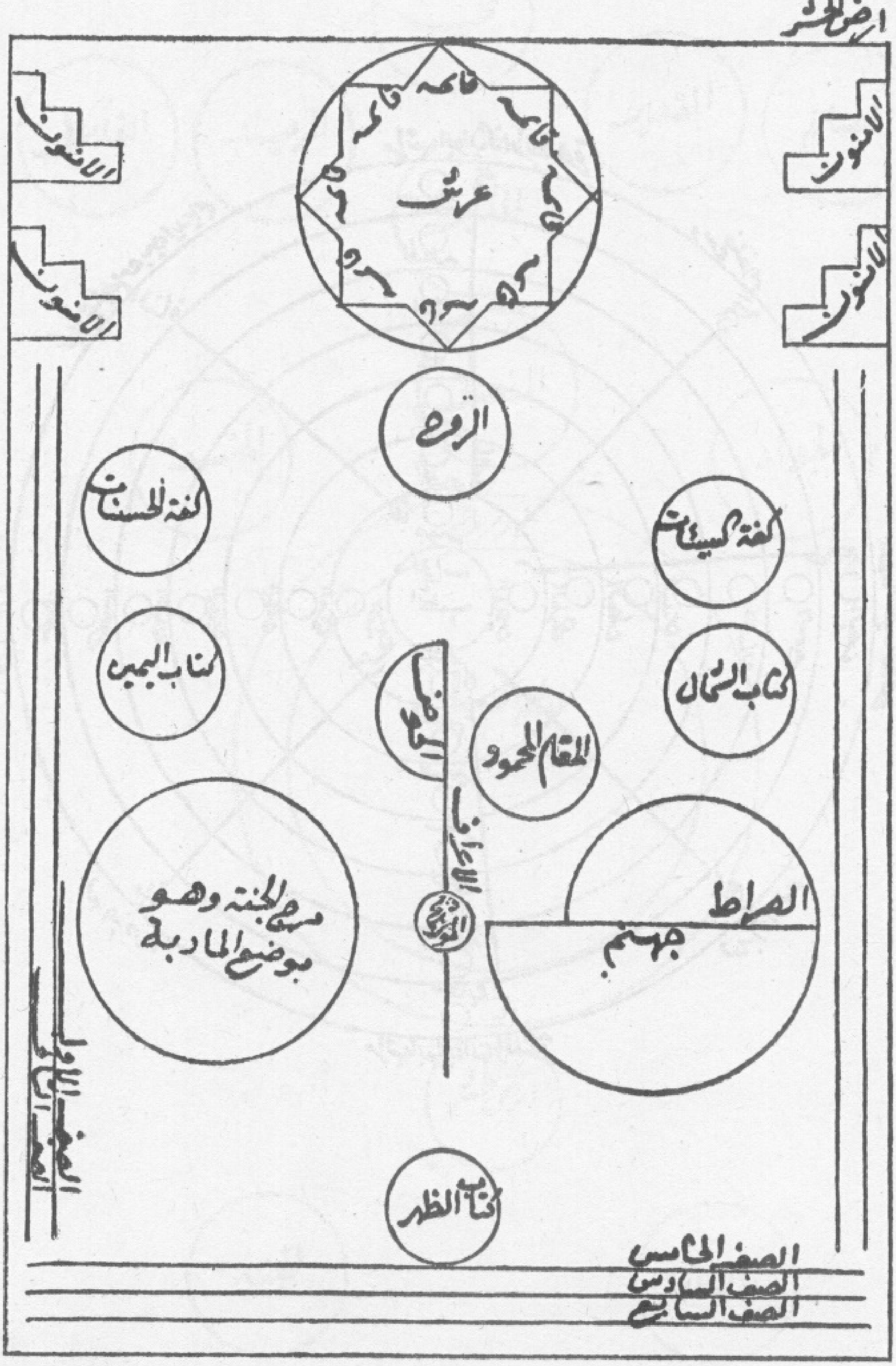
ارض المحشر
عرش
الروح
كفة الحسنات
كفة السيئات
كتاب اليمين
كتاب الشمال
المقام المحمود
مسطح الجنة وهو
موضع المادبة
الصراط
جهنم
كتاب الظهر
الصف الخامس
الصف السادس
الصف السابع

ومن ذلك صورة جهنم وأبوابها ومنازلها ودركاتها

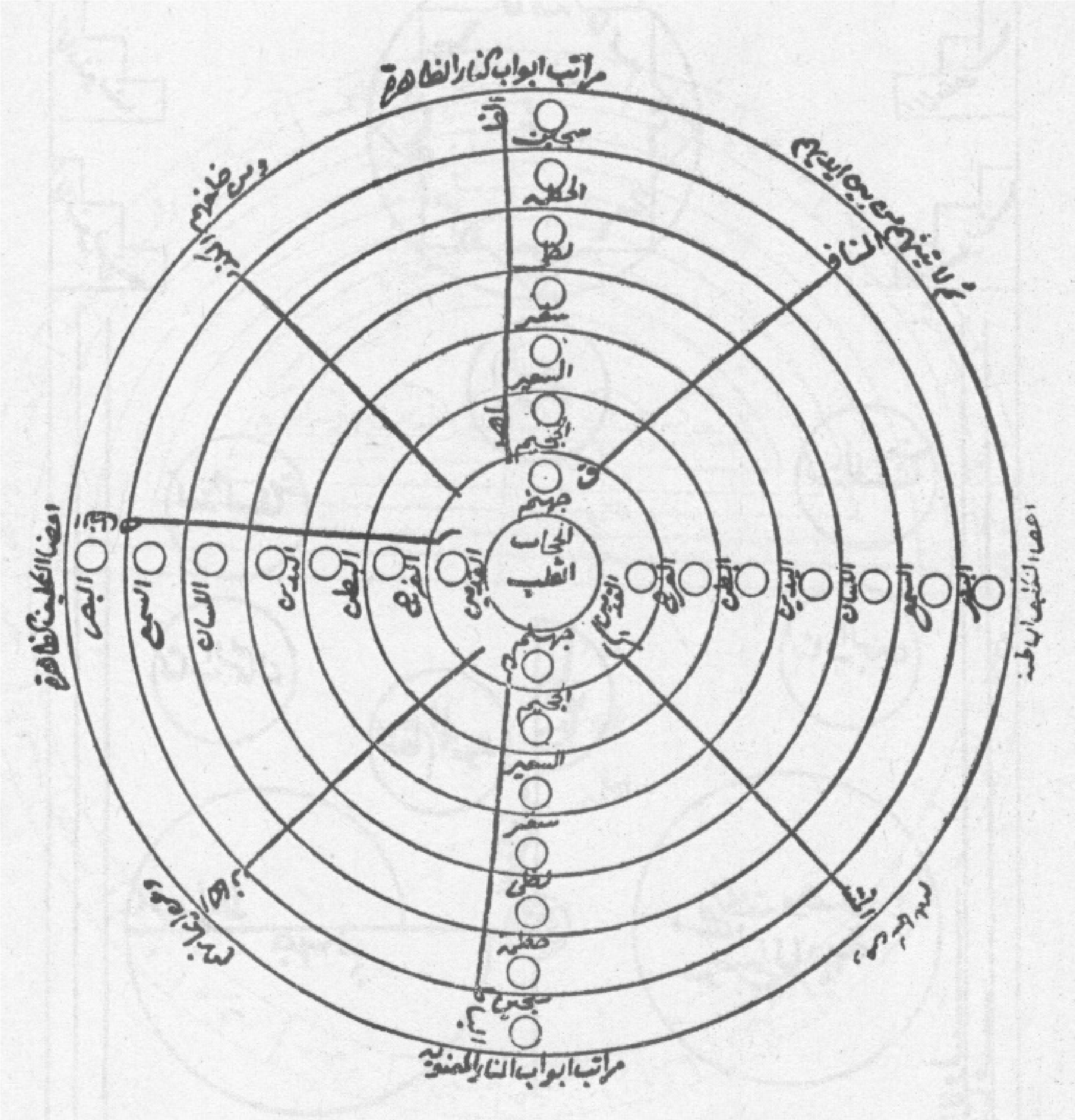

ومن ذلك صورة حضرة الأسماء الإلهية والدنيا والآخرة والبرزخ

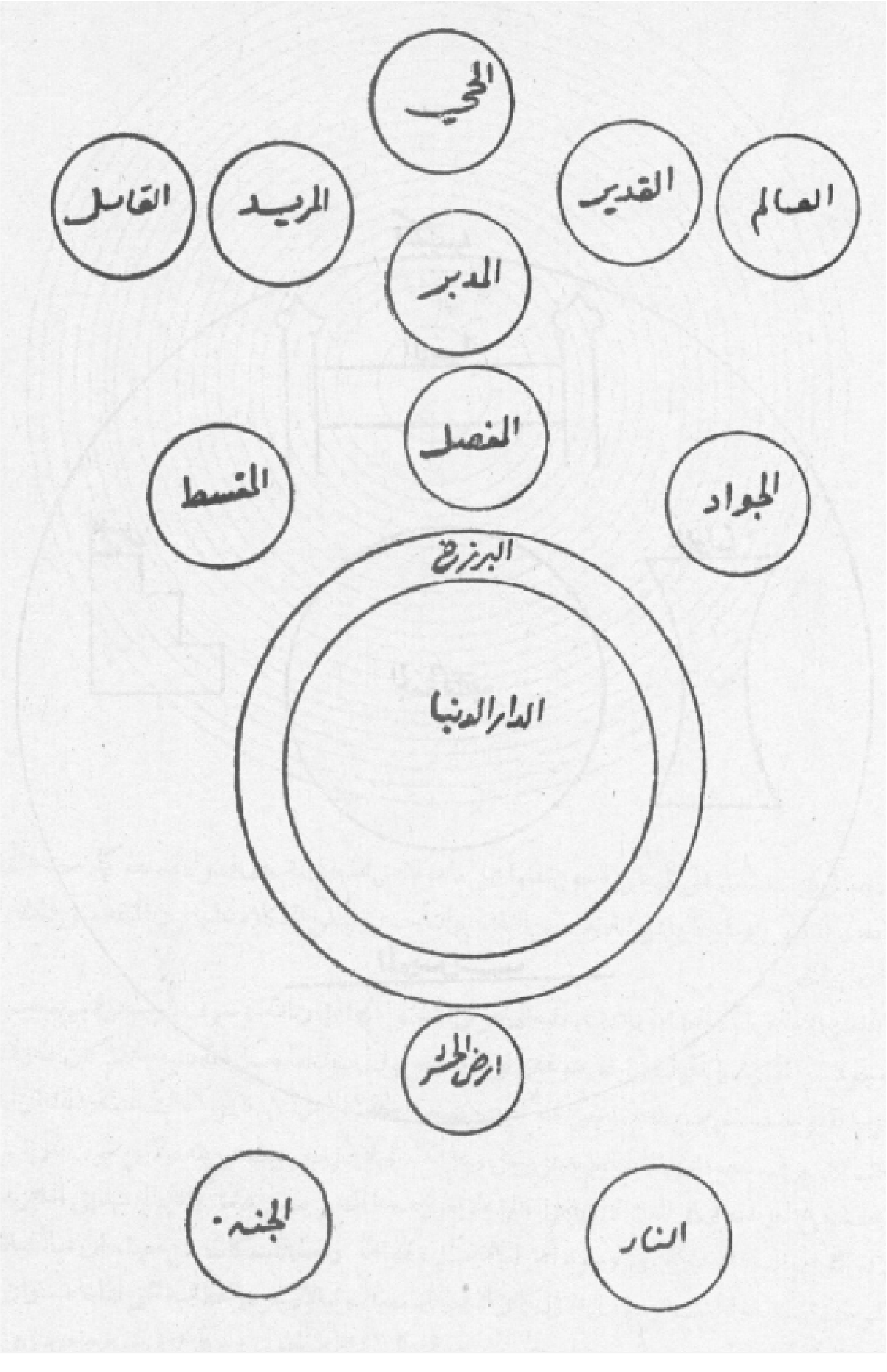
الحي
العالم
القدير
المريد
القائل
المدبر
المفصل
المقسط
الجواد
البرزخ
الدار الدنيا
ارض الحشر
الجنه
النار

ومن ذلك صورة كثيب الرؤية ومراتب الخلق فيه

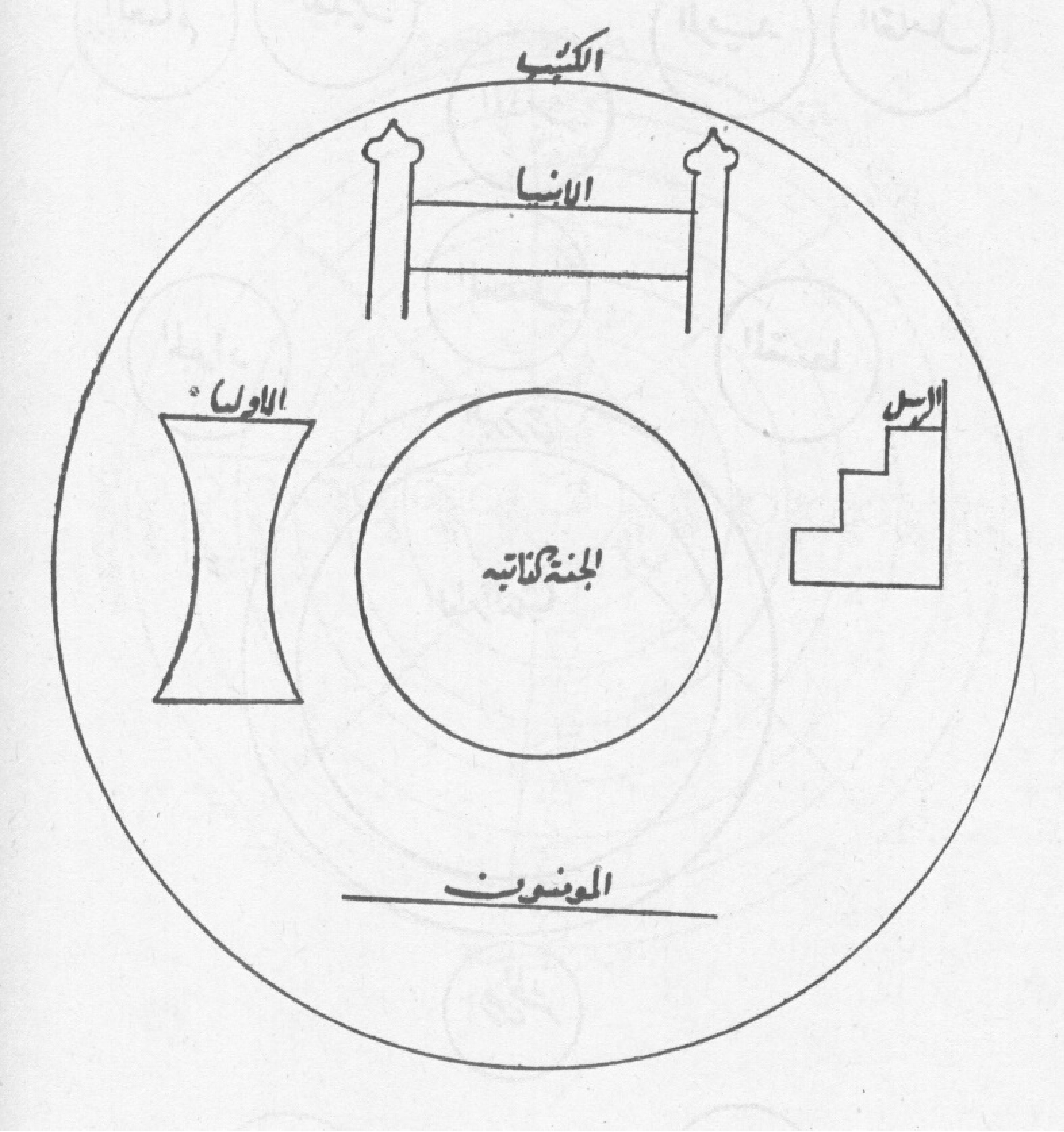

ومن ذلك صورة العالم كله وترتيب طبقاته روحا وجسما وعلوا وسفلا

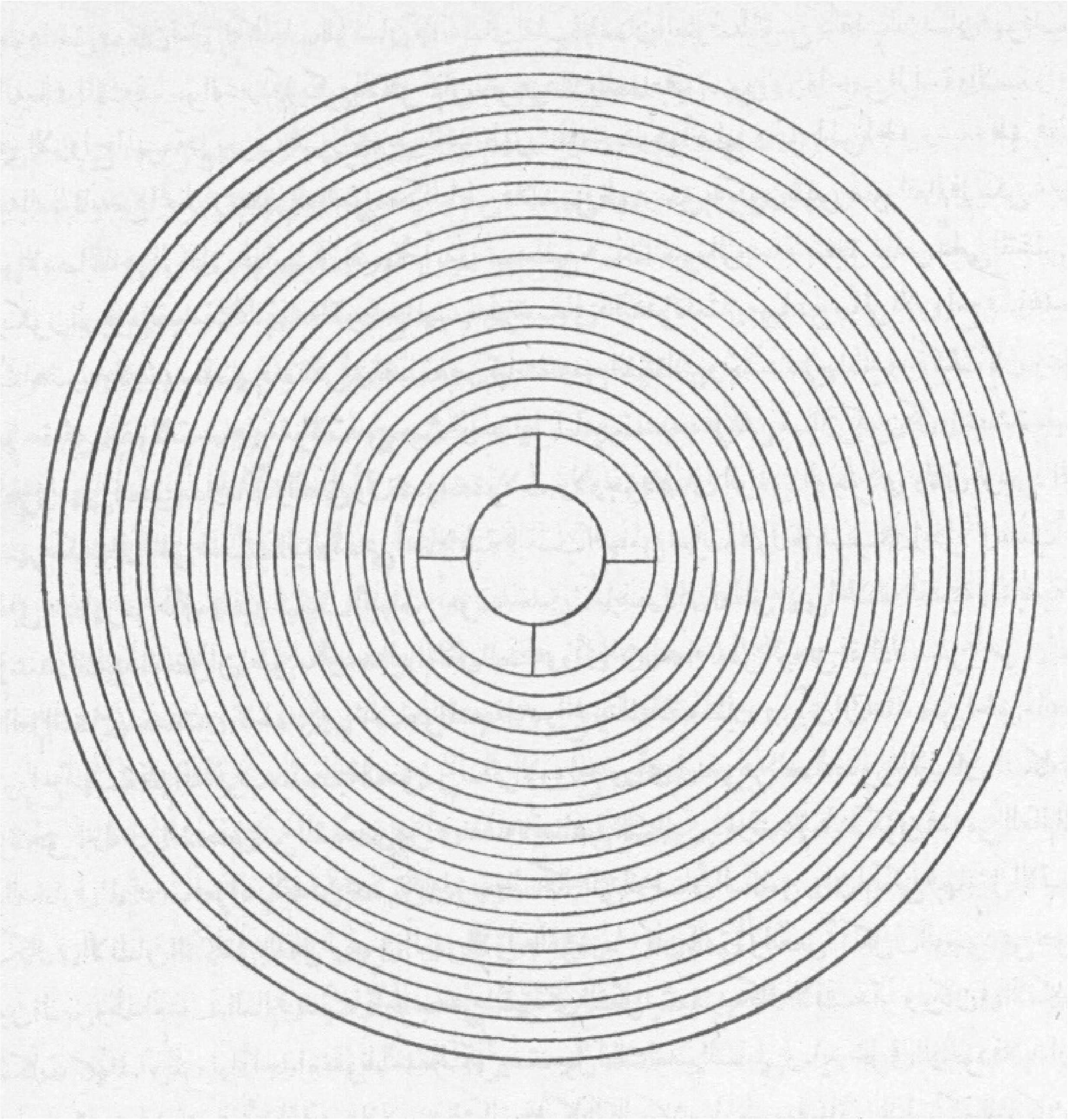

«وصل» فلنتكلم على كل صورة صورة منها على ما هو الأمر عليه في نفسه في فصول تسعة كما رسمناها في وجوه تسعة من التصوير و ما جعلتها على الترتيب من التقديم و التأخير و لكن الكلام عليها يبين المتقدم من ذلك و المتأخر و المجمل و المفصل «الفصل الأول في ذكر العماء و ما يحوي عليه إلى عرش الاستواء» اعلم أن الله موصوف بالوجود و لا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات بل أقول إن الحق هو عين الوجود و هو قول رسول الله ص كان الله و لا شيء معه يقول الله موجود و لا شيء من العالم موجود فذكر عن نفسه بدء هذا الأمر أعني ظهور العالم في عينه و ذلك أن الله تعالى أحب أن يعرف ليجود على العالم بالعلم به عز و جل و علم أنه تعالى لا يعلم من حيث هويته و لا من حيث يعلم نفسه و أنه لا يحصل من

العلم به تعالى في العالم إلا أن يعلم العالم أنه لا يعلم و هذا القدر يسمى علما كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك إذ قد علم إن في الوجود أمرا ما لا يعلم و هو الله و لا سيما للممكنات من حيث إن لها أعيانا ثابتة لا موجودة مساوقة لواجب الوجود في الأزل كما إن لنا تعلقا سمعيا ثبوتيا لا وجوديا بخطاب الحق إذا خاطبنا و أن لها قوة الامتثال كذلك لها جميع القوي من علم و بصر و غير ذلك كل أمر ثبوتي و حكم محقق غير وجودي و على تلك الأعيان و بها تتعلق رؤية من يراها من الموجودات كما ترى هي نفسها رؤية ثبوتية فلما اتصف لنا بالمحبة و المحبة حكم يوجب رحمة الموصوف بها بنفسه و لهذا يجد المتنفس راحة في تنفسه فبروز النفس من المتنفس عين رحمته بنفسه فما خرج عنه تعالى إلا الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فانسحبت على جميع العالم ما كان منه و ما لا يكون إلى ما لا يتناهى فأول صورة قبل نفس الرحمن صورة العماء فهو بخار رحماني فيه الرحمة بل هو عين الرحمة فكان ذلك أول ظرف قبله وجود الحق فكان الحق له كالقلب للإنسان كما أنه تعالى لقلب الإنسان العارف المؤمن كالقلب للإنسان فهو قلب القلب كما أنه ملك الملك فما حواه غيره فلم يكن إلا هو ثم إن جوهر ذلك العماء قبل صور الأرواح من الراحة و الاستروواح إليها و هي الأرواح المهيمة فلم تعرف غير الجوهر الذي ظهرت فيه و به و هو أصلها و هو باطن الحق و غيبه ظهر فظهر فيه و به العالم فإنه من المحال أن يظهر العالم من حكم الباطن فلا بد من ظهور حق به يكون ظهور صور العالم فلم يكن غير العماء فهو الاسم الظاهر الرحمن فهامت في نفسها ثم أيه واحدا من هذه الصور الروحية بتجل خاص علمي انتقش فيه علم ما يكون إلى يوم القيامة مما لا تعلمه الأرواح المهيمة فوجد في ذاته قوة امتاز بها عن سائر الأرواح فشاهدهم و هم لا يشاهدونه و لا يشهد بعضهم بعضا فرأى نفسه مركبا منه و من القوة التي وجدها علم بها صدوره كيف كان و علم إن في العلم حقائق معقولات سماها معقولات من حيث إنه عقلها لما تميزت عنده فلم يكن لها أن يكون كل واحدة منها عين الأخرى فهي للحق معلومات و للحق و لأنفسها معقولات و لا وجود لها في الوجود الوجودي و لا في الوجود الإمكاني فيظهر حكمها في الحق فتنسب إليه و تسمى أسماء إلهية فينسب إليها من نعوت الأزل ما ينسب إلى الحق و تنسب أيضا إلى الخلق بما يظهر من حكمها فيه فينسب إليها من نعوت الحدوث ما ينسب إلى الخلق فهي الحادثة القديمة و الأبدية الأزلية و علم عند ذلك هذا العقل أن الحق ما أوجد العالم إلا في العماء و رأى أن العماء نفس الرحمن فقال لا بد من أمرين يسميان في العلم النظري مقدمتين لإظهار أمر ثالث هو نتيجة ازدواج تينك المقدمتين و رأى أن عنده من الحق ما ليس عند الأرواح المهيمة فعلم أنه أقرب مناسبة للحق من سائر الأرواح و رأى في جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الذي هو للحق بمنزله ظل الشخص من الشخص و رأى نفسه ناقصا عن تلك الدرجة و قد علم ما يتكون عنه من العالم إلى آخره في الدنيا و في المولدات فعلم أنه لا بد أن يحصل له درجة الكمال التي للإنسان الكامل و إن لم يكن فيها مثل الإنسان فإن الكمال في الإنسان الكامل بالفعل و هو في العقل الأول بالقوة و ما كان بالقوة و الفعل أكمل في الوجود ممن هو بالقوة دون الفعل و لهذا وجد العامل في عينه فأخرجه من القوة إلى الفعل ليتصف بكمال الاقتدار و لو كان في الإمكان

إيجاد الممكنات كلها لما ترك منها واحدا منعوتا بالعدم لكن يستحيل ذلك لعدم التناهي و ما يدخل في الوجود فلا بد أن يكون متناهيا فتجلى له الحق فرأى لذاته ظلالان ذلك التجلي كان كالكلام لموسى من جانب الطور كذلك كان التجلي الإلهي لهذا العقل من الجانب الأيمن فإن لله يدين مباركتين مبسوطتين يعني فيهما الرحمة فلم يقرن بهما شيئًا من العذاب فيعطي رحمة يبسطها و يعطي رحمة يقبضها فإن القبض ضم إليه و البسط انفساخ فيه فكان ذلك الظل الممتد عن ذات العقل من نور ذلك التجلي و كثافة المحدث بالنظر إلى اللطيف الخبير نفسا و هو اللوح المحفوظ و الطبيعة الذاتية مع ذلك كله و تسمى هناك حياة و علما و إرادة و قولا كما تسمى في الأجسام حرارة و برودة و يبوسة و رطوبة كما تسمى في الأركان نارا و هواء و ماء و ترابا كما تسمى في الحيوان سوداء و صفراء و بلغما و دما و العين واحدة و الحكم مختلف

فالعين واحدة و الحكم مختلف و ذاك سر لأهل العلم ينكشف

ثم صرف العقل وجهه إلى العماء فرأى ما بقي منه لم يظهر فيه صورة و قد أبصر ما ظهرت فيه الصور منه قد أنار بالصور و ما بقي دون صورة رآه ظلمة خالصة و رأى أنه قابل للصور و الاستنارة فاعلم إن ذلك لا يكون إلا بالتحامك بظلك فعمه التجلي الإلهي كما تعم لذة الجماع نفس الناكح حتى تغيبه عن كل معقول و معلوم سوى ذاتها فلما عمه نور التجلي رجع ظله إليه و اتحد به فكان نكاحا معنويا صدر عنه العرش الذي ذكر الحق أنه استوى عليه الاسم الرحمن فقال الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فما أنكره من أنكره أعني الاسم الرحمن إلا للقرب المفرط و لم يقروا بالله إلا لما يتضمنه هذا الاسم من الرحمة و القهر فعلم و جهل الرحمن فقالوا وَما الرَّحْمنُ و لو قالها بلسان غير العربي لقال ما يشبه هذا المعنى و يقع الإنكار منهم أيضا فلا أقرب من الرحمة إلى الخلق لأنه ما ثم أقرب إليهم من وجودهم و وجودهم رحمة بلا شك «الفصل الثاني» في صورة العرش و الكرسي و القدمين و الماء الذي عليه العرش و الهواء الذي عليه الماء و الظلمة التي ظهر عنها الهواء الذي يمسك الماء و يمسك عليه الجرية و الحملة و الحافين اعلم أن هذه الظلمة هي ظلمة الغيب و لهذا سميت ظلمة أي لا يظهر ما فيها فكلما برز من الغيب ظهر لنا فنحن ننظر إلى ما ظهر من صور العالم في مرآة الغيب و لا نعرف أن ذلك في مرآة غيب و هي للحق كالمرآة فإذا تجلى الحق لها انطبع فيها ما في العلم الإلهي من صور العالم و أعيانه و ما زال الحق متجليا لها فما زالت صور العالم في الغيب و كل ما ظهر لمن وجد من العالم فإنما هو ما يقابله في نظره في هذه المرآة التي هي الغيب فلو جاز أن يعلم جميع ما في علم الحق و ذلك لا يجوز فلا يجوز أن يرى من صور العالم في هذه المرآة إلا ما تراءى له منها فكان مما رآه فيها صورة العرش الذي استوى الرحمن عليه و هو سرير ذو أركان أربعة و وجوه أربعة هي قوائمه الأصلية التي لو استقبل بها لثبت عليه إلا أنه في كل وجه من الوجوه الأربعة التي له قوائم كثيرة على السواء في كل وجه معلومة عندنا إعدادها زائدة على القواعد الأربعة و جعله مجوفا محيطا بجميع ما يحوي عليه من كرسي و أفلاك و جنات و سماوات و أركان و مولدات فلما أوجده استوى عليه الرحمن واحد الكلمة لا مقابل لها فهو رحمة كله

ليس فيه ما يقابل الرحمة و هو صورة في العماء فالعقل أبوه و النفس أمه و لذلك استوى عليه الرحمن فإن الأبوين لا ينظران أبدا لولدهما إلا بالرحمة و الله أرحم الراحمين و النفس و العقل موجودان كريمان على الله محبوبان لله فما استوى على العرش إلا بما تقر به أعين الأبوين و هو الرحمن فعلمنا أنه ما يصدر عنه إلا ما فيه رحمة و إن وقع ببعض العالم غصص فذلك لرحمة فيه لولا ما جرعه إياها اقتضى ذلك مزاج الطبع و مخالفة الغرض النفسي فهو كالدواء الكرية الطعم الغير المستلذ و فيه رحمة للذي يشربه و يستعمله و إن كرهه ف بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ و ما استوى عليه الرحمن تعالى إلا بعد ما خلق الأرض وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا و خلق السموات وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا و فرغ من خلق هذه الأمور كلها و رتب الأركان ترتيبا يقبل الاستحالات لظهور التكوين و التنقل من حال إلى حال و بعد هذا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ قال تعالى فَسْئَلْ به خَبِيراً الضمير في قوله به يعود على الاستواء أي فاسأل بالاستواء خبيرا يعني كل من حصل له ذلك ذوقا كأمثالنا فإن أهل الله ما علموا الذي علموه إلا ذوقا ما هو عن فكر و لا عن تدبر فهو تعالى النازل الذي لا يفارق المنزل و لا النزول فهو مع كل شيء بحسب حال ذلك الشيء و في ليلة تقييدي هذا الوجه أراني الحق في واقعتي رجلا ربع القامة فيه شقرة فقعد بين يدي و هو ساكت فقال لي الحق هذا عبد من عبادنا أفده ليكون هذا في ميزانك فقلت له من هو فقال لي هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرات و أنا ذا ذاك في دمشق فقلت له يا رب و كيف يستفيد مني و أين أنا منه فقال لي قل فإنه يستفيد منك فكما أريتك إياه أريته إياك فهو الآن يراك كما تراه فخاطبه يسمع منك و يقول هو مثل ما تقول أنت يقول أريت رجلا بالشام يقال له محمد بن العربي و سماني أفادني أمرا لم يكن عندي فهو أستاذي فقلت له يا أبا العباس ما الأمر قال كنت أجهد في الطلب و أنصب و ابذل جهدي فلما كشف لي علمت أني مطلوب فاسترحت من ذلك الكد فقلت له يا أخي من كان خيرا منك و أوصل بالحق و أتم في الشهود و أكشف للأمر قيل له و قل رب زدني علما فأين الراحة في دار التكليف ما فهمت ما قيل لك قولك علمت أني مطلوب و لم تدر بما ذا أنعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد و الجد ما هذه الدار دار راحة فإذا فرغت من أمر أنت فيه فانصب في أمر يأتيك في كل نفس فأين الفراغ فشكرني على ما ذكرته به فانظر عناية الله بنا و به ثم نرجع فنقول ثم إنه تعالى خلق ملائكة من أنوار العرش يحفون بالعرش و جعل فيما خلق من الملائكة أربع حملة تحمل العرش من الأربع القوائم الذي هو العرش عليها و كل قائمة مشتركة بين كل وجهين إلى حد كل نصف وجه و جعل أركانه متفاضلة في الرتبة فأنزلني في أفضلها و جعلني من جملة حملته فإن الله و إن خلق ملائكة يحملون العرش فإن له من الصنف الإنساني أيضا صورا تحمل العرش الذي هو مستوي الرحمن أنا منهم و القائمة التي هي أفضل قوائمه هي لنا و هي خزانة الرحمة فجعلني رحيما مطلقا مع علمي بالشدائد و لكن علمت أنه ما ثم شدة إلا و فيها رخاوة و لا عذاب إلا و فيه رحمة و لا قبض إلا و فيه بسط و لا ضيق إلا و فيه سعة فعلمت الأمرين و القائمة التي على يميني قائمة رحمة أيضا لكن ما فيها علم شدة فينقص حاملها في الدرجة عن حاملالقائمة العظمى التي هي أعم القوائم و القائمة التي على يساري قائمة الشدة

و القهر فحاملها لا يعلم غير ذلك و القائمة الرابعة التي تقابلني أفاضت عليها القائمة التي أنا فيها مما هي عليه فظهرت بصورتها فهي نور و ظلمة و فيها رحمة و شدة و في نصف كل وجه قائمة فهي ثمانية قوائم لا حامل لتلك الأربعة اليوم إلى يوم القيامة فإذا كان في القيامة وكل الله بها من يحملها فيكونون في الآخرة ثمانية و هم في الدنيا أربعة و ما بين كل قائمتين قوائم العرش عليها و بها زينته و عددها معلوم عندنا لا أبينه لئلا يسبق إلى الأفهام القاصرة عن إدراك الحقائق إن تلك القوائم عين ما توهموه و ليست كذلك فلهذا لم نتعرض لإيضاح كميتها و بين مقعر العرش و بين الكرسي فضاء واسع و هواء محترق و صور أعمال بعض بنى آدم من الأولياء في زوايا العرش تطير من مكان إلى مكان في ذلك الانفساح الرحماني و قوائم هذا العرش على الماء الجامد و لذلك يضاف البرد إلى الرحمة كما قال ص وجدت برد أنامله فأعطاه العلم الذي فيه الرحمة فالعرش إنما يحمله الماء الجامد و الحملة التي له إنما هي خدمة له تعظيما و إجلالا و ذلك الماء الجامد مقره على الهواء البارد و هو الذي جمد الماء و ذلك الهواء نفس الظلمة التي هي الغيب و لا يعلم أحد ما تلك الظلمة إلا الله كما قال عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً و فيها يكون الناس على الجسر إذا بدلت الأرض غير الأرض و التبدل في الصفة لا في العين فتكون أرض صلاح لا أرض فساد و تمد مد الأديم ف لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً و سيأتي ذكر ذلك في فصله من هذه الفصول إن شاء الله و خلق الكرسي في جوف هذا العرش مربع الشكل و دلى إليه القدمين فانقسمت الكلمة الواحدة التي هي في العرش واحدة فهي في العرش رحمة واحدة إليها مال كل شيء و انقسمت في الكرسي إلى رحمة و غضب مشوب برحمة اقتضى ذلك التركيب لما يريد الله أن يظهر في العالم من القبض و البسط و الأضداد كلها فإنه المعز المذل و القابض الباسط و المعطي المانع قال تعالى أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ فهذا من انقسام الكلمة غير إن الأمر إذا كان ذاتيا لم يكن إلا هذا

انظر إلى الكون في تفصيله عجبا ‌ و مرجع الكل في العقبي إلى الله
في الأصل متفق في الصور مختلف ‌ دنيا و آخرة فالحكم لله
في الله من كونه مجلى لعالمه ‌ و لا يرى الكون إلا الله بالله
فاعلم وجودك أن الجود موجدة ‌ و كن بذاك على علم من الله

فكما استوى الرحمن على العرش استوت القدمان على الكرسي و هو على شكل العرش في التربيع لا في القوائم و هو في العرش كحلقة ملقاة فالكرسي موضع راحة الاستواء فإنه ما تدلى إليه ما تدلى إلا مباسطة و القدم الثبوت فتانك قدم الصدق و قدم الجبار و قدم الجبر و قدم الاختيار و لهاتين القدمين مراتب كثيرة في العلم الإلهي لا يتسع الوقت لا يرادها لما ذهبنا إليه في هذا الكتاب من الإيجاز و الاختصار و مقر هذا الكرسي أيضا على الماء الجامد و في جوف هذا الكرسي جميع المخلوقات من سماء و أركان هي فيه كهو في العرش سواء و له ملائكة من

المقسمات و لهذا انقسمت الكلمة فيه لأن هذا الصنف لا يعرفون أحدية و إن كانت فيهم فإن الله و كلهم بالتقسيم مع الأنفاس فلو أشهدهم الأحدية منهم و من الأمور كلها ربما شغلوا بها نفسا واحدا عن التقسيم الذي خلقوا له و هم المطيعون كما أخبر الله عنهم فحيل بينهم و بين مشاهدة الوحدات فآية وحدة تجلت لهم قسموها بالحكم فلا يشهدون إلا القسمة في كل شيء و لا غفلة عندهم و لا نسيان لما علموه و أما ملائكة التوحيد و الوحدات إذا جمعهم مع المقسمات مجلس إلهي و جرت بينهما مفاوضات في الأمر اختصما لأنهما على النقيض و هذا من جملة ما يختصم فيه الملأ الأعلى فيقول الصنف الواحد بالوحدة و يقول الآخر بالانقسام و الثنوية لم توجد أرواحهم إلا من هذه الأرواح و لم توجد هذه الأرواح إلا من القوتين اللتين في النفس الكلية

و الحق لا يعرف إلا بها فالنفس لا تعرف إلا به

و كن له من نفسه مشبها فكن له من ذاته منزها

كان بما أوصيته منتبها و من يكن على الذي وصيته

و اعلم علمك الله أن الوهية المخلوقين من هذه الحضرة ظهرت في العالم لما تعطيه من انقسام كل شيء فما ظهر في العالم إلا ما خلق تعالى فيه و علمه و ما اختص العلماء بالله و حصل لهم الشفوف على غيرهم إلا بمصادر الأشياء من أين ظهرت في العالم و التقابل لا نشك أنه انقسام في مقسوم فلا بد من عين جامعة تقبل القسمة و لما كان عذر العالم مقبولا في نفس الأمر لكونهم مجبورين في اختيارهم لذلك جعل الله مال الجميع إلى الرحمة فهو الغفور لما ستر من ذلك عن قلوب من لم يعلمه بصورة الأمر رحمة به لأنه الرحيم في غفرانه لعلمه بأن مزاجه لا يقبل فالمنع من القابل لتضمنه مشيئة الحق لكون العين قابلة لكل مزاج فما اختصت واحدة على التعيين بمزاج دون غيره مع كونها قابلة لكل مزاج إلا لحكم المشيئة الإلهية و إلى هذا إذا صعدت أرواح الثنوية يكون معراجها ليس لها قدم في غيره فلها طريق خاص وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ «فصل ثالث في الفلك الأطلس و البروج و الجنات و شجرة طوبى و سطح الفلك المكوكب» اعلم أن الله خلق في جوف هذا الكرسي الذي ذكرناه جسما شفافا مستديرا قسمه اثني عشر قسما سمي الأقسام بروجا و هي التي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالى وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ و أسكن كل برج منها ملكا هم لأهل الجنة كالعناصر لأهل الدنيا فهم ما بين مائي و ترابي و هوائي و ناري و عن هؤلاء يتكون في الجنات ما يتكون و يستحيل فيها ما يستحيل و يفسد ما يفسد أعني ينفسد بتغير نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث فهذا معنى يفسد فلا تتوهم و من هنا قالت الإمامية بالاثني عشر إماما فإن هؤلاء الملائكة أئمة العالم الذي تحت إحاطتهم و من كون هؤلاء الاثني عشر لا يتغيرون عن منازلهم لذلك قالت الإمامية بعصمة الأئمة لكنهم لا يشعرون أن الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان و إذا سعد و أسرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل و القضاء النافذ بهم إلى هذا الفلك تنتهي

لا تتعداه فإنها لم تعتقد سواه فهم و إن كانوا اثني عشر فهم على أربع مراتب لأن العرش على أربع قوائم و المنازل ثلاثة دنيا و برزخ و آخرة و ما ثم رابع و لكل منزل من هذه المنازل أربعة لا بد منهم لهم الحكم في أهل هذه المنازل فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضرب اثني عشر فلذلك كانوا اثني عشر برجا و لما كانت الدار الدنيا تعود نارا في الآخرة بقي حكم الأربعة عليها التي لها و البرزخ في سوق الجنة و لا بد فيه من حكم الأربعة و الجنة لا بد فيها من حكم الأربعة فلا بد من البروج فالحمل و الأسد و القوس على مرتبة واحدة من الأربعة في مزاجهم و الثور و السنبلة و الجدي على مرتبة أخرى ولاة أيضا و الجوزاء و الميزان و الدالي على مرتبة أخرى ولاة أيضا و السرطان و العقرب و الحوت على مرتبة أخرى ولاة أيضا لأن كل واحد من كل ثلاثة على طبيعة واحدة في مزاجهم لكن منازل أحكامهم ثلاثة و هم أربعة ولاة في كل منزل و كل واحد منهم له الحكم في كل منزل من الثلاثة كما إن اليوم و الليلة لواحد من السبع الجواري الخنس الكنس هو و إليها و صاحبها الحاكم فيها و لكن للباقي من الجواري فيه حكم مع صاحب اليوم فلا يستقل دون الجماعة إلا بأول ساعة من يومه و ثامن ساعة و كذلك الليل و الآخرة مثل ذلك و إن كان لها الأسد كما كان للدنيا السرطان فلا بد لباقي البروج من حكم فيها كذلك البرزخ و إن كان له السنبلة فلا بد لكل واحد من الباقين من حكم فيها و ما ثم منزل ثالث إلا بتبدل الدنيا بالنار فإنه قد كان صاحب الدنيا بحكم الأصل السرطان فلما عادت نارا عزل السرطان و وليها برج الميزان و تبعه الباقون في الحكم فانظر ما أعجب هذا فإذا انقضى عذاب أهل النار وليها برج الجوزاء و لا بد لمن بقي من البروج حكم في ولاية هذا الوالي و إذا كان الحكم لواحد من هؤلاء في وقت نظره فيهم كان مزاج القابل في الآخرة على حكم النقيض حتى يتنعم به إذا حكم عليه هذا في المال خاصة لأن المال رحمة مطلقة عامة فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا أعني بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فإنه خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ و لما أدار الله الفلك الأطلس بما جعل فيه من الولاة و الحكام و جعل منتهى دورته يوما كاملا لا ليل فيه و لا نهار أوجد ما فيه عند حركته و بما ألقى و أوحى به إلى النواب من الحكم في ذلك و جعللأحكامهم في كل عين مدة معلومة محصورة تتنوع تلك المدد بحسب المنزل الدنياوي و الأخراوي و البرزخي و الحكم البرزخي أسرعه مدة و أكثره حكما كذا و سنيه على قدر أيامه و الأيام متفاضلة فيوم نصف دورة و يوم دورة كاملة و يوم من ثمان و عشرين دورة و أكثر من ذلك إلى يوم المعارج و أقل من ذلك إلى يوم الشئون و ما بين هذين اليومين درجات للأيام متفاضلة و جعل لكل نائب من هؤلاء الأملاك الاثني عشر في كل برج ملكه إياه ثلاثين خزانة تحتوي كل خزانة منها على علوم شتى يهبون منها لمن نزل بهم عن قدر ما تعطيه رتبة هذا النازل و هي الخزائن التي قال الله فيها وَإِنْ مِن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و هذا النازل بهم ما يصرف ما حصل له من هذه الخزائن من العلوم في نفسه فإن حظه منها حظ حصولها و يصرف ما حصل له في عالم الأركان و المولدات و الإنسان فمن النازلين من يقيم عندهم يوما في كل خزانة و ينصرف و هو أقل النازلين إقامة و أما أكثر النازلين إقامة فهو الذي يقيم عند كل خزانة ليحصل منها على قدر رتبته عند الله و ما يعطيه استعداده مائة سنة و باقي

النا زلين ما بين مائة سنة و اليوم و أعني باليوم قدر حركة هذا الفلك الأطلس و أعني بالمائة سنة كل سنة ثلاث مائة و ستين يوما من أيام هذه الحركة فاعلم ذلك و هذه الخزائن تسمى عند أهل التعاليم درجات الفلك و النا زلون بها هم الجواري و المنا زل و عيوقاتها من الثوابت و العلوم الحاصلة من هذه الخزائن الإلهية هي ما يظهر في عالم الأركان من التأثيرات بل ما يظهر من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى الأرض و سميت ثابتة لبطئها عن سرعة الجواري السبعة و جعل لهؤلاء الاثني عشر نظرا في الجنات و أهلها و ما فيها مخلصا من غير حجاب فما يظهر في الجنان من حكم فهو عن تولي هؤلاء الاثني عشر بنفوسهم تشريفا لأهل الجنة و أما أهل الدنيا و أهل النار فما يباشرون ما لهم فيها من الحكم إلا بالنواب و هم النا زلون عليهم الذين ذكرناهم فكل ما يظهر في الجنات من تكوين و أكل و شرب و نكاح و حركة و سكون و علوم و استحالة و مأكول و شهوة فعلى أيدي هؤلاء النواب الاثني عشر من تلك الخزائن بإذن الله عز و جل الذي استخلفهم و لهذا كان بين ما يحصل عنهم بمباشرتهم و بين ما يحصل عنهم بغير مباشرتهم بل بوساطة النا زلين بهم الذين هم لهم في الدنيا و النار كالحجاب و النواب بون عظيم و فرقان كبير يحصل علم ذلك الفرقان في الدنيا لمن اتقى الله و هو قوله في هذا و أمثاله إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و هو علم هذا و أمثاله وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ أي يستر عنكم ما يسوؤكم فلا ينالكم ألم من مشاهدته فإن رؤية السوء إذا رآه من يمكن أن يكون محلاله و إن لم يحل به فإنه تسوءه رؤيته و ذلك لحكم الوهم الذي عنده و الإمكان العقلي و يغفر لكم أي و يستر من أجلكم ممن لكم به عناية في دعاء عام أو خاص معين فالدعاء الخاص ما تعين به شخصا بعينه أو نوعا بعينه و العام ما ترسله مطلقا على عباد الله ممن يمكن أن يحل بهم سوء وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ بما أوجبه على نفسه من الرحمة و بما امتن به منها على من استحق العذاب كالعصاة في الأصول و الفروع و هؤلاء النواب الاثنا عشر هم الذين تولوا بناء الجنات كلها الا جنة عدن فإن الله خلقها بيده و جعلها له كالقلعة للملك و جعل فيها الكثيب إلا بيض من المسك و هو الظاهر من الصورة التي يتجلى فيها الرب لعباده عند الرؤية كالمسك بفتح الميم من الحيوان و هو الجلد و هو الغشاء الظاهر للابصار من الحيوان و جعل بأيديهم غراس الجنات إلا شجرة طوبى فإن الحق تعالى غرسها بيده في جنة عدن و أطالها حتى علت فروعها سور جنة عدن و تدلت مطلة على سائر الجنات كلها و ليس في أكمامها ثمر إلا الحلي و الحلل لباس أهل الجنة و زينتهم زائدا في الحسن و البهاء على ما تحمل أكمام شجر الجنات من ذلك لأن لشجرة طوبى اختصاص فضل بكون الله خلقها بيده فإن لباس أهل الجنة ما هو نسج ينسج و إنما تشقق عن لباسهم ثمر الجنة كما تشقق الأكمام هنا عن الورد و عن شقائق النعمان و ما شاكلهما من الأزهار كلها كما ورد في الخبر الصحيح كشفا و الحسن نقلا أن رسول الله ص كان يخطب بالناس فدخل رجل فقال يا رسول الله أو قام رجل من الحاضرين الشك مني فقال يا رسول الله ثياب أهل الجنة أ خلق تخلق أم نسج تنسج فضحك الحاضرون من كلامه فكره ذلك رسول الله ص منهم و قال أ تضحكون أن سأل جاهل عالما يا هذا و أشار إلى السائل بل تشقق عنها ثمر الجنة فحصل لهم علم لم يكونوا عرفوه و أدار بجنة عدن سائر الجنات

و بين كلجنة و جنة سور يميزها عن صاحبتها و سمي كل جنة باسم معناه سا ر في كل جنة و إن اختصت هي بذلك الاسم فإن ذلك الاسم الذي اختصت أمكن ما هي عليه من معناه و أفضله مثل قوله ص أقضاكم علي و أعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل و أفرضكم زيد و إن كان كل واحد منهم يعلم القضاء و الحلال و الحرام و الفرائض و لكن هو بمن سمي به أخص و هي جنة عدن و جنة الفردوس و جنة النعيم و جنة المأوى و جنة الخلد و جنة السلام و جنة المقامة و الوسيلة و هي أعلى جنة في الجنات فإنها في كل جنة من جنة عدن إلى آخر جنة فلها في كل جنة صورة و هي مخصوصة برسول الله ص وحده نالها بدعاء أمته حكمة من الله حيث نال الناس السعادة ببركة بعثته و دعائه إياهم إلى الله و تبيينه ما نزل الله إلى الناس من أحكامه جَزاءً وِفاقاً و جعل أرض هذه الجنات سطح الفلك المكوكب الذي هو سقف النا ر و سيأتي فصله في هذه الفصول إن شاء الله تعالى و جعل في كل جنة مائة د رجة بعدد الأسماء الحسنى و الاسم الأعظم المسكوت عنه لوترية الأسماء و هو الاسم الذي يتميز به الحق عن العالم هو الناظر إلى د رجة الوسيلة خاصة و له في كل جنة حكم كما له حكم اسم إلهي فافهم و منا زل الجنة على عدد آي القرآن ما بلغ إلينا منه نلنا تلك المنزلة بالقراءة و ما لم يبلغ إلينا نلناه بالاختصاص في جنات الاختصاص كما نلنا بالميراث جنات أهل النا ر الذين هم أهلها و أبواب الجنة ثمانية على عدد أعضاء التكليف و لهذا ورد في الخبر أن النبي ص قال فيمن توضأ و صلى ركعتين و لم يحدث نفسه بشيء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه فما عليه إن لا يدخلها من أبوابها كلها فقر ر رسول الله ص قول أبي بكر و أثبته و في خبر جعله صاحب هذا الحال فلكل عضو باب و الأعضاء ثمانية العين و الأذن و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرجل و القلب فقد يقوم الإنسان في زمن واحد بأعمال هذه الأعضاء كلها فيدخل من أبواب الجنة الثمانية في حال دخوله من كل باب منها فإن نشأة الآخرة تشبه البرزخ و باطن الإنسان من حيث ما هو ذو خيال و أما خوخات الجنات فتسع و سبعون خوخة و هي شعب الايمان بضع و سبعون شعبة و البضع هنا تسعة فإن البضع في اللسان من واحد إلى تسعة فادنى شعب الايمان إماطة الأذى عن الطريق و أعلاه لا إله إلا الله و ما بينهما مما يتعلق من الأعمال و مكا رم الأخلاق فمن أتى شيئًا من مكا رم الأخلاق فهو على شعبة من الايمان و إن لم يكن مؤمنا كمن يوحى إليه في المبشرات و هي جزء من أجزاء النبوة و إن لم يكن صاحب المبشرة نبيا فتفطن لعموم رحمة الله فما تطلق النبوة إلا لمن اتصف بالمجموع فذلك النبي و تلك النبوة التي حجزت علينا و انقطعت فإن من جملتها التشريع بالوحي الملكي في التشريع و ذلك لا يكون إلا لنبي خاصة فلا بد أن يكون لهذه الشعبة حكم فيمن قامت به و اتصف بها و ظهر أثرها عليه فإن الله لما أخبر بهذه الشعبة على لسان الرسول أضافها إلى الايمان إضافة إطلاق لم يقيد إيمانا بكذا بل قال الايمان و الايمان بكذا شعبة من شعب الايمان المطلق فكل شعبة إيمان كالذين آمنوا بالباطل خاصة و هو الإصلاح بين الناس بما لم يكن و الخديعة في الحرب فكان للكذب دخول في الايمان فهو في موطن شعبة من شعب الايمان و قد يوجد هذا من المؤمن و غير المؤمن على أنه ما ثم غير مؤمن فإن الله ما

تركه كما أنه ما ثم غير كافر فإن الأمر محصور بين مؤمن بالله و مؤمن بالباطل و كافر بالله و كافر بالباطل فكل عبد لله فهو مؤمن كافر معا يعين إيمانه و كفره ما تقيد به فلكل شعبة من الايمان طريق إلى الجنة فأهل الجنان في كل جنة و أهل النار من حيث ما قام بهم من شعب الايمان و هم أهل النار الذين لا يخرجون منها فلهم بما كانوا فيه من شعب الايمان جميع معاني الجنات في النار إلا جنة الفردوس و الوسيلة لا قدم لهم فيهما فإن الفردوس لا عين له في النار فلهم النعيم و الخلد و المأوى و السلام و المقامة و عدن و لأهل الجنات الرؤية متى شاءوا و لأهل النار في أحيان مخصوصة الرؤية فإن الله ما أرسل الحجاب عليهم مطلقا و إنما قال يومئذ في قوله كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ لما تعود عليهم و اغلظ في حال الغضب و الربوبية لها الشفقة فإن المربي ضعيف يتعين اللطف به فلذلك كان في حال الغضب عن ربه محجوبا فافهم فأورثه ذلك الحجاب أن جعله يصلي الجحيم لأنه قال بعد قوله لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ فأتى بقوله ثم فما صلى الجحيم إلا بعد وقوع الحجاب و لذلك قيده بيومئذ كذلك أيضا لم يخل إنسان و لا مكلف أن يكون على خلق من أخلاق الله و أن للهثلاثمائة خلق فلا بد أن يكون الإنسان من مؤمن و كافر على خلق من أخلاق الله و أخلاق الله كلها حسنة حميدة فكل ذات قام بها خلق منها و صرفه في الموضع الذي يستحقه ذلك الخلق فلا بد أن تسعد به حيث كانت من نار أو جنان فإنه في كل ذي كبد رطبة أجر و لا بد أن يحنو كل إنسان على أمر ما من خلق الله فله أجر من ذلك فدركات النار هي دركات ما لم ينقطع العذاب فإذا انتهى إلى أجله المسمى عاد ذلك الدرك في حق المقيم فيه درجة للخلق الإلهي الذي كان عليه يوما ما

الله أكرم أن تنساك منته   و من جيود إذا الرحمن لم يجد

و لما جعل الله تعالى في المكلف عقلا و تجلى له كان له من جهة عقله و نظره عقد و عهد لله ألزمه ذلك النظر العقلي و هو الافتقار إلى الله بالذات و أمثاله ثم بعث إليه رسولا من عنده فأخذ عليه عهدا آخر على ما تقرر في الميثاق الأول فصار الإنسان مع الله بين عهدين عهد عقلي و عهد شرعي و أمره الله بالوفاء بهما بل طلبه الحال بذلك لقبوله فلما وقفت على هذين العهدين و بلغ مني علمي بهما المبلغ الذي يبلغه من شاهده قلت

في القلب عقد حجى و عقد هداية   أتراه يخلص من له عقدان
علمته ربي بما أعطيتنيه   ما لي لما حملتنيه تران
ما كل ما كلفتنيه أطيقه   من لي بتحصيل النجاة و ذان
عقلا و شرعا بالوفاء ينا ديا   قلبي فما لي بالوفاء يدان
إن كنت نعتي فالوفاء محصل   أو كنت أنت فما هما عنياني

أما قولي إن كنت نعتي فهو قول رسول الله ص عن ربه إنه قال كنت سمعه و بصره و يده و مؤيد هو كذلك إن كنت أعني نفسي أنت أي أنت الفاعل و الموجد للعمل و الوفاء لا أنا إذ لا إيجاد لمخلوق في عقدنا بل الأمر كله لله فما هما يعني العقل و الشرع بحكمهما على عنياني و إنما عنيا من له خلق الأعمال و الأحوال و القدرة عليها و إنما قلنا هذا لتحقق عند السامعين صدق الله في قوله وَكَانَ الْإِنسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا و أقوى الجدال ما يجادل به الله و اعلم أن شجرة طوبى لجميع شجر الجنات كآدم لما ظهر منه من البنين فإن الله لما غرسها بيده و سواها نفخ فيها من روحه و كما فعل في مريم نفخ فيها من روحه فكان عيسى يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص فشرف آدم باليدين و نفخ الروح فيه فأورثه نفخ الروح فيه علم الأسماء لكونه مخلوقا باليدين فبالمجموع نال الأمر و كانت له الخلافة و الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا و تولى الحق غرس شجرة طوبى بيده و نفخ الروح فيها زينها بثمر الحلي و الحلل الذين فيهما زينة للابسهما فنحن أرضها فإن الله جعل ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها و أعطت في ثمر الجنة كله من حقيقتها عين ما هي عليه كما أعطت النواة النخلة و ما تحمله مع النوى الذي في ثمرها و كل من تولاه الحق بنفسه من وجهه الخاص بأمر ما من الأمور فإن له شفوفا و ميزة على من ليس له هذا الاختصاص و لا هذا التوجه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ «الفصل الرابع» في فلك المنازل و هو المكوكب و هيأة السموات و الأرض و الأركان و المولدات و العمد الذي يمسك الله السماء به أن تقع على الأرض لرحمته بمن فيها من الناس مع كفرهم بنعمته فلا تهوي السماء ساقطة واهية حتى يزول الناس منها اعلم أن الله خلق هذا الفلك المكوكب في جوف الفلك الأطلس و ما بينهما خلق الجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها و الأطلس سماؤها و بينهما فضاء لا يعلم منتهاه إلا من أعلمه الله فهو فيه كحلقة في فلاة فيحاء و عين في مقعر هذا الفلك ثماني و عشرين منزلة مع ما أضاف إلى هذه الكواكب التي سميت منازل القطع السيارة فيها و لا فرق بينها و بين سائر الكواكب الأخر التي ليست بمنازل في سيرها و فيما تختص به من الأحكام في نزولها الذي ذكرناها في البروج قال تعالى وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ يعني هذه المنازل المعينة في هذا الفلك المكوكب و هي كالمنطقة بين الكواكب من الشرطين إلى الرشاء و هي تقديرات و فروض في هذا الجسم و لا تعرف أعيان هذه المقادر إلا بهذه الكواكب كما أنه ما عرفت أنها منازل إلا بنزول السيارة فيها و لو لا ذلك ما تميزت عن سائر الكواكب إلا بأشخاصها و من مقعر هذاالفلك إلى ما تحته هي الدار الدنيا فإنه من هناك إلى ما تحته يكون استحالة ما تراه إلى الأخرى فللأخرى صورة فيها غير صورة الدنيا فينتقل من ينتقل منها إلى الجنة من إنسان و غير إنسان و يبقى ما يبقى فيها من إنسان و غير إنسان و كل من يبقى فيها فهو من أهل النار الذين هو أهلها و جعل الله لكل كوكب من هذه الكواكب قطعا في الفلك الأطلس ليحصل من تلك الخزائن التي في بروجه و بأيدي ملائكته الاثني عشر من علوم التأثير ما تعطيه حقيقة كل كوكب و قد بينا ذلك و جعلها على طبائع مختلفة و النور الذي فيها و في سائر السيارة من نور الشمس و هو الكوكب الأعظم القلبي و نور الشمس ما هو من حيث عينها بل هو من تجل دائم لها من اسمه النور فما ثم نور إلا نور الله الذي هو نور السموات و الأرض فالناس يضيفون

ذلك النور إلى جرم الشمس و لا فرق بين الشمس و الكواكب في ذلك إلا أن التجلي للشمس على الدوام فلهذا لا يذهب نورها إلى زمان تكويرها فإن ذلك التجلي المثالي النوري يستتر عنه في أعين الناظرين بالحجاب الذي بينهما و بين أعينهم و بسباحة هذه الكواكب تحدث أفلاكا في هذا الفلك أي طرقا و الهواء يعم جميع المخلوقات فهو حياة العالم و هو حار رطب فما أفرطت فيه الحرارة و السخونة سمي نارا و ما أفرطت فيه الرطوبة و قلت حرارته سمي ماء و ما بقي على حكم الاعتدال بقي عليه اسم الهواء و على الهواء أمسك الماء و به جرى و أنساب و تحرك و ليس في الأركان أقبل لسرعة الاستحالة من الهواء لأنه الأصل و هو فرع لازدواج الحرارة و الرطوبة على الاعتدال و الطريق المستقيم فهو الاسطقس الأعظم أصل الاسطقصات كلها و الماء أقرب أسطقس إليه و لهذا جعل الله منه كل شيء حي و يقبل بذاته التسخين و لا تقبل النار برودة و لا رطوبة لا بالذات و لا بالعرض بخلاف الماء «وصل» فأعظم البروج البروج الهوائية و هي الجوزاء و الميزان و الدالي و لما خلق الله الأرض سبع طباق جعل كل أرض أصغر من الأخرى لكون على كل أرض قبة سماء فلما خلق الأرض وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا وكسا الهواء صورة النحاس الذي هو الدخان فمن ذلك الدخان خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً أجساما شفافة و جعلها على الأرض كالقباب على كل أرض سماء أطرافها عليها نصف كرة و الأرض لها كالبساط فهي مدحية دحاها من أجل السماء أن تكون عليها فمادت فقال بالجبال عليها فثقلت فسكنت بها و جعل في كل سماء منها كوكبا و هي الجواري منها القمر في السماء الدنيا و في السماء الثانية الكاتب و هو عطارد و في الثالثة الزهرة و في الرابعة الشمس و في الخامسة الأحمر و هو المريخ و في السادسة المشتري و هو بهرام و في السابعة زحل و هو المقاتل كما رسمناها في المثال المتقدم فلما سبحت الكواكب كلها و نزلت بالخزائن التي في البروج و وهبتها ملائكة البروج من تلك الخزائن ما وهبتها أثرت في الأركان ما تولد فيها من جماد الذي هو المعدن و نبات و حيوان و آخر موجود الإنسان الحيوان خليفة الإنسان الكامل و هو الصورة الظاهرة التي بها جمع حقائق العالم و الإنسان الكامل هو الذي أضاف إلى جمعية حقائق العالم حقائق الحق التي بها صحت له الخلافة ظهر ذلك فيمن ظهر من هذه الصور فجعل في كل صنف من المولدات نوعا كاملا من جنسها فأكمل صورة ظهرت في المعدن صورة الذهب و في النبات شجر الوقواق و في الحيوان الإنسان و جعل بين كل نوعين متوسطات كالكمأة بين المعدن و النبات و النخلة بين النبات و الحيوان و النسناس و القرد بين الحيوان و الإنسان و نفخ في كل صورة أنشأها روحا منه فحييت و تعرف إليها بها فعرفته بأمر جبلت عليه تلك الصورة و ما تعرف إليها إلا من نفسها فما تراه إلا على صورتها و كانت الصورة على أمزجة مختلفة و إن كانت خلقت من نفس واحدة كقلوب بنى آدم خلقها الله من نفس واحدة و هي مختلفة فمن الصور من بطنت حياته فأخذ الله بأبصار أكثر الناس عنها و هي على ضربين ضرب له نمو و غذاء و نوع له نمو و لا غذاء له فسمينا الصنف الواحد معدنا و حجرا و الآخر نباتا و من الصور من ظهرت حياته فسميناه حيوانا و حيا و الكل حي في نفس الأمر ذو نفس ناطقة و لا يمكن أن يكون في العالم صورة لا

نفس لها و لا حياة و لا عبادة ذاتية و أمرية سواء كانت تلك الصورة مما يحدثها الإنسان من الأشكال أو يحدثها الحيوانات و من أحدثها من الخلق عن قصد و عن غير قصد فما هو إلا أن تتصور الصورة كيف تصورت و على يدي من ظهرت إلا و يلبسها الله تعالى روحا من أمره و يتعرف إليها من حينه فتعرفه منها و تشهده فيها هكذا هو الأمر دائما دنيا و آخرة يكشفه أهل الكشف فظهر الليل و النهار بطلوع الشمس و غروبها كالأطلس كما حدث الزمان بمقارنة الحوادث عند السؤال بمتى و الزمان و اليوم و الليل و النهار و فصول السنة كلها أمور عدمية نسبية لا وجود لها في الأعيان و أوحى في كل سماء أمرها و جعل إمضاء الأمور التي أودعها السموات في عالم الأركان عند سباحة هذه الجواري و جعلهم نوابا متصرفين بأمر الحق لتنفيذ هذه الأمور التي أخذوها من خزائن البروج في السنة بكمالها و قدر لها المنازل المعلومة التي في الفلك المكوكب و جعل لها اقترابات و افتراقات كل ذلك بتقدير العزيز العليم و جعل سيرها في استدارة و لهذا سماها أفلاكا و جعل في سطح السماء السابعة الضراح و هو البيت المعمور و شكله كما رسمته في الهامش و خلق في كل سماء عالما من الأرواح و الملائكة يعمرونها فأما الملائكة فهم السفراء النازلون بمصالح العالم الذي ظهر في الأركان و المصالح أمور معلومة و ما يحدث عن حركات هذه الكواكب كلها و عن حركة الأطلس لا علم لهؤلاء السفراء بذلك حتى تحدث فلكل واحد منهم مقام معلوم لا يتعداه و باقي العالم شغلهم التسبيح و الصلاة و الثناء على الله تعالى و بين السماء السابعة و الفلك المكوكب كراسي عليها صور كصور المكلفين من الثقلين و ستور مرفوعة بأيدي ملائكة مطهرة ليس لهم إلا مراقبة تلك الصور و بأيديهم تلك الستور فإذا نظر الملك إلى الصور قد سمجت و تغيرت عما كانت عليه من الحسن أرسل الستر بينها و بين سائر الصور فلا يعرفون ما طرأ و لا يزال الملك من الله مراقبا تلك الصورة فإذا رأى تلك الصورة قد زال عنها ذلك القبح و حسنت رفع الستر فظهرت في أحسن زينة و تسبيح تلك الصور و هؤلاء الأرواح الملكية الموكلة بالستور سبحان من أظهر الجميل و ستر القبيح و أطلع أهل الكشف على هذا ليتخلقوا بأخلاق الله و يتأدبوا مع عباد الله فيظهرون محاسن العالم و يسترون مساويهم و بذلك جاءت الشرائع من عند الله فإذا رأيت من يدعي الأهلية لله و يكون مع العالم على خلاف هذا الحكم فهو كاذب في دعواه و بهذا و أمثاله تسمى سبحانه بالغافر و الغفور و الغفار و لما كون الله ملكوته مما ذكرناه خلق آدم بيديه من الأركان و جعل أعظم جزء فيه التراب لبرده و يبسه و أنزله خليفة في أرضه التي خلق منها و قد كان خلق قبله الجان من الأركان و جعل أغلب جزء فيه النار و كان من أمر آدم و إبليس و الملائكة ما وصف الله لنا في القرآن فلا يحتاج إلى ذكر ذلك و أمسك الله صورة السماء على السماء لأجل الإنسان الموحد الذي لا يمكن أن ينفي فذكره الله الله لأنه ليس في خاطره إلا الله فما عنده أمر آخر يدعي عنده ألوهية فينفيه بلا إله إلا الله فليس إلا الله الواحد الأحد و لهذا قال رسول الله ص لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله و هو

الذكر الأكبر الذي قال الله فيه وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ فما قال الرسول ص من يقول لا إله الله فهذا الاسم هو هجير هذا الإمام الذي يقبض آخرا و تقوم الساعة فتنشق السماء فإن هذا و أمثاله كان العمد لأن الله ما أمسكها من أجله أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ و لذلك قال فيها إنها واهِيَةٌ أي واقعة ساقطة ثم ما زالت النواب تتحرك في طرقها و الصور تظهر بالاستحالات في عالم الأركان دنيا و برزخا و آخرة إلى أن يرث الله الْأَرْضَ وَمن عَلَيْها فلا يبقى إلا ما في الآخرة و هو يوم القيامة و الدا ران الجنة و النا ر و لكل واحدة منهما ملؤها من الجن و الإنس و مما شاء الله و في الجنة قدم الصدق و في النا ر قدم الجبا ر و هما القدمان اللتان في الكرسي و قد مر من الكلام في هذا الفن من هذا الكتاب ما فيه غنية للعاقل و بلغة زاد للمسافر توصله إلى مقصوده «الفصل الخامس» في أرض الحشر و ما تحوي عليه من العالم و المراتب و عرش الفصل و القضاء و حملته و صفوف الملائكة عليها بين يدي الحكم العدل اعلم أن الله تعالى إذا نفخ في الصور و بعث ما في القبور و حشر الناس و الوحوش وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها و لم يبق في بطنها سوى عينها إخراجا لا نبا تا و هو الفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة و بين نشأة الآخرة الظاهرة فإن الأولى أنبتنا فيها من الأرض فنبتنا نبا تا كما ينبت النبات على التدريج و قبول الزيادة في الجرم طولا و عرضا و نشأة الآخرة إخراج من الأرض على الصورة التي يشاء الحق أن يخرجنا عليها و لذلك علق المشيئة بنشر الصورة التي أعادها في الأرض الموصوفة بأنها تنبت فتنبت على غير مثال لأنه ليس في الصور صورة تشبهها فكذلك نشأة الآخرة يظهرها الله على غير مثال صورة تقدمت تشبهها و ذلك قوله كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ وَنُنْشِئَكُمْ في ما لا تَعْلَمُونَ فإذا أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها و حدثت أنها ما بقي فيها مما اختزنته شيء جيء بالعالم إلى الظلمة التي دون الجسر فألقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضا و لا يبصرون كيف التبديل في السماء و الأرض حتى تقع فتمد الأرض أولا مد الأديم و تبسط ف لا تَرى فِيها عِوَجاً وَلا أَمْتاً و هي الساهرة فلا نوم فيها فإنه لا نوم لأحد بعد الدنيا و يرجع ما تحت مقعر الفلك المكوكب جهنم و لهذا سميت بهذا الاسم لبعد قعرها فأين المقعر من الأرض و يوضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه إلى المرج الذي خا رج سور الجنة و أول جنة يدخلها الناس هي جنة النعيم و في ذلك المرج المأدبة و هو د رمكة بيضاء نقية منها يأكل أهل المأدبة و هو قوله تعالى في المؤمنين إذا أقاموا التوراة و الإنجيل من بنى إسرائيل وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ من رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ وَمن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ فنحن أمة محمد ص نقيم كل ما أنزل إلينا من ربنا بالإيمان و به نعمل من ذلك بما أمرنا من العمل به و غيرنا من الأمم منهم من آمن كما آمنا و منهم من آمن ببعض و كفر ببعض فمن نجا منهم قيل فيه لَأَكَلُوا من فَوْقِهِمْ و هو ما خرج من فروع أشجا ر الجنان على السور فظلل على هذا المرج فقطفه السعداء و من تحت أرجلهم هو ما أكلوه من الد ر مكة البيضاء التي هم عليها و وضع الموازين في أرض الحشر لكل مكلف ميزان يخصه و ضرب بسور يسمى الأعراف بين الجنة و النا ر و جعله مكانا لن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح إحداهما على الأخرى و وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين و أقوالهم

ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك فعقلوها في أعناقهم بأيديهم فمنهم من أخذ كتابه بيمينه و منهم من أخذه بشماله و منهم من أخذه من وراء ظهره و هم الذين نبذوا الكتاب في الدنيا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا و ليس أولئك إلا الأئمة الضلال المضلون الذين ضلوا و أضلوا و جيء بالحوض يتدفق ماء عليه من الأواني على عدد الشاربين منه و لا تزيد و لا تنقص ترمي فيه أنبوبات أنبوب ذهب و أنبوب فضة و هو لزيق بالسور و من السور تنبعث هذان الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون و يؤتى بمنابر من نور مختلفة في الإضاءة و اللون فتنصب في تلك الأرض و يؤتى بقوم فيقعدون عليها قد غشيتهم الأنوار لا يعرفهم أحد في رحمة الأبد عليهم من الخلع الإلهية ما تقر به أعينهم و يأتي مع كل إنسان قرينه من الشياطين و الملائكة و تنشر الألوية في ذلك اليوم للسعداء و الأشقياء بأيدي أئمتهم الذين كانوا يدعونهم إلى ما كانوا يدعونهم إليه من حق و باطل و تجتمع كل أمة إلى رسولها من آمن منهم به و من كفر و تحشر الأفراد و الأنبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فإنهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم و قد عين الله في هذه الأرض بين يدي عرش الفصل و القضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التي في الجنة يسمى ذلك المقام المحمود و هو لمحمد ص خاصة و تأتي الملائكة ملائكة السموات ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فيكونون سبعة صفوف أهل كل سماء صف و الروح قائم مقدم الجماعة و هو الملك الذي نزل بالشرائع على الرسل ثم يجاء بالكتب المنزلة و الصحف و كل طائفة ممن نزلت من أجلها خلفها فيمتا زون عن أصحاب الفترات و عمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله و إنما دخل فيه و ترك ناموسه لكونه من عند الله و كان ناموسه عن نظر عقلي من عاقل مهدي ثم يأتي الله عز و جل على عرشه و الملائكة الثمانية تحمل ذلك العرش فيضعونه في تلك الأرض و الجنة عن يمين العرش و النار من الجانب الآخر و قد علمت الهيبة الإلهية و غلبت على قلوب أهل الموقف من إنسان و ملك و جان و وحش فلا يتكلمون إلا همسا بإشارة عين و خفي صوت و ترفع الحجب بين الله و بين عباده و هو كشف الساق و يأمرهم داعي الحق عن أمر الله بالسجود لله فلا يبقى أحد سجد لله خالصا على أي دين كان إلا سجد السجود المعهود و من سجد اتقاء و رياء خر على قفاه و بهذه السجدة يرجح ميزان أصحاب الأعراف لأنها سجدة تكليف فيسعدون و يدخلون الجنة و يشرع الحق في الفصل و الحكم بين عباده فيما كان بينهم و أما ما كان بينهم و بين الله فإن الكرم الإلهي قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحدا من عباد الله فيما لم يتعلق به حق للغير و قد ورد من أخبار الأنبياء ع في ذلك اليوم ما قد ورد على ألسنة الرسل و دون الناس فيه ما دونوا فمن أراد تفاصيل الأمور فلينظرها هنالك ثم تقع الشفاعة الأولى من محمد ص في كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون و يقبل الله من شفاعتهم ما شاء و يرد من شفاعتهم ما شاء لأن الرحمة في ذلك اليوم يبسطها الله في قلوب الشفعاء فمن رد الله شفاعته من الشافعين لم يردها انتقاصا بهم و لا عدم رحمة بالمشفوع فيه و إنما أراد بذلك إظهار المنة الإلهية على بعض عباده فيتولى الله سعادتهم و رفع الشقاوة عنهم فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخراجهم من النار إلى الجنان و قد ورد و شفاعته بشفاعة أرحم الراحمين عند

المنتقم الجبار فهي مراتب أسماء إلهية لا شفاعة محققة فإن الله يقول في ذلك اليوم شفعت الملائكة و النبيون و المؤمنون و بقي أرحم الراحمين فدل بالمفهوم أنه لم يشفع فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار إلى الجنة و نقل حال من هو من أهل النار من شقاء الآلام إلى سعادة إزالتها فذلك قدر نعيمه و قد يشاء و يملأ الله جهنم بغضبه المشوب و قضائه و الجنة برضاه فتعم الرحمة و تنبسط النعمة فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحق فيتحولون لتحوله و آخر صورة يتحول إليها في الحكم في عباده صورة الرضاء فيتحول الحق في صورة النعيم فإن الرحيم و المعافي أول من يرحم و يعفو و ينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الحرج و الغضب على من أغضبه ثم سرى ذلك في المغضوب عليه فمن فهم فقد أمناه و من لم يفهم فسيعلم و يفهم فإن المال إليه و الله من حيث يعلم نفسه و من هويته و غناه فهو على ما هو عليه و إنما هذا الذي وردت به الأخبار و أعطاه الكشف إنما ذلك أحوال تظهر و مقامات تشخص و معان تجسد ليعلم الحق عباده معنى الاسم الإلهي الظاهر و هو ما بدا من هذا كله و الاسم الإلهي الباطن و هو هويته و قد تسمى لنا بهما فكل ما هو العالم فيه من تصريف و انقلاب و تحول في صور في حق و خلق فذلك من حكم الاسم الظاهر و هو منتهى علم العالم و العلماء بالله و أما الاسم الباطن فهو إليه لا إلينا و ما بأيدينا منه سوى لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ على بعض وجوه محتملاته إلا أن أوصاف التنزيه لها تعلق بالاسم الباطن و إن كان فيه تحديد و لكن ليس في الإمكان أكثر من هذا فإنه غاية الفهم عندنا الذي يعطيه استعدادنا و أما قوله تعالى وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا فإن الطريق إلى الجنة عليها فلا بد من الورود فإذا لم يبق في أرض الحشر من أهل الجنة أحد عاد كله نارا أي دار النار و إن كان فيها زمهرير فجهنم من مقعر فلك الكواكب إلى أسفل سافلين «الفصل السادس» في جهنم و أبوابها و منازلها و دركاتها اعلم أن جهنم تحوي على السموات و الأرض على ما كانت عليه السماء و الأرض إذ كانتا رتقا فرجعت إلى صفتها من الرتق و الكواكب كلها فيها طالعة و غاربة على أهل النار بالحرور و الزمهرير بالحرور على المقرورين بعد استيفاء المؤاخذة بما أجرموا و بالزمهرير على المحرورين ليجدوا في ذلك نعيما و لذة ما لهم من النعيم إلا ذلك و هو دائم عليهم أبدا و كذلك طعامهم و شرابهم بعد انقضاء مدة المؤاخذة يتناولون من شجرة الزقوم لكل إنسان بحسب ما يبرد عنه ما كان يجده أو يسخنه كالظمآن بحرارة العطش فيجد ماء باردا فيجد له من اللذة لاذهابه لحرارة العطش و كذلك ضده و أبوابها سبعة بحسب أعضاء التكليف الظاهرة لأن باب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه عند ما أقر له بالربوبية و على نفسه بالعبودية فللنار على الأفئدة اطلاع لا دخول لغلق ذلك الباب فهو كالجنة حفت بالمكاره فما ذكر الله من أبواب النار إلا السبعة التي يدخل منها الناس و الجان و أما الباب المغلق الذي لا يدخل عليه أحد هو في السور فباطنه فيه الرحمة بإقراره بوجود الله ربا له و عبودته لربه و ظاهره من قبله العذاب و هي النار التي تطلع على الأفئدة و أما منازلها و دركاتها و خوخاتها فعلى ما ذكرناه في الجنة على السواء لا تزيد و لا تنقص و ليس في النار نار ميراث و لا نار اختصاص و إنما ثم نار أعمال فمنهم من عمرها بنفسه و عمله الذي هو قرينه و من كان من أهل الجنة بقي

عمله الذي كان في الدنيا على صورته في المكان من النار الذي لو كان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه فإنه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل و هو خلاف ما كلف من فعل و ترك فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض التي خلق منها و كل شيء إلى أصله يعود و إن طالت المدة فإنها أنفاس معدودة و آجال مضروبة محدودة يبلغ الكتاب فيها أجله و يرى كل مؤمل ما أمله فإنما نحن به و له فما خرجنا عنا و لا حللنا إلا بنا حيث كنا و حشرت الوحوش كلها فيها إنعاما من الله عليها إلا الغزلان و ما استعمل من الحيوان في سبيل الله فإنهم في الجنان على صور يقتضيها ذلك الموطن و كل حيوان تغذى به أهل الجنة في الدنيا خاصة و إذا لم يبق في النار أحد إلا أهلها و هم في حال العذاب يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيوضع بين الجنة و النار ينظر إليه أهل الجنة و أهل النار فيقال لهم تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجعه الروح الأمين و يأتي يحيى ع و بيده الشفرة فيذبحه و يقول الملك لساكني الجنة و النار خلود فلا موت و يقع اليأس لأهل النار من الخروج منها و يرتفع الإمكان من قلوب أهل الجنة من وقوع الخروج منها و تغلق الأبواب و هي عين فتح أبواب الجنة فإنها على شكل الباب الذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل عين فتحه منزلا آخر و أما أسماء أبوابها السبعة فباب جهنم باب الجحيم باب السعير باب سقر باب لظى و باب الحطمة و باب سجين و الباب المغلق و هو الثامن الذي لا يفتح فهو الحجاب و أما خوخات شعب الايمان فمن كان على شعبة منها فإن له منها تجليا بحسب تلك الشعبة كانت ما كانت و منها ما هي خلق في العبد جبل عليه و منها ما هي مكتسبة و كل خير فإنها عن الخير المحض فمن عمل خيرا على أي وجه كان فإنه يراه و يجازى به و من عمل شرا فلا بد أن يراه و قد يجازي به و قد يعفى عنه و يبدل له بخير إن كان في الدنيا قد تاب و إن مات عن غير توبة فلا بد أن يبدل بما يقابله بما تقتضيه ندامته يوم يبعثون و يرى الناس أعمالهم و الجان و كل مكلف فما كان يستوحش منه المكلف عند رؤيته يعود له أنس له به و تختلف الهيئات في الدارين مع الأنفاس باختلاف الخواطر هنا في الدنيا فإن باطن الإنسان في الدنيا هو الظاهر في الدار الآخرة و قد كان غيبا هنا فيعود شهادة هناك و تبقي العين غيبا باطن هذه الهيئات و الصور لا تتبدل و لا تتحول فما ثم إلا صور و هيئات تخلع عنه و عليه دائما أبدا إلى غير نهاية و لا انقضاء «الفصل السابع» في حضرة الأسماء الإلهية و الدنيا و الآخرة و البرزخ اعلم أن أسماء الله الحسنى نسب و إضافات و فيها أئمة و سدنة و منها ما يحتاج إليها الممكنات احتياجا ضروريا و منها ما لا يحتاج إليها الممكنات ذلك الاحتياج الضروري و قوة نسبتها إلى الحق أوجه من طلبها للخلق فالذي لا بد للممكن منها الحي و العالم و المريد و القائل كشفا و هو في النظر العقلي القادر فهذه أربعة يطلبها الخلق بذاته و إلى هذه الأربعة تستند الطبيعة كما تستند الأركان إلى الطبيعة كما تستند الأخلاط إلى الأركان و إلى الأربعة تستند في ظهورها أمهات المقولات و هي الجوهر و العرض و الزمان و المكان و ما بقي من الأسماء فكالسدنة لهذه الأسماء ثم يلي هذه الأسماء اسمان المدبر و المفصل ثم الجواد و المقسط فعن هذين الاسمين كان عالم الغيب و الشهادة و الدار الدنيا و الآخرة و عنهما كان البلاء و العافية و الجنة و النار و عنهما خلق

من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ و السراء و الضراء و عنهما صدر التحميدان في العالم التحميد الواحد الحمد لله المنعم المفضل و التحميد الآخر الحمد لله على كل حال و عن هذين الاسمين ظهرت القوتان في النفس القوة العلمية و القوة العملية و القوة و الفعل و الكون و الاستحالة و الملإ الأعلى و الملإ الأسفل و الخلق و الأمر و لما كانت الأسماء الإلهية نسبا تطلبها الآثار لذلك لا يلزم ما تعطل حكمه منها ما لم يتعطل و إنما يقدح ذلك لو اتفق أن تكون أمرا وجوديا فالله إله سواء وجد العالم أو لم يوجد فإن بعض المتوهمين تخيل أن الأسماء للمسمى تدل على أعيان وجودية قائمة بذات الحق فإن لم يكن حكمها يعم و إلا بقي منها ما لا أثر له معطلا فلذلك قلنا إنه سبحانه لو رحم العالم كله لكان و لو عذب العالم كله لكان و لو رحم بعضه و عذب بعضه لكان و لو عذبه إلى أجل مسمى لكان فإن الواجب الوجود لا يمتنع عنه ما هو ممكن لنفسه و لا مكره له على ما ينفذه في خلقه بل هو الفعال لما يريد فلما خلق الله العالم رأيناه ذا مراتب و حقائق مختلفة تطلب كل حقيقة منه من الحق نسبة خاصة فلما أرسل تعالى رسله كان مما أرسلهم به لأجل تلك النسب أسماء تسمى بها لخلقه يفهم منها دلالتها على ذاته تعالى و على أمر معقول لا عين له في الوجود له حكم هذا الأثر و الحقيقة الظاهرة في العالم من خلق و رزق و نفع و ضر و إيجاد و اختصاص و أحكام و غلبة و قهر و لطف و تنزل و استجلاب و محبة و بغض و قرب و بعد و تعظيم و تحقير و كل صفة ظاهرة في العالم تستدعي نسبة خاصة لها اسم معلوم عندنا من الشرع فمنها مشتركة و إن كان لكل واحد من المشتركة معنى إذا تبين ظهر أنها متباينة فالأصل في الأسماء التباين و الاشتراك فيه لفظي و منها متباينة و منها مترادفة و مع ترادفها فلا بد أن يفهم من كل واحد معنى لا يكون في الآخر فعلمنا ما سمي به نفسه و اقتصرنا عليها فأوجد الدار الدنيا و أسكن فيها الحيوان و جعل الإنسان الكامل فيها إماما و خليفة أعطاه علم الأسماء لما تدل عليه من المعاني و سخر لهذا الإنسان و بنيه و ما تناسل منه جميع ما في السموات و ما في الأرض و خلق خلقا إن قلت فيه موجود صدقت و إن قلت فيه معدوم صدقت و إن قلت فيه لا موجود و لا معدوم صدقت و هو الخيال و له حالان حال اتصال و هذا الحال له بوجود الإنسان و بعض الحيوان و حال انفصال و هو ما يتعلق به الإدراك الظاهر منحازا عنه في نفس الأمر كجبريل في صورة دحية و من ظهر من عالم الستر من الجنة من ملك و غيره و خلق الجنة و المنزل الذي يكون يوم القيامة نارا فخلق من النار ما خلق و بقي منها ما بقي في القوة و جعل ذلك فيما جعل الله في هذا الوجود الطبيعي من الاستحالات فالذي هو اليوم دار دنيا يكون غدا في القيامة دار جهنم و ذلك في علم الله و قد بينا ذلك في الصورة المثالية المتقدمة في هذا الباب على التقريب «الفصل الثامن» في الكثيب و مراتب الخلق فيه اعلم أن الكثيب هو مسك أبيض في جنة عدن و جنة عدن هي قصبة الجنة و قلعتها و حضرة الملك و خواصه لا تدخلها العامة إلا بحكم الزيارة و جعل في هذا الكثيب منابر و أسرة و كراسي و مراتب لأن أهل الكثيب أربع طوائف مؤمنون و أولياء و أنبياء و رسل و كل صنف ممن ذكرنا أشخاصه يفضل بعضهم بعضا قال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و قال وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ فتفضل منازلهم بتفاضلهم و إن اشتركوا في

الدار و من هذا الباب قوله وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ يعني الخلق فدخل فيه جميع بنى آدم دنيا و آخرة فإذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق إلى رؤيته فيسارعون على قدر مراكبهم و مشيهم هنا في طاعة ربهم فمنهم البطيء و منهم السريع و منهم المتوسط و يجتمعون في الكثيب و كل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يجري إليها و لا ينزل إلا فيها كما يجري الطفل إلى الثدي و الحديد إلى المغناطيس لو رام أن ينزل في غير مرتبته لما قدر و لو رام أن يتعشق بغير منزلته ما استطاع بل يرى في منزلته أنه قد بلغ منتهى أمله و قصده فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا لا يقوم بنفسه ما هو عنده أحسن من حاله و لولا ذلك لكانت دار ألم و تنغيص و لم تكن جنة و لا دار نعيم غير إن الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته و عنده نعيم الأدنى و أدنى الناس منزلة على أنه ليس ثم من دنى من لا نعيم له إلا بمنزلة خاصة و أعلاهم من لا أعلى منه له نعيم بالكل فكل شخص مقصور عليه نعيمه فما أعجب هذا الحكم ففي الرؤية الأولى يعظم الحجاب على أهل النار و التنغيص و العذاب بحيث إنهم لا يكون عندهم عذاب أشد عذابا من ذلك فإن الرؤية الأولى تكون قبل انقضاء أجل العذاب و عموم الرحمة الشاملة و ذلك ليعرفوا ذوقا عذاب الحجاب و في الرؤية الثانية إلى ما يكون بعد ذلك تعم الرحمة و لهم أعني لأهل الجحيم رؤية من خوخات أبواب النار على قدر ما اتصفوا به في الدنيا من مكارم الأخلاق فإذا نزل الناس في الكثيب للرؤية و تجلى الحق تعالى تجليا عاما على صور الاعتقادات في ذلك التجلي الواحد فهو واحد من حيث هو تجل و هو كثير من حيث اختلاف الصور فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي و ظهر كل واحد منهم بنور صورة ما شاهده فمن علمه في كل معتقد فله نور كل معتقد و من علمه في اعتقاد خاص معين لم يكن له سوى نور ذلك المعتقد المعين و من اعتقد وجودا لا حكم له فيه بتنزيه و لا تشبيه بل كان اعتقاده أنه على ما هو عليه فلم ينزه و لم يشبه و آمن بما جاء من عنده تعالى على علمه فيه سبحانه فله نور الاختصاص لا يعلم إلا في ذلك الوقت فإنه في علم الله فلا يدري هل هو أعلى ممن عمم الاعتقادات كلها علمه أو مساو له و أما دونه فلا فإذا أراد الله رجوعهم إلى مشاهدة نعيمهم بتلك الرؤية في جناتهم قال للملائكة وزعة الكثيب ردوهم إلى قصورهم فيرجعون بصورة ما رأوا و يجدون منازلهم و أهليهم منصبغين بتلك الصورة فيتلذذون بها فإنهم في وقت المشاهدة كانوا في حال فناء عنهم فلم تقع لهم لذة في زمان رؤيتهم بل اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فأفنتهم عنها و عن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها و إذا أبصروا تلك الصورة في منازلهم و أهليهم استمرت لهم اللذة و تنعموا بتلك المشاهدة فتنعموا في هذا الموطن بعين ما أفناهم في الكثيب و يزيدون في ذلك التجلي و في تلك الرؤية علما بالله أعطاهم إياه العيان لم يكن عندهم فإن المعلوم إذا شوهد تعطي مشاهدته أمرا لا يمكن أن يحصل من غير مشاهدة كما قيل

و لكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعاينة الكليم

و هذا ذوق يعرفه كل من أقيم في هذه الحال لا يقدر على إنكاره من نفسه «الفصل التاسع» في العالم و هو كل ما سوى الله و ترتيبه و نضده روحا و جسما و علوا و سفلا اعلم أن العالم عبارة عن كل ما سوى الله و ليس إلا الممكنات سواء وجدت أو لم توجد فإنها بذاتها علامة على علمنا أو على العلم بواجب الوجود لذاته و هو الله فإن الإمكان حكم لها لازم في حال عدمها و وجودها بل هو ذاتي لها لأن الترجيح لها لازم فالمرجح معلوم و لهذا سمي عالما من العلامة لأنه الدليل على المرجح فاعلم ذلك و ليس العالم في حال وجوده بشيء سوى الصور التي قبلها العماء و ظهرت فيه فالعالم إن نظرت حقيقته إنما هو عرض زائل أي في حكم الزوال و هو قوله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ و قال رسول الله ص أصدق بيت قالته العرب قول لبيد ا كل شيء ما خلا الله باطل يقول ما له حقيقة يثبت عليها من نفسه فما هو موجود إلا بغيره و لذلك قال ص أصدق بيت قالته العرب ألا كل شيء ما خلا الله باطل فالجوهر الثابت هو العماء و ليس إلا نفس الرحمن و العالم جميع ما ظهر فيه من الصور فهي أعراض فيه يمكن إزالتها و تلك الصور هي الممكنات و نسبتها من العماء نسبة الصور من المرآة تظهر فيها لعين الرائي و الحق تعالى هو بصر العالم فهو الرائي و هو العالم بالممكنات فما أدرك إلا ما في علمه من صور الممكنات فظهر العالم بين العماء و بين رؤية الحق فكان ما ظهر دليلا على الرائي و هو الحق فتفطن و اعلم من أنت و أما نضده على الظهور و الترتيب فأرواح نورية إلهية مهيمة في صور نورية خلقية إبداعية في جوهر نفس هو العماء من جملتها العقل الأول و هو القلم ثم النفس و هو اللوح المحفوظ ثم الجسم ثم العرش و مقره و هو الماء الجامد و الهواء و الظلمة ثم ملائكته ثم الكرسي ثم ملائكته ثم الأطلس ثم ملائكته ثم فلك المنازل ثم الجنات بما فيها ثم ما يختص بها و بهذا الفلك من الكواكب ثم الأرض ثم الماء ثم الهواء العنصري ثم النار ثم الدخان و فتق فيه سبع سماوات سماء القمر و سماء الكاتب و سماء الزهرة و سماء الشمس و سماء الأحمر و سماء المشتري و سماء المقاتل ثم أفلاكها المخلوقون منها ثم ملائكة النار و الماء و الهواء و الأرض ثم المولدات المعدن و النبات و الحيوان ثم نشأة جسد الإنسان ثم ما ظهر من أشخاص كل نوع من الحيوان و النبات و المعدن ثم الصور المخلوقات من أعمال المكلفين و هي آخر نوع هذا ترتيبه بالظهور في الإيجاد و أما ترتيبه بالمكان الوجودي أو المتوهم فالمكان المتوهم المعقولات التي ذكرناها إلى الجسم الكل ثم العرش ثم الكرسي ثم الأطلس ثم المكوكب و فيه الجنات ثم سماء رحل ثم سماء المشتري ثم سماء المريخ ثم سماء الشمس ثم سماء الزهرة ثم سماء الكاتب ثم سماء القمر ثم الأثير ثم الهواء ثم الماء ثم الأرض و أما ترتيبه بالمكانة فالإنسان الكامل ثم العقل الأول ثم الأرواح المهيمة ثم النفس ثم العرش ثم الكرسي ثم الأطلس ثم الكثيب ثم الوسيلة ثم عدن ثم الفردوس ثم دار السلام ثم دار المقامة ثم المأوى ثم الخلد ثم النعيم ثم فلك المنازل ثم البيت المعمور ثم سماء الشمس ثم القمر ثم المشتري ثم زحل ثم الزهرة ثم الكاتب ثم المريخ ثم الهواء ثم الماء ثم التراب ثم النار ثم الحيوان ثم النبات ثم المعدن و في الناس الرسل ثم الأنبياء ثم الأولياء ثم المؤمنون ثم سائر الخلق و في الأمم أمة محمد ص ثم أمة موسى ع ثم الأمم على منازل رسلها و أما ترتيبه بالتأثير فمنه المؤثر بالحال و منه ما هو المؤثر بالهمة و

منه ما هو المؤثر بالقول و منه ما هو المؤثر بالفعل أعني بالآلة و منهم المؤثر بمجموع الكل و منهم المؤثر بمجموع البعض و منهم المؤثر بغير قصد لما ظهر منه من الأثر كتأثيرات الرياح بهبوبها في الرمال و غيرها و هي صورة الأشكال و ما في الوجود إلا مؤثر و مؤثر فيه مطلقا و مؤثر اسم مفعول يكون له أثر بالحال كصور تحدث فتؤثر بالحال في واهب الأرواح لها و قد ذكرنا في نضد العالم خطبة و هي هذه التي أنا ذاكرها ذكر الخطبة في نضد العالم الحمد لله الذي ليس لأوليته افتتاح كما لسائر الأوليات الذي له الأسماء الحسنى و الصفات العلى الأزليات الكائن و لا عقل و لا نفس و لا بسائط و لا مركبات و لا أرض و لا سماوات العالم في العماء بجميع المعلومات القادر الذي لا يعجز عن الجائزات المريد الذي لا يقصر فتعجزه المعجزات المتكلم و لا حروف و لا أصوات السميع الذي يسمع كلامه و لا كلام مسموع إلا بالحروف و الأصوات و الآلات و النغمات البصير الذي رأى ذاته و لا مرئيات مطبوعة الذوات الحي الذي وجبت له صفات الدوام الأحدي و المقام الصمدي فتعالى بهذه السمات الذي جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات و أتم الكلمات المحدثات و الصلاة على سيدنا محمد خير البريات و سيد الجسمانيات و الروحانيات و صاحب الوسيلة في الجنات الفردوسيات و المقام المحمود في اليوم العظيم البليات الأليم الرزيات أما بعد فإنه لما شاء سبحانه أن يوجد الأشياء من غير موجود و إن يبرزها في أعيانها بما تقتضيه من الرسوم و الحدود لظهور سلطان الأعراض و الخواص و الفصول و الأنواع و الأجناس الدافعين شبه الشكوك و الرافعين حجب الالتباس بوسائط العبارات الشارحة و الصفات الرسمية و الذاتية النيرة النبراس فانجلى في صورة العلم صور الجواهر المتماثلات و الأعراض المختلفات و المتماثلات و المتقابلات و فصل بين هذه الذوات بين المتحيزات منها و غير المتحيزات كما انجلى في ذوات الأعراض و الجواهر صور الهيئات و الحالات بالكيفيات و صور المقادير و الأوزان المتصلات و المنفصلات بالكميات و صور الأدوار و الحركات الزمانيات و صور الأقطار و الأكوار المكانيات و الصور الحافظات الماسكات نظام العالم الحاملات أسباب المناقب و المثالب العرضيات و أسباب المدائح و المذام الشرعيات و أسباب الصلاح و الفساد الوضعيات الحكميات و صور الإضافات بين المالك و المملوك و الآباء و الأبناء و البنات و صور التمليك بالعبيد و الإماء الخارجات و الحسن و الجمال و العلم و أمثال ذلك الداخلات و صور التوجهات الفعلية القائمة بالفاعلات و صور المنفعلات التي هي بالفعل و الفاعلات مرتبطات و قال عند ما جلاها ب الشَّمْسِ وَضُحاها وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها وَالسَّماءِ وَما بَناها وَالْأَرْضِ وَما طَحاها هذه حقائق الآباء العلويات و الأمهات السفليات و لها البقاء بالإبقاء مع استمرار التكوينات و التلوينات بالتغيير و الاستحالات ليثبت عندها علم ما هي الحضرة الإلهية عليه من العزة و الثبات فهذا هو الذي أبرز سبحانه من المعلومات و لا يجوز غير ذلك فإنه لم يبق سوى الواجبات و المحالات فأول موجود أداره سبحانه فلك الإشارات إدارة إحاطة معنوية و هو أول الأفلاك الممكنات المحدثات المعقولات و أول صورة ظهر في هذا الفلك العمائي صور الروحانيات المهيمات الذي منها القلم الإلهي الكاتب العلام في الرسالات و هو

العقل الأول الفياض في الحكميات و الإنباءات و هو الحقيقة المحمدية و الحق المخلوق به و العدل عند أهل اللطائف و الإشارات و هو الروح القدسي الكل عند أهل الكشوف و التلويحات فجعله عالما حافظا باقيا تاما كاملا فياضا كاتبا من دواة العلم تحركه يمين القدرة عن سلطان الإرادة و العلوم الجاريات إلى نهايات و هو مستوي الأسماء الإلهيات ثم أدار معدن فلك النفوس دون هذا الفلك و هو اللوح المحفوظ في النبوات و هو النفس المنفعلة عند أصحاب الإدراكات و الإشارات و المكاشفات فجعلها باقية تامة غير كاملة و فائضة غير مفيضة فيض العقل فهي في محل القصور و العجز عن بلوغ الغايات ثم أوجد الهباء في الكشف و الهيولى في النظر و الطبيعة في الأذهان لا في الأعيان فأول صورة أظهر في ذلك الهباء صور الأبعاد الثلاثة فكان المكان فوجه عليه سبحانه سلطان الأربعة الأركان فظهرت البروج الناريات و الترابيات و الهوائيات و المائيات فتميزت الأكوان و سمي هذا الجسم الشفاف اللطيف المستدبر المحيط بأجسام العالم العرش العظيم الكريم و استوى عليه باسمه الرحمن استواء منزها عن الحد و المقدار معلوم عنده غير مكيف و لا معلوم للعقول و الأذهان ثم أدار سبحانه في جوف هذا الفلك الأول فلكا ثانيا سماه الكرسي فتدلت إليه القدمان فانفرق فيه كل أمر حكيم بتقدير عزيز عليم و عنده أوجد الخيرات الحسان و المقصورات في خيام الجنان ثم رتب فيه منازل الأمور كلها و أحكمها في روحانيات سخرها و حكمها بالتأثيرات السبعية من ألف إلى ساعة عن اختلاف الملوان و جعل هذه المنازل بين وسط ممزوج و طرفي سعد مستقر و نحس مستمر بنزول المقدر المفرد الإنسان ثم أدار سبحانه في جوف هذا الفلك الثاني فلكا ثالثا و خلق فيه كوكبا سابحا من الخنس الكنس مسخرا فقيرا أودع لديه كل أسود حالك و قرن به ضيق المسالك و الوعر و الحزن و الكرب و الحزن و حسرات الفوت و سكرات الموت و أسرار الظلمات و المفازات المهلكات و الأشجار و المثمرات و الأفاعي و الحيات و الحيوانات المضرات و الحشرات الموحشات و الطرق الدارسات و العناء و المشقات و خلق عند مساعدته النفس الكلية الجبال لتسكين الأرضين المدحيات و أسكن في هذا الفلك روحانية خليله إبراهيم ع عبده و رسوله ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكا رابعا خلق فيه كوكبا سابحا من الخنس الكنس أودع لديه النخل الباسقات و العدل في القضايا و الحكومات و أسباب الخير و السعادات و البيض الحسان المنعمات و الاعتدالات و النمامات و أسرار العبادات و القربات و الصدقات البرهانيات و الصلوات النوريات و إجابة الدعوات و الناظرين إلى الواقفين بعرفات و قبول النسك بموضع رمى الجمرات و خلق عند مساعدته النفس الكلية تحليل المياه الجامدات و اسكن في هذا الفلك روحانية نبيه موسى ع عبده و نجيه ثم أدار في جوف هذا الفلك فلكا خامسا خلق فيه كوكبا سابحا من الخنس الكنس أودع لديه حماية المذاهب بالقواضب المرهفات و الموازن السمهريات و تجمير قدور راسيات و ملء جفون كالجوابي المستديرات و التعصبات و الحميات و إيقاع الفتن و الحروب بين أهل الهدايات و الضلالات و تقابل الشبه المضلات و الأدلة الواضحات بين أهل العقول السليمة و التخيلات و خلق عند مساعدته النفس الكل لتلطيف الأهوية السخيفات و اسكن في هذا الفلك

روح رسوليه ها رون و يحيى ع موضحي سبيليه ثم أدا ر في جوف هذا الفلك فلكا سادسا خلق فيه كوكبا عظيما مشرقا سابحا أودع لديه أسرا ر الروحانيات و الأنوار المشرقات و الضياءات اللامعات و البروق الخاطفات و الشعاعات النيرات و الأجساد المستنيرات و المراتب الكاملات و الاستواءات المعتدلات و المعا رف اللؤلؤيات و اليواقيت العاليات و الجمع بين الأنوا ر و الأسرا ر السا ريات و معالم التأسيسات و أنفاس النور الجا ريات و خلع الأرواح المدبرات و إيضاح الأمور المبهمات و حل المسائل المشكلات و حسن إيقاع السماع في النغمات و توالي الوا ردات و ترادف التنزلات الغيبيات و ا رتقاء المغاني الروحانيات إلى أوج الانتهاءات و دفع العلل بالعلالات النافعات و الكلمات المستحسنات و الأعراف العطريات و أمثال ذلك مما يطول ذكره قد ذكرنا منه طرفا في الباب السادس و الأربعين من كتاب التنزلات الموصليات و خلق عند مساعد ته النفس الكل تحريك الفلك الأثير لتسخين العالم بهذه الحركات و اسكن في هذا الفلك إد ريس النبي المخصوص بالمكان العلي ثم أدا ر في جوف هذا الفلك فلكا سابعا خلق فيه كوكبا سابحا من الخنس الكنس أودع لديه التصوير التام و حسن النظام و السماع الشهي و المنظر الرائق البهي و الهيبة و الجمال و الأنس و الجلال و خلق عند مساعد ته النفس الكل تقطير ماء رطب من ركن البخا رات و أسكن في هذا الفلك روحانية النبي الجميل التام يوسف ع ثم أدا ر في جوف هذا الفلك فلكا ثامنا خلق فيه كوكبا سابحا من الخنس الكنس أودع لديه الأوهام و الإيهام و الوحي و الإلهام و مهالك الآراء الفاسدة و القياسات و الأحلام الرديئة و المبشرات و الاختراعات الصناعيات و الاستنباطات العمليات و ما في الأفكا ر من الغلطات و الإصابات و القوي الفعالات و الوهميات و الزجر و الكهانات و الفراسات و السحر و العزائم و الطلسمات و خلق عند مساعد ته النفس الكل مزج البخا رات الرطبة بالبخا رات اليا بسات و اسكن في هذا الفلك روحانية روحه و كلمته عيسى ع عبده و رسوله و ابن أمته ثم أدا ر في جوف هذا الفلك فلكا آخر تاسعا خلق فيه كوكبا سابحا أودع الله لديه الزيادة و النقصان و الربو و الاستحالات بالاضمحلالات و خلق عند مساعد ته النفس الكل إمداد المولدات بركن العصا رات و اسكن في هذا الفلك روحانية نبيه آدم ع عبده و رسوله و صفيه و اسكن هذه الأفلاك المستديرات أصناف الملائكة الصافات التاليات فمنها القائمات و القاعدات و منها الراكعات و الساجدات كما قال تعالى إخبا را عنهم وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ فهم عما ر السموات و جعل منهم الأرواح المطهرات المعتكفين بأشرف الحضرات و جعل منهم الملائكة المسخرات و الوكلاء على ما يخلقه الله من التكوينات فوكل بالأرجاء الزاجرات و بالأنباء المرسلات و بالإلهام و اللمات الملقيات و بالتفصيل و التصوير و الترتيب المقسمات و بالترغيب و الترحيب الناشرات و بالترهيب الناشطات و بالتشتيت النا زعات و بالسوق السابحات و بالاعتناء السابقات و بالأحكام المدبرات ثم أدا ر في جوف هذا الفلك كرة الأثير أودع فيها رجوع المسترقات الطا رقات ثم جعل دونه كرة الهواء أجرى فيه الذا ريات العاصفات السابقات الحاملات المعصرات و موج فيه البحور الزاخرات الكائنات من البخا رات المستحيلات يسمى دائرة كرة الزمهرير تتعلم منه

صناعة التقطيرات و أمسك في هذه الكرة أرواح الأجسام الطائرات و أظهر في هاتين الكرتين الرعود القاصفات و البروق الخاطفات و الصواعق المهلكات و الأحجار القاتلات و الجبال الشامخات و الأرواح الناريات الصاعدات النازلات و المياه الجامدات ثم أدار في جوف هذه الكرة كرة أودع فيها سبحانه ما أخبرنا به في الآيات البينات من أسرار إحياء الموات و أجرى فيها الأعلام الجاريات و أسكنها الحيوانات الصامتات ثم أدار في جوفها كرة أخرى أودع فيه ضروب التكوينات من المعادن و النباتات و الحيوانات فأما المعادن فجعلها عز و جل ثلاث طبقات منها المائيات و الترابيات و الحجريات و كذلك النبات منها النابتات و المغروسات و المزروعات و كذلك الحيوانات منها المولدات المرضعات و الحاضنات و المعفنات ثم كون الإنسان مضاهيا لجميع ما ذكرناه من المحدثات ثم وهبه معالم الأسماء و الصفات فمهدت له هذه المخلوقات المعجزات و لهذا كان آخر الموجودات فمن روحانيته صح له سر الأولية في البدايات و من جسميته صح له الآخرية في الغايات فبه بديء الأمر و ختم إظهارا للعنايات و أقامه خليفة في الأرض لأن فيها ما في السموات و أيده بالآيات و العلامات و الدلالات و المعجزات و اختصه بأصناف الكرامات و نصب به القضايا المشروعات ليميز الله به الخبيثات من الطيبات فيلحق الخبيث بالشقاوات في الدركات و يلحق الطيب بالسعادات في الدرجات كما سبق في القبضتين اللتين هما صفتان للذات فسبحان مبدئ هذه الآيات و ناصب هذه الدلالات على أنه واحد قهار الأرض و السموات فهذا ترتيب نضد العالم على طريق خاص لبعض النظار انفرد به و سنذكر بعد القصيدة التي أذكرها بعد هذا ما وافقونا فيه و أما نظمنا فيه أيضا على طريقة أخرى في الوضع الأول فاعلم و هذه هي القصيدة

الحمد لله الذي بوجوده	ظهر الوجود و عالم الهيمان
و العنصر الأعلى الذي بوجوده	ظهرت ذوات عوالم الإمكان
من غير ترتيب فلا متقدم	فيه و لا متأخر بالآن
حتى إذا شاء المهيمن إن يرى	ما كان معلوما من الأكوان
فتح القدير عوالم الديوان	بوجود روح ثم روح ثاني
ثم الهباء كذا الهيولى ثم جسم قابل	لعوالم الأفلاك و الأركان
فأداره فلكا عظيما و اسمه	العرش الكريم و مستوي الرحمن
يتلوه كرسي انقسام كلامه	فتلوح من أقسامه القدمان
من بعده فلك البروج و بعده	فلك الكواكب مصدر الأزمان

ليقيم فيه قواعد البنيان ثم النزول مع الخلأ لمركز
كرة الهواء و عنصر النيران فأدار أرضا ثم ماء فوقه
فلك يضاف لكاتب الديوان من فوقه فلك الهلال و فوقه
فلك الغزالة مصدر الملوان من فوقه فلك لزهرة فوقه
ثم الذي يعزي إلى كيوان من فوقه المريخ ثم المشتري
خلق يسمى العالم النوراني و لكل جسم ما يشأ كل طبعه
حفظ الوجود من اسمه المحسان فهم الملائكة الكرام شعارهم
عند التحرك عالم الشيطان فتحركت نحو الكمال فولدت
جاءت لنا بعوالم الحيوان ثم المعادن و النبات و بعده
في عالم التركيب و الأبدان و الغاية القصوى ظهور جسومنا
نفخ الإله لطيفة الإنسان لما استوت و تعدلت أركانه
يعنو له الأملاك و الثقلان و كساه صورته فعاد خليفة
أبدى لنا في عالم الحدثان و بدورة الفلك المحيط و حكمه
تتنا لأهل الشرك و الطغيان في جوف هذا الأرض ماء أسودا
ظلمات سخط القاهر الديان يجري على متن الرياح و عندها
الروح الإلهي العظيم الشأن دارت بصخرة مركز سلطانه

فهذا ترتيب الوضع الذي أنشأ الله عليه العالم ابتداء اعلم أن التفاضل في المعلومات على وجوده أعمها التأثير فكل مؤثر أفضل من أكثر المؤثر فيه من حيث ذلك التأثير خاصة و قد يكون المفضول أفضل منه من وجه آخر و كذلك فضل العلة على معلولها و الشرط على مشروطه و الحقيقة على المحقق و الدليل على المدلول من حيث ما هو مدلول له لا من حيث عينه و قد يكون الفضل بعموم التعلق على ما هو أخص تعلقا منه كالعالم و القادر و لما كان الوجود كله فاضلا مفضولا أدى ذلك إلى المساواة و إن يقال لا فاضل و لا مفضول بل وجود شريف كامل تام لا نقص فيه و لا سيما و ليس في المخلوقات على اختلاف ضروبها أمر إلا و هو مستند إلى حقيقة و نسبة إلهية و لا تفاضل في الله لأن الأمر لا يفضل نفسه فلا مفاضلة بين العالم

من هذا الوجه و هو الذي يرجع إليه الأمر من قبل و من بعد و عليه عول أهل الجمع و الوجود و بهذا سموا أهل الجمع لأنهم أهل عين واحدة كما قال الله تعالى وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ و من كشف الأمر على ما هو عليه علم ما ذكرناه في ترتيب العالم في هذا الباب فإنه متنوع المساق ففي الخطبة ترتيب ليس في المنظوم و كذلك سائر ما ذكرناه في الباب «وصل» في ذكر ما في هذا المنزل من العلوم فمن ذلك علم الاتصال الكوني و الانفصال الإلهي و الكوني و فيه علم تنزيه الحق مع ثبوت النزول و المعية عما للنزول و المعية من الحركة و الانتقال و فيه علم الفرقان بين الكتب المنزلة من عند الله و إن كانت كلها كلام الله و لما ذا تكثرت و تعددت آياتها و سورها هل لكونها كلاما أو لكونها متكلما بها و فيه علم افتراق الناس إلى مؤمن بكذا و غير مؤمن به و فيه علم الملإ الأعلى و فيه علم الآجال و فيه علم حكمة التفضيل في العالم و فيه علم انتشاء الفروع من أصل واحد و فيه علم قول القائل

و ما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

و هذا هو علم الإنسان الكامل الجامع حقائق العالم و صورة الحق سبحانه و تعالى و فيه علم الفرق بين المبدأ و المعاد و ما معنى المعاد هل هو أمر وجودي أو نسبة مرتبة كوال يعزل ثم يرد إلى ولايته و فيه علم السبب الذي لأجله أنكر من أنكر المعاد و ما المعاد الذي أنكر و ما صفة المنكر و فيه علم نسبة الأشياء إلى الله نسبة واحدة فكيف سبقت الرحمة الغضب حتى عمت الرحمة كل شيء فلم يبق للغضب محل يظهر فيه و فيه علم هداة الحق و فيه علم إنشاء العالم من العالم و لما ذا يرجع ما فيه من الزيادة و النقص فلا بد من العلم بكمال أو تمام به يتميز ما زاد عليه و ما نقص عنه و هل كل زيادة على التمام نقص أم لا و فيه علم هل يوجد أمران متجاوران ليس بينهما وسط مثل الغيب و الشهادة و كالنفي و الإثبات و مثل قولنا أنت ما أنت وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ و فيه علم الأمر الذي يحفظ الله به المكلف من حيث عينه و من حيث أفعاله و فيه علم كمال العالم الكمال الذي لا يحتمل الزيادة فيه فلا يظهر فيه مما لم يظهر إلا ما خرج عنه فيعود عليه فيظهر فيه أمر لم يكن فيه و هو منه فما ظهر في العالم بعد تمامه إلا العالم فأمر الله واحدة فيه و هو المعبر عنه بالاستحالات و الاستحالات متنوعة بحسب الحقائق كالماء يستحيل بخارا و الملك يستحيل إنسانا بالصورة و كذلك التجلي فمن عرف ذلك عرف الأمر على ما هو عليه و الولد على شبه أبيه فإن الولد إذا خرج على شبه أبيه برأ الأم مما يتطرق إليها من الاحتمال إذا لم يكن الشبه و من هنا تعلم أنه لا خالق إلا الله و قد نبه الشارع بحديث الصورة الكاملة الإمامية و فيه علم نفي الأسباب بإثباتها و فيه علم الأمر الذي دعا المشرك إلى إثبات الشريك و فيه علم غيرة الحق على الرتبة الإلهية و فيه علم ما يقول المتعلم من العالم إذا سأله العالم بفتح اللام و فيه علم ما هو من القول حجة و ما ليس بحجة فهل الحجة على الخصم عين القول خاصة أو ما يدل عليه القول أو في موطن يكون القول و في موطن يكون ما يدل عليه القول فإذا كان القول يعجز السامع فهو عين الحجة و فيه علم الفضل بالعلم بين المخلوقين و أنه لا رتبة أشرف من رتبة العلم و فيه علم أن الملائكة كلهم علماء بالله ليس فيهم من يجهل بخلاف الناس و لذلك قال تعالى شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ ثم قال في حق الناس وَ أُولُوا الْعِلْمِ و ما

أطلق مثل ما أطلق الملائكة و هو علم التوحيد هنا لا علم الوجود فإن العالم كله عالم بالوجود لا بالتوحيد لا في الذات و لا في المرتبة و إن كان المشرك قد جعل له الرتبة العليا مع الاشتراك في معنى الرتبة و فيه علم ما لا يمكن لمخلوق جحده و هو افتقار الممكن إلى المرجح و فيه علم ما يجوز نقضه من المواثيق و العهود و ما لا يجوز و فيه علم ما يسبق إلى الوهم من تكذيب شخص من الناس يدعي أنه موجود من غير أب و لا أم عند من يؤمن بوجود آدم ع و ينكره في حق شخص ما قد أشبهه في الصورة و لا يتوقف في تكذيبه و لا في رد ما قاله و جاء به و هو ممكن في نفس الأمر و يقر به من يقول بحدوث العالم و بقدمه و فيه علم ما تقيده الملائكة من العلم إذا دخلوا على أهل السعادة في منازلهم و فيه علم فصل الدنيا من الآخرة دار أو حياة و هما دار واحدة و حياة واحدة و فيه علم القلوب و لما ذا ترجع نسبة الكون إليها هل إلى علمها باستحالة ثبوتها على أمر واحد زمانين لما علمت أن خالقها إذا تذكرت و فكرت أنه كل يوم في شأن فتقطع عند ذلك أنها لا تبقي على حال واحد لأنها محل التصريف و التقليب و فيه علم العلم الجامع و المفصل للمضار و المنافع و هل الإنسان الجاهل يقاوم بقوته قوة كلام الله حتى لا يؤثر فيه أو قوته على نفسه أن يستر ما أثر فيه كلام الله فلم يقاوم إلا نفسه لا كلام الله و فيه علم انتظار الحق بإظهار الأمور ما حكم به علمه فيها من الترتيب في الإيجاد مع الجواز و كيف يجتمع المحال و الإمكان في أمر واحد فيحكم عليه بأنه محال بالدليل العقلي ممكن بالدليل العقلي و أدلة العقول لا تتعارض إلا في هذا الموطن و فيه علم تلقين الحجة لإظهار الحق و هل للحاكم إذا علم صدق أحد الخصمين في دعواه و يعلم أنه يبطل حقه لجهله بتحرير الدعوى هل له أن يعلمه كيف يدعي حتى يثبت له الحق كما هو في نفس الأمر أو ليس له ذلك لا في حضور الخصم و لا في غيبته و هذا مع علم الحاكم بصاحب الحق و فيه علم حجج الرسل ع ليست عن نظر فكري و إنما هي عن تعليم إلهي و فيه علم ما حظ الرسول من الرسالة و فيه علم لا يعارض الحق الإلهي إلا الحق الإلهي فهو مقابلة المثلين لا مقابلة غير المثلين و إن ظهرت المعارضة من جانب المخلوق فما ظهر الحق إلا على لسان المخلوق فإن الله ما كلم عباده على رفع الحجاب لأنه يقول لا معقب لحكمه و قد وقع في الدنيا المعقب فلا بد أن يكون المعقب الله لا غيره فهو مثل النسخ في الشرائع هو الذي شرع و هو الذي رفع ما شرع بشرع آخر أنزله فالناسخ و المنسوخ من الله كذلك أمر العالم فيما جاء من الحق بالدلالة و فيما رد به ذلك الحق من غير دلالة فيعلم العالم بالله أنه من الحق فالحق يتلو بعضه بعضا فإن زمان دعوى الواحد ما هو زمان دعوى الآخر الراد له و المعارضة على الحقيقة إن لم يشتركا في الزمان فما هي معارضة فافهم و فيه علم إنزال الحق العالم بالشيء منزلة نفسه منه في ذلك العلم و لهذا تقول لا منزلة أشرف من العلم لأنه ينزلك منزلة الحق

لقد خرت كل الطيب فيما لثمته ⁂ و قد علم الأقوام من قد لثمته

و إن الذي في الكون من كل طيب ⁂ من العقل و الإحساس فيما طعمته

وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل سر و سرين و ثنائك عليك بما ليس لك و إجابة الحق إياك في ذلك لمعنى شرفك به من حضرة محمدية»

من حاز شطر الكون في خلقه … و شطره الآخر في خلقه
فذاك عين الوقت في وقته … و بدره الطالع في أفقه
فبدره يطلع من غربه … و ضوؤه يغرب في شرقه
فكل مخلوق به هائم … و كلنا نهلك في حقه

ورد في الخبر الصحيح في صحيح مسلم عن رسول الله ص أنه قال إن الله جميل يحب الجمال و هو تعالى صانع العالم و أوجده على صورته فالعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله و الجمال فليس في الإمكان أجمل و لا أبدع و لا أحسن من العالم و لو أوجد ما أوجد إلى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لأن الحسن الإلهي و الجمال قد حازه و ظهر به فإنه كما قال تعالى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فهو جماله إذ لو نقص منه شيء لنزل عن درجة كمال خلقه فكان قبيحا ثم هدى أي بين ذلك لنا بقوله أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

و لما رأينا الحق في صورة البشر … علمنا بأن العقل فيه على خطر
فمن قيد الحق المبين بعقله … و لم يطلق التقييد ما عنده خبر
إذا ما تجلى لي على مثل صورتي … تجليت في التنزيه عن سائر الصور
فإن قال ما ذا قلت أنت ذكرت لي … بأنك تعفو عن ظلوم إذا انتصر
و ما أنت مثلي قل فلم خرت صورتي … و رؤيتى إياكم كما يبصر القمر
فإن كنت مثلي فالتماثل حاكم … على كل مثل كالذي يقتضي النظر
فكل شبيه للشبيه مشاكل … على كل حال في القديم و في البشر
لقد شرع الله السجود لسهونا … بإرغام شيطان و جبر لما انكسر
فما لك لم تسجد و أنت إمامنا … فأنت جدير بالسجود كما ذكر
أتيناك نسعى فانثنيت مهر و لا … و أين خطي الاقدام من خطوة البصر

و منها أيضا

فمن فصلنا أو بمن قد وصلتنا ... و ما هو إلا الله بالعين و الأثر

فشكرا لما أخفى و شكرا لما بدا ... و حاز مزيد الخير عبد إذا شكر

و ما هو إلا الحق يشكر نفسه ... و لكن حجاب القرب أرسل فاستتر

فالعالم كله جماله ذاتي و حسنه عين نفسه إذ صنعه صانعه عليه و لهذا هام فيه العارفون و تحقق بمحبته المتحققون و لهذا قلنا فيه في بعض عباراتنا عنه إنه مرآة الحق فما رأى العارفون فيه إلا صورة الحق و هو سبحانه الجميل و الجمال محبوب لذاته و الهيبة له في قلوب الناظرين إليه ذاتية فأورث المحبة و الهيبة فإن الله ما كثر لنا الآيات في العالم و في أنفسنا إذ نحن من العالم إلا لنصرف نظرنا إليه ذكرا و فكرا و عقلا و إيمانا و علما و سمعا و بصرا و نهيا و لبا و ما خلقنا إلا لنعبده و نعرفه و ما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم لجعله عين الآيات و الدلالات على العلم به مشاهدة و عقلا فإن نظرنا فإليه و إن سمعنا فمنه و إن عقلنا فعنه و إن فكرنا ففيه و إن علمنا فإياه و إن آمنا فبه فهو المتجلي في كل وجه و المطلوب من كل آية و المنظور إليه بكل عين و المعبود في كل معبود و المقصود في الغيب و الشهود لا يفقده أحد من خلقه بفطرته و جبلته فجميع العالم له مصل و إليه ساجد و بحمده مسبح فالألسنة به ناطقة و القلوب به هائمة عاشقة و الألباب فيه حائرة يروم العارفون أن يفصلوه من العالم فلا يقدرون و يرومون أن يجعلوه عين العالم فلا يتحقق لهم ذلك فهم يعجزون فتكل أفهامهم و تتحير عقولهم و تتناقض عنه في التعبير ألسنتهم فيقولون في وقت هو و في وقت ما هو و في وقت هو ما هو فلا تستقر لهم فيه قدم و لا يتضح لهم إليه طريق أمم لأنهم يشهدونه عين الآية و الطريق فتحول هذه المشاهدة بينهم و بين طلب غاية الطريق إذ لا تسلك الطريق إلا إلى غاياتها و المقصود معهم و هو الرفيق فلا سالك و لا مسلوك فتذهب الإشارات و ليست سواه و تطيح العبارات و ما هي إلا إياه فلا ينكر على العارف ما يهيم فيه من العالم و ما يتوهمه من المعالم و لولا إن هذا الأمر كما ذكرناه ما أحب نبي و لا رسول أهلا و لا ولدا و لا آثر على أحد أحدا و ذلك لتفاضل الآيات و تقلب العالم هو عين الآيات و ليست غير شئون الحق التي هو فيها و قد رفع بعضها فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لأنه بتلك الصورة ظهر في أسمائه فعلمنا تفاضل بعضها على بعض بالعموم و الخصوص فهو الغني عن العالمين و هو القائل وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فأين الخالق من الغني و أين القابض منه و المانع و أين العالم في إحاطته من القادر و القاهر فهل هذا كله إلا عين ما وقع في العالم فما تصرف رسول و لا عارف إلا فيه وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ و ذلك لأن من الناس من في أذنه وقر و على بصره غشاوة و على قلبه قفل و في فكره حيرة و في علمه شبهة و بسمعه صمم و و الله ما هو هذا كله عند العارف إلا للقرب المفرط وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلكِنْ لا تُبْصِرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و أين الوسوسة من الإلهام و أين اسم الإنسان من اسم العالم

و من هند و من بثنه فمن ليلى و من لبني

أ ليسوا كلهم عينه و من قيس و من بشر

به إذا كان لي كونه لقد أصبحت مشغوفا

فأين مهيمي أينه فكل الخلق محبوبي

يجد في بينه بينه فمن يبحث على قولي

و أما أهل الجمال العرضي و الحب العرضي فظل زائل و غرض مائل و جدا ر مائل بخلاف ما هو عند العلماء بالله فإن الظل عند العالم بالله ساجد و العا رض للوجود مستعد و الجدا ر لم يمل إلا عبادة ليظهر ما تحته من كنوز المعا رف التي يستغني بها العا رف الواقف فخلق الله الغيرة في صورة الخضر فأقامه من انحنائه لما علم إن الأهلية ما وجدت في ذلك الوقت في رب المال فيقع التصرف فيه على غير وجهه و لتعلمن نبأه بعد حين فلو ظهر اتخذ عبثا و عاثت فيه الأيدي فسبحان واضع الحكم و ناصب الآيات و مظهر جمال الدلالات و من أجملها عينا و أكملها كونا عالم الخيال و به ضرب الله الأمثال و بين تعالى أنه المنفرد بعلمه فإنه قال ناهيا فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ و ما جاء بهذه الآية إلا عند ما ضرب لنا الأمثال منه فظهر للكون و هو مقدمته ألا ترى الرؤيا و بعينها يد رك الخيال يرى ما يكون قبل كونه و ما كا ن و ما هو الوقت عليه و أي حضرة تجد فيها هذه الجمعية إلا حضرة الخيال و كل من تعشق بأمر ما فما تعشق به إلا بعد أن حصله في خياله و جعل له في وهمه مثالا و طبق محبوبه على مثاله و لو لم يكن الأمر كذلك لكان إذا فا رقه من تعلق بصره به أو سمعه أو شيء من حواسه فا رق التعلق به و نحن لا نجد الأمر كذلك فدل على إن المحبوب عند المحب على مثال صورة و أنشأه في خياله فلزم مشاهدته فتضاعف وجده و تزايد حبه و صا ر ذلك المثال الذي صوره يحرض مصوره على طلب من صوره على صورته فإن ذلك الأصل هو روح هذا الخيال و به بقاؤه و هو الذي يحفظه و ما اشتد حب المحب إلا في صنعته و فعله فإن الصورة التي تعشق بها في خياله هي من صنعته فما أحب إلا ما هو راجع إليه فبنفسه تعلق و على فعله أثنى فمن علم هذا علم حب الله عباده و أنه تعالى أشد حبا فيهم منهم فيه بل لا يحبونه عينا و إنما يحبون إحسانه فإن الإحسا ن هو مشهودهم و من أحبه عينا فإنما أحب مثالا صوره في نفسه و تخيله و ليس إلا المشبهة خاصة فكل محب فلو لا التشبيه ما أحبه و لو لا التخيل ما تعلق به و لهذا جعله الشا رع في قبلته و وسعه قلب عبده و جعله من القرب به كهو أو كبعض أجزائه فمثل هؤلاء عبدوه مثلا و شاهدوه محصلا و أما المنزهة فحائرة في عمياء يخبطون فيها عشواء لا ظل في ظلمتها و لا ما يمنعهم الدليل من التشبيه و ما ثم إيمان يفوق نوره نور الأدلة حتى يد رجها فيه فلا يزال المنزه غير قا بض على شيء و لا محصل لأمر فهم أهل البيت لأن هممهم متفرق و الوهم منهم بعيد فنقصهم من كمال معرفة الوجود حكم الأوهام فيهم و لا حكم للأوهام إلا في

الكمل من الرجال و لهذا جاءت الشرائع في الله بما تحيله الأدلة فمن تقوى نور إيمانه على نور عقله كما تقوى نور الشمس على نور غيره من الكواكب فما أذهب عين أنوارها و إنما أدرجها في نوره فالعالم مستنير كله بنور الشمس و نور الكواكب و لكنهم لا يبصرون إلا نور الشمس و لا يبصرون المجموع كذلك الكامل منأهل الله إذا أدرج نور عقله في نور إيمانه صوب رأي المنزهة إذ ما تعدت ما كشفته لهم أنوارها و صوب رأي المشبهة إذ ما تعدت ظاهر ما أعطاها نور إيمانها بما ضرب الله لها من المثل فعرفه الكامل عقلا و إيمانا فحاز درجة الكمال كما حاز الخيال درجة الحس و المعنى فلطف المحسوس و كثف المعنى فكان له الاقتدار التام و لذلك قال يعقوب لابنه لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً لما علم من علمهم بتأويل ما مثل الحق له في رؤياه إذ ما كان ما رآه و ما مثل له إلا عين إخوته و أبويه فأنشأ الخيال صور الأخوة كواكب و صور الأبوين شمسا و قمرا و كلهم لحم و دم و عروق و أعصاب فانظر هذه النقلة من عالم السفل إلى عالم الأفلاك و من ظلمة هذا الهيكل إلى نور هذا الكوكب فقد لطف الكثيف ثم عمد إلى مرتبة التقدم و علو المنزلة و المعاني المجردة فكساها صورة السجود المحسوس فكثف لطيفها و الرؤيا واحدة فلو لا قوة هذه الحضرة ما جرى ما جرى و لو لا أنها في الوسط ما حكمت على الطرفين فإن الوسط حاكم على الطرفين لأنه حد لهما كما إن الآن عين الماضي و المستقبل كما إن الإنسان الكامل جعل الله رتبته وسطا بين كينونته مستويا على عرشه و بين كينونته في قلبه الذي وسعه فله نظر إليه في قلبه فيرى أنه نقطة الدائرة و له نظر إليه في استواءه على عرشه فيرى أنه محيط الدائرة فهو بكل شيء محيط فلا يظهر خط من النقطة إلا و نهايته إلى المحيط و لا يظهر خط من المحيط من داخله إلا و نهايته إلى النقطة و ليست الخطوط سوى العالم فإنه بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و الكل في قبضته وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فالخلاء ما فرض بين النقطة و المحيط و هو الذي عمر العالم بعينه و كونه و فيه ظهرت الاستحالات من نقطة إلى محيط و من محيط إلى نقطة فما خرج عنه عز و جل شيء و لا ثم شيء خارج عن المحيط فيدخل في إحاطته بل الكل منه انبعث و إليه ينتهي و منه بدأ و إليه يعود فمحيطه أسماؤه و نقطته ذاته فلهذا هو الواحد العدد و الواحد الكثير فما كل عين له ناظر إلا عين الإنسان و لو لا الإنسان العين ما نظرت عين الإنسان فبالإنسان نظر الإنسان فبالحق ظهر الحق

و قلنا فيه خلق ▯ فقلنا فيه حق
و قلنا فيه حق ▯ و قلنا فيه در
و هو الفلك و الفلك ▯ فهو الملك و الملك
قال للحب هيت لك ▯ فإذا ما هويته

أي حسنت هيأتي إذ هيت لك إذ لو لا حسن العالم ما علم حسن القديم و لا جماله و لو لا جمال الحق ما ظهر في العالم جمال فالأمر دوري و به دار الفلك فدوران الفلك سعيه و ما برح من مكانه فهو بكليته المنتقل الذي لم يفارق مكانه تنبيها من الله لعباده أو ضرب مثل أن الحق و إن أوجد العالم و وصف نفسه بما وصف ما زال في منزلة تنزيهه و تمييزه عن خالقه بذاته مع معينه بكل خلق من خلقه بخلاف الخطوط فإنها متحركة من الوسط و إلى الوسط فهي مفارقة و قاطعة منازل و حركة الوسط لم تفارق منزلتها و لا تحركت في غيرها و هي أعجوبة المسائل التي حار فيها المجيب و السائل

ألا أيها الفلك الدائر	لمن أنت في سيركم سائر
إلينا فنحن بأحشائكم	إليه فسيركم بائر
تعالى عن الحد في نفسه	و قال هو الباطن الظاهر
تدور علينا بأنفاسنا	و أنت لنا الحكم القاهر
فشغلك بي شغل شاغل	وأنت إذا ما انقضى خاسر
فإن كنت في ذاك عن أمره	فأنت به الرابح التاجر
و من فوقكم ثم من فوقه	إله لرتقكم فاطر
تعين بالفتق في رتقكم	فعقلك في صنعه حائر
لذاك تدور و ما تبرحن	بمثواك و المقبل الغابر
فقف فأبى الجبر إلا السري	و قال أنا الكاسر الجابر
سترت عيون النهي فانثنت	و قد علمت أنني الساتر
فسبحان من حكمه حكمة	و من عينه الوارد الصادر
فلولاك ما لاح في أفقه	بدورته كوكب زاهر

و لما خلق الله تعالى العالم و اقتضت ذات العالم أن يستحيل بعضه لبعضه بما ركبه الله عليه من الحقائق و الاستعداد لقبول الاستحالة طلب بذاته العوارض الإمكانية التي تراها في العالم فمن العالم من له قصد في ذلك الطلب و هو تعيين عارض خاص كقائم يطلب القعود ممن يعقل و منهم من يطلبه من غير قصد كالشجرة تطلب السقي من أجل الثمرة التي خلقت لها و طلبها لذلك ذاتي على مقدار معلوم إن زاد على ذلك كان حكمه حكم

نقصانه في الهلاك و ما الماء بحكمها فلا بد من حافظ يحفظ عليها القدر المعلوم و ليس إلا خالقها و هذه الأمور العوارض التي تعرض لجوهر العالم منها ما يقال فيه صلاح و منه ما يقال فيه فساد و لكن في نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد لا صلاح فيه فإنه يكون خلاف ما أريد له وجوده و أما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم فإنه لذلك خلق العالم و أما الأحوال فذاتية للمعاني فإنها أحكامها و ليس لها وجود و لا هي معدومة كالأحمر لمن قامت به الحمرة و هذا حكم لا يتصف بالخلق لأنه معقول لا عين له في الوجود العيني بل المعاني كلها التي أوجبت أحكامها لمن اتصف بها نسب عدمية لا عين لها في الوجود و لها الحكم و الحال و لا عين لحكمها و لا لحالها في الوجود فصار الحاكم و المحكوم به في الحقيقة أمورا عدمية مع أنها معقولة فعلى الحقيقة لا أثر لموجود في موجود و إنما الأثر للمعدوم في الموجود و في المعدوم لأن الأثر للنسب كله و ليست النسب إلا أمورا عدمية يظهر ذلك بالبديهة في أحكام المراتب كمرتبة السلطنة و مرتبة السوقية في النوع الإنساني مثلا فيحكم السلطان في السوقة بما تريد رتبة السلطانة و ليس للسلطنة وجود عيني و إذا كان الحكم للمراتب فالأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعية جسمية في نفسها إذا ظهرت لمن ظهرت له في صورة طبيعية جسدية في عالم التمثيل كالملك يتمثل بَشَراً سَوِيًّا و كالتجلي الإلهي في الصور فهل تقبل تلك الصورة الظاهرة في عين الرائي حكم ما لتلك الصورة في التي هي له حقيقة كصورة الإنسان و الحيوان فتحكم عليه بالتفكر و قيام الآلام و اللذات به فهل تلك الصورة التي ظهرت تشبه الحيوان أو الإنسان أو ما كان تقبل هذا الحكم في نفس الأمر أو الرائي إذا لم يعلم أنها إنسان أو حيوان ما له أن يحكم عليها بما يحكم علي من تلك الصورة عينه كيف الأمر في ذلك فاعلم إن الملك على صورة تخالف البشر في نفسه و عينه و كما تخالف البشر فقد خالفه أيضا البشر مثل جبريل ظهر بصورة أعرابي بكلامه و حركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان هي في الصورة الممثلة كما هي في الإنسان أو هي من الصورة كما هي الصورة متخيلة أيضا و يتبع تلك الصورة جميع أحكامها من القوي القائمة بها في الإنسان كما قام بها الكلام و الحركة و الكيفيات الظاهرة فهو في الحقيقة إنسان خيالي أعني الملك في ذلك الزمان و له حكم تلك الصورة في نفس الأمر أيضا على حد الصورة من كونها إنسانا خياليا فإذا ذهبت تلك الصورة ذهبت أحكامها لذهابها و سبب ذلك أن جوهر العالم في الأصل واحد لا يتغير عن حقيقته و أن كل صورة تظهر فيه فهي عارضة تستحيل في نفس الأمر في كل زمان فرد و الحق يوجد الأمثال على الدوام لأنه الخالق على الدوام و الممكنات في حال عدمها مهياة لقبول الوجود فمهما ظهرت صورة في ذلك الجوهر ظهرت بجميع أحكامها سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيلة فإن أحكامها تبعها كما قال الأعرابي لما سمع رسول الله ص يصف الحق جل جلاله بالضحك قال لا نعدم خيرا من رب يضحك إذ من شأن من يضحك أن يتوقع منه وجود الخير فكما أتبع الصورة الضحك اتبعها وجود الخير منها و هذا في الجناب الإلهي فكيف في جوهر العالم و لا يهون مثل هذا عند عالم و لا يقبله متسع الخاطر إلا من عرف أن جوهر العالم هو النفس الرحماني الذي ظهرت فيه صور العالم و من لم يعلم ذلك فإنه يدركه في نفسه تكلف و مشقة في قبول

ذلك في حق الحق و حق كل ظاهر في صورة يعلم أنها ما هي له حقيقة فيتأول و يتعذر عليه في أوقات التأويل فيؤمن و يسلم و لا يدري كيف الأمر بخلاف العالم المحقق الذي قد أطلعه الله تعالى على ما هي الأمور عليه في أنفسها فالعالم كله من حيث جوهره شريف لا تفاضل فيه و إن الدودة و العقل الأول على السواء في فضل الجوهر و ما ظهرت المفاضلة إلا في الصور و هي أحكام المراتب فشريف و أشرف و وضيع و أوضع و من علم هذا هان عليه قبول جميع ما وردت به الشرائع من الأمور في حق الله و الدار الآخرة و الأمور الغائبة التي لا تدركها العقول بأفكارها و ليس لها مدرك إلا بالخبر و ليست الصور بشيء غير أعيان الممكنات و ليس جوهر العالم سوى ما ذكرنا فللإطلاق على العالم من حيث جوهره حكم لا يكون له من حيث صورته و له حكم من حيث صورته لا يكون له من حيث جوهره فمن الناس من علم ذلك على الكشف و هم أصحابنا و الرسل و الأنبياء و المقربون و من الناس من وجد ذلك في قوته و في عقله و لم يعرف من أين جاء و لا كيف حصل له فيشرك أهل الكشف في الحكم و لا يدري على التحقق ما هو الأمر و هم القائلون بالعلة و القائلون بالدهر و القائلون بالطبيعة و ما عدى هؤلاء فلا خبر عندهم بشيء من هذا الحكم كما إن هؤلاء الطوائف لا علم لهم بما يعلمه أهل الله و إن اشتركا في هذا الحكم فلو سألت علماء طائفة منهم ما أنكر لك عين ما أبانه أهل الله من ذلك و ما حكم عليهم القول بذلك الحكم إلا ما عرفه أهل الله هم و القائلون بالعلة لا يشعرون ألا ترى الشارع و هو المخبر عن الله ما وصف الحق بأمر فيه تفصيل إلا و هو صفة المحدث المخلوق مع قدم الموصوف به و هو الله و لا قدم للعقل في ذلك من حيث نظره و فكره و سبب ذلك لا يعرف أصله و لا يعلم أنه صورته في جوهر العالم بل يتخيل أنه عين الجوهر فإن أردت السلامة فاعبد ربا وصف نفسه بما وصف و نفى التشبيه و أثبت الحكم كما هو الأمر عليه لأن الجوهر ما هو عين الصورة فلا حكم للتشبيه عليه و لهذا قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لعدم المشابهة فإن الحقائق ترمي بها ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثباتا للصور لأنه فصل حي فمن لم يعلم ربه من خبره عن نفسه ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِيناً﴾ و أدنى درجته أن يكون مؤمنا بالخبر في صفاته كما آمن إنه ليس كمثله شيء و كلا الحكمين حق نظرا عقليا و قبولا و الله يقول ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ و على كل شيء حفيظ أتراه يحيط به و هو خارج عنه و يحفظ عليه وجوده من غير نسبة إليه فقد تداخلت الأمور و اتحدت الأحكام و تميزت الأعيان فقيل من وجه هذا ليس هذا عن زيد و عمرو و قيل من وجه هذا عين هذا عن زيد و عمرو و إنها إنسان كذلك نقول في العالم من حيث جوهره و من حيث صورته كما قال الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و هو يعني هذا الذي ليس كمثله شيء ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ و حكم السمع ما هو حكم البصر ففصل و وصل و ما انفصل و لا اتصل

﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ و من شاء فيعجز و من شاء فلينظر

فمن علم العلم الذي قد علمته حقيق عليه إن يسر و أن يشكر

يقول لمن يدري بذلك و يشعر إذا ناله التقوى فكن فطنا بما
و لكنه ذكرى لمن شاء فليذكر و ما قال هذا القول للخلق باطلا
هو المنظر الأجلى لذي بصر يبصر هو الحيرة العمياء لمن كان ذا عمى
علمنا وجود القرب فينا و لم نحصر و لما ظهرنا في وجود عمائه

«وصل إشارة و تنبيه» اعلم أن كل متلفظ من الناس بحديث فإنه لا يتلفظ به حتى تخيله في نفسه و يقيمه صورة يعبر عنها لا بد له من ذلك و لما كان الخيال لا يراد لنفسه و إنما يراد لبروزه إلى الوجود الحسي في عينه أي يظهر حكمه في الحس فإن المتخيل قد يكون مرتبة و قد يكون ما يقبل الصورة الوجودية كمن يتخيل أن يكون له ولد فيولد له ولد فيظهر في عينه شخصا قائما مثله و قد يتخيل أن يكون ملكا و هي رتبة فيكون ملكا و لا عين للمملكة في الوجود و إنما هي نسبة و إذا كان هذا و كان ما يتخيل يعبر كالرؤيا كذلك يعبر كل كلام و يتأول فما في الكون كلام لا يتأول و لذلك قال وَلِنُعَلِّمَهُ من تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ و كل كلام فإنه حادث عند السامع فمن التأويل ما يكون إصابة لما أراده المتكلم بحديثه و من التأويل ما يكون خطأ عن مراد المتكلم و إن كان التأويل إصابة في كل وجه سواء أخطأ مراد المتكلم أو أصاب فما من أمر لا و هو يقبل التعبير عنه و لا يلزم في ذلك فهم السامع الذي لا يفهم ذلك الاصطلاح و لا تلك العبارة فإن علوم الأذواق و الكيفيات و إن قبلت لانتقال و لكن لما كان القول بها و العبارة عنها لإفهام السامع لذلك قالوا ما ينتقال و لا يلزم ما لا يفهم السامع المدرك له أن لا يصطلح مع نفسه على لفظ يدل به على ما ذاقه ليكون له ذلك اللفظ منبها و مذكرا له إذا نسي ذلك في وقت آخر و إن لم يفهم عنه من لا ذوق له فيه و التأويل عبارة عما يؤول إليه ذلك الحديث الذي حدث عنده في خياله و ما سمي الإخبار عن الأمور عبارة و لا التعبير في الرؤيا تعبير إلا لكون المخبر يعبر بما يتكلم به أي يجوز بما يتكلم به من حضرة نفسه إلى نفس السامع فهو ينقله من خيال إلى خيال لأن السامع يتخيله على قدر فهمه فقد يطابق الخيال الخيال خيال السامع مع خيال المتكلم و قد لا يطابق فإذا طابق سمي فهما عنه و إن لم يطابق فليس يفهم ثم المحدث عنه قد يحدث عنه بلفظ يطابقه كما هو عليه في نفسه فحينئذ يسمى عبارة و إن لم يطابقه كان لفظا لا عبارة لأنه ما عبر به عن محله إلى محل السامع و سواء نسب ذلك الكلام إلى من نسب و إنما قصدنا بهذه الإشارة التنبيه على عظم رتبة الخيال و أنه الحاكم المطلق في المعلومات غير إن التعبير عن غير الرؤيا رباعي و التعبير عن الرؤيا ثلاثي أي في الرؤيا و هما من طريق المعنى على السواء و عين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح و في المستقبل مضموم و مخفف و هو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي و المستقبل مفتوح العين في الماضي و تكسر في مستقبله و إنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوة في العبارة لأنها أضعف في الخيال من الرؤيا فإن المعبر في غير الرؤيا يعبر عن أمر متخيل في نفسه استحضره ابتداء و جعله كأنه يراه حسا فضعف عمن يعبر عن الخيال من غير فكر و لا استحضار كصاحب الرؤيا فإن الخيال هنالك أظهر

له ما فيه من غير استحضا ر من الرائي و المتيقظ ليس كذلك فهو ضعيف التخيل بسبب حجاب الحس فاحتاج إلى القوة فضعف التعبير عنه فقيل عبر فلان عن كذا و كذا بكذا و كذا بتشديد عين الفعل ألا ترى قولهم في عبور الوادي يقولون عبرت النهر أعبره من غير تضعيف لأن النهر هنا غير مستحضر بل هو حاضر في الحس كما كان ذلك حاضرا في الخيال من غير استحضا ر فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضا ر من المشقة و الاستعانة تؤذن بالتضعيف أبدا حيث ظهرت لأنه لا يطلب العون إلا من ليس في قوته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه فكل ما لا يمكن الاستقلال به فإن العامل له لا بد أن يطلب العون و المعين على ذلك فافهم فإنه من هنا تعرف رتبة ما لا يمكن وجوده للموجد له إلا بمساعدة أمر آخر ما هو عين الموجد فذلك الأمر الآخر معين له على إظها ر ذلك الأمر و هنا يظهر معنى قوله حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ إذا أ راد الحق إيصاله إلى أذن السامع بالأصوات و الحروف أو الإيماء و الإشا رة فلا بد من الواسطة إذ يستحيل عليه تعالى قيام الحوادث به فافهم وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ و في هذا المنزل من العلوم علم ما يفتقر إليه و لا يتصل به و فيه علم بيان الجمع أنه عين الفرق و فيه علم الفرق بين علم الخبر و علم النظر العقلي و علم النظر الكشفي و هو الذي يحصل بإد راك الحواس و فيه علم تنبيه الغافل بما ذا ينبه و مراتب التنبيه و فيه علم شرف العلم على شرف الرؤية فقد يرى الشخص شيئًا و لا يد ري ما هو فيقصه على غيره فيعلمه ذلك الغير ما هو و إن لم يره فالعلم أتم من الرؤية لأن الرؤية طريق من طرق العلم يتوصل بالسلوك فيه من هو عليه إلى أمر خاص و فيه علم ظهور الباطل في صورة الحق و هما على النقيض و من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر من غير تناسب فهو مثله في النسبة لا مثله في العين و هذا هو في صناعة النحو فعل المقا ربة يقولون في ذلك كاد النعام يطير و كاد العروس يكون أميرا و الحق تعالى يظهر في عين الرائي السراب ماء و ليس بماء و هو عنده إذا جاء إليه الظمآن و كذلك المعطش إلى العلم بالله يأخذ في النظر في العلم به فيفيده تقييد تنزيه أو تشبيه فإذا كشف الغطاء و هو حال وصول الظمآن إلى السراب لم يجده كما قيده فأنكره و وجد الله عنده غير مقيد بذلك التقييد الخاص بل له الإطلاق في التقييد فَوَفَّاهُ حِسابَهُ أي تقديره فكأنه أ راد صاحب هذا الحال أن يخرج الحق من التقييد فقال له الحق بقوله فَوَفَّاهُ حِسابَهُ لا يحصل لك في هذا المشهد إلا العلم بي إني مطلق في التقييد فإنا عين كل تقييد لأني أنا العالم كله مشهود و معلوم و هذا هو الكيد الإلهي من قوله وَأَكِيدُ كَيْداً و مَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ و فيه علم ما هو مربوط بأجل لا يظهر حتى يبلغ الكتاب فيه أجله و فيه علم قيمة المثل و فيه علم تنزيه الأنبياء مما نسب إليهم المفسرون من الطامات مما لم يجيء في كتاب الله و هم يزعمون أنهم قد فسروا كلام الله فيما أخبر به عنهم نسأل الله العصمة في القول و العمل فلقد جاءوا في ذلك بالكبر الكبائر كمسألة إبراهيم الخليل ع و ما نسبوا إليه من الشك و ما نظروا في قول رسول الله ص نحن أولى بالشك من إبراهيم فإن إبراهيم ع ما شك في إحياء الموتى و لكن لما علم إن لإحياء الموتى وجودها متعددة مختلفة لم يد ر بأي وجه منها يكون يحيي الله به الموتى و هو مجبول على طلب العلم فعين اللهله وجها من تلك الوجوه حتى سكن إليه قلبه فعلم كيف يحيي الله الموتى و كذلك قصة يوسف و لوط و

موسى و داود و محمد ع الإلهي و كذلك ما نسبوه في قصة سليمان إلى الملكين و كل ذلك نقل عن اليهود و استحلوا أعراض الأنبياء و الملائكة بما ذكرته اليهود الذين جرحهم الله و ملئوا كتبهم في تفسير القرآن العزيز بذلك و ما في ذلك نص في كتاب و لا سنة فالله يعصمنا و إياكم من غلطات الأفكار و الأقوال و الأفعال آمين بعزته و قوته و فيه علم من قام الدليل على عصمته فله إن يثني على نفسه بما أعلمه الله أنه عليه من الصفات المحمودة فإنها من أعظم النعم الإلهية على عبده و الله يقول وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و فيه علم التسليم و الاعتصام و فيه علم رتبة الخيال و أنه حق ما فيه شيء من الباطل إلا إن المعبر عنه يصيب و يخطئ بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن فإن المصيب من لم يتعد بالحقائق مراتبها و فيه علم الأسماء و ما عبد منها و ما لم يعبد و فيه علم معرفة منازل الموجودات و فيه علم الستر و التجلي و فيه علم المفاضلة في العلم و فيه علم الشكر و الشاكر و فيه علم الآيات المعتادة و غير المعتادة و فيه علم التبري و التنزيه و ما هو تنزيه في حق الله عز و جل و هو تبري في حق المخلوق و لا تنزيه و فيه علم تقاسم أهل الله و طبقاتهم وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر السادس و العشرون من الفتوح المكي بانتهاء الباب الثاني و السبعون و ثلاثمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الثالث و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل ثلاثة أسرار ظهرت في الماء الحكمي المفضل مرتبته على العالم بالعناية و بقاء العالم أبد الآبدين و إن انتقلت صورته و هو من الحضرة المحمدية»

لأرواح منباة كرام ۝ مقامات تنص على اتساق
لأن النور في عين الظلام ۝ أفوه بها و لا يدري جليسي
فعين النقص يظهر بالتمام ۝ فلو لا ظلمة ما كان نور
تقيد بالعقود و بالقيام ۝ إذا علم الإضافة من يراها
و أن البدء يظهر بالختام ۝ يرى أن الوجود له انتهاء
وجود لا يزال مع الدوام ۝ فحال بين بدء و انقضاء

اعلم أيدك الله أن العالم كله كتاب مسطور في رَقٍّ مَنْشُورٍ و هو الوجود فهو ظاهر مبسوط غير مطوي ليعلم ببسطه أنه مخلوق للرحمة و بظهوره يعقل و يعلم ما فيه و ما يدل عليه و جعله كتابا لضم حروفه بعضها إلى بعض و هو ترتيب العالم على الوجوه التي ذكرناها و ضم معانيه إلى حروفه مأخوذ من كتيبة الجيش و إنما قلنا في بسطة إنه للرحمة لأنه منها نزل كما قال تعالى تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و قال

تعالى في ذلك كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ فأحكام الآيات فيه و تفصيلها لا يعرفه إلا من آتاه الله الحكمة و فصل الخطاب و صورة الحكمة التي أعطاها الحكيم الخبير لأهل العناية علم مراتب الأمور و ما تستحقه الموجودات و المعلومات من الحق الذي هو لها و هو إعطاء كل شيء خلقه إعطاء إلهيا ليعطي كل خلق حقه إعطاء كونيا بما آتانا الله فنعلم بالقوة ما يستحقه كل موجود في الحدود و نفصله بعد ذلك آيات بالفعل لمن يعقل كما أعطانيه الخبير الحكيم فننزل الأمور منازلها و نعطيها حقها و لا نتعدى بها مرتبتها فتفصيل الآيات و الدلالات من المفصل إذا جعلها في أماكنها بهذا الشرط لأنه ما كل مفصل حكيم دليل على أنه قد أوتي الحكمة و علم أحكام الآيات و رحمته بالآيات و الموجودات التي هي الكتاب الإلهي و ليس إلا العالم دليل على علمه بمن أنزله و ليس إلا الرحمن الرحيم و خاتمة الأمر ليست سوى عين سوابقها و سوابقها الرحمن الرحيم فمن هنا تعلم مراتب العالم و مآله إنه إلى الرحمة المطلقة و إن تعب في الطريق و أدركه العناء و المشقة فمن الناس من ينال الرحمة و الراحة بنفس ما يدخل المنزل الذي وصل إليه و هم أهل الجنة و منهم من يبقى معه تعب الطريق و مشقته و نصب بحسب مزاجه و ربما مرض و اعتل زمانا ثم انتقل من دائه و استراح و هم أهل النار الذين هم أهلها ما هم الذينخرجوا منها إلى الجنة فمستهم النار بقدر خطاياهم مع كونهم أماتهم الله فيها إماتة فإن أولئك ليست النار منزلا لهم يعمرونه و يقيمون فيه مع أهليهم و إنما النار لهؤلاء منهل من المناهل التي ينزلها المسافر في طريقه حتى يصل إلى منزله الذي فيه أهله فهذا معنى الحكمة و التفصيل فإن الأمور أعني الممكنات متميزة في ذاتها في حال عدمها و يعلمها الله سبحانه و على ما هي عليه في نفسها و يراها و يأمرها بالتكوين و هو الوجود فتتكون عن أمره فما عند الله إجمال كما أنه ليس في أعيان الممكنات إجمال بل الأمر كله في نفسه و في علم الله مفصل و إنما وقع الإجمال عندنا و في حقنا و فينا ظهر فمن كشف التفصيل في عين الإجمال علما أو عينا أو حقا فذلك الذي أعطاه الله الحكمة و فصل الخطاب و ليس إلا الرسل و الورثة خاصة و أما الحكماء أعني الفلاسفة فإن الحكمة عندهم عارية فإنهم لا يعلمون التفصيل في الإجمال و صورة ذلك كما يراه صاحب هذا المقام الذي أعطاه الله الحكمة التي عنده عناية إلهية و هي عند الحق تعيين الأرواح الجزئية المنفوخة في الأجسام المسواة المعدلة من الطبيعة العنصرية من الروح الكل المضاف إليه و لذلك ذكر أنه خلقها قبل الأجسام أي قدرها و عينها الكل جسم و صورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة في هذا الروح الكل المضاف إليه فيظهر ذلك في التفصيل بالفعل عند النفخ و ذلك هو النفس الرحماني لصاحب الكشف فيرى في المداد الذي في الدواة جميع ما فيه من الحروف و الكلمات و ما يتضمنه من صور ما يصورها الكاتب أو الرسام و كل ذلك كتاب فيقول في هذا المداد من الصور كذا و كذا صورة فإذا جاء الكاتب و الرسام أو الرسام دون الكاتب أو الكاتب دون الرسام بحسب ما يذكره صاحب الكشف فيكتب بذلك المداد و يرسم جميع ما ذكره هذا المكاشف بحيث لا يزيد على ذلك و لا ينقص و لا يدرك ذلك هذا المسمى في عرف العقلاء حكما فهذا حظ أهل الكشف فهم الذين أعطاهم الله الحكمة و فصل الخطاب و قد أمرنا رسول الله ص أن نعطي كل

ذي حق حقه و لا نفعل ذلك حتى نعلم ما يستحقه كل ذي حق من الحق و ليس إلا بتبيين الحق لنا ذلك و لذلك أضافه إليه تعالى فقال وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ و من يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً فما يعلمها إلا من أوتيها فهي هبة من الله تعالى كما وهبنا وجود أعياننا و لم نكن شيئًا وجوديا فالعلم الإلهي هو الذي كان الله سبحانه معلمه بالإلهام و الإلقاء و بإنزال الروح الأمين على قلبه و هذا الكتاب من ذلك النمط عندنا فو الله ما كتبت منه حرفا إلا عن إملاء إلهي و إلقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسل مشرعين و لا أنبياء مكلفين بكسر اللام اسم فاعل فإن رسالة التشريع و نبوة التكليف قد انقطعت عند رسول الله محمد ص فلا رسول بعده ص و لا نبي يشرع و لا يكلف و إنما هو علم و حكمة و فهم عن الله فيما شرعه على السنة رسله و أنبيائه عليهم سلام الله و ما خطه و كتبه في لوح الوجود من حروف العالم و كلمات الحق فالتنزيل لا ينتهي بل هو دائم دنيا و آخرة

جسمي فعدلني خلقا و سواني الله أنشأ من طي و خولان

فليس بنيان غيري مثل بنياني و أنشأ الحق لي روحا مطهرة

من فوق سبع سماوات بفرقان إني لأعرف روحا كان ينزل بي

نريد قوله تعالى إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً و ما أنا مدع في ذاك من نبأ من الإله و لكن جود إحسان

إن النبوة بيت بيننا غلق و بينه موثق بقفل إيمان

و إنما قلنا ذلك لئلا يتوهم متوهم إني و أمثالي و ادعى نبوة لا و الله ما بقي إلا ميراث و سلوك على مدرجة محمد رسول الله ص خاصة و إن كان للناس عامة و لنا و لأمثالنا خاصة من النبوة ما أبقى الله علينا منها مثل المبشرات و مكارم الأخلاق و مثل حفظ القرآن إذا استظهره الإنسان فإن هذا و أمثاله من أجزاء النبوة المورثة و لذلك كان أول إنسان أنشأه الله و هو آدم نبيا من مشى على مدرجته بعد ذلك فهو وارث لا بد من ذلك بهذه النشأة الترابية و أما في المقام فآدم و من دونه إنما هو وارث محمد ص لأنه كان نبيا و آدم بين الماء و الطين لم يكن بعد موجودا فالنبوة لمحمد ص و لا آدم و الصورة الآدمية الطبيعية الإنسانية لآدم و لا صورة لمحمد ص و على آدم و على جميع النبيين فآدم أبو الأجسام الإنسانية و محمد ص أبو الورثة من آدم إلى خاتم الأمر من الورثة فكل شرع ظهر و كل علم أنما هو ميراث محمدي في كل زمان و رسول و نبي من آدم إلى يوم القيامة و لهذا أوتي جوامع الكلم و منها علم الله آدم الأسماء كلها فظهر حكم الكل في الصورة الآدمية و الصورة المحمدية فهي في آدم أسماء و في محمد ص كلم و كلمات الله سبحانه لا تنفد و موجوداته من حيث جوهرها لا تبعد و إن ذهبت صورها و تبدلت أحكامها فالعين لا تذهب و لا تتبدل بل وقع التبديل في العالم لما هو الحق عليه من التحول في الصور فلو لم يظهر التبدل في العالم لم يكمل العالم فلم تبق حقيقة إلهية إلا و للعالم استناد إليها على أن تحقيق الأمر

عند أهل الكشف إن عين تبدل العالم هو عين التحول الإلهي في الصور فعين كونه فيما شاء تجلى عين كونه فيما شاء ركبك ف ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ فتلك على الحقيقة مشيئة الله لا مشيئتك و أنت تشاء بها فالحياة لعين الجوهر و الموت لتبدل الصور كل ذلك لِيَبْلُوَكُمْ بالتكليف أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و إنما يبلوكم لتصح نسبة الاسم الخبير فهو علم عن خبرة بعلم و لا خبرة لإقامة حجة على من خلق فيه النزاع و الإنكا ر و هذا كله من تفصيل الآيات في الخطاب و في الأعيان ف هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ و هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ فلو كشف لكل أحد ما كشفه لبعض العالم لم يكن غفورا و لا كا ن فضل لأحد على أحد إذ لا فضل إلا بمزيد العلم كان بما كان فالعالم كله فاضل مفضول فاشترك أعلى العلماء مع أنزلهم في علم الصنعة فالعالم صنعة الله و العلم بصنعة الحياكة علم الحائك و هو صنعته و ذلك في العموم أنزل العلوم و في الخصوص علم الصنعة أرفع العلوم لأنه بالصنعة ظهر الحق في الوجود فهي أعظم دليل و أوضح سبيل و أقوم قيل و من هنا ظهر خواص الله الأكابر في الحكم بصورة العامة فجهلت مرتبتهم فلا يعرفهم سواهم و ما لهم مزية في العالم بخلاف أصحاب الأحوال فإنهم متميزون في العموم مشا ر إليهم بالأصابع لما ظهر عليهم بالحال من خرق العوائد و أهل الله اتقوا من ذلك لاشتراك غير الجنس معهم في ذلك فأهل الله معلومون بالمقام مجهولون بالشهود لا يعرفون كما أن الله الذي هو لأهله معلوم بالفطرة عند كل أحد مجهول عنده بالعقل و الشهود فلو تجلى له ما عرفه بل لم يزل متجليا على الدوام لكنه غير معلوم إلا عند أهله و خاصته و هم أهل القرآن أهل الذكر الذين أمرنا الله أن نسألهم لأنهم ما يخبرون إلا عنه قال تعالى فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ لأن أهل الذكر هم جلساء الحق فما يخبر الذاكر الذي يشهد الله فيه أنه ذاكر له إلا عن جليسه فيخبر بالأمر على ما هو عليه و ذلك هو العلم فإنه عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ و هو ظهوره بصورته أي الذي أتى به من العلم عن الله فهو صفته التي بها تجلى هذا الشخص الذاكر فعلى قد ر ذكره يكون الحق دائم الجلوس معه و لذلك قالت عائشة رضي الله عنها في رسول الله ص إنه كان يذكر الله على كل أحيانه فأثبتت له المجالسة مع الله تعالى على الدوام فأما علمت بذلك كشفا و إما أخبرها بذلك رسول الله ص و كان ذلك في جلوسه معه أنه يقص عليه من أنباء الرسل ما يثبت به فؤاده لما يرى من منازعة أمته إياه فيما جاء به عن الله و لو لم يكن عنده بهذه المثابة و أمثالها لم يكن بينه و بين غيره من البشر فرقان فإنه تعالى معهم حيثما كانوا و أَيْنَ ما كانُوا فلا بد أن يكون مع الذاكرين له بمعية اختصاص و ما ثم إلا مزيد علم به يظهر الفضل فكل ذاكر لا يزيد علما في ذكره بمذكوره فليس بذاكر و إن ذكر بلسانه لأن الذاكر هو الذي يعمه الذكر كله فذلك هو جليس الحق فلا بد من حصول الفائدة لأن العالم الكريم الذي لا يتصور فيه بخل لا بد أن يهب جليسه أمرا لم يكن عنده إذ ليس هنالك بخل ينافي الجود فلم يبق إلا المحل القابل و لا يجالس إلا ذو محل قابل فذلك هو جليس الحق و العالم جليسهم الحق من حيث لا يشعرون و غاية العامة إذا كانت مؤمنة أن تعلم أن الله معها و الفائدة إنما هي أن تكون أنت مع الله لا في أنه معك فكذلك هو الأمر في نفسه فمن كان مع الحق فلا بد أن يشهد الحق و من شهده فليس إلا وجود العلم عنده فهذه هي المنح الإلهية

و الكشف أعظم منهاج و أوضحه فالعلم أشرف ما يؤتيه من منح

فسله كشفا فإن الله يمنحه فإن سألت إله الحق في طلب

دعوى الكيان وجود الله يفتحه و أد من القرع إن الباب أغلقه

فكل علم لا يكون حصوله عن كشف بعد فتح الباب يعطيه الجود الإلهي و يبديه و يوضحه فهو شعور لا علم لأنه حصل من خلف الباب و الباب مغلق و ليس الباب سواك فأنت بحكم معناك و مغناك و ذلك هو غلق الباب فإنك تشعر أن خلف هذا الجسم و الصورة الظاهرة معنى آخر لا تعلمه و إن شعرت به فالصورة الظاهرة المصراع الواحد و النفس المصراع الآخر فإذا فتحت الباب تميز المصراع من المصراع و بدا لك ما وراء الباب فذلك هو العلم فما رأيته إلا بالتفصيل لأنك فصلت ما بين المصراعين حتى تميز هذا فيك فإن كان الباب عبارة عن حق و خلق و هو أنت و ربك فالتبس عليك الأمر فلم يتميز عينك من ربك فلا تميزه ما لم يفتح الباب فعين الفتح يعطيك المعرفة بالباب و الفرق بين المصراعين فتعلم ذاتك و تعلم ربك و هو قوله ص من عرف نفسه عرف ربه فالشعور مع غلق الباب و العلم مع فتح الباب فإذا رأيت العالم متهما لما يزعم أنه به عالم فليس بعالم و ذلك هو الشهور و إن ارتفعت التهمة فيما علم فذلك هو العلم و يعلم أنه قد فتح الباب له و أن الجود قد أبرز له ما وراء الباب و كثير من الناس من يتخيل أن الشعور علم و ليس كذلك و إنما حظ الشعور من العلم إن تعلم أن خلف الباب أمرا ما على الجملة لا يعلم ما هو و لذلك قال تعالى وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ لقولهم هو شاعر ثم قال وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ يعني هذا الذي بعثناه به إِلَّا ذِكْرٌ أي أخذه عن مجالسة من الحق وَقُرْآنٌ مُبِينٌ أي ظاهر مفصل في عين الجمع ما أخذه عن شعور فإنه كل ما عينه صاحب الشعور في المشعور به فإنه حدس و لو وافق الأمر و يكون علما فما هو فيه على بصيرة في ذلك و ليس ينبغي لعاقل أن يدعو إلى أمر حتى يكون من ذلك الأمر على بصيرة و هو أن يعلمه رؤية و كشفا بحيث لا يشك فيه و ما اختصت بهذا المقام رسل الله بل هو لهم و لأتباعهم الورثة و لا وارث إلا من كمل له الاتباع في القول و العمل و الحال الباطن خاصة فإن الوارث يجب عليه ستر الحال الظاهر فإن إظهاره موقوف على الأمر الإلهي الواجب فإنه في الدنيا فرع و الأصل البطون و لهذا احتجب الله في العموم في الدنيا عن عباده و في الآخرة يتجلى عامة لعباده فإذا تجلى لمن تجلى له على خصوصه كتجليه للجبل كذلك ما ظهر من الحال على الرسل من جهة الدلالة على صدقه ليشرع لهم و الوارث داع لما قرره هذا الرسول و ليس بمشرع فلا يحتاج إلى ظهور الحال كما احتاج إليه المشرع فالوارث يحفظ بقاء الدعوة في الأمة عليها و ما حظه إلا ذلك حتى إن الوارث لو أتى بشرع و لا يأتي به و لكن لو فرضناه ما قبلته منه الأمة فلا فائدة لظهور الحال إذا لم يكن القبول كما كان للرسول فاعلم ذلك فما أظهر الله عليهم من الأحوال فذلك إلى الله لا عن تعمل و لا قصد من العبد و هو المسمى كرامة في الأمة فالذي يجهد فيه ولي الله و طالبه إنما هو فتح ذلك الباب ليكون من الله في أحواله عند نفسه على بصيرة لا أنه يظهر بذلك عند خلقه فهو عَلى

نُورٍ من رَبِّهِ و ثابت في مقامه لا يزلزله إلا هو فكرامة مثل هذا النوع علمه بالله و ما يتعلق به من التفصيل في أسمائه الحسنى و كلماته العليا فيعلم ما يلج في أرض طبيعته من بذر ما بذر الله فيها حين سواها و عدلها و ما يخرج منها من العبارات عما فيها و الأفعال العملية الصناعية على مراتبها لأن الذي يخرج عن الأرض مختلف الأنواع و ذلك زينة الأرض فما يخرج عن أرض طبيعة الإنسان و جسده فهو زينة له من فصاحة في عبارة و أفعال صناعية محكمة كما يعلم ما ينزل من سماء عقله بما ينظر فيه من شرعه في معرفة ربه و ذلك هو التنزيل الإلهي على قلبه و ما يعرج فيها من كلمه الطيب على براق العمل الصالح الذي يرفعه إلى الله كما قال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ و هو ما خرج من الأرض وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ و هو ما أخرجته الأرض أيضا فالذي يَنْزِلُ من السَّماءِ هو الذي يَلِجُ فِي الْأَرْضِ و الذي يخرج من الأرض و هو ما ظهر عن الذي ولج فيها هو الذي يعرج في السماء فعين النازل هو عين الوالج و عين الخارج هو عين العارج فالأمر ذكر و أنثى و نكاح و ولادة فأعيان موجودة و أحكام مشهودة و آجال محدودة و أفعال مقصودة منها ما هي مذمومة بالعرض و هي بالذات محمودة ثم اعلم أن التفصيل لا يظهر في الوجود إلا بالعمل فإن فصله العامل على تفصيله في الإجمال الحكمة فهو العمل الصالح و إن فصله على غير ذلك بالنظر إلى تفصيل الإنسان فيه فذلك العمل غير الصالح و أكثر ما يكون العمل غير الصالح في الذين يفصلون الأمور بالنظر العقلي لا بالإعلام الإلهي فما فصل بالإعلام الإلهي فهو كله عمل صالح و ما فصل بالنظر العقلي فمنه صالح و غير صالح بالنسبة إلى تفصيله لا غير و الكل عمل صالح بالنسبة إلى الله تعالى كما يقول إن النقص في الوجود من كمال الوجود و إن شئت قلت من كمال العالم إذ لو نقص النقص من العالم لكان ناقصا فافهم و اعلم أنه ما كنا نقول بالعمل غير الصالح و لا بالفساد أدبا مع العلم الإلهي و حقيقة و لكن لما رأينا في الوضع الإلهي قد حذر الله من الفساد و قال وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و قال تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً و رأينا في العرف بين العقلاء بل الناس أجمعين ذكر الفساد لذلك أقدمنا على ذكره و إنما كنا نقول في ذلك بدل الفساد إظهار صورة و إزالة أخرى كما هو الأمر في نفسه من أجل تركيب خاص و نظام مزاج طبيعي فأما قوله إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ فالمراد به تغيير الحكم الإلهي لا تغيير العين و لا إبدال الصورة و أما قوله عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ فهو أمر محقق لأن العلو لا تقبله الأرض ما دامت أرضا لمن هي له أرض و كل ما نراه عاليا شامخا فيها فهو جبل و وتد ثقلها الله به ليسكن ميدها فالجبال ليست أرضا فخلق الله الأرض مثل الكرة أجزاء ترابية و حجرية ضم الله بعضها إلى بعض فلما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له مكانا و لذلك مادت و لو بقيت الكرة ما مادت و ما خلق الجبال فخلق سبحانه الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة و أدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة قيل إن عليه أطراف قبة السماء و أن الزرقة التي نسبها إلى السماء و نصفها بها فتلك اللونية لجرم السماء لبعدها عنك في الإدراك البصري كما ترى الجبال إذا بعدت عنك زرقا و ليست الزرقة لها إلا لبعدها عن نظر العين كما ترى الجبل البعيد عن نظرك أسود فإذا جئته قد لا يكون كما أبصرته و قد بينا لك أن الألوان

على قسمين لون يقوم بجسم المتلون و لون يحدث للبصر عند نظره إلى الجسم لأمر عا رض يقوم بين الرائي و المرئي مثل هذا و مثل الألوان التي تحدث في المتلون باللون الحقيقي لهيئات تطرأ فيراها الناظر على غير لونها القائم بها الذي يعرفه و ذلك مثل الشبهات في الأدلة فهي ألوان لا ألوان و حظها من الحقائق الإلهية وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ و أنت لا أنت و كالعالم كله بالحقيقة هو خلق لا خلق أو حق لا حق و كالخيال هو حس لا حس و محسوس لا محسوس أعني المتخيل و الأرض منفعلة عن الماء المنفعل عن الهواء فإن الهواء هو الأصل عندنا و لذلك هو أقرب نسبة إلى العماء الذي هو نفس الرحمن فجمع بين الحرارة و الرطوبة فمن حرارته ظهر ركن النار و من رطوبته ظهر ركن الماء و من جمود الماء كان الأرض فالهواء ابن للنفس و هو العماء و النار و الماء ولدان للهواء و الأرض ولد الولد و هو ما جمد من الماء و ما لم يجمد بقي ماء على أصله و الأرض على ذلك الماء و قد رأينا في نهر الفرات إذا جمد في الكوانين ببلاد الشمال يعود أرضا تمشي عليه القوافل و الناس و الدواب و الماء من تحت ذلك الجليد جار و ذلك الماء على الهواء و هو الذي يمده برطوبته فيحفظ عليه عينه و استقراره عليه فإن الهواء يجري الماء إذا تحرك و إذا احتقن و سكن سكن الماء عليه فلا ينفذ الماء فيه و قد رأينا ذلك في أنبوب القصب و أمثاله المنفوذ الثقب إذا ملأته ماء و سددت موضع الثقب الأعلى من الأنبوب لا يجري من أسفل الأنبوب شيء من الماء فإذا أزالته جرى الماء فلم يعتمد ذلك الماء إلا على الهواء الساكن لسكونه و هو صورة تعم العالم كله و إذا تموج الهواء سمي ريحا و الريح تنقل روائح ما تمر عليه من طيب و خبيث إلى المشام و كذلك تنقل برودة الأشياء و حرارتها و لذلك توصف الريح بأنها نمامة و توصف بنقل الأخبار إلى السامعين و لا يتلقى منها هذه الأمور التي تنم بها و تخبر عنها إلا قوة السمع و الشم إلى السامعين و الشامين و حركات الأجرام تحرك الهواء فتحدث له اسم الريح و الهواء يحرك الأجرام و فيه تتحرك الأجرام و أما الخرق فما هو إلا تفريغ أحياز عن أشياء و اشتغالها بأشياء غير تلك الأشياء لأنه ما فيما عمره العالم خلاء و إنما هي استحالات صور فصور تحدث الأمور و صور تذهب الأمور و الجوهر الذي ملأ الخلأ ثابت العين لا يستحيل إلى شيء و لا يستحيل إليه شيء و ليس للأسماء الإلهية متعلق إلا إحداث هذه الصور و اختلافها و أما ذهابها فلنفسها و أما ذهابها فلما تقتضيه ذات موجدها و هو علم لطيف فإنه كلام حق من حق لكن الأفهام تختلف فيه فإنه يقول للصور إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ فمعناه إن يشأ يشهدكم في كل زمان فرد الخلق الجديد الذي أخذ الله بأبصاركم عنه فإن الأمر هكذا هو في نفسه و الناس منه في لبس إلا أهل الكشف و الوجود فإن قلت فقد قلت ببقاء عين الجوهر قلنا ليس بقاؤه لعينه و إنما بقاؤه للصور التي تحدث فيه فلا يزال الافتقار منه إلى الله دائما فالجوهر فقره إلى الله للبقاء و الصور فقرها إلى الله لوجودها فالكل في عين الفقر إلى الله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ بالغنى أي المثنى عليه بصفة الغني عن العالم و في هذا المنزل من العلوم علم إضافة الأعمال إلى الخلق و هو مذهب بعض أهل النظر و الخلاف في ذلك قد تقدم في هذا الكتاب و حكاية المذاهب فيه و أقوالهم و فيه علم تعليم الحق عباده كيف يعاملونه بما يعاملونه به إذ لا تخلو نفس عن معاملة تقوم بها و فيه علم

التنبيه على حقيقة الإنسان و فيه علم اختلاف العالم لما ذا يرجع بالصورة و بالحكم و فيه علم العناية ببعض المخلوقين و هي العناية الخاصة و أما العناية العامة فهي الإيجاد له و فقر العالم كله إليه تعالى و فيه علم تأثير الأعمال الخيرية في الأعمال غير الخيرية و أعمال الشر في أعمال الخير و أن القوي من الأعمال يذهب بالأضعف و أن العدم في الممكن أقوى من الوجود لأن الممكن أقرب نسبة إلى العدم منه إلى الوجود و لذلك سبق بالترجيح على الوجود في الممكن فالعدم حضرته لأنه الأسبق و الوجود عارض له و لهذا يكون الحق خلاقا على الدوام لأن العدم يحكم على صور الممكنات بالذهاب و الرجوع إليه رجوع ذاتي فحكم العدم يتوجه على ما وجد من الصور و حكم الإيجاد من واجب الوجود يعطي الوجود دائما عين صورة بعد عين صورة فالممكنات بين إعدام للعدم و بين إيجاد لواجب الوجود و أما تعلق ذلك بالمشيئة الإلهية فإنه سر من أسرار الله نبه الله عليه في قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ من باب الإشارة إلى غوامض الأسرار لأولي الأفهام إنه عين كل منعوت بكل حكم من وجود أو عدم و وجوب و إمكان و محال فما ثم عين توصف بحكم إلا و هو ذلك العين و هذه مسألة تضمنها هذا المنزل و لو لا ذلك ما ذكرناها فإنه ما تقدم لها ذكر في هذا الكتاب و لن تراها في غيره إلا في الكتب المنزلة من عند الله كالقرآن و غيره و منها أخذناها بما رزقنا الله من الفهم في كلامه و فيه علم ما يمحو عبادة الصلاة من الأعمال التي نهى الشرع أن يعمل بها المكلف و فيه علم تأثير المجاورة و لذلك أوصى الله تعالى بالجار و قد أجرى الله على ألسنة العامة في أمثالهم أن يقولوا الرفيق قبل الطريق و قال رسول الله ص اللهم أنت الصاحب في السفر فهو رفيقه و الخليفة في الأهل فهو وكيله و من كمال امرأة فرعون قولها رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ فقدمته على البيت و هو الذي جرى به المثل في قولهم الجار قبل الدار و قال الله في تأثير الجوار لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَأَذَقْنَاكَ و قال وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ و من جاور مواضع التهم لا يلومن من نسبه إليها و فيه علم الأمر الإلهي إذا لم ينفذ ما المانع لنفوذه و ما هو الأمر الإلهي و هل له صيغة أم لا و فيه علم مجازاة كل عامل دنيا و آخرة جازاه بذلك من جازاه من حق و خلق و الكل جزاء الله فما في الكون الأجزاء بالخير و الشر و فيه علم الفرق بين الفرق و بذلك سموا فرقا و حكم الله الجامع و الفارق و ما يجتمع فيه العالم و ما يفترق و فيه علم السعادة و الشقاوة و ما ينقطع من ذلك و ما لا ينقطع و فيه علم الدار الآخرة ما هي و لما ذا اختصت باسم الحيوان و الدنيا مثلها في هذه الصفة يدل على ذلك وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و فيه علم يعلم به إن الله لو لا ما جعل المؤاخذة على الجرائم دلالة ما آخذ الله بها أحدا من خلقه جملة واحدة و فيه علم امتياز الإمام و المأموم و اختلاف مراتب الأئمة في الإمامة و كيف يكون السعيد إماما للأشقياء و حكمه بالإمامة في الدنيا و حكمه بذلك في الآخرة فأما في الآخرة فيعم الاتباع و لكن من الاتباع هناك ما لا يزول إلى مقر الحسنى و منه ما يأتيه امتناع إمامه في الدنيا فيصرف عن اتباعه في الأخرى لأن الإمام يسعد و ليس ذلك المتبع المصروف من أهل السعادة فلا بد أن يحال بينه و بين إمامه و فيه علم النصائح و ممن تقبل و ما حظ العقل من النصائح و ما حظ الشرع منها و فيه علم عموم ود الله و محبته في صنعته و مصنوعاته و لذلك عمهم بالرحمة و الغفران

لمن يعقل عن الله فإنه المؤمن و من شأن المؤمن أنه لا تخلص له معصية أصلا لا يشوبها طاعة كذلكالحق من كونه مؤمنا لا يمكن أن يخلص مع هذا الاسم شقاوة ما فيها رحمة هذا مما لا يتصور فإن الرحمة بالعالم أصل ذاتي بالوجود و الشقاء أمر عارض لأن سببه عارض و هو مخالفة التكليف و التكليف عارض و لا بد من رفعه فترتفع العوارض لرفعه و لو بعد حين و فيه علم تغيير الحكم المشروع بتغيير الأحوال في المكلف و فيه علم الموازين المعنوية التي توزن بها المعاني و المحسوسات و موازين الآخرة هل هي إقامة العدل بالحكم في العالم بحيث أن يعلم العالم كله أنه ما طرأ عليه جور في الحكم عليه بما حكم الله به عليه أو هل هي محسوسة كالموازين المحسوسة في الدنيا لوزن الأشياء و إذا كانت حاسة البصر تدرك الموازين في الآخرة المحسوسة عندها هل هي محسوسة كما يدركها الحس أو ممثلة كتمثل الأعمال فإن الأعمال أعراض و هي في الآخرة أشخاص فتعلم أنها ممثلة لأن الحقائق لا تنقلب و حقيقة من لا يقوم بنفسه مغايرة حقيقة من يقوم بنفسه فلا بد أن تكون ممثلة كما ورد في الخبر النبوي أن الموت يؤتى به في صورة كبش أملح و لم يقل يؤتى به كبشا أملح و الموت عرض بل نسبة فلا بد أن تكون العبارة عنه كما وردت في الخبر النبوي و فيه علم ما هي الأولية في اليوم فإنه دائرة و لا بد للدائرة من ابتداء و انتهاء إلى ذلك الابتداء فإن اليوم دورة واحدة للفلك الأطلس و قد انفصل بالليل و النهار بطلوع الشمس و غروبها و أول اليوم الذي تعين بالأرض عند حركة الفلك كان بالحمل ثم ظهر أول اليوم بطلوع الشمس إلى غروبها و لم يكن لها وجود إلا في برج الحمل فإنه بيت شرفها فوجدت طالعة في برج الحمل فظهر أول اليوم و الصبح آخر اليوم و ما بينهما ليل و نهار و هما معلومان بالطلوع و الغروب و لذلك ما أخذ الله من أخذه من الأمم إلا في آخر اليوم و ذلك لاستيفاء الحركة كما يتربص بالعنين انقضاء فصول السنة و حينئذ يفرق بينه و بين المرأة أعني زوجته لأن أسباب التأثير الإلهي المعتاد في الطبيعة قد مرت على العنين و ما أثرت فيه فدل إن العنة فيه لا تزول فعدمت فائدة النكاح من لذة و تناسل ففرق بينهما إذ كان النكاح للالتذاذ و التناسل معا أو في حق طائفة أخرى لكذا و في أخرى لكذا و في حق أخرى للمجموع و كذلك إذا انتهت دورة اليوم وقع الأخذ الإلهي في آخره و فيه علم تجسد الأرواح في صور الأجسام الطبيعية هل عين ذلك الروح هو عين الصورة التي ظهر فيها أو هل ذلك في عين الرائي كما ذكرناه في زرقه السماء أو هل الروح لتلك الصورة كالروح للجسم أعني النفس الناطقة و تلك الصورة صورة حقيقة لها وجود عيني لا في عين الناظر كسائر الصور الحقيقية و هذه مسألة أغفلها كثير من الناس بل الناس كلهم فإنهم قنعوا بما ظهر لهم من صور الأرواح المجسدة فلو تروحنوا في نفوسهم و حكموا بالصور على أجسامهم و تبدلت أشكالهم و صورهم في عين من يراهم علموا عند ذلك تجسد الأرواح لما ذا يرجع فإنه علم ذوق لا علم نظر فكري و قد بينا أن كل صورة تجسدت في العالم فلا بد لها من روح مدبرة من الروح الكل المنفوخ منه في الصور و من علم إن الصورة المتجسدة في الأرواح إذا قتلت إن كانت حيوانا أو قطعت إن كانت نباتا أنها تنتقل إلى البرزخ و لا بد كما تنتقل نحن بالموت و إنها إن أدركت بعد ذلك فإنما تدرك كما يدرك كل ميت من الحيوان إنسان و غير إنسان فمن هنا أيضا إذا وقفت على علم هذا

علمت صور الأرواح المتجسدة لما ذا ترجع و فيه علم ما للضيف الوارد من الحق على من ورد عليه و الأنفاس واردات الحق على العبد و لها حق و هي راجعة إلى من وردت منه فلينظر بما ذا يستقبلها إذا وردت و ما يلزمه من الأدب معها في الأخذ لما ترد به و ما يخلع عليها إذا انقلبت عنه راجعة إلى الحق و فيه علم العادات و خرقها و دفع الشبه التي يراها الطبيعيون أنها تفعل لذاتها و ما هي الطبيعة في الحقيقة و لمن ترجع الآثار الظاهرة في الكون و فيه علم شرف الحيوان على الإنسان الحيواني و فيه علم الجبر في الاختيار و فيه علم إدخال الحق نفسه مع الأكوان في السلوك و الأحوال هل دخل معهم للحفظ أو دخل معهم لكونه العامل لما هم فيه أو دخل معهم صحبة و عناية بهم أو تقتضي ذاته ذلك الدخول معهم و فيه علم العبيد و الأحرار و ما الأعمال التي تطلب الأجور و ممن تطلب فإن العامل ما يعمل إلا لنفسه فبما ذا يستحق الأجرة من غيره و فيه علم أسباب التجارة التي هي مخصوصة بالحياة و فيه علم خواص الأسماء الإلهية من حيث تركيب حروف ذلك الاسم حتى إذا ترجم بلسان آخر لم يكن له تلك الخاصية فإنه لا فرق بين مزاج حروف الكلمة إذا تركبت و مزاج أجسام المعدن أو النبات أو جسم الحيوان فإن جسم الحيوان هو جسم نباتي أضيف إليه حس فقيل حيوانو فيه علم سبب إدخال الآلام و اللذات على الحيوان الطبيعي و عين ما يتألم به حيوان يلتذ به حيوان آخر و فيه علم تأثير الأضعف في الأقوى و أصل ذلك من تأثير النسب في الموجودات و هي أمور عدمية بل لا مؤثر إلا هي و فيه علم من يعلم أنه لا يخبر إلا عن الله و يؤاخذ بما نسب و يهلك و آخر يخبر عن نفسه و ينجو و آخر يخبر عن الله و ينجو فالهالك من يخبر عن عقد و الناجي من يخبر عن ذوق فأهل الأذواق أهل الله و الخاصة من أوليائه و فيه علم الانقياد المنجي و الانقياد المهلك و فيه علم أشكال العالم و تشكله وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل الرؤية و الرؤية و سوابق الأشياء في الحضرة الربية و أن للكفار قدما كما إن للمؤمنين قدما و قدوم كل طائفة على قدمها و آتية بإمامها عدلا و فضلا من الحضرة المحمدية»

من كان في ظلمة الأكوان كان له ... حكم العناية دون الخلق أجمعه

ونال كشف غطاء الحس من كثب ... و أبصر الكل مفتوحا بموضعه

يجري على السنة البيضاء سيرته ... يشاهد الحق مربوطا بمهيعه

اعلم أيدك الله بالشهود و جعلك من أهل الجمع و الوجود إن الله تعالى لما جعل العرش محل أحدية الكلمة و هو الرحمن لا غيره و خلق الكرسي فانقسمت فيه الكلمة إلى أمرين ليخلق من كل شيء زوجين ليكون أحد الزوجين متصفا بالعلو و الآخر بالسفل الواحد بالفعل و الآخر بالانفعال فظهرت الشفيعة من الكرسي بالفعل و كانت في الكلمة الواحدة بالقوة ليعلم أن الموجود الأول أنه و إن كان واحد العين من حيث ذاته فإن له حكم

نسبة إلى ما ظهر من العالم عنه فهو ذات وجودية و نسبة فهذا أصل شفيعة العالم و لا بد من رابط معقول بين الذات و النسبة حتى تقبل الذات هذه النسبة فظهرت الفردية بمعقولية الرابط فكانت الثلاثة أول الأفراد و لا رابع في الأصل فالثلاثة أول الأفراد في العدد إلى ما لا يتناهى و الشفيعة المعبر عنها بالاثنين أول الأزواج إلى ما لا يتناهى في العدد فما من شفع إلا و يوتره واحد يكون بذلك فردية ذلك الشفع و ما من فرد إلا و يشفعه واحد يكون به شفعية ذلك الفرد فالأمر الذي يشفع الفرد و يفرد الشفع هو الغني الذي له الحكم و لا يحكم عليه و لا يفتقر و يفتقر إليه فتدلت إلى الكرسي القدمان لما انقسمت فيه الكلمة الرحمانية فإن الكرسي نفسه به ظهرت قسمة الكلمة لأنه الثاني بعد العرش المحيط من صور الأجسام الظاهرة في الجوهر الأصل و هما شكلان في الجسم الكل الطبيعي فتدلت إليه القدمان فاستقرت كل قدم في مكان ليس هو المكان الذي استقرت فيه الأخرى و هو منتهى استقرارهما فسمى المكان الواحد جهنما و الآخر جنة و ليس بعدهما مكان تنتقل إليه هاتان القدمان فهاتان القدمان لا يستمدان إلا من الأصل الذي منه ظهرت و هو الرحمن فلا يعطيان إلا الرحمة فإن النهاية ترجع إلى الأصل بالحكم غير أنه بين البدء و النهاية طريق ميز ذلك الطريق بين البداية و الغاية و لولا تلك الطريق ما كان بدء و لا غاية فكان سفرا للأمر النازل بينهن و السفر مظنة التعب و الشقاء فهذا سبب ظهور ما ظهر في العالم دنيا و آخرة و برزخا من الشقاء و عند انتهاء الاستقرار يلقى عصا التسيار و تقع الراحة في دار القرار و البوار فإن قلت فكان ينبغي عند الحلول في الدار الواحدة المسماة نارا أن توجد الراحة و ليس الأمر كذلك قلنا صدقت و لكن فإنك نظر و ذلك أن المسافرين على نوعين مسافر يكون سفره كإقامة بما هو فيه من الترفه من كونه مخدوما حاصلة له جميع أغراضه في محفة محمول على أعناق الرجال محفوظ من تغير الأهواء فهذا مثله في الوصول إلى المنزل مثل أهل الجنة في الجنة و مسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف المؤنة إذا وصل إلى المنزل بقيت معه بقية التعب و المشقة زمانا حتى تذهب عنه ثم يجد الراحة فهذا مثل من يتعذب و يشقى في النار التي هي منزله ثم تعمه الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و مسافر بينهما ليست له رفاهية صاحب الجنة و لا شظف صاحب النار فهو بين راحة و تعب فهي الطائفة التي تخرج من النار بشفاعة الشافعين و بإخراج أرحم الراحمين و هم على طبقات فلذلك يكون فيهم المتقدم و المتأخر بقدر ما يبقى معهم من التعب فيزول في النار شيئا بعد شيء فإذا انتهت مدته خرج إلى محل الراحة و هو الجنة إما بشفاعة شافع و إما بالإخراج العام و هو إخراج أرحم الراحمين فالأنبياء و المؤمنون يشفعون في أهل الايمان و أهل الايمان طائفتان منهم المؤمن عن نظر و تحصيل دليل و هم الذين علموا الآيات و الدلالات و المعجزات و هؤلاء هم الذين يشفع فيهم النبيون و منهم المؤمن تقليدا بما أعطاه أبواه إذ رباه أو أهل الدار التي نشأ فيها فهذا النوع يشفع فيهم المؤمنون كما أنهم أعطوهم الايمان في الدنيا بالتربية و أما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الأخلاق في الدنيا و إن لم يكن مؤمنا و ما ثم شافع رابع و بقي من يخرجه أرحم الراحمين و هم الذين ما عملوا خيرا قط لا من جهة الايمان و لا بإتيان مكارم الأخلاق غير إن العناية سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار و بقي

أهل هذه الدار الأخرى فيها فغلقت أبواب الدار و أطبقت و وقع الياس من الخروج فحينئذ تعم الرحمة أهلها لأنهم قد يئسوا من الخروج منها فإنهم كانوا يخافون منها الخروج لما رأوا إخراج أرحم الراحمين و هم قد جعلهم الله على مزاج يصلح لساكن تلك الدار و يتضرر بالخروج منها كما قد بيناه فلما يئسوا فرحوا فنعيمهم هذا القدر و هو أول نعيم يجدونه و حالهم فيها كما قدمناه بعد فراغ مدة الشقاء فيستعذبون العذاب فتزول الآلام و يبقى العذاب و لهذا سمي عذابا لأن المآل إلى استعذابه لمن قام به كما يستحلي الجرب من يحكه فإذا حكه من غير جرب أو غير حاجة من يبوسة تطرأ على بعض بدنه تألم بالحك هكذا الأمر يقتضيه حال المزاج الذي يعرض للإنسان فافهم نعيم كل دار تسعد إن شاء الله تعالى ألا ترى إلى صدق ما قلناه إن النار لا تزال متألمة لما فيها من النقص و عدم الامتلاء حتى يضع الجبار فيها قدمه و هي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي و القدم الأخرى التي مستقرها الجنة قوله وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ فالاسم الرب مع هؤلاء و الجبار مع الآخرين لأنها دار جلال و جبروت و هيبة و الجنة دار جمال و أنس و تنزل إلهي لطيف فقدم الصدق إحدى قدمي الكرسي و هما قبضتان الواحدة للنار و لا يبالي و الأخرى للجنة و لا يبالي لأنهما في المآل إلى الرحمة فلذلك لا يبالي فيهما و لو كان الأمر كما يتوهمه من لا علم له من عدم المبالاة ما وقع الأخذ بالجرائم و لا وصف الله نفسه بالغضب و لا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة و التهمم بالمأخوذ إذ لو لم يكن له قدر ما عذب و لا استعد له و قد قيل في أهل التقوى إن الجنة أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ و قال في أهل الشقاء أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً فلو لا المبالاة ما ظهر هذا الحكم فللأمور و الأحكام مواطن إذا عرفها أهلها لم يتعد بكل حكم موطنه و بهذا يعرف العالم من غير العالم فالعالم لا يزال يتأدب مع الله و يعامله في كل موطن بما يريد الحق أن يعامله به في ذلك الموطن و من لا يعلم ليس كذلك فبالقدمين أغنى و أفقر و بهما أمات و أحيا و بهما أهل و أقفر و بهما خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى و بهما أذل و أعز و أعطى و منع و أضر و نفع و لولاهما ما وقع شيء في العالم مما وقع و لولاهما ما ظهر في العالم شرك فإن القدمين اشتركا في الحكم في العالم فلكل واحدة منهما دار تحكم فيها و أهل تحكم فيهم بما شاء الله من الحكم و قد أومأنا إليه و إلى تفاصيله فإن الأحكام كالحدود تتغير بتغير الموجب لها فالمحدود في الافتراء يحد بحد لا يقام فيه إذا قتل بل يتولاه حد آخر خلاف هذا و المفتري هو القاتل عينه فتغيرت الحدود عليه لتغير الموجب لها فافهم فكذلك أحوال الأحكام الإلهية تتغير لتغير المواطن فالعناية الكبرى التي لله بالعالم كون استواءه على العرش المحيط بالعالم باسمه الرحمن و إليه يرجع الأمر كله و لذلك هو أرحم الراحمين لأن الرحماء في العالم لو لا رحمته ما كانوا رحماء فرحمته أسبق و لما كانت القدمان عبارة عن تقابل الأسماء الإلهية مثل الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و مثل ذلك ظهر عنها في العالم حكم ذلك في عالم الغيب و الشهادة و الجلال و الجمال و القرب و البعد و الهيبة و الأنس و الجمع و الفرق و الستر و التجلي و الغيبة و الحضور و القبض و البسط و الدنيا و الآخرة و الجنة و النار كما إن بالواحد كان لكل معلوم أحدية يمتاز بها من غيره كما إن عن الفردية و هي الثلاثة ظهر حكم الطرفين و الواسطة و هي البرزخ و الشيء الذي هو بينهما

كالحار و البارد و الفاتر و عن الفردية ظهرت الأفراد و عن الاثنين ظهرت الأشفاع و لا يخلو كل عدد أن يكون شفعا أو وترا إلى ما لا يتناهى التضعيف فيه و الواحد يضعفه أبدا فبقوة الواحد ظهر ما ظهر من الحكم في العدد و الحكم لله الواحد القهار فلو لا أنه سمي بالمتقابلين ما تسمى بالقهار لأنه من المحال أن يقاومه مخلوق أصلا فإذا ما هو قهار إلا من حيث إنه تسمى بالمتقابلين فلا يقاومه غيره فهو المعز المذل فيقع بين الاسمين حكم القاهر و المقهور بظهور أحد الحكمين في المحل فلذلك هو الواحد من حيث إنه يسمى القهار من حيث أنه يسمى بالمتقابلين و لا بد من نفوذ حكم أحد الاسمين فالنافذ الحكم هو القاهر و القهار من حيث إن أسماء التقابل له كثيرة كما ذكرناها من المحيي و المميت و الضار و النافع و ما أشبه ذلك و من هاتين القدمين ظهر في النبوة المبعوث و غير المبعوث و في المؤمنين المؤمن عن نظر و عن غير نظر فحكمهما سار في العالم فقد بان لك الأمر فلا ينهتك الستر كما يحكمك الشفع كذا يحكمك الوتر و أما معرفة الحجاب و الرؤية و هما من أحكام القدمين و إن كان حكم الرؤية باقيا إلا أن متعلقها الحجاب فهي ترى الحجاب فما زال حكمها فما ثم قاهر لها و لا مضاد إلا أن الرائي له عرض في متعلق خاص إذا لم تتعلق رؤيته به هناك يظهر حكم الحجاب فالغرض هو المقهور لا الرؤية فمن أراد أن يزول عنه حكم القهر فليصحب الله بلا غرض و لا تشوف بل ينظر كل ما وقع في العالم و في نفسه يجعله كالمراد له فيلتذ به و يتلقاه بالقبول و البشر و الرضي فلا يزال من هذه حاله مقيما في النعيم الدائم لا يتصف بالذلة و لا بأنه مقهور فتدركه الآلام لذلك و عزيز صاحب هذا المقام و ما رأيت له ذائقا لأنه يجهل الطريق إليه فإن الإنسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لأمر ما و إذا كانت حقيقة الإنسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين إلا من جهة واحدة و هو أن يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم في نفسه أو في غيره فما وقعت عليه عينه أو تعلق به سمعه أو وجده في نفسه أو عامله به أحد فليكن ذلك عين مطلوبه المجهول قد عينه له الوقوع فيكون قد و في حقيقة كونه طالبا و تحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو في غيره فإن اقتضى ذلك الواقع التغير له تغير لطلب الحق منه التغير و هو طالب الواقع و التغير هو الواقع و ليس بمقهور فيه بل هو ملتذ في تغييره كما هو ملتذ في الموت للتغير و ما ثم طريق إلى تحصيل هذا المقام إلا ما ذكرناه فلا نقل كما قال من جهل الأمر فطلب المحال فقال أريد أن لا أريد و إنما الطلب الصحيح الذي تعطيه حقيقة الإنسان أن يقول أريد ما تريد و أما طريقتها في العموم فسهل على أهل الله و ذلك أن الإنسان لا يخلو من حالة يكون عليها و يقوم فيها عن إرادة منه و عن كره بأن يقام فيها من غير إرادة و لا بد أن يحكم لتلك الحال حكم شرعي يتعلق بها فيقف عند حكم الشرع فيريد ما أراده الشرع فيتصف بالإرادة لما أراد الشرع خاصة فلا يبقى له غرض في مراد معين و كذلك من قال إن العبد ينبغي أن يكون مع الله بغير إرادة لا يصح و إنما يصح لو قال إن العبد من يكون متعلق إرادته ما يريد الحق به إذ لا يخلو عن إرادة فمن طلب رؤية الحق عن أمر الحق فهو عبد ممتثل أمر سيده و من طلب رؤية الحق عن غير أمر الحق فلا بد أن يتألم إذا لم يقع له وجدان لما تعلقت به إرادته فهو الجاني على نفسه فإن خالق الأشياء و المرادات و الحوادث يحكم و لا يحكم

عليه فليكن العبد معه على ما يريده فإنه يجوز بهذا الراحة المعجلة في الدنيا و قد ورد في الأخبا ر الإلهية يا عبدي أريد و تريد و لا يكون إلا ما أريد فهذا تنبيه على دواء إذا استعمله الإنسان زال عنه الألم الذي ذكرناه و لذلك ورد في الإلهيات عن كعب الأحبا ر أن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك و بدنك و هو موضع إرادة العبد و أنت محمود و إن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم و عزتي و جلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك و أنت مذموم و هذا أيضا دواء و أما قوله تعالى وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ فهو عزاء أفاد علما ليثبت به العبد في القيامة حكما فهو تلقين حجة و رحمة من الله و فضل و اعلم أنه كل ما ينال بسعاية فليس فيه امتنان و الطلب سعاية و الرؤية امتنان فلا يصح أن يطلب فإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليست هي الرؤية على الحقيقة الحاصلة عن الطلب فإن مطلوبه من المرئي أن يراه إنما هو أن يراه على ما هو له و هو لا يتجلى له إلا في صورة علمه به لأنه إن لم يكن كذلك أنكره فما تجلى له إلا في غير ما طلب فكانت الرؤية إحسانا فإنه ما جاءه عين ما طلب و هو يتخيل أن ذلك عين ما طلب و ليس هو فإذا وقع له الالتذاذ بما رآه و تخيل أنه مطلوبه تجلى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلي أيضا امتنانا إلهيا أعطاه من العلم به ما لم يكن عنده و لا خطر على باله فإذا فهمت ما ذكرته لك علمت أن رؤية الله لا تكون بطلب و لا تنال جزاء كما تنال النعم بالجنان و هذه مسألة ما في علمي أن أحدا نبه عليها من خلق الله إلا الله مع أن رجال الله يعلمونها و ما نبهوا عليها لتخيلهم إن هذه المسألة قريبة المأخذ سهلة المتناول أو وقوعها من المحال لا بد من أحد الحكمين فإن الله ما سوى بين الخلق في العلم به فلا بد من التفاضل في ذلك بين عباد الله فإن المعتزلي يمنع الرؤية و الأشعري يجوزها عقلا و يثبتها شرعا في مقتضى نظره و الفيلسوف ينفيها عقلا إذ لا قدم له في الشرع و الايمان و أهل الله يثبتونها كشفا و ذوقا و لو كان قبل الكشف ما كان فإن الكشف يرده لما أعطاه ما يبقيه على ما كان عليه إلا إن كان ممن يقول بما جاء به أهل الكشف فإنه لا يتغير عليه الحال إلا بقدر ما بين العلم و رؤية المعلوم و اعلم أن الله من حيث نفسه له أحدية الأحد و من حيث أسماؤه له أحدية الكثرة

و دليلي قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ إِنَّمَا اللّٰهُ إِلٰهٌ واحِدٌ
فاعلم أن التيه من أجل العدد فإذا ما تهت في أسمائه
قرأ القارئ اللّٰهُ الصَّمَدُ يرجع الكل إليه كلما
يكن كفوا للاله من أحد لَمْ يَلِدْ حقا وَلَمْ يُولَدْ و لم
يغلب الوهم عليه بالمدد فيحار العقل فيه عند ما
جاء في الشرع و يتلوه أبد ثم يأتيه مشدا أزل

فإذا زلنا فكون ينفرد و بنا كان له الحكم به

و هذا هو السبب الموجب لطلب تجليه تعالى في الصور المختلفة و تحوله فيها لاختلاف المعتقدات في العالم إلى هذه الكثرة فكان أصل اختلاف المعتقدات في العالم هذه الكثرة في العين الواحدة و لهذا وقع الإنكار من أهل الموقف عند ظهوره و قوله أَنَا رَبُّكُمْ فلو تجلى لهم في الصورة التي أخذ عليهم الميثاق فيها ما أنكره أحد فبعد وقوع الإنكار تحول لهم في الصورة التي أخذ عليهم فيها الميثاق فأقروا به لأنهم عرفوه و لهم إدلال إقرارهم و أما تجليه تعالى في الكثيب للرؤية فهنالك يتجلى في صور الاعتقادات لاختلافهم في ذلك في مراتبهم و لم يختلف في أخذ الميثاق فذلك هو التجلي العام للكثرة و تجلى الكثيب هو التجلي العام في الكثرة و التجلي الذي يكون من الله لعبده و هو في ملكه هو التجلي الخاص الواحد للواحد فرؤيتنا إياه في يوم المواقف في القيامة يخالف رؤيتنا إياه في أخذ الميثاق و يخالف رؤيتنا إياه في الكثيب و يخالف رؤيتنا إياه و نحن في ملكنا و في قصورنا و أهلينا فمنه كان الخلاف الذي حكم علينا به في القرآن العزيز في قوله تعالى وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ و قوله إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ فهم الذين عرفوه في الاختلاف فلم ينكروه فهم الذين أطلعهم الله على أحدية الكثرة و هؤلاء هم أهل الله و خاصته فقد خالف المرحومون بهذا الأمر الذي اختصهم الله به من سواهم من الطوائف فدخلوا بهذا النعت في حكم قوله وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ لأنهم خالفوا أولئك و خالفهم أولئك فما أعطانا الاستثناء إلا ما ذكرناه فكان سبحانه أول مسألة خلاف ظهر في العالم لأن كل موجود في العالم أول ما ينظر في سبب وجوده لأنه يعلم في نفسه أنه لم يكن ثم كان بحدوثه لنفسه و اختلفت فطرهم في ذلك فاختلفوا في السبب الموجب لظهورهم ما هو فلذلك كان الحق أول مسألة خلاف في العالم و لما كان أصل الخلاف في العالم في المعتقدات و كان السبب أيضا وجود كل شيء من العالم على مزاج لا يكون للشيء الآخر لهذا كان مال الجميع إلى الرحمة لأنه خلقهم و أظهرهم في العماء و هو نفس الرحمن فهم كالحروف في نفس المتكلم في المخارج و هي مختلفة كذلك اختلف العالم في المزاج و الاعتقاد مع أحديته أنه عالم محدث ألا تراه قد تسمى بالمدبر المفصل فقال عز و جل يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ و كل ما ذكرناه آنفا هو تفصيل الآيات فيه و فينا و دلالة عليه و علينا و كذلك نحن أدلة عليه و علينا فإن أعظم الدلالات و أوضحها دلالة الشيء على نفسه و التدبر من الله عين التفكر في المفكرين منافيا لتدبر تميز العالم بعضه من بعض و من الله و بالتفكر عرف العالم ذلك و دليله الذي فكر فيه هو عين ما شاهده من نفسه و من غيره سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أن ذلك المرئي هو الحق

إن التدبر مثل الفكر في الحدث و في المهيمن تدبير بلا نظر

فأخلص الفكر إن الفكر مهلكة به يفرق بين الله و البشر

فتحقق ما أوردناه في هذا الباب و ما أبان الحق في هذا المنزل من علم الرؤية تنتفع بذلك في الدنيا إن كنت منا أهل الشهود و الجمع و الوجود و في الآخرة و تنظيم في سلك من استثنى الله كقوله إِلَّا من رَحِمَ رَبُّكَ فإن فهم العامة فيه خلاف فهم خاصة الله و أهله و هم أهل الذكر لأنهم فهموه على مراد الله فيه أعطاهم ذلك الأهلية فثم عين تجمع و عين تفرق في عين واحدة سواء ذلك في جانب الحق أو جانب الخلق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و في هذا المنزل من العلوم علم أصناف الكتب المنزلة و العلم بكل واحد منها بحسب الاسم الدال عليه فمن هناك تعرف رتبة ذلك الكتاب و إن كان كل اسم لكتاب صالحا لكل كتاب لأنه اسم صفة فيه و لكن ما اختص بهذا الاسم وحده على التعيين إلا لكونه هو فيه أتم حكما من غيره من الأسماء كقوله ع أقضاكم علي و أفرضكم زيد و أعلمكم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل و قد ذكرنا الكتب و أسماءها في هذا الكتاب أعني طرفا من ذلك في منزل القرآن و في كتاب مواقع النجوم في عضو اللسان فإن الله تعالى لما أشار إلينا في القرآن العزيز إلى ما أنزله علينا نارة أوقع الإشارة إلى عين الكتاب فقال ذَلِكَ الْكِتَابُ و تارة أشار إلى آياته و قال تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فتارة ترك الإشارة و ذكر الكتاب من غير إشارة و لكل حكم من هذه الأحكام فهم منا يخصه لا بد من ذلك و فيه علم الفرق بين السحر و المعجزة و فيه علم ما للناس عند الله من حيث ما قام بهم من الصفات فيعلم من ذلك منزلته من ربه فإن الله ينزل على عبده منه حيث أنزل العبد ربه من نفسه فالعبد أنزل نفسه من ربه فلا يلومن إلا نفسه إذا رأى منزلة غيره تفوق رفعة منزلته هذا هو الخسران المبين حيث كان متمكنا من ذلك فلم يفعل و لذلك كان يوم القيامة يقال فيه يَوْمُ التَّغَابُنِ فإنه يوم كشف الغطاء و تبيين الأمور الواقعة في الدنيا ما أثمرت هنالك فيقول الكافر و هو الجاهل يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي لعلمه أنه كان متمكنا من ذلك فلم يفعل فعذابه ندمه و ما غبن فيه نفسه أشد عليه من أسباب العذاب من خارج و هذا هو العذاب الأكبر و فيه علم الاستدلال على الله بما ذا يكون هل بالله أو بالعالم أو بما فيه من النسب و فيه علم فائدة اختلاف الأنوار حتى كان منها الكاشف و منها المحرق و فيه علم مقادير الحركات الزمانية و حكم اسم الدهر عليها و هو اسم من أسماء الله تعالى و فيه علم اختلاف الآيات لاختلاف صفات الناظرين فيها و فيه علم ما يذم من الغفلة و ما يحمد و فيه علم الأسباب الموجبة لما يؤول إليه من أثرت فيه في الآخرة و فيه علم ما تكلم به أول إنسان في نشئه و هو الحمد لله و هو آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فبدأ العالم بالثناء و ختم بالثناء فأين الشقاء السرمد حاشا الله أن يسبق غضبه رحمته فهو الصادق أو يخصص اتساع رحمته بعد ما أعطاها مرتبة العموم حكاية في هذا اجتمع سهل بن عبد الله بإبليس فقال له إبليس في مناظرته إياه إن الله تعالى يقول وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و كل تعطي العموم و شيء أنكر النكرات فإنا لا أقطع يأسي من رحمة الله قال سهل فبقيت حائرا ثم إني تنبهت في زعمي إلى تقييدها فقلت له يا إبليس إن الله قيدها بقوله فَسَأَكْتُبُهَا قال فقال لي يا سهل التقييد صفتك لا صفته فلم أجد جوابا له على ذلك و فيه علم ما يحمد من التأني و التثبط و ما يذم و علم ما يحمد من العجلة في الأمور و ما يذم و فيه علم الرجوع إلى الله عن القهر إذا رجع مثله إليه بالإحسان و هل يستوي الرجوعان أم لا

يستويان و هذه مسألة حار فيها أهل الله أعني في رجوع الاضطرار و رجوع الاختيار إذ كان في الاختيار رائحة ربوبية و الاضطرار كله عبودية فهذا سبب الخلاف في أي الرجوعين أتم في حق الإنسان و فيه علم المحاضرات و المناظرات في مجالس العلماء بينهم و أن ذلك كله من محاضرات الأسماء الإلهية بعضها مع بعض ثم ظهر ذلك في الملإ الأعلى إذ يختصمون مع شغلهم بالله و أنهم ع في تسبيحهم لا يفترون و لا يسأمون فهل خصومتهم من تسبيحهم كما كان رسول الله ص يذكر الله على كل أحيانه مع كونه كان يتحدث مع الأعراب في مجالستهم و مع أهله فهل كل ذلك هو ذكر الله أم لا و أما اختلاف من خلق من الطبائع فغير منكور لأن الطبائع متضادة فكل أحد يدرك ذلك و لا ينكر المنازعة في عالم الطبيعة و ينكرونها فيما فوق الطبيعة و أما أهل الله فلا ينكرون النزاع في الوجود أصلا لعلمهم بالأسماء الإلهية و أنها على صورة العالم بل الله أوجد العالم على صورتها لأنها الأصل و فيها المقابل و المخالف و الموافق و المساعد و فيه علم الفرق بين من كان معلمه الله و من كان معلمه نظره الفكري و من كان معلمه مخلوق مثله فأما صاحبنظر فيلحق بمعلمه و أما صاحب إلقاء إلهي فيلحق بمعلمه و لا سيما في العلم الإلهي الذي لا يعلم في الحقيقة إلا بإعلامه فإنه يعز أن يدرك بالإعلام الإلهي فكيف بالنظر الفكري و لذلك نهى رسول الله ص عن التفكر في ذات الله و قد غفل الناس عن هذا القدر فما منهم من سلم من التفكر فيها و الحكم عليها من حيث الفكر و ليس لأبي حامد الغزالي عند نازلة بحمد الله أكبر من هذه فإنه تكلم في ذات الله من حيث النظر الفكري في المضنون به على غير أهله و في غيره و لذلك أخطأ في كل ما قاله و ما أصاب و جاء أبو حامد و أمثاله في ذلك بأقصى غايات الجهل و بأبلغ مناقضة لما أعلمنا الله به من ذلك و احتاجوا لما أعطاهم الفكر خلاف ما وقع به الإعلام الإلهي إلى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على جانب إعلام الله عن نفسه ما ينبغي أن ينسب إليه و كيف ينبغي أن ينسب إليه تعالى فما رأيت أحدا وقف موقف أدب في ذلك إلا خاض فيه على عماية إلا القليل من أهل الله لما سمعوا ما جاءت به رسله صلوات الله عليهم فيما وصف به نفسه وكلوا علم ذلك إليه و لم يتأولوا حتى أعطاهم الله الفهم فيه بإعلام آخر أنزله في قلوبهم فكانت المسألة منه تعالى و شرحها منه تعالى فعرفوه به لا بنظرهم فالله يجعلنا من الأدباء الأمناء الأتقياء الأبرياء الأخفياء الذين اصطفاهم الحق لنفسه و خبأهم في خزائن العادات في أحوالهم و فيه علم قول المبلغ عن الله تعالى قولا بلغه عن الله لو قاله عن نفسه على مجرى العرف فيه لكان رادا على نفسه بما ادعاه أنه جاء به من عند الله فلما قاله عن أمر الله عرف بالأمر الإلهي معنى ذلك و هو قول الإنسان إذا أمر بالخير أحدا من خلق الله من سلطان أو غيره فيجني عليه ذلك الأمر بالخير ممن أمره به ضرارا في نفسه إما نفسيا و إما حسيا أو المجموع فإن الراد له و الضار عليه استهان بالله و هو أشد ما يمشي على الداعي إلى الله لأنه على بصيرة من الله فيما دعا إليه من الخير فيقول عند ذلك ليتني ما دعوته إلى شيء من هذا لما طرأ عليه من الضرر في ذلك فهي منزلة العارفين إذا قالوا مثل ذلك فإن الله يقول وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ فإذا قالها العبد عن أمر الله مثل قوله تعالى إذ قال لنبيه ع قُلْ فأمره لَوْ شاءَ الله ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْراكُمْ

به و لكنه شاء فتلوته عليكم و أدراكم به يقول فهمكم إياه فعلمتهم أنه الحق كما قال وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ فإذا قالها الوارث أو من قالها على هذا الحد فهو معرف معلم ما هو الأمر عليه و لهذا أمر الله بقول مثل هذا و كثير ما يقع من الناس العتب على أهل الله إذا أمروا بخير يعقبهم ذلك ضررا في أنفسهم محسوسا و ذلك لا يقع من مؤمن و لا من قائل عن كشف فإن الرسول ع قيل له فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ و قيل له بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ و كذلك يجب على الوارث فكيف يصح منه الندم على فعل ما يجب عليه فعله لضرر قام به أو شفقة على من لم يسمع حيث زاد في شقائه لما أعلمه حين لم يصغ إلى ذلك و هذا كله حديث نفس و الدين النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم فلا يصرفنك عن ذلك صارف و لقد رأيت قوما ممن يدعي أنه من أهل هذا الشأن إذا رد عليهم في وجوههم ما جاءوا به عن الحق انقبضوا و قالوا فضولنا أدانا إلى ذلك و لو شاء الله ما تكلمنا بشيء من هذا مع مثال هؤلاء و نحن جنينا على أنفسنا و قد تبنا و ما نرجع نقول مثل هذا القول عند أمثال هؤلاء و يظهرون الندم على ذلك و هذا كله جهل منهم بالأمر و دليل قاطع على أنه ليس بمخبر عن الله و لا أوصل شيئًا من ذلك عن إذن إلهي في ذلك فإن المخبر عن الله لا يرى في باطنه إلا النور الساطع سواء قبل قوله أو رد أو أوذي و المتكلم عن نفسه و إن قال الحق أعقبه إذا رد عليه ندم و ضيق و حرج في نفسه و جعل كلامه فضولا فرد الحق الواجب فضولا فهذا جهل على جهل فالنصيحة لعباد الله واجبة على كل مؤمن بالله و لا يبالي ما يطرأ عليه من الذي ينصحه من الضرر فإن الله يقول في الورثة وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ و هذا القول عطف على قوله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذكر ذلك في معرض الثناء عليهم و ذم الذين لم يصغوا إلى ما بلغ الرسول و لا الوارث إليهم و أية فرحة أعظم ممن يفرح بثناء الله عليه قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ و فيه علم الصفات التي يتميز بها أهل الاستحقاق حتى يوفيهم حقوقهم من تعين ذلك عليه و من الحقوق من يقتضي الثناء الجميل على من لا يوفيه حقه من ذلك كالمجرم المستحق للعذاب بأجرامه فيعفى عنه فهذا حق قد أبطل و هو محمود كما إن الغيبة حق و هي مذمومة و من عرف هذا عرف الحقما هو و فرق بينه و بين الصدق و علم عند ذلك أن الغيبة ليست بحق و أنها صدق و لهذا يسأل الصادق عن صدقه و لا يسأل ذو الحق إذا قام به فالغيبة و النميمة و أشباههما صدق لا حق إذ الحق ما وجب و الصدق ما أخبر به على الوجه الذي هو عليه و قد يجب فيكون حقا و قد لا يجب و يكون صدقا لا حقا فلهذا يسأل الصادق عن صدقه إن كان وجب عليه نجا و إن كان لم يجب عليه بل منع من ذلك هلك فيه فمن علم الفرق بين الحق و الصدق تعين عليه أن يتكلم في الاستحقاق و فيه علم ما ينتج من ذل لغير الله على إنزاله منه منزلة ربه جهلا منه به فإن ذل للصفة من غير اعتبار المحل كان له في ذلك الذي حكم آخر و فيه علم ما يحكم على الله و هو خير الحاكمين و من هنا تعلم أن صفاته لو كانت زائدة على ذاته كما يقوله المتكلم من الأشاعرة لحكم على الذات ما هو زائد عليها و لا هو عينها و هذه مسألة زلت فيها أقدام كثيرين من العلماء و أضلهم فيها قياس الشاهد على الغائب أو طرد الدلالة شاهدا و غائبا و هذا غاية الغلط فإن الحكم على

المحكوم عليه بأمر ما من غير أن يعلم ذات المحكوم عليه و حقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فلا تطرد الدلالة في نسبة أمر إلى شيء من غير أن تعرف حقيقة ذلك المنسوب إليه و فيه علم إن الله لا يجوز لأحد من المخلوقين التحكم عليه و لو بلغ من المنزلة ما بلغ إلى أن يأمره بذلك فيحكم عليه بأمره فيما يجوز له أن يوجبه على نفسه إن كان من العالم بخلاف الحق فإن المكلف تحت الحجر فلو أوجب على نفسه فعل ما حرم عليه فعله لم يجز له ذلك و كان كفارة ما أوجبه كفارة يمين فلم يخل عن عقوبة و إن لم يفعل ما أوجبه إذ لم يجز له ذلك و لا كفارة على من أوجب على نفسه فعل ما أبيح له فعله و لا مندوحة له إلا أن يفعله و لا بد و فيه علم المكر الخفي و تعجيل الجزاء عليه و فيه علم موجب الاضطرار في الاختيار و ما ينفع الاضطرار و فيه علم الأسباب التي تنسى العالم بأمر ما يقتضيه حكم ذلك العلم من العمل و هي كثيرة و فيه علم الحسرة و هو أن أحد لا يؤاخذه على ما جناه سوى ما جناه فهو الذي آخذ نفسه فلا يلومن إلا نفسه و من اتقى مثل هذا فقد فاز فوزا عظيما و بهذا تقوم الحجة لله على خلقه و إنه إذا تكرم عليهم بعدم تسليطهم عليهم و عفا و غفر وجب له الثناء بصفة الكرم و الإحسان و فيه علم دعوة الله عباده لما ذا يدعوهم هل إلى عمل ما كلفهم أو إلى ما ينتجه عمل ما كلفهم في الدار الآخرة و إن الله ما كلف عباده و لا دعاهم إلى تكليف قط بغير واسطة فإنه بالذات لا يدعو إلى ما فيه مشقة فلهذا اتخذ الرسل عليهم الصلاة و السلام و قال جل ثناؤه وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً و فيه علم الجزاء الوفاق و إذا أعطى ما هو خارج عن الجزاء فذلك من الاسم الواهب و الوهاب و فيه علم العذاب المتخيل و فيه علم تذكر العالم ما كان نسيه إذ كان لم يعمل به فإن العامل بالعلم هو المنشئ صورته فمن المحال أن ينساه و فيه علم حسن التعليم إذ ما كل معلم يحسن التعليم و فيه علم التأسي بالله كيف يكون و هو المطلق في أفعاله و أنت المقيد و فيه علم البحث و الحث على العمل بالأولى و الأوجب و فيه علم الفرق بين العلم و الظن أعني غلبة الظن و فيه علم العصمة و الاعتصام و فيه علم ما يقال للمعاند إذا لم يرجع إلى الحق و هو ما يرجع إلى علم الإنصاف و فيه علم ما يعلم به إن أفعال العباد أفعال الحق لكن تضاف إلى العباد بوجه و إلى الحق بوجه فإن الإضافة في اللسان في اصطلاح النحاة محضة و غير محضة و من الأفعال ما هي محضة لله إذا أضيفت إليه و منها غير محضة لما فيها من الاشتراك فلم تخلص فالعبودية لله خالصة و مأمور بتخليصها كما قال تعالى وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و هو ما تعبدهم به و قوله قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي و هو ما تعبده به في هذا الموضع و قوله إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً كلمة تحقيق فإن الناس لا يملكون شيئا حتى يكون ما يأخذ منهم بغير وجه حق غاصبا فكل ما يقال فيه إنه ملك لهم فهو ملك لله و من ذلك أعمالهم ثم قال وَلكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فكنى سبحانه عن نفسه بأنفسهم لما وقع الظلم في العالم و قيل به فكأنه قال و لكن نفسه يظلم إن كان هذا ظلما و لا بد و المالك لا يظلم نفسه في ملكه فلو كان ما عند الناس ملك لهم ما حجر الله عليهم التصرف فيه و لا حد لهم فيه حدودا متنوعة فهذا يدلك على إن أفعال المكلف ما هي له و إنما هي لله فالظلم إلى الحقيقة في الناس دعواهم فيما ليس لهم إنه لهم فما عاقبهم الله إلا على الدعوى الكاذبة و فيه علم

إدراج الكثير في القليل حتى يقال فيه إنه قليل و هو كثير في نفس الأمر و فيه علم الآجال في الأشياء و معنى قوله لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ على تلك الساعة و فيه علم من ادعى عليه بدعوى كاذبة يعلم المدعي عليه إن المدعي كاذب و لم يقم له بينة فوجب عليه اليمين فهو مأمور من الله بأن يحلف و ليس له أن يرد اليمين على المدعي و لا أن ينكل عن اليمين فيعطيه ما ادعى عليه فيكون معينا له على ظلمه لنفسه و أنه في اليمين قد أحرز نفس صاحبه أن يتصرف فيما ظلمه فيه بما ادعاه فيستصحبه الإثم ما دام يتصرف فيه و اليمين مانعة من ذلك و لم يبق على المدعي من الإثم إلا إثم اليمين خاصة فإن إثم كذبه في دعواه أزاله الحلف و عاد وبال الحلف الكاذب عليه فهو بمنزلة لو حلف كاذبا فيعود عليه إثم من حلف لو كان في يمينه كاذبا كرجل ادعى على رجل مثلا بمائة دينار و هو كاذب في دعواه و لم تقم له بينة تصدق دعواه فأوجب الحاكم اليمين على المدعى عليه فإن رد المدعي عليه اليمين على المدعي و كان الحاكم ممن يرى ذلك و إن كان لا يجوز عندنا فهذا المدعى عليه ما نصح المدعي و هو مأمور بالنصيحة فإن حلف المدعي بحكم القاضي فإن عليه إثم الحلف الفاجرة و على المدعى عليه إثم ظلمه للحالف فإنه الذي جعله يحلف و ليس على الحاكم إثم فإنه مجتهد فغايته أن يكون مخطئا في اجتهاده فله أجر فإن قام المدعى عليه فأعطى المدعي ما ادعاه عليه تضاعف الإثم على المدعى عليه لأنه مكنه من التصرف في مال لا يحل له التصرف فيه و لا يزال الإثم على المدعي ما دام يتصرف في ذلك المال و فيما ينتجه ذلك المال و لا يزال الإثم على المدعى عليه كذلك من حيث إنه أعان أخاه على الظلم و لم يكن ينبغي له ذلك و من حيث إنه عصى أمر الله بترك اليمين فإن الله أوجب اليمين عليه فلو حلف عمل بما أوجب الله عليه فكان مأجورا و نوى تخليص المدعي من التصرف في الظلم فله أجر ذلك و لم يبق على المدعي بيمين المدعى عليه إلا إثم يمينه خاصة فعلى المدعي إثم يمين كاذبة و هي اليمين الغموس و هذه مسألة في الشرع لطيفة لا ينظر إليها بهذا النظر إلا من استبرأ لدينه و كان من أهل الله فإنه يحب للناس ما يحب لنفسه فلا يعين أخاه على ظلم نفسه إذا أراد ذلك و فيه علم ما يذم من القدح و ما يحمد و فيه علم المراقبة و الحضور و إنهما من أبواب العصمة و الحفظ الإلهي و تحصيل العلم النافع و فيه علم صفات أهل البشرى و أنواع المبشرات و حيث يكون و ما يسوء منها و ما يسر و فيه علم ما يظهر على من اعتز بالله من العزة و الوقاية و الحماية الإلهية و فيه علم من لم يعمل بما سمع مما يجب عليه العمل به ما سببه الذي منعه من ذلك و هل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الله قد تفضل عليه أو يكون حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله فيكون الله قد عدل فيه فإنه يقول وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا فإنهم سمعوا حقيقة و فهموا فإنه خاطبهم بلسانهم فقال تعالى وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ أي حكمهم حكم من لم يسمع عندنا مع كونهم سمعوا و ما قال تعالى بما ذا يحكم فيهم و إن كان غالب الأمر من قرائن الأحوال العقوبة و لكن الإمكان لا يرتفع في نفس الأمر لما يعرف من فضل الله و تجاوزه عن سيئات أمثال هؤلاء فافهم و فيه علم ما يعطي الله المتوكل في قلبه إذا توكل على الله حق توكله و فيه علم الخلافة الإلهية و فيه علم أسباب الطبع على القلوب المؤدي إلى الشقاء و فيه علم طلب إقامة البينة من المدعي و

يتضمن هذا العلم قوله تعالى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و لم يقل حتى نبعث شخصا فلا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه إليه فلا بد من إقامة الدلالة البينة الظاهرة عند كل شخص شخص ممن بعث إليهم فإنه رب آية يكون فيها من الغموض أو الاحتمال بحيث أن لا يدرك بعض الناس دلالتها فلا بد أن يكون للدليل من الوضوح عند كل من أقيم عليه حتى يثبت عنده أنه رسول و حينئذ إن جحد بعد ما تيقن تعينت المؤاخذة ففي هذه الآية رحمة عظيمة لما هو الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي إلى اختلاف النظر و ما فعل الله ذلك إلا رحمة بعباده لمن علم شمول الرحمة الإلهية التي أخبر الله تعالى أنها وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و فيه علم ما ينتجه الكرم و ما ينتجه البخل و فيه علم رفع الإشكال في التلفظ بالإيمان حتى يعلم السامعون بأنه مؤمن علما لا يشكون فيه و هو المعبر عنه بالنصوص فإن الظاهر و إن كان ما يعلم بأول البديهة في الوضع و لكن يتطرق إليه الاحتمال و فيه علم من اعتنى الله به من عباده و فيه علم الخذلان و أهله و فيه علم ما يرجع إليه صاحب الحق إذا رد في وجهه و فيه علم أنواع الصبر في الصابرين و الشكر في الشاكرين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل التضاهي الخيالي و عالم الحقائق و الامتزاج و هو من الحضرة المحمدية»

كيف التبري و ما في الكون إلا هو ... فكل كون أراه أنت معناه
و قد أتى بالتبري في شريعته ... فحير العقل شرع كان يهواه
أدناه منه و لا عين تغايره ... فمن دنا ثم بعد القرب أقصاه
الله مولى جميع الخلق كلهم ... و لم يخب أحد الله مولاه

اعلم أيدك الله أن رسول الله ص قال مولى القوم منهم و الخيال من موالي النفس الناطقة فهي منها بمنزلة المولى من السيد و للمولى في السيد نوع من أنواع التحكم من أجل الملكية فإنه به و بأمثاله من الموالي يصح كون السيد مالكا و ملكا فلما لم يصح للسيد هذه المنزلة إلا بالمولى كان له بذلك يد هي التي تعطيه بعض التحكم في السيد و ما له فيه من التحكم إلا أنه يصورها في أي صورة شاء و إن كانت النفس على صورة في نفسها و لكن لا يتركها هذا الخيال عند المتخيل إلا على حسب ما يريده من الصور في تخيله و ليس للخيال قوة تخرجه عن درجة المحسوسات لأنه ما تولد و لا ظهر عينه إلا من الحس فكل تصرف يتصرفه في المعدومات و الموجودات و مما له عين في الوجود أو لا عين له فإنه يصوره في صورة محسوس له عين في الوجود أو يصور صورة ما لها بالمجموع عين في الوجود و لكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة لا يمكن له أن يصورها إلا على هذا الحد فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام الذي لا إطلاق يشبهه فإن له التصرف العام في الواجب و المحال و الجائز و ما ثم من له حكم هذا الإطلاق و هذا هو تصرف الحق في المعلومات بوساطة هذه القوة كما إن له التقييد الخاص المنحصر فلا يقدر أن يصور أمرا من الأمور إلا في صورة حسية

كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن لكن لا بد من أجزاء الصورة المتخيلة أن تكون كلها كما ذكرنا موجودة في المحسوسات أي قد أخذها من الحس حين أدركها متفرقة لكن المجموع قد لا يكون في الوجود و اعلم أن الحق لم يزل في الدنيا متجليا للقلوب دائما فتتنوع الخواطر في الإنسان عن التجلي الإلهي من حيث لا يشعر بذلك إلا أهل الله كما أنهم يعلمون أن اختلاف الصور الظاهرة في الدنيا و الآخرة في جميع الموجودات كلها ليس غير تنوعه فهو الظاهر إذ هو عين كل شيء و في الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتا فإنه عين ظاهر صورته في الدنيا و التبدل فيه خفي و هو خلقه الجديد في كل زمان الذي هم فيه في لبس و في الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا و يكون التجلي الإلهي له دائما بالفعل فيتنوع ظاهره في الآخرة كما كان يتنوع باطنه في الدنيا في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي فينصبغ بها انصباغا فذلك هو التضاهي الإلهي الخيالي غير أنه في الآخرة ظاهر و في الدنيا باطن فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة و للحق و ذلك هو المعبر عنهما بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فلم يزل و لا يزال و إنما سمي ذلك خيالا لأنا نعرف أن ذلك راجع إلى الناظر لا إلى الشيء في نفسه فالشيء في نفسه ثابت على حقيقته لا يتبدل لأن الحقائق لا تتبدل و يظهر إلى الناظر في صور متنوعة و ذلك التنوع حقيقة أيضا لا تتبدل على تنوعها فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة بل حقيقتها الثبوت على التنوع فكل ظاهر في العالم صورة ممثلة كيانية مضاهية لصورة إلهية لأنه لا يتجلى للعالم إلا بما يناسب العالم في عين جوهر ثابت كما إن الإنسان من حيث جوهره ثابت أيضا فترى الثابت بالثابت و هو الغيب منك و منه و ترى الظاهر بالظاهر و هو المشهود و الشاهد و الشهادة منك و منه فكذا تدركه و كذا تدرك ذاتك غير أنك معروف في كل صورة إنك أنت لا غيرك كما تعلم أن زيدا في تنوعه في كيفياته من خجل و وجل و مرض و عافية و رضي و غضب و كل ما يتقلب فيه من الأحوال أنه زيد لا غيره كذلك الأمر فنقول قد تغير فلان من حال إلى حال و من صورة إلى صورة و لولا ما هو الأمر على هذا لكان إذا تبدل الحال عليه لم نعرفه و قلنا بعدمه فعلمنا إن ثم عينين كما قال تعالى أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ فعين يدرك به من يتحول و عين يدرك به التحول و هما طريقان مختلفان قد أبانهما الله لذي عينين و هو قوله وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ أي بينا له الطريقين كما قال الشاعر

نجدا على أنه طريق تقطعه للظبا عيون

فجعل قطع الطريق للعيون فكل عين لها طريق فاعلم من رأيت و ما رأيت و لهذا صح وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فالعين التي أدركت بها إن الرمي لله غير العين التي أدركت بها إن الرمي لمحمد ص فتعلم إن لك عينين إن كنت صاحب علم فتعلم قطعا إن الرامي هو الله في صورة محمدية جسدية و ليس التمثل و التخيل غير هذا فالله قد نبهك و أنت لا تتنبه و هذه هي الآيات التي جعلها الله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عنه و يتفكرون فيها و ذكرى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يتقلب ف أَلْقَى السَّمْعَ لما قيل له و عرف به وَهُوَ شَهِيدٌ لتقلبه في نفسه فيعلم إن الأمر كذلك و هؤلاء هم أولو الألباب فإن اللب

يحجبه صورة القشر فلا يعلم اللب إلا من علم إن ثم لبا و لو لا ذلك ما كسر القشر فقد امتزج الأمر و ما اختلطت الحقائق و بذلك يميز الفاضل من المفضول فيتنعم العالم بعلمه به و ينعم الجاهل بجهله به و لا يعلم أنه جاهل به لأنه لا يعلم أن الأمر الذي هو على خلاف ما يعلمه أنه على خلاف ما يعلمه بل يقول ما ثم إلا هذا و لو علم إن ثم خلاف ما يعلمه و ما أدركه لتنغص كما يتنغص في الدنيا كل متنغص لما فاته مما يقتضيه مقامه من التاجر في تجارته و الفقيه في فقهه و كل عالم في طوره فتحقيق قوله عموما كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ إنما ذلك في الآخرة بخلاف الدنيا فإنه لا يعلم في الدنيا بل هو في الكثير من غير عموم فإن الإنسان لا يفرح بما عنده من العلم بما هو به متصور قبل حصوله فإنه منتظر إياه فهو في أ لم فإذا حصل عنده أيضا لم يفرح به و مال الكل في الآخرة بعد انقضاء مدة المؤاخذة إلى الفرح بما عنده و بما هو عليه و هذا المنزل هو منزل خلق الله آدم على صورته و من جعل على صورة أمر ما فكان ذلك الأمر هو عين هذه الصورة فهو هو لا هو و بهذا صح وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فكل ما يظهر من تلك الصورة فأصله ممن هي عليه فلا يصح له أن يبقى عن كل ما يظهر منها و لهذا جاء وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ يعني الذي هو عليه العالم بأسره و لهذا وصف الحق نفسه على ألسنة رسله بما وصف به العالم كله قدما بقدم ما اختل شيء من ذلك و لا أخل به

فلا تنكر فإن الكون عينه فعين الخلق عين الحق فيه

و إن لم فاعتبر فالبين بينه فإن فرقت فالفرقان باد

و لما قال إنه جعلك على الصورة علم أنه لا بد لك من الدعوى بالملك لما أنت عليه كما أنه ذو ملك و ليس لك ملك أقرب من نفسك و هي التي تدعى الملك لأنها على صورة من له الملك فعمد إليها من كونها مؤمنة من اسمه المؤمن فاشترى من المؤمن نفسه فبقي المؤمن لا نفس له كسائر الحيوان فلم يبق من يدعي ملكا فصار الملك لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ و زال الاشتراك فالمؤمن لا نفس له فلا دعوى له في الملك فكل مؤمن ادعى ملكا حقيقة فليس بمؤمن فإن المؤمن من باع نفسه فما بقي له من يدعي لأن نفسه كانت صاحبة الدعوى لكونها على صورة من له الدعوى بالملك حقيقة و هو الله تعالى فاحفظ نفسك يا أخي من دعوى تسلب عنك الايمان فإياك إن تحامي عن نفسك التي كانت لك و إذا عزمت على أن تحامي عنها فحام عنها بحضور و علم على أنها نفس الحق لا نفسك و من هناك يجازيك ربك فإنك صادق و مؤثر و درجة الإيثار قد علمت ما تقتضيه عند الله من الرفعة فاعمل على ذلك فإذا علمت هذا فاعلم إن للإنسان وجهين وجها إلى ذاته و وجها إلى ربه و مع أي وجه توجهت إليه غبت عن الآخر غير إن هنا لطيفة أنبهك عليها و ذلك إنك إذا توجهت إلى مشاهدة وجهك غبت من وجه ربك ذي الجلال و الإكرام و وجهك هالك فإذا انقلبت إليه فنى عنك وجهك فصرت غريبا في الحضرة تستوحش فيها و تطلب وجهك الذي كنت تأنس به فلا تجده و إن توجهت إلى وجه ربك و تركت وجهك أقبل عليك و لم يكن لك مؤنس سواه و لا مشهود إلا إياه فإذا انقلبت إليه الانقلاب الخاص الذي لا بد لكل إنسان منه وجدت من كان لك

قبل هذا الانقلاب أنيسا و جليسا و صاحبا ففرحت بلقائه و عاد الأنس أعظم و تتذكر الأنس الماضي فتزيد أنسا إلى أنس و ترى عنده وجه ذاتك و لا تفقده فتجمع بين الوجهين في صورة واحدة فيتحد الأنس لاتحاد الوجهين فيعظم الابتهاج و السرور و هذه حالة برزخية بين حالتين لكونها جمعت بين الطرفين فمن جمع بينهما في الدنيا حرم ذلك في الآخرة كالمنافق فإنه برزخ بين المؤمن و الكافر فإذا انقلب تخلص إلى أحد الطرفين و هو طرف الكفر و لم يتخلص للإيمان فلو تخلص هنا إلى الايمان و لم يكن برزخا كان إذا انقلب إلى الله كما ذكرناه من جمعه بين الطرفين فاحذر هنا من صفة النفاق فإنها مهلكة و لها في سوق الآخرة نفاق اقتضى ذلك الموطن و ما أخذ المنافقهنا إلا لأمر دقيق لا يشعر به كثير من المؤمنين العلماء و قد نبه الله عليه لمن أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ و ذلك أن المنافقين هنا إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا لو قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ لو قالوا ذلك و سكتوا ما أثر فيهم الذم الواقع و إنما زادوا إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين فما أخذوا إلا بما أقروا به و إلا لو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا أ لا ترى الله لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته إياهم كيف قال الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فما أخذهم بقولهم إِنَّا مَعَكُمْ و إنما أخذهم بما زادوا به على النفاق و هو قولهم إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ و ما عرفك الله بالجزاء الذي جازى به المنافق إلا لتعلم من أين أخذ من أخذ حتى تكون أنت تجتنب موارد الهلاك و قد قال ع إن مداراة الناس صدقة فالمنافق يداري الطرفين مداراة حقيقة و لا يزيد على المداراة فإنه يجني ثمرة الزائد كان ما كان فتفطن فقد نبهتك على سر عظيم من أسرار القرآن و هو واضح و وضوحه إخفاء و انظر في صورة كل منافق تجده ما أخذ إلا بما زاد على النفاق و بذلك قامت عليه الحجة و لو لم يكن كذلك الحشر على الأعراف مع أصحاب الأعراف و كان حاله حال أصحاب الأعراف وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً فالمؤمن المداري منافق و هو ناج فاعل خير فإنه إذا انفرد مع أحد الوجهين أظهر له الاتحاد به و لم يتعرض إلى ذكر الوجه الآخر الذي ليس بحاضر معه فإذا انقلب إلى الوجه الآخر كان معه أيضا بهذه المثابة و الباطن في الحالتين مع الله فإن المقام الإلهي هذه صورته فإنه لعباده بالصورتين فنزه نفسه و شبه فالمؤمن الكامل بهذه المثابة و هذا عين الكمال فاحذر من الزيادة على ما ذكرته لك و كن متخلقا بأخلاق الله و قد قال تعالى لنبيه ص ممتنا عليه فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهُمْ و اللين خفض الجناح و المداراة و السياسة أ لا ترى إلى الحق تعالى يرزق الكافر على كفره و يمهل له في المؤاخذة عليه و قال عز و جل لموسى و هارون في حق فرعون فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً و هذه عين المداراة فإنه يتخيل في ذلك إنك معه و من هذا المقام لما ذقته و اتحدت به اتفق لي أني صحبت الملوك و السلاطين و ما قضيت لأحد من خلق الله عند واحد منهم حاجة إلا من هذا المقام و ما زدني أحد من الملوك في حاجة التمستها منه لأحد من خلق الله و ذلك أني كنت إذا أردت أن أقضي عنده حاجة أحد أبسط له بساطا استدرجه فيه حتى يكون الملك هو الذي يسأل و يطلب قضاء تلك الحاجة مسارعا على الفور بطيب نفس و حرص لما يرى له فيها من المنفعة فكنت أقضي للسلطان حاجة بأن أقبل منه قضاء حاجة ذلك الإنسان و لقد كلمت الملك الظاهر

بأمر الله صاحب حلب في حوائج كثيرة فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة و ثمان عشرة حاجة للناس و لو كان عندي في ذلك اليوم أكثر من هذا قضاء طيب النفس راغبا و إذا حصل للإنسان هذه القوة انتفع به الناس عند الملوك فما في العالم أمر مذموم على الإطلاق و لا محمود على الإطلاق فإن الوجوه و قرائن الأحوال تقيده فإن الأصل التقييد لا الإطلاق فإن الوجود مقيد بالضرورة و لذلك يدل الدليل على إن كل ما دخل في الوجود فإنه متناه فالإطلاق الصحيح إنما يرجع لمن في قوته إن يتقيد بكل صورة و لا يطرأ عليه ضرر من ذلك التقييد و ليس هذا إلا لمن تحقق بالمداراة و هو الإمعة و الله عز و جل يقول وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فهي أشرف الحالات لمن عرف ميزانها و تحقق بها و هو واحد و أين ذلك الواحد

إلا إن النفاق هو النفاق إليه إذا تحققت المساق

فكن فيه تكن بالحق صرفا و تحمده إذ شد الوثاق

إذا ما كنت معتمد الشيء فأنت له إذا فكرت ساق

على العمد الذي قد غاب عنا إذا ما كنت تعتمد الطباق

فكن ذاك العماد تكن إماما فيظهر عندك الدين الوفاق

فتدبر القرآن من كونه فرقانا و قرآنا فللقرآن موطن و للفرقان موطن فقم في كل موطن باستحقاقه تحمدك المواطن و المواطن شهداء عدل عند الله فإنها لا تشهد إلا بصدق و قد نصحتك فاعمل و الله الموفق قلنا و في هذا المنزل من العلوم علم دقيق خفي لا يشعر به لخفائه مع ظهوره فإن العلماء بالله قد علموا شمول الرحمة و المؤمنون قد علموا اتساعها ثم يرونها مع الشمول و الاتساع ما لها صورة في بعض المواطن و مع كونها ما لها صورة ظاهرة في بعض المواطن فإن الحكم لها في ذلك الموطن الذي ما لها فيه صورة و لا يكون لها حكم إلا بوجودها و لكن هو خفي لبطونها جلي لظهور حكمها و أكثر ما يظهر ذلك في صنعة الطب و إقامة الحدود فالله يقول في إقامة الحدود في حد الزاني و الزانية وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله فهذا عين انتزاع الرحمة بهم و إقامة الحدود من حكم الرحمة و ما لها عين ظاهرة و كالطب إذا قطع الطبيب رجل صاحب الأكلة فإن رحمه في هذا الموطن و لم يقطع رجله هلك فحكم الرحمة حكم بقطع رجله و لا عين لها فللرحمة موطن تظهر فيه بصورتها و لها موطن تظهر فيه بحكمها فيتخيل أنها قد انتزعت من ذلك المحل و ليس كذلك و في الأحكام الشرعية في هذه المسألة خفاء إلا لمن نور الله بصيرته فإن القاتل ظلما قد نزع الله الرحمة من قلبه في حق المقتول و هو تحت حكم الرحمة في قتله ظلما و بقي حكمها في القاتل فأما إن يقاد منه و إما أن يموت فيكون في المشيئة و إن كان القاتل كافرا فأما إن يسلم فتظهر فيه الرحمة بصورتها و حيثما كانت الرحمة بالصورة كانت بالحكم و قد تكون بالحكم و لا تكون بالصورة و فيه علم غريب و هو علم تقييد الحق بانتزاح الكون عنه مع كونه في قبضته و تحت سلطانه و ملكه و فيه علم السياسة في الدعوة إلى الله فإن صورتها من

الداعي تختلف باختلاف صورة المدعو فثم دعاء بصفة غلظة و قهر و ثم دعاء بصفة لين و عطف و فيه علم عموم العهد الإلهي الذي أخذه على بنى آدم و فيه علم الجولان في الملكوت حسا و خيالا و عقلا بثلث النشأة الإلهية فإن النشأة الإنسانية لما أنشئت ممتزجة من الأخلاط أشبهت السنة في فصولها و ليس كمال الزمان إلا بفصول السنة ثم يعود الدور فالإنسان من حيث أخلاطه سنة فهو عين الدهر الذي هو الزمان فله جولان في الملكوت بأحد ثلاثة أمور أو بكلها أو ببعضها فأما أن يجول بجسه و هو الكشف و إما أن يجول بعقله و هو حال فكره و تفكره و إما أن يجول بخياله و السنة اثنا عشر شهرا فلكل حقيقة من هذه النشأة المشبهة بالسنة ثلث السنة فلها التثليث في التربيع و لها التربيع في التثليث فأما تثليثها في التربيع فهو ما ذكرناه من تقسيمها على ثلاثة من حس و خيال و عقل في تربيع أخلاطها و أما تربيعها في التثليث فإن حكم الأخلاط بكمالها في كل قسم من الأقسام الثلاثة و هي أربعة فلتربيعها حكم في الحس و حكم في الخيال و حكم في العقل و لا يشعر بذلك إلا أهل الحضور الناظرون الآيات في أنفسهم و فيه علم جهل الإنسان عند مسابقته لله و حجتنا قوله تعالى بادرني عبدي نفسه فيمن قتل نفسه و القول بهذا السياق هو قول أهل النظر في التشبه بالإله جهد الطاقة و أن ذلك إذا وجد هو الكمال و هذا عندنا هو عين الجهل أن يسابق الحق فيما هو له بما هو لي فإنه من المحال أن تسابقه بما هو له فإن الشيء لا يسابق نفسه و من المحال أن تسابقه بما هو لي فإنه ما ثم غاية يسابق إليها فيكون عمل في غير معمل و طمع في غير مطمع و من كان في هذه الحال فلا خفاء بجهله لو عقل نفسه و فيه علم الإعلام الإلهي في المادة الإلهية بما ذا يكون و ما ذا يقع في إسماع السامعين من ذلك الإعلام هل يقع في كل سمع على حد واحد أو يختلف تعلق السمع عند ذلك الإعلام و فيه علم المعاملة مع الخلق على اختلاف أصنافهم بما يسرهم منك لا بما يسوءهم و هو علم عزيز صعب التناول و دقيق الوزن مجهول الميزان يحتاج صاحبه إلى كشف و حينئذ يحصل له و فيه علم ما حكم أصحاب الآجال إذا انتهت آجالهم هل يؤخرون بعد ذلك الانتهاء إلى أجل مسمى أو لا يكون لهم أجل أيضا ينتهون إليه و فيه علم ما يمكن أن يصح من الشروط و ما لا يمكن أن يصح منها و فيه علم إعطاء الأمان و لمن ينبغي أن يعطي فلا بد من علم الأحوال لهذا المتحكم و فيه علم تنوع الناس في أخلاقهم و ما هو المحمود من ذلك و ما هو المذموم منها و فيه علم علم الملائكة بالله الذي لا يعلمه أحد من البشر حتى يتجرد عن بشريته و يتجرد عن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى بما فيه إلا الروح المنفوخ فحينئذ يتخلص إلى العلم بالله من حيث تعلمه الملائكة فيقوم في عبادته ربه مقام الملائكة في عبادتهم لله و هي العلامة فيمن ادعى أنه يعلم الله بصورة ما تعلمه الملائكة فمن ادعى ذلك من غير هذه العلامة فدعواه زور و بهتان فإن للملائكة علما بالله تعالى يعم الصنف و علما خالصا لكل ملك بالله لا يكون لغيره فنحن ما نطالبه في دعواه إلا بالعلم العام و هذه العلامة معلومة عندنا ذوقا لا نذكرها لأحد لئلا يظهر بها في وقت و هو كاذب في دعواه غير متحقق فلهذا أمرنا و أمثالنا بستر هذا و أمثاله و فيه علم دلالات العلماء بالله على طبقاتهم فإنهم على طبقات في العلم بالله تعالى و فيه علم إزالة العلل و أمراض النفوس و فيه علم آداب الدخول

على الله و فيه علم صفات من يدعي أنه جليس الله جلوس شهود لا جلوس ذكر فإن الذاكرين أيضا جلساء الله و هم على الحقيقة جلساء الله من حيث الاسم الذي يذكرونه به و هذه مسألة لا يعرفها كثير من الناس و فيه علم ما تعطيه رحمة الرضاء و رحمة الفضل و أنواع الرحموتيات و فيه علم إقامة النعيم هل لذلك النعيم الدوام أو يتخلله حال لا نعيم فيه و لا غير ذلك و فيه علم تفاصيل الأجور عند الله عز و جل و بما ذا تتميز و فيه علم الحب الإلهي المندرج في كل حب و ما مقام من شاهد ذلك و علمه و هل يستوي من لا علم له بذلك مع العالم به أم لا و فيه علم المعتمدات و ما يجب منها و ما لا يجب و فيه علم السكائن جمع سكينة هل يجمعها أمر واحد كالإنسانية في أشخاصها أو هي متنوعة كل سكينة من نوع ليس هو عين السكينة الأخرى و فيه علم تنوع الرجوع الإلهي لتنوع حال المرجوع إليه أيضا و فيه علم درجات الأغنياء بالله في غناهم بالله جل ثناؤه و فيه علم ما السبب الموجب للطبيعة أن تستخبث و تتقذر و ما يكون منها و هي عينه و هل لها في العلم الإلهي أصل ترجع إليه مثل ما يذم من أفعال العباد و سفساف الأخلاق مع العلم بأن ذلك صورة من الصور التي تكون مجلى و فيه علم من العلوم الإلهية في تفضيل بعض النسب الإلهية على بعض و إن رفع العالم بعضه على بعض ينتج من هذا الأصل فإنه من المحال أن يكون في العالم شيء ليس له مستند إلى أمر إلهي يكون نعتا للحق تعالى كان ما كان و فيه علم ما ينبغي أن يضاف إلى الله و ما لا ينبغي أن يضاف و فيه علم سريان الربوبية في العالم حتى عبد من عبد من دون الله تعالى و فيه علم ما ينبغي أن يدخر من العلوم و ما ينبغي أن لا يفشي و ما ينبغي أن لا يدخر و ما ينبغي أن يفشي و فيه علم ما اصطفاه الله من الزمان من ساعاته و أيامه و لياليه و شهوره و هو علم تفاضل الدهر في نفسه و ما أصل الدهر و ما السبب لتسمية الله باسم الدهر و هو اسم أزلي له و لا دهر و هل سمي الزمان دهر الأجل هذا الاسم أو تسمى الله بهذا الاسم لعلمه أنه يخلق أمرا يقال له الدهر فإنه لم يزل خالقا و لا يزال خالقا و هل ينتهي حكم الزمان في العالم أو لا ينتهي و ما حظ حركات الأفلاك من الزمان و فيه علم من دعي إلى سعادته فتلكأ عن الإجابة مع علمه بأنه دعي إلى حق و فيه علم أسباب النصر الإلهي و فيه علم محبة الحق و فيه علم ما السبب الداعي إلى المباهت مع علمه أنه مباهت مع علمه أنه مسئول عن ذلك و الغلبة للاقوى و للحق القوة و الهوى يغالبه و قد يظهر عليه فهل ظهوره عليه بما له نصيب من الحق فلا يظهر على الحق إلا الحق و فيه علم ابتلاء الإمام أصحابه لإقامة الحجة عليهم لا يستفيد علما بذلك و فيه علم ما يقال عند كل حال يتقلب على العبد أو يتقلب العبد فيه و فيه علم الدوائر المهلكة ما هي و أسبابها الموجبة لآثارها في الكون و فيه علم ما السبب الذي يمنع من قبول العمل الخالص حتى يعمل العامل في غير معمل و فيه علم قسمة النعم على العباد و هي في أيدي العباد و ما لهم منها سوى الاختزان في نفس الأمر و هم مسئولون عنها و فيه علم الإصغاء لكل قائل و ما فائدته إذا لم يؤثر في السامع فإن كان سريع الانفعال لما يسمع فيجب عليه عقلا إن لا يصغي لقائل شر و فيه علم اختلاف الأسماء على الله عند الطوائف و المقصود واحد و فيه علم ما السبب في معاداة أشخاص النوع الواحد و موالاة الأنواع و إن عمها جنس واحد و فيه علم القدر و ما

مستنده من النعت الإلهي و هل هو عين الاستدراج أو غيره و فيه علم أسباب الطرد الإلهي و الكل في قبضته فمن يكون الطرد و إلى أين و ما معنى قولهم البعد من الله و فيه علم إنزال المنازل في القوالب لأي معنى تنزل في الصور و لا تنزل معاني كما هي في نفس الأمر و فيه علم أسباب رفع الحرج في حق من ارتفع عنه فإنه محال رفعه عن العالم إذ لو ارتفع لزال العالم عن درجة الكمال و هو كامل بالمرتبة و إن قبل الزيادة بأشخاص الأنواع فلا يتصف بالنقص من أجلها و فيه علم ما لا يكفر من الايمان المعقودة إذا حنث صاحبها في صورة الأمر و هي مسألة ينكرها الفقهاء و يفتون بخلافها و فيه علم ما يعد من مذام الأخلاق و هو من مكارمها عند الله و فيه علم مخالفة الحق عبده المقرب فيما يريده منه مثل قوله تعالى إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ و أمثاله و فيه علم حكم من خرج عن الجماعة أو أخرج يدا من طاعة إمام بعد عقد بيعته و ثبوتها و فيه علم السابق و اللاحق و فيه علم الشر و الخير و حكم الايمان و فيه علم النفوس الجزئية و فيه علم صفات المقربين و فيه علم الضلال و الهدى و فيه علم إقامة الواحد مقام الجمع وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و السبعون و ثلاثمائة» في معرفة منزل يجمع بين الأولياء و الأعداء من الحضرة الحكمية و مقارعة عالم الغيب بعضهم مع بعض و هذا المنزل يتضمن ألف مقام محمدي

إن المغانم نار الحق تأكلها فمن يكن بدلا منها فقد عصما
منها فليس لها عليه سلطنة فذلك نائبه في الخلق قد حكما
و ما مضى فهو منسوخ بعامله يوم القيامة بالنسخ الذي رسما
فالكل ينعم ملتذ بمنزله أهل الجنان و أهل النار و القدماء
من لم يكن حظه علما و معرفة فما تقدم في شأو الهوى قدما
الله يرزقها من علم رحمته حظا يبلغنا منازل العلما

اعلم أن الله تعالى قد أبان لعباده في هذا المنزل أن له فيه حظا وافرا من حظوظ عباده و من أجل هذا قال رسول الله ص حق الله أحق بالقضاء يعني من حق المخلوق و قال في القرآن العزيز من بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ فقدم الوصية على الدين و الوصية حق الله لأنه الذي أوجبها علينا حين أوجبها الموصي في المال الذي له فيه تصرف و الفقهاء يقدمون الدين على الوصية خلافا لما ورد به حكم الله إلا بعض أهل الظاهر فإنهم يقدمون الوصية على الدين و به أقول و جعل الله الحظ الذي له في الصلاة على النصف و هو دون هذا الحظ الآخر فقال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل فساوى سبحانه في هذه القسمة بين الله و بين عبده إذا صلى و قال في حظه في المغنم إن له

الخمس وحده من المغنم و ما بقي و هو أربعة أخماس تقسم على خمسة فلكل صنف من الحظ دون ما لله فحظ الله في هذا المقسوم أكثر من حظه في الصلاة بالنسبة إلى هذا الحال بينه و بين عبيده و إلا فحظ النصف أعظم من حظ الخمس فقسم الصلاة أكثر من قسم المغنم و بالنظر في عين الموطن و القسمة الخاصة فحظه في المغنم بالنظر إلى ما بقي من الأصناف المقسوم عليهم أعظم فأنزل الحق نفسه من عباده منزلة أنفسهم و عاملهم بما يتعاملون به و في موطن آخر يقول لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ فنفى المماثلة و في موضع آخر يقول المترجم عنه إن الله خلق آدم على صورته ثم إنه جعل الإنسان محل ظهور الأسماء فيه و أطلقها عليه فللعبد التسمية بكل اسم تسمى به الحق و إن اختلفت النسب فمعقولية مدلول الاسم واحدة لا تتغير ثم إنه جعل بعضهم خليفة عنه في أرضه و جعل له الحكم في خلقه و شرع له ما يحكم به و أعطاه الأحدية فشرع إنه من نازعه في رتبته قتل المنازعفقال رسول الله ص إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما و جعل بيده التصرف في بيت المال و صرف له النظر عموما و أمرنا بالطاعة له سواء جار علينا أو عدل فينا فقال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ و هم الخلفاء و من استخلفه الإمام من النواب فإن الله قد جعل له أن يستخلف كما استخلفه الله فبأيديهم العطاء و المنع و العقوبة و العفو كل ذلك على الميزان المشروع فلهم التولية و العزل كما أن الحق بيده الميزان يخفض القسط و يرفعه و ذلك الميزان هو الذي أنزله إلى الأرض بقوله وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ثم قال إنه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل و عمل الليل قبل عمل النهار كذلك الخليفة نرفع إليه أعمال الرعية يرفعها إليه عماله و جباته فيقبل منها ما شاء و يرد منها ما شاء فكل ما ذكره الحق لنفسه من التصرف في خلقه و لم يعينه جعل للإمام أن يتصرف به في عباده ثم إن الله جعل له أعداء ينازعونه في ألوهيته كفرعون و أمثاله كذلك جعل الله للخلفاء منازعين في رتبتهم و جعل له أن يقاتلهم و يقتلهم إذا ظفر بمن ظفر منهم كما يفعل سبحانه مع المشركين و مدة إقامتهم كمدة إمهال الله إياهم و أخذ الخليفة و ظفره بهم كزمان الموت لهؤلاء حتى لو قابلت النسختين ما اختلفتا في حرف واحد في الحكم و كما إن الحق يحكم بسابق علمه في خلقه يحكم الخليفة بغلبة ظنه لأن الخليفة ليست له مرتبة العلم بكل ما يجري في ملكه و لا يعلم المحق من المبطل و إنما هو بحسب ما تقوله البينة كما يفعله الله مع خلقه مع علمه يقيم على خلقه يوم القيامة الشهود فلا يعاقبهم إلا بعد إقامة البينة عليهم مع علمه و بهذا قال من قال إنه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه أما في العالم فللتهمة بما له من الغرض و أما في جانب الحق فلإقامة الحجة على المحكوم عليه حتى لا يأخذه في الآخرة إلا بما شرع له من الحكم به في الدنيا على لسان رسوله ص و لهذا يقول الرسول لربه عن أمر ربه رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ يعني بالحق الذي بعثتني به و شرعت لي أن أحكم به فيهم فإذا علمت إن الحق أنزل نفسه في خلقه منزلتهم و جعل مجلاه الأتم في الخليفة الإمام ثم قال كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته فعمت الإمامة جميع الخلق فحصل لكل شخص منهم مرتبة الإمامة فله من الحق هذا القدر و يتصرف بقدر ما ملكه الله من التصرف فيه فما ثم إنسان إلا و هو على صورة الحق غير أنه في الإمام الأكبر مجلاه أظهر و أمره أعظم و طاعته أبلغ و اعلم أن الله تعالى لما شرع لعباده ما شرع

قسم ما شرعه إلى فرض أوجبه على المكلفين من عباده و هو على قسمين فرض أوجبه عليهم ابتداء من عنده كالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و الطهارة و ما أشبه ذلك مما أوجبه عليهم من عند نفسه و فرض آخر أوجبوه على أنفسهم و لم يكن ذلك فأوجبه الله عليهم ليؤجروا عليه أجر الواجب الإلهي و ليتحقق الله عندنا إن الإنسان على صورته فإن الله أوجب على نفسه نصر المؤمنين و الرحمة و أمثال ذلك هذا في حق العلماء بالله و في حق قوم أوجبه عليهم عقوبة لهم حين أوجبوه على أنفسهم كالنذر و زاحموا الربوبية في الإيجاب على نفسه فأوجبه عليهم ليعرفهم أنهم ليس لهم أن يوجبوا على أنفسهم فيعرفون بذلك مقدارهم فالحق تعالى لو لم يفعل ما أوجب على نفسه فعله لما تعلق به ذم و لا لوم في ذلك لأن رتبته تقتضي بأنه الفعال لما يريد و لهذا ما يتعلق بإيجابه على نفسه حد الواجب و العبد لما أوجب الله عليه ما أوجبه على نفسه تعلق به إذا لم يقم بصورة ما أوجبه على نفسه حد الواجب كالواجب الأصلي إذا لم يقم به يعاقب فأجره عظيم و العقوبة عليه عظيمة فيمن لم يقم به فجزاؤه عظيم في الواجبين معا ثم ما جاء من الأفعال زائدا على صور الواجبات سمي ذلك نافلة أي زائدا على الواجب فإن لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض لم يكن نافلة و كان ذلك عملا مستقلا له مرتبة في الأجر ليست للنوافل ثم مزج النشأة كما مزج نشأة المكلف فجعل في نشأة الفرائض سننا و هي زوائد على الفرائض و جعل في النوافل التي تطوع العبد بها من نفسه من غير وجوب الفرائض في نشأة النوافل و لهذا إذا لم يجيء بالفرائض يوم القيامة تامة يقول الله أكملوا لعبدي فريضة من تطوعه فما نقص من الفرض الواجب كمل من الفرض الذي في النوافل و ما نقص من سنن الفرض الواجب كمل من سنن النوافل ألحق كل شيء بمثله قال لي بعض الأرواح فلم سميت الغنائم أنفالا قلنا لا شك و لا خفاء عند كل مؤمن عالم بالشرع إن الله ما جعل القتال للمؤمن إلا لتكون كلمة الله هي العليا و كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى لتتميز الكلمتان كما تميزت القدمان فإنه خلق من كل شيء زوجين ذاتا و حكما و عرفتنا التراجمة عن الله و هم رسل الله إن الله تعالى من وقت شرع الجهاد و القتال و السبي أعطى المغانم للنار طعمة أطعمها إياها و أوجبها لها و كان من طاعتها لربها أنها لا تتناول إلا ما أحل الله لها تناوله و كان قد حرم الله عليها أكل المغنم إذا وقع فيه غلول من المجاهدين فكانت لا تأكل المغنم إذا غل فيه حتى يرد إليه ما كان أخذ منه ليخلص العمل للمجاهد فلما جاء الشرع المحمدي زاد الله المغانم لأمة محمد ص طعمة على ما أطعمهم من غير ذلك فكانت تلك الطعمة التي أخذناها من النار نافلة لهذه الأمة و ما أعطاها إياهم لكونهم جاهدوا إذ لو كان ذلك حقا لهم على الجهاد ما وقعت لأحد لم يجاهد معهم فيها الشركة فما هي فريضة للمجاهدين و إنما هي طعمة أطعمها الله من ذكر و جعل لنفسه نصيبا لكونه نصرهم فله نصيب في الجهاد فلما كان السبب لكون الله جعل لنفسه فيها نصيبا لنصرته دين الله اندرج في نصيب الله كل من نصر دين الله و هم الغزاة فليس لهم إذا اعتبرت الآية إلا الخمس من المغنم ثم تبقي أربعة أخماس فتقسم فخمسة أيضا واحد الخمسة لرسول الله ص و بعد الرسول إذا فقد الخليفة الزمان و الخمس الثاني لأهل البيت قرابة رسول الله ص و الخمس الثالث لليتامى و الخمس الرابع للمساكين و الخمس

الخامس لابن السبيل و قد ورد عن بعض العلماء و أظنه ابن أبي ليلى أن الحظ الذي هو الخمس من الأصل كان رسول الله ص يقبضه و يخرجه للكعبة و يقول هذا الله ثم يقسم ما بقي فلما كانت هذه الطعمة للنار نقلها الله لهذه الأمة كما جعلفي مال الإنسان الزكاة حقا لأصناف مذكورين فأوجب على أصحاب الأموال على وجه مخصوص إخراجها و أوجب على الإمام أخذها و لم يوجب على الأصناف أخذها فهم مخيرون في أخذ حقهم و في تركه كسائر الحقوق فمن أخذها منهم أخذ حقه و من ترك أخذها ترك حقه و له ذلك و اعلم أن الإمام هو المطلوب بعلم هذه التقاسيم و القيام بها

ما كل من حاز الجمال بيوسف إن الجميل هو الإمام المنصف

إن كنت تدرك ما تريد و تشتهي أنت المحب و المبرأ يوسف

فإن غلب على ظن الإمام أن المذكورين في قوله تعالى وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ الآية و التي في سورة الحشر التي فيها ذكر الأصناف حظهم من المغنم الخمس خاصة يقسم فيهم هكذا و ما بقي فلبيت مال المسلمين يتصرف فيه الإمام بما يراه فإن شاء أعطاه المجاهدين على ما يريده من العدل و السواء في القسمة أو بالمفاضلة كما يفعل فيما بقي من المال الموروث بعد أخذ هل الأنصباء ما عين الحق لهم أو أراد هذا الإمام أن يعود بما بقي على أولي الأرحام من أهل الميت فيعطي أصحاب الأنصباء زائدا على انصبائهم من كونهم أولي أرحام الميت و إن غلب على ظن الإمام أن الخمس الأصلي لله وحده و ما بقي فلمن سمى الله تعالى و قد جعل الله للمجاهدين في سبيل الله نصيبا في الصدقات و ما جعل لهم في المغنم إلا ما نفلة به الإمام قبل القسمة أو ما أعطاه له بقوله من قتل قتيلا فله سلبه و إنما عرض الكلام في مثل هذا في المنزل لما فيه من الحظ المنسوب إلى الله خاصة فما غرضنا ما هو الحكم في المغانم و قسمتها في علم الرسوم و إنما المغانم عندنا في هذا الطريق ما حصل للإنسان من العلوم الإلهية التي أعطانا الله إياها عن مجاهدة و جهاد نفس كما أنه للمؤمن تجارة في نفس إيمانه و هي التجارة المنجية من العذاب الأليم فكل علم حصل عن جهاد فهو مغنم و يقسم على ما يقسم عليه المغانم فالنصيب الذي لله تعالى منه ما تعلق به الإخلاص و الذي لرسول الله منه الايمان به و الذي لذي القربى منه المودة فيهم و الذي لليتامى منه هو ما حصل من العلم قبل بلوغ العامل إلى الغاية «وصل» و الغاية حدها الذي يغنيه عن إضافة العمل إليه فإن الصبي قبل البلوغ حركته و أفعاله إليه فإذا بلغ رجع حكم الأفعال منه إلى الله بعد ما كانت إليه و النبي ص يقول لا يتم بعد حلم فكل ما حصل له قبل البلوغ فهو حقه الذي له من نفسه إذ عينه لله له و الذي للمساكين فهو الحظ الذي حصل لهم بالعجز و عدم القدرة و سلب القوة فإن الله هو ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ و الذي لابن السبيل فهو الحظ الذي له من حيث إنه ابن للطريق إلى اللهفإن النبي ص يقول إن للدنيا أبناء و للآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة و هم أبناء السبيل و لا تكونوا من أبناء الدنيا فأما صورة الإخلاص في العمل فهو إن تقف كشفا على إن لعامل لذلك العمل هو الله كما هو في نفس

الأمر أي عمل كان ذلك العمل مذموما أو محمود أو ما كان فذلك هو حكم الله تعالى فيه ما هو عين العمل وضح في الخبر أن الله تعالى يقول من عمل عملا أشرك فيه غيري فإنا منه بريء و هو للذي أشرك فنكر العمل و ما خص عملا من عمل و الضمير في فيه يعود على العمل و الضمير في منه يعود على الغير الذي هو الشريك و ضمير هو يعود على المشرك فإن الله لا يتبرأ من العمل فإنه العامل بلا شك و إنما يتبرأ من الشريك لأنه عدم و الله وجود فالله برأ من العدم فإنه لا يلحقه عدم و لا يتصف به فإنه واجب الوجود لذاته فالبراءة صحيحة و كذلك في قوله بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فهو أيضا تبرأ من الشريك لأن الشريك ليس ثم فهو عدم لأنه قال من المشركين فهو أيضا تبرأ من الشريك فإخلاص العمل لله هو نصيب الله من العمل لأن الصورة الظاهرة في العمل إنما هي في الشخص الذي أظهر الله فيه عمله فيلتبس الأمر للصورة الظاهرة و الصورة الظاهرة لا نشك أن العمل بالشهود ظاهر منها فهي إضافة صحيحة فلهذا نقول إنه عين كل شيء من اسمه الظاهر و هنا دليل خفي و ذلك أن البصر لا يقع إلا على آلة و هي مصرفة لأمر آخر لا يقع الحس الظاهر عليه بدليل الموت و وجود الآلة و سلب العمل فاذن لآلة ما هي العامل و الحس ما أدرك إلا الآلة فكما علم الحاكم أن وراء المحسوس أمرا هو العامل بهذه الآلة و المصرف لها المعبر عنه عند علماء النظر العقلي بالنفس العاقلة الناطقة و الحيوانية فقد انتقلوا إلى معنى ليس هو من مدركات الحس فكذلك إدراك أهل الكشف و الشهود في الجمع و الوجود في النفس الناطقة ما أدرك أهل النظر في الآلة المحسوسة سواء فعرفوا أن وراء النفس الناطقة هو العامل و هو مسمى الله و النفس في هذا العمل كالآلة المحسوسة سواء عند أهل الله و عند أهل النظر العقلي و متى لم يدرك هذا الإدراك فلا يتصف عندنا بأنه أخلص في عمله جملة واحدة مع ثبوت لآلات و تصرفها لظهور صورة العمل من العامل فالعالم كله آلات الحق فيما يصدر عنه من الأفعال لقوم يعلمون و قال رسول الله ص فيما صح عنه أ تدرون ما حق الله على العباد قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا ثم قال أ تدرون ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة فنكر ص بقوله شيئا ليدخل فيه جميع الأشياء و هو قوله تعالى فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً فنكر أحد فدخل تحته كل شيء له أحدية و ما ثم شيء إلا و له أحدية و ذكر لقاء الله ليدل على حالة الرضي من غير احتمال كما ذكره رسول الله ص و ذلك في الجنة فإنها دار الرضوان فما كل من لقي الله سعيد فالمواطن لها الحكم في ذلك بما جعل الله فيها و كذلك قوله تعالى لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ فجعل الذي يصيبه منا التقوى فقد أعلم الحق عباده بنصيبه مما هم عليه و فيه في كل شيء و عهد إلى عباده ذلك فقال وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فحظه منكم أن تفوا له تعالى بما عاهدكم عليه و هو قوله ص في الصلوات الخمس فمن أتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا كان له عند الله عهدا أن يدخله الجنة و الصلاة مناجاة الله على القسمة التي شرع بينه تعالى و بين عباده فمن أعطاه قسمه و منها و أخذ منها قسمه فقد أعطاه حقه و نصيبه فإذا كان الله تعالى مع اتصافه بالغنى عن العالمين قد جعل له فيما يكون للعالم و يفتقر إليه نصيبا

يأخذه و قسما عينه فما ظنك بمن أصله الفقر و المسكنة في ظهور عينه لا في عينه و وجوده و ما هو فيه و إنما قلنا لا في عينه لأن أعيانها لا نفسها ما هي بجعل جاعل و إنما الأحوال التي تتصرف عليها من وجود و عدم و غير ذلك فيها يقع الفقر إلى من يظهر حكمها في هذه العين فاعلم ذلك فمن طلب حقه و استقصاه فلا يلام و لكن لما شرع لنا في بعض الحقوق إنا إذا تركناها كان أعظم لنا و جعل ذلك من مكارم الأخلاق و ناط به ما في ذلك من الأجر منه تعالى و هو قوله عز و جل فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ و من طلب حقه و هو قوله تعالى وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولٰئِكَ ما عَلَيْهِمْ من سَبِيلٍ كان له ذلك فكذلك يفعل مع عباده فيما ضيعوه من حقه و حقوقه يعفو و يصفح و يصلح فيكون المال إلى رحمة الله في الدارين فتعمهم الرحمة حيث كانوا و لكن لا يستوون فيها قال تعالى أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ كما لم يسو تعالى بين الذين يعلمون و الذين لا يعلمون فالكامل من العباد من لم يترك لله عليه و لا عنده حقا إلا وفاه إياه في كل شيء له فيه نصيب أعطاه نصيبه على حد ما شرع له فإذا وفاه رد عليه جميع ما ذكر أنه له بالشرع فإذا و في الله له بعهده فيأخذه منه امتناع و ابتداء فضل لا جزاء و لا يكون هذا إلا من العلماء بالله الذين يعلمون الأمر على ما هو عليه و هم أفراد من الخلق لا يعلمهم إلا هو فقد نبهتك على أكمل الطرق في نيل السعادة التي ما فوقها سعادة و مع هذا يا حي و بعده فالأمر عظيم و الخطب جسيم و الإشكال فيه أعظم و لهذا جعل أهل الله الغاية في الحيرة و هو العجز و هذا القدر كاف في العلم بأن الله حقا و نصيبا عند عباده يطلبه منهم بحكم الاستحقاق و يطلب منهم أيضا حقوق الغير بحكم الوكالة كما قال وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ بحكم الوكالة فيربيها و يثمرها فهو وكيل في حق قوم تبرعا من نفسه رحمة بهم و إن لم يوكلوه و في حق قوم وكيل بجعلهم كما أمرهم أن يتخذوه وكيلا و إلا فليس للعبد من الجرأة أن يوكل سيده فلما تبرع بذلك لعباده و نزل إليهم عن كبريائه بلطفه الخفي اتخذوه وكيلا و أورثهم هذا النزول إدلالا و أما حديث ما يقبل الله من صلاة عبده إلا ما عقل يريد أنه يعضد أداء حق الله تعالى فيما تعين عليه و جعل أكثره النصف و هو الحد الذي عينه له من صلاة عبده و أقله العاشر فقال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها و ما ذكر النصف إلا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعممناه في جميع أفعال الصلاة و أقوالها بل في جميع ما كلفنا من الأعمال به فأما ما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة و هي تسعة أقسام القسم الأول بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الثاني اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الثالث الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الرابع ملك (مالِكِ) يَوْمِ الدِّينِ الخامس إِيّاكَ نَعْبُدُ السادس وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ السابع اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ الثامن صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ التاسع غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه الأقسام التي ذكرناها في الفاتحة و هي التي ذكر الله في القبول من العشر إلى النصف فمن رأى أن بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آية منها و لا يفصلها عنها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فإن حكم الله في الأشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده و من أداه اجتهاده إلى الفصل ففصل البسملة عن الفاتحة و إن البسملة ليست آية منها جعل

الله له الجزء التاسع وَلا الضَّالِّينَ و البسملة أحق و أولى فإنها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله و تكرارها في السور مثل تكرار ما يكرر في القرآن من سائر الكلمات و ما زاد على التسعة فعقله في التلاوة حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله ص العام إنه لا يقبل إلا ما عقل منها فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة و من انتقص منها شيئًا في صلاته جبرت له من قراءته الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فإن لم تف قراءتها في النوافل بما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكملت له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة و إن كان في جميع أفعاله في صلاة فإنه قد يكون من الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ و هم الذاكرون الله في كل أحيانهم فهم يناجونه في جميع الأحوال كلها فحظ الله من جميع ما كلف عباده به ما فرض عليهم و نصيب العباد من الله ما أوجبه الحق لهم على نفسه و النافلة للنافلة في كل ذلك و أما حظ الرسول ص من هذه المسألة بتصديقه و الايمان به و بما جاء به فمما يحققه الايمان أن خير الأزمان زمان الصلاة و الآذان و خير الشفاعة و الكلام ما أذن فيهما الرحمن هذا مما جاء به رسول الحق إلينا و وفد به مقبلا علينا فتدلى حين تجلى و ما أصعقه بل أيقظه من تجلى ليتجلى فاقبل و ما أعرض و تولى فأما التصديق به فلخبر الحق بأنه رسول منه إلينا و هو الوجيه المقرب و أما الايمان بما جاء به فلإخباره عن الحق ففرق بين إخبار الحق في الايمان به و بين إخباره عن الحق فيما جاء به فلا يؤمن به إلا من خاطبه الحق في سره و إن لم يشعر به المخاطب و لا يعرف من كلمه و إنما يجد التصديق به في قلبه و أهل الكشف و الحضور يعرفون عن سماع بأذان و قلوب كلام الحق بأن هذا رسول من عنده فيؤمنون به على بصيرة و لا يؤمن بما جاء به هذا الرسول إلا من خاطبه الرسول في سره و إن لم يشعر به المخاطب و لا يعرف من كلمه و إنما يجد التصديق بما جاء به في قلبه و أهل الكشف و الحضور يعرفون عن سماع بقلوب و آذان و أبصار كلام الرسول بأن هذا جاء من عند الله وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً فيؤمنون به على بصيرة و إنما قلنا فيما جاء به الرسول و أبصار و لم نقل ذلك في سماع كلام الحق لأن الرسول إذا رأيناه فقد رأيناه و الحق تعالى ليس كذلك إذا رأيناه فما رأيناه إلا منزلتنا و صورتنا منه فلهذا لم نقل في تصديق خبره إذا كلمنا و أبصار و ما جئنا بالقلوب و الآذان إلا لمجرد الخبر خاصة لا لكون الحق تكلم به فإن إدراك القلوب و الآذان و الأبصار للحق على السواء ما أدرك واحد من العالم أي إدراك كان من هذا و غيره إلا منزلته من الحق و صورته خاصة فما أدركه فذكرنا القلوب من كونها سامعة و الآذان للخبر خاصة تنبيها على ما ذكرناه و بيناه فإذا علمت هذا فقد وفيت الله و الرسول ما تعين عليك من الحق أن تؤديه لله و لرسوله فإن هذه المسألة غلط فيها جماعة من أهل الله إذ لم يخبروا بها عن الله فكيف علماء الرسوم فمن تكلم فيها من طريق الايمان فلا يتكلم فيها إلا بما تكلمنا به فإنه يتكلم عن ذوق و لهذا ترى شخصين بل ثلاثة أشخاص يشهدون المعجزة على يدي الرسول الذي أبرزها الحق في معرض الدلالة على صدقه فيما جاء به و التصديق به نفسه فشخص من الثلاثة يتيقن أنه الحق و جحده و الشخص الثاني لم تقم عنده تلك الدلالة لجهله بموضع الدلالة منها و الثالث آمن و صدق و المجلس

واحد و النظر بالبصر واحد و الإدراك في الظاهر واحد فعلمنا إن الذي آمن و صدق لو لا تجلى الحق لقلبه و تعريفه إياه بغير واسطة ما آمن بما جاء به و لا صدق و كان مثل صاحبه و كذلك في إيمانه بما جاء به فما كل مؤمن يعرف من أين حصل له الايمان و لا سيما و قد رأينا و بلغ إلينا أن بعض من آمن برسول الله عند ما رآه و سمع دعوته و لم ير له معجزة و لا دلالة بل وجد في نفسه أنه صادق في دعواه فآمن به من حينه و ما تلكأ و لا تلعثم فما كان إلا مما ذكرناه من التجلي لقلبه و لا يشعر أن ذلك عن تجل و بهذا القدر زاد أهل الكشف على غيرهم من المؤمنين و لو لا كشفهم للأمور ما فصلوها إلى كذا و إلى كذا فحظ الرسول أن يلحقه بربه في نفسه و فيما جاء به من عنده و أما حظ اليتامى من هذا العلم فإنه على الحقيقة أوان بلوغ الخروج عن الدعوى فيما كان لك فحظك قبل مجيء هذا الزمان إن تضاف أفعالك لك و لا يعترض عليك و لا تسلب عنك و لا تحجير عليك فإذا بلغ أوان الحلم صرت محجورا عليك و وقع التقييد في جميع حركاتك و توجهت عليها أحكام الحق لأنها أفعاله ظهرت فيك و لو لا ما ظهرت فيك ما تعلق بها هذا الخطاب و لا هذا التحكيم و معنى ظهرت فيك هو عين دعواك أن الأفعال لك فأراد الحق بالتحجير بما كلفك إن يعرفك بأن هذه الأفعال لو كانت لك ملكا محققا ما جاز لي أن أتصرف فيما لك و ليس لي و سبب ذلك أن أوان بلوغ العقل قد حل و استحكام العقل و النظر قد حصل فكان ينبغي لك بما أعطاك الله من العقل أن ترى أفعالك التي أنت محل لظهورها منك لله تعالى ليست لك فلو حصل لك هذا ابتداء ما كلفك و لا حجرها عليك في هذه الدار ألا ترى من لم يستحكم عقله ما حجر عليه و لا كلفه و هو المجنون الذي ستر عنه عقله إن يكون له حكم فيه و كذلك النائم و كل من لم يتصف بالعقل و لما وصل في هذه الدار إلى الحد الذي أوجب عليه التكليف بقيام هذه الصفة إذا كشف عنه الغطاء في هذه الدار لم يرتفع عنه التحجير و لا خطاب الشرع لحكم الدار لا لحكم الحال لأنه كان يعطي القياس ارتفاع التحجير عمن هو بهذه الصفة و لكن لا بد للدار من حكم كما يفعل بأطفال المشركين و الكفار نلحقهم بآبائهم للدار و إن علمنا أنهم على الفطرة و ما أشركوا و لا كفروا فللدار حكم فإذا جاء وعد الآخرة و انتقلنا إليها خرجنا عن حكم الدار فارتفع عنا حكم التكليف في دار الرضوان و أختها كذلك من أطلعه الله هنا في هذه الدار على سعادته و أطلع آخر على شقاوته لم تسقط هذه المطالعة عنهما التحجير و لا التكليف لأن أصل وضع النواميس في هذه الدار إنما هو لمصلحة الدنيا و الآخرة فمن المحال رفع التحجير ما دامت الدنيا و دام من فيها فلو لا هذا لكان من كشف عنه الغطاء ارتفع عنه التحجير لأنه لا يرى فاعلا إلا الله و الشيء لا يحجر على نفسه و إن أوجب على نفسه ما أوجب فذلك تأنيس لنا فيما توجبه على أنفسنا لنا فإن أوجبناه له أوجبه علينا لنتميز فنعصي بتركه و لو ترك الحق ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فإن هذا الحكم لا يتعلق بمن تعلق به إلا من حيث إن الغير أوجبه فلو لا ما أوجبه الحق علينا حين أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة إذا تركناه فإذا وفى به من لم يوجبه عليه غيره فمنة منه و فضل و مكارم أخلاق فإن قلت هذا إذا كان في الخير فإن كان شرا قلنا ما ثم الأخير و الخير على قسمين خير محض و هو الذي لا شر فيه و خير ممتزج و هو الذي

فيه ضرب من الشرك كما بيناه من شرب الدواء المكره و كالمؤمن إذا عصى و أطاع فإن المؤمن لا تخلص له معصية دون طاعة أصلا فإن الايمان بكونها معصية طاعة و في هذا تنبيه لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ فيرجع الأمر في الآخرة إلى الأمر الذي كان عليه اليتيم قبل البلوغ و إنما قلنا في اليتيم و كل صبي دون البلوغ كذلك مع كونه ليس بيتيم لأن اليتيم في تدبير وليه و الولي الله لأنه ولي المؤمنين و غير اليتيم في تدبير أبيه فلا ينظر إليه مع وجود أبيه لأن الفرع يستمد من أصله الأقرب ألا ترى الثمرة لا تعرف لها أصلا إلا فرع الشجرة لأنها من الفرع تستمد و الفرع يعرف الأصل الذي تجهله الثمرة و اليتيم قد علم إن أباه قد اندرج فانكسر قلبه و لم يكن له أصل يدل عليه فعرفه العلماء بالله أنه ليس له إلا من كان لأبيه و هو الله فيرجع إلى الله في أموره فلما كان حال اليتيم مع الله في نفسه بهذه المثابة جعل الله له حظا في المغنم ليتوفر عليه ما هو له و هو ما يرى الصبي من إضافة الأفعال إليه و عدم التحجير عليه فيها فمن يمسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة و ليس ذلك لغير اليتيم و حكم المسكين حكم اليتيم من عدم الناصر الظاهر فقوى الله ضعفه أي زاده الله ضعفا إلى ضعفه فإن المخلوق ضعيف بحكم الأصالة فإذا زاده الله ضعفا إلى ضعفه كان مسكينا فما تكون له صولة فإن صال و هو مسكين فقد أبغضه الله فإنه ظهر منه ما يخالف حاله فقد كلف نفسه ما لا يقتضيه مقامه و لذلك قال رسول الله ص ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ملك كذاب و شيخ زان و عائل مستكبر أي قد بالغ في التكبر كما أن المسكين قد بالغ الله فيه بالضعف فإنه من كونه مسكينا صاحب ضعفين ضعف الأصل و ضعف الفقر فلا يقدر يرفع رأسه لهذا الضعف بخلاف رب المال فإنه يجد في نفسه قوة المال و بهذا سمي المال مالا لأنه يميل بصاحبه و لا بد إما إلى خير و إما إلى شر لا يتركه في حال اعتدال فالمسكين من سكن تحت مجاري الأقدار و نظر إلى ما يأتي به حكم الله في الليل و النهار و اطمأن بما أجرى الله به و عليه و علم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه و أنه الفعال لما يريد و تحقق بأن قسمه من الله ما هو عليه في الحال فجبر الله كسره بقوله أنا عند المنكسرة قلوبهم فإنك إذا جئت لمن انكسر قلب ما تجد عنده جليسا إلا الله حالا و قولا فجعل له حظا عليه في المغنم و إن لم يكن له فيه تعمل فخدمه غيره و نال هو الراحة بما أوصل الله إليه من ذلك مما جهد فيه الغير و تعب كالمؤمن الذي لا علم له و هو من أهل الجنة فيرى منازل العلماء بالله و هو في الموقف فيتحسر و يندم فيعمد الله إلى من هو من أهل النار من العلماء فيخلع عنه ثوب علمه و يكسوه هذا المؤمن ليرقى به في منزلة ذلك العلم من الجنة لأنه لكل علم منزلة في الجنان لا ينزل فيها إلا من قام به ذلك العلم لأن العلم يطلب منزلته من الجنان و العالم الذي كان له هذا العلم هو من أهل النار الذين هم أهلها و العلم لا يقوم بنفسه فينزل بنفسه في تلك المنزلة فلا بد له من محل يقوم به فيخلعه الله على هذا المؤمن السعيد الذي لا علم له فيرقى به العلم إلى منزلته فما أعظمها من حسرة و لكن بقي عليك إن تعرف أي علم يسلبه هذا الذي هو من أهل النار و ذلك أنه إذا كان على علم في نفس الأمر إلا أنه قد دخلت عليه في الدنيا فيه شبهة فأما حيرته فهو في محل النظر و أما إزالته عنه مع علمه بما كان عليه غير أنه اعتقد فيه في الدنيا أنه جهل فإذا كان في الآخرة علم أنه علم فذلك

العلم هو الذي يسلب و يخلع على هذا الذي ليس بعالم و هو من أهل الجنة و إذا كان الأمر على ما ذكرناه فإن الله لا يبقى في الدنيا عند الموت عند أهل النا ر الذين هم أهلها سوى العلم الذي يليق أن يكون عليه أهل النا ر و ما عدا ذلك من العلوم التي لا تصلح أن تكون إلا لأهل الجنة يدخل الله بها على العالم به في الدنيا أو عند الاحتضا ر شبهة يخطرها له تزيله عن العلم أو تحيره ثم يموت على ذلك و كان ذلك في نفس الأمر علما فهذا الصنف من العلم هو الذي يخلع على أهل الجنان إذا لم يتقدم لهم علم به في الدنيا و يطمع فيه من قد كان علمه من أهل النا ر فيقام عليه الحجة بأنه مات على شبهة فهذا حظ المسكين من المغنم فإن ذلك الذي سلب عنه في الدنيا بالشبهة جاهد نفسه و تعب فلما غنم و دخلت الشبهة كان حظ المسكين ذلك العلم و أما ابن السبيل فأبناء السبيل هم أعلى الطوائف عند الله فإن الابن لا يقد ر أن ينتفي عن أبيه و إنما سمي ابن السبيل لأنه علم إن المنزل محال و أن الاستقرا ر على أمر واحد محال لا في حق نفسه و لا في حق تجلى ربه بل و لا في حق ربه لأنه في شأن خلقه و الأمر فيهم جديد دائما أبدا و من لم يستقر به قدم فلا بد أن يكون ماشيا أي متحركا و لا يتحرك إلا في طريق و هي السبيل و المشي له دائما دنيا و آخرة فهو ابن السبيل دنيا و آخرة و لما كان متفرغا لسبيله مشغولا به مسافرا فيه و المسافر لا بد له من زاد فجعل الله له نصيبا من المغنم فالحق يغذيه بما ليس له فيه تعمل و قد يكون ابن السبيل في هذه الآية عين المجاهد و يكون السبيل من أجل الألف و اللام اللتين للعهد و التعريف سبيل الله التي قال الله فيها وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ يعني الشهداء الذين قتلوا في الجهاد فيكون أيضا حظ المجاهد من المغنم القدر الذي عين الله لابن السبيل و هو معروف سوى ما له في الصدقات فاعلم ذلك فإنه تنبيه حسن إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ و ما أنزل الله على عبده يوم الفرقان ففرق بما أعلمه الله بين القبضتين بالكلمتين اللتين ظهرتا في الكرسي بالقدمين إذ كان أهل الله و هم أبناء الآخرة أبناء السبيل بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا إلى الله بمحصل القربة و المكانة الزلفى من الله وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى عن الله و هم أبناء الحياة الدنيا و أبناء سبيلها وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ فجعل السفل لهم إذ كانت كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى و من كان أسفل منك فأنت أعلى منه لأنكم أهل الله الذين لهم السعادة إذ كانت كلمة الله هي العليا و كل هذا بحكم الله و قضائه لا ليد تقدمت بل لعناية إلهية سبقت يقول الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ

ألا إن أهل الله بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا ￼ كما إن أهل الشرك بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى

فإن الذي أقصاه يمتاز بالسفلى ￼ و إن الذي أدناه قد فاز بالعليا

ألا تلحظن الركب أسفل منهم ￼ فكل فريق من مكانته أدنى

و لما رأينا أن الله قد اختص بالخمس في مثل هذا الموطن و في قسمة هذا النوع الذي هو المغنم علمنا أن الله ما راعى من الأقسام التي تعتبر في العالم إلا مراعاة الجيش عند اللقاء من كونه عز و جل ملكا قاهرا حيث أثبت له أعداء ينازعونه و تقسيم الجيش عند اللقاء على خمسة أقسام قلب و

هو موضع الإمام و هو الذي اصطفاه الله من نشأة عبده حين قال وسعني قلب عبدي و ما بقي فميمنة و ميسرة و مقدمة و ساقة فلهذا كان الخمس لله و الأربعة الأخماس الباقية لمن بقي فإن العدو الذي نصبه الله أخبر الله عنه أنه يأتي من بين أيدينا و من خلفنا فنلقاه بالمقدمة و الساقة و عن أيماننا فنلقاه بالميمنة و عن شمائلنا فنلقاه بالميسرة و ليس للعدو غرض إلا في القلب ليزيل ملك الجيش من القلب ما له غرض إلا في هذا فذب الله عن قلب العبد الذي هو موضع نظره الذي وسعه بهؤلاء الذين رتبهم في هذه الأماكن التي يدخل العدو منها فعليه يقاتل هذا الجيش و هو قوله ص إن الذي يقاتل في سبيل الله هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى و هم الأعداء فهو يمدهم من القلب في الباطن و هم يذبون عنه من الظاهر من الجهات التي يطلب العدو و الفرصة فيها فمن هنا كان له الخمس من المغنم الذي نص عليه أنه نصيبه لأنه ناصر المؤمنين على أعدائه و الجيش ناصر دينه ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ فما لهم قلب ينصرهم

إن لله نصيبا وافرا	هو خمس الفيء من غير مزيد
فله القلب الذي يعمره	و هو العرش الإلهي المجيد
و الذي يبقى فقد قسمه	اختصاصا منه في بعض العبيد
فالذي حاز الذي سطره	قلمي فاز بما يعطي الوجود
فرسول أو ولي وارث	ما له في علمنا غير الشهود
و الذي يعلمه الله فما	لي علم فيه إلا أن يجود

و في هذا المنزل علم هل يتعلق العلم الواحد بجميع المعلومات أو لكل معلوم علم أو يختلف بالنسبة إلى العالم و ما هو العلم هل هو ذات العالم أو صفة قائمة به أو نسبة ما هي ذات العالم و لا صفته و فيه علم ما يؤدي إليه المناسبات بين الأشياء من التألف و الاجتماع و فيه علم من عمل بعملك فهو منك و فيه علم الاستناد و حماية المستند و مشاركته في المشقة و ترك ما يرى تركه و إن كان محبوبا لك و الايمان الذي لا يزلزله شيء و فيه علم ما توجبه مكارم الأخلاق على من قامت به و علم المقامات و ما يختص بهذا المنزل منها و فيه علم الكثير و القليل و من هو كثير بالقوة و كثير بالعدد و كذلك في القلة و في علم فيه مزلة قدم و هو أنه يعطيك أن تكون مع كل من يريد منك أمر أما أن تكون له بما يريده منك و إنما هو مزلة قدم لاختلاف الأغراض و تقييد المؤمن بما قلده من الحكم الذي قيده و فيه علم ما ينبغي أن يستعد له مما لا يستعد له و فيه علم معاملة من تجهل أمره كيف تعامله و فيه علم يعلم به أنه ما يقابلك من العالم و لا من الحق إلا صفتك و فيه علم إلحاق الرءوس بالأذناب في الحكم و هو الحال الذي يستوي فيه الرئيس و المرءوس كالنوع الوسط الذي هو نوع لما فوقه و جنس لما تحته و فيه علم التحريش ثم التبري منه هل ينفع ذلك التبري أم لا ينفع و فيه علم إدراك

الخيال في صورة المحسوس في اليقظة و ما ثم شيء محسوس مخيل من خارج و لا من داخل بل هو كالسراب تراه ماء و كالصغير في السراب تراه كبيرا و كالجبل الأبيض تراه على البعد أسود فهذا خارج عن الحس و الخيال و فيه علم السبب الذي يدعو الإنسان إلى أن يدعو على نفسه بالهلاك و يطلب العلامة في نفسه بما يرديه و فيه علم ما يتوهم أنه قادر عليه و ليس بقادر عليه و لماذا يرجع الإعجاز هل يرجع لأمر لا يقدر مخلوق عليه أو لأمر كان يقدر عليه ثم صرف عنه و فبه علم ما تنتجه التقوى في المتقي و فيه علم الفرق بين الرسول الله ص و بين المؤمنين و فيه علم ما يريده المخاطب من المخاطب إذا كلمه و فيه علم ما يظهر أنه لله و هو للكون و يظهر أنه للكون و هو لله و فيه علم الجهات و الإحاطة و السكون و الحركة و فيه علم المنافع الأخروية و فيه علم السبب الذي يوجب الأمان في موطن الخوف هل يصح ذلك أم لا و ما معنى الموطن هل هو الحال في الشخص فيكون موطنه حاله أو الموطن خارج عن الحال و فيه علم الأسباب الموجبة لوجود الأوهام الحاكمة في النفوس و هي صور من صور التجلي الإلهي و فيه علم ما يحمد من السؤال و ما يكره و فيه علم الصلاح و مراعاة الأصلح و على من يجب ذلك و فيه علم الوعد و الوعيد و مع من يجب القتال شرعا إذا تراءى الجمعان وصف الناس للقتال وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل سجود القيومية و الصدق و المجد و اللؤلؤة و السور»

إذا وضع الميزان في قبة العدل و جاء الحق للحكم و الفصل

يقوم لنا شكل بديع مثلث فضلعان في مثل و ضلع بلا مثل

و لا بد من ترجيحه لبقائه فلا بد من أمر يؤيد بالفضل

فيذهب حكم الميل عند استوائه و يرجح ميزان السعادة بالثقل

اعلم أيدك الله أنه ثبت شرعا و عقلا أنه تعالى سبحانه أحدي المرتبة فلا إله إلا هو الله وحده لا شريك له في الملك و الملك كل ما سوى الله و أما أن يكون له تعالى ولي فما هو مثل الشريك في الملك فإن ذلك منفي على الإطلاق لأنه في نفس الأمر منفي العين و أما الولي فموجود العين فهو ينصر الله ابتغاء القربة إليه و التحجب عسى يصطفيه و يدنيه لا لذل ناله فينصره على من أذله أو ينصره لضعفه تعالى الله قال تعالى إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ و قال وَ هُوَ خَيْرُ النّٰاصِرِينَ فما قال إِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ إلا و لا بد من وقوع هذا النصر و لكن كما ذكرنا و هو قوله تعالى وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ أي ناصر من أجل الذل وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً عن هذين الوصفين كما أنه تعالى بدليل العقل و الشرع أحدي الكثرة بأسمائه الحسنى أو صفاته أو نسبه و هو بالشرع خاصة أحدي الكثرة في ذاته بما أخبر به عن نفسه بقوله بَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ و لما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ و تَجْرِي بِأَعْيُنِنٰا و القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن وَ السَّمٰاوٰاتُ مَطْوِيّٰاتٌ بِيَمِينِهِ و كلتا يدي ربي يمين مباركة و هذه كلها و أمثالها إخبار عن الذات أخبر الله بها عن نفسه و الأدلة العقلية تحيل ذلك فإن

كان السامع صاحب النظر العقلي مؤمنا تكلف التأويل في ذلك لوقوفه مع عقله و إن كان السامع منور الباطن بالإيمان آمن بذلك على علم الله فيه مع معقول المعنى الوارد المتلفظ به من يد و أصبع و عين و غير ذلك و لكن يجهل النسبة إلى أن يكشف الله له عن بصيرته فيدرك المراد من تلك العبارة كشفا فإن الله ما أرسل رسولا إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ أي بما تواطئوا عليه من التعبير عن المعاني التي يريد المتكلم أن يوصل مراده فيما يريد منها إلى السامع فالمعنى لا يتغير البتة عن دلالة ذلك اللفظ عليه و إن جهل كيف ينسب فلا يقدح ذلك في المعقول من معنى تلك العبارة

و هو للحاصل فيه مذهب   واحد و هو كثير عجب

بطريق الذوق فهو المشرب   إنما العلم لمن حصله

عين ما جئت به ما تطلب   أيها الطالب كنزا إنه

و اعلم أيدك الله أنه من المحال أن يكون في المعلومات أمر لا يكون له حكم ذلك الحكم ما هو عين ذاته بل هو معقول آخر فلا واحد في نفس الأمر في عينه لا يكون واحد الكثرة فما ثم إلا مركب أدنى نسبة التركيب إليه أن يكون عينه و ما يحكم به على عينه فالوحدة التي لا كثرة فيها محال و اعلم أن التركيب الذاتي الواجب للمركب الواجب الوجود لنفسه لا يقدح فيه القدح الذي يتوهمه النظار فإن ذلك في التركيب الإمكاني في الممكنات بالنظر إلى اختلاف التركيبات الإمكانية فيطلب التركيب الخاص في هذا المركب مخصصا بخلاف الأمر الذي يستحقه الشيء لنفسه كما يقول في الشيء الذي يقبل الأشكال لنفسه لا تقول إن ذلك له بجعل جاعل أعني قبول الأشكال و إنما الذي يكون له بالمخصص كون شكل خاص دون غيره مع إمكان قيام شكل آخر به فلا بد من مخصص لا قابل للاشكال فإن ذلك لنفسه فالتركيب الذاتي الذي يقتضيه الواجب الوجود لنفسه خارج عن هذا الحكم لأنه مجهول الماهية عند النظار فنسبة التركيب إليه مجهولة مع معقولية التركيب و معنى التركيب كونه كثيرا في ذاته كما لم يقدح فيه كونه له صفات قديمة عند مثبتي الصفات من النظار كالأشاعرة و ما وجدنا عقلا يقيم دليلا قط على أنه تعالى لا يحكم عليه بأمر فغاية من غاص في النظر العقلي و اشتهر من العلماء أنه عقل صرف لا حظ له في الايمان إنه حكم عليه بأنه علة فما خلص التوحيد له في ذاته حين حكم عليه بالعلية و أما غيرهم من النظار فحكموا عليه بالنسب و أن ثم أمرا يسمى القائلية و القادرية بهما حكمنا حكما عليه إنه قائل و قادر و أما غير هؤلاء من النظار فحكموا عليه بأن له صفات زائدة على ذاته قديمة أزلية قائمة بذاته تسمى حياة و علما و قدرة و إرادة و كلاما و سمعا و بصرا بها يقال فيه إنه حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير و جميع الأسماء من حيث معانيه أعني الأسماء الإلهية تندرج تحت هذه الصفات الأزلية القديمة القائمة بذات الحق و من النظار من جعل لكل اسم إلهي معنى معقولا يعقل منه أن ذلك المعنى قائم بذات الحق قديم أزلي و لو كان ما كان و بلغ ما بلغ من الأعداد و روينا عن أبي بكر القاضي الباقلاني أنه يقول بهذا غير أنهم اتفقوا بالنظر العقلي على إن الحوادث لا تقوم به فما أخلوا ذاته عن

حكم إما بنسب و إما بصفات و إما بمعاني أسماء ثم جاء الشرع و هو ما ترجمه الرسول ص و قال إنه كلام الله و أقام الدلالة على صدقه أنه من عند الله و أخبر أنه في كل ما ينطق عن الله ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ينزل به الروح الأمين على قلبه أو يلهمه الله إلهاما في نفسه بأنه تعالى على كذا و كذا من أمور وصف بها نفسه و ذكر عن ذاته أنها على ما أخبر بعبارات تعلم في العرف بالتواطؤ معانيها لا نشك في ذلك بأي لسان أرسل ذلك الرسول و أضاف تلك المعاني إلى نفسه و ذاته إنه عليها من يدين و أصبعين و يمين و أعين و معية و ضحك و فرح و تعجب و تبشبش و إتيان و مجيء و استواء و نزول و بصر و علم و كلام و صوت و أمثال ذلك من هرولة و حد و مقدار و رضي و غضب لأسباب حادثة من العبيد المكلفين فعلوها أغضبوا بها ربهم فقبل الغضب و وصف نفسه به و وصف نفسه بأن العبد إذا تصدق مثلا يطفئ بصدقته غضب الله عليه و هذا كله معقول المعنى مجهول لنسبة إلى الله يجب الايمان به على كل إنسان خوطب أو كلف به من عند الله و هذا كله خارج عن الدلالة العقلية إلا أن يتأول فحينئذ يقبله العقل فقبوله بالإيمان أولى لأنه حكم حكم به الحق على نفسه أنه كذا مع أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنفى عنا العلم بوجه النسبة إليه ما نفى الحكم بذلك عن نفسه و حكمه سبحانه بأمر على نفسه أولى بنا أن نقبله منه من حكم حكم به مخلوق و هو العقل عليه فما أعمى من اتبع عقله في حكمه بما حكم به على ربه و لم يتبع ما حكم به الرب على نفسه و أي عمى أشد من هذا و لا سيما و المترجم عن الله تعالى و هو الرسول ص قد نهى المكلفين أصحاب العقول أن يفكروا في ذات الله و أن يصفوها بنعت ليس في إخبار الله عن نفسه فعكسوا القضية و فكروا في ذات الله و حكموا بما حكموا به على ذاته تعالى و لما جاء إخباره إلينا بما هو عليه في ذاته أنكروا ذلك بعقولهم و ردوه و كذبوا الرسل و من صدقهم من هؤلاء جعلوا ذلك سياسة من حكيم عاقل لمصلحة الوقت و توفر الدواعي بالجمعية على إله هذه صفته تقريرا في النفوس القاصرة فإذا قرروا ذلك ظهروا للناس في العامة بالارتباط بتلك الصفات مثل ما هي العامة عليه و في أنفسهم خلاف ما ظهروا به و أما من أعطاه نظره وجود الرسول و صدقه فيما أخبر فغايته التأويل حتى لا يخرج عن حكم عقله على ربه فيما أخبر به عن نفسه فكأنه في تصديقه مكذب و أما أهل السلامة الذين لا نور عندهم إلا نور الايمان سلموا ذلك إلى الله على علم الله فيه مع الايمان و التحقيق لما تعطيه تلك العبارات من المعاني بالتواطؤ عليها في ذلك اللسان المبعوث به هذا الرسول و أما أهل الكشف و الوجود فآمنوا كما آمن هؤلاء ثم اتقوا الله فيما حد لهم و شرع فجعل لهم فرقانا فرقوا به بين نسبة هذه الأحكام إلى الله و نسبتها إلى المخلوق فعرفوا معانيها عن عيان و علم ضروري و إلى هنا انتهوا فانظر في تفاوت العقول في الأمر الواحد و اختلاف الطرق فيه لمن كان له عقل سليم و ألقى السمع لخطاب الحق و هو شهيد لمواقع الخطاب الإلهي على الشهود و الكشف فإذا تقرر ما ذكرناه و كان الأمر على ما شرحناه و بيناه فاعلم أن الله هو الظاهر الذي تشهده العيون و الباطن الذي تشهده العقول فكما أنه ما ثم في المعلومات غيب عنه جملة واحدة بل كل شيء له مشهود كذلك ما هو غيب لخلقه لا في حال عدمهم و لا في حال وجودهم بل هو مشهود لهم بنعت

الظهور و البطون للبصائر و الأبصا ر غير أنه لا يلزم من الشهود العلم بأنه هو ذلك المطلوب إلا بإعلام الله و جعله العلم الضروري في نفس العبد أنه هو مثل ما يجد لنائم إذا رأى صورة الرسول أو الحق تعالى في النوم فيجد في نفسه من غير سبب ظاهر أن ذلك المرئي هو الرسول إن كان الرسول أو الحق إن كان الحق و ذلك الوجد إن حق في نفسه مطابق لما هو الأمر عليه فيما رآه هكذا يكون العلم بالله فلا يدرك إلا هكذا إلا بتفكر و لا بنظر حتى لا يدخل تحت حكم مخلوق و إذا كان الأمر بهذه المثابة و أخبر عن نفسه أنه يتحول في الصور مع ثبوت هذه الأحكام حكمنا عليه بما يحكم به على الصور التي يتجلى فيها لعباده كانت ما كانت فليس ثم غيره و لا سيما في الموطن الذي يعلم من حقيقته أنه لا يمكن فيه دعوى في الألوهية إلا لله فلا نضرب له مثلا

سبحانه عز و جل فإنه عين المثل

حقيقته علي و جل و كلنا منه إذا

بالأمن منه و بجل إلا الذي بشره

ففعل ما يقتضيه الموطن فإن العالم بالأمور لا يزيد في الظهور على حكم ما يقضي به الوقت و لذلك قالت الطائفة في الصوفي إنه ابن وقته و هذا حكم الكمل من الرجال كما يقول رسول الله ص و هو الرءوف الرحيم في حق طائفة يوم القيامة سحقا سحقا فإذا زال ذلك الحال تلطف في المسألة و شفع فيمن هوت به الريح و هو قوة حكم هوى النفس في مكان سحيق فيقوم الحق في الحال الواحد بصفة الغضب و الرضي و الرحمة و العذاب لحكم الظاهر و الباطن و المعز و المذل فكأنه برزخ بين صفتيه فإنه ذو قبضتين و يدين لكل يد حكم و في كل قبضة قوم مثل الكتابين اللذين خرج بهما رسول الله ص على أصحابه و أخبرهم أن في أحدهما أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و عشائرهم و قبائلهم من حين خلق الله الناس إلى يوم القيامة و في الكتاب الآخر أسماء أهل النار و أسماء آبائهم و قبائلهم و عشائرهم من حين خلق الله الناس إلى يوم القيامة و لو كتب هذا بالكتابة المعهودة ما وسعت الأوراق مدينة فكيف أن يحيط بذلك كتابان في يدي الرسول ص فهذا من علم إدخال الواسع في الضيق من غير أن يوسع الضيق أو يضيق الواسع فمن شاهد هذه الأمور مشاهدة و حصلت له ذوقا فذلك هو العالم بالله و بما هو الأمر عليه في نفسه و عينه فإن الصحيح أن لشيء لا يدرك إلا بنفسه و ليس له دليل قاطع عليه سوى نفسه و البصر له الشهود و العقل له القبول و أما من طلب معرفة الأمور بالدلائل الغريبة التي ليست عين المطلوب فمن المحال أن يحصل على طائل و لا تظفر يداه إلا بالخيبة فأما المقربون فهم بين يدي الله في مقابلة الذات الموصوفة باليدين فإنهم لتنفيذ الأوامر الإلهية في الخلق في كل دار و أما أهل اليمين فليس لهم هذا التصريف بل هم أهل سلامة و براءة لما كانوا عليه و هم عليه من قوة الحكم على نفوسهم و قمعهم هواهم باتباع الحق و أما أهل اليد الأخرى الذين قيل فيهم إنهم أصحاب الشمال فنكسوا رءوسهم و منهم المقنع رأسه الذي لا

يرتد إليه طرفه بهتا لعظيم ما يرى فلا يرى طائفة من هؤلاء الثلاثة إلا ما يعطيه مقامها و منزلها و مكانها فتشهد كل طائفة من الله خلاف ما تشهده الأخرى و الحق واحد فلولا ما هو الأمر واحد الكثرة لما اختلف شهودهم فلولا الكثرة في الواحد لما كان الأمر إلا واحد إلا يقبل القسمة و قد قبل القسمة فالأصل كهو و هذا سبب وجود الدارين في الآخرة و الكفتين في الميزان و الرحمة المقيدة بالوجوب و المطلقة بالامتنان و تفاضل المراتب في الدرجات في الجنان و الدركات في النار

بمثل هذا تشهد الأمور فليس إلا الواحد الكثير

حقا بلا شك له النذير فانظر إذا ما جاءك الغرور

تضيق من سماعه الصدور و كل ما تقوله فزور

فإذا تجلى الحق في صفة الجبروت لمن تجلى من عباده فإن كان المتجلي له ليس له مدبر غير الله كجبل موسى تدكدك لتجليه فإنه ما فيه غير نفسه و إن كان له مدبر قد جعله الله له كتدبير النفوس الناطقة أبدانها لم تتدكدك أجسامها لكن أرواحها حكم فيها ذلك التجلي حكمه في الجبل فبعد إن كان قائما بتدبير الجسد زال عن قيامه فظهر حكم الصعق في جسد موسى و ما هو إلا إزالة قيام المدبر له خاصة كما زال الجبل عن وتديته فثبت في نفسه و لم يثبت غيره فإن الجبل ما وضعه الله إلا ليسكن به ميد الأرض فزال حكمه إذا زالت جبليته كما زال تدبير الروح لجسد صاحب الصعق إذ زال قيامه به فأفاق موسى بعد صعقه و لم يرجع الجبل إلى وتديته لأنه لم يكن هناك من يطلبه لوجود العوض هو غيره من الجبال و هذا الجسد الخاص ما له مدبر مخلوق سوى هذا الروح فطلب الجسم من الله بالحال مدبره فرده الله إليه فأفاق فالنشأة الطبيعية تحفظ التدبير على روحها المدبر لها لأنها لا غنى لها عن مدبر يدبرها و الأرض لا تحفظ وتدية جبل عليه معين لاستغنائها عنه بأمثاله لكن لا غنى لها عن المجموع إذا طلب السكون فهذا سبب علة إفاقة موسى و عدم رجوع الوتدية للجبل فالجبال مخلوقة بالأصالة صفة الرحمة و اللطف و التنزل فظهرت ابتداء بصورة القهر حيث سكنت ميد الأرض فكانت رحمتها في القهر فلا تعرف التواضع فإنها ما كانت أرضا ثم صارت جبالا فأول جبل أنزله الله عن قهره و جبروته بالحجاب الذي كان الحق احتجب عنه حجاب شهود لا حجاب علم جبل موسى بالتدكدك فصار أرضا بعد ما كان جبلا فهو أول جبل عرف نفسه ثم بعد ذلك في القيامة تصير الجبال دكا دكا لتجلى الحق إذا كانت كالعهن المنفوش فمد الأرض إنما هو مزيد امتداد الجبال و تصييرها أرضا فما كان منها في العلو في الجو إذا انبسط زاد في بسط الأرض و لهذا جاء الخبر أن الله يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم فشبه مدها بمد الأديم و إذا مد الإنسان الأديم فإنه يطول من غير أن يزيد فيه شيء لم يكن في عينه و إنما كان فيه تقبض و نتوء فلما مدا نبسط عن قبضه و فرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الأرض و رفع المنخفض منها حتى بسطة فزاد فيها ما كان من طول من سطحها إلى القاع منها كما يكون في

الجلد سواء فلا ترى في الأرض عِوَجاً وَلا أَمْتاً فيأخذ البصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع و انخفاض ليرى الخلق بعضهم بعضا فيشهدوا حكم الله بالفصل و القضاء في عباده لوجود الصفتين و حكم القدمين من الظاهر و الباطن

و لو لا بطون الحق ما قام برهان   فلو لا ظهور الحق ما كان إنسان
إذا ما علمت الأمر ما ثم إمكان   فما ثم إلا واجب ثم واجب
و هذا الذي سماه في الكون إنسان   فما أكمل في الكون من عين ذاته
هو الحق لا يحجبك خلد و نيران   و ما ثم مقصود سواه فإنه
له غضب يبديه و وقتا و رضوان   فإن الذي أبداه أعلم أنه
و دار عذاب فيه للعقل تبيان   فلا بد من دارين دار كرامة
هو الحق إن فكرت ما فيه بهتان   و هذا الذي جئنا به في كلامنا

و كيف لا تعرف هذا من نفس ما نطقت به و ترجمت عنه

فما أفوه به عنه و قيدني   و قد علمت بأن الحق أيدني
على الدوام و تهواني فتقصدني   به فلا تبرح الأرواح تنزل بي
بها يرى نفسه من كان يشهدني   و ذاك أن لنا عينا مكملة
فكل ما فيه منه حين يوجدني   لذاك أوجدني ربي و خصصني
في كل حال إله الحق يسعدني   و انظر إلي ترى في صورتي عجبا
أمر وجدت إلهي فيه يعضدني   إذا هممت بأمر لا يقاومه
و الحق حين يراني بي يوحدني   فكل عقل يرى ربي يوحده
و بالوصول إليه الحق يفردني   فالله يعلم ما في الغيب من عجب

و في هذا المنزل من العلوم ما في الكتب الأربعة و هي القرآن و التوراة و الإنجيل و الزبور و فيه علم ما سبب إنزال الكتب و ما نزل إلا كلام على الرسل و كتب عن الرسل في الكتب و إنما نزل كتابة إلى السماء الدنيا فيما نقل و ذلك ليلة القدر موافقة ليلة النصف من شعبان ثم نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ على قلب محمد ص منجما في ثلاث و عشرين سنة أو في عشرين سنة على الخلاف و فيه علم تسمية الترجمة انزالا و تنزيلا و فيه علم من كشف

عنه الغطاء حتى شاهد الأمر على ما هو عليه هل هو مخاطب بالآداب السمعية أو يقتضي ذلك المقام الذهول و ذهاب عقل التكليف فيبقى بلا رسم مع المهيمن من الملائكة و فيه علم الوصايا و الآداب و أحوال المخاطبين و المطرفين و فيه علم حفظ الجوار على الجار و هل الجار إذا انتهك حرمة جاره هل يجازيه جاره بمثل ما أتى به أو يكون مخاطبا بحفظ الجوار و لا يجازيه بالإساءة على إساءته و فيه علم حال الموصوف بأنه يأمر بمكارم الأخلاق و منها العفو و الصفح و تفريج الكرب بضمان التبعات لما هو عليه من الغني في الأداء عنه ثم بعد ذلك يعاقب و العفو مندوب إليه و الضمان أيضا مندوب إليه فبأي صفة تكون العقوبة ممن هذا نعته و فيه علم الفرق بين الأمر و صفته و فيه علم ما حرم من الزينة و ما أبيح منها و ما حظر منها و موطن كل زينة و فيه علم الفرق بين الخبيث و الطيب و فيه علم مرجع الدرك في الدار الآخرة على من يكون إذا كان في ضمنه شخصان الواحد مفلس و الآخر موسر و فيه علم الثناء و تفاصيله بالأحوال و فيه علم مخاطبة الموتى بعضهم بعضا في حال موتهم و هل حالهم بعد الموت مثل حالهم قبل الإيجاد أم لا و فيه علم الموت و ماهيته و فيه علم الفصل بين القبضتين و فيه علم التكليف يوم القيامة و قبل دخول الجنة و فيه علم العلامات في السعداء و الأشقياء و من لا علامة له لأي فريق يكون و فيه علم من حلف على شيء أكذبه الله و قد ورد من يتألى على الله يكذبه و فيه علم ما السبب الموجب للمنعوت بالكرم إذا سأله المضطر المحروم و هو قادر على مواساته و بذله ما سأله بذله فلم يفعل و بما ذا يعتذر و ما صفة هذا السائل المرحوم و فيه علم أولاد الليل و النهار بما ذا يفرق بينهم و فيه علم سباحة عالم الأنوار و فيه علم قيام العبد بالصفتين المتضادتين و هو محمود عند الله عز و جل في الحالين و فيه علم كون الرحمة قد وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ثم وصفت بالقرب من بعض الأشخاص لصفات قامت به فهل هي هذه الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أو رحمة أخرى و فيه علم من أسعده الله على كره منه في السعادة و هو في علم الله سعيد و فيه علم قول الأعمى للبصير ما لك أعمى لا تبصر شيئًا أما تراني أبصر الظلمة و أنت لا تراها و تزعم أنك تبصر و فيه علم الاعتبار و علم الإمكان و الممكنات و علم السيمياء و علم الورث و الوارثين و علم الدلالات على الوقائع و علم التشبيه و علم الغيرة و فيه علم الشوق و الاشتياق و فيه علم التوبة ما هي و تقاسيمها و التائبين و فيه علم كل شيء و فيه علم الذوق و فيه علم تأثير الأحوال و فيه علم التقييد و الإطلاق و فيه علم رفع الأثقال و فيه علم الاختصاص و فيه علم تقاسيم العلوم و فيه علم المراتب و فيه علم تبديل الشرائع و نسخ بعضها بعضا و فيه علم الخلف و الخلف بسكون اللام و فتحها و فيه علم التهويل و التخويف من غير إيقاع ما يخوف به و فيه علم العهود و المواثيق البرزخية و فيه علم التسليم و فيه علم الاستدراج و إظهار البعد في عين القرب و ما صفة من يعرف ذلك و فيه علم أوقات الموقتات و فيه علم ما يعطيه العلم الذي يقتضي العمل من العمل فإنه من المحال أن يكون علم يعطي العمل قيامه بصاحبه و لا يعمل و لا يجوز ذلك كثير من الناس و هم فيه على غلط فالعلم يقتضي العمل و لا بد و فيه علم الشركة في الأسماء و ما يؤثر و فيه علم العجز و حيث ينفع و يكون دليلا و فيه علم منافع الأعضاء و فيه علم ما يدفع به الخاطر

الشيطاني و النفسي من الإنسان و فيه علم مراتب السجود في الساجدين و ما الذي أسجدهم و ما السجود الذي لا رفع بعده لمن سجده وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل الأمة البهيمة و الإحصار و الثلاثة الأسرار العلوية و تقدم المتأخر و تأخر المتقدم من الحضرة الإلهية»

يطير العارفون إلى المسمى بأجنحة الملائكة الكرام
إلى ذات الذوات بغير نعت فترجعهم بأرواح الأسامي
فتكمل ذاتهم من كل وجه من الحال المنزه و المقام
و شاهد حالهم يبدو فيقضي فكلهم إمام عن إمام

اعلم أيدنا الله و إياك أن البهائم أمم من جملة الأمم لهم تسبيحات تخص كل جنس و صلاة مثل ما لغيرها من المخلوقات فتسبيحهم ما يعلمونه من تنزيه خالقهم فلهم نصيب في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أما صلاتهم فلهم مع الحق مناجاة خاصة قال تعالى وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ و قال وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ و هي ما شرع الله لها من السبل أن تسلكها ذللا فكل شيء من المخلوقات له كلام يخصه يعلمه الله و يسمعه من فتح الله سمعه لإدراكه و جميع ما يظهر من الحيوان من الحركات و الصنائع التي لا تظهر إلا من ذي عقل و فكر و روية و ما يرى في ذلك من الأوزان تدل على إن لهم علماء في أنفسهم بذلك كله ثم يرون منهم أمورا تدل على أنهم ما لهم ما للإنسان من التدبير العام فتعارضت عند الناظرين في أمرهم الأمور فانبهم أمرهم عليهم و ربما سموا لذلك بهائم من إبهام الأمر إلا عندنا فإنه أوضح من كل واضح و ما أتى علي من أتى عليه إلا من عدم الكشف لذلك فلا يعرفون من المخلوقات إلا قدر ما يشاهدونه منهم و كذلك من ألحقهم بدرجة المعارف و العلم بالله و بما أهلهم الله له ما ألحقهم بذلك إلا من كون الله كشف له عن أمرهم و أحوالهم أو مؤمن صادق الايمان قد بلغه عن الله في كتاب أو سنة أمرهم و ساعدنا على هذا القول شيخنا و إمامنا المتقدم حجة الله على المحققين الذي يقول فيه أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب إذا حكى عنه قولا قال عالمنا سهل بن عبد الله التستري الذي رأى قلبه يسجد و هو صغير فلم يرفع و استظهر القرآن و هو ابن ست سنين و لما دخلت الخلوة على ذكره فتح لي به من ليلتي تلك الفتح الخاص بذلك الذكر فانكشف لي بنوره ما كان عندي غيبا ثم أفل ذلك النور المكاشف به فقلت هذا مشهد خليلي فعلمت أني وارث من تلك الساعة لملة أمر الله رسوله و أمرنا باتباعها و ذلك قوله مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ و تحققت أبوته و بنوتي و قد كان شيخنا صالح البربري بإشبيلية قد قال لي يا ولدي إياك

أن تذوق الخل بعد العسل فعلمت مراده وكان من أكبر من رأيته من المنقطعين إلى الله تعالى بل المقتطعين ما رأيت على قدمه مثله فجئت الشيخ بكرة وقلت له ما كان في منظوم نظمته إلهي لا عن روية ولا تعمل كما قال أبو العباس بن العريف الصنهاجى

وجاء حديث لا يمل سماعه   شهى إلينا نثره ونظامه

وكان النظم الذي عملته في حالي

فمضى المصباح عني و أفل   كان مثل الخل من بعد العسل
أورثت في القلب أسباب العلل   و بدت ظلمة ليل حالك
تبتغيه قلت نورا بعمل   قلت ربي قال لبيك فما
قال باب مغلق قلت أجل   علم الحق الذي قد قلته
فبدا النور بلا ضرب مثل   قلت هب لي نورك الخالص لي
بين هذين إلى غير أجل   في سمائي ثم أرضي ثم ما
إنني الأمر الذي منه نزل   و الذي يفهم قولي قد دري

فسر الشيخ بهذا النفس و قال هذا من تجلى الغلس قلت له صدقت كذلك كان قال الحمد لله المنعم على كل حال لو علم الناس النعمة السارية في الأحوال ما فرقوا بين السراء و الضراء و اتحد الحمد قلت له بل توحد فقال صدقت يا ولدي و أخطأ الشيخ فقبلت يده و قبل رأسي

فالق إليه السمع إن كنت مؤمنا   إذا الصادق الداعي أتاك مبينا
إلى مسعدي سرا أقول و معلنا   و قلت رسول الله أنت وسيلتي
فإني علمت الأمر علما مبينا   و لست بإيماني به مترددا
يكون لنا يوم القيامة موطنا   بكشف أتاني من إلهي بمشهد
فما ثم إلا الله فالعلم علمنا   فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ و من شاء فليدع
فإن قلت من هذا يقول أنا أنا   إذا قلت يا الله لي من الحشا
و ذلك نعت لا يكون لغيرنا   أنا الواهب المحسان في كل حالة
به رسلنا فالقول منا بنا لنا   و ما ثم غير بل أقول بما أتت

أخاطبه غيري فعينك عيننا وليس رسولي غير نعتي ولا الذي

فكل شيء في العالم يقال فيه عند أهل النظر و في العامة إنه ليس بحي و لا حيوان فإن الله عندنا قد فطره لما خلقه على المعرفة به و العلم و هو حي ناطق بتسبيح ربه يدركه المؤمن بإيمانه و يدركه أهل الكشف عينا و أما الحيوان ففطره الله على العلم به تعالى و نطقه بتسبيحه و جعل له شهوة لم تكن لغيره من المخلوقات ممن تقدم ذكره آنفا و فطر الملائكة على المعرفة و الإرادة لا الشهوة و أمرهم و أخبر أنهم لا يعصونه لما خلق لهم من الإرادة و لولا الإرادة ما أثنى عليهم بأنهم لا يعصونه وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و فطر الجن و الإنس على المعرفة و الشهوة و هو تعلق خاص في الإرادة لأن الشهوة إرادة طبيعية فليس للانس و الجن إرادة إلهية كما للملائكة بل إرادة طبيعية تسمى شهوة و فطرهما على العقل لا لاكتساب علم و لكن جعله الله آلة للانس و الجن ليردعوا به الشهوة في هذه الدار الآخرة و لذلك قال في الدار الآخرة لأهل الجنان وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ أعلاما لنا بأن النشأة الآخرة التي ينشئنا فيها طبيعية مثل نشأة الدنيا لأن الشهوة لا تكون إلا في النفوس الطبعية و النفوس الطبعية ما لها نصيب في الإرادة فإذا استفاد الإنسان أو الجان علما من غير كشف فإن ذلك مما جعل الله فيه من قوة الفكر فكل ما أعطاه الفكر للنفس الناطقة و كان علما في نفس الأمر فهو من الفكر بالموافقة فالعلوم التي في الإنسان إنما هي بالفطرة و الضرورة و الإلهام و الكشف الذي يكون له إنما يكشف له عن العلم الذي فطره الله عليه فيرى معلومه و أما بالفكر فمحال الوصول به إلى العلم فإن قيل من أين علمت هذا و ما هو من مدركات الحس فلم يبق إلا النظر قلنا ليس كما تقول بل بقي الإلهام و الإعلام الإلهي فتتلقاه النفس الناطقة من ربها كشفا و ذوقا من الوجه الخاص التي لها و لكل موجود سوى الله فالفكر الصحيح لا يزيد على الإمكان و ما يعطي إلا هو و هذا من علم الله و إعلامه لم يدرك ذلك بالفكر كان ابن عطاء راكبا على جمل فغاصت رجل الجمل فقال ابن عطاء جل الله فقال الجمل جل الله يزيد عن إجلالك فكان الجمل أعلم بالله من ابن عطاء فاستحى ابن عطاء فهذا من علم البهائم بالله و أما رسول الله ص فإنه ذكر في الصحيح أن بقرة في زمن بنى إسرائيل حمل عليها صاحبها فقالت ما خلقت لهذا و إنما خلقت للحرث فقالت الصحابة أ بقرة تكلم فقال رسول الله ص آمنت بهذا أنا و أبو بكر و عمر و ذلك أن الروح الأمين أخبره فلو عاينها رسول الله ص لما قال آمنت فهذه بقرة من أصناف الحيوان قد علمت ما خلقت له و الإنس و الجن خلقوا ليعبدوا الله و ما علموا ذلك إلا بتعريف الله على لسان الرسول و هو في فطرتهم و لكن ما كشف لهم عما هم عليه و مر بعض أهل الله على رجل راكب على حمار و هو يضرب رأس الحمار حتى يسرع في المشي فقال له الرجل لم تضرب على رأس الحمار فقال له الحمار دعه فإنه على رأسه يضرب فهذا حمار قد علم ما تئول إليه الأمور بالفطرة لا بالفكرة فانظر يا محجوب أين مرتبتك من مرتبة البهائم البهائم تعرفك و تعرف ما يؤول إليه أمرك و تعرف ما خلقت له و أنت جهلت هذا كله و مع هذا فالبهائم في الحيرة في الله و هم مفطورون عليها إقامتها المقام الذي يصل إليه أهل النظر الصحيح في الله و أهل التجلي و لذلك قال الله فيمن لم يعرف الله إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ

يعني في الضلال الذي هو الحيرة ثم قال بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا و السبيل الطريق فزاد و إضلالا أي حيرة في الطريق التي يطلبونها للوصول إلى معرفة ربهم من طريق أفكارهم فهذه حيرة زائدة على الحيرة في الله و كذلك قال فيهم حيثما قال إنما جعل الزيادة في السبيل و ليس إلا الفكر و التفكر فيما منع التفكر فيه و هو النظر في ذات الله فقال وَمن كانَ في هذِهِ أَعْمى و هو حال الجهل بالله كما هو في نفس الأمر من حيث الذات فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى كما هو في الدنيا ثم زاد فقال وَأَضَلُّ سَبِيلًا و هو الطريق و لذلك قال عمرو بن عثمان المكي في صفة المعرفة و العارفين و كما هم اليوم كذلك يكونون غدا فاعلم إن كنت تفهم تشبيه الله أهل الضلال بالأنعام إنه تعالى ما شبههم بالأنعام نقصا بالأنعام و إنما وقع التشبيه في الحيرة لا في المحار فيه فلأشد حيرة في الله من العلماء بالله و لذلك ورد عن رسول الله ص أنه قال لربه زدني فيك تحيرا لما علم من علو مقام الحيرة لأهل التجلي لاختلاف الصور و تصديق هذا الحديث قوله لا أحصي ثناء عليك أنت كما ثنيت على نفسك و قد علمنا ما أثنى الله به على نفسه من بسط يديه بالإنفاق و فرحه بتوبة عبده و غير ذلك من أمثاله و من لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و قول رسول الله ص لو يعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا فانظر في تنبيهه ص على حسن استعدادهم و سواء استعدادنا حتى أنه من كان بهذه المثابة من الفكرة في الموت فغايته أن يحصل له استعداد البهائم و هو ثناء على من حصل في هذا المقام و ارتفاع في حقه و كيف ينظر البهائم دون الإنسان في الاحتقار و غاية الثناء عليك من الله أن تشاركها في صفتها فاشحذ فؤادك وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإن لله في خلقه أسرارا و لذلك خَلَقَكُمْ أَطْواراً و اعلم أن البهائم و إن كانت مسخرة مذللة من الله للإنسان فلا تغفل عن كونك مسخرا لها بما تقوم به من النظر في مصالحها في سقيها و علفها و ما يصلح لها من تنظيف أماكنها و مباشرة القاذورات و الأزبال من أجلها و وقايتها من الحر و البرد المؤذيات لها فهذا و أمثاله من كون الحق سخرك لها و جعل في نفسك الحاجة إليها فإنها التي تحمل أثقالك إلى بلد لم تكن تبلغه إلا بنصف ذاتك و هو شق الأنفس أي ما كنت تصل إليه إلا بالوهم و التخيل لا بالحس إلا بوساطة هذه المراكب فلا فضل لك عليها بالتسخير فإن الله أحوجك إليها أكثر مما أحوجها إليك ألا ترى إلى غضب رسول الله ص حين سئل عن ضالة الإبل كيف قال ما لك و لها معها حذاؤها و سقاؤها ترد الماء و تأكل الشجر حتى يجدها ربها فما جعل لها إليك حاجة و جعل فيك الحاجة إليها و جميع البهائم تفر منك ممن لها آلة الفرار و ما هذا إلا لاستغنائها عنك و ما جبلت عليه من العلم بأنك ضار لها ثم طلبك لها و بذل مجهودك في تحصيل شيء منها دليل على افتقارك إليها فبالله من تكون البهائم أغنى منه كيف يحصل في نفسه أنه أفضل منها صدق القائل ما هلك امرؤ عرف قدره فو الله ما يعرف الأمور إلا من شهدها ذوقا و عاينها كشفا

لا يعرف الشوق إلا من يكابده   و لا الصبابة إلا من يعانيها

ما وصل إليك خبر الفيل و حبسه و امتناعه من القدوم على خراب بيت الله ما بلغك ما فعلت الطير بأصحاب الفيل و ما رمتهم به من الحجارة التي لها خاصية في القتل دون غيرها من الأحجار أ ترى يصدر ذلك منها من غير وحي إلهي إليها بذلك فكم من فيل كان في العالم و كم من أصحاب غزاة كانوا في العالم لما ظهر مثل هذا الأمر في هؤلاء و ما ظهر في غيرهم و هل يوحي الله إلى من لا يعقل عنه و هل قال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ هل ذلك إلا ليفهموا لتقوم عليهم الحجة إذا خالفوا أو يعملوا بما فهموا فيسعدوا هل سمعت في النبوة الأولى و الثانية قط إن حيوانا أو شيئا من غير الحيوان عصى أمر الله أو لم يقبل وحي الله أين أنت من فرار الحجر بثوب موسى ع حتى بدت لقومه سوأته ليعلموا كذبهم فيما نسبوه إليه فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا أ ترى فرار الحجر هل كان عن غير أمر الله إياه بذلك أ ترى إباية السموات و الأرض و الجبال عن حمل الأمانة و إشفاقهم منها عن غير علم بقدر الأمانة و ما يؤول إليه أمر من حملها فلم يحفظ حق الله فيها و علمهم بالفرق بين العرض و الأمر فلما كان عرض تخيير احتاطوا لأنفسهم و طلبوا السلامة و لما أمرهم الحق تعالى بالإتيان فقال للسماء و الأرض ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ طاعة لأمر الله و حذرا أن يؤتى بهما على كره أ ترى لو نزل القرآن على جبل فخشع و تصدع من خشية الله أ ترى ذلك منه عن غيره علم بقدر ما أنزل الله عليه و ما خاطب به من التخويفات التي تذوب لها صم الجبال الشامخات كم بين الله و رسوله لنا ما هي المخلوقات عليه من العلم بالله و الطاعة له و القيام بحقه و لا نؤمن و لا نسمع و نتناول ما ليس الأمر عليه لنكون من المؤمنين و نحن على الحقيقة من المكذبين و رجحنا حسنا على الايمان بما عرفنا به ربنا لما لم نشاهد ذلك مشاهدة عين و اعلم أنه من علم إن الموجودات كلها ما منها إلا من هو حي ناطق أو حيوان ناطق المسمى جمادا أو نباتا أو ميتا لأنه ما من شيء من قائم بنفسه و غير قائم بنفسه إلا و هو مسبح ربه بحمده و هذا نعت لا يكون إلا لمن هو موصوف بأنه حي و من كان مشهده هذا من الموجودات استحى كل الحياء في خلوته التي تسمى جلوة في العامة كما يستحي في جلوته فإنه في جلوة أبدا لأنه لا يخلو عن مكان يقله و سماء تظله و لو لم يكن في مكان لأستحى من أعضائه و رعية بدنه فإنه لا يفعل ما يفعل إلا بها فإنها آلاته و أنه لا بد أن تستشهد فتشهد و لا يستشهد الله إلا عدلا فصاحب هذه الحال لا يصح أن يكون في خلوة أبدا و من كان هذا حاله فقد لحق بدرجة البهائم و الدليل على ذلك

أن رسول الله ص قد ذكر عنه في الصحيح أنه قال إن للميت جؤارا أو إن السعيد منهم يقول قدموني قدموني يعني إلى قبره و إن الشقي منهم يقول إلى أين تذهبون بي و أخبر ص أن كل شيء يسمع ذلك منه إلا الإنس و الجن فدخل تحت قوله كل شيء مما يمر عليه ذلك الميت من جماد و نبات و حيوان و ثبت أن رسول الله ص كان راكبا على بغلة فمر على قبر داثر فنفرت البغلة فقال إنها رأت صاحب هذا القبر يعذب في قبره فلذلك نفرت و قار في ناقته لما هاجر و دخل المدينة ترك زمامها فأراد بعض الصحابة أن يمسكها فقال دعوها فإنها مأمورة و لا يؤمر إلا من يعقل الأمر حتى بركت بنفسها بفناء دار أبي أيوب الأنصاري فنزل به و قال في الصحيح أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب و يابس و هذا كله مباين لكل

شيء و لا يشهد هذا من الإنس و الجن إلا أفراد من أفراد هذين النوعين فإن الجن يجتمعون مع الإنس في الحد فإن الجن حيوان ناطق إلا أنه اختص بهذا الاسم لاستتاره عن أبصار الإنس غالبا فهم مع الإنس كالظاهر من الإنسان وحده مع باطنه و لذلك قال تعالى في غير هذين النوعين وَما من دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ و الأمثال هم الذين يشتركون في صفات النفس فكلهم حيوان ناطق ثم قال تعالى فيهم ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعني كما تحشرون أنتم و هو قوله تعالى وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ للشهادة يوم الفصل و القضاء ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا فيأخذ للجماء من القرناء كما ورد و هذا دليل على أنهم مخاطبون مكلفون من عند الله من حيث لا نعلم قال تعالى وَإِنْ من أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ فنكر الأمة و النذير و هم من جملة الأمم و نذيرهم قد يكون لكل واحد منهم نذير في ذاته و قد يكون للنوع من جنسه لا بد من ذلك من حيث لا يعلمه و لا يشهده إلا من أشهده الله ذلك كما قال في الشيطان إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ من حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ و ذكر أنهم يوحون إلى أوليائهم ليجادلونا و يظن المجادل الذي هو ولي الشيطان إن ذلك من نفسه و من نظره و علمه و هو من وحي الشيطان إليه يعرف ذلك أهل الكشف عينا و يسمعونه بآذانهم كما يسمعون كل صوت و ما من حيوان إلا و يشهد ذلك و لذلك أخرسهم الله عن تبليغ ما يشهدونه إلينا فهم أمناء بصورة الحال في حقنا و لا يكشف الله لأحد من النوع الإنساني ما يكشفه للبهائم مما ذكرناه إلا إذا رزقه الله الأمانة و هي أن يستر عن غيره ما يراه من ذلك إلا بوحي من الله بالتعريف فإن الله ما أخذ بأبصار الإنس و بأسماعهم في الأكثر و بالفهم في أصوات هبوب الرياح و خرير المياه و كل مصوت إلا ليكون ذلك مستورا فإذا أفشاه هذا المكاشف فقد أبطل حكمة الوضع إلا أن يوحى إليه بالكشف عن بعض ذلك فحينئذ يعذر في الإفشاء بذلك القدر و في هذا المنزل من العلوم علم ثناء الرحماء و علم من أظهر الشريك و هو لا يعتقده كما أنه من الموحدين من ينفي الشريك و هو يعتقده و هو الذي يرى أن من الأسباب من يفعل الشيء لذاته و الموحد في الأفعال يرى أنه لا فاعل إلا الله كمن يقول إذا اجتمع الزاج و العفص و ارتفعت الموانع الطبيعية فإنه لا بد من السواد الذي هو المداد مع كونه موحدا و الموحد من يرى إيجاد السواد لله كالأشاعرة و أمثالهم و إن الإمكان يقضي أن يكون اجتماعهما مع ارتفاع الموانع الطبيعية و لا يكون سواد إلا إن خلق الله ذلك للون فيه هذا في الطبيعيين و أما في المتكلمين الموحدين فإنهم يقولون إن الناظر إذا عثر على وجه الدليل فإن المدلول يحصل ضرورة مع تفريقهم بين وجه لدليل و المدلول و هذا لا يصح عند السليم العقل فإنه يحصل وجه الدليل و لا يحصل المدلول و لا يتمكن لهم أن يقولوا إن وجه الدليل هو عبارة عن حصول المدلول فإنهم يفرقون بين وجه الدليل و المدلول فلو زادوا مع ضرورة عادة لا عقلا لم يعترض عليهم فإنه لا فرق بين وجه الدليل و الرؤية في الرائي بل الرؤية أتم و نحن نعلم بالإيمان أن الله قد أخذ بأبصارنا مع وجود الرؤية فينا عن كثير من المبصرات لغيرنا فلم يحصل المرئي ضرورة مع وجود الرؤية و ارتفاع الموانع التي تقدح في هذه النشأة الطبيعية فيرى الإنسان الواحد ما لا يراه الآخر مع حضور المرئي لهما و اجتماعهما في سلامة حاسة البصر فهذا حجاب إلهي ليس للطبيعية و لا للكون فيه أثر و هذا كثير فكم من مشرك في

الظاهر موحد في الباطن و بالعكس و فيه علم الآجال ما يعلم منها و ما لا يعلم و فيه علم كينونية الله في أينيات مختلفات بذاته و مثل ذلك مثل البياض في كل أبيض إن فهمت فإن الله تعالى ما ذكر عن نفسه حكما فيه لا يكون له مثل في الموجودات لأنه لو ذكر مثل هذا لم تحصل فائدة التعريف غير أنه يدق على بعض الأفهام فمن ظهر له الموجود الذي له عين ذلك الحكم علمنا أنه المخاطب من الله بذلك الحكم لا غيره كما قال تعالى لَخَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ من خَلْقِ النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فبعض الناس قد علم ما أراد بالكبر هنا و بعضهم لا يعرف ذلك فالذي عرف ذلك هو المخاطب بهذه الآية و هكذا في كل خطاب حتى في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خاطب به من يعلم نفي المثلية في الأشياء و فيه علم عموم تعلق العلم الإلهي بالمعلومات و من علم منا حصر المعلومات في واجب و محال و ممكن في نفس الأمر قد عم من وجه كلي و بقي الفصل بين العلماء في نفس الأمر المحكوم عليها بأحد هذه الأحكام و فيه علم ما يأتي من الممكنات و هي كلها آيات فيعرض عن النظر في كونها آية من يعرض ما السبب في إعراض واحد و عدم إعراض آخر في ذلك و فيه علم من يشكك نفسه فيما قد تبين له ما السبب الذي يدعوه إلى ذلك التشكيك و فيه علم من أي حقيقة إلهية خلق الله الالتباس في العالم هل كان ذلك لكونه يتجلى لعباده في صور مختلفة تعرف و تنكر مع أنه تعالى في نفسه على حقيقة لا تتبدل و لا يكون التجلي إلا هكذا فما في العالم إلا التباس و ذلك لكون الشارع قد أخبر أن المؤمن يظهر بصورة الكافر و هو سعيد و الكافر يظهر بصورة المؤمن و هو شقي فلا يقطع على أحد بسعادة و لا بشقاء لالتباس الأمر علينا فهذا عندنا ليس بالتباس و إنما الالتباس أن نقطع بالشقاء على السعيد و بالسعادة على الشقي حينئذ يكون الأمر قد التبس علينا و أما إذا لم نقطع فما التبس علينا شيء و فيه علم إن الحكم للرحمة يوم القيامة و أن العدل من الرحمة و يوم القيامة يوم العدل في القضاء و إنما تأتي الرحمة في القيامة ليشهد الأمر حتى إذا انتهى حكم العدل و انقضت مدته في المحكوم عليه تولت الرحمة الحكم فيه إلى غير نهاية و فيه علم ما هو لله و ما هو للخلق و أعني بما هو لله أنه مخلص و فيه علم الوصف الخالص بالله الذي لا يشركه فيه من ليس بآلة و فيه علم لم تعددت الأسماء الإلهية باختلاف معانيها فهل هي أسماء لما تحتها من المعاني أو هي أسماء لمن نسبت إليه تلك المعاني و هل تلك المعاني أمور وجودية أو نسب لا وجود لها و فيه علم الإنصاف و العدل في القضايا و الحكومات و فيه علم ما يغني من الاستحقاق بعد انقضاء مدة حكمه و ما معنى الفلاح في القضايا و الحكومات و فيه علم ما يغني من الاستحقاق بعد انقضاء مدة حكمه و ما معنى الفلاح فيه نفيه عن المستحق بالعقوبة و فيه علم جحد المشرك الشريك هل له في ذلك وجه إلى الصدق أو هو كاذب من كل وجه و ذلك أن القائل في الحقيقة ليس غير الله فلا بد أن يكون له وجه إلى الصدق من هناك ينسب أنه قول الله و إن ظهر على لسان المخلوق فإن الله قاله على لسان عبده و قد ورد عن الرسول ص في الصحيح أن الله يقول على لسان عبده و نطق القرآن بذلك فعين كلام الترجمان هو كلام المترجم عنه و فيه علم ما تعطيه الأحوال فيمن قامت به من الأحكام و فيه علم ما ينتجه القطع بوقوع أحد الممكنين من غير دليل و فيه علم ما يسخطه العارف الذي له

الكشف من فعل الحق مما لا يسخطه و السخط من عمل الباطن حتى لو لم يقم به سخط في باطنه و أظهر السخط كان حاله إلى النفاق أقرب من حاله إلى الايمان و فيه علم الحث على النفاق هل يناقض التسليم و إذا اجتمع صاحب تسليم و صاحب مدا راة أي الرجلين اعلم و فيه علم السبب المانع للسامع إذا نودي و لم يجب هل يقال إنه سمع أو يقال فيه إنه لم يسمع و فيه علم الظلمة و هو العمي و الضلال و هو الحيرة و فيه علم عموم الحشر لكل ما ضمنته الدار الدنيا من معدن و نبات و حيوان و إنس و جان و سماء و أرض و فيه علم السبب الذي يدعو إلى توحيد الحق سبحانه و لا يتمكن معه إشراك و هل له حكم البقاء فيبقى حكم التوحيد أو لا بقاء له أو يبقى في حق قوم دون قوم و فيه علم عموم الايمان و لهذا يكون المال إلى الرحمة التي لا يرحم الله إلا المؤمنين فإنه من الرحمة حكم عموم الايمان و فيه علم البوادة و الهجوم و له باب في الأحوالمن هذا الكتاب و فيه علم من تكلف العلم و ليس بعالم فصادف العلم هل يقال فيه إنه عالم أم لا و فيه علم الحب لله و البغض لله هل للذي بغض لله وجه يحب فيه لله كما له من الله وجه يرزقه به على بغضه فيه و فيه علم فائدة التفصيل في المجمل و فيه علم فطرة الإنسان على العجلة في الأشياء إذا كان متمكنا منها و فيه علم الغيوب و ما يعلم منها و ما لا يعلم منها و الأسباب المجهولة مسبباتها من حيث إنها لهذه الأسباب مع العلم بها و بأسبابها إلا من حيث إنها أسباب لها و فيه علم الله شخصيات العالم و فيه علم الوفاة و البعث في الدنيا و علم الوفاة التي يكون البعث منها في الآخرة و الانتقال إلى البرزخ في الموتتين و فيه علم مراتب الأرواح الملكية في عباداتهم و فيه علم عموم نجاة العالم المشرك و غير المشرك و هو علم غريب مخصوص عليه في القرآن و لا يشعر به و فيه علم السبب الموجب لترك الفعل من القادر عليه و فيه علم لكل اسم مسمى و لا يلزم من ذلك وجود المسمى في عينه و أي مرتبة تعم جميع المعلومات بالوجود سواء كان المعلوم محال الوجود أو لا يكون و فيه علم ما يكون من الجزاء برزخا فينتج العمل به جزاء آخر و فيه علم الردة لما ذا ترجع و ما هو إلا سلوك إلى أمام كما تقول رجعت الشمس في زيادة النهار و نقصه و ما عندها رجوع بل هي على طريقها فهل هو كالنسخ في الأشياء و هو انتهاء مدة الحكم و ابتداء مدة حكم آخر و الطريق واحدة لم يكن في السالك عليها رجوع عنها و فيه علم النفخ و اختلاف أحكامه مع أحدية عينه و فيه علم المشاهدة و الفرق بينها و بين علم النظر و فيه علم الاستدلال و فيه علم لكل علم رجال و لكل مقام مقال و إن كان لا ينقال فمقالة حال و فيه علم من تشبه بمن لا يقبل التشبيه به ما الذي دعاه إلى ذلك و فيه علم الإعادة أنها على صورة الابتداء و إن لم تكن كذلك فليست بإعادة و فيه علم هل يكون الشيء محلا لضده أم لا و فيه علم إيضاح المبهمات و فيه علم حكم الليل و النهار و نسبة الولوج و الغشيان و التكوير إليهما و كونهما جديدين و ملوين و فيه علم إخراج الكثير من الواحد و كيف لا يصح ذلك إلا بالتدريج على التركيب الطبيعي الذي لا يتركب إلا بالواحد و فيه علم ما معنى الاستحالات في الأشياء و فيه علم الأحكام هل يصح كل حكم على من توجه عليه أو منها ما يصح و منها ما لا يصح و الحاكم الله فكيف يكون في الوجود حكم لا يصح على المحكوم عليه و في هذه المسألة غموض من كون الحكم بالشريك قد ظهر في

الوجود و هو حكم باطل إذا نسب إلى الله إذ هو تعالى لا شريك له في ملكه و فيه علم اتساع المقالة في الله و أنه الإمهال الإلهي لا إهمال و فيه علم ما تؤثر التسمية و ما يؤثر تركها و فيه علم ما تضمنته هذه الأبيات و هي

إلا الذي حييت بالعلم أنفاسه	الجهل موت و لكن ليس يعلمه
إلا الذي قويت بالفتل أمراسه	لا يعرف الحل في عقد ربطت به
و من تخيل هذا صح إبلاسه	و ما حللت و لكن أنت تزعمه
و هو الذي في غناه صح إفلاسه	من يظلل الله لا هادي يبصره

و فيه علم ما يقع فيه التضعيف وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و السبعون و ثلاثمائة في معرفة منزل الحل و العقد و الإكرام و الإهانة و نشأة الدعاء في صورة الإخبار و هو منزل محمدي»

و من جوهر و عين	صحاف من اللجين
عليها ستور صون	أتتنا بها كرام
أكلنا من كل لون	فلما بدت إلينا
و منها علوم كون	فمنها علوم و نعت
و منها علوم عين	و منها علوم حال
و من قائل ببين	فمن قائل بوصل
بتشبيه كل عين	فسبحان من تعالى
و ما كونه بكوني	فما كونه سواه

اعلم أن الاثني عشر منتهى البسائط من الأعداد أصابع و عقد فالأصابع منها تسعة و العقد ثلاثة فالمجموع اثنا عشر و لكل واحد من هؤلاء الاثني عشر حكم ليس للآخر و مشهد إلهي لا يكون لسواه و لكل واحد من هذا العدد رجل من عباد الله له حكم ذلك العدد فالواحد منهم ليس من العدد و لهذا كان و تر رسول الله ص إحدى عشرة ركعة لأن الواحد ليس من العدد و لو كان الواحد من العدد ما صحت الوترية جملة واحدة لا في العدد و لا في المعدود فكان وتر رسول الله ص إحدى عشرة ركعة كل ركعة منها نشأة رجل من أمته يكون قلب ذلك الرجل على صورة قلب النبي ص في تلك الركعة و أما الثاني عشر فهو الجامع للأحد عشر و الرجل الذي له مقام الاثني عشر حق كله في الظاهر و الباطن يعلم و لا يعلم و هو

الواحد الأول فإن أول العدد من الاثنين فإذا انتهيت إلى الاثني عشر فإنما هي نهايتك إلى أحد عشر من العدد فإن الواحد الأول ليس منه و لا يصح وجود الاثني عشر إلا بالواحد الأول مع كونه ليس من العدد و له هذا الحكم فهو في الاثني عشر لا هو كما يقول أنت لا أنت و هؤلاء الاثني عشر هم الذين يستخرجون كنوز المعارف التي اكتنزت في صور العالم فللعالم علم الصور من العالم و لهؤلاء علم ما تحوي عليه هذه الصور و هو الكنز الذي فيها فيستخرجونه بالواحد الأول فهم أعلم الناس بالتوحيد و العبادة و لهم المناجاة الدائمة مع الله الذاتية لمستصحبة استصحاب الواحد للأعداد مثل قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ أي ليس لكم وجود معين دون الواحد فبالواحد تظهر أعيان الأعداد فهو مظهرها و مغنيها فالألف نعته إذا بالألف وقعت ألفة الواحد بمراتب العدد لظهوره ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ و إذا ضربت الواحد في نفسه لم يظهر في الخارج بعد الضرب سوى نفسه و في أي شيء ضربت الواحد لم يتضاعف ذلك الشيء و لا زاد فإن الواحد الذي ضربته في تلك الكثرة إنما ضربته في أحديتها فلهذا لم يظهر فيها زيادة فإن الواحد لا يقبل الزائد في نفسه و لا فيما يضرب فيه فلا يتضاعف فهو واحد حيث كان فتقول واحد في مائة ألف بمائة ألف و واحد في اثنين باثنين و واحد في عشرة بعشرة لا يزيد منه في العدد المضروب شيء أصلا لأن مقام الواحد يتعالى أن يحل في شيء أو يحل فيه شيء و سواء كان من العدد الصحيح أو المكسور لا فرق فهو أعني الواحد يترك الحقائق على ما هي عليه لا تتغير عن ذاتها إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه و تغير الحق في نفسه و تغير الحقائق محال و لم يكن يثبت علم أصلا لا حقا و لا خلقا فثبت إن الحقائق لا تنقلب أصلا و لهذا يعتمد على ما يعتمد عليه و هو المسمى علما فلنذكر كل رجل من هؤلاء الأحد عشر الذين انتشوا من وتر رسول الله ص بل هذه الصور ربما جعلت رسول الله ص يوتر بإحدى عشرة ركعة في الصورة الظاهرة و هذه الصور منه ص في الباطن فإنه كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فأنشأها لما كانت هذه صفته فلما ظهر ص بجسده استصحبه تلك الصور المعنوية فأقامت جسده ليلا لمناسبة الغيب فحكمت على ظاهره بإحدى عشرة ركعة كان يوتر بها فكانت تره فهي الحاكمة المحكومة له فمنه ص انتشؤا و فيه ص ظهروا و عليه حكموا بوجهين مختلفين فمن ذلك صورة الركعة الأولى انتشا منها رجل من رجال الله يدعى بعبد الكبير من حيث الصفة إلا أنه اسم له و هو نشأة روحانية معقولة إذا تجسدت كانت في صورة إنسان صفته ما يدعى به و هكذا هي كل صورة من صور هؤلاء الاثني عشر و اعلم أن المفاضلة في الأسماء الإلهية مثل أعلى و أجل في قول رسول الله ص حين قال المشركون في رجزهم أعل هبل أعل هبل فقال رسول الله ص قولوا فقالوا يا رسول الله و ما نقول قال قولوا الله أعلى و أجل و هم يسلمون هذا القدر فإنهم القائلون ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فهو عندهم أعلى و أجل فلو صدقوا رسول الله ص في أنه رسول من عند الله الذي يطلبون التقرب إليه بعبادة هؤلاء الآلهة فما سموهم آلهة إلا لكونهم جعلوهم معبودين لهم لأن الإله هو المعبود و الآلهة العبادة و قد قرئ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ أي و عبادتك و إذا قال وَآلِهَتَكَ يقول و المعبودين الذين نعبدهم فلما نسبوا الألوهية لهؤلاء الذين عبدوهم و نسبتها لي الله أتم و أعظم عندهم باعترافهم لذلك قال

رسول الله ص ببنية المفاضلة في ذلك يقول لهم أي هذا قولكم و اعتقادكم و لهذا جاء في التكبير في الصلاة لفظة الله أكبر ببنية المفاضلة لا إن الحجارة أفضل و لا ما نحتوه و لا ما نسبوا إليه الألوهية من كوكب و غيره و إنما وقعت المفاضلة في المناسبة لا في الأعيان لأنه لا مفاضلة في الأعيان لأنه ليس بين العبد و السيد و لا الرب و المربوب و لا الخالق و المخلوق مفاضلة فإن تحققت ما أومأنا إليه في نشء هذه الصورة علمت ما آل المشرك بعد المؤاخذة نشء صورة الركعة الثانية من الوتر انتشأ منها رجل من رجال الله تعالى يقال له عبد المجيب و اعلم أن الإجابة فرع عن السؤال فهذا عبد مؤثر بسؤاله و دعائه في سيده مؤثر فيه الإجابة لعبده فإن الله قد أثبت لنفسه عز و جل على لسان رسوله ص أن العبد يرضى الله فيرضى و يغضب الله فيغضب و يسخط الله فيسخط و يضحك الله فيضحك و ما أشبه ذلك مما ورد في الكتاب و السنة و الحق تعالى يؤثر في العبد السؤال ليجيب و الفعل المسخط للحق ليسخط و ذلك لتعلم إن الأمر دوري كروي و أن منتهى الدائرة ترجع لنقطة ابتدائها فينعطف الآخر على الأول ليكون هو الأول و الآخر فما أرضاه إلا هو و لا أسخطه إلا هو لأنه يتعالى أن يكون مؤثرا لغيره فافهم و ليس لله حكم في العالم إلا ما ذكرناه ألا تراه يقول سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ و لا شغل له إلا بنا فمنا يفرغ لنا فلو زلنا لكان و لم يكن وجودا و تقديرا و لا يعقل الأمر إلا هكذا و لبطلت الإضافات و لا تبطل لأنها لنفسها هي إضافات فلا يعقل الرب لا مضافا و لذلك ما جاء في القرآن قط مطلقا من غير إضافة و إن اختلفت إضافاته فتارة يضاف إلى أسماء الضمائر و تارة يضاف إلى الأعيان و تارة يضاف إلى الأحوال و إن لم تعقل معرفتك بربك هكذا و إلا فما عرفت ربك أصلا و إنما عرفت بالتقسيم العقلي أن حكم الواجب الوجود لذاته أن يكون كذا و هل ثم واجب وجود لذاته أم لا فلا تعرفه إلا بك و ما لم نعرفه إلا بك فلا بد أن يكون العلم به موقوفا على علمك بك فوجودك موقوف على وجوده و العلم بربوبيته عليك موقوف على العلم بك فله الأصل في الوجود و لك حكم لفرع في الوجود و أنت الأصل في العلم به و له حكم الفرع في العلم نشء صورة الركعة الثالثة من الوتر انتشا منها رجل من رجال الله يدعى عبد الحميد اعلم أن الثناء على الله على نوعين مطلق و مقيد فالمطلق لا يكون إلا مع العجز مثل قوله ص لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

قال قائلهم إذا نحن أثنينا عليك بصالح　　　فأنت الذي نثني و فوق الذي نثني

و لا يمكن أن يحيط مخلوق بما يجب لله تعالى من الثناء عليه لأنه لا يمكن أن يدخل في الوجود جميع الممكنات و لكل ممكن وجه خاص إلى الله منه يوجده الله و منه يعرفه ذلك الممكن و منه يثنى عليه الثناء الذي لا يعرفه إلا صاحب ذلك الوجه لا يمكن أن يعلمه غيره و لا يدل عليه بلفظ و لا إشارة فهذا مطلق الثناء على الله بكل لسان مما كان و يكون و لهذا ثواب قول القائل سبحان الله عدد خلقه لا يتصور وقوعه في الوجود لكن لا يزال يوجد ثوابه حالا بعد حال على الدوام إلى ما لا يتناهى و لهذا أيضا جاء به الشرع مثلا أن يقول العبد ذلك ثلاث مراتب ليحصل بذلك الثواب

المحسوس و الثواب المتخيل و الثواب المعنوي فينعم حسا و خيالا و عقلا كما يذكر حسا و خيالا و عقلا كما يعبد حسا و خيالا و عقلا و كذلك ذكر العبد مداد الكلمات الإلهية و كذلك زنة عرشه إذا كان العرش العالم كله بمحدده و كذلك رضا نفسه فيما يفعله أهل الجنة و أهل النار فإنهم ما يفعلون و لا يتصرفون إلا في المراضي الإلهية لأن الموطن يعطيهم ذلك بخلاف موطن الدنيا و التكليف فإنهم يتصرفون في موطن الدنيا بما يرضي الله و بما يسخطه و إنما كان ذلك لكون النار جعلها الله دار من سخط عليه فلا بد أن يتحرك أهلها فيما يسخط الله في دار الدنيا فإذا سكنوا دار النار و عمروها لا يمكن أن يتحركوا إلا في مرضاة الله و لهذا يكون المآل لأهلها إلى حكم الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و إن كانت دار شقاء كما يقول في الرسول الذي انتهت رسالته و فرغ منها و انقلب إلى الله أنه رسول الله و إن كان في ذلك الحال ليس برسول كذلك نقول في دار الشقاء إنها دار شقاء و إن كان أهلها فيها قد زل عنهم الشقاء و أما الثناء المقيد فالحكماء يقيدونه بصفة التنزيه لا غير و إن أثنوا عليه بصفة الفعل فبحكم الكل أو الأصالة لا يحكم لشخص و ما عدا الحكماء فيقيدون الثناء على الله بصفة الفعل و صفة التنزيه معا و هؤلاء هم الكمل لأنهم شاركوا الحكماء فيما علموا و زادوا عليهم بما جهله الحكماء و لم يعلموه لقصور هممهم للشبهة التي قامت لهم و حكمت عليهم بأنه تعالى ما صدر عنه إلا الواحد المشار إليه فقط و بأنه تعالى لا يجوز عليه ما نعت به نفسه في كتابه إذ لم يثبت عندهم في نظرهم كتاب منزل و لا شخص مرسل على الوجه الذي هو الأمر في نفسه و عند أهل الكشف و الايمان انصرف و بعض عقول النظار مثل المتكلمين و غيرهم ممن يقول بذلك من جهة النظر العقلي و قد سر في العالم كله حكم صور هذه الركعات الوترية النبوية من وقت كونه نبيا ص و آدم بين الماء و الطين إلى يوم القيامة نشء صورة الركعة الرابعة من الوتر انتشا منها رجل من رجال الله يدعى عبد الرحمن اعلم أن الرحمة الإلهية التي أوجد الله في عباده ليتراحموا بها مخلوقة من الرحمة الذاتية التي أوجد الله بها العالم حين أحب أن يعرف و بها كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و هذه الرحمة المكتوبة منفعلة عن الرحمة الذاتية و الرحمة الامتنانية هي التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فرحمة الشيء لنفسه تمدها الرحمة الذاتية و تنظر إليها و فيها يقع الشهود من كل رحيم بنفسه فإن الله قد وصف نفسه بالحب و شدة الشوق إلى لقاء أحبابه فما لقيهم إلا بحكم هذه الرحمة التي يشهدها صاحب هذه الرحمة هي الرحمة التي كتبها على نفسه لا مشهد لها في الرحمة الذاتية و لا الامتنانية و أما رحمة الراحم بمن أساء إليه و ما يقتضيه شمول الإنعام الإلهي و الاتساع الجودي فلا مشهد لها إلا رحمة الامتنان و هي الرحمة التي يترجاها إبليس فمن دونه لا مشهد لهؤلاء في الرحمة المكتوبة و لا في الرحمة الذاتية و بهذا كان الله و الرحمن دون غير الرحمن من الأسماء لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فجميع الأسماء دلائل على الاسم الرحمن و على الاسم الله و لكن أكثر الناس لا يشعرون و ما رأيت أحدا من أهل الله نبه على تثليث الرحمة بهذا التقسيم فإنه تقسيم غريب كما هو في نفس الأمر فما علمناه إلا من الكشف و ما أدري لما ذا ترك التعبير عنه أصحابنا مع ظني بأن الله قد كشف لهم عن هذا و أما النبوات فقد علمت أنهم وقفوا على ذلك وقوف عين و من نور مشكاتهم عرفناه لأن الله

رزقنا الاتباع الإلهي و الاتباع النبوي فأما الاتباع الإلهي فهو قوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فالله في هذه المعية يتبع العبد حيث كان فنحن أيضا تتبعه تعالى حيث ظهر بالحكم فنحن وقوف حتى يظهر بأمر يعطي ذلك الأمر حكما خاصا في الوجود فنتبعه فيه و لا نظهر في العامة بخلافه كسكوتنا عن التعريف به أنه هو إذا تجلى في صورة ينكر فيها مع معرفتنا به فهو المقدم بالتجلي و حكم الإنكار فنحن نتبعه بالسكوت و إن لم ننكر و لا نقر فهذا هو الاتباع الإلهي و أما الاتباع النبوي الذي رزقنا الله فهو قوله لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ثم إنه أتبعنا و تأسى بنا في صلاته إذا صلى بالجماعة فيكون فيها الضعيف و المريض و ذو الحاجة فيصلي بصلاتهم فهو ص المتبع و المتبع اسم مفعول و اسم فاعل ثم أمرنا أن نصلي إذا كنا أئمة بصلاة الإضعف فاتبعنا الرحمن بما ذكرناه فنحن التابعون و اتبعنا الرحمن بما تعطيه حقائقنا من الاحتياج و الفاقة فيمشي بما نحن عليه فنحن المتبوعون فانظر ما ذا تعطي حقائق السيادة في العبيد و حقائق العبادة و العبودية في السيادة فهذا الرجل هذه صفته في العالم و بهذه الركعة الرابعة ظهرت أحكام الأسماء الأربعة الإلهية و أحكام الطبيعة في النشأة الطبيعية و أحكام العناصر في المولدات الثلاثة التي لها هذه الرحمات الثلاثة و أحكام الأخلاط في النشأة الحيوانية فلهذا الرجل المهيمنية على هذه كلها نشء صورة الركعة الخامسة من الوتر انتشا رجل منها رجل من رجال الله يقال له عبد المعطي فتارة يكون عطاؤه وهبا فيكون المعطي عبد الوهاب و تارة يكون عطاؤه إنعاما فيكون عبد المنعم و تارة يكون عطاؤه كرما فيكون المعطي عبد الكريم و تارة يكون عطاؤه جودا فيكون المعطي عبد الجواد و تارة يكون عطاؤه سخاء فيكون المعطي عبد المقيت و عبد السخي و تارة يكون عطاؤه إيثارا فيكون المعطي عبد الغني و هذا العطاء أغمض الإعطاءات و أصعبها تصورا بل يمنعها الجميع إلا نحن و ما رأينا أحدا أثبت هذا العطاء في الإلهيات و ما يثبته إلا من علم معنى اسمه الغني تعالى و ذلك أنه قد ثبت في الصحيح أن العبد يصل إلى مقام يكون الحق من حيث هويته جميع قواه في قوله كنت سمعه و بصره و يده و غير ذلك من أعضائه و قواه الحديث و هو سبحانه الغني لذاته الغناء الذي لا يمكن إزالته عنه فإذا قام العبد في هذا المقام فقد أعطاه صفة الغناء عنه و عن كل شيء لأن هويته هي أعيان قوى هذا العبد و ليس ذلك في تقاسيم العطاء إلا للإيثار فقد آثر عبده بما هو لهويته قال تعالى وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ بل بهم خصاصة و لما كان عطاء الإيثار فضلا يرجع على المعطي كان الحق أولى بصفة الفضل فعطاء الإيثار أحق في حق الحق و أتم في حق العبد و هذا من علوم الأسرار التي لا يمكن بسط التعريف فيها إلا بالإيماء لأهلها أشجعهم للعمل عليها فإنهم في غاية من الخوف لقبولها فكيف للاتصاف بها و باقي الأسماء هينه الخطب نشء صورة الركعة السادسة من الوتر انتشا منها رجل من رجال الله يقال له عبد المؤمن اعلم أن الايمان إذا كان نعتا إلهيا فهو ما يظهر من الدلالات كلها على وجه صحة ما يدعيه المدعي أي مدعكان على ما كان من غير تعيين بشرط أن يكون دليلا في نفس الأمر كما يشهد له الحس إن كان الدليل محسوسا حتى لو أعطى العلم الضروري بصدق هذه الدعوى في نفس الحاكم لكان ذلك العلم الضروري عين الدليل على

صدق دعوى هذا المدعي فناصب هذه الدلالات هو المصدق لصاحب هذه الدعوى فإذا صدقه من صدقه و حصل العلم بذلك في نفس من حصل عنده كان ذلك لشخص الحاصل عنده هذا الدليل مصدقا صاحب هذه الدعوى و عاد التصديق كونيا أي في الخلق كما هو في الحق فكان صاحب الدعوى بين مصدقين محصورا من أي جهة التفت لم يجد إلا مصدقا بما جاء به في دعواه فأعطاه هذا الحال الأمان في نفسه من تكذيبه من هذين الطرفين و لو جحد الكون فإنه متيقن في نفسه صدق هذا المدعي و ليس المراد إلا ذلك أعني حصول العلم بصدقه فبصورة هذه الركعة سرى التصديق في عالم الإنس و الجان في بواطنهم و ذلك حين وقعت منه هذه الركعة في باطن الأمر إذ كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فلم يزل تسري روحا مجردا في كل مصدق حتى ركعها ص بصورة جسمه فتجسدت و ليس ذلك الروح من فعله صورة جسدية لأنها من حركات محسوسة فكان فعلها أقوى عندنا للجمع بين الصورتين كما كان تأثيره ص بظهور جسمه أقوى في بعثه منه إذ كان نبيا و آدم بين الماء و الطين فإنه نسخ بصورة بعثه جميع الشرائع كلها و لم يبق لشريعة حكم سوى ما أبقى هو منها من حيث هي شرع له لا من حيث ما هي شرع فقط نشء صورة الركعة السابعة من الوتر انتشا منها رجل من رجال الله يقال له عبد الرحيم اعلم أن الرحمة في عين القادر على إظهار حكمها تعود عذابا أليما على من قامت به لأنها من ذاتها تطلب التعدي إلى المرحوم و إظهار أثرها بالفعل فيه فإذا قامت بالقادر على تنفيذها في المرحوم كان لها أثر إن أثر في الراحم و هو ما زال عنه من الألم بحصول أثرها في المرحوم فالراحم مرحوم بها من حيث قدرته على تنفيذها و الذي نفذت فيه مرحوم أيضا بها و بقدرة الراحم على تنفيذها فأثرها فيه من وجهين و الأثر إزالة ما أدى الراحم لتعلق الرحمة بذلك المرحوم فما كل رحمة تكون نعيما إلا إذا كان الراحم قادرا على تنفيذها فللرحمة تجل في صورة العذاب في حق الراحم الذي نفيت عنه الاقتدار و لها تجل في صورة النعيم في حق الراحم و المرحوم إذا كانت في قادر على تنفيذها فقد قلبت الصورتين المتقابلتين و هذا من أعجب الأمور إن الرحمة تنتج ألما و عذابا فلو لم تقم الرحمة به لم يتصف بالألم هذا الذي لا اقتدار له ثم الذي في المسألة من العجب العجاب أن الرحمة القائمة بالموصوف بنفوذ الاقتدار قد يكون له مانع من تنفيذها من ذاته فيقوم به ألم الكراهة و ذلك حكم ذلك المانع من كونه متصفا بالاقتدار على تنفيذها و هذه المسألة من أصعب المسائل في العلم الإلهي و ظهر حكم ذلك في الصحيح من الأخبار الإلهية عن نفسه تعالى عز و جل حيث قال ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت و أنا أكره مساءته و لا بد له من لقائي و هو الذي جعله يكره الموت و دل على أن لقاءه تعالى لا يكون إلا بالموت و هو الخروج عن الحس المطلق إلى الحس المشترك كما تراه في النوم لكون النوم ضربا من ضروب الموت فإنه وفاة و انتقال من عالم الحس إلى عالم الخيال و الحس المشترك فيرى النائم ربه في نومه كما يراه الميت بعد موته غير أن رؤية الميت و لقاءه ربه لا رجعة بعد رؤيته عنه و النائم يستيقظ مرسلا إلى الأجل المسمى فإن كان اللقاء عن فناء لا عن نوم ثم رد إلى حال البقاء فحكمه حكم الميت إذا بعث يوم القيامة لا يقع له حجاب عنه فهذا الفارق بين النائم و الفاني و لذلك قال عمرو بن

عثمان المكي في صفة العارفين إنهم كما هم اليوم كذلك يكونون غدا إن شاء الله تعالى فلم ير أعجب من حكم الرحمة ألا ترى الطبيب تقوم به الرحمة بصاحب الآكلة ولا يقدر على تنفيذها فيه إلا بإيلامه فعلى قدر رحمة ذلك الطبيب بصاحب هذه العلة يكون ألمه في نفسه لعدم إنفاذها فيه من غير إيلامه فلولا رحمته به ما تألم ألا ترى المستشفي كيف لا يجد ألما بل يجد لذة فتدبر ما ذكرته لك في العلم الإلهي ولقد رأيته في الكشف الصحيح والمشهد الصريح ورسول الله ص معي وقد أمر تعالى بقتل الدجال لدعواه الألوهية وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله وأنه ما بيده في ذلك من شيء فبكاؤه مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع فما في العلم الإلهي حيرة أعظم من هذه الحيرة ولولا عظمها ما وصف الحق نفسه بالتردد والتردد حيرة فافهم نشء صورة الركعة الثامنة من الوتر انتشا منها رجل من رجال الله تعالى يقال له عبد الملك اعلم أن الملك الذي أحدث هذه الحقيقة التي تسمى ملكا فإذا تسمى بها العبد واتصف الحق بالملك لم يتصف به اتصاف المخلوق فإن المخلوق ملك على الإطلاق والحق ملك الملك لا ملك على الإطلاق فإنه لا يكون ملكا للعبد حتى تظهر عند العبد عبوديته له تعالى ويظهر عنده كونه ملكا لمليكه وهو الله تعالى وإنما قلنا هذا الأجل طائفة أعطاها نظرها إلى الله إن الله لا يعلم الجزء على التعيين وإنما يعلم الكل الذي يتضمن الجزء بخلاف أهل الحق أهل الكشف والوجود ولهذا كان له اسم الملك والملك أي هذا الوصف ظهر عن شدة لكون أصحاب هذا النظر العقلي لا يثبتونه فلما لم تجتمع عليه العقول وقعت فيه المنازعة فاستخلصه الحق ملكا أي عن شدة واستخلص العبد العارف الحق ملكا له أي عن شدة لأجل المنازع فسماه ملك الملك ليفرق بينه وبين كون المخلوق ملكا لله فيتصف المخلوق بالعبودية لله في كونه ملكا له ويتصف الحق بملك الملك ولا يتصف بالعبودية له وإن كان في الحق تأثير من الخلق كما تقدم ومع هذا فلا يتصف بالعبودية لأن ذلك ليس عن ذلة لأنه تعالى الأصل في ذلك التأثير فما عاد عليه إلا ما كان منه بخلاف الخلق فإن المخلوق يعود عليه ما كان منه ويقوم به ما لم يكن منه بابتداء من الحق فاعلم ذلك نشء صورة الركعة التاسعة من الوتر انتشا منها صورة رجل من رجال الله يقال له عبد الهادي اعلم أن الهداية أثر إلهي في قوله مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادِيَ لَهُ وأثر كوني في قوله وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ويعود معناه إلى الأول فإن الهادي الكوني لا يكون إلا رسولا من عند الله فهو مبلغ لا هاد معناه لا موفق لكنه هاد بمعنى مبين قال تعالى في البيان الذي لهم والتبيان الذي أوجبه عليهم الله تعالى لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وقال في الهداية التي هي التوفيق لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ أي ليس عليك إن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك بتبيانه وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي أي يوفق مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ أي بالقابلين التوفيق فإنه على مزاج خاص أوجدهم عليه فهؤلاء الهداة هم هداة البيان لا هداة التوفيق وللهادي الذي هو الله الإبانة والتوفيق وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة وإنما قلنا ذلك واستشهدنا بما استشهدنا به لما تقرر عند ما لا علم له بالحقائق إن العبد إذا صدق فيما يبلغه عن الله في بيانه أثر ذلك في نفوس السامعين وليس كما زعموا فإنه لا أقرب إلى الله ومن الله ولا أصدق في التبليغ عن الله ولا أحب في القبول فيما

جاء به من عند الله من الرسل صلوات الله عليهم و سلامه و مع هذا فما عم القبول من السامعين بل قال الرسول الصادق في التبليغ و ما يزيدهم دُعائِي إِلَّا فِراراً فلما لم يعم مع تحققنا هذه الهمة علمنا إن الهمة ما لها أثر جملة واحدة في المدعو و الذي قبل من السامعين ما قبل من أثر همة الداعي الذي هو المبلغ و إنما قبل من حيث ما وهبه الله في خلقه من مزاج يقتضي له قبول هذا و أمثاله و هذا المزاج الخاص لا يعلمه إلا الله الذي خلقهم عليه و هو قوله تعالى وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فلا تقل بعد هذا إذا حضرت مجلس مذكر داع إلى الله فلم تجد أثرا لكلامه فيك إن هذا من عدم صدق المذكر لا بل هو العيب منك من ذاتك حيث ما فطرك الله في ذلك الوقت على القبول فإن المنصف ينظر فيما جاء به هذا الداعي المذكر فإن كان حقا و لم يقبله فيعلم على القطع أن العيب من السامع لا من المذكر فإذا حضر في مجلس مذكر آخر و جاء بذلك الذكر عينه و أثر فيه فيقول السامع بجهله صدق هذا المذكر فإن كلامه أثر في قلبي و العيب منك و أنت لا تدري فلتعلم إن ذلك التأثير لم يكن لقبولك الحق فإنه حق في المذكرين في نفس الأمر و إنما وقع التأثير فيك في هذا المجلس دون ذلك لنسبة بينك و بين هذا المذكر أو بينك و بين الزمان فأثر فيك هذا الذكر و الأثر لم يكن للمذكر إذ قد كان الذكر و لا أثر له فيك و إنما أثرت المناسبة التي بينتها لك الزمانية أو النسبة التي بينك و بين هذا المذكر و ربما أثر لاعتقادك فيه و لم يكن لك اعتقاد في ذلك الآخر فما أثر فيك سواك أو ما أشبه ذلك و لهذا قلنا في تفسير الهداية الإلهية بالتوفيق و البيان فقولنا بالتوفيق أي بموافقة النسبة بين السامع و المذكر لا بالبيان فإن البيان فرضناه واقعا في الحالتين من المذكرين و لم يقع القبول إلا في إحدى الحالين فاعلم ذلك و تحققه ترشد إن شاء الله و أقل فائدة في هذه المسألة سلامة المذكر من تهمتك إياه بعدم الصدق في تذكيره و رده و ردك الحق فإن السليم العقل يؤثر فيه الحق جاء على يدي من جاء و لو جاء على لسان مشرك بالله عدو لله كاذب على الله ممقوت عند الله لكن الذي جاء هو به حق فيقبله العاقل من حيث ما هو حق لا من حيث المحل الذي ظهر به و بهذا يتميز طالب الحق من غيره نشء صورة الركعة العاشرة من الوتر انتشا منها رجل منرجال الله يقال له عبد ربه اعلم أن الربوبية نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر فهي موقوفة على اثنين و لا يلزم أن لا يكونا متباينين فقد يكونان متباينين و قد يكونان غير متباينين فما لك بلا ملك لا يكون وجودا و تقديرا و مليك بلا ملك لا يكون كذلك و الرب بلا مربوب لا يصح وجودا و تقديرا و هكذا كل متضايفين فنسبة العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضايفين من الطرفين فالعالم يطلب تلك الأسماء الإلهية و تلك الأسماء الإلهية تطلب العالم كالاسم الرب و القادر و الخالق و النافع و الضار و المحيي و المميت و القاهر و المعز و المذل إلى أمثال هذه الأسماء و ثم أسماء إلهية لا تطلب العالم و لكن يستروح منها نفس من أنفاس العالم من غير تفصيل كما يفصل بين هذه الأسماء التي ذكرناها آنفا فأسماء الاسترواح كالغني و العزيز و لقدوس و أمثال هذه الأسماء و ما وجدنا لله أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات فإنه ما ثم اسم إلا على أحد أمرين إما ما يدل على فعل و هو الذي يستدعي العالم و لا بد و إما ما يدل على تنزيه و هو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق

عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله أصلا إلا إن كان ذلك في علمه أو ما استأثر الله به في غيبه مما لم يبده لنا و سبب ذلك لأنه تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علمي أصلا لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها و تلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا و هو المسمى بمعانيها و المعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية كالعالم و القادر و باقي الأسماء فلله الأسماء الحسنى و ليست إلا المعاني لا هذه الألفاظ فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن و القبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة و نظم خاص يسمى اصطلاحا فافهم ذلك نشء صورة الركعة الإحدى عشرة من الوتر انتشا منها صورة رجل من رجال الله يقال له عبد الفرد اعلم أن الفردية لا يعقلها المنصف إلا بتعقل أمر آخر عنه انفرد هذا المسمى فردا بنعت لا يكون فيمن انفرد عنه إذ لو كان فيه ما صح له أن ينفرد به فلم يكن ينطلق عليه اسم الفرد فلا بد من ذلك الذي انفرد عنه أن يكون معقولا و ليس إلا الشفع و الأمر الذي انفرد به الفرد إنما هو التشبه بالأحدية و أول الأفراد الثلاثة فالواحد ليس بفرد فإن الله وصف بالكفر من قال إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ فلو قال ثالث اثنين لما كان كافرا فإنه تعالى ثالث اثنين و رابع ثلاثة و خامس أربعة بالغا ما بلغ و هو قوله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فمن كان في أحديته فهو تعالى ثاني واحدة و من كان في تثنيته فهو ثالث اثنينيته و من كان في تثليثه فهو تعالى رابع ثلاثة بالغا ما بلغ فهو مع المخلوقين حيث كانوا فالخالق لا يفارقهم لأن مستند الخلق إنما هو للاسم الخالق استنادا صحيحا لا شك فيه و إن كان هذا الاسم يستدعي عدة معان فهو يطلبها أعني الاسم الخالق بذاته لكل معنى منها أثر في المخلوق لا في الخالق فالخالق لهذه المعاني كالجامع خاصة و أثرها في المخلوق لا فيه فالحق لا ينفرد في الأربعة بالرابع و إنما ينفرد في الأربعة بالخامس لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و لو كان عين الرابع من الأربعة لكان مثلها و كل واحد من الأربعة عين الرابع للأربعة من غير تخصيص و لو كان هذا لكان الواحد من الأربعة يربع الحق بوجوده و ليس الأمر كذلك و هكذا في كل عدد فمتى فرضت عددا فاجعل الحق الواحد الذي يكون بعد ذلك العدد اللاصق به و لا بد فإنه يتضمنه فالخامس للأربعة يتضمن الأربعة و لا تتضمنه فهو يخمسها و هي لا تخمسه فإنها أربعة لنفسها و هكذا في كل عدد و إنما كان هذا لحفظ العدد على المعدودات و الحفظ لا يكون إلا لله و ليس الله سوى الوحد فلا بد أن يكون الواحد أبدا له حفظ ما دونه من شفع و وتر فهو يوتر الشفع و يشفع الوتر فيقال رابع ثلاثة و خامس أربعة و لا يقال فيه خامس خمسة و لا رابع أربعة و لا عاشر عشرة فالحكماء يقولون في الفردية إنها الوتر من كل عدد من الثلاثة فصاعدا في كل وتر منها كالخامس و السابع و التاسع فبين كل فردين مقام شفعية و بين كل شفعين مقام فردية هذا عند الحكماء و عندنا ليس كذلك فإن الفردية تكون للواحد الذي يشفع الوتر و للواحد الذي يوتر الشفع الذي هو عند الحكماء فرد و لولا ذلك ما صح أن تقول في فردية الحق إنه رابع ثلاثة و سادس خمسة و أدنى من ذلك و أكثر و هو فرد في كل نسبة فتارة ينفرد بتشفيع الوتر و تارة بإيثار الشفع و هو

قوله ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ فما بين في فرديته بالذكر المعين إلا فردية تشفيع الوتر الذي لا يقول بها الحكماء في اصطلاح الفردية ثم قال في العام وَلا أَدْنى من ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ سواء كان عددهم وترا أو شفعا فإن الله لا يكون واحدا من شفعيتهم و لا واحدا من وتريتهم بل هو الرقيب عليهم الحفيظ الذي هو من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ فمتى انتقل الخلق إلى المرتبة التي كانت للحق انتقل الحق إلى المرتبة التي تليها لا يمكن له الوقوف في تلك المرتبة التي كان فيها عند انتقال الخلق إليها فانظر في هذا السر الإلهي ما أدقه و ما أعظمه في التنزيه الذي لا يصح للخلق مع الحق فيه مشاركة فالخلق أبدا يطلب أن يلحق بالحق و لا يقدر على ذلك لانتقال الحق عن تلك المرتبة و لهذا كان العدد لا يتناهى فإنه لو تناهي للحق الخلق الحق و لا يكون ذلك أبدا فالخلق خلق لنفسه و الحق حق لنفسه و مثال ذلك أن يكون جماعة من ثلاثة في نجوى بينهم قد جمعهم مجلس فالله بلا شك رابع تلك الجماعة فإن رابعهم إنسان آخر فجاء و جلس إليهم انتقل الحق من المرتبة الرابعة بمجرد مجيء ذلك الرجل أو الشخص الذي ربعهم إلى المرتبة الخامسة فإن أطالوا الجلوس بحيث أن جاء من خمس القوم انتقل الحق إلى المرتبة السادسة فيكون سادس خمس و هو سادس الجماعة أعني هذه الجماعة بعد ما كان خامس الجماعة التي خمسها ذلك الواحد فاعلم فقد نبهتك على علم عظيم تشكرني عليه عند الله فإني أرجو من الله أن ينفعني بمن علم مني ما ذكرته في كلامي هذا من العلم بالله الذي لا تجده فيما تقدم من كتب المؤلفين في هذا الفن و هذا كله نقطة من كلمة من القرآن العزيز فما عندنا من الله إلا الفهم فيه من الله و هو الوحي الإلهي الذي أبقاه الحق علينا فهذا الذي ذكرناه كان وتر رسول الله ص من صلاة الليل و أما تمام الاثنتي عشرة فذلك المسمى المهيمن الخارج عن نشء صورة الوتر القوي و هو الواحد الأول و ليس إلا الله فهو المنشئ سبحانه و تعالى في كبريائه الواحد الأحد الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «وصل» و الرجل الذي كمل به الاثني عشر كما كمل الشهور برمضان ما كملها إلا باسم من أسمائه و هو رمضان عز و جل فبه كمل كل شيء فكمال الأربعة بالخامس إذا كان الله خامس أربعة فإنه الذي يحفظ عليها أربعتها فإذا جاء من جنسها من يخمسها ذهبت الأربعة و كان الله سادس الخمسة يحفظ عليها خمستها لأنه الحفيظ فانظر ما أعجب هذا الأمر و من هنا صح الفرار الموجود و الانتقال من حال إلى حال فإن الله ينتقل في مراتب الأعداد لما ذكرناه و اسم هذا الرجل الذي كمل الله به الاثني عشر عبد الله و إنما سمي عبد الله لأن الله يتجلى له بحقيقة كل اسم من أسمائه و هو قوله وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها فإذا دعوته باسم منها تجلى مجيبا لك في عين ذلك الاسم كصوم شهر رمضان فإن صومه واجب في الاثني عشر شهرا فكل صوم في شهر من الشهور الأحد عشر إنما هو تشبيه بصوم يوم من أيام شهر رمضان لأنه نافلة و الواجب ليس إلا رمضان بالوجوب الإلهي الابتدائي و إنما قلنا الابتدائي من أجل النذر بالصوم الذي أوجبه الله عليك بإيجابك إياه على نفسك عقوبة لك و ليثبك به إذا أديته ثواب الواجب لكن الفرق بينه و بين الواجب المبتدأ أن الواجب المبتدأ تقضيه إذا مضى زمان إيجابه و و الواجب الكوني لو نسيته لكن أو مرضت فلم تقدر على أدائه و مضى زمانه لم تقضه

فهذا هو الفرق بين الواجب الإلهي و الواجب الكوني فمن عرف ما ذكرناه من أمر هذه الاثني عشر فقد حصل على كنوز إلهية كما قيل في الفاتحة إن الله أعطاها نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم خاصة دون غيره من الرسل من كنز من كنوز العرش لم توجد في كتاب منزل من عند الله و لا صحيفة إلا في القرآن خاصة و بهذا سمي قرآنا لأنه جمع بين ما نزل في الكتب و الصحف و ما لم ينزل ففيه كل ما في الكتب كلها المنزلة و فيه ما لم ينزل في كتاب و لا صحيفة و في هذا المنزل من العلوم علم الحل و العقد و فيه علم الحلال و الحرام و فيه علم ما يجمع الكافر و المؤمن و يؤلف بينهما و فيه علم إلحاق البهائم بالإنسان في حكم ما من أحكام الشرائع و فيه علم متعلق الكمال ببعض الأشخاص و ما فيه علم التقديس و أسبابه و أنواعه و فيه علم الآلاء و المنن الإلهية و فيه علم المواثيق و العهود و فيه علم نشء صور العبادات البدنية و فيه علم التعظيم الكوني و فيه علم المداينات الإلهية و فيه علم الايمان و فيه علم الإبدال و فيه علم النداء الإلهي و فيه علم التعريف و فيه علم إقامة البراهين على الدعاوي و فيه علم أصحاب الفترات ما حكمهم عند الله و فيه علم ما يخص الملك و السوقة و فيه علم النيابة في النداء و فيه علم الرد و القبول و فيه علم التفويض و التسليم في النفوس و فيه علم الستر و رد الأشياء إلى أصولها و فيه علم إقامة الواحد مقام الجميع في أي موطن يكونو فيه علم الموافقة و الخلاف و فيه علم مؤاخذة المجبور و فيه علم السماع و فيه علم النور و المعنوي و الهدى و فيه علم الأمثال و فيه علم الاتباع و الأتباع و فيه علم الشهادات و فيه علم المعاد و حكمه و فيه علم الخوف و الحذر و فيه علم التجانس بين الأشياء و فيه علم الحب و شرفه و أصناف المحبين و فيه علم خلع العذار فيه و فيه علم الاختصاص و فيه علم نسخ البواطن في العموم و الخصوص و فيه علم تشبيه الحق بالخلق و ما يجوز من ذلك و ما لا يجوز و متعلقة السمع ليس للعقل فيه دخول بما هو ناظر فيه و فيه علم الوهب و الكسب و فيه علم ما يجب على الرسول و فيه علم من سمي الله بغير اسمه ما حكمه في التوحيد و فيه علم مراتب الضلال و الإضلال و التفاوت في ذلك و فيه علم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و فيه علم تأثير الخلق في الحق و فيه علم ما شقي به أهل الكتب و فيه علم رفع الحرج و مراتب المتقين و فيه علم الاختيار و فيه علم شرف الأماكن بعضها على بعض لماذا يرجع و فيه علم تحكم الأدنى على الأدنى و فيه علم إضافة الأشياء إلى أصولها و فيه علم التعريض بالخير وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منزل العلماء ورثة الأنبياء من المقام المحمدي»

ما قرة العين إلا قرة النفس ... فانظر إلى كل معنى دس في الحس

تجده يا سيدي إن كنت ذا نظر ... في الفصل و النوع بالأحكام و الجنس

فليس تشهد عيني غيرها أبدا ... و الناس من ذاك في شك و في لبس

الطيب و المرأة الحسناء قد اشتركا ... مع المناجاة في المعنى و في النفس

عرش و في الطيب أنفاس مع الأنس   ففي الصلاة وجودي و النساء لنا

قال رسول الله ص حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء و الطيب و جعلت قرة عيني في الصلاة و قال ص إن ربكم واحد و إن أباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي و لا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى ثم تلا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ يريد بالأب آدم ص و هو قوله تعالى خَلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحِدَةٍ يعني نفس آدم يخاطب ما تفرع منه فاعلم أن الورث على نوعين معنوي و محسوس فالمحسوس منه ما يتعلق بالألفاظ و الأفعال و ما يظهر من الأحوال فأما الأفعال فإن ينظر الوارث إلى ما كان رسول الله ص بفعله مما أبيح للوارث أن يفعله اقتداء به لا مما هو مختص به ع مخلص له في نفسه و مع ربه و في عشرته لأهله و ولده و قرابته و أصحابه و جميع العالم و يتبع الوارث ذلك كله في الأخبار المروية عن رسول الله ص الموضحة لما كان عليه في أفعاله من صحيحها و سقيمها فيأتيها كلها على حد ما وردت لا يزيد عليها و لا ينقص منها و إن اختلفت فيها الروايات فليعمل بكل رواية وقتا بهذه و وقتا بهذه و لو مرة واحدة و يدوم على الرواية التي ثبتت و لا يخل بما روى من ذلك و إن لم يثبت من جهة الطريق فلا يبالي إلا أن تعلق بتحليل أو تحريم فيغلب الحرمة في حق نفسه فهو أولى به فإنه من أولي العزم و ما عدا التحليل أو التحريم فليفعل بكل رواية و إذا أفتى إن كان من أهل الفتيا و تعارض الأدلة السمعية بالحكم من كل وجه و يجهل التأريخ و لا يقدر على الجمع فيفتي بما هو أقرب لرفع الحرج و يعمل هو في حق نفسه بالأشد فإنه في حقه الأشد و هذا من الورث اللفظي فإنه المفتى به فيصلي صلاة رسول الله ص في ليله و نهاره و على كيفيتها في أحوالها و كمياتها في أعدادها و يصوم كذلك و يعامل أهله من مزاح وجد كذلك و يكون على أخلاقه في مأكله و مشربه و ما يأكل و ما يشرب كأحمد بن حنبل فإنه كان بهذه المثابة روينا عنه أنه ما أكل البطيخ حتى مات و كان يقال له في ذلك فيقول ما بلغني كيف كان يأكله رسول الله ص و كل ما كان من فعل لم يجد فيه حديثا يبين فيه أن رسول الله ص فعله بكيفية خاصة و إن كان من الكميات بكمية خاصة و لكن ورد فيه حديث فاعمل به كصومه ص كان يصوم حتى نقول إنه لا يفطر و يفطر حتى نقول إنه لا يصوم و لم يوقت الراوي فيه توقيتا فصم أنت كذلك و أفطر كذلك و أكثر من صوم شعبان و لا تتم صوم شهر قط بوجه من الوجوه إلا شهر رمضان و كل صوم أو فعل مأمور به و إن لم يروفيه فعله فاعمل به لأمره و هذا معنى قول الله إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و ما رأينا أحدا ممن رأيناه أو سمعنا عنه عمل على هذا القدم إلا رجل كبير باليمن يقال له الحداد رآه الشيخ ربيع بن محمود المارديني الخطاب و أخبر أنه كان على هذا الحال من الاقتداء أخبرني بذلك صاحبي الخادم عبد الله بدر الحبشي عن الشيخ ربيع فلتتبعه في كل شيء لأن الله يقول لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ما لم يخصص شيئا من ذلك بنهي عن فعله و قال ص صلوا كما رأيتموني أصلي و قال في الحج خذوا عني مناسككم و إذا حججت فإن قدرت على الهدى فأدخل به محرما بالحج أو العمرة و إن حجت مرة أخرى فأدخل أيضا إن قدرت على الهدى محرما بالحج و إن لم تجد هديا فاحذر أن تدخل محرما بالحج لكن ادخل متمتعا بعمرة مفردة فإذا طفت و سعيت فحل من

إحرامك الحل كله ثم بعد ذلك أحرم بالحج و أنسك نسيكة كما أمرت و اعزم على أن لا تخل بشيء من أفعاله و ما ظهر من أحواله مما أبيح لك من ذلك و التزم آدابه كلها جهد الاستطاعة لا تترك شيئًا من ذلك إذا ورد مما أنت مستطيع عليه فإن الله ما كلفك إلا وسعك فابذله و لا تترك منه شيئًا فإن النتيجة لذلك عظيمة لا يقدر قدرها و هي محبة الله إياك و قد علمت حكم الحب في المحب و أما الوارث المعنوي فما يتعلق بباطن الأحوال من تطهير النفس من مذام الأخلاق و تحليتها بمكارم الأخلاق و ما كان عليه صلى الله عليه و سلم من ذكر ربه على كل أحيانه و ليس إلا الحضور و المراقبة لآثاره سبحانه في قلبك و في العالم فلا يقع في عينك و لا يحصل في سمعك و لا يتعلق بشيء قوة من قواك إلا و لك في ذلك نظر و اعتبار إلهي تعلم موقع الحكمة الإلهية في ذلك فهكذا كان حال رسول الله ص فيما روت عنه عائشة و كذلك إن كنت من أهل الاجتهاد في الاستنباط للاحكام الشرعية فأنت وارث نبوة شرعية فإنه تعالى قد شرع لك في تقرير ما أدى إليه اجتهادك و دليك من الحكم أن تشرعه لنفسك و تفتي به غيرك إذا سألت و إن لم تسأل فلا فإن ذلك أيضا من الشرع الذي أذن الله لك فيه ما هو من الشرع الذي لم يأذن به الله و اعلم أن الاجتهاد ما هو في أن تحدث حكما هذا غلط و إنما الاجتهاد المشروع في طلب الدليل من كتاب أو سنة و إجماع و فهم عربي على إثبات حكم في تلك المسألة بذلك الدليل الذي اجتهدت في تحصيله و العلم به في زعمك هذا هو الاجتهاد فإن الله تعالى و رسوله ما ترك شيئًا إلا و قد نص عليه و لم يتركه مهملا فإن الله تعالى يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ و بعد ثبوت الكمال فلا يقبل الزيادة فإن الزيادة في الدين نقص من الدين و ذلك هو الشرع الذي لم يأذن به و الله و من الورث المعنوي ما يفتح عليك به من الفهم في الكتاب و في حركات العالم كله و أما الورث الإلهي فهو ما يحصل لك في ذاتك من صور التجلي الإلهي عند ما يتجلى لك فيها فإنك لا تراه إلا به فإن الحق بصرك في ذلك الموطن و لا يتكرر عليك صورة تجل فقد انتقل عنها و حصل لك نظيرها في ذاتك و في ملكك و لذلك تقول في الآخرة عموما للشيء إذا أردته ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ و في الدنيا خصوصا فالحق لك في الدنيا محل تكوينك فإنه يتنوع لتنوعك و في الآخرة تتنوع لتنوعه فهو في الدنيا يلبس صورتك و أنت في الآخرة تلبس صورته فانظر ما أعجب هذا الأمر و كذلك لك في الميراث الإلهي في مراتب العدد فقد يكون الحق رابع ثلاثة فإذا جئت أنت و انضممت إلى الثلاثة فربعتهم لا يكون ذلك لك حتى ينتقل الحق إلى مرتبة الخمسة فيكون خامس أربعة بعد ما قد كان رابع ثلاثة فأخلي لك المرتبة فورثتها و كذلك في كل جماعة تنضم إليها هذا حكم الميراث في الدنيا و أما في ميراث الخصوص و في الآخرة فإنه رابع أربعة في حال كونك أنت رابع تلك الأربعة فإنك في الدنيا في الخصوص جئت بصورة حق و في الآخرة كذلك أنت صورة حق و لهذا كفر أي ستر من قال ﴿إِنَّ اللّٰهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ فستر نفسه بربه لأنه هو عين ثالث الثلاثة و رأى نفسه حقا لا خلقا إلا من حيث الصورة الجسدية لا من حيث ما هي به موصوفة فهو حق في خلق فستر خلقه بما شهده من الحق القائم به المنصوص عليه في العموم بأنه جميع قوى عبده و صفاته إذا كان من أهل الخصوص فقال عن نفسه ﴿إِنَّ اللّٰهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ ثم بين الحق تعالى عقيب هذا القول فقال ﴿وَما مِنْ إِلٰهٍ إِلاّٰ إِلٰهٌ واحِدٌ﴾ و

هو الذي ثلث الثلاثة فالاثنان من العامة و الذي ثلثهم بخلقه هو الثالث خلقا بخلقه ثم إنه قد علم أن الحق جميع قواه و أشهده الحق أنه مع الاثنين مثل ما هو معه إلا أنه حجب عنهم علم ذلك فقالوا بالخلق دون حق فقال هذا الخاص إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ لأنهشاهده فيها كما شاهده في نفسه وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فرأى أن الحق جمعهم في صورة ثلاثة فصح قول القائل إنه ثالث ثلاثة في الوجهين في الخلق و الحق و صح وَ ما مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ واحِدٌ لأنه عين كل واحد من الثلاثة ليس غيره فهو واحد و هو ثلاثة فهذا من الورث الإلهي النبوي فإنه ما حصل لنا هذا الشهود إلا بالاقتداء و الاتباع النبوي فلما علمنا و ورثناه ص و لا يصح ميراث لأحد إلا بعد انتقال الموروث إلى البرزخ و ما حصل لك من غير انتقال فليس بورث و إنما ذلك وهب و أعطية و منحة أنت فيها نائب و خليفة لا وارث فأنت من حيث العلم وارث و أنت من حيث الشهود عينه لا وارثا ألا ترى في قوله ص إن ربكم واحد كما إن أباكم واحد و ليس أبوك إلا من أنت عنه فإن عرفت عمن أنت عرفت أباك و ما ذكر النبي ص أن أبوينا اثنان كما وقع في الظاهر فإنا عن آدم و حواء مثل قوله وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ و لكن لما كانت حواء عين آدم لأنها عين ضلعه فما كان إلا أب واحد في صورتين مختلفتين كما هو التجلي فعين حواء عين آدم انفصال اليمين عن الشمال و هو عين زيد كذلك انفصال حواء عن آدم فهي عين آدم فما ثم إلا أب واحد فما صدرنا إلا عن واحد كما أن العالم كله ما صدر إلا عن إله واحد فالعين واحدة كثيرة نسب إن لم يكن الأمر كذلك و إلا فما كان يظهر لنا وجود و لا لنا وجود عين و لا لنا إيجاد حكم فكما أوجدنا عينا أوجدنا الحكم له جَزاءً وِفاقاً إن تفطنت فهو لنا موجد عين و نحن له موجد رب

و لو لا الكون ما كان إلا له فلو لا الحق ما كان الوجود

سؤال السائلين بمن و ما هو جزاء قد أراد الحق منه

و أما في الخصوص فهو و ما هو فما هو في العموم بغير شك

ثم ما زال التوالد و التناسل في كل نوع نوع من المولدات كلها في الدنيا ما دامت الدنيا و في الآخرة إلى ما لا يتناهى و إن تنوعت أحوال التوالد كما ظهر ذلك في الدنيا في حواء و عيسى و بنى آدم و أما في آدم فباليدين و بالأركان و في النبات متنوع أيضا في غراسه و بزوره و كذلك في المعادن فانظر ما أحكم حكمة الله في خلقه و لما أطلعنا على الوجه الخاص الذي لكل موجود لم يتمكن لنا أن نضيف التوالد لنا جملة واحدة بل أضفنا كل ما ظهر في الكون إليه و هو قوله تعالى وَ ما أَمْرُنا و نحن أمره إِلَّا واحِدَةٌ فما ثم موجد إلا الله تعالى على كل وجه علم ذلك من علمه و جهله من جهله كما يقول الطبيعيون في الموجودات الطبيعية بأحدية الطبيعة فكل ما ظهر من الموجودات الطبيعية قالوا هذا عن الطبيعة فوحدوا الأمر كما وحدنا الإله في خلقه فلم يكن إلا الله و هو الذي سموه أولئك طبيعة و لا علم لهم كما سمته الدهرية بالدهر و لا علم لهم إلا أن الله تسمى لنا بالدهر و ما تسمى بالطبيعة لأن الطبيعة ليست بغير لمن وجد عنها عينا فهي عين كل موجود طبيعي و لما كان الحق له هذا الحكم و ظهر به عند الخواص من عباده و

علمنا إن الاسم دلالة على المسمى فرأينا الاسم و إن دل فهو أجنبي فعلمنا أن حكم الطبيعة يخالف حكم الدهر فإن الدهر ما هو عين الكوائن و رأينا الطبيعة عين الكوائن الطبيعية و رأينا أن الحق له تنزيه ينفصل به عنا انفصال الدهر عما يكون فيه فتسمى تعالى بالدهر تنزيها و ما تسمى بالطبيعة لكون الأمر ما هو غيره بل هو عينه و المسمى لا يسمى نفسه لنفسه فلا يسمى بالطبيعة و إنما يسمى نفسه لغيره حتى إذا ذكره عرف أنه يذكره و إذا ذكر عرفه فهذا أصل وضع الأسماء

و ما ثم إلا اثنان و الله ثالث   فما ثم إلا الله لا شيء غيره

فإني لعلمي بالحقيقة حارث   قد انتجه العلم الذي قاله لنا

أعني قوله ص من عرف نفسه عرف ربه فقدم معرفة الإنسان نفسه لأنه عين الدليل و لا بد أن يكون العلم بالدليل مقدما على العلم بالمدلول و الدليل نحن و نحن في مقام الشفعية فلذلك عبرنا بالاثنين لوجود الشفع فنتج لنا النظر فينا وجود الحق و أحديته فهو ثالث اثنين كما هو رابع ثلاثة فلذلك قلنا و الله ثالث لهذين الاثنين و أنا حارث أي كاسب لهذا العلم بالنظر ثم إن للحق ورثا منا كما قال إِنّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها عينا و حكما فأما في العين فقوله وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ فإن الأمور ترجع إلى أصولها كما ينعطف آخر الدائرة على أولها فمن أول ما تبتدئ بالدائرة إنما يطلب بذلك الرجوع إلى أصلها و هو بدؤها فإليه تنتهي فنحن لا نعلم شيئا إلا به فورث منا هذه الصفة فقال تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ كما نظرنا نحن حتى علمنا فما خلص لنا هذا الوصف من غير مشاركة فعلمنا أن علمنا عن النظر و الاستدلال بما علمناه أنه هو العالم به من حيث إن نظرنا لم يكن بنا لأنه قال إنه عين صفتنا التي بها ننظر و نبصر و نسمع و نبطش و هذا كله هو علم الأنبياء الذين ورثناهم لأنهم ما ورثونا إلا العلم على الحقيقة و هو أشرف ما يورث ثم انظر في قوله ص العلماء ورثة الأنبياء فعم الألف و اللام فيهما كل عالم و كل مخبر و لا شك أن كل مخبر فإنه متصور لما يخبر به و كل سامع ذلك الخبر فقد علمه أي علم ما تصوره ذلك المخبر سواء كان كذبا ذلك الخبر أو صدقا فهو ورث بلا شك أ لا تراه ص قد قال من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين لأنه قد ورث منه الكذب و صار حكمه حكم الكاذب كما صار حكم الوارث في المال حكم من مات عنه و خلفه و لما عمم بالألف و اللام العلماء دخل فيه قوله حَتّى نَعْلَمَ و لما عمم بالألف و اللام الأنبياء دخل فيه كل مخبر بنطق أو بحال لأنه من ظهر لعينك بعد أن لم يكن ظاهرا فقد أخبرك بظهوره أنه ظهر لك حتى لو قال لك قد ظهرت لك لم يفدك علما بظهوره و إنما أفادك علما بقوله لك أي من أجلك ظهر لعينك فالمفهوم الأول القرب الظاهر النازل منزلة النص عند أهل الظاهر أن العلماء ورثة الأنبياء الذين هم المخبرون عن الله و بالمفهوم الثاني الذي لا يقدح فيه المفهوم الأول إن العلماء ورثة المخبرين بما أخبروا به كانوا من كانوا لكن العلم الموروث من الأنبياء ع ليس هو العلم الذي يستقل بإدراكه العقول و الحواس دون الأخبار فإن ذلك لا يكون وراثة و إنما الذي يرثه العلماء من الأنبياء ما لا تستقل العقول من حيث نظرها بإدراكه و

أما ما ورثته من الأنبياء من العلم الإلهي فهو ما تحلئة العقول بأدلتها و أما ما تجوزه العقول فتعين لها الأنبياء أحد الجائزين مثل قول إبراهيم وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي و أما العلم الذي ترثه من الأنبياء ع من علم الأكوان فعلم الآخرة و مال العالم لأن ذلك كله من قبيل الإمكان فالأنبياء تعين عن الله إن بعض الممكنات على التعين هو الواقع فيعلمه العالم فذلك ورث نبوي لم يكن يعلمه قبل إخبار هذا النبي به و ما عدا هذا فما هو علم موروث إلا في حق العامي الذي ما وفى عقله حقه فتلقى من النبي علما بما لو نظر فيه بعقله أدركه كتوحيد الله و وجوده و بعض ما يتعلق به من حكم الأوصاف و الأسماء فيكون ذلك في حق من لم يعلمه إلا من طريق النبي علم موروث و إنما قلنا فيه إنه علم لأن الأنبياء لا تخبر إلا بما هو الأمر عليه في نفسه فإنهم معصومون في أخبارهم عن الله أن يقولوا ما ليس هو الأمر عليه في نفسه بخلاف غير الأنبياء من المخبرين من عالم و غير عالم فإن العالم قد يتخير فيما ليس بدليل أنه دليل فيخبر بما أعطاه ذلك الدليل ثم يرجع عنه بعد ذلك فلهذا لا ينزل في درجة العلم منزلة النبي ص و قد يخبر بالعلم على ما هو عليه في نفس الأمر و لكن لا يتعين على الحقيقة لما ذكرناه من دخول الاحتمال فيه و كذلك غير العالم من العوام فقد يصادفون العلم و قد لا يصادفونه في أخبارهم و النبي ص ليس كذلك فإذا أخبر عن أمر من جهة الله فهو كما أخبر فالمحصل له عالم بلا شك كما إن ذلك الخبر علم بلا شك فلذلك قيد ص إن العلماء هم ورثة الأنبياء لأنهم إذا قبلوا ما قاله الرسول فقد علموا الأمر على ما هو عليه و من وراثته ص حب النساء و الطيب و جعلت قرة عينه في الصلاة و لكن إذا كان ذلك في الإنسان محببا إليه حينئذ يكون وارثا و أما إن أحب ذلك من غير تحبب فليس بوارث فإن العبد لما كان مخلوقا لله لا لغيره كما قال تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فما خلقهم إلا لعبادته و قال لموسى في الاثنتي عشرة كلمة يا ابن آدم خلقتك من أجلي الحديث ثم إن الله في ثاني حال من العبد حبب إليه أمرا ما أكثر من غيره و بقي الكلام فيمن حببه إليه هل حببه إليه طبع أو طمع أو حذر أو حببه إليه الله فإن النبي ص قال حبب إلي و لم يقل من حببه كما قال الله في حق المؤمنين وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ و النبي ص ما عدل إلى قوله حبب و لم يذكر من حببه إلا لمعنى لا يمكن إظهاره لضعف النفوس القابلة فالعارفون بالمواطن يعلمون من حيث ما ذكره الله و النساء و الطيب و جعل قرة العين في الصلاة لأنه مصل على شهود من وقف يناجيه بين يديهمن حضرة التمثيل و موطنه لأن فيه خطابا و ردا و قبولا و لا يكون ذلك إلا في شهود التمثيل فإنه في موطن يجمع بين الشهود و الكلام و لما كانت المناسبات تقتضي ميل المناسب إلى المناسب كان الذي حبب عين المناسب و المناسبة قد تكون ذاتية و عرضية و لما كان النساء محل التكوين و كان الإنسان بالصورة يقتضي أن يكون فعالا و لا بد له من محل يفعل و فيه و يريد لكماله أن لا يصدر عنه إلا الكمال كما كان في الأصل الذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و هو كمال ذلك الشيء و لا أكمل من وجود الإنسان و لا يكون ذلك إلا في النساء اللاتي جعلهن الله محلا و المرأة جزء من الرجل بالانفعال الذي انفعلت عنه فحبب إلى الكامل النساء و لما كانت المرأة كما ذكرت عين ضلع الرجل فما كان محل تكوين ما كون فيها إلا نفسه فما

ظهر عنه مثله إلا في عينه و نفسه فانظر ما أعجب هذا الأمر فمن حصل له مثل هذا العلم فقد ورث النبي ع في هذا التحبب بهذا الوجه و أما الطيب فإنه من الأنفاس و الأنفاس رحمانية فإن رسول الله ص يقول إني لأجد نفس الرحمن فأضافه إلى الرحمن و الله يقول وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ و من أسمائه تعالى الطيب فعلمنا أن النفس الطيب لا يكون إلا من الاسم الطيب و ما ثم اسم أطيب للكون من الرحمن فإنه مبالغة في الرحمة العامة التي تعم الكون أجمعه فمن حصل له الطيب في كل شيء و إن أدركه من أدركه خبيثا بالطبع فإنه بالنعت الإلهي طيب و قد ذقنا ذلك بمكة فهو وارث على الحقيقة و ما حبب إليه الصلاة إلا لما فيها من الجمع بين الشهود و الكلام بقوله جعلت قرة عيني في الصلاة و ما تعرض لسمعه و لا للكلام لأن ذلك معروف في العموم إن الصلاة مناجاة بقوله يقول العبد كذا فيقول الله كذا و إنها منقسمة بين الله و بين عبده المصلي نصفين كما ورد في الحديث و ما كانت الصلاة كبيرة إلا على غير المشاهد و على من لم يسمع قول الحق مجيبا لما يقوله العبد في صلاته ثم نيابته في قوله سمع الله لمن حمده من أتم المقامات فإن الله ما عظم الإنسان الكامل على من عظمه إلا بالخلافة و لما كان مقامه عظيما لذلك وقع الطعن فيه ممن وقع لعظيم المرتبة و ما علم الطاعن ما أودع الله في النشأة الإنسانية من الكمال الإلهي فلو تقدم لذلك الطاعن العلم ما طعن فلما كانت الخلافة و هي النيابة عن الحق بهذه المنزلة و كان المصلي نائبا في سمع الله لمن حمده الذي لا يكون إلا في الصلاة كانت مرتبة الصلاة عظيمة فحببت إليه ص فمن رأيته يحب الصلاة على هذا الحد فهو وارث و من رأيته يحبها لغير هذا الشهود فليس بوارث و في هذا المنزل من العلوم علم صدور الكثير من الواحد أعني أحدية الكثرة لا أحدية الواحد و علم النكاح الإلهي و الكوني و علم النتائج و المقدمات و علم مفاضلة النكاح لأنه قد يراد لمجرد الالتذاذ و قد يراد للتناسل و قد يراد لهما و علم الوصايا و علم التقاسيم و علم المبادرة خوف الفوت و علم الخلطاء و علم الهبات و علم ما يعتبر من طيب النفوس و علم التصرف بالمعروف و ما هو المعروف و علم الأمانات و علم الحظوظ و علم الحقوق و علم ما ينبغي أن يقدم و ما ينبغي أن يؤخر و علم الحدود و علم الطاعة و المعصية و علم الشهادات و الأقضية و علم العشائر و هي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العشرة و لهذا سمي الزوج بالعشير لأن اجتماع الزوجين كان عن عقد و المعاشرة الصحبة فالعشائر الأصحاب و المرء على دين خليله فقد عقد معه على ما هو عليه و حينئذ يكون قد عاشره قال تعالى وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أي صاحبوهن بما يعرف أنه يدوم بينكما الصحبة به و المعاشرة و علم العزة و المنع و علم صنوف التجارات و علم فضل الرجل على المرأة بما ذا كان و ما الكمال الذي تشارك فيه المرأة الرجل و علم أصحاب الحقوق و علم التقديس و علم العناية الإلهية و علم مراتب الخلفاء و علم ما حقيقة الايمان و علم المعيبات و علم ما يرغب فيه و يتمنى تحصيله و علم الموت و علم ما هو لله و للخلق و علم الفرق بين نصيب الحسنة و نصيب السيئة و علم التوقيت و ما يوقت مما لا يدخله التوقيت و علم حرمة المؤمن و مكانته و

علم الهجرة و علم إيمان الايمان و علم الرفق و علم السر و الجهر و علم ما يجتمع فيه الملك مع الكامل من البشر وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و هو عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ

«الباب الأحد و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منزل التوحيد و الجمع و هو يحتوي على خمسة آلاف مقام رفرفي و هو من الحضرة المحمدية و أكمل مشاهده من شاهده في نصف الشهر أو في آخره»

يا مريم ابنة عمران التي خلقت	فرشا كريما لروح جل من روح
تحصنت فأتاها الروح يمنحها	من فوق سبع سماوات من اللوح
أهدى لها هبة عليا مشرفة	أسنى و أشرق فينا من سنا يوح
تحيي و ليس لها سيف تميت به	تدعى إذا دعيت باللطف بالروح

نعني بالهبة عيسى روح اللّٰه من قول جبريل لمريم لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا ورد في الخبر أنه قيل لرسول اللّٰه ص أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه فقال رسول اللّٰه ص كان في عماء ما فوقه هواء و ما تحته هواء و قد ذكرنا فيما تقدم حديث العماء و أن فيه انفتحت صور العالم و الذي يقوم عليه الدليل إن كل شيء سوى اللّٰه حادث و لم يكن ثم كان فينفي الدليل كون ما سوى اللّٰه في كينونة الحق الواجب الوجود لذاته فدوام الإيجاد للّٰه تعالى و دوام الانفعال للممكنات و الممكنات هي العالم فلا يزال التكوين على الدوام و الأعيان تظهر على الدوام فلا يزال امتداد الخلاء إلى غير نهاية لأن أعيان الممكنات توجد إلى غير نهاية و لا تعمر بأعيانها إلا الخلاء و قولنا فيما تقدم إن العالم ما عمر سوى الخلاء نريد أنه ما يمكن أن يعمر ملا لأن الملأ هو العامر فلا يعمر في ملا و ما ثم إلا ملا أو خلاء فالعالم في تجديد أبدا فالآخرة لا نهاية لها و لو لا نحن لما قيل دنيا و لا آخرة و إنما كان يقال ممكنات وجدت و توجد كما هو الأمر فلما عمرنا نحن من الممكنات المخلوقة أماكن معينة إلى أجل مسمى من حين ظهرت أعياننا و نحن صور من صور العالم سمينا ذلك الموطن الدار الدنيا أي الدار القريبة التي عمرناها في أول وجودنا لأعياننا و قد كان العالم و لم نكن نحن مع أن اللّٰه تعالى جعل لنا في عمارة الدار الدنيا آجالا ننتهي إليها ثم تنتقل إلى موطن آخر يسمى آخرة فيها ما في هذه الدار الدنيا و لكن متميز بالدار كما هو هنا متميز بالحال و لم يجعل لإقامتنا في تلك الدار الآخرة أجلا تنتهي إليه مدة إقامتنا و جعل تلك الدار محلا للتكوين دائما أبدا إلى غير نهاية و بدل الصفة على الدار الدنيا فصارت بهذا التبديل آخرة و العين باقية و بقي من لا علم له من اللّٰه بالأمور في حيرة فعلى الحقيقة ما ثم حيرة في حق العلماء باللّٰه و بنسبة العالم إلى اللّٰه فالعلماء في فرحة أبدا و من عداهم في ظلم الحيرة تائهون دنيا و آخرة و لو لا تجديد الخلق مع الأنفاس لوقع الملل في الأعيان لأن الطبيعة تقتضي الملل و هذا الاقتضاء هو الذي حكم بتجديد الأعيان و لذلك قال رسول اللّٰه ص عن اللّٰه تعالى إن اللّٰه لا يمل حتى تملوا فعين ملل العالم هو ملل الحق و

لا يمل من العالم إلا من لا كشف له و لا يشهد تجديد العالم مع الأنفاس على الدوام و لا يشهد الله خلاقا على الدوام و الملل لا يقع إلا بالاستصحاب فإن قلت فالدوام على تجديد الخلق استصحاب و الملل ما وقع مع وجود الاستصحاب قلنا الأحكام الذاتية لا يمكن فيها تبدل و الخلاق لذاته يخلق و العالم لذاته ينفعل فلا يصح وجود الملل فالتقليب في النعيم الجديد لا يقتضي الملل في المنقلب فيه لأنه شهود ما لم يشهد بفرح و ابتهاج و سرور و لهذا قال تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وجد و يوجد إلى غير نهاية فإن الرحمة حكم لا عين فلو كانت عينا وجوديا لانتهت و ضاقت عن حصول ما لا يتناهى فيها و إنما هي حكم يحدث في الموجودات بحدوث أعيان الموجودات من الرحمن الرحيم وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يعني في العلم بالله يَقُولُونَ آمَنَّا به كُلٌّ من عِنْدِ رَبِّنا الرحمة و المرحوم وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و هم الغواصون الذين يستخرجون لب الأمور إلى الشهادة العينية بعد ما كان يستر ذلك اللب القشر الظاهر الذي كان به صونه و هذا يحوي على تسعة آلاف مقام هكذا وقع الإخبار من أهل الكشف و الوجود منها ألف مقام لطائفة خاصة و لطائفة أخرى ثلاثة آلاف مقام و لطائفة ثالثة خمسة آلاف مقام فارفع الطوائف الطائفة التي لها ألف مقام و تليها في الرفعة الطائفة التي لها ثلاثة آلاف مقام و تليها الطائفة التي لها خمسة آلاف مقام في الرفعة و أعلى الطوائف من لا مقام له و ذلك لأن المقامات حاكمة على من كان فيها و لا شك أن أعلى الطوائف من له الحكم لا من يحكم عليه و هم الإلهيون لكون الحق عينهم و هو أحكم الحاكمين و ليس ذلك لأحد من الناس إلا للمحمديين خاصة عناية إلهية سبقت لهم كما قال تعالى في أمثالهم إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ يعني النار فإن النار من جملة هذه المقامات فهم على الحقيقة عن المقامات مبعدون فأصحاب المقامات هم الذين قد انحصرت هممهم إلى غايات و نهايات فإذا وصلوا إلى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها لهم بدايات إلى هذه الغايات الأخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها و لا يزال لهم هذا الأمر دائما و أما المحمدي فما له هذا الحكم و لا هذا الحصر فاتساعه اتساع الحق و ليس للحق غاية في نفسه ينتهي إليها وجوده و الحق مشهود المحمدي فلا غاية له في شهوده و ما سوى المحمدي فإنه مشاهدا مكانه فما من حالة يقام فيها و لا مقام إلا و يجوز عنده انقضاؤه و تبدل الحال عليه أو إعدامه و يرى أن ذلك من غاية المعرفة بالله حيث و في الحكم حقه بالنظر إلى نفسه و إلى ربه و عيسى ع محمدي و لهذا ينزل في آخر الزمان و به يختم الله الولاية الكبرى و هو روح الله و كلمته و كلمات الحق لا تنفد فليس للمحمدي غاية في خاطره ينتهي إليها فاعلم إن هذه المقامات المذكورة لا تدرك إلا بعين الخيال إذا شوهدت فإن صورها إذا مثلها الله فيما شاء أن يمثلها متخيلة فتراه أشخاصا رأى العين كما ترى المحسوسات بالعين و كما ترى المعاني بعين البصيرة فإن الله إذا قلل الكثير و هو كثير في نفس الأمر أو كثر القليل و هو قليل في نفس الأمر فما تراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس و هو البصر نفسه في الحالين كما قال تعالى وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ و قال يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ و ما كانوا مثليهم في الحس فلو لم ترهم بعين الخيال لكان ما رأيت من العدد كذبا و لكان الذي يريه

غير صادق فيما أراه إياك و إذا كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال كانت الكثرة في القليل حقا و القلة في الكثرة حقا لأنه حق في الخيال و ليس بحق في الحس كما أراك اللبن في الخيال فشربته و لم يكن ذلك اللبن سوى عين العلم فما رأيته لبنا و هو علم إلا بعين الخيال و رأيت تلقينك ذلك العلم ممن تلقنته في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال و العلم ليس بلبن و التلقين ليس بشرب و قد رأيته كذلك فلو رأيته بعين الحس لكان كذبا لأنك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه فما رأيته إلا بعين الخيال في حال يقظتك و إن كنت لا تشعر أنت بذلك فكذلك هو في نفس الأمر لأن الله صادق فيما يعلمه و هو في الخيال صدق كما رأيته و كذلك تلقيك العلوم من الله بالضربة باليد فعلم الضروب بتلك الضربة علم الأولين و الآخرين و العلم لا يحصل إلا بالتعليم بالخطاب من المعلم أو بخلق في النفس ضرورة و قد حصل في حضرة الخيال بالضرب فلا بد أن يكون الضرب مخيلا و المضروب في عينه مخيلا إن كان في نوم أو يقظة لصدق الذي يرى ذلك و هو الله كما قال تعالى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ من سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى و لم تسع في نفس الأمر و هكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في نفسه ما تراه إلا بعين الخيال حتى يكون صدقا و لهذا يعبر كل ما وقع من ذلك أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة فلا تغفل عن مثل هذا العلم و فرق بين الأعين و اعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوة إلهية يعطيها الله من شاء من عباده فتعرض لتحصيلها من الله فإنك مخبر بما رأيت أنك رأيته بحسك و لم يكن الأمر كذلك فتحرر في العبارة فيما تراه كما يفعله المصنف ألا ترى الصحابة لو وفوا النظر الصحيح حقه و أعطوا المراتب حقها لم يقولوا في جبريل ع إنه دحية الكلبي و لقالوا إن لم يكن روحانيا تجسد و إلا فهو دحية الكلبي أدركناه بالعين الحسي فلم يحرروا و لا أعطوا الأمر الإلهي حقه فهم الصادقون الذين ما صدقوا فقال لهم رسول الله ص هو جبريل فحينئذ عرفوا ما رأوا و بما ذا رأوا كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم حين جاء يعلم الناس دينهم فقال رسول الله ص أ تدرون من السائل فقالوا الله و رسوله أعلم لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم فقال لهم هذا جبريل فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية فقولهم الله و رسوله أعلم يحتمل أنهم أرادوا احتمال المعنى أو الصورة الروحية أو يكون إنسانا في نفس الأمر و إن كان هذا الحديث أولا فما جهلوا أنه إنسان و لكن جهلوا اسمه و لمن ينتسب من قبائل العرب فلا يعرف الرائي أنه أدرك ما أدركه بعين الخيال ما لم يعلم المدرك ما هو و ما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحس فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية و إن لم يتمكن فيه أنزل بعض الأمور غير منزلتها فإذا أعطاه الله قوة التفصيل أبان له عن الأمور إذا رآها بأي عين رآها فيعلم ما هي إذا علم العين التي رآها به من نفسه فأكد ما على أهل علم الله هذا العلم و كثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه و لو لا علمه بنومه فيما يراه أنه رآه في حال نومه ما قال إنه خيال فكم يرى في حال اليقظة مثل هذا و يقول إنه رأى محسوسا بحسه ألا تراه ص في صدق رؤياه إنه ما يجري على نفسه حال في جسده إلا و يظهر ذلك له في صورة مجسدة إذا هو نام فيحكم على محسوسه بما علمه من صورة متخيلة فقيل له في الوضوء عند ما نام و نفخ فلم يتوضأ و صلى بالوضوء الذي نام عليه إن عيني

تناما ن و لا ينام قلبي يقول إنه لما انقلب إلى عالم الخيال و رأى صورته هناك و هو قد نام على طها رة ما رأى أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوء الذي نام عليه و لهذا نقول في النوم إنه سبب للحدث و ما هو حدث فمن حصل له هذا المقام و كان بهذه الصفة و نام على طها رة و رأى نفسه في النوم فلينظر في تلك الصورة المرئية التي هي عينه فإن أحس بحدث فما يقوم بها حدث حتى يحدث بجسده النائم أي يكون منه ما ينقض الوضوء إما بعين ذلك الحدوث و إما أن يكون صورة تعريف بأنه أحدث فيتوضأ إذا قام من نومه فإن من الأحداث في النوم ما يكون له أثر في الجسد النائم كالاحتلام في بعض الأوقات و كالذي يرى أنه يبول فيبول في فراشه فيستيقظ فيجد في الحس قد وقع ما رآه في النوم و قد لا يجد لذلك أثرا فيكون تنبيها له إنه أحدث هذا يطرأ للعلماء بهذه الصفة و قد كان مثل هذا للشيخ الضرير أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر فكان يوم الإثنين خاصة إذا نام فيه تنام عيناه و لا ينام قلبه و هذا باب واسع المجال و هو عند علماء الرسوم غير معتبر و لا عند الحكماء الذين يزعمون أنهم قد علموا الحكمة و قد نقصهم علم شموخ هذه المرتبة على سائر المراتب و لا قدر لها عندهم فلا يعرف قدرها و لا قوة سلطانها إلا الله ثم أهله من نبي أو ولي مختص غير هذين فلا يعرف قدر هذه المرتبة و العلم بها أول مقامات النبوة و لهذا كان رسول الله ص إذا أصبح و جلس مجلسه بين أصحابه يقول لهم هل فيكم من رأى رؤيا و ذلك ليرى ما أحدث الله البارحة في العالم أو ما يحدثه في المستقبل و قد أوحى به إلى هذا الرائي في منامه إما صريح وحي و إما وحي في صورة يعلمها الرائي و لا يعلم ما أريد بها فيعبرها رسول الله ص لما أراد الله بها فهذا كان من اعتنائه ص بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء و ما أحسن تنبيه الله أولي الألباب من عباده و أهل الاعتبار إذ قال هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ فمن الأرحام ما يكون خيالا فيصور فيه المتخيلات كيف يشاء عن نكاح معنوي و حمل معنوي يفتح الله في ذلك الرحم المعاني في أي صورة ما شاء ركبها فيريك الإسلام فيه و القرآن سمنا و عسلا و القيد ثبات في الدين و الدين قميصا سابغا و قصيرا درعا و مجولا و نقيا و دنسا على حسب ما يكون الرائي أو من يرى له عليه من الدين و لقد رأيت لقاضي دمشق عند ما ولي القضاء بدمشق و هو شمس الدين أحمد بن مهذب الدين خليل الجوني و فقه الله و سدده بملائكته و عصمه في أحكامه و قائل يقول له في النوم إن الله قد خلع عليك ثوبا نقيا سابغا فلا تدنسه و لا تقلصه و استيقظت و ذكرتها له فالله يجعله ممن حفظ الوصية الإلهية فالخيال من جملة الأرحام التي تظهر فيها الصور و هذه الحضرة الخيالية لما قبلت المعاني صورا قال الله فيها زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ أي في النساء فصور الحب صورة زينها لمن شاء من عباده فأحبها بنفسها ما أحبها بغيرها لأنه تعالى ما زين له إلا حب الشهوة فيما ذكره فالحب المطلق زين له ثم علقه بالشهوة فيما ذكره و علقه لمن شاء في الشهوة أيضا في أمر آخر و إنما ذكر الشهوة لأنها صورة طبيعية فإن الخيال حصرته الطبيعة ثم يحكم الخيال عليها فيجسدها إذا شاء فهذا فرع يحكم على أصله لأنه فرع كريم ما أوجد الله أعظم منه منزلة و لا أعم حكما يسرى حكمه في جميع الموجودات

و المعدومات من محال و غيره فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجودا من الخيال فبه ظهرت القدرة الإلهية و الاقتدار الإلهي و به كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و أمثال ذلك و أوجب عموما و هو حضرة المجلى الإلهي في القيامة و في الاعتقادات فهو أعظم شعائر الله على الله و من قوة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء مع كونهم لا يعلمون ما قالوه و لا يوفونه حقه و ذلك أن الخيال و إن كان من الطبيعة فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله به من القوة الإلهية فإذا أراد الإنسان أن ينجب ولده فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته صورة من شاء من أكابر العلماء و إن أراد أن يحكم أمر ذلك فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآه عليها المصور و يذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة و إذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه و أخلاقه و إن كانت صورته المحسوسة قبيحة المنظر فلا يصورها إلا حسنة المنظر بقدر حسن علمه و أخلاقه كأنه يجسد تلك المعاني و يحضر تلك الصورة لامرأته و لعينه عند الجماع و يستفرغان في النظر إلى حسنها فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلا من تلك الصورة في النفس فيخرج المولود بتلك المنزلة و لا بد حتى أنه إن لم يخرج كذلك فلأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعرون و تعبر عنه العامة بتوحم المرأة و قد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان و إن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد و صورة ما تخيلته الأم حتى في الحس الظاهر في الصورة أو في القبح و هم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأسا في اقتناء العلوم الإلهية لأنهم لجهلهم يطمعون في غير مطمع و هو التجرد عن المواد و ذلك لا يكون أبدا لا في الدنيا و لا في الآخرة فهو أمر أعني التجرد عن المواد يعقل و لا يشهد و ليس لأهل النظر غلط أعظم من هذا و لا يشعرون بغلطهم و يتخيلون أنهم في الحاصل و هم في الفائت فيقطعون أعمارهم في تحصيل ما ليس يحصل لهم و لهذا لا يسلم عقل من حكم و هم و لا خيال و هو في عالم الملائكة و الأرواح إمكان فلا يسلم روح و لا عالم بالله من إمكان يقع له في كل ما يشهده لأن كل ما سوى الله حقيقته من ذاته الإمكان و الشيء لا يزول عن حكم نفسه فلا يرى ما يراه من قديم و محدث إلا بنفسه فيصحبه الإمكان دائما و لا يشعر به إلا من علم الأمر على ما هو عليه فيعقل التجريد و هما و لا يقدر عليه في نفسه لأنه ليس ثم و هنا زلت أقدام الكثيرين إلا أهل الله الخاصة فإنهم علموا ذلك بإعلام الله ألا ترى إلى زكرياء لما دخل على مريم المحراب و هي بتول محررة و قد علم زكريا ذلك و رأى عندها رزقا آتاها الله فطلب من الله عند ذلك أن يهبه ولدا حين تعشق بحالها فقال رب هب لي من لدنك يقول من عندك عندية رحمة و لين و عطف ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ و مريم في خياله من حيث مرتبتها و ما أعطاها الله من الاختصاص بالعناية الإلهية فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ لأنه دخل عليها المحراب عند ما وجد عندها الرزق أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَ سَيِّداً و هو الكمال لأن مريم كملت فكمل يحيى بالنبوة وَ حَصُوراً و هو الذي اقتطعه الله عن مباشرة

النساء و هو العنين عندنا كما اقتطع مريم عن مباشرة الرجال و هي البتول فكان يحيى ع زير نساء كما كانت حنة مريم لأن المريم المنقطعة من الرجال و اسمها حنة و مريم لقب لها وصفت به لما ذكرناه آنفا فانظر ما أثر سلطان الخيال من زكريا في ابنه يحيى ع حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم ع لما أعطاها الله من المنزلة وَنَبِيًّا من الصَّالِحِينَ فما عصى الله قط و هو طلب الأنبياء كلهم أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين و هم الذين لم يقع منهم معصية قط كبيرة و لا صغيرة و ما رأيت أعجب من حال زكريا ع و ما رأيت من ظهر فيه سلطان الإنسانية مثله هو الذي يقول هَبْ لِي من لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً فما سأل حتى تصور الوقوع و لا بقوله رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ فأين هذه الحالة من تلك الحالة فإن لم يكن ثم قرينة حال جعلته أن يقول مثل هذا حتى يقال له في الوحي كَذلِكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ فيكون قصده إعلام الله بذلك حتى يعلم غيره إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ في المعتاد أن يخرقه كما وقع و إن كان ذلك القول من نفسه فقد أعطته الإنسانية قوتها فإن الإنسان بذاته كما ذكره الله في كتابه فما ذكره الله في موضع إلا و ذكر عند ذكره صفة نقص تدل على خلاف ما خلق له لأن الله خلق الإنسان في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ و هو أنه خلقه تعالى ثم رده إلى أسفل سافلين ليكون له الرقي إلى ما خلقه الله له ليقع الثناء عليه بما ظهر منه من رقية فمن الناس من بقي في أسفل سافلين الذي رد إليه و إنما رد إليه لأنه منه خلق و لو لا ذلك ما صح رده و ليس أريد بأسفل سافلين إلا حكم الطبيعة التي منه نشأ عند ما أنشأ الله صورة جسده و روحه المدبرة له فرده إلى أصل ما خلقه منه فلم ينظر ابتداء إلا إلى طبيعته و ما يصلح جسده و أين هو من قوله بلى عن معرفة صحيحة و اعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا يكون الحق محل تكوين العبد فلا يخطر له خاطر في أمر ما إلا و الحق يكونه في هذه الحضرة كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما يشاء منها فمشيئة العبد في هذه الحضرة من مشيئة الحق فإن العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا و يقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس و أما في الخيال فكمشيئة الحق في النفوذ فالحقمع العبد في هذه الحضرة على كل ما يشاؤه العبد كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة فلذلك يتكون عن مشيئته كل شيء إذا اشتهاه فالحق في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا و في شهوته في الآخرة لا في الدنيا حسا فالحق تابع في هذه في الحضرة و في الآخرة لشهوة العبد كما هو العبد في مشيئته تحت مشيئته الحق فما للحق شأن إلا مراقبة العبد ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا و كذلك في الآخرة و العبد تبع للحق في صور التجلي فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبغ بها فهو يتحول في الصور لتحول الحق و الحق يتحول في الإيجاد لتحول مشيئة العبد في هذه الحضرة الخيالية في الدنيا خاصة و في الآخرة في الجنة عموما و لما خلق الله هم‍ما فعالة في الوجود في الحس و همما غير فعالة في الوجود في الحس ظهر بذلك التفاضل في الهمم كما ظهر التفاضل في جميع الأشياء حتى في الأسماء الإلهية و الهمم الفعالة في الدنيا قد تفعل في همم غير أصحابها و قد لا نفعل مثل قوله فيما لا تفعل إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ فبعض الهمم الفعالة و المنفعلة قد لا تنفعل لهمة فعالة فيريد منه أن يريد أمرا

ما فلا يريده من يريد منه أن يريده لأن الهمم تتقابل للجنسية فلهذا قد لا تؤثر فيها فإذا تعلقت بغير الجنس أثرت كل همة فعالة و لا بد و أما في جنسها أعني في الهمم فقد تنفعل لها بعض الهمم و قد لا تنفعل و قد ظهر ذلك في الرسل ع و أتباعهم يريد الرسول من شخص أن يريد الإسلام فيريده فيسلم و يريد من آخر إن يريد الإسلام فلا يريده فلو تعلقت همة الرسول بتحريك الألسنة بالشهادة بالتوحيد من غير إرادة الناطق بها لوقعت عموما و لكن لا تنفع صاحبها و إن كانت تنفع للسانه فإن لسانه ما عصى الله قط من حيث نفسه و إنما وقعت فيه المخالفة لا منه من حركة المريد تحريكه فهو مجبور حيث لم يعط الدفع عن نفسه لكونه من آلات النفس فهو طائع من ذاته و لو فتح الله سمع صاحبه لنطق اللسان الذاتي إذا جعلته النفس يتلفظ بمخالفة ما أراد الشرع أن يتلفظ به لبهت فلهذا قلنا إن المخالفة ظهرت فيه للجبر لا منه فإنه طائع بالذات شاهد عدل على محركه كما ورد يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بها و كذلك كل جارحة مصرفة من سمع و بصر و فؤاد و جلد و عصب و فرج و نفس و حركة

و الناس في غفلة عما يراد بهم   و في عماية عما هم عليه له

فالإنسان سعيد من حيث نشأته الطبيعية و من حيث نشأة نفسه الناطقة بانفراد كل نشأة عن صاحبتها و بالمجموع ظهرت المخالفة و ما عين المخالفة إلا التكليف فإذا ارتفع التكليف حيث ارتفع الحكم بالمخالفة و لم يبق إلا موافقة دائمة و طاعة ممكن لواجب مستمرة كما هو في نفس الأمر في وقت المخالفة مطيع للمشيئة مخالف لأمر الواسطة للحسد الذي في الجنس و في هذا المنزل من العلوم علم توحيد الحق و تصديق المخبرين عن الحق و هم التراجمة السفراء من بشر و ملك و خاطر و علم الفرقان بالعلم بما تميزت به الأشياء و هذا هو علم التوحيد العام الذي يسرى في كل واحد واحد من العالم و علم الكشف الإلهي و فيه علم التناسل الذي لا ينقطع دنيا و لا آخرة و فيه علم الحضرة التي وقع فيها التشبيه بين الأشياء و الاشتراك في الصورة و فيه علم ما ينفرد به الحق من العلم دون الخلق مما لا يعلمه الخلق إلا بإعلام الله و فيه علم الميل و الاستقامة و فيه علم الجمع للتفصيل و فيه علم العوائد لما ذا ترجع و ما ثم تكرار و الإعادة تكرار فالأمر مشكل و سبب أشكاله ذكر الحق العادة و الإعادة و الكشف يعطي عدم الإعادة في الكون لا الإعادة في نشء الآخرة فإن تلك الإعادة حكم إلهي في حق أمر ما مخصص بمنزلة من خرج من دار ثم عاد إليها فالدار الدار و الخارج الداخل و ما ثم إلا انتقال في أحوال لا ظهور أعيان مع صحة إطلاقها أن الخارج من الدار عاد إلى داره فعلمنا متعلق الإعادة و فيه علم المفاضلة بالدار و فيه علم نعوت أهل الله و فيه علم ما يشترك فيه الحق و العالم العالم بالله و ما ثم إلا عالم بالله غير أنه من العلماء من يعلم أنه عالم بالله و من الناس من لا يعلم أنه عالم بالله و هو على علم بمن يشهد و يعاين و لا يعلم أنه الحق فلو سألته هل تعلم الله قال لا فلو سألته فيما شهده هل تعلم هذا الذي شهدته من حيث ما هو مشهود لك يقول نعم يقال له فمن هو يقول هذا الذي أشهده فيقال له فمن يقال له يقول لا أدري فإذا قيل له هو

كذا أي هو فلان بالاسم الذي يعرفه به و لكن ما عرف أن هذا المشهود هو مسمى ذلك الاسم فما جهلإلا حمل هذا الاسم على هذا المشهود فقد كان موصوفا بعلم الاسم و موصوفا بعلم المشهود من حيث ما هو مشهود له و ما استفاد إلاكون هذا المشهود مسمى ذلك الاسم المعلوم و فيه علم انقياد الخلق للحق و أنه نتيجة عن انقياد الحق للخلق لطلب الممكن الواجب فانقاد له الواجب فيما طلبه فأوجده و لم يكن شيئا و فيه علم سبب الاختلاف الواقع في العالم مع العلم بما يوجب رفع الاختلاف فما الذي حكم على العلم مع قوة سلطانه و فيه علم الاغترار و ما سببه الذي أظهره و فيه علم ما هو العمل و الكسب و الفرق بين الكسب و الاكتساب لأن الله ميز الكسب من الاكتساب باللام و بعلي فقال لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ و فيه علم الاختيار الإلهي و فيه علم متى يستند إلى الضد فيكون الضد رحمة لضده مع أنه عدو له بالطبع و فيه علم التحجير عن الخوض في الله و فيه علم الإحاطة بالأعمال إحاطة مشاهدة لا إحاطة تلبس و في أي خزانة ادخرت إلى وقت شهودها و ما حكمها بعد شهودها في نفسها و فيما يعود منها على العامل لها و فيه علم ما الحضرة التي تقلب الحقائق و لا تقلب نفسها و هي من جملة الحقائق و فيه علم المناسبات و فيه علم ما يرجع إليه في الحكم مما لا يتصف بالقول و مع ذلك فله الفصل في بعض القضايا و هو الاقتراع و أمثاله و فيه علم الغاية التي تطلبها الرسل من الله في هذه الدار و فيه علم النيابة الإلهية في التكوين و فيه علم غريب متعلق بالمحبة و هو الزهد في المحبوب من أجل المحبوب مع اتصافه بالحب في المزهود فيه و بقاء ذلك الوصف عليه و فيه علم الاعتصام و فيه علم البياض و السواد و لبعض أهل الطريق تأليف فيه سماه البياض و السواد و فيه علم فضل الأمم بعضهم على بعض و فضل هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم و هل من أمة محمد ص من كان قبل بعثته فرآه في كشفه و آمن به و اتبعه في قدر ما كشف له منه و هل يحشر من هذه صفته في أمته أو يحشر أمة وحده أو كان صاحب هذا الكشف متبعا لشرع نبي خاص كعيسى أو موسى أو من كان من الرسل ع فرأى مشاهدة أن الشرع الذي جاء به ذلك النبي الخاص الذي هذا متبعة إنه نائب فيه عن محمد ص و أن ذلك شرعه فاتبعه على أنه شرع محمد ص و أن ذلك الرسول مبلغ عنه ما ظهر به من الشرع فهل يحشر مثل هذا في أمة محمد ص أو يكون من أمة ذلك النبي ثم إنه إذا اتفق أن يحشر في أمة ذلك الرسول ثم دخل الجنة و نال منزلته هل ينالها في منازل هذه الأمة المحمدية أو لا ينزل منها إلا في منازل أتباع ذلك الرسول و أمته أو له في منازل ذلك الرسول مع أمته منازل من حيث ما هو متبع و له منازل مع الأمة المحمدية من حيثما اتبعه بما أعطاه الكشف الذي ذكرناه آنفا و فيه علم الصحبة و من يصحبك بالصفة و من يصحبك بالوجه و من يصحبك لك و من يصحبك لنفسه و من يصحبك لله و من أولى بالصحبة و من يصحب الله و من له مقام أن يصحب و لا يصحب أحدا و الفرق بين الصحبة و المصاحبة و فيه علم المقامات و الأحوال و فيه علم نعم و بئس و فيه علم الجزاء في الدنيا و فيه علم اتصاف العالم بالاستفادة فيما هو به عالم و فيه علم أصناف المقربين و درجاتهم في القربة من كل أمة و فيه علم من يريد الله و من يريد غير الله و ما متعلق الإرادة و هل يصدق من يقول إنه يريد الله أو لا يصدق و

فيه علم الالتباس في الموت و من اتصف بالضدين و فيه علم الاستدراج و فيه علم ما يقبله الحق من النعوت و لا ينبغي أن تنسب إليه لكونها في العرف و الشرع صفة نقص في الجناب الإلهي و هي شرف و رفعة في المحدث و فيه علم فنون من العلوم وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثمانون و ثلاثمائة» في معرفة منزل الخواتم و عدد الأعراس الإلهية و الأسرار الأعجمية

موسوية لزومية

علم البرازخ علم ليس يدركه	إلا الذي جمع الأطراف و الوسطا
له النفوذ به في كل نازلة	كونية فبه في العالمين سطا
فإن أراد بشخص نقمة قبضا	و إن أراد بشخص نعمة بسطا
إن أقسط الخلق في ميزان رحمته	في العالمين تراه فيه قد قسطا

اعلم أنه لما كانت الخواتم أعيان السوابق علمنا إن الوجود في الصور دائرة انعطف أبدها على أزلها فلم يعقل إله إلا و عقل المألوه و لا عقل رب إلا و عقل المربوب و لكل معقول رتبة ليست عين الأخرى كما نعلم أن بين الخاتمة و السابقة تميزا معقولا به يقال عن الواحدة سابقة و عن الأخرى خاتمة و إنما قلنا إن الخاتمة عين السابقة إنما ذلك في الحكم على المحكوم عليه و بالمحكوم عليه تبينت الخاتمة من السابقة و اعلم أن الأعراس على قسمين عرس لعقد و عرس لعقد و دخول و عرس بدخول و لا عقد و العقد عبارة عما يقع عليه رضي الزوجين و الدخول وطء لوجود لذة أو لإيجاد عين و دخول بلا عقد عرس الإماء و لما لم يكن في الأنكحة أفضل من نكاح الهبة لأنه لا عن عوض كالاسم الواهب الذي يعطي لينعم اختص به لفظه أفضل الخلق و هو محمد ص قال تعالى وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ و كل نكاح خارج عما ذكرناه فهو سفاح لا نكاح أي هو بمنزلة الشيء السائل الذي لا ثبات له لأنه لا عقد فيه و لا رباط و لا وثاق ثم نرجع و نقول فأما الخواتم فتعينها الآجال و لو لا ذلك ما كان لشيء خاتمة لأن الخاتمة انتهاء في الموصوف بها و لكل خاتمة سابقة و لا ينعكس فمن نظر إلى دوام تنزيل الأمر الإلهي و استرساله قال ما ثم خاتمة و من نظر إلى الفصل بين الأشياء في التنزل قال بالخواتم في الأشياء لكون الفصول تبينها مثال ذلك و لكن كل هذا في عالم الانقسام و التركيب فإذا نظرت في القرآن مثلا بين الكلمتين و الآيتين و السورتين فتقول عند وجود الفصل المميز بين الأمرين فإن وقع بين كلمتين فخاتمة الأولى حرف معين و إن كان آيتان فخاتمة الأولى كلمة معينة و إن كان سورتان فخاتمة الأولى آية معينة و إن كان أمر حادث قيل أجله كذا في الدنيا لأن كل ما في الدنيا يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فتنتهي فيه المدة بالأجل فخاتمة ذلك الشيء ما ينتهي إليه حكمه فانتهاء الأنفاس في الحيوان آخر نفس يكون منه عند انتقاله إلى البرزخ ثم تنتهي المدة في البرزخ إلى الفصل بينه و بين البعث ثم تنتهي المدة في القيامة إلى الفصل بينها و بين دخول

الدارين ثم تنتهي المدة في النار في حق من هو فيها من أهل الجنة إلى الفصل الذي بين الإقامة فيها و الخروج منها بالشفاعة و المنة ثم تنتهي المدة في عذاب أهل النار الذين لا يخرجون منها إلى الفصل بين حال العذاب و بين حصول حكم الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فهم يتنعمون في النار باختلاف أمزجتهم كما قد ذكرناه ثم لا يبقى بعد ذلك أجل ظاهر بالمدة و لكن آجال خفية دقيقة و ذلك أن المحدث الدائم العين من شأنه تقلب الأحوال عليه ليلزمه الافتقار إلى دوام الوجود له دائما فلا تفارق أحواله الآجال فلا يزال في أحواله بين سابقة و خاتمة و أما الايمان فسابقته لا إله إلا الله و خاتمته إماطة الأذى عن الطريق فعبر الشارع عن السابقة بالأعلى و عن الخاتمة بالأدون فلا أعلى في الايمان من التوحيد و لا أدنى فيه من إماطة الأذى عن الطريق و من ذلك طريق التوحيد فإن الأذى الذي في طريقه الشرك الجلي و الخفي فالخفي الأسباب و هي بين خفي و أخفى فالأخفى الأسباب الباطنة و الخفي الأسباب الظاهرة و الجلي نسبة الألوهة إلى المحدثات فيميط الموحد هذه كلها عن قلبه و قلب غيره فإنها أذى في طريق التوحيد و كل أذى في طريق من طرق الايمان بحسب الصفة التي تسمى إيمانا فما يضادها يسمى أذى في طريقها فالذي يزال به الأذى من تلك الصفة المعينة هو خاتمة تلك الصفة كان ما كان و لا خاتمة لحكم الله في عباده بالجملة و الإطلاق و لا سابقة فإن العدم الذي للممكن المتقدم على وجوده لم يزل مرجحا له بفرض الوجود الإمكانى له فلا سابقة له و هو علم دقيق خفي تصوره سهل ممتنع لأنه سريع التفلت من الذهن عند التصور فليس الحدوث للممكن إلا من حيث وجوده خاصة عند جميع الأنظار و عندنا ليس كذلك و إنما الحدوث عندنا في حقه كون عدمه و وجوده لم يزل مرجحا على كل حال لأنه ممكن لذاته و إن كان بعض النظار قد قال حدوثه ليس سوى إمكانه و لكن ما بين هذا البيان الذي بينته في ذلك يتطرق الاحتمال إلى كلام هذا الحاكم فإنه يحتمل أن يكون عند من أسماء الترادف فيكون كونه يسمى حادثا كونه يسمى ممكنا و يحتمل أن يريد ما أردناه من كون العدم الذي يحكم عليه به أنه لذاته هو عندنا مرجح لم يزل فإن توسعنا في العبارة مع النظار لم نقل إن عدم الممكن لنفسه لأنه لو كان العدم له صفة نفس لاستحال وجوده كما يستحيل وجود المحال و لكن كما نقول تقدم العدم له على الوجود لذاته لا العلم و بينهما فرقان عظيم و لكن ليس مذهبنا فيه إلا إن عدمه لم يزل مرجحا فوجود الممكن له سابقة لكونه لم يكن ثم كان و لكن من حيث عينه إذا كان قائما بنفسه لا من حيث صورته فلا خاتمة له في عينه و له الخواتم في صورته بالأمثال و الأضداد فكل حادث سوى الأعيان القائمة بأنفسها فله سابقة و خاتمة لكنسابقته عين خاتمته لأنه ليس له في كونه غير زمان كونه خاصة ثم ينعدم لنفسه و إنما تتميز السابقة فيه من الخاتمة بالحكم فتحكم عليه بالوجود في السابقة و بالعدم في الخاتمة و في عين سابقته عين خاتمته لأنه ليس له وجود في الزمان الثاني من زمان وجوده فافهم و اعلم أن السالك إذا وصل إلى الباب الذي يصل إليه كل سالك بالاكتساب فأخر قدم في السلوك هو خاتمة السالكين ثم يفتح الباب و تخرج العطايا و المواهب الإلهية بحكم العناية و الاختصاص لا بحكم الاكتساب و هذا الباب الإلهي قبول كله لا رد فيه البتة بخلاف أبواب المحدثات و فيه أقول

أمكن الرد و القبول جميعا	كل باب إذا وصلت إليه
للذي جاءه سميعا مطيعا	غير باب الإله فهو قبول
أنه الباب خر ثم صريعا	و الذي رد إذ تخيل فيه
إن بابي لمن يريد خشوعا	فيناديه ربه ليس بابي
كنت عاينت فيك أمرا بديعا	لو تفطنت حين جئت إليه
فاسكب إن شئت للفراق دموعا	أنت ما أنت لست أنت سوانا

و لما وصلت في جماعة الواصلين من أهل زماني إلى هذا الباب الإلهي وجدته مفتوحا ما عليه حاجب و لا بواب فوقفت عنده إلى أن خلع على خلعة الوراثة النبوية و رأيت خوخة مغلقة فأردت قرعها فقيل لي لا تقرع فإنها لا تفتح فقلت فلأي شيء وضعت قيل لي هذه الخوخة التي اختص بها الأنبياء و الرسل ع و لما كمل الدين أغلقت و من هذا الباب كانت تخلع على الأنبياء خلع الشرائع ثم إني التفت في الباب فرأيته جسما شفافا يكشف ما وراءه فرأيت ذلك الكشف عين الفهم الذي للورثة في الشرائع و ما يؤدي إليه اجتهاد المجتهدين في الأحكام فلازمت تلك الخوخة و النظر فيما وراء ذلك الباب فجليت لي من خلفه صور المعلومات على ما هي عليه فذلك عين الفتح الذي يجده العلماء في بواطنهم و لا يعلمون من أين حصل لهم إلا إن كوشفوا على ما كشف لنا فالنبوة العامة لا تشريع معها النبوة الخاصة التي بابها تلك الخوخة هي نبوة الشرائع فبابها مغلق و العلم بما فيها محقق فلا رسول و لا نبي فشكرت الله على ما منح من المنن في السر و العلن فلما اطلعت من الباب الأول الذي يصل إليه السالكون الذي منه تخرج الخلع إليهم رأيت منه شكر الشاكرين كالصور التي تجلت لنا خلف الخوخة و الظاهر من الشكر كالخوخة فلم أر شاكرا إلا لواحد من خلف الكلمات الظاهرة فلم أجد في تلك الحالة مساعد إلى على الشكر فقلت أخاطب ربي تعالى عز و جل

و إن أنا لم أشكر أكون كفورا	إذا رمت شكرا لم أجد لك شاكرا
وضعت فلم آنس عليك غيورا	سترت عقول الخلق بالسبب الذي
أمرت بها عبدا بتلك خبيرا	و قد بلغت عنك التراجم غيرة
و لو كنت مشهودا لكنت غفورا	لذلك لم تشهد و لم تك ظاهرا
بعثت شخيصا للأنام بصيرا	و قد قلت بالتلبيس في الملك الذي
على حالة الإمكان منك ظهيرا	و كيف لنا بالعلم و الأمر لم يزل

فكان محمد ص عين سابقة النبوة البشرية بقوله معرفا إيانا كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين‌و هو عين خاتم النبيين بقوله تعالى وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ لما ادعى فيه أنه أبو زيد نفى الله تعالى عنه أن يكون أبا لأحد من رجالنا لرفع المناسبة و تمييز المرتبة أ لا تراه ص ما عاش له ولد ذكر من ظهره تشرع تفأله لكونه سبق في علم الله أنه خاتم النبيين و قال ص إن الرسالة يعني البعثة إلى الناس بالتشريع لهم و النبوة قد انقطعت‌أي ما بقي من يشرع له من عند الله حكم يكون عليه ليس هو شرعنا الذي جئنا به فلا رسول بعدي يأتي بشرع يخالف شرعي إلى الناس و لا نبي يكون على شرع ينفرد به من عند ربه يكون عليه فصرح أنه خاتم نبوة التشريع و لو أراد غير ما ذكرناه لكان معارضا لقوله إن عيسى ع ينزل فينا حكما مقسطا يؤمنا بنا أي بالشرع الذي نحن عليه‌و لا نشك فيه أنه رسول و نبي فعلمنا أنه ص أراد أنه لا شرع بعده ينسخ شرعه و دخل بهذا القول كل إنسان في العالم من زمان بعثه إلى يوم القيامة في أمته فالخضر و الياس و عيسى من أمة محمد ص الظاهرة و من آدم إلى زمان بعثة رسول الله ص من أمته الباطنة فهو النبي بالسابقة و هو النبي بالخاتمة فظهر في رسول الله ص إن السابقة عين الخاتمة في النبوة و أما خاتمية عيسى ع فله ختام دورة الملك فهو آخر رسول ظهر و ظهر بصورة آدم في نشئه حيث لم يكن عن أب بشري و لم يشبه الأبناء أعني ذرية آدم في النشء فإنه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد فإنه لم ينتقل في أطوار النشأة الطبيعية بمرور الأزمان المعتادة بل كان انتقاله يشبه البعث أعني إحياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة من جاءوا عليها في الزمان الكثير فإنه داخل تحت عموم قوله كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ في التناسل و التنقل في الأطوار ثم إن عيسى إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان أعطاه ختم الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبي تشريفا لمحمد ص حيث لم يختم الله الولاية العامة في كل أمة إلا برسول تابع إياه ص و حينئذ فله ختم دورة الملك و ختم الولاية أعني الولاية العامة فهو من الخواتم في العالم و أما خاتم الولاية المحمدية و هو الختم الخاص لولاية أمة محمد الظاهرة فيدخل في حكم ختميته عيسى ع و غيره كإلياس و الخضر و كل ولي لله تعالى من ظاهر الأمة فعيسى ع و إن كان ختما فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمدي و علمت حديث هذا الخاتم المحمدي بفأس من بلاد المغرب سنة أربع و تسعين و خمسمائة عرفني به الحق و أعطاني علامته و لا أسميه و منزلته من رسول الله ص شعرة واحدة من جسده ص و لهذا يشعر به إجمالا و لا يعلم به تفصيلا إلا من أعلمه الله به أو من صدقه إن عرفه بنفسه في دعواه ذلك فلذلك عرف بأنه شعرة من الشعور و مثال الشعور أن ترى بابا مغلقا على ميت أو صندوقا مغلقا فتحس فيه بحركة تؤذن أن في ذلك البيت حيوانا و لكن لا يعلم أي نوع هو من أنواع الحيوان أو يشعر أنه إنسان و لا يعرف له عينا فيفصله من غيره كما نعلم بثقل الصندوق أنه يحتوي على شي‌ء أثقله لا يعلم ما هو عين ذلك الشي‌ء المختزن في ذلك الصندوق فمثل هذا يسمى شعورا لهذا الخفاء و أما ختم الأسماء الإلهية فهو عين سابقتها و هو الهو و هو مثل قوله هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فبدأ بهو و أتى بالاسم الله المحيط بجميع الأسماء التي تأتي مفصلة ثم بالنفي فنفى إن يكون هذه المرتبة لغيره ثم أوجبها لنفسه بقوله إِلَّا هُوَ فبدأ بهو و ختم بهو فكل ما جاء من تفصيل أعيان الأسماء الإلهية فقد دخل تحت الاسم الله أتى بعد

قوله هو فإن كلمة هو أعم من كلمة الله فإنها تدل على الله و على كل غائب و كل من له هوية و ما ثم إلا من له هوية سواء كان المعلوم أو المذكور موجود أو معدوما و أما الخواتم التي على القلوب فهي خواتم الغيرة الإلهية فما ختم بها إلا الاسم الغيور و هو قوله ص في الله إنه أغير مني و من غيرته حرم الفواحش و جعل الفواحش ظاهرة و باطنة فقال تعالى لمحمد ص قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ فختم على كل قلب إن تدخله ربوبية الحق فتكون نعتا له فما من أحد يجد في قلبه أنه رب إله بل يعلم كل أحد من نفسه أنه فقير محتاج ذليل قال تعالى كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ فلا يدخله كبرياء إلهي أصلا فجعل البواطن كلها في كل فرد فرد مختوما عليه إن لا يدخلها تأله و لم يعصم الألسنة إن تتلفظ بالدعوى بالألوهة و لا عصم النفوس أن تعتقد الألوهة في غيرها بل هي معصومة أن تعتقدها في نفسها لا في أمثالها لأنه ما كل أحد عالم بالأمور على ما هي عليه و لا يعلم كل أحد أن الأمثال كلها حكمها في الماهية واحد فهذه الخواتم قد انحصرت في تفصيل ما ذكرناه من أنواعها و أما الأعراس الإلهية على تفصيل ما ذكرناه في أول الباب فهي مشتقة من التعريس و هو نزول المسافر في منزلة معلومة في سفره و الأسفار معنوية و حسية فالسفر المحسوس معلوم و السفر المعنوي ما يظهر للقلب من المعاني دائما أبدا على التالي و التابع فإذا مرت بهذا القلب عرست به فكان منزلا لتعريسها و إنما عرست به لتفيده حقيقة ما جاءت به و إنما نسبت إلى الله لأن الله هو الذي أسفرها و أظهرها لهذا القلب و جعله منزلا لها تعرس فيه و هي الشئون التي قال الحق عن نفسه إنه فيها جل جلاله في كل يوم فالعالم في سفر على الدوام دنيا و آخرة لأن الحق في شئون الخلق على الدوام دنيا و آخرة و القلوب محل للتعريس هذه المعاني التي يسفرها الحق لقلوب عباده فتعرس فيها ليطلعه الله على ما أراد أن يعلمه ذلك القلب فما من نفس إلا و للقلب خاطر إلهي قد نزل به على أي طريق سلك لكن بعض القلوب تعرف من عرس بها من الخواطر و قد لا تعرف من أي طريق جاء لأنها ما شعرت به حتى نزل ذلك الخاطر بالقلب و بعض الناس لهم استشراف على أفواه السكك التي تأتي عليها هذه الخواطر التي تنزل بهذا القلب و تعرف كل طريق و تميزه عن صاحبه فإذا أقبل الخاطر عرف من أي طريق أقبل فإذا نزل به يقابله من الكرامة به على قدر ما يعرفه فإنه لكل طريق حكم ليس للطريق الآخر و هذا كله أعني الذي ذكرناه من المراعاة إنما ذلك في زمان التكليف فإنه الذي وضع الطريق و أوجب الأحكام فإذا ارتفع التكليف في النشأة الآخرة توحدت الطريق فلم يكون غير طريق واحدة فلا يحتاج في النازل عليه من الله المعرس بقلبه إلى تمييز أصلا فإنه ما ثم عمن يتميز لأحدية الطريق فلا يكون العرس بالعقد و بما فصلناه في ذلك في أول الباب إلا في زمان التكليف و هو زمان الحياة الدنيا في أول وجوب التكليف فاعلم ذلك فإذا كان الحق منزل تعريسنا و هو ما ذكر عن نفسه إن العبد يتحرك بحركة يضحك بها ربه و يتعجب منها ربه و يتبشبش له من أجلها ربه و يفرح بها ربه و يرضي بها ربه و يسخط بها ربه و يغضب بها ربه فلما قال هذا عن نفسه و عين هذه الحركات و أمثالها حتى عرفناها من كتابه على لسان رسوله ص و عرفنا إن العبد عنده بحسب ما أنزل به من هذه الحركات الموجبة لهذه الأحكام التي وصف الحق

بها نفسه أنه يظهر بها إذا أتى بها العبد و هذا حكم أثبته الحق و نفاه دليل العقل فعرفنا إن العقل قاصر عما ينبغي لله عز و جل و أنه لو ألزم نفسه الإنصاف للزم حكم الايمان و التلقي و جعل النظر و الاستدلال في الموضع الذي جعله الله و لا يعدل به عن طريقه الذي جعله الله له و هو الطريق الموصل إلى كونه إلها واحدا لا شريك له في ألوهيته و لا يتعرض لها لما هو عليه في نفسه و أما استدلاله القاصر الذي يريد أن يحكم به على ربه بقوله إنه ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث بتقسيمه في ذلك فإذا سلمناه لم يقدح فيما نريده فإنا نقول له من قال لك إن الحق بهذه المثابة و هو قولك كل ما لا يخلو عن الحوادث في نفسه فمن قال لك إن هذه في الموجودات منحصرة إنما ذلك حكم فيما لا يخلو عن الحوادث لا فيمن يخلو عن الحوادث و أما تقسيمك الآخر على هذا الجواب و هو قولك إنه إذا خلا عنها ثم قبلها فلا يخلو إما أن يقبلها لنفسه أو لأمر آخر ما هو نفسه فإن قبلها لنفسه فلا يخلو عنها و إذا لم يخل عنها فهو حادث مثلها و نقول له أما الحوادث كلها فيستحيل دخولها في الوجود لأنها لا تتناهى و أنت تعلم أن الذي يقبل الحوادث قد كان خليا عنها أي عن حادث معين مع وجود نفسه ثم قبل ذلك الحادث لنفسه لأنه لو لا ما هو على صفة يقبله ما قبله فقد عرا و خلا عن ذلك الحادث بعينه مع وجود نفسه فما من حادث تفرضه إلا و يعقل وجود نفس القابل له و ذلك الحادث غير موجود و إن لم يخل عن الحوادث فلا يلزم أن يكون حادثا مثلها مع قبوله لها لنفسه فالحق قد أخبر عن نفسه أنه يجيب عبده إذا سأله و يرضى عنه إذا أرضاه و يفرح بتوبة عبده إذا تاب فانظر يا عقل لمن تنازع و من المحال أن نصدقك و نكذب ربك و نأخذ عنك الحكم عليه و أنت عبد مثلي و نترك الأخذ عن الله و هو أعلم بنفسه فهو الذي نعت نفسه بهذا كله و نعلم حقيقة هذا كله بحده و ماهيته و لكن نجهل النسبة إلى الله في ذلك لجهلنا بذاته و قد منعنا و حذرنا و حجر علينا التفكر في ذاته و أنت يا عقل بنظرك تريد أن تعلم حقيقة ذات خالقك لا تسبح في غير ميدانك و لا تتعد في نظرك معرفة المرتبة لا تتعرض للذات جملة واحدة فإن الله قد أبان لنا أنه محل أو منزل لتعريس حركات عباده في أسفارهم بأحوالهم فتفطن إن كنت ذا عقل سليم ثم إنه ما يلزم إذا كان الأمر عندك قد حدث أن يكون ذلك الأمر حادثا في نفسه لا عقلا و لا عرفا و لا شرعا فإنك تقول قد حدث عندنا اليوم ضعيف و هو صحيح حدوثه عندكم لا حدوثه في نفسه في ذلك الوقت بل قد كانت عينه موجودة منذ خمسين سنة و مع هذا فلا يحتاج إليه لبيانه و ظهوره فمن أراد الدخول على الله فليترك عقله و يقدم بين يديه شرعه فإن الله لا يقبل التقييد و العقل تقييد بل له التجلي في كل صورة كما له أن يركبك في أي صورة شاء فالحمد لله الذي ركبنا في الصورة التي لم تقيده سبحانه بصورة معينة و لا حصرته فيها بل جعلت له ما هو له بتعريفه أنه له و هو تحوله في الصور فما قدر الله حق قدره إلا الله و من وقف مع الله فيما وصف به نفسه لم يدخله تحت حكم عقله من حيث نفسه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و اعلم أن مسمى النكاح قد يكون عقد الوطء و قد يكون عقدا و وطأ معا و قد يكون وطأ و يكون نفس الوطء عين العقد لأن الوطء لا يصح إلا بعقد الزوجين و منه إلهي و روحاني و طبيعي و قد يكون مرادا للتناسل أعني للولادة و قد يكون لمجرد الالتذاذ فأما الإلهي فهو توجه الحق

على الممكن في حضرة الإمكان بالإرادة الحبية ليكون معها الابتهاج فإذا توجه الحق عليه بما ذكرناه أظهر من هذا الممكن التكوين فكان الذي يولد عن هذا الاجتماع الوجود للممكن فعين الممكن هو المسمى أهلا و التوجه الإرادي الحي نكاحا و الإنتاج إيجادا في عين ذلك الممكن و وجودا إن شئت و الأعراس الفرح الذي يقوم بالأسماء الحسنى لما في هذا النكاح من الإيجاد الظاهر في أعيان الممكنات لظهور آثار الأسماء فيه إذ لا يصح لها أثر في نفسها و لا في مسماها و إنما أثرها و سلطانها في عين الممكن لما فيه من الافتقار و الحاجة إلى ما بيد الأسماء فيظهر سلطانها فيه فلهذا نسبنا الفرح و السرور و إقامة الأعراس إليها و هذا النكاح مستمر دائم الوجود لا يصح فيه انقطاع و الطلاق لهذا العقد النكاحي لا يقع في الأعيان القابلة للاعراض و الصور و إنما يقع في الصور و الأعراض و هو عدمها لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها و هو خلع لأنه رد الوجود الذي أعطاها عليه لأنه بمنزلة الصداق لعين هذا الممكن الخاص فإن قلت فالحق لا يتصف بالوجود الحادث فمن قبل هذا المردود و أين خزانته و لا بد له من محل قلنا تجلى الحق في الصور و تحوله الذي جاء به الشرع إلينا و رأيناه كشفا عموما و خصوصا هو عين ما ردته الممكنات الصورية و العرضية من الوجود حين انعدمت فالحق له نسبتان في الوجود نسبة الوجود النفسي الواجب له و نسبة الوجود الصوري و هو الذي يتجلى فيه لخلقه إذ من المحال أن يتجلى في الوجود النفسي الواجب له لأنه لا عين لنا ندركه بها إذ نحن في حال عدمنا و وجودنا مرجحين لم يزل عنا حكم الإمكان فلا نراه إلا بنا أي من حيث تعطيه حقائقنا فلا بد أن يكون تجليه في الوجود الصوري و هو الذي يقبل التحول و التبدل فتارة يوصف به الممكن الذي يختلع به و تارة يظهر به الحق في تجليه فانظر يا ولي في هذا الموطن فإنه موطن خفي جدا و لو لا لسان الشرع الذي أومأ إليه و نبه عليه ما أفصحنا عنه لأهل طريقنا فإن الكثير من أهل طريق الله و إن شهدوا تجلي الحق لكن لا معرفة لهم بذلك و لا بما رأوه و لا صورة ما هو الأمر عليه و من علم ما قررناه من بيان قصد الشرع فيه علم كيف صدور العالم و ما هو العالم و ما يبقى عينه من العالم و ما يفنى منه و ما يرثه الحق من العالم فإنه القائل إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَن عَلَيْهَا وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ و ما ورث على الحقيقة إلا الوجود الذي يتجلى فيه لمن ظهر من خلقه الذي اختلعت فيه صور الممكنات و أعراضها لأن الوارث لا يكون مع وجود الموروث عنه و بقائه و إنما يكون بعد انتقاله و عدمه من هذا الموطن و هو اتصافه بالعدم و ليس ذلك إلا للصور و الأعراض فهو وارث على الدوام و الاختلاع واقع على الدوام و القبول حاصل على الدوام و النكاح لازم على الدوام و هذا معنى الديمومة المنسوبة إلى الحق فهو تعالى يعمل مع كونه لم يزل موجدا للعالم و لم يزل العالم محدثا فالعالم له حكم الحدوث في عين القدم فلا يعقل له طرف ينتهي إليه لأنه من ذاته لم يزل تحت حكم الترجيح الإلهي له إما بالعدم أو بالوجود و إذا تقرر هذا في النسبة الإلهية فلنذكر حكم النسبة الروحانية في هذه المسألة و ذلك أن الوجود الذي ذكرناه في النسبة الإلهية هو الوجه الخاص الذي لكل ممكن من الله سواء كان هناك سبب وضعي أو لم يكن فالله الإيجاد على كل حال و بكل وجه علوا و سفلا و أما النكاح الروحاني فحضرته الطبيعة و هي الأهل الأصلي في النكاح الإلهي فإذا

ولدت في النكاح الأول صورة من الصور كانت تلك الصورة أهلا لهذا الروح الكل فانكحه الحق إياها فبنى بها فلما واقعها ظهر عن ذلك الوقاع ولد و هو الروح الجزئي فحييت به تلك الصورة و صار هذا الولد يقوم بها و يدبرها و يسعى عليها و يسافر و يقتحم الأخطار ليكتسب ما يجود به عليها حسا و معنى أي من الأرزاق المحسوسة و المعنوية و العرس الذي يكون لهذا النكاح الروحاني إنما تقيمه القوي التي لا ظهور لها إلا في هذه الصورة الطبيعية بوجود هذا النكاح فيقع لها الالتذاذ و الفرح بما يحصل لها من الأثر بوجود هذا البناء و أما النكاح الطبيعي فهو ما تطلبه هذه الأرواح الجزئية المدبرة لهذه الصور من اجتماع الصورتين الطبيعية بالالتحام و الابتناء المسمى في عالم الحس نكاحا فيتولد عن هذا النكاح أمثال الزوجين من كل حيوان و نبات فيظهر إنسان من إنسانين و فرس من فرسين و قد يقع الالتحام من غير المثلين فيتولد بينهما شكل غريب ما يشبه عين واحد من الزوجين كالبغل بين الحمار و الفرس و كل مولد بين شكلين مختلفين لا يولد أبدا فإنه عقيم فهو الذي يولد و لا يلد فنكاح مثل هذا النوع ليس لولادة و لكن لمجرد الشهوة و الالتذاذ فيشبه النكاح الأول هذا النكاح الذي حرج عنه غير جنس الزوجين من كونه نكاحا في غير الجنس فيتولد بينهما الشكل الغريب ما يشبه واحدا منهما أعني من الزوجين فافهم و تلقيح الشجر بالرياح اللواقح من النكاح الطبيعي و أما الريح العقيم فيشبه نكاحها نكاح الشكل الغريب الذي لا يتولد عنه شيء و أعراس هذا النكاح الطبيعي ما هو المشهود في العرف المسمى عرسا في الشاهد من الولائم و الضرب بالدفوف و أما ما يتولد من النكاح الطبيعي في الشجر فهو ما يعطيه من الثمر عند هذا الحمل و صورة وقع نكاح الأشجار زمان جرى الماء في العود و هو عند طلوع السعود فهو نكاح سعيد في طالع سعيد و ما قبل ذلك فهو زمان خطبة و رسل تمشي بين الزوجين الرجل و المرأة و وقوع الولادة على قدر زمان حمل هذين النوعين من الشجر فمنه ما يولد في الربيع و منه ما يولد في الصيف كما يكون حمل الحيوان يختلف زمانه باختلاف طبيعته فإنه لا يقبل من تأثير الزمان فيه إلا بقدر ما يعطيه مزاجه و طبعه فإذا نكح الجو الأرض و أنزل الماء و دبرته في رحمها آثار الأنوار الفلكية ضحكت الأرض بالأزهار وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ و إنما كان زوجا من أجل ما يطلبه من النكاح إذ لا يكون إلا بين الزوجين فعين عرسه هو ما تبرزه من الأزهار و المخلقة في النبات هو ما سلم من الجوائح و غير المخلقة ما نزلت به الجائحة وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ فهذا قد ذكرنا طرفا من الخواتم و الأعراس مجملا من غير تفصيل لكن حصرنا الأمهات في ذلك و أما الأسرار الأعجمية فإنما سميناها أعجمية لأن العربية من الأسرار هي التي يدركها عين الفهم صورا كالآيات المحكمات في الكتب المنزلة و الأسرار الأعجمية ما تدرك بالتعريف لا بالتأويل و هي كالآيات المتشابهات في الكتب المنزلة فلا يعلم تأويلها إلا الله أو من أعلمه الله ليس للفكر في العلم بها دخول و لا له فيها قدم و ما يتبع استخراج السر فيها إلا الذي ذكره الله تعالى و هو الذي في قلبه زيغ أي ميل عن الحق باتباعه ما قد ذكر الله فيه أنه لا يعلم تأويله إلا الله فمن أراد أن يعلم ذلك فلا يخض في تلك الأسرار و ليتعمل في الطريق الموصلة إلى الله و هو العمل بما شرع الله له بالتقوى فإنه قال تعالى إنه ينتج لصاحبه علم الفرقان فإذا عمل به تولى

الله تعليمه تلك الأسرار الأعجمية فإذا أنالها إياه صارت في حقه عربية فيعلم ما أراد الله بها و يزول عنه فيها حكم التشابه الذي كانت توصف به قبل العلم بها لأن الله جلاها متشابهة لها طرفان في الشبه فلا يدري صاحب النظر ما أراد منزلها بها في ذلك التشابه فإنه لا بد من تخليصه إلى أحد الطرفين من وجه خاص و إن جمعت بين الطرفين فلكل طرف منهما ما ليس للآخر من ذلك المخلوق أو من ذلك المنزل إن كان من صور كلام الله فالمنزل كقوله تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و كقوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كقوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ و كقوله وَ هُوَ اللهُ في السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ و كقوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ من الْغَمامِ و كقوله وَ جاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا و أمثال هذا في الكتب المنزلة و أما أخبار الرسل المترجمين عن الحق ما أوحى به على ألسنتهم إلينا فلا تحصى كثرة من الأمور المتشابهة فلا يتبع ذلك بعد التعريف إلا من في قلبه زيغ و أما من يتبع الطرق الموصلة إلى الكشف عنها فما هو من أهل الزيغ بل هو من أهل الاستقامة فالمحمدي هو المحكم من الآيات لأنه عربي و المتشابه موسوي لأنه أعجمي فالعجمية عند أهل العجمية عربية و العربية عند الأعاجم عجمة و في الألفاظ هي مستورة بالاصطلاح و ما ثم عجمة إلا في الاصطلاح و الألفاظ و الصور الظاهرة و أما في المعاني فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى علم المعاني و قال بالشبه فلا علم له أصلا بما ادعاه أنه علمه من ذلك فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ لأنها بسائط لا تركيب فيها و لو لا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود و في هذا المنزل من العلوم ما لا يحصى كثرة إن ذكرناها طال الأمر فيها و لهذا المنزل السيادة على كل منزل من منازل الجمع و الوجود و قد ذكرنا حصر هذه المنازل في هذا الكتاب فيما تقدم في هذا الباب فاعلم إن هذا المنزل هو منزل البرزخ الحقيقي فإن البرزخ يتوسع فيه الناس و ما هو كما يظنون بما هو كما عرفنا الله به في كتابه في قوله في البحرين بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ فحقيقة البرزخ أن لا يكون فيه برزخ و هو الذي يلتقي ما بينهما بذاته فإن التقى الواحد منهما بوجه غير الوجه الذي يلقى به الآخر فلا بد أن يكون بين الوجهين في نفسه برزخ يفرق بين الوجهين حتى لا يلتقيان فإذا ليس ببرزخ فإذا كان عين الوجه الذي يلتقي به أحد الأمرين الذي هو بينهما عين الوجه الذي يلتقي به الآخر فذلك هو البرزخ الحقيقي فيكون بذاته عن كل ما يلتقي به فيظهر الفصل بين الأشياء و الفاصل واحد العين و إذا علمت هذا علمت البرزخ ما هو و مثاله بياض كل أبيض هو في كل أبيض بذاته ما هو في أبيض ما بوجه منه و لا في أبيض آخر بوجه آخر بل هو بعينه في كل أبيض و قد تميز الأبيضان أحدهما عن الآخر و ما قابلهما البياض إلا بذاته فعين البياض واحد في الأمرين و الأمران ما هو كل واحد عين الآخر فهذا مثال البرزخ الحقيقي و كذلك الإنسانية في كل إنسان بذاتها الواحد هو البرزخ الحقيقي و ما ينقسم لا يكون واحدا و الواحد يقسم و لا يقسم أي و لا ينقسم في نفسه فإنه إن قبل القسمة في عينه فليس بواحد و إذا لم يكن واحدا لم يقابل كل شيء من الأمرين الذي يكون بينهما بذاته و الواحد معلوم أنه ثم واحد بلا شك و البرزخ يعلم و لا يدرك و يعقل و لا يشهد ثم إن الناس جعلوا كل شيء بين شيئين برزخا توسعا و إن كان ذلك الشيء المسمى عندهم برزخا جسما كبيرا أو صغيرا لكنه لما

منع أن يلتقي الأمران اللذان هو بينهما سموه برزخا فالجوهران اللذان يتجاوران و لا ينقسم كل واحد منهما عقلا و لا حسا لا بد من برزخ يكون بينهما و تجاور الجوهرين تجاور أحيازهما و ليس بين أحيازهما حيز ثالث ليس فيه جوهر و بين الحيزين و الجوهرين برزخ معقول بلا شك هو المانع أن يكون عين كل جوهر عين الآخر و عين كل حيز عين الآخر فهو قد قابل كل جوهر و كل حيز بذاته من عرف هذا عرف حكم الشارع إذ قال إن الله خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء مع حصول النجاسة فيه بلا شك و لكن لما كانت النجاسة متميزة عن الماء بقي الماء طاهرا على أصله إلا أنه يعسر إزالة النجاسة منه فما أباح الشارع من استعمال الماء الذي فيه النجاسة استعملناه و ما منع من ذلك امتنعنا منه لأمر الشرع مع عقلنا أن النجاسة في الماء و عقلنا أن الماء طهور في ذاته لا ينجسه شيء فما منعنا الشارع من استعمال الماء الذي فيه النجاسة لكونه نجسا أو تنجس و إنما منعنا من استعمال الشيء النجس لكوننا لا نقدر على فصل أجزائه من أجزاء الماء الطاهر فبين النجاسة و الماء برزخ مانع لا يلتقيان لأجله و لو التقيا لتنجس الماء فاعلم ذلك ألا ترى الصور التي في سوق الجنة كلها برازخ تأتي أهل الجنة إلى هذا السوق من أجل هذه الصور و هي التي تتقلب فيها أعيان أهل الجنة فإذا دخلوا هذا السوق فمن اشتهى صورة دخل فيها و انصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة يشتريها من السوق فقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فعين شهوته فيها التبس بها و دخل فيها و حازها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة و من لا يشتهيها بعينه واقف ينظر إلى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة و انصرف بها إلى أهله و الصورة كما هي في السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الأمر الذي نص عليه الشرع و وجب به الايمان إلا من علم نشأة الآخرة و حقيقة البرزخ و تجلى الحق في صور متعددة يتحول فيهن من صورة إلى صورة و العين واحدة فيشهد بصرا تحوله في صور و يعلم عقلا أنها ما تحولت قط فكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها و الحق في نفسه صدق العقل في حكمه و صدق البصر في حكمه ثم له علم بنفسه ما هو عين ما حكم به العقل عليه و لا هو عين ما حكم به شهود البصر عليه و لا هو غير هذين بل هو عين ما حكما به و هو ما علمه الحق من نفسه مما لم يعلمه هذان الحاكمان فسبحان العليم القدير قدر و قضى و حكم و أمضى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ في كل معبود و أين أين من تحوله في صور المعبودات و لكن أكثر الناس لا يعلمون ثم شرع لنا أن لا نعبده في شيء منها و إن علمنا أنه عينها و عصى من عبده في تلك الصور و جعله مشركا و حرم على نفسه المغفرة فوجبت المؤاخذة في المشرك و لا بد ثم بعد ذلك ترتفع المؤاخذة و ما ارتفعت إلا لجهله بصورة ما عنده في الشريك بنفي تلك الصفة في الآخرة عن الشريك فلذلك عوقب و لذلك شملته الرحمة بعد العقوبة و إنلم يخرج من النار و العالم منا هنا بصورة ما عبده المشرك ما نزحزح عن علمه في الدنيا و لا في الآخرة لأنه لم تقع عينه في الدنيا و لا تعلق علمه إلا على المعبود في تلك الصورة و المشرك لم يكن حاله كذلك و إنما كان حاله شهودا لصورة فرجع المشرك عنها في الآخرة و لم يرجع العالم فلو رجع لكان من الجاحدين فلا يصح له أن يرجع

إلا الذي شاهد الأعيان و الصورا		فالشرك باق و لكن ليس يعلمه
يقول بالشرك فيه صدق الخبرا		فمن يقول بتوحيد أصاب و من
في عين عابدة عين و لا أثرا		إن الشريك لمعدوم و ليس له

و في هذا المنزل من العلوم لا يعلمه نبي و لا ولي كان قبل هذه الأمة اختص بعلمه هذا الرسول محمد ص و هذه الأمة المحمدية فالكامل من هذه الأمة حصل له هذا المقام ظاهرا و باطنا و غير الكامل حصل له ظاهرا أو باطنا و لم يكمل له و لكن شمله لكونه من الأمة أمة محمد ص و لا يكاثر من أمته إلا بالمؤمنين منهم صغيرا كان المؤمن أو كبيرا فإن الذرية تابعة للآباء في الايمان و لا يتبعونهم في الكفر إن كان الآباء كفارا و لكن تعزل كفار كل أمة بمعزل عن كفار الأمة الأخرى فإن العقوبة تعظم بعظم من كفر به هذا هو المعهود إلا كفار هذه الأمة فإنهم أخف الناس عذابا لكون من كفرت برسالته التي أرسله الله بها رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و قد أبان الله ذلك في الدنيا و جعله عنوان حكم الآخرة و ذلك أن رسول الله محمدا ص لما اشتد قيامه في الله و غيرته على الحق في قصة رعل و ذكوان و عصية جعل يدعو عليهم في كل صلاة شهرا كاملا و هو القنوت فأوحى الله تعالى إليه في ذلك لما علم من إجابته إياه إذا دعاه في أمر فنهاه عن الدعاء عليهم إبقاء لهم و رحمة بهم فقال وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ أي لترحمهم فإنه مرسل إلى جميع الناس كافة ليرحمهم بأنواع وجوه الرحمة و من وجوه الرحمة أن يدعو لهم بالتوفيق و الهداية و قد صح عنه ص أنه كان يقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون و نهى عن الدعاء عليهم فإذا كان من أشرك به يعتب رسوله ص في الدعاء عليهم فكيف يكون فعله فيهم إذا تولى سبحانه الحكم فيهم بنفسه و قد علمنا أنه تعالى ما ندبنا إلى خلق كريم إلا كان هو أولى به فمن هنا يعلم ما حكمه في المشركين يوم القيامة من أمة محمد ص و إن أخذهم الله بالشرك في الآخرة إذ لا بد من المؤاخذة و لكن مؤاخذته إياهم فيها لطف إلهي لا يستوي فيه مشرك غير هذه الأمة بمشركها أعرف ذلك اللطف و لا أصرح به كما ذكر ص فيمن أصابتهم النار من هذه الأمة بذنوبهم بل من الأمم إن الله يميتهم فيها أمانة الحديث و قد مر في هذا الكتاب خرجه مسلم في صحيحه و قد رميت بك على الطريق لتعلم حكم الله في هذه الأمة المحمدية مؤمنها و الكافر بها فإن كفر الكافر منها لا يخرجه عن الدعوة فله أو عليه حكمها و لا بد فهم خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ المؤمن منهم بإيمانه و الكافر منهم بكفره هما خير من كل مؤمن من غير هذه الأمة و كافر و هذا الذي ذكرناه في هذا المنزل بالنظر إلى ما يحويه من العلوم جزء من ألف جزء بل من آلاف وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمات المحمدية»

و إن تعاظمت جلت ذاته فعلا		إن العظيم إذا عظمته نزلا
من باب غيرته و هو الذي فعلا		فهو الذي أبطل الأكوان أجمعها

قد جاوز الملأ العلوي و الرسلا　　و ليس يدركه ما قلنا سوى رجل
تحصيله و سها عن نفسه و سلا　　و هام فيمن يظن الخلق أجمعه
رب الوسيلة في أوصافه كملا　　ذاك الرسول رسول الله أحمدنا

اعلم أن لهذا المنزل أربعة عشر حكما الأول يختص بصاحب الزمان و الثاني و الثالث يختص بالإمامين و الرابع و الخامس و السادس و السابع يختص بالأوتاد و الثامن و التاسع و العاشر و الأحد عشر و الاثنا عشر و الثالث عشر و الرابع عشر يختص بالأبدال و بهذه الأحكام يحفظ الله عالم الدنيا فمن علم هذا المنزل علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا و نظيرهمن الطب علم تقويم الصحة كما أنه بالأبدال تنحفظ الأقاليم و بالأوتاد ينحفظ الجنوب و الشمال و المغرب و المشرق و بالإمامين ينحفظ عالم الغيب الذي في عالم الدنيا و عالم الشهادة و هو ما أدركه الحس و بالقطب ينحفظ جميع هؤلاء فإنه الذي يدور عليه أمر عالم الكون و الفساد و هؤلاء على قلب أربعة عشر نبيا و هم آدم و إدريس و نوح و إبراهيم و يوسف و هود و صالح و موسى و داود و سليمان و يحيى و هارون و عيسى و محمد سلام الله عليهم وَعَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و لكل واحد ممن ذكرنا طريق يخصه و علم ينصه و خبر يقصه و يرثه من ذكرناه ممن ليست له نبوة التشريع و إن كانت له النبوة العامة فلنذكر من ذلك ما تيسر فإنه يطول الشرح فيه و يتفرع إلى ما لا يكاد أن ينحصر و لهم من الأسماء الإلهية الله و الرب و الهادي و الرحيم و الرحمن و الشافي و القاهر و المميت و المحيي و الجميل و القادر و الخالق و الجواد و المقسط كل اسم إلهي من هذه ينظر إلى قلب نبي ممن ذكرنا و كل نبي يفيض على كل وارث فالنبي كالبرزخ بين الأسماء و الورثة و لهم من حروف المعجم حروف أوائل السور و هي الألف و اللام و الميم و الصاد و الراء و الكاف و الهاء و الياء و العين و الطاء و السين و الحاء و القاف و النون هذا لهم من حيث الإمداد الإلهي الذي يأتيهم في قلوبهم و إنما الذي يأتيهم من الحروف في صور خيالهم بالإمداد أيضا فالدال فالذال و العين و النون و الصاد و الراء و الألف و الطاء و الحاء و الواو و الضاد و الغين و اللام و الميم و التاء و الكاف و الباء و السين و القاف و الياء و الهاء و الحرف المركب من لام ألف الذي هو للحروف بمنزلة الجوهر و هذه الحروف من عالم الأنفاس الإلهية و ما تركب من الكلمات من هذه الحروف خاصة مما وقع عليها الاصطلاح في كل لسان بما تكون به الفائدة في ذلك اللسان فإن تلك الكلمات لها على ما قيل لي خواص في العالم ليست لسائر الكلم و أما الأرواح النورية فعين لهؤلاء الأنبياء منهم أربعة عشر روحا من أمر الله ينزلون من الأسماء التي ذكرناها الإلهية على قلوب الأنبياء و تلقيها حقائق الأنبياء ع على قلوب من ذكرناه من الورثة و يحصل للفرد الواحد من الأفراد وراثة الجماعة المذكورة فيأخذون علم الورث من طريق المذكورين من الأرواح الملكية و الأنبياء البشريين و يأخذون بالوجه الخاص من الأسماء الإلهية علوما لا يعلمها من ذكرناه سوى محمد ص فإن له هذا العلم كله لأنه أخبر أنه قد علم علم الأولين و علم الآخرين اعلم أن لله كنوزا في

الطبيعة التي تحت عرش العماء اكتنز فيها أمورا فيها سعادة العباد كاختزان الذهب في المعدن و صور هذه الكنوز صور الكلمات المركبة من الحروف اللفظية فلا تظهر إذا أراد الله إظهارها إلا على ظهر أرض أجسام البشر على ألسنتهم و إنفاقها و الانتفاع بها عين التلفظ بها مثل قول الإنسان لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فهذه الكلمات من الكنوز المنصوص عليها من الله على لسان رسوله ص و أول ما أظهرها الله تعالى على لسان آدم ع فهو أول من أنفق من هذا الكنز في الطواف بالكعبة حين أنزله جبريل فطاف به بالكعبة فسأله ما كنتم تقولون في طوافكم بهذا البيت فقال جبريل ع كنا نقول في طوافنا بهذا البيت سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فأعطى الله آدم و بنيه من حيث لا تعلمه الملائكة كلمة لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال آدم لجبريل ع و أزيدكم أنا لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فبقيت سنة في الذكر في الطواف لبنيه و لكل طائف به إلى يوم القيامة فأخبر رسول الله ص أن هذه الكلمة أعطيها آدم ع من كنز من تحت العرش فالكنوز المكتنزة تحت العرش إنما هي مكتنزة في نشأتنا فإذا أراد الله إظهار كنز منها أظهره على ألسنتنا و جعل ذلك قربة إليه فانفاقه النطق به و هكذا جميع ما اكتنزه مما فيه قربة و ما ليس بقربة فما هو مكتنز بل يخلق في الوقت في لسان العبد و كانت صورة اختزانه إذ لا يختزن إلا أمر وجودي أن الله لما أراد إيجاد هذا المكتنز تجلى في صورة آدمية ثم تكلم بهذا الأمر الذي يريد أن يكتنزه لنا أو لمن شاء من خلقه فإذا تكلم به أسمعه ذلك المكان الذي يختزنه فيه فيمسك عليه فإذا أنشأ الله ذلك المكان صورة ظهر هذا الكنز في نطق تلك الصورة فانتفع بظهوره عند الله ثم لم يزل ينتقل في السنة الذاكرين به دائما أبدا و لم يكن كنزا إلا فيمن ظهر منه ابتداء لا في كل من ظهر منه بحكم الانتقال و الحفظ و هكذا كل من سن سنة حسنة ابتداء من غير تلقف من أحد مخلوق إلا من الله إليه فتلك الحسنة كنز اكتنزها الله في هذا العبد من الوجه الخاص ثم نطق بها العبد لإظهارها كالذي ينفق ماله الذي اختزنه في صندوقه فهذا صورة الاكتناز إن فهمت فلا يكون اكتنازا إلا من الوجه الخاص الإلهي و ما عدا ذلك فليس باكتناز فأول ناطق به هو محل الاكتناز الذي اكتنزه الله فيه و هو في حق من تلقفه منه ذكر مقرب كان موصوفا بأنه كنز فهذه كلها رموزه لأنها كلها كنوزه و بعد أن أعلمتك بصورة الكنز و الاكتناز و كيفية الأمر في ذلك لتعلم ما أنت كنز له أي محل لاكتنازه مما لست بمحل له إذا تلقنته أو تلقفته من غيرك فتعلم عند ذلك حظك من ربك و ما خصك به من مشارب النبوة فتكون عند ذلك على بينة من ربك فيما تعبده به و لا تكون فيما أنت محل لاكتنازه وارثا بل تكون موروثا فتحقق ما ترثه و ما يورث منك و من هذا الباب مسألة بلال الذي نص عليها لنا رسول الله ص في قوله له بم سبقتني إلى الجنة يستفهمه إذ علم أن السبق له ص فلما ذكر له ما نص لنا قال بهما أي بتينك الحالتين فمن عمل على ذلك كان له أجر العمل و لبلال أجر التسنين و أجر عملك معا فهذا فائدة كون الإنسان محلا للاكتناز و أما تسنين الشر فليس باكتناز إلهي و إنما هو أمر طبيعي فإن النبي ص يقول معلما لنا و الخير كله بيديك أي أنت الذي اكتنزته في عبادك فهو بجعلك فيهم و اختزانك و لذلك يكون قربة إليك العمل به ثم قال و الشر ليس إليك أي لم تختزنه في عبادك و هو قوله تعالى ما

أَصابَكَ من حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ أي التعريف بذلك من عند الله و الحكم بأن هذا من الله و هذا من نفسك و هذا خير و هذا شر هذا معنى كل من عند الله و لهذا قال في حق من جهل الذي ذكرناه منهم فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً أي ما لهم لا يفقهون ما حدثتهم به فإني قد قلت ما أَصابَكَ من حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَ ما أَصابَكَ من سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فرفعت الاحتمال أو نصصت على الأمر بما هو عليه فلما قلت كُلٌّ من عِنْدِ اللهِ يعلم العالم بالله أني أريد الحكم و الإعلام بذلك أنه من عند الله لا عين السوء و لما علم ذلك رسول الله ص قال و الخير كله بيديك و الشر ليس إليك و كذلك قوله تعالى وَنَفْسٍ وَما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها إنه فجور وَتَقْواها إنه تقوى ليفصل بين الفجور و التقوى إذ هي محل لظهور الأمرين فيها فربما التبس عليها الأمر و تخيلت فيه أنه كله تقوى فعلمها الله فيما ألهمها ما يتميز به عندها الفجور من التقوى و لذا جاء بالإلهام و لم يجيء بالأمر ف إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ و الفجور فحشاء فالذكر للأصل و هو القطب و التحميدان أعني تحميد السراء و الضراء لما انقسم التحميد بلسان الشرع بين قوله في السراء الحمد لله المنعم المفضل و بين قوله في الضراء الحمد لله على كل حال و ما له في الكون إلا حالة تسر أو حالة تضر و لكل حالة تحميد فقسمها كذا على الإمامين فهؤلاء ثلاثة قد بينت مراتبهم و لما كانت الجهات التي يأتي منها الشيطان إلى الإنسان أربعة و هي قوله تعالى لنا في كتابه عن إبليس ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ و قام على كل جهة من هذه الجهات من يحفظ إيمانه منها جعل الأوتاد أربعة للزومهم هذه الجهات لكل وتد جهة أي الغالب عليه حفظ تلك الجهة خاصة و إن كان له حفظ لسائر الجهات كأفرضكم زيد و أقضاكم علي و كالجماعة تحمل ما لا يقدر الواحد على حمله إذا انفرد به فلكل واحد من الجماعة قوة في حمله و أغلب قوته حمل ما يباشره من ذلك المحمول فلو لا الجماعة ما انتقل هذا المحمول لأن كل واحد واحد لا يقدر على حمله فبالمجموع كان الحمل كذلك هذا الأمر فهذه سبعة و أما الأبدال فلهم حفظ السبع الصفات في تصريف صاحبها لها إذ لها تصرف في الخير و تصرف في الشر فتحفظ على صاحبها تصريف الخير و تقيه من تصريفها في الشر فهذه جملة الأربعة عشر التي ذكرناها لقوم يعقلون من المؤمنين إذا أنصفوا و من حصل له حفظ ما ذكرناه فذلك المعصوم و تلك العصمة ما ثم غير هذين في الظاهر و الباطن وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و إذا علمت هذا و انفتح لك مقفلة مشيت لكل واحد من الذي عينا لك على ما له مما ذكرناه من الأسماء الإلهية و الحروف الرقمية المعينة و الأفهام الموروثة من النبيين المذكورين و الأرواح النورية فيحصل لك ذوقا جميع ما ذكرناه و كشفا لمعناه فلا تغفل عن استعماله و في هذا المنزل من العلوم علم الأذكار المقربة إلى الله تعالى و علم الأسماء الإلهية و علم اختصاص الرحمة و شمولها و علم الأسماء المركبة التي لله و علم عواقب الأمور و علم العالم و علم مراتب السيادة في العالم و علم الثناء بالثناء و علم الملك و الملكوت و علم الزمان و علم الجزاء و علم الاستناد و علم التعاون و علم العبادة و علم البيان و التبيين و علم طرق السعادة و علم النعمة و المنعم و الإنعام و علم أسباب الطرد عن السعادة التي لا يشوبها بها شقاء و علم الحيرة و المتحيرين و علم السائل و المجيب و علم التعريف بالذات و الإضافة

و أي التعريفين أقوى هذه أمهات العلوم التي يحوي عليها هذا المنزل و كل علم منها فتفاصيله لا تنحصر إلا لله تعالى أي يعلم مع علمه بها أنها لا تنحصر لأنها لا نهاية لها و منها تقع الزيادة في العلم لمن طلبها و من أعطيها من غير طلب و هو قوله وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإن تناهي العلم في نفسه فإن المعلوم لا ينتهي

بالانتهاء فيه فلم تنته   وقد نهيت النفس عن قولها
لذاك قالت إنه ينتهي   لجهلها بالأمر في نفسه
بمكة يجول في مهمه   و قد رأينا نفرا منهم
فانحاز ذو اللب من الأبله   قد حكمت أوهامهم فيهم

و اعلم أن عالم الإنسان لما كان ملكا لله تعالى كان الحق تعالى ملكا لهذا الملك بالتدبير فيه و بالتفصيل و لهذا وصف نفسه تعالى بأن لِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ و قال وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ فهو تعالى حافظ هذه المدينة الإنسانية لكونها حضرته التي وسعته و هي عين مملكته و ما وصف نفسه بالجنود و القوة إلا و قد علم أنه تعالى قد سبقت مشيئته في خلقه أن يخلق له منازعا ينازعه في حضرته و يثور عليه في ملكه بنفوذ مشيئته فيه و سابق علمه وكلمته التي لا تتبدل سماه الحارث و جعل له خيلا و رجلا و سلطه على هذا الإنسان فاجلب هذا العدو على هذا الملك الإنساني بخيله و رجله و وعده بالغرور و بسفراء خواطره التي تمشي بينه و بين الإنسان فجعل الله في مقابلة أجناده أجناد ملائكته فلما تراءى الجمعان و هو في قلب جيشه جعل له ميمنة و ميسرة و تقدمة و ساقة و عرفنا الله بذلك لنأخذ حذرنا منه من هذه الجهات فقال الله تعالى لنا إنه قال هذا العدو ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ و هو في قلب جيشه في باطن الإنسان فحفظ الله هذا الملك الإنساني بأن كان الله في قلب هذا الجيش و هذا العسكر الإنساني في مقابلة قلب جيش الشيطان و جعل على ميمنته الاسم الرب و على ميسرته الاسم الملك و على تقدمته الاسم الرحمن و في ساقته الاسم الرحيم و جعل الاسم الهادي يمشي برسالة الاسم الرحمن الذي في المقدمة إلى هذا الشيطان و ما هو شيطان الجان و إنما أعني به شيطان الإنس فإن الله يقول شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ و قال مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فإن شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان و باطنه و شياطين الجن هم نواب شياطين الإنس في بواطن الناس و شياطين الجن هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الإنس و يدبرون دولتهم فيفصلون لهم ما يظهرون فيها من الأحكام و لا يزال القتال يعمل على هذا الإنسان المؤمن خاصة فيقاتل الله عنه ليحفظ عليه إيمانه و يقاتل عليه إبليس ليرده إليه و يسلب عنه الايمان و يخرجه عن طريق سعادته حسدا منه فإنه إذا أخرجه تَبَرَّأَ مِنْهُ و جثا بين يدي ربه الذي هو مقدم صاحب الميمنة و يجعله سفيرا بينه و بين الاسم الرحمن و عرفنا

الله بذلك كله لنعرف مكايد فهو يقول للإنسان بما يزين له أكفر فإذا كفر يقول له إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النَّارِ خالِدَيْنِ فِيها لأن الكفر هنا هو الشرك و هو الظلم العظيم و لذلك قال وَ ذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ يريد المشركين فإنهم الذين لبسوا إيمانهم بظلم و فسره رسول الله ص بما قاله لقمان لابنه يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ فعلمنا بهذا التفسير أن الله أراد بالإيمان هنا في قوله وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ إنه الايمان بتوحيد الله لأن الشرك لا يقابله إلا التوحيد فعلم النبي ص ما لم تعلمه الصحابة و لهذا ترك التأويل من تركه من العلماء و لم يقل به و اعتمد على الظاهر و ترك ذلك لله إذ قال وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ فمن أعلمه الله بما أراده في قوله علمه بإعلام الله لا بنظره و من رحمة الله بخلقه أنه غفر للمتأولين من أهل ذلك اللسان العلماء به إذا أخطئوا في تأويلهم فيما تلفظ به رسولهم إما فيما ترجمه عن الله و إما فيما شرع له أن يشرعه قولا و فعلا و ليس في المنازل الإلهية كلها على كثرتها ما ذكرنا منها في هذا الكتاب و ما لم نذكر من يعطي النصاف و يؤدي الحقوق و لا يترك عليه حجة لله و لا لخلقه فيوفي الربوبية حقها و العبودية حقها و ما ثم إلا عبد و رب إلا هذا المنزل خاصة هكذا أعلمنا الله بما ألهمه أهل طريق الله الذي جرت به العادة أن يعلم الله منه ورثة أنبيائه و هو منزل غريب عجيب أوله يتضمن كله و كله يتضمن جميع المنازل كلها و ما رأيت أحدا تحقق به سوى شخص واحد مكمل في ولايته لقيته بإشبيلية و صحبته و هو في هذا المنزل و ما زال عليه إلى أن مات رحمه الله و غير هذا الشخص فما رأيته مع أني ما أعرف منزلا و لا نحلة و لا ملكة إلا رأيت قائلا بها و معتقدا لها و منصفا بها باعترافه من نفسه فما أحكي مذهبا و لا نحلة إلا عن أهلها القائلين بها و إن كنا قد علمناها من الله بطريق خاص و لكن لا بد أن يرينا الله قائلا بها لنعلم فضل الله علي و عنايته بي حتى أني أعلمت أن في العالم من يقول بانتهاء علم الله في خلقه و أن الممكنات متناهية و أن الأمر لا بد أن يلحق بالعدم و الدثور و يبقي الحق حقا لنفسه و لا عالم فرأيت بمكة من يقول بهذا القول و صرح لي به معتقدا له من أهل السوس من بلاد الغرب الأقصى حج معنا و خدمنا و كان يصر على هذا المذهب حتى صرح به عندنا و ما قدرت على رده عنه و لا أدري بعد فراقه إيانا هل رجع عن ذلك أو مات عليه و كان لديه علوم جمة و فضل إلا أنه لم يكن له دين و إنما كان يقيمه صورة عصمة لدمه هذا قوله لي و يعطيه مذهبه و ليس في مراتب الجهل أعظم من هذا الجهل وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر السابع و العشرون بانتهاء الباب الثالث و الثمانين و ثلاثمائة وَ حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الرابع و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة المنازلات الخطابية»

الفصل الخامس في المنازلات و هو من سر قوله عز و جل وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ و هو من الحضرة المحمدية

حقائق الحق و العباد منازلات العلوم تبدي

و لا جدال و لا عناد   بلا تغال و لا مراء

يهدي إلى الغي و الرشاد   فقل لعقلي أقصر فنقلي

و بعض فكري إلى فساد   فكل ذكري إلى صلاح

للسيد الواهب الجواد   فانفع العلم علم فقري

اعلم أيدك الله و إيانا و أن المنا زلة فعل فاعلين هنا و هي تنزل من اثنين كل واحد يطلب الآخر لينزل عليه أو به كيف شئت فقل فيجتمعان في الطريق في موضع معين فتسمى تلك منا زلة لهذا الطلب من كل واحد و هذا النزول على الحقيقة من العبد صعود و إنما سميناه نزولا لكونه يطلب بذلك الصعود النزول بالحق قال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ فهو براقه الذي يسرى به إليه و ينزل به عليه و يقول تعالى في حق نفسه على ما ذكره رسول الله ص عنه فقال ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة الحديث بطوله فوصفه بالنزول إلينا فهذا نزول حق لخلق و منا نزول خلق لحق لأنه لا يتمكن لنا أن يكون لنا العلو و الكبرياء و الغني عنه فلنا صفة الصغار و الفقر إليه و له صفة الغني و الكبرياء

و كلنا لديه صغير   فكلنا إليه فقير

و هو الغني عنا الكبير   و كلنا نراه سوانا

عيني و إنني لخبير   إلا أنا فإني أراه

إلى غناه عبد فقير   و بعد أن علمت ذا قلت إني

و على الحقيقة فبنا ننزل عليه و بنا ينزل علينا و لو لا ذلك ما علمنا ما يقول في خطابه لنا فإنه الغني الحميد و على حقيقة الحقيقة فبه ننزل عليه و به ينزل علينا و سواء كانت منا زلة أو نزولا تاما فيكون المتكلم و السامع فهو يعلم ما يقول فإنه سمع من كان هذا مقامه فما سمع كلامه غيره و لما كان هو الأصل لم نكن إلا به فإن الفرع بصورة الأصل يخرج و فيها يظهر الثمر أعني في الفروع و تحصل الفوائد كما هي محل الحوائج فما ثم إلا هو

ما كان لي عليك دليل   لو كان لي إليك سبيل

و إنني العبيد الذليل   لذاك أنت رب عزيز

و في منزل علي يهول   عجبت من إله و عبد

بأنه و نحن عديل   إضافة و حرفي شمول

كون فقلته إذ يقول   الله قاله لم يقله

لا بد منه و كفى و من ذلك هذا هو الأمر الذي
كنت به متصفا فاعمل على قولي إذا
عليه منصفا و كن إذا ناظرك ألحق
كنت بها على شفا فأنت إن خالفته

و اعلم أن الحق لا يكلم عباده و لا يخاطبهم إلا من وَراءِ حِجابٍ صورة يتجلى لهم فيها تكون له تلك الصورة حجابا عنه و دليلا عليه كالصورة الظاهرة الجسدية من الإنسان إذا أرادت النفس الناطقة أن تكلم نفسا أخرى كلمتها من وراء حجاب صورة جسدها بلسان تلك الصورة و لغتها مع كون النفس مخلوقة و أمرها كما ذكرناه فكيف بالخالق فلا يشهد المنازل في المنازلات الخطابية إلا صور عنها تأخذ ما تترجم له عنه من الحقائق و الأسرار و هي السنة الفهوانية و حد المنازلات من العماء إلى الأرض و ما بينهما فمهما فارقت الصورة العماء و فارقت الصورة الإنسانية الباطنة الأرض ثم التقتا فتلك المنازلة فإن وصلت إلى العماء أو جاءها الأمر إلى الأرض فذلك نزول لا منازلة و المحل الذي وقع فيه الاجتماع منزل و تسمى هذه الحضرة التي منها يكون الخطاب الإلهي لمن شاء من عباده حضرة اللسن و منها كلم الله تعالى موسى ع أ لا تراه تجلى له في صورة حاجته و منها أعطى رسول الله ص جوامع الكلم فجمع له في هذه الحضرة صور العالم كلها فكان علم أسماء هذه الصور علم آدم ع و أعيانها لمحمد ص مع أسمائها التي أعطيت لآدم ع فإن آدم من الأولين الذين أعطى الله محمدا ص علمهم بن قال عن نفسه إنه أعطاه الله علم الأولين و الآخرين و منها آتي الله تعالى داود ع الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ و جميع الصحف و الكتب المنزلة من هذه الحضرة صدرت و منها أملى الحق على القلم الأعلى ما سطره في اللوح المحفوظ و كلام العالم كله غيبه و شهادته من هذه الحضرة و الكل كلام الله فإنها الحضرة الأولى فإن الممكنات أول ما لها من الله تعالى في إيجادها قول كن ففتق الأسماع من الممكنات هذا الخطاب وَآخِرُ دَعْواهُمْ في الجنة الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ عند قول الله لأهل الجنة رضائي عنكم فلا أسخط عليكم أبدا و لولا نفس الرحمن ما ظهرت أعيان الممكنات الكلمات و اعلم أن الحركات كانت ما كانت لا تكون إلا من متحرك في شيء عن قصد من المحرك كان المحرك نفسه أو غيره فتحدث الصور عن حركته لا بل عن تحركه فيما تحرك فيه بحسب قصده فتتشكل الصور بحسب الموطن و بالقصد الذي كان من المحرك كالحروف في النفس الخارج من الإنسان إذا قصد إظهار حرف معين لإيجاد عينه في موطنه الذي هو له انفتحت صورة الحرف في ذلك الموطن فعين لذلك الحرف اسما يخصه يتميز به عن غيره إذا ذكر كما تتميز صورته عن صورة غيره إذا حضر و ذلك بحسب امتداد النفس ثم إذا قصد إظهار كلمة في عينها قصد عند إظهار أعيان الحروف في نفسه إظهار حروف معينة لا يظهر غيرها فينضم في السمع بعضها إلى بعض فتحدث في السمع الكلمة و هي نسبة ضم تلك الحروف ما هي أمر زائد على الحروف إلا أنها نسبة جمعها

فتعطي تلك الجمعية صورة لم تكن الحروف مع عدم هذه النسبة الجمعية تعطيها فهذا تركيب أعيان العالم المركب من بسائطه فلا تشهد العين إلا مركبا من بسائط و المركب ليس بأمر زائد على بسائطه إلا نسبة جمع البسائط و إنما ذكرنا هذا حتى تعلم أن ما تشهده العين و التركيبفي أعيان هذه الحروف لا يتناهى فلذلك لا تنفد كلمات الله فصور الكلمات تحدث أي تظهر دائما فالوجود و الإيجاد لا يزال دائما فاعلم أيها المركب من أنت و بما ذا تركبت و كيف لم تظهر لعينك في بسائطك و ظهرت لعينك في تركيبك و ما طرأ أمر وجودي إلا نسبة تركيب تحكم عليه بأمر لم تكن تحكم به قبل التركيب فافهم أنشأ صورة كن من النفس ثم الكائنات عن كن فما أظهرت إلا كلمات كلها عن كن و هي لفظة أمر وجودي فما ظهر عنها إلا ما يناسبها من حروف مركبة تجتمع مع كن في كونها كلمة فما أمره يعني إلا واحدة و هي قوله كن قال تعالى وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ و قال إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ذلك الشيء في عينه فيتصف ذلك المكون بالوجود بعد ما كان يوصف بأنه غير موجود إلا أنه ثابت مدرج في النفس غير موجود الحرفية فالمنازلة الأصلية تحدث الأكوان و تظهر صور الممكنات في الأعيان فمن علم ما قلناه علم العالم ما هو و من هو فسبحان من أخفى هذه الأسرار في ظهورها و أظهرها في خفائها فهي الظاهرة الباطنة و الأولى و الآخرة لقوم يعقلون

و العين واحدة و الحكم للنسب و العين ظاهرة و الكون للسبب

قال تعالى وَما رَمَيْتَ فنفى إِذْ رَمَيْتَ فأثبت عين ما نفى وَلكِنَّ اللهَ رَمى فنفى عين ما أثبته فصار إثبات الرمي وسطا بين طرفي نفي فالنفي الأول عين النفي الآخر فمن المحال أن يثبت عين الوسط بين النفيين لأنه محصور فيحكم عليه الحصر و لا سيما و النفي الآخر قد زاد على النفي الأول بإثبات الرمي له لا للوسط فثبت الرمي في الشهود الحسي لمحمد ص بثبوت محمد ص في كلمة الحق فكما هو رام لا رام كذلك هو في الكلمة الإلهية محمد لا محمد إذ لو كان محمدا كما تشهد صورته لكان راميا كما يشهد رميه فلما نفى الرمي عنه الخبر الإلهي انتفى عينه إذ لا فرق بين عينه و رميه و هكذا فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و هذه هي البصيرة التي كان عليها الدعاة إلى الله يعلمون من يدعو إلى الله و من يدعي إلى الله فالإدراك واحد فإذا أدرك به الأمر على ما هو عليه سمي بصيرة لأنه علم محقق و إذا أدرك به عين نسبة ما ظهر في الحس سمي بصرا فاختلفت الألقاب عليه باختلاف الموطن كما اختلف حكم عين الأداة و إن كانت بصورة واحدة حيث كانت تختلف باختلاف المواطن مثل أداة لفظة ما لا شك أنها عين واحدة ففي موطن تكون نافية مثل قوله وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ و في موطن تكون تعجبا مثل قوله فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّارِ و في موطن تكون مهيئة مثل قوله رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا و في موطن تكون اسما مثل قوله إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ إلى أمثال هذا و قد تكون مصدرية و تأتي للاستفهام و تأتي زائدة و غير ذلك من مواطنها فهذه عين واحدة حكمت عليها المواطن بأحكام مختلفة كذلك صور التجلي بمنزلة الأحكام لمن يعقل ما يرى فأبان الله لنا فيما ذكره في هذه الآية أن الذي كنا نظنه حقيقة محسوسة إنما هي متخيلة يراها رأى العين و الأمر في نفسه على خلاف ما تشهده العين و هذا سار في

جميع القوي الجسمانية و الروحانية فالعالم كله في صور مثل منصوبة فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس و متخيل و الكل متخيل و هذا لا قائل به إلا من أشهد هذا المشهد فالفيلسوف يرمي به و أصحاب أدلة العقول كلهم يرمون به و أهل الظاهر لا يقولون به نعم و لا بالمعاني التي جاءت له هذه الصور و لا يقرب من هذا المشهد إلا السوفسطائية غير أن الفرق بيننا و بينهم إنهم يقولون إن هذا كله لا حقيقة له و نحن لا نقول بذلك بل نقول إنه حقيقة ففارقنا جميع الطوائف و وافقنا الله و رسوله بما أعلمناه مما هو وراء ما أشهدناه فعلمنا ما نشهد و الشهود عناية من الله أعطاها إيانا نور الايمان الذي أنار الله به بصائرنا و من علم ما قررناه علم علم الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم و علم إن العالم بأسره لا بل الموجودات هم عمار تلك الأرض و ما خلص منها إلا الحق تعالى خالقها و منشئها من حيث هويته إذ كان له الوجود و لا هي و لولا ما هو الأمر على ما ذكرناه ما صحت المنازلة بيننا و بين الحق و لا صح نزول الحق إلى السماء الدنيا و لا الاستواء على العرش و لا العماء الذي كان فيه ربنا قبل إن يخلق خلقه فلولا حكم الاسم الظاهر ما بدت هذه الحضرة و لا ظهر هذا العالم بالصورة و لولا الاسم الباطن ما عرفنا إن الرامي هو الله في صورة محمدية فما فوق ذلك من الصور فقال وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ و هو بشر إِلَّا وَحْياً مثل قوله وَلٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ فالرامي هو الله و البصر يشهد محمدا أَوْ مِن وَراءِ حِجابٍ صورة بشرية لتقع المناسبة بين الصورتين بالخطاب أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً و هو ترجمان الحق في قلب العبد نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ فإذا أوحى الله إلى الرسول البشري من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط و ألقاه الرسول علينا فهو كلام الحق لنا من وراء حجاب تلك الصورة المسماة رسولا إن كان مرسلا إلينا أو نبيا و قد تكون هذه الرتبة لبعض الأولياء فإذا انكشف الغطاء البشري عن عين القلب أدرك جميع صور الموجودات كلها بهذه المثابة في خطاب بعضهم بعضا و سماع بعضهم من بعض فأنجد المتكلم و السامع و الباطش و الساعي و المحس و المتخيل و المصور و الحافظ و جميع القوي المنسوبة إلى البشر فالمنازلات كلها برزخية بين الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و صور العالم و صور التجلي فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فالمترجم المتكلم و قد عرفنا إن الكلام المسموع هو كلام الله لا كلامه فتنظر ما جاء به في خطابه البرزخي و افتح عين الفهم لإدراكه و كن بحسب ما خاطبك به و لا يسمع كلام الله إلا بسمع الله و لا كلام الصورة إلا بسمع الصورة و السامع من وراء السمع و المتكلم من وراء الكلام وَاللهُ مِن وَرائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ من التبديل و التغيير فأما ما يدل على توحيد و إما صفة تنزيه و إما صفة فعل و إما ما يعطي الاشتراك و إما تشبيه و إما حكم و إما قصص و إما موعظة بترغيب أو ترهيب أو دلالة على مدلول عليه فهو محصور بين محكم و متشابه كل خطاب في العالم فالطور الجسم لما فيه من الميل الطبيعي لكونه لا يستقل بنفسه في وجوده و كتاب مسطور عن إملاء إلهي و يمين كاتبة بقلم اقتداري في رق و هو عينك من باب الإشارة لا من باب التفسير منشور ظاهر غير مطوي فما هو مستور و البيت المعمور و هو القلب الذي وسع الحق فهو عامرة و السقف المرفوع ما في الرأس من القوي الحسية و المعنوية و البحر

المسجور رأى الطبيعة الموقدة بما فيها من النار الحاكم الموجب للحركة إن عذاب ربك لواقع أي ما تستعذ به النفس الحيوانية و الروح الامري و العقل العلوي من سيدها المربي لها المصلح من شأنها لواقع لساقط عليها إذ كانت لها المنازل السفلية من حيث إمكانها مطلقا و من حيث طبعها مقيدا ما لَهُ من دافعٍ لأنه ما ثم غير ما ذكرناه فمن عندنا التلقي لتدليه و الترقي لتدانيه و بين هذين الحكمين ظهور البرازخ التي لها المجد الشامخ و العلم الراسخ و قد تكون المنازلة بين الأسماء الإلهية مثل المنازلة في الحرب على هذا الإنسان إذا خالف أمر الله فيطلبه التواب و الغفور و الرحمن و يطلبه المنتقم و الضار و المذل و أمثالهم و قد ورد في الحديث من هذا الباب قوله تعالى ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له من لقائي و هذا من المنازلة و قد ذقت هذا الكشف رأيته من الله في قتل الدجال بحضور رسول الله ص معي فيه و من هنالك انفتح لي باب بسط الرحمة على عباد الله و علمت إن رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فلا بد أن ينفذ حكمها في كل شيء و علمت حكمة انعدام الأعراض لا نفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها و خلق الله الأمثال في المحل أو الأضداد إذ لو ثبت عرض ثبوت محله إذا لم يكن محله معنى مثله أي عرض آخر مثله في العرضية لبقي كما يبقى الجوهر و لم تكن تتبدل حاله على الجوهر فيكون إما دائم الشقاء من أول خلقه أو دائم السعادة فتكون رحمة الله قاصرة على أعيان مخصوصين كما تكون بالوجوب في قوم منعوتين بنعت خاص و فيمن لا ينالها بصفة مقيدة وجوبا تناله الرحمة من باب الامتنان كما نالت هذا الذي استحقها و وجبت له بالصفة التي أعطته فاتصفت بها فوجبت الرحمة له فالكل على طريق الامتنان نالها و نالته فما ثم إلا منة إلهية أصلا و فرعا ثم تسري المنازلة بين الإصبعين من أصابع الرحمن في القلب في ميدان الإرادة فإن أزاغه أزاغه رحمان و إن أقامه أقامه رحمان فما ثم حكم إلا له لأنه المستوي على العرش فلا تنفذ الأحكام إلا من هذا الاسم ثم تظهر المنازلة بين الملك و الشيطان على القلب باللمتين اللتين يجدهما المكلف في قلبه فإن لم يكن مكلفا و وجد التردد في قلبه فلا يخلو إما أن يكون في دار تكليف أو لا يكون فإن كان في دار تكليف فالتردد إنما هو من اللمة الملكية و اللمة الشيطانية بطلب كل واحد منهما لما نفذت فيه لمته أن يكون للمكلف في ذلك دخول بإعانة في فساد فيجوز الإثم عليه كصبيين لم يبلغا حد التكليف فيتضاربان عن لمة الشيطان التي غلبت على كل واحد منهما فيجيء والداهما أو شخصان من قرابتهما أو جيرانهما أو منكان من الحاضرين من الناس فيدخلون بينهما بغير ميزان شرعي بل حمية غرض فربما يؤدي ذلك إلى أن يكتسبوا إثما فيما سعوا به في حقهما فلهذا تكون حركة الصبي بالشر عن لمة الشيطان فافهم و اعرف المواطن تقر بالعلم الأتم و إن كان غير مكلف و لا في دار تكليف و وجد التردد في أمر بين فعلين لا حرج عليه فيما يفعل منهما فذلك التردد و المنازلة بين الخاطرين كالتردد الإلهي غير أنه في العبد من أجل طلب الأولى و الأعلى في حقه كما يتردد المكلف بين طاعتين أيتهما يفعل فهذا تردد إلهي ما هو عن اللمتين إنما هما غرضان أو غرض واحد تعلق بأمرين إما على التساوي أو إبانة ترجيح يقتضيه الوقت و ما هو مكلف و لا في دار تكليف لأنه لو لا التكليف ما قرب شيطان إنسانا بإغواء أبدا لأنه

عبث و العبث لا يفعله الحق لأن الكل فعله و إليه يرجع الأمر كله فصاحب علم المنا زلات لا بد له أن يقف على هذا كله و أمثاله و كل تردد في العالم كله فهذا أصله أما التردد الإلهي أو الإصبعان أو اللمتان فشيء آخر له حكم ما هنالك و الأصل التردد الإلهي و ما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية المتقابلة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فلنذكر في هذا الفصل بعض ما حصل لنا في المنا زلات من المعا رف الإلهية فإنها أكثر من أن تحصى فمن ذلك ما نذكره

«الباب الخامس و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منا زلة من حقر غلب و من استهين منع»

لا تحقرن عباد الله أن لهم	قدرا و لو جمعت لك المقامات
أ ليس أسماؤه تبدي حقائقهم	و لو تولتهم فيها الجهالات
إلا إذا انتهكوا الشرع الذي انتهكت	حرمات منتهكية السمهريات
ففر من أجل حمى الرحمن أن له	عينا لمن حكمت فيه الحميات
فإن أسماءك الحسنى بأسمائه	الحسنى تناط و تدنيها العنايات

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن احتقا ر شيء من العالم لا يصد ر من تقي يتقي الله فكيف من عالم بالله علم دليل أو علم ذوق فإنه ليس في العالم عين إلا و هو من شعائر الله من حيث ما وضعه الحق دليلا عليه و وصف من يعظم شعائر الله فقال وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ أي فإن عظمتها من تقوى القلوب أو الشعائر عينها من تقوى القلوب ثم إن كان شعائر الله في دا ر التكليف قد حد الله لها للمكلف في جميع حركا ته الظاهرة و الباطنة حدودا عمت جميع ما يتصرف فيه روحا و حسا بالحكم و جعلها حرمات له عند هذا المكلف فقال وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ و تعظيمها أن يبقيها حرمات كما خلقها الله في الحكم فإن ثم أمورا تخرجها عن إن تكون حرمات كما تكون في الدا ر الآخرة في الجنة على الإطلاق من غير منع و هو قوله تعالى نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ و لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ و قوله إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ و ا رتفع الحجر فربما يقام العبد في دا ر التكليف في هذا الموطن فيريد التصرف فيه كما تعطيه حقيقته و لكن في موطنه فيسقط حرمات الله في ذلك فلا يرفع بها رأسا و لا يجد لها تعظيما فيفقد خيرها إذا لم يعظمها عند ربه كما قال وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ و إنما قال هذا و لم يتوعد بسبب أن أصحاب الأحوال إذا غلبت عليهم كانوا أمثال المجانين ا رتفع عنهم القلم فيفوتهم لذلك خير كثير عند الله و لهذا لا يطلب الحال أحد من الأكا بر و إنما يطلب المقام و نحن في دا ر التكليف فما فا تنا في هذه الدا ر من ذلك فقد فا تنا خيره هنالك فنعلم قطعا أنا لسنا من أهل العناية عند الله بفوت هذا الخير هذا إذا لم تتعمل في تحصيل هذا الحال الذي يفوتنا هذا الخير فكيف بنا إذا اتصفنا بهذا الحكم المفوت للخير عن نظر في أصول

الأمور حين نعرف بعض حقائقها فيكون في ذلك البعض المفوت لنا هذا الخير و قد رأينا منهم جماعة كثيرة من أصحاب النظر في ذلك من غير حال ذوقي الله يعيذنا منه حالا و نظرا و لما كان الدليل يشرف بشرف المدلول و العالم دليل على وجود الله فالعالم شريف كله فلا يحتقر شيء منه و لا يستهان به هذا إذا أخذناه من جهة النظر الفكري و هو في القرآن في قوله أَ فَلا يَنْظُرُونَ . . . إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ الآيات النظرية كلها الواردة في القرآن و كقوله أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و قوله إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الآية و قوله أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ و قوله أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ الآية و كقوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ و أمثال هذه الآيات و أما عند أهل الكشف و الوجود فكل جزء في العالم بل كل شيء في العالم أوجده الله لا بد أن يكون مستندا في وجوده إلى حقيقة الإلهية فمن حقره أو استهان به فإنما حقر خالقه و استهان به و مظهره و كل ما في الوجود فإنه حكمة أوجدها الله لأنه صنعة حكيم فلا يظهر إلا ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي فمن عمي عن حكمة الأشياء فقد جهل ذلك الشيء و من جهل كون ذلك الأمر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له و لا شيء أقبح من الجهل فإن قلت فالجهل من العالم و قد قبحته فقد قبحت من استند إليه الجهل في وجوده قلنا كان يصح هذا لو كان الجهل نسبة وجودية فالجهل إنما هو عبارة عن عدم العلم لا غير فليس بأمر وجودي و العدم هو الشر و الشر قبيح لنفسه حيثما فرضته و لهذا ورد في الخبر الصحيح أن النبي ص قال في دعائه ربه تعالى و الخير كله في يديك و الشر ليس إليك فما نسب الشر إليه فلو كان الشر أمرا وجوديا لكان إيجاده إلى الله إذ لا فاعل إلا الله فالوجود كله خير لأنه عين الخير المحض و هو الله تعالى ثم نرجع إلى أصل الباب و هو قولنا من حقر غلب فنبين ذلك في الهمم و ذلك أن أصل هذا إن كان كل شخص احتقر شيئا فإن همته تقوى على التأثير فيه و على قدر ما يعظم عنده يقل التأثير فيه أو ربما يؤدي إلى أن لا يكون له أثر فيه فإن الانفعال في الأشياء إنما هو للهمم أ لا ترى تأثير همم النساء في السحر المعروف عندهم المؤثر في المسحور و لو لا ما احتقروا المسحور و قطعوا بهممهم إن هذا الذي يفعلونه قولا أو عملا يؤثر في المسحور ما أثر فيؤثر بلا شك و من ليست له هذه الهمة في قوة ذلك الفعل و يعظم عنده من يريد أن يسحره من الناس أن يؤثر فيه ذلك العمل أو القول و عمله أو قاله فإنه لا يؤثر جملة واحدة فلهذا قلنا من حقر غلب كما قيل لنا في هذه المنازلة فإذا صدق التوجه صح الوجود أ لا ترى الأشياء الكائنة في العالم و هي من العالم تعز أن تكون أثرا عن العالم أو محكومة للعالم فإن الأمثال تأنف من حيث حقيقتها أن يكون المؤثر فيها العالم فتحقر أمثالها أعني جزئيات العالم فتعلق الهمم بإيجاد أمر ما فتنظر في السبب المعين لها على إيجاد ذلك الأمر في العالم و تبحث عنه إن كان من قبل الأفعال أو الأقوال فتشرع في ذلك العمل أو القول فإن كان مما يعز بحيث أن لا تتمكن في الأثر فيه إلا بالتوجه إلى الله فتتوجه في ذلك بالدعاء و الصدق إلى الله فتؤثر بذلك التوجه تلك الهمة فإن كان صاحب الهمة مؤمنا احتقر ذلك المؤثر فيه في جنب قوة الله و عظمته و إن لم يكن احتقره في قوة همته و ما استعان به على التأثير فيه فهو مغلوب عنده على كل حال و أصله الاحتقار فإن كل شيء في العالم

بالنظر إلى عظمة الله حقير و هذا من علم النسب و كل شيء في العالم إذا نظرته بتعظيم الله لا بعظمته فهو عظيم و هو الأدب فإنه لا ينبغي أن ينسب إلى العظيم إلا ما يستعظم فإنه تعظيم عظمته في نفس من نظره بهذا النظر فإن استحقره فلم يعظم في نفسه بوجه ذلك التعظيم الذي في نفس من عظم عنده ذلك الشيء من العالم و ربما يحتج بقوله وَما ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ فينبغي للعالم أن لا يتصور هذه الآية إلا حتى يتصور عزة ذلك الشيء على أمثاله فإذا حصلت عنده عزة ذلك الشيء حينئذ يقول وَما ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ بِعَزِيزٍ و إن كان علينا بعزيز فيثبت العزيز للعزيز هذا هو الأدب و التعظيم فالشيء على عزته حقير بالنسبة إلى عزة الله التي لا تقبل التأثير لأجل هذا الحكم فإن احتج علينا من علم حقيقة ما كنا أومأنا إليه في حال من يسخط الله و يرضيه هل يدخل هذا الأثر الحاصل من الكون في الجناب الإلهي في هذا الباب أم لا قلنا لا يدخل فإن العالم بكل شيء بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و تصريف كل شيء إذ هو الموجد أسباب السخط و الرضي و الإجابة في الدعاء فما خرج عنه شيء يكون لذلك الشيء أثر فيه فهو محرك العالم ظاهرا و باطنا في كل ما يريد كونه فإنه كان ثم أثر فيه فهو الذي أثر في نفسه ما العالم أثر فيه بل غايتنا فيه إن نقول أثر في نفسه إن قلنا بذلك العالم أي بتقدم هذا السبب و هو إيجاده الأمر الموجب للسخط عليه في هذا الشخص فأسخط الله بهذا الفعل الذي أوجده في هذا العبد لشقاوة هذا العبد أو ليظهر فيه عقوبته و مغفرته و حكم رحمته على قدر ما يظهر فيه عقيب الأمر المسخط و أما قوله في المنازلة من استهين منع فقد يكون من استهين في حقه ذلك الشيء منع لأنه جاهل بما طلب فيكون من استهين ذلك المطلوب في حقه منع لما هو أعلى منه فإن الطالب قد يجهل قدر ما يطلب و يعظم عنده لعدمه إياه و هو عند الله بالنسبة إلى هذا الطالب دون هذا الطالب بمنعه مطلوبه فيتخيلالممنوع منه أن ذلك لإهانته على من بيده إعطاء ما سأل فيه و ليس كذلك فيفتح الله إن شاء عين بصيرته و يرزقه الكشف على نفسه و على حقيقة ما طلب و يريه الحق في ذلك الكشف أن الذي طلبه ما هو بذلك و يعرف شرف نفسه عن إن يتصف بالافتقار إلى الله في طلب مثل هذا فيعلم إن الله ما منعه لإهانته عليه و إنما منعه لاستهانة ذلك المطلوب بالنسبة إليه فيشكر الله على منع ذلك هذا وجه من وجوه قوله من استهين منع و الوجه الآخر أن يطلب الطالب فوق قدره حتى لو أعطيه ما قبله لأنه يضعف عن حمله فيمنع لإهانته بالنسبة إلى ما طلبه و هو عكس الأول فيكون منع الله إياه رحمة به مثل قوله وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ لأنهم يضعفون عن القيام بما يستحقه بسط الرزق من الشكر و ليس في وقته إلا البغي به و الكفر و الأشر و البطر و يظهر ذلك في أرباب المناصب في الدنيا فإذا رأيت صاحب المنصب يحكم عليه المنصب فتعلم أنه دون المنصب و أنه مهان بصرفه المنصب بعزته كيف يشاء فلا يزال مذموما بكل لسان من الحق و من الخلق و إذا رأيت صاحب المنصب يصرف المنصب و يحكم على المنصب فتعلم أنه فوق المنصب فيكون محمودا بكل لسان عند الله و عند العالم فيمنع بحق و حكمة و يعطي بحق و حكمة كما قال الحق عن نفسه وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ و ذلك لعلم هذا الشخص بالأوزان فإن الله يقول إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ فيعلم على من يبسط رزقه و على من

يقبض عنه ذلك القدر الذي بسطة على غيره فبغى به و لذلك ما ذكر إلا عموم البسط في العباد كلهم و أضاف البغي للكل لأنه قد بسط للبعض فوقع منهم البغي فيما بسطة له لأنه شغله عن حاجة نفسه الضرورية بحاجة نفسه التي هي غير ضرورية كملك بسط الله له في الملك فأعطاه افتقاره الأصلي أن يسعى في تحصيل ملك غيره و لم يقنع بما عنده و قد كان قبل حصول ما هو فيه عنده يشتهي أنه يحصل له بعضه و يقنع به فلما أعطاه ما قنع و تشوق إلى الزيادة مما هو في يد غيره فلم يحصل له ذلك إن حصل إلا بالبغي في الأرض فربما أداه ذلك البغي إلى زوال ما بيده فيندم عند ذلك و يعلم أنه ما عاد عليه إلا بغيه فلو كان عزيزا في طلبه غير مهان ما منع هكذا يقول عن نفسه و قد يكون منع الله ذلك في حقه و أخذ ما كان بيده سببا إلى رجوعه إلى الله و توبته ليسعده الله بذلك فالعاقل ينظر في أحواله و تصرفاته و ما أهله الله له و يعلم أن ذلك كله خطاب الحق بالسنة الأحوال فيفتح عين الفهم و سمعه لذلك الخطاب العقلي و الحالي فيعمل بمقتضى فهمه فيه فإن قلت فإن كان فهمه فيه ما تعطيه قوة ذلك المنصب قلنا ليس ذلك نريد و ما غاب عنا هذا الذي دخلت علينا به و لكن الله قد وضع لنا في العالم الموازين الشرعية لنقيم لها الوزن بالقسط فإذا أعطى ذلك الأمر الذي يريد تمشيته في العالم بالوزن أخذنا منه قدر ما يدخل الميزان و تركنا منه ما لا يحتمله الميزان فإن في مقابلة كفة الموزون مقدارا في الكفة الأخرى و ذلك المقدار هو الذي يعين لنا من هذا الموزون و ما نحتاج إليه في الوقت و هذا معنى قوله يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ و هو القدر الذي في الكفة الأخرى من الميزان وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و قد يكون الميزان مكيلا فهو على قدر الكيل و الفرق بين المكيال و الميزان أن الميزان خارج عنك فنأخذ من الموزون قدر ما يقابله من الكفة الأخرى و المكيال هو عين ذاتك من حيث ما هي متصفة بحالة ما فذلك عين كيلها فلا تأخذ من الأمر إلا بقدر قبولها كما يأخذ المكيال فهو على الحقيقة كما هو في الميزان فإنه إذا رجح بأحد الكفتين فقد خرج عن أن يكون وزنا لأنه خرج عن مقدار ما يقابله إما بتطفيف أو غيره فالنبي ص لما نزل عليه من الشرائع مكيال لا ميزان و الحق لما لم يصح أن يكون محلا للأمر لم ينزل نفسه منزلة المكيال لكن وصف نفسه بأن بيده الميزان يخفض القسط و يرفعه بحسب مراتب العالم فكل خفض في ميزان الحق و رفع فهو عين الاعتدال بين الكفتين في الميزان الموضوع في العالم فإن الحق لا يزن إلا حقا فميزان الحق لا بد فيه من خفض و رفع لإحدى الكفتين و لو كان على الاعتدال ما ظهر كون في العالم أصلا و لا عدل فإذا أقيمت موازين الشرع الإلهي في العالم سرى العدل في العالم و كذلك لو أقيم الوزن الطبيعي في العالم لم يكن في العالم مرض و لا موت كما لا يكون في الجنة لأن الميزان الطبيعي في الجنة يظهر حكمه و لذلك هي دار البقاء و يرتفع فيها ميزان الشرع كما ارتفع في الدنيا ميزان الطبع فالمنع و العطاء لو لا الميزان ما كان لهما حكم في العالم و الذي يزن هو الموصوف بالمعطي و المانع و الضار و النافع وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإن قال قائل من أهل التحقيق إن الجود الإلهي ليس فيه منع قلنا صدقت قال فإذا كنت صادقا و سلمت لي قولي فما حكم الاسم الإلهي المانع و هذا المنع الواقع في العالم لما ذا يرجع فإننا لا ننكره قلنا أما الجود الإلهي فلا منع فيه و لكن لا يقبله إلا الممكن لا يقبله المحال فإذا عرفت

القابل عرفت المانع و المنع فالقوابل تقبل من هذا الجود المطلق بحسب استعداداتها كالشقة و القصا ر في فيض الشمس نورها فتبيض الشقة و تسود وجه القصا ر إن كان أبيض فيقول لهما الحكيم النور واحد و لكن مزاج القصا ر لا يقبل من نور الشمس إلا السواد و الشقة على مزاج يقبل البياض فمزاجك منعك من قبول البياض و يقال للشقة مزاجك منعك من قبول السواد فلكل واحد من المذكورين أن يقول فالمسألة بحالها لم لم تعطني المزاج الذي يقبل السواد و القصا ر يقول لم لم تعطني المزاج الذي يقبل البياض قلنا لا بد في العالم من شقة و قصا ر فلا بد من مزاج يقبل البياض و مزاج يقبل السواد فلا بد منكما كنتما ما كنتما فإن العالم لا بد فيه من كل شيء فلا بد أن يكون فيه كل مزاج و الحق تعالى ما هو فعله مع الأغراض التي أوجدها في عباده و إنما هو مع ما تطلبه الحكمة و الذي اقتضته الحكمة هو الواقع في العالم فعين ظهوره هو عين الحكمة فإنه فعل الله لا يعلل بالحكمة بل هو عين الحكمة فإنه لو علل بالحكمة لكانت الحكمة هي الموجبة له ذلك فيكون الحق محكوما عليه و الحق تعالى لا يكون محكوما عليه فلا يوجب موجب عليه شيئا إلا ما ذكر لنا أنه أوجب على نفسه لا أنه أوجب عليه موجب غيره أمرا ما فأي محل فرضته لمزاج خاص يتصور أن يقول قد منعني غير هذا المزاج و هذا غلط لأن عين المزاج هو عين ما ظهر لا غيره و لا يصح أن يقول الشيء عن نفسه لم لم يكن غيري كما قدمنا في الباب الذي قبل هذا الباب أن التركيب ليس إلا البسائط فالتركيب نسبة و النسب عدمية و قد ظهر أمر لم يكن يظهر لولا تركيب هذه البسائط و جمعها و ما هو هذا الظاهر غير أعيان البسائط و كذلك هذا الظاهر عن هذا المزاج ما هو غير المزاج فما ثم على الحقيقة من يقول لأي شيء منعت و إذا لم يكن ثم لم يصح المنع في الجود الإلهي فبقي المنع و المانع إنما يرجعان إلى نسب مقد رة و ما كان أحد أظهره الله على هذا العلم و أمثاله و تنزلت ألسنة الشرائع بحسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة العالم و لذلك قال تعالى وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ فلا ينزل إلا بما تواطئوا عليه فقد يكون التواطؤ على صورة ما هي الحقائق عليه و قد لا يكون و الحق تابع لهم في ذلك كله ليفهم عنه ما أنزله في أحكامه و ما وعد به و أوعد عليه كما قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية و مع هذا جاء لسان الشرع بالأينية في حق الحق من أجل التواطؤ الذي عليه لسان المرسل إليهم فقال للسوداء أين الله فلو قالها غير الرسول لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فإنه لا أينية له فلما قالها الرسول و بانت حكمته و علمه علمنا أنه ليس في قوة فهم هذا المخاطب أن يعقل موجدة إلا بما تصوره في نفسه فلو خاطبه بغير ما تواطأ عليه و تصوره في نفسه لارتفعت الفائدة المطلوبة و لم يحصل القبول فمن حكمته أن سأل مثل هذه بمثل هذا السؤال و بهذه العبا رة و لذلك لما أشا رت إلى السماء قال فيها إنها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله و لم يقل عالمة فالعالم يصحب الجاهل في جهله بعلمه و الجاهل لا يقد ر على صحبة العالم على علمه إن لم يكن العالم ينزل إليه في صورة جهله و كل ذلك حكمة إلهية في العالم و اعلم أن المهانة حقيقة العالم التي هو عليها لأنه بالذات ممكن فقير فهو ممنوع من جميع نيل أغراضه و إراداته منعا ذاتيا و لا يحجبنك وقوع بعض مراداته و نيل بعض أغراضه عما قلناه في حقه فإن ذلك ما وقع له إلا بإرادة الحق لا بإ رادته فذلك المراد و إرادة العبد معا إنما

هما واقعان بإرادة الحق فهو ممتنع بالذات أن يكون شيء في الوجود موجودا عن إرادة العبد و لو كان لإرادة العبد نفوذ في أمر خاص لعم نفوذها في كل شيء لو كان ذلك المراد وقع لعين إرادة الممكن فتعين إن ذلك الواقع وقع بإرادة الله عز و جل فالعالم ممنوع لذاته كما هو ممكن مهان لذاته و إنما كان مهانا لذاته لأن العبودية له لذاته و هي الذلة و كل ذليل مهين و كل مهين محتقر و كل محتقر مغلوب فصح ما جاء في المنازلة من أنه من حقر غلب و من استهين منع وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منازلة حبل الوريد و أبنية المعية»

أنا مع العبد حيث كانا ⁂ مستقبلا ماضيا و أنا

نزيها مطلقا مقيدا ⁂ مقدسا عامرا مكانا

من قال شوقا تريد عيني ⁂ بأن ترانا فقد جفانا

أين أنا منك يا جفونا ⁂ لم تلحظ الفعل و الزمانا

كيف لها أن ترى جلالي ⁂ و قد رأى الصعق من رآنا

قال الله عز و جل وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و قال وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فكان بهويته معنا و بأسمائه أقرب إلينا منا فإن الحق إذا جمع نفسه مع أحديته فلأسمائه من حيث ما تدل عليه من الحقائق المختلفة و ما مدلولها سواه فإنها و مدلولاتها عينه و أسماؤه فلا بد أن تكون الكناية عن ذلك في عالم الألفاظ و الكلمات بلفظ الجمع مثل نحن و إنا بكسر الهمزة و تشديد النون مثل قوله إنا كل شيء خلقناه بقدر و إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون و قد تفرد إذا أراد هويته لا أسماءه مثل قوله إِنَّنِي أَنَا اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فوحد و أين نحن ما أنا و لا معنى لمن قال إن ذلك كناية عن العظمة لا بل هي عن الكثرة و ما ثم كثرة إلا ما تدل عليه منه أسماؤه الحسنى أو تكون عينه أعيان الموجودات و تختلف الصور لاختلاف حقائق الممكنات المركبات إذ قد قال عن هويته إنها جميع قوى الصور أي إذا أحب الشخص من عباده كشف له عنه به فعلم أنه هو فرآه به مع ثبوت عين الممكن و إضافة القوة التي هي عينه تعالى إلى العبد فقال كنت سمعه فالضمير في قوله كنت سمعه عين العبد و السمع عين الحق و لا يكون العبد عبدا إلا بسمعه و إلا فمن يقول إذا نودي سَمِعْنٰا وَأَطَعْنٰا إلا المأمور عند تكوينه و في تصرفاته فلولا أنه سميع ما قيل له كن و لا يكون لولا طاعته لربه في أمره إياه و الحق سمعه ليس غيره في كل حال فكشف له سبحانه عن ذلك و إذا كان الأمر على ما ذكره عن نفسه و أعطاه الشهود و الكشف صح الجمع في لفظة إنا و نحن و إذا لم يكن عين القوي و الموجودات إلا هو صح الإفراد في إِنَّنِي أَنَا اللّٰهُ و الهو و الأنت و ضمير المفرد بالخطاب بالكاف في إِيّٰاكَ نَعْبُدُ و أمثال ذلك فأفرد نفسه في جمعيتنا فقال وَهُوَ مَعَكُمْ و جمع نفسه في أحديتنا في قوله وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ فأفرد الضمير العائد على الإنسان فلم

يكن الجمع إلا بنا و لا الواحد العين إلا به فأينما كان الخلق فالحق يصحبه من حيث اسمه الرحمن لأن الرحم شجنة منه و جميع الناس رحم فإنهم أبناء أب واحد و أم واحدة فإنه خلقنا من نَفْسٍ واحِدَةٍ و هو آدم و بث من آدم و حواء رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً فنحن أرحام من حيث إن الرحم شجنة من الرحمن فصحت القرابة و قد أمر بصلة الأرحام فقال تعالى وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّٰهِ و أمر بأن نوصل الأرحام و هو أولى بهذا الوصف منا فلا بد أن يكون للرحم وصولا فإنها شجنة من الرحمن و قد لعن الله و اللعنة البعد من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه أي لا ينتسب إلى غير رحمه فنحن من حيث الرحم قرابة قربى و من حيث الرتبة عبيد فلا ننتسب إلا إليه و لا ننتمي لسواه و قد قال تعالى في الصحيح عنه اليوم أضع نسبكم لأنه عارض عرض لنا ما هو أصل لأنا نفترق و لا نجتمع و قد لا يعرف بعضنا بعضا فنسبنا الذي بيننا ما هو أصل إذ لو كان أصلا ما قبل العوارض و لا صح النكران ثم قال و أرفع نسبي فإنا ما زلنا عنه قط و لا افترقنا منه و لا فارقنا و لا زال عنا و كيف نزول عمن نحن في قبضته و من هو معنا أينما كنا و على أي حالة وصفنا من وجود و عدم ثم قال أين المتقون فقمنا إليه بأجمعنا لأنه ما منا إلا من اتخذه وقاية في دفع الشدائد عن نفسه و هو قوله وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّٰ إِيّٰاهُ و ما منا إلا من كان الحق له وقاية في دفع ما يقال عنه فيه إنه سوء فيكون كالمجن له تتعاور علينا سهام إلا سواء فيضاف كل مكروه إلينا فداء له فصح أن الناس كلهم متقون لكن ثم تقوى خصوص و تقوى عموم ميزتها الشرائع و نبهت عليها فمن علم ما قلناه حمل التقوى حملا عاما على جميع الخلق و من وقف مع النقوي المعلومة عند الناس خصص و ما نبهنا على هذا الأمر إلا مراعاة للشرع فإن الشرع راعى ذلك و نبه عليه حتى إذا علمه الإنسان و تحقق به ظهر له الفضل على غيره فإن الله يقول هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ و قد أمر بصلة الأرحام و الرحمن لنا رحم نرجع إليه فلا بد للمطيع أمره أن يصل رحمه و ليس إلا وصلته بربه فإن الله بلا شك قد وصلنا من حيث إنه رحم لنا ف هُوَ الرَّزّٰاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ المنعم على أي حالة كنا من طاعة أمره أو معصية و موافقة أو مخالفة فإنه لا يقطع صلة الرحم من جانبه و إن انقطعت عنه من جانبنا لجهلنا ثم إنه ما أمر بصلة الأرحام القريبة إلا ليسعدوا بذلك و ما من شخص إلا و له رحم يصلها و لو بالسلام كما قال صلوا أرحامكم و لو بالسلام فإذا وصلنا رحمنا لم نصل على الحقيقة إلا هو و إن حملناه في عين رحمنا فهو يعرف نفسه كما إن الصدقة تقع بيد الرحمن قبل إن تقع بيد السائل و قال لَنْ يَنٰالَ اللّٰهَ لُحُومُها وَ لاٰ دِماؤُها وَ لٰكِنْ يَنٰالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ و في نفس الأمر قد قلنا إنا وقاية له من كل سوء فلا بد لكل أحد أن يكون له صديق من الناس على أي دين كان و لا بد له من مراعاة صديقه و هو في النسب رحمه بلا شك لأنه أخوه لأمه و أبيه فكل بر ظهر من أحد إلى أحد فهو صلة رحم لذا يقبلها الله من كل أحد فضلا من الله و نعمة غير أنهم بينهم مفاضلة في القرب قال علي بن أبي طالب القيرواني في ذلك

أبوهم آدم و الأم حواء … الناس في جهة التمثيل أكفاء

فإن يكن لهم من أصلهم نسب يفاخرون به فالطين و الماء

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

و قدر كل امرئ ما كان يحسنه و الجاهلون لأهل العلم أعداء

و القرابة قرابتان قرابة الدين و قرابة الطين فمن جمع بين القرابتين فهو أولى بالصلة و إن انفرد أحدهما بالدين و الآخر بالطين فتقدم قرابة الدين على قرابة الطين كما فعل الحق تعالى في الميراث فورث قرابة الدم و لم يورث قرابة الطين إذا اختلفا في الدين فكان الواحد مؤمنا بالله وحده و الأخ الآخر كافر بأحدية الله و مات أحد الأخوين لم يجعل له نصيبا في ميراثه فقال لا يتوارث أهل ملتين و قد ذهب عقيل دون علي بن أبي طالب بمال أبيه لما مات أبو طالب عم رسول الله ص و كل من قطع رحمه في حق شخص و هو قد وصلها في حق شخص آخر فالذي يرعى الله من ذلك جانب الوصلة لا جانب القطع فإنه القائل على لسان رسوله ص أتبع السيئة مثل قطع تلك الرحم الحسنة مثل وصلة الرحم تمحها فوصل رحمه في زيد يمحو قطع رحمه في عمرو و هذا أخوه و هذا أخوه لأن الله يصل الرحم و لا يقطعها فالحق يعضده في صلة من وصلها و يقطع من قطعها لأنه عين ذلك الذي قطعها ففي الوصل كلمة عناية إلهية بالواصل و في القطع كلمة تحقيق أي أن الأمر كذلك فما في العالم إلا من هو وصول رحمه الأقوى الأقرب فإن أفضل الصلات في الأرحام صلة الأقرب فالأقرب و قد جاء في الصدقة أن أفضلها اللقمة يجعلها الإنسان في فمه لأنه لا أحد أقرب إليه من نفسه و الله أقرب إلى العبد من نفسه منه فإنه القائل نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من حَبْلِ الْوَرِيدِ فإذا وصله العبد فقد وصل الأقرب بلا شك فقد أتى ما هو الأولى بالوصل في الأقربين فإن النص فيه و لهذا عم كل الأشياء اتساع رحمته فمن حجر رحمة الله فما حجرها إلا على نفسه و لو لا أن الأمر على خلاف ذلك لم ينل رحمة الله من حجرها و قصرها و لكن و الله ما يستوي حكم رحمة الله فيمن حجرها بمن لم يحجرها و أطلقها من عين المنة كما أطلقها الله في كتابه في قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فما من شيء إلا و هو طامع في رحمة الله فمنهم من تناله بحكم الوجوب و منهم من تناله بحكم المنة كنت قاعدا يوما بإشبيلية بين يدي شيخنا في الطريق أبي العباس العريني من أهل العليا بمغرب الأندلس فدخل عليه رجل فوقع ذكر المعروف و الصدقة فقال الرجل الله يقول الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ على الفور إلى الله فما أبردها على الكبد و كذلك هو الأمر في نفسه و لا أقرب من الله فهو القريب سبحانه الذي لا يبعد إلا بعد تنزيه و تنقطع الأرحام بالموت و لا ينقطع الرحم المنسوبة إلى الحق فإنه معنا حيثما كنا و نحن ما بيننا نتصل في وقت و ننقطع في وقت بموت أو بفقد و ارتحال و كم من حال قد أغنى عن سؤال و من جهل نفسه فهو بغيره أجهل و من علم غيره فهو بنفسه أعلم من عرف نفسه عرف ربه

ليس الذي يخبر عن غيره مثل الذي يخبر عن نفسه

في غيبه كان و في حسه   لأنه يخبر عن فوقه

فإنما أخبر عن جنسه   و كل من أخبر عن نفسه

لا يحجب المحبوس في حبسه   و الحق إن قيدته إنه

فما أقام الميت من رمسه   من قيد الحق بإطلاقه

إلا الذي حج إلى قدسه   هيهات لا يعرف أسراره

يطرحه الضارب من أسه   من أسه الحق فذاك الذي

سر إلهي لا يعرفه كثير من الناس بعث الله تعالى موسى و ها رون إلى فرعون و أوصاهما أن يقولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى و الترجي من الله واقع عند جميع العلماء كما قال عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ فقال العلماء عسى من الله واجبة و لعل و عسى أختان فعلم الله أنه يتذكر و لا يكون التذكر إلا عن علم سابق منسي ثم قال لهما لما رأى خوفهما من أنه لا يجيب إلى ما يدعوانه إليه لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى أي أسمع من فرعون إذا بلغتما إليه رسالة ربكما و أرى ما يكون منكما في حقه مما أوصيتكما به من اللين و التنزل في الخطاب فلم يجد فرعون على من يتكبر لأن التكبر من المتكبر إنما يقع لمن يظهر له بصفة الكبرياء فلما رأى ما عندهما من اللين في الخطاب رق لهما و سرت الرحمة الإلهية بالعناية الربانية في باطنه فعلم إن الذي أرسلا به هو الحق فكان المتكلم من موسى و ها رون الحق و كان السمع الذي تلقى من فرعون كلام موسى الحق فحصل القبول في نفسه و ستر ذلك عن قومه فإنه شأن الحق ألا ترى إليه تعالى في القيامة يتجلى في صورة ينكر فيها فهذا من ستره و لما علم فرعون إن الحق سمع خلقه و بصره و لسانه و جميع قواه لذلك قال بلسان الحق أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى إذ علم إن الله هو الذي قال على لسان عبده أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فأخبر الله تعالى أنه أخذه نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى و النكل القيد فقيده الله بعبوديته مع ربه في الأولى بعلمه أنه عبد الله و في الآخرة إذا بعثه الله يبعثه على ما مات عليه من الايمان به علما و قولا و ليس بعد شهادة الله شهادة و قد شهد له أنه قيده في الأولى و الآخرة إِنَّ فِي ذلِكَ أي في هذا الأخذ لعبرة أي تعجبا و تجاوزا مما يسبق منه إلى فهم العامة إلى ما فيه مما يفهمه الخاصة من عباد الله و هم العلماء و لذلك قال لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى و قد عرفنا أنه إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و قد قال لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى و لا يخشى حتى يعلم بالتذكر ما كان نسيه من العلم بالله و من قيده الحق فلا يتمكن له الإطلاق و السراح من ذلك القيد و قولهما إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أي يتقدم علينا بالحجة بما يرجع إليه من التوحيد أَوْ أَنْ يَطْغى أي يرتفع كلامه لكونه يقصد إلى عين الحقيقة فنتعب معه فلهذا قال لهما لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَ أَرى و أوصاهما أن يلينا له في القول فلما قالا له ص ما قالاه على الوجه الذي عهد إليهما الله أن يقولاه قال لهما فرعون فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى كما يقول فتانا القبر للميت لا لجهله بما يقوله و إنما يريد أن يتنبه الحاضرون لما

يقولانه مما يكون دليلا على وجود الله ليعلموا صدقهما لأن العاقل إذا علم أنهما إذا قالا مثل ذلك ربما إن الخواطر تتنبه و يدعوهم قولهما إلى النظر فيه لنصبهما في قولهما مواضع الدلالة على الله فإنه لا يسأل خصمه فدل سؤاله أنه يريد هداية من يفهم من قومه ما جاء به فقالا رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى فانصفا فرعون في هذا الخطاب و هذا من القول اللين فإنه دخل تحت قولهما كل شيء ادعاه فرعون فأعطاه الله خلقه فكان في كلامهما جواب فرعون لهما إذ كان ما جاء به فرعون خلق لله ثم زادهما في السؤال ليزيدا في الدلالة قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى فقالا عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَ لا يَنْسى مثل ما نسيت أنت حتى ذكرناك فتذكرت فلو كنت إلهاما نسيت لأن الله قال لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ثم زادا في الدلالة بما قالا بعد ذلك إلى تمام الآية فما زال ذلك مضمرا في نفس فرعون لم يعطه حب الرئاسة أن يكذب نفسه عند قومه فيما استخفهم به حتى أطاعوه ف كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ فما شركه معهم في ضمير أنهم فلما رأى البأس قالَ آمَنْتُ فتلفظ باعتقاده الذي ما زال معه فقال له الله تعالى آلْآنَ قلت ذلك فأثبت الله بقوله آلْآنَ إنه آمن عن علم محقق و الله أعلم و إن كان الأمر فيه احتمال و حقت الكلمة من الله و جرت سنته في عباده إن الايمان في ذلك الوقت لا يدفع عن المؤمن العذاب الذي أنزله بهم في ذلك الوقت إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ كما لا ينفع السارق توبته عند الحاكم فيرفع عنه حد القطع و لا الزاني مع توبته عند الحاكم مع علمنا بأنه تاب بقبول التوبة عند الله و حديث ماعز في ذلك صحيح إنه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم و مع هذا لم تدفع عنه الحد بل أمر برجمه كذلك كل من آمن بالله عنده رؤيةالبأس من الكفار إن الايمان لا يرفع نزول البأس بهم مع قبول الله إيمانهم في الدار الآخرة فيلقونه و لا ذنب لهم فإنهم ربما لو عاشوا بعد ذلك اكتسبوا أوزارا

كم تنادي كم تلوي أيها الخلق المسوي
ود فيه لو تسوي فلتبادر قبل يوم
كغثاء كان أحوى بهم الأرض رجال
مثل ما قال فسوى خلق الرحمن خلقا
فسطا فكان أقوى ثم أعطاه اقتدارا
لم يكن و كان بلوى قال كن لكل شيء

و إذا كان الحق يقول عن نفسه إنه خَلَقَ فَسَوَّى و قَدَّرَ فَهَدى فما لك لا تسبح اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى جعلنا الله ممن قيده الحق به و رزقه الوقوف عند حدوده و مراسمه في الآخرة و الأولى فانظر يا أخي ما أعطت عناية هذه المعية الإلهية في قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فهو معنا بهويته و هو معنا بأسمائه فهل ترى عين العارف كونا من الأكوان و عينا من الأعيان لا يكون الحق معه فالله يغفر للجميع بالواحد فكيف لا يغفر للواحد بالجميع فما من

إنسان إلا و جميع أجزائه مسبحة بحمد الله و لا قوة من قواه إلا و هي ناطقة بالثناء على الله حتى النفس الناطقة المكلفة من حيث خلقها و عينها كسائر جسدها الذي هو ملكها مسبحة أيضا لله فما عصى و خالف الأمر واحد من هذه الجملة المعبر عنها بالإنسان أ فترى الله لا يقبل طاعة هذه الجملة في معصية ذلك الواحد هيهات و أين الكرم إلا هنا يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ فيقول كرمك فهذا تنبيه من الله لعبده أن يقول كرمك كما يفعله الحاكم المؤمن العالم إذ يقول للسارق و الزاني قل لا زنيت أو قل لا سرقت أو قل لا لعلمه أنه إذا اعترف أقام عليه حدا فربما يكون الزاني يدهش بين يدي الحاكم فينبهه ليقول بهذه المقالة لا فيدرأ عنه الحد بذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منازل التواضع الكبريائي»

من هاله ما هو من جنسه فهو جهول ضل عن نفسه
لو أنه يعرف أوصافه ما هاله ما هو من جنسه
و كل ما في الجود فيه فمن دجى الليالي و سنا شمسه
و كل ما في الكون فيه فمن نزوله الأدنى و من قدسه
و انظر فأنت الأمر فأثبت على علم و لا تنظر إلى حدسه

قال تبارك و تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قال وَ ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و قال تعالى سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّا يَصِفُونَ و قال وَ لَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و قال فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و مع هذا كله فهو القائل في الصحيح من الأخبار عنه مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني و ظمأت فلم تسقني يقول مثل هذا القول لعبده فأنزل نفسه هنا منزلة عباده و أين ذلك الكبرياء من هذا النزول و ثبت في الصحيح أن الله يعجب من الشاب ليست له صبوة و ثبت أن الله أفرح بتوبة عبده من فرح صاحب الناقة التي عليها طعامه و شرابه إذا وجدها بعد ما ضلت و هو في فلاة من الأرض منقطعة و أيقن بالموت ففرح بها فالله أفرح بتوبة عبده من هذا بناقته و ثبت عنه أنه تعالى يتبشبش للذي يأتي المسجد كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا ورد عليهم و أين هذا كله من قوله تعالى سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّا يَصِفُونَ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فأين هذا النزول من هذه الرفعة فهذا هو التواضع الكبريائي و كل حق و قول صدق و حكم صحيح لمن كشف الله عن بصيرته من علماء عباده فأراه الحق حقا و أراه الباطل باطلا و هنا تعلقت الرؤية بالمعدوم فإن الباطل عدم و إذا كان العبد يتصف برؤية المعدوم فالحق أولى بهذه الصفة أنه يرانا في حال عدمنا رؤية عين و بصر لا رؤية علم و أما قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فهو على الصحيح من الفهم معنى قوله ص إن الله خلق آدم على صورته في بعض وجوه محتملات هذا الخبر و قوله تعالى لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ

فما ذاك إلا لخلقه على صورة الحق و إنما رده إلى أسفل سافلين ليجمع له كمال الصورة بالأوصاف كما ذكر عن نفسه أنه عليه فإن اتصافه بنفي المثل عن نفسه من اتصافه بالحد و المقدار من استواء و نزول و استعطاف و تلطف في خطاب و غضب و رضاء و كلها نعوت المخلوق فلو لم يصف نفسه بنعوتنا ما عرفناه و لو لم ينزه نفسه عن نعوتنا ما عرفناه فهو المعروف في الحالين و الموصوف بالصفتين و لهذا خلق من كل شيء زوجين ليكون لأحد الزوجين العلو و هو الذكر و لأحد الزوجين السفل و هو الأنثى ليظهر من بينهما إذا اجتمعا بقاء أعيان ذلك النوع و جعل ذلك في كل نوع نوع ليعلمنا أن الأمر في وجودنا على هذا النحو فنحن بينه و بين معقولية الطبيعة التي أنشأ منها الأجسام الطبيعية و أنشأ من نسبة توجهه عليها الأرواح المدبرة و كل ما سوى الله لا بد أن يكون مركبا من راكب و مركوب ليصح افتقار الراكب إلى المركوب و افتقار المركوب إلى الراكب لينفرد سبحانه بالغنى كما وصف نفسه فهو غني لنفسه و نحن أغنياء به في عين افتقارنا إليه فما لا نستغني عنه فكل ما سوى الله مدبر و مدبر لهذا المدبر فالمدبر اسم فاعل بما هو مدبر يجد ذلك قوة في ذاته يفتقر إلى مدبر يظهر فيه تدبيره و لا مدبر اسم مفعول بما هو مدبر يجد ذلك حالة في ذاته يفتقر بها إلى من يدبر ذاته لصلاح عينه و بقائه ففقر كل واحد إلى الآخر فقر ذاتي و إنما يتصف بالغنى عنه لكونه لا يفتقر إلا إلى مدبر لا إلى هذا المدبر بعينه كما إن المدبر يتصف بالغنى لكونه لا يفتقر إلا إلى مدبر لا إلى هذا المدبر بعينه فكل واحد منهما غني عن الآخر عينه لا عن التدبير منه و فيه فغني كل واحد ليس على الإطلاق و غناء الحق مطلق بالنظر إلى ذاته و الخلق مفتقر على الإطلاق بالنظر أيضا إلى ذاته فتميز الحق من الخلق و لهذا كفر من قال إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ فهذا التمييز لا يرتفع أبدا لأنه تميز ذاتي في الموصوف به من حق و خلق فما ثم إلا شيئيتان شيئية حق و شيئية خلق فليس كمثل الخلق في افتقاره شيء لأنه ما ثم إلا الحق و الحق لا يوصف بالافتقار فما هو مثل الخلق فليس مثل الخلق شيء و ليس كمثل الحق في غناه شيء لأنه ما ثم إلا الخلق و الخلق لا يتصف بالغنى لذاته فما هو مثل الحق فليس مثل الحق شيء لأنه كما قلنا ما ثم شيء إلا الخلق و الحق فالخلق من حيث عينه ذات واحدة في كثير و الحق من حيث ذاته و عينه ذات واحدة لها أسماء كثيرة و نسب فمن لم يعلم قوله تعالى لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ على ما قررناه فلا علم له بهذه الآية فإنه جاء بالكاف ثم نفى المثلية عن نفسه بزيادة الكاف للتأكيد في النفي ثم نفى المثلية عن العالم بجعل الكاف صفة فعلق النفي بالمماثل في النفي أي انتفت عن الخلق المثلية لأنه ما ثم إلا حق لا يماثل و انتفت عن الحق المثلية لأنه ما ثم إلا خلق لا يماثل

إذا جاءنا النور بالبيان   فهكذا تفهم المعاني
حق و إن شئتم اثنتان   فليس في أكون غير فرد
بذاتها لا ترى بثاني   و كل عين لها انفراد

منه بتقسيمه المثاني		وقد أتى في الصلاة حكم
لأجل ذا لاحت اثنتان		فميز الخلق عنه فيها
فمن رآه فقد رآني		فقال بيني و بين عبدي
لوحدتي في الوجود ثاني		فلست غير إله و لا هو
بما ذكرنا من البيان		ترجم عنه لسان خلق

و أما قوله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ و هو الذي أنطقهم بما نطقوا به فيه فإنه يقول عن المشهود عليهم إنهم قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ فما من شيء ينطق إلا و الله أنطقه و اختلف المنطوق به فثم نطق أي منطوق به يتعلق به مديح و ثم منطوق به يتعلق به دم و ثم منطوق به يتعلق به تجوز لتواطئ جعله الله في العالم و ثم منطوق به على ما هو المدلول عليه في نفسه فهو إخبار عن حقيقة و ما ثم إلا ما ذكرناه فنطق المدح شهادة أولي العلم بتوحيد الله و نطق الذم قول القائل إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ يريد البخل و نطق بالحقيقة وَ اللهُ خَلَقَكُمْ و نطق بالتجوز للتواطئ وَما تَعْمَلُونَ و الآية واحدة فأما قوله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ لكونهم ليسوا مثله فما عرفوه و من جهل أمره لا يقدر قدره فهم ليسوا له بمثل و لا هو مثل لهم فوصفوه بنفوسهم و بما هم عليه و لا يتمكن لهم إلا ذلك لأنهم يريدون الوصف الثبوتي و لا يكون إلا بالتشبيه و من جعل مثلا لمن لا يقبل المثل فما قدره حق قدره أي ما أنزله المنزلة التي يستحقها فذمهم بالجهل حيث تعرضوا لما ليس لهم به علم من نفوسهم فلو قالوا فيه بما أنزله إليهم لم يتعلق بهم ذم من قبل الحق في ذلك لأن الحاكي لا ينسب إليه ما حكاه فلا يتعلق به ذم في ذلك و لا مدح فعلم الخلق بالله لا يدرك بقياس و إنما يدرك بالبقاء السمع لخطاب الحق إما بنفسه و إما بلسان المترجم عنه و هو الرسول مع الشهود الذي لا يسعه معه غير ما سمعه من الخطاب كما قال إِنَّ فِي ذٰلِكَ إشارة لما تقدم لَذِكْرىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ فأحال على النظر الفكري بتقلب الأحوال عليه أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ و ما عدا هذين الصنفين فلا طريق لهم إلى العلم بما يستحقه الحق أن يضاف إليه و ما يستحقه الخلق أن يضاف إليهم فمن عرف نفسه فإنه لا يماثله الحق و من عرف ربه فإنه لا يماثله الخلق إذ معرفتكم بجزء واحد من العالم من كونه دليلا عين معرفتك بالعالم كله فلهذا أنزلنا العالم منزلة الواحد فنفينا عنه المثلية إذ ما ثم في الوجود إلا الحق و الحق ما هو مثل للعالم و إن كان العالم يماثل بعضه بعضا كما تحكم في الأسماء الإلهية في الغافر و الغفور و الغفار و أمثال هذا بأنها أمثال و إن تميزت بمراتب كالعالم فإن فيه أمثالا و إن تميزت بالأعيان و المراتب و لهذا ما نزلت هذه الآيات إلا في مقابلة قول كان منهم و رد ذلك في الخبر النبوي و أما في القرآن فقوله وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ مع إقرارهم أن التوراة نزلت على موسى ع من عند الله فكذبوا على الله فاسودت وجوههم أي ذواتهم فلا نور لهم يكشفون به الأشياء بل هم عمي فهم لا يبصرون و أما قوله

سُبْحانَ رَبّكَ رَبِّ الْعِزّةِ عَمّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فهذه آية ما نزل عند العا رفين أشكل منها لما فيها من التداخل فدخل تحت قوله تَعالى في تنزيه نفسه عَمّا يَصِفُونَ ما يصفه به عباده مما تعطيهم أدلتهم في زعمهم بالنظر الفكري كل على حياله و كل واحد يدعي التنزيه لخالقه في ذلك فأما الفيلسوف فنفى عنه العلم بمفردات العالم الواقعة في الحس منهم فلا يعلم عندهم أن زيد بن عمرو حرك أصبعه عند الزوال مثلا و لا إن عليه في هذا الوقت ثوبا معينا لكن يعلم أن في العالم من هو بهذه الصفة مطلقا من غير تعيين لأن حصول هذا العلم على التعيين إنما هو للحس و الله منزه عن الحواس فقد اندرج عندهم هذا العلم بهذا الجزء في العلم الكل الذي هو أن في العالم من هو بهذه المثابة و قد حصل المقصود عندهم و فاتهم بذلك علم كبير فإن صاحب هذه الحركة المعينة من الشخص المعين يجوز أن تقوم بغيره فبأي شيء تقوم الحجة لله على تعيين هذا العبد حتى قرره عليها في الآخرة أو حرمه ما ينبغي له في الدنيا أو لم يتحرك بتلك الحركة و إن كان من أصل صاحب هذا النظر إنكا ر الآخرة المحسوسة و إنكا ر الوهب في الدنيا و الجزاء الصاحب هذه الحركة على التعيين و إن من مذهبه أن تلك الحركة هي المانعة لذاتها أن يحصل لهذا المتحرك بها ما تمنعها حقيقة تلك الحركة فهو بان على أصل فاسد و هو أن الله ما صد ر عنه إلا ذلك الواحد الأول لأحديته ثم انفعل العالم بعضه عن بعض عن غير تعلق علم من الله تفصيلي بذلك بل بالعلم الكل الذي هو عليه و أما المتكلم مثل الأشعري فانتقل في تنزيهه عن التشبيه بالمحدث إلى التشبيه بالمحدث فقال مثلا في استواءه على العرش إنه يستحيل عليه أن يكون استواءه استواء الأجسام لأنه ليس بجسم لما في ذلك من الحد و المقدار و طلب المخصص المرجح للمقادير فيثبت له الافتقا ر بل استواءه كاستواء الملك على ملكه و أنشدوا في ذلك استشهادا على ما ذهبوا إليه من الاستواء

قد استوى بشر على العراق　　　من غير سيف و دم مهراق

فشبهوا استواء الحق على العرش باستواء بشر على العراق و استواء بشر محدث فشبهوه بالمحدث و القديم لا يشبه المحدث فإن الله يقول لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و النظر الصحيح يعطي خلاف ما قالوه فقال تعالى في حق كل ناظر سُبْحانَ رَبّكَ لمحمد ص ضمير هذا الكاف أي ربك الذي أرسلك إليهم لتعرفهم بما أرسلك له إليهم و أنزله بوساطتك عليهم رَبِّ الْعِزّةِ أي هو الممتنع لنفسه أن يقبل ما وصفوه به في نظرهم و حكموا عليه بعقولهم و أن الحق لا يحكم عليه خلق و العقل و العاقل خلق و إنما يعرف الحق من الحق بما أنزله إلينا أو أطلعنا عليه كشفا و شهودا بوحي إلهي أو برسالة رسول ثبت صدقه و عصمته فيما يبلغه عن الله إلينا عَمّا يَصِفُونَ من حيث نظروا بفكرهم و استدلوا بعقولهم إذ العلم بالله لا يقبل التحول إلى الجهل و لا الدخول عليه بالشبه و ما من دليل عقلي إلا و يقبل الدخول و الشبهة و لهذا اختلف العقلاء فكل واحد من المخالفين عنده دليل مخالفه شبهة لمخالفه لكونه خالف دليل هذا الآخر فعين أدلتهم كلهم هي عين شبهاتهم فأين الحق و أين الثقة و أصل الفساد إنما وقع من حيث حكموا الخلق على

الحق الذي أوجدهم ثم قال وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ و ما جاءت الرسل ع إلا بما أحالته هذه الأدلة النظرية و بما أثبتته فصدقهم في نظرهم و أكذبهم في نظرهم فوقعت الحيرة عند هؤلاء فإذا سلموا له ما قاله عن نفسه على ألسنة رسله و انقادوا إليهم فإن انقيادهم إليهم ينزلهم منزلتهم فإنهم ما انقاد و إليهم من حيث أعيانهم فإنهم أمثالهم و إنما انقادوا إلى الذي جاءوا من عنده و نقلوا عنه ما أخبر به عن نفسه على ما يعلم نفسه لا على تأويل من وصل إليه ذلك فلا يعلم مراد الله فيه إلا بإعلام الله فيقف الناظر موقف التسليم لما ورد مع فهمه فيه أنه على موضوع ما هو في ذلك اللسان الذي جاء به هذا الرسول لا بد من ذلك لأنه ما جاء به بهذا اللسان إلا لنعرف أنه على حقيقة ما وضع له ذلك اللفظ في ذلك اللسان و لكن تجهل النسبة فتسلم إليه علم النسبة مع عقلنا الدلالة بالوضع الاصطلاحي في ذلك اللحن الخاص فتنقاد إليه كما انقاد المرسلون و لهذا قال على المرسلين أي هو واجب عليهم الانقياد بقوله وَسَلامٌ فنكون أمثالهم ثم قال وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أي عواقب الثناء إذ كل ما جاءوا به إنما قصدوا به الثناء على الله فعواقب الثناء على الله بما نزه نفسه عنه إن الثناء على الله في ذلك كونه تعالى أنطقهم به و أوجد ذلك في نفوسهم لأن الذي قالوه يكون حقا و لا بد و لهذا قال وَالْحَمْدُ فإن الحمد العاقب فعواقب الثناء ترجع إلى الله و عاقب الأمر آخره و لا آخر لما قالوه إلا كونه موجودا عنه تعالى فيهم فإنه رب العالمين من حيث ثبوته في ربوبيته بما يستحقه الرب من النعوت المقدسة و هو سيد العالم و مربيهم و مغذيهم و مصلحهم لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و أما قوله وَلَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ اعلم أن العالم محصور في علو و سفل و العلو و السفل له أمر إضافي نسبي فالعالي منه يسمى سماء و الأسفل منه يسمى أرضا و لا يكون له هاتان النسبتان إلا بأمر وسط يكون بينهما و يكون ذلك الأمر في نفسه ذا جهات فما أظله فهو سماء و ما أقله فهو أرض له و إن شئت قلت في الملإ الأعلى و الملإ الأسفل أنه كل ما تكون من الطبيعة فهو الملأ الأسفل و كل ما تولد من النور فهو الملأ الأعلى و أكمل العالم من جمع بينهما و هو البرزخ الذي بجهاته ميزهما أو بجمعيته ميزهما بالعلو و السفل من حيث المؤثر و المؤثر فيه اسم فاعل و اسم مفعول و الحق تعالى بالنظر إلى نفسه لا يتصف بشيء مما يتصف به وجود العالم فالعظمة و الكبرياء المنسوبان إليه في ألسنة الفهوانية أن الله لما نسب الكبرياء الذي له ما جعل محله إلا السموات و الأرض فقال وَلَهُ الْكِبْرِياءُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ما قال في نفسه فالمحل هو الموصوف بالكبرياء الذي لله فالعالم إذا نظر إلى نفسه صغيرا و رأى موجدة منزها عما يليق به سمي ربه كبيرا و ذا كبرياء لما كبر عنده بما له فيه من التأثير و القهر فلو لم يكن العالم مؤثرا فيه لله تعالى ما علم أنه صغير و لا أن ربه كبير و كذلك رأى لما قامت الحاجة به و الفقر إلى غيره احتاج أن يعتقد و يعلم أن الذي استند إليه في فقره له الغني فهو الغني سبحانه في نفس عبده و هو بالنظر إلى ذاته معرى عن النظر إلى العالم لا يتصف بالغنى لأنه ما ثم عن من و كذلك إذا نظر إلى ذله علم أنه لا يذل لنفسه و إنما يذل تحت سلطان غيره عليه فسماه عزيزا فإنه عز الحق في نفس هذا العبد لذله فالعبد هو محل الكبرياء و الغني و العظمة و العزة التي لله فوصف العبد ربه بما قام به فأوجب المعنى حكمه لغير من قام به و من هنا برقت بارقة لمن قال من أهل النظر إن الباري مريد بإرادة

حادثة لم تقم به لأنه ليس محلا للحوادث فخلق إرادة لا في محل فأراد بها فأوجبت الإرادة حكمها لمن لم تقم به هذا القدر و هو الذي لاح عندهم من روح هذا الأمر الذي ذكرناه في الكبرياء و ما تم لهم تحقيق النظر إلى آخره بل عبروا عن ذلك بعبارات سيئة مختلطة فإن أكثر العقلاء يرون أن المعاني لا توجب أحكامها إلا لمن قامت به و هذا غلط طرأ عليهم لكونهم أثبتوا الصفات أعيانا متعددة وجودية لا تقوم بنفسها بل تستدعي موصوفا بها تقوم به فيوصف بها فلو علموا أن ذلك كله نسب و إضافات في عين واحدة تكون تلك العين بالنسبة إلى كذا عالمة و إلى كذا قادرة و إلى كذا مريدة و إلى كذا كبيرة و إلى كذا غنية و إلى كذا عزيزة إلى سائر الصفات و الأسماء لأصابوا ألا تراهم يقولون في الكبرياء و العظمة و الغني و العزة إنها صفات تنزيه أي هو منزه عندهم عن نقيضها و ليس الأمر عند المحققين كما قالوه و إنما هو منزه عن قيام الكبرياء به بحيث أن يكون محلا له بل الكبرياء محله الذي عينه الحق له و هو السموات و الأرض فقال وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ و هو أي هوية الحق العزيز أي المنيع لذاته أن تكون محلا لما هي السموات و الأرض له محل و ليس إلا الكبرياء فما كبر إلا في نفس العالم و هو أجل من أن يقوم به أمر ليس هو بل هو الواحد من جميع الوجوه و هو الحكيم بما رتبه في الخلق و من جملة ما رتبه بعلمه و حكمته إنه جعل السموات و الأرض محلا لكبريائه فكأنه يقول وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ الذي خلقه في نفس السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حتى يكبروا إلههم به و كذلك وقع فكبروه في نفوسهم فقالوا إنه ذو الجلال أي صاحب الجلال الذي نجده في نفوسنا له و الإكرام بنا فإن نظرت بعين الحقيقة ففتح الله منك عين الفهم علمت من سميت و من وصفت و من نعت و لمن هي هذه النعوت و بمن قامت و إلى أي عين نسبت و أما قوله فيما وصف به نفسه مما هو عند النظار صفة للخلق حقيقة و أخذوه في الله تجوزا من جوع و ظمأ و مرض و غضب و رضي و سخط و تعجب و فرح و تبشبش إلى قدم و يد و عين و ذراع و أمثال ذلك مما وردت به الأخبار عن الله على السنة الرسل و ما ورد من ذلك في الكلام المنسوب إلى الله المعبر عنه بصحيفة و قرآن و فرقان و توراة و إنجيل و زبور فالأمر عند المحققين أن هذه كلها صفات حق لا صفات خلق و أن الخلق اتصف بها مزاحمة للحق كما اتصف العالم أيضا بجميع الأسماء الإلهية الحسنى و أجمع النظار عليها و الكل أسماؤه من غير تخصيص هذا مذهب المحققين فيه فإنه صادق و لهذا نحن في ذلك على التوقيف فلا نصفه إلا بما وصف به نفسه و لا نسميه إلا بما سمي به نفسه لا نخترع له اسما و لا نحدث له حكما و لا نقيم به صفة فإنه قد قدمنا لك أنه لا يماثلنا و لا نماثله فلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ منا و ليس كمثلنا شيء منه فهو لنفسه بنفسه و نحن لنا به لأنا لا نستقل بوجودنا كما استقل هو إلا أنه خلق العالم على صورته و لذلك قبل التسمي بأسمائه فانطلق على العالم ما انطلق على الحق من حيث ما أطلقه الحق على نفسه فعلمنا أنه في أسمائه الأصل لا نحن فما أخذ شيئا هو لنا و لا نستحقه بل كل ذلك له و من جملة ما خلق الله الخيال و ظهر لنا فيه بهذه الأسماء و الصفات ففصلنا و قسمنا و رفعنا و خططنا و لم يترك شيئا من صفات العالم عندنا إلا وصفنا بها خالقنا فكشف لنا فإذا ذلك كله صفاته لا صفاتنا فصفات العالم على الحقيقة هوية الحق و الاختلاف في التجليات الإلهية لحقائق

الممكنات في عين الحق فإنه عين الصورة التي أدركناها إذ لا نشك فيما رأينا إنا رأينا الحق بالعلامة التي بيننا و بينه و هو من هويته بصرنا و سمعنا فما رأيناه إلا به لا ببصرنا و لا سمعنا كلامه إلا به لا بسمعنا فلا بد من عين هو مسمى العالم و لا بد من عين هو مسمى الحق ليس كمثل واحد شيء من الآخر فهذا بعض ما يحوي عليه التواضع الكبريائي وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منازلة مجهولة و ذلك إذا ارتقى من غير تعيين قصد ما يقصده من الحق و كل شيء عند الحق معين فقد قصده من الحق ما لا يناسب قصده من عدم التعيين»

و إن بنا تكون على السواء　　نكون على النقيض إذا اجتمعنا

بلا شك سواه و لا مراء　　و في التحقيق ما في الكون عين

عميتم عن مطالعة العماء　　فقل للمنكرين صحيح قولي

كثير شكله شكل المرائي　　و عن نفس تكون فيه خلق

بحكم ثابت في كل رائي　　فيقلب صورة الرائي إليه

قال اللّٰه تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيٰادَةٌ فعين لمعين و زاد غير غير معين سألت بعض شيوخنا عن الزيادة فقال ما لم يخطر بالبال و قال ص إن في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر و لا بد أن يكون في البشر صفة غير معلومة و لا معينة منها يحصل له هذا الذي ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول و قال تعالى فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ فنكر و نفى العلم ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ فعلمنا على الإجمال أنه أمر مشاهد لكونه قرنه بالأعين لم يقرنه بالأذن و لا بشيء من الإدراكات و لذلك علمنا أن قوله ص جعلت قرة عيني في الصلاة إنه ما أراد المناجاة و إنما أراد شهود من ناجاه فيها و لهذا أخبرنا أن اللّٰه في قبلة المصلي فقال اعبد اللّٰه كأنك تراه فإنه ص كان يراه في عبادته ما كان كأنه يراه و من أهل اللّٰه من تكون له هذه الرتبة و لو لا حصولها ما قرنها بالعبادة دون العمل فما قال اعمل للّٰه كأنك تراه فإن العبادة من غير شهود صريح أو تخيل شهود صحيح لا تصح و في هذا الباب قوله تعالى وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ و فيه علم مفاتح الغيب لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ و كل ما هو علمه موقوف على اللّٰه لا يعلم إلا بإعلام اللّٰه أو بإشهاده و من هذا الباب قوله تعالى فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ و من هذا الباب فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّٰامٍ أُخَرَ من غير تعيين أيام معينة أما صورة هذه المنازلة من العبد فهي كما قال أبو يزيد في الجلوس مع اللّٰه بلا حال و لا نعت و هو أن يكون العبد في قصده على ما يعلمه اللّٰه لا يعين على اللّٰه شيئا فإنه من عين في قصده على اللّٰه شيئا فلا فرق بينه في الصورة و بين من عبد اللّٰه على حرف فصاحب هذه المنازلة يعبد ربه بتعيين الأوقات لا بتعيينه فهو في حكم وقته و الوقت من اللّٰه لا منه فلا يدري بما ذا يفجأه وقته فغايته أن يكون مهيأ لوارد مجهول إلهي يقيمه

في أي عبادة شاء فتنتج له تلك العبادة من الحق في منا زلته ما لا يناسب ذلك العمل في علمه إلا أنه مناسب لعبادته في ذلك العمل فهو زيادة بالنظر إلى العمل نتيجة بالنظر إلى العبادة فيه و هذا مقام ما وجدنا له ذائقا في علمنا من أهل الله لأن أكثرهم لا يفرقون بين العبادة و العمل و كل عمل لا يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد فتكون العبادة في كل عمل غير معلل أظهر منها في العمل المعلل فإن العمل إذا علل ربما أقامت العبد إليه حكمة تلك العلة و إذا لم يعلل لا يقيمه إلى ذلك العمل إلا العبادة المحضةو اعلم أن العبادة حال ذاتي للإنسان لا يصح أن يكون لها أجر مخلوق لأنها ليست بمخلوقة أصلا فالأعيان من كل ما سوى الله مخلوقة موجودة حادثة و العبادة فيها ليست بمخلوقة فإنها لهذه الأعيان أعني أعيان العالم في حال عدمه و في حال وجوده و بها صح له أن يقبل أمر الله بالتكوين من غير تثبط بل أخبر الله تعالى أنه يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فحكم العبادة للممكن في حال عدمه أمكن فيه منها في حال وجوده إذ لا بد له في حال وجوده و استحكام رأيه و نظره لنفسه و استقلاله من دعوى في سيادة بوجه ما و لو كان ما كان فينقص له من حكم عبادته بقدر ما ادعاه من السيادة فلذلك قلنا إن حكم العبادة للممكن أمكن منه في حال عدمه منها في حال وجوده فمن استصحبته فقد استصحبه الشهود دنيا و آخرة و نعته إذا كانت هذه حالته أنه لا يفرح بشيء و لا يحزن لشيء و لا يضحك و لا يبكي و لا يقيده وصف و لا يميزه نعت وجودي فلا رسم له و لا وصف قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام ضحكت زمانا و بكيت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي و قال في هذا المقام لما قيل له كيف أصبحت فقال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي فوصف نفسه بالإطلاق و لا يصح الإطلاق إلا في العبادة خاصة لأن العبد مقيد بإرادة السيد الذي يملكه فيه و من كان له الإطلاق فلا يتقيد أجره و لا يتعين لأن العبد لا أجر له ما هو مثل الأجير و قد كان لشيخنا أبي العباس العريبي من العليا من غرب الأندلس و هو أول شيخ خدمته و انتفعت به له قدم راسخة في هذا الباب باب العبودية و إنما صاحبها العبد في شأنه كما إن الحق في شأنه فجزاء الإطلاق الإطلاق سأل جبريل رسول الله ص عن الإحسان فقال إن تعبد الله كأنك تراه و ما ذكر العمل و إنما ذكر العبادة و قال الله تعالى هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ فهو قولنا ما جزاء الإطلاق إلا الإطلاق و الأجور مقيدة من عشر إلى سبعمائة ضعف لأنها أجور أعمال معينة متناهية الزمان فلا بد أن يتقيد أجرها بالعدد و لو كان جزافا فإنه مقيد بالعدد عند الله كالصابر يوفى أجره بغير حساب معين علمه عندنا و عند الله مقيد بقدر معلوم لأن الصبر يعم جميع الأعمال لأنه حبس النفس على الأعمال المشروعة فلهذا لم يأخذه المقدار و الأعمال تأخذها لمقادير فعلى قدر ما يقام فيه المكلف من الأعمال إلى حين موته فهو يحبس نفسه عليها حتى يصح له حال الصبر و اسم الصابر فيكون أجره غير معلوم و لا مقدر عنده جملة واحدة و إن كان معلوما عند الله كالمجازفة في البيع من غير كيل في المكيل و لا وزن في الموزون و فارق الصبر العبادة بأن العبادة له في حال عدمه و عدم تكليفه و الصبر لا يكون له في حال عدمه و لا في حال عدم تكليفه فالعبادة لا تبرح معه دنيا و لا آخرة فإذا كان مشهده عبادته في حال ارتقاؤه و نزل الحق

إليه كما وصف الحق نفسه بالنزول فوقع الاجتماع و هو المنا زلة فمن حيث إن العبد ذو عمل من الأعمال لأنه لا بد أن يكون في عمل مشروع صالح و هو الذي يصعد به فإنه براقه لأنه محمول فيتلقاه من الله من حيث ذلك العمل بالبر الذي عينه الله لمن جاء به و هو مقد ر معلوم ثم أن الحق ينظر في هذا المكلف فيراه مع كونه في عمله غير مشهود له ذلك العمل لعلمه أن الله هو العامل به لا هو و أنه محل لخلق العمل به و كالآلة لوجود ذلك العمل فيكون الحق يعطي استحقاق ذلك العمل من حيث ما وعد به فيه و ينظر ما مشهد ذلك الشخص فيجده في عبادته التي لم يزل عليها في حال عدمه فما ثم جزاء في مقابلتها إلا أن لا يرزقها الغفلة عنها في زمان خلق الغفلات في المكلفين ما ثم إلا هذا و هو الذي قلنا في الممكن في حال وجوده أنه لا بد من حكم سيادة تظهر منه لأنه في زمان حكم الغفلات فالعناية بهذا العبد في هذه المنا زلة رفع الغفلة عن العبادة في كل حال فهذه هي الزيادة في قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيادَةٌ للذين أحسنوا بالأعمال الحسنى بما لهم من الأجور بل بما للأعمال من الأجور فإنها بعينها للعامل و زيادة هي ما ذكرناه في حق صاحب العبادة فإنه لا يرزقه الغفلة في وقت العمل عمن هو العامل فيرى أن العامل هو الله و ليس يعود الأجر الذي يطلبه العمل إلا على العامل فالعامل عنده هو الله فأجرته لو كان ممن يقبل الأجور على قدره فيحصل للمكلف الذي هو الآلة القابلة للاجور أجر من لو قبل الله الأجير كيف يكون أجره هل يكون إلا على قدره و إن قيده العمل فأين أجر هذا المكلف بهذا الشهود من أجر من يرى في عمله إن المكلف هو العامل لا الحق فيكون أجره على قدر هذا المكلف فلا يحصل له سوى أجر العمل خاصة إلا على قدر أجر العامل لأن العامل عنده عينه و لا قد ر له و لو لا ظهوره و اتصافه بطاعة ربه في عمله لم يكن له قدر من نفسه و لهذا ترى مال المخالف إلى ما يكون فلو كان له قدر في نفس الأمر لسعد بحكم قدره و إنما يسعد برحمة الله و لم تتفاضل سعاداتهم لو كان لهم قدر يستحقون به السعادة و لا نشك أنهم في السعادة متفاضلون كما أنهم في الأعمال متفاضلون من حال و زمان و مكان و عين عمل و دوام و اجتماع و انفراد إلى غير ذلك فيما يقع به التفاضل فعلمنا أنه ما ثم جزاء القدر فعلمنا إن الإنسان من حيث عينه لا قدر له لا بطاعة ربه و قدر عمله ثم إن الحق بعد هذا النظر و تعيين الجزاء كما قررناه ينظر في شهود هذا المكلف فيراه ذا عبادة و العمل تابع لها فيه و هو لا يتصف بالإعراض عن الأعمال و لا بالإقبال عليه و أنه على الحال الذي كان عليه في حال عدمه لم يتغير فيبقيه على حاله و يحجب الغفلة عنه فلا يكون له أثر فيه بوجه من الوجوه و هذه هي العصمة العامة فإذا وقعت منه مخالفة فإنما تقع بحكم القضاء و القدر من تكوينهما فيه كما وقعت الطاعة فما ينقص له من حاله في عبادته لأن الغفلة محجوبة عنه و الحضور له دائم فإذا وقع منه ما وقع فهو من الله عين تكوين لذلك الواقع في هذا المحل ظاهره صورة معصية لحكم خطاب الشرع و هي في نفس الأمر أعني تلك الواقعة موجود أوجده الله في هذا المحل من الموجودات المسبحة بحمده فلا أثر لهذه المخالفة فيه كما لا أثر للطاعة فيه فتسعد النفس الحيوانية بذلك العمل كان العمل ما كان في الظاهر مما يجري عليه لسان ذنب أو لسان خير فإنه في نفس الأمر ليس بذنب و إنما حركته الحيوانية كحركات غير المكلف لا تتصف

بالطاعة ولا بالمعصية وإنما ذلك إنشاء صور في هذا المحل ينظر إليها علماء الرسوم قد ظهرت من مؤمن عاقل بالغ فيحكمون عليه بحسب ما هي عندهم في حكم الشرع من طاعة أو معصية ما يلزمهم غير هذا ما لم يدخل لهم الاحتمال فيه فإن دخل لهم الاحتمال في ذلك لم يجز لهم أن يرجحوا جانب لسان الذنب على غير ذلك كرجل أبصرته في بلدة صحيحا سويا في رمضان يأكل نهارا مع معرفتك به أنه مؤمن فيدخل الاحتمال فيه أن يكون به مرض لا تعرفه أو يكون في حال سفر ولا تعرف ذلك فليس لك أن تقدم على الإنكار عليه مع هذا الاحتمال ولا يلزمك سؤاله عن ذلك بل شغلك بنفسك أولى بك وأما قوله في هذا الباب ص إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاعلم أنه ما سميت الجنة جنة إلا لما نذكره وكذلك تسمية الملائكة جنة وكذلك الجن فكل ذلك راجع إلى الاستتار والاستتار ما هو على نمط واحد بل حكمه مختلف و ذلك أن من هذا النوع كون الحق يتجلى في القيامة ويقول أنا ربكم ويرونه ومع هذا ينكرونه ولا يصدقون به أنه ربهم مع وجود الرؤية على رفع الحجاب فإذا تحول لهم في العلامة التي يعرفونه بها يقولون له أنت ربنا وهو كان الذي أنكروه وتعوذوا منه وهو الذي أقروا به واعترفوا فما هو هذا الحجاب الذي حصل لهم مع الشهود هل هو أمر وجودي أو حكم عدمي فهو مشهود محجوب ولا حجاب وجودي ولا حكم للعدم في الموجود فانظر ما أخفى هذا وليس في العالم في الدنيا واقع إلا هذا في جميع الأمور والناس في غفلة عنه كما أنا نؤمن أن الملك معنا والشيطان معنا والحجب المحسوسة ما هي موجودة عندنا وأعيننا ناظرة ومع هذا فلا ندرك الملك ولا الجان وهو يرانا وقبيله من حيث لا نراه فهو وقبيله يرانا شهودا عينيا ونحن نراه إيمانا لا عينا فما هو هذا الستر الذي بيننا إذ لو كان بيننا لحجبهم عنا كما يحجبنا عنهم فلا بد من تعيين حكمة في ذلك وكذلك الحجب التي ذكر الله عن نفسه التي بيننا وبينه من نور وظلمة فمن الظلمة وقع التنزيه فنفينا عنه صفات المحدثات فلم نره فنحن جعلنا الحجب على أعيننا بهذا النظر والنور كظهوره لنا حتى نشهده وننكر أنه هو كما قدمنا في التجلي في القيامة وهو عند العارفين اليوم في الدنيا على هذا الحكم فيشهده العارفون في صور الممكنات المحدثات الوجود وينكره المحجوبون من علماء الرسوم ولهذا يسمى بالظاهر في حق هؤلاء العارفين و الباطن في حق هؤلاء المحجوبين وليس إلا هو سبحانه وتعالى فأهل الله الذين هم أهله لم يزالوا ولا يزالون دنيا وآخرة في مشاهدة عينية دائمة وإن اختلفت في الصور فلا يقدح ذلك عندهم فإن قال قائل فموسى أحق بهذا الصفة من الولي وقد سأل الرؤية قلنا له قد ثبت عندك إن كنت مؤمنا و إن لم تكن من أهل الكشف إن النبي ص قد أخبر أن الله يتجلى في صورة ويتحول إلى صورة وأنه يعرف وينكر إن كنت مؤمنا لا تشك في هذا وأنه قد بين أن التجلي في الصور بحسب قدر المتجلي له فإذا علمت هذا تعلم أن موسى قد رأى الحق بما هو متجل للأولياء إذ علم أنه يتجلى للأولياء في صور مختلفة لأن موسى ولي الله وقد علم ذلك ومثل هذا فلا يخفى وإنما سأل التجلي في الصورة التي لا يدركها إلا الأنبياء ومن الأنبياء من خصه الله بمقام لم ينله غيره كالكلام بارتفاع الوسائط لموسى ع فطلب موسى ع من ربه أن يراه في تلك الصورة التي يطلبها مقامه وأما رؤيته إياه في

الصورة التي يراها الأولياء فذلك خبره و ديدنه و ما جعلك تقول مثل هذا على طريق الاعتراض إلا لكونك لست بولي عا رف إذ لو كنت من العا رفين لشهد ته و لم يغب عنك علم ما انفصلنا به في جواب سؤالك فصح قوله إن في الجنة ما لا عين رأت أي في الستر اعتبا را لا تفسيرا إذ لو رأته عين ما كان مستورا و لو رأته لنطقت به و كان مسموعا و لو كان مسموعا لكان محدودا و لو كان محدودا لأخطرته فكان معلوما فهو أمر حجبنا عنه بحجاب لا يعرف فإنه في الستر المعبر عنه بالجنة فإذا كان عينه عين الستر فما حجبنا إلا جعلنا ما رأيناه سترا فتعلقت الهمة بما خلف الستر و هو المستور فأتى علينا منا و ما جعلنا في ذلك إلا التنزيه و لهذا جاءت الأنبياء ع مع التنزيه بنعوت التشبيه لتقرب الأمر على الناس و تنبيه الأقربين إلى الله الذين هم في عين القرب مع الحجاب الذي هو الأمر عليه فيكون في ذلك التنبيه بالتشبيه رفع الأغطية عن البصر فيتصف البصر بأنه حديد كما يتصف بصر المحتضر قال تعالى فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ فيرى المحتضر ما لا يراه جلساؤه و يخبر جلساءه ما يراه و يد ركه و يخبر عن صدق و الحاضرون لا يرون شيئا كما لا يرون الملائكة و لا الروحانيين الذين هم معه في مجلس واحد و قد أخبرنا الله بأن الملائكة تحضر مجالس الذكر و هم السياحون في طلب هذه المجالس فإذا رأوا مجلس الذكر نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم و ليس أحد من البشر من أهل ذلك المجلس يد ركهم إلا من رفع الله الغطاء عن بصره فأد ركهم و هم أهل الكشف أ لم تستمع لقول النبي ص اللذين يمشون خلف الجنائز ركابا أ لا تستحيون أن الملائكة تمشي على أقدامها في الجنا زة و أنتم تركبون فالمؤمن ينبغي أن يعامل المواطن بما يعامله به صاحب العيان و إلا فليس بمؤمن حقا فإن لكل حق حقيقة و ليست الحقيقة التي لكل حق إلا إنزاله منزلة المشهود المد رك للبصر و قد قال هذا رسول الله ص للرجل الذي سمعه يقول أنا مؤمن حقا فقال له رسول الله ص إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال الرجل كأني أنظر إلى عرش ربي با رزا يعني يوم القيامة فقال له رسول الله ص عرفت فالزم ففسر الحقيقة بالنظر و الرؤية و جعله بكان لأن يوم القيامة ما وقع حسا و لكن وقع في حقه ممثلا فأد ركه في التمثيل كالواقع في الحس كالعابد الذي قال له اعبد الله كأنك تراه فما هذا مثل العرش البا رز فإن الله هنا موجود في نفس الأمر في قبلة المصلي أو العابد في أي عمل كان و بروز العرش ليس كذلك فمن الناس من يعبد الله كأنه يراه للحجاب الذي منعه من أن يراه و من الناس من يعبده على رؤية و مشاهدة و ليس بين الذي يراه و الذي لا يراه إلا كون هذا الذي لا يراه لا يعرفه مع أنه مشهود له عز و جل و العا رف يعرفه و لكن مثل هذه المعرفة لا ينبغي أن تقال فإنها لا تقبل فإذا شهدها الإنسان من نفسه لم يتمكن له أن يجهلها فيكون عند ذلك من الذين يرون الله في عبادتهم و يزول عنهم حكم كأنك تراه فاعلم ذلك و أما قوله تعالى فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ يعني للقوم الذين تقدم وصفهم جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ فما هو جزاؤهم هنا إلا إخفاؤهم ذلك عن هذه النفس التي لا تعلم فيكون إخفاء حال هؤلاء و ما لهم عند الله عن هذه النفوس التي لا تعلم جزاء لهم أي جزاؤهم أن يجهل مقامهم عند الله فلا تقدر نفس قد رهم كما قال الحق عن نفسه وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ فأعطاهم نعته في خلقه فلم تعلم نفس ما أخفي لهؤلاء

من قرة أعين مما تقر به أعينهم و كذلك قال ص و جعلت قرة عيني في الصلاة و إنما ذكر الأعين دون جميع الإدراكات لأن كل كلام إلهي و غير إلهي لا بد أن يكون عينه عن عين موجودة و ما ثم إلا كلام فما ثم إلا أعيان توجد و متعلق الرؤية إدراك عين المرئي و استعداد المرئي للرؤية سواء كان معدوما أو موجودا فإذا رآه قرت عينه بما رآه إذ كان غيره لا يرى ذلك و لهذا سئل موسى الرؤية لتقر عينه بما يراه فكان رسول الله ص في حال صلاته صاحب رؤية و شهود و لذلك كانت الصلاة محل قرة عينه لأنه مناج و الأعيان كما قلنا تتكون بالكلام فهو و الحق في أثناء صور ما دام مناجيا في صلاته فيرى ما يتكون عن تلاوته و ما يتكون عن قول الله له في مقابلة ما تكلم به كما ورد في الخبر الذي فيه تقسيم الصلاة من قول العبد فيقول الله و أما قوله في هذا الباب وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ فإن مال الشيء لا يصح أن يكون واقعا فيرى إلا إن مثل للرائي فهو كأنه يراه فإن المال يقابل الحال فالحال موجود و المال ليس بموجود و لهذا سمي مالا و التأويل هو ما يؤول إليه حكم هذا المتشابه فهو محكم غير متشابه عند من يعلم تأويله و ليس إلا الله و الراسخ في العلم يقول آمَنَّا به كُلٌّ من عِنْدِ رَبِّنا يعني متشابهه و محكمه فإذا أشهده الله ما له فهو عنده محكم و زال عنه في حق هذا العالم التشابه فهو عنده كما هو عند الله من ذلك الوجه و هو عنده أيضا متشابه لصلاحيته إلى الطرفين من غير تخليص كما هو في نفس الأمر بحكم الوضع المصطلح عليه فهو و إن عرف تأويله فلم يزل عن حكمه متشابها فغاية علم العالم الذي أعلمه الله بما يؤول إليه علمه بالوجه الواحد لا بالوجهين فهو على الحقيقة ما زال عن كونه متشابها لأن الوجه الآخر يطلبه بما يدل عليه و يتضمنه كما طلبه الوجه الذي اعلم الله به هذا الشخص فعلم الله على الحقيقة به أن يعلم تأويله أي ما يؤول إليه من الجانبين في حق كل واحد أو الجوانب إن كانوا كثيرين فيعلمه متشابها لأنه كذا هو إذ كل جانب يطلبه بنصيبه و دلالته منه فالمحكم محكم لا يزول و المتشابه متشابه لا يزول و إنما قلنا ذلك لئلا يتخيل أن علم العالم بما يؤول إليه ذلك اللفظ في حق كل من له فيه حكم إنه يخرجه عن كونه متشابها ليس الأمر كذلك بل هو متشابه على أصله مع العلم بما يؤول إليه في حق كل من له نصيب فيه فهذه الإحاطة مجهولة و لا تعلم إلا في هذه المنازلة فيعطي من هذا المتشابه كل ذي حق حقه كما أعطى الله كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ من الشبه و الاشتراك و أما مفاتح الغيب ف لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ و هو من هذا الباب فلا تعلم إلا بإعلام الله و إن كانت تعلم فلا تعلم أنها مفاتح الغيب فتنبه لهذا و اعلم أن الإعلام أظهر لنا أن الاستعدادات من القوابل هي مفاتح الغيب لأنه ما ثم إلا وهب مطلق عام و فيض جود ما ثم غيب في نفس الأمر و لا شهود بل معلومات لا نهاية لها و منها ما لها وجود و منها ما لا وجود لها و منها ما لها سببية و منها ما لا سببية لهما و منها ما لها قبول الوجود و منها ما لا قبول لها فثم مفتاح و فتح و مفتوح يظهر عند فتحه ما كان هذا المفتوح حجابا عنه فالمفتاح استعدادك للتعلم و قبول العلم و الفتح التعليم و المفتوح الباب الذي كنت واقفا معه فإذا لم تقف و سرت رأيت في كل قدم ما لم تره فعلمت ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما فالاستعداد غير مكتسب بل هو منحة إلهية فلهذا لا يعلمه إلا الله فيعلم إن ثم مفاتح غيب لكن لا يعلم ما هو مفتاح غيب خاص في مفرد مفرد من الغيوب فإذا حصل

الاستعداد من الله تعالى حصل المفتاح و بقي الفتح حتى يقع التعليم كما قال الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ فالتعليم هو عين الفتح و من هذا الباب فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله كالصلاة على الراحلة فالمستقبل لا يتقيد فهو بحسب ما تمشي به كذلك لا يعرف العارف أين يسلك به ربه في مناجاته فإنه بحسب ما يناجيه به من كلامه و كلامه سور القرآن فأي سورة أو أي آية شاء قرأ من غير تعيين لأن الشارع ما قيده بسورة بعينها فهو بحسب ما يلقى في خاطره و ذلك إلى الله فكما لا علم له بما يلقيه في نفسه مما يناجيه به إلا حتى يلقيه كذلك لا يعلم ما يقول له الحق في مناجاته في منازلته و من هذا الباب قوله فَعِدَّةٌ من أَيَّامٍ أُخَرَ و أيام الله التي يقطعها العبد بعمرة لا يعين قدرها و لهذا نكرها فالذي يجب على المكلف في سفره عدة من أيام أخر له الاختيار في تعيينها و لكن لا يدري ما يعين منها إلا بإلقاء الله في نفسه ذلك و الصوم لا مثل له فلا يدري في أي صفة يقيمه مما لا مثل لها من جانب الحق و هي كل صفة إلهية لا يمكن للعبد الاتصاف بها و إن علمها كما يعلم أن الحق لا يماثله و لا يكون بهذا العلم إلها لأن الألوهة ليست صفته و هذا معنى قوله ص حين سأل ربه اللهم إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك فدخل في هذا كل اسم ممكن أن يتصف به و كل اسم لا يمكن أن يتصف به فما لا يتصف به من الأسماء لا مثل له فيكون معلوما لنا في صومنا غير قائم بنا بحيث أن نتصف به هذا فائدة عدم التعيين في الأيام التي نصومها إذا كنا مسافرين فأفطرنا فنقضي أيام رمضان أو نؤديه في أيام غير معينة فصاحب هذه المنازلة يقصد الله تعالى في عروجه فارغ القلب خالي النفس عريا عن قصد اسم معين إلهي بما أنت عبد و بما هو إله فعال لما يشاء لا يخطر لك أمر تطلبه منه إنما هو أن تكون معه في عروجك بحسب ما يكون منه مع حفظ أوقاتك فيما وقع عليك من التكليف لاقتضاء حق الوقت و مراعاة خطاب الشرع مع غيبتك عنك في ذلك بتوليه فيما أنت فيه و أنت محل لجريان مقاديره مع التحفظ و لزوم الأدب أن يجعلك محلا لما حجره عليك فإن أنت سلكت على هذا الأسلوب يبدو لك من الحق في منازلته ما لم يخطر لك بخاطر بل ما لا ينقال و لا تسعه العبارة

«الباب التاسع و الثمانون و ثلاثمائة في معرفة منازلة إلى كونك و ألك كوني»

إلي منك الدنو وقتا	و ثم وقتا إليك مني
أخذت عنك العلوم فضلا	و أنت أيضا أخذت عني
إنيتي فيك يا حبيبي	إذا يقول اللسان إني
ما أصعب القول منك عندي	إذ يقول الفؤاد صلني
و لم أغب عنه إذ تجلى	و لو دري لاشتهى التمني

قال الله تعالى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فهذه عين المنا زلة لأن كل صورة منهما فا رقت مكانها فكانت كل صورة من الأخرى أدنى من قاب قوسين لكل واحدة من الصورتين قوس أظهر التقويس و الفرقان بين الصورتين الخط الذي قسم الدائرة بنصفين فكان الأمر عينا واحدة ثم ظهر بالصورة أمران فلما صا ر الحكم أمرين كان من الأمر الواحد تدليا لأن العلو كان له و في عين هذا التدلي دنو من الأمر الآخر و كان من الآخر تدان إلى من تدلى إليه فكان دنوه عروجا لأن تدلى الأمر الآخر إليه أعلمنا أن السفل كان قسم هذا الآخر و ما تدانى كل واحد من الآخر إلا ليرجع الأمر كما كان دائرة واحدة لا فصل بين قطريها فكلاهما يسعيان في إزالة الخط الذي أوجب التقسيم في الدائرة فموضع التقسيم قوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل و ما للعبد سؤال إلا إزالة هذه القسمة حتى يعود الأمر كما كان فأجا به الحق إلى سؤاله بقوله و لعبدي ما سأل فقال وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ

و تدانينا عروج فتدليه دنو
إننا زوج بهيج وافترقنا واجتمعنا
في سمائها بروج حدثت حين افترقنا
في ذواتنا فروج ولها من أجل كوني
و ولوج و خروج فنكاح مستمر

«و من ذلك»

و كان مني التداني فكان منه التدلي
كما يقول يراني حتى أراه بعيني

و لما التقينا عن حب و اشتياق خاطبني من أعلم في سرى

تجد الذي منكم أجد اجعل يديك على الكبد
و قل له هبني و زد و أبرح إلى طلب الوصال
ما تذكر من عبد لو لا وجود العلم فيه
إن القرآن بذا ورد فإن أنكروا هذا فقل

قال الله عز و جل هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ فخص طائفة بالتعين وَلِيُنْذَرُوا بِهِ فعين طائفة أخرى وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فعين طائفة أخرى وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ فعيننا و هؤلاء هم الذين ذكرناه و هم العلماء بالله و بالأمر على ما هو عليه فلم يكن الخط الذي قسم الدائرة إلا عين تميزي عنه و تميزه عني من الوجه الذي كان به إلها و كنت به عبدا فلما تحقق التمييز و وقع الانفصال بالتكوين و أظهر الخط حكمه و وصفنا بالحجاب عنه و وصف نفسه بحجب الأنوار و الظلم عنا و شرع لنا ما شرع و أمرنا بالإنابة إليه و وصف نفسه بالنزول إلينا علمنا أنه يريد رجوع الأمر إلى ما كان عليه بعد علمنا بما قد علمنا و تحققنا بما به تحققنا قال عن نفسه إنه سمعنا الذي نسمع به و بصرنا الذي نبصر به و ذكر لنا جميع القوي التي نجدها من نفوسنا و أثبت في هذا الوصل أعياننا فلا يشبه ما رجع الأمر إليه ما كان عليه قبل الفصل لأن الذي أثبته الخط من الحكم ما يزول و إن زال الخط فأثره باق لأنا قد علمنا إن الدائرة قابلة للقسمة بلا شك و لم نكن نعلم ذلك قبل فإذا اتصلت الدائرة فلا يزول العلم منا أنها ذات قسمين من أي جزء فرضته فيها و إنما تقبلها من أي حد فرضته فيها لما ورد في الأخبار الإلهية من اتصاف الحق تعالى بصفات الخلق و اتصاف الخلق بصفات الحق كما قال تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فإن قلت الرحمن سميته بجميع الأسماء الحسنى و إن قلت الله سميته بجميع الأسماء الحسنى و كذلك تقول الخلق الذي هو العالم يقبل أسماء الحق و صفاته و كذلك الحق يقبل صفات الخلق لا أسماءه بالتفصيل و لكن يقبلها بالإجمال فقبوله بالإجمال مثل قوله يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ و كونه لا يقبل أسماء العالم بالتفصيل فأعني بذلك الأسماء الإعلام و هو قوله قُلْ سَمُّوهُمْ يريد الأسماء الأعلام و ما عدا الأسماء الأعلام فيقبلها الحق على التفصيل فإن الحق ما له اسم علم لا يدل على معنى سوى ذاته فكل أسمائه مشتقة تنزلت له منزلة الأعلام و لهذا وقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء الحق و لم يقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء العالم فتحقق ما نبهنا عليه فأعظم ما أخذه من صفاتنا الذي يدل الدليل على إحالته وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ فما كان بعد هذا فهو أهون من تحوله في الصور و غير ذلك و على الحقيقة فكلها نعوته و أعظم من أخذنا نحن منه علمنا به الذي يحيله الدليل و هو قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قول رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربه فأخذنا عنه و أخذ عنا

فيا حيرة أبدت حقائق كونه ‌ ‌ ‌ ‌ و يا خيبة للعبد حين تفوته

فمن كان أحياه يحير ذاته ‌ ‌ ‌ ‌ و من لم يحر فيه فعنه يميته

إذا كان قوت الخلق كونا محققا ‌ ‌ ‌ ‌ فإله الحق للعبد قوته

قيل لسهل بن عبد الله ما القوت قال الله و اعلم أن الإل بكسر الهمزة هو الله تعالى و الإل أيضا العهد بكسر الهمزة فقوله إلى كونك أي الوهتي ما ظهرت إلا بك فإن المألوه هو الذي جعل في نفسه وجود الإله و لهذا قال من عرف نفسه عرف ربه فمعرفتك بالله أنه أهلك أنتجه معرفتك بذاتك و

لذلك ما أحالك الله في العلم به إلا عليك و على العالم فكل ما ثبت لله تعالى من الأحكام ما ثبت إلا بالعالم فعين الإل من حيث عينه هو الموصوف بهذه الأحكام فلوا ارتفع العالم من الذهن ارتفعت الأحكام الإلهية كلها و بقي العين بلا حكم و إذا بقي بلا حكم و إن كان واجب الوجود لذاته لم يلزم أن يكون له حكم الألوهة فوجود أعياننا من وجوده و وجودنا أثبت العلم به في ذواتنا و لولا إن ذاته أعطت وجودنا ما صح لنا وجود عين و هذا معنى قول العلماء إن العالم استفاد الوجود من الله و أما قوله ألك كوني فهو عين قوله كنت سمعه و بصره فجعل هويته عين مسمى سمعنا و قوانا و ليس العالم إلا بهذا الحكم

و إن بقيت لم أكن   فإن فنيت لم أكن

و كلنا من قول كن   فكلنا لكنا

تجده فيك يستكن   منا و منه فاعتبر

كما أتى في لم يكن   فاستره لا تظهره

شمس له ما قد سكن   فيها بدت مشرقة

مستند و من سكن   فما لنا سواه من

فالحق مصرف العالم و العالم مصرف الحق ألا تراه يقول أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ أليست الإجابة تصريفا هل يتصور إجابة من غير نداء و سؤال لا يصح أن يتصرف في نفسه فما له تصرف إلا فينا فتصرفه إيجاده إيانا دائما فأعيان تظهر و أحكام له تحدث و تعلقات لا تنكر

فإن قلت أنا واحد كنت صادقا   و إن قلت لسنا واحدا لم تكذب

فيا ليت شعري من يجهل و ما ثم إلا الله فالكل عالم بما لا يعلمه ثم يعلمه وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و قد ظهر بعض رشح من هذا المشهد على طائفة من أصحاب النظر لا يعرف من أين جاءهم ذلك فحكى عنهم أنهم يقولون إن الله لا يعلم نفسه لأن العلم بالشيء يقتضي الإحاطة بالمعلوم و هو لا يتناهى وجوده و وجوده عين ماهيته ليس غيرها و ما لا يتناهى لا يكون محاطا به إلا أنه لا يتناهى و أحاط علما به أنه لا يتناهى لا له و لا للعالم و هذا و إن كان قولا فاسدا فإن له وجها إلى الصحة و ذلك أنه لا يعلم نفسه على جهة الإحاطة بل يعلم نفسه أنها لا تقبل الإحاطة كما يعلم الممكنات و جميع المقدورات أنها لا تتناهى فانظر في هذا الرش من هذا البحر الغمر كيف أثر في العالم نحلة ظهرت في العين و بدت إلى عالم الكون حتى سطرت في الدفاتر و سارت بها الركبان و تسامر بها العلماء و ما ثم قائل إلا الله و لا منطق إلا الله و ما بقي إلا فتح عين الفهم لتنطق الله من حيث إنه

لا ينطق إلا بالصواب فكل كلام في العالم فهو إما من الحكمة أو من فصل الخطاب فالكلام كله معصوم من الخطاء و الزلل إلا أن للكلام مواطن و محال و ميادين له فيها مجال رب تتسع ميادينه بحيث أن تنبو عن إدراك غايتها عيون البصائر

على ما يقتضي فصل الخطاب　　فينطق حين ينطق بالصواب

عموا فيها عن الأمر العجاب　　و ترجع حسرا أبصار قوم

فإذا أردت السبيل إلى فهم هذه المعاني فتعمل في تكثير النوافل التي لها أصل في الفرائض و إن تمكن لك أن تكثر من نوافل النكاح فإنه أعظم فوائد نوافل الخيرات لما فيه من الازدواج و الإنتاج فتجمع بين المعقول و المحسوس فلا يفوتك شيء من العالم الصادر عن الاسم الظاهر و الباطن فيكون اشتغالك بمثل هذه النافلة أتم و أقرب لتحصيل ما ترومه من ذلك فإذا فعلت هذا أحبك الحق و إذا أحبك غار عليك أن تشهدك عين أو يقيدك كون فأدخلك في حمى حرمه و جعلك من جملة أحبابه و أهلك له فصرت له أهلا كما قال في الحديث في أهل القرآن إنهم أهل الله و خاصته خرج ذلك الترمذي في منصفه و إذا أتخذك أهلا جعلك محلا لإلقائه و عرشا لاستوائه و سماء لنزوله و كرسيا لقدميه فظهر لك فيك منه ما لم تره مع كونه فيك و هو قوله تعالى فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لأن جنوبهم تجافت عن المضاجع الطبيعية و صاروا أهلا للموارد الإلهية و الشوارد الربانية فمياههم عذبة صافية و عروشهم عن كل ما سوى ما يلقي الله إليهم خاوية آبارهم معطلة و أبوابهم مقفلة و قصورهم مشيدة ضاعت مفاتح أقفالها و تقطعت حبال آبارها فتنظر إلى مياهها و لا تذاق فتستحسن على جهالة فإذا سردت أخبارها قرآنا ظهر إعجازها فلم يستطع أحد معارضتها فيستحليها فإذا سئل عن معانيها لا يدري ما يقول إذ لا ذوق له فيها إلا ما أعطاه الشهود فغايته أن يقول إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ لاختلاط ضوئه بظلمته تشبيها بسحر الليل و بالسحر الذي يخرج الهواء الحار و يسوق الهواء البارد لتبقى بذلك الحياة على هيكل الحيوان فلا يدري الناظر فيه أي وجه يستقبل به فإنه مهما أقبل على وجه أعرض عن الآخر إلا أن يكون نبيا فيرى من خلفه كما يرى من أمامه فيكون وجها كله و ذلك هو المعبر عنه بالذوق الذي يكون عنه حقيقة الاشتياق و الشوق فما ينطق عن هوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى علمه ذو القوة المتين في صورة شديد القوي ف ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ فإنه من عين القرب أخبر لأنه من دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ كما تقدم قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى و ما هو من مرجمات الظنون كما يقولون في أصحاب الكهف الفتية المعلومة ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ يقول ما هو على تحقيق فيما يخبرون به من عددهم هذا رجم في العدد و أين أنت لو أخذوا في حقيقة المعدود لخاضوا و ما حصلوا على طائل لا ترى إلى قوله تعالى لنبيه ص الذي ليس من شأنه و لا من شأن الأنبياء ع إن ينهزم و لا إن يقتل في مصاف لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً فوصفه بالانهزام و قوله صدق أ لا ترى ذلك عن رؤيته أجسامهم أ ليسوا أناسا مثله فما ينهزم إلا من أمر يريد إعدامه و لا يملأ مع

شجاعته و حماسته رعبا إلا من شيء يهوله فلو لم ير منهم ما هو أهول مما رآه ليلة إسرائه ما امتلأ رعبا مما رآه و قد رأيناهم و ما ملئنا رعبا لأنا ما شهدنا منهم إلا صور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا فذلك الذي كان يملؤه رعبا و ما ذكر الله إلا رؤية عينهم لأنه قال لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فوصفه بالاطلاع فهم أسفل منه بالمقام و مع هذا كان يولي منهم فرارا خوفا أن يلحق بهم فينزل عن مقامه و يملأ منهم رعبا لئلا يؤثروا فيه كما قلنا من تأثير الأدنى في الأعلى كقوله ص رب ضاحك ملء فيه لا يدري أرضى الله أم أسخطه قال ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّٰهَ و من علم الأمر على هذا حقيق عليه أن يولي فرارا و يملأ رعبا هل رأيتم عاقلا يقف على جرف مهواة إلا و يفر خوفا من السقوط فانظر فيما تحت هذا النعت الذي وصف الله به نبيه لو اطلع على الفتية مع علو رتبتهم و شأنهم فعلوه أعلى و رتبته أسنى فعرفنا بذلك ينهنا على علو رتبة نبينا محمد ص فأعيان الفتية كانت المشهودة لنا و لم نول و لا ملئنا رعبا و أعيان الفتية لو اطلع عليهم نبينا لولى فرارا منهم و لملئ رعبا فانظر إلى ما ذا ترجع صور العالم هل لأنفسهم أو لرؤية الناظر و تدبر ما قلناه كما تعلم قطعا إن حبال السحرة و عصيهم في عينها حبال و عصى و في نظرنا حيات فهي عين الحيات و هي عين العصي و الحبال فانظر ما ترى

و اعلم ما تنظر و كن بحيث تعلم لا بحيث ترى فإن الله ينكر بالرؤية و لا ينكر بالعلم فإذا لم ينكر بالرؤية فبشاهد العلم لم ينكر وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة زمان الشيء وجوده إلا أنا فلا زمان لي و إلا أنت فلا زمان لك فأنت زماني و أنا زمانك»

فأين الواحد المنعوت منه	إذا قلنا بأن النعت عين
أخذناه عن الإرسال منه	و قد جاء الخطاب الحق فينا
و لا مثل و لا يبديه كنه	بأن الله ليس له شريك
فكن منه على علم و صنه	فإن حصلت سر الكون فيه
فضد القول و التعيين من هو	فمهما قلت ألست أنا بلا هو
علمت فلم تقل من أنت من هو	إذا حققت قولي يا قسيمي

قال الله تعالى حكاية عن قوم يقولون وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ و صدقوا فإنه قد ثبت عن رسول الله ص أن الله هو الدهر

فما أهلكهم إلا الله كما هو في نفس الأمر اعلم أن الزمان نسبة لا وجود له في عينه و قد أطال الناس الكلام في ماهيته فخرج من مضمون كلامهم ما ذكرناه من أنه نسبة و أنه يحدث بحدوث السؤال بمتى فيحدث له أسماء بحدوث السؤال مثل حين و إذ و إذا و حروف الشرط كلها أسماء الزمان و

المسمى أمر عدمي كلفظة العدم فإنها اسم مسماها لا عين له مع تعقل الحكم له فلنمثل ليفهم ما ذكرناه يقال متى جاء زيد الجواب حين طلعت الشمس مثلا و إذا طلعت الشمس و متى تطلع الشمس من مغربها حين يأذن الله لها في ذلك و إذا يأذن الله و مهما أذن الله لها طلعت في جواب هل تطلع الشمس من المغرب فيعود مشرقا فيكون هذا و أمثاله جوابه فيعقل منه الزمان إن جاء زيد أكرمتك المعنى حين يجيء زيد أكرمك المعنى زمان مجيء زيد زمان وجوب كرامتك على التي أوجبها على نفسي بمجيء زيد فهو للمحدثات زمان و للقديم أزل و معقوليته أمر متوهم ممتد لا طرفين له فنحكم عليه بالماضي لما مضى فيه و نحكم عليه بالمستقبل لما يأتي فيه و نحكم عليه بالحال لما هو فيه و هو مسمى الآن و الآن و إن كان زمانا فهو حد لما مضى في الزمان و لما استقبل في الزمان كالنقطة تفرض في محيط الدائرة فتعين لها البدء و الغاية حيث فرضتها منها فالأزل و الأبد عدم طرفي الزمان فلا أول له و لا آخر و الدوام له و هو زمان الحال و الحال له الدوام فلا يزال العالم في حكم زمان الحال و لا يزال حكم الله في العالم في حكم الزمان و لا يزال ما مضى منه و ما يستقبل في حكم زمان الحال أ لا ترى في كلام الله في إخباره إيانا بأمور قد انقضت عبر عنها بالزمان الماضي و بأمور تأتي عبر عنها بالزمان المستقبل و أمور كائنة عبر عنها بالحال فالحال كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و الماضي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً و المستقبل إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ و سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ و نطلب عند هذا كله عينا وجودية يكون هذا كله فيها و هي له كالظرف فلا نجدها لا عقلا و لا حسا لكن وهما ظرفيا و ذاك الظرف مظروف لظرف متوهم لا يتناهى يحكم به الوهم لا غير فما ثم إن عقلت ما يعقل بالوهم و لا يعقل بالعقل و لا بالحس إلا الوجود الحق الذي نستند إليه في وجودنا فلهذه النسبة تسمى لنا بالدهر حتى لا يكون الحكم إلا له لا لما يتوهم من حكم الزمان إذ لا حاكم إلا الله ففيه ظهرت أعيان الأشياء بأحكامها فهو الوجود الدائم و أعيان الممكنات بأحكامها تظهر من خلف حجاب وجوده للطافته فنرى أعيان الممكنات و هي أعياننا من خلف حجاب وجوده و لا نراه كما نرى الكواكب من خلف حجب السموات و لا نرى السموات و إن كنا نعقل أن بيننا و بين الكواكب سماوات إلا أنها من اللطافة لا تحجب من يكون وراءها و اللهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ فمن لطفه أنه هو الذي يأتيهم بكل ما هم فيه و لا تقع أبصار العباد إلا على الأسباب التي يشهدونها فيضيفون ما هم فيه إليها فظهر الحق باحتجابه فهو الظاهر المحجوب فهو الباطن للحجاب لا لك و هو الظاهر لك و للحجاب فسبحان من احتجب في ظهوره و ظهر في حجابه فلا تشهد عين سواه و لا ترتفع الحجب عنه و لم يزل ربا و لم نزل عبيدا في حال عدمنا و وجودنا فكل ما أمر سمعنا و أطعنا في حال عدمنا و وجودنا إذا لم يخاطبنا بفهوانية الأمثال و الأشكال فإذا خاطبنا بفهوانية الأمثال و الأشكال و السنة الإرسال فمن كان منا مشهوده ما وراء الحجاب و هو المثل و الرسول سمع فأطاع من حينه و من كان مشهوده المثل سمع ضرورة و لم يطع للحسد الذي خلق عليه من تقدم أمثاله عليه فظهر المطيع و العاصي أي عصى على مثله لكونه ما نفذ فيه أمره بالطاعة ما عصى على الله و لهذا قال بعضهم إنما احتجب الله في الدنيا عن

عباده لأنه سبق في علمه أنه يكلفهم و يأمرهم و ينهاهم و قد قدر عليهم بمخالفة أمره و بموافقته في أوقات فلا بد من ظهور المخالفة و الموافقة فخاطبهم على السنة الرسل ع و حجب ذاته سبحانه عنهم في صورة الرسول و ذلك لأنه قال من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ و قال فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ فلو لا أن الرسول صورته الظاهرة المشهودة ما صح هذا القول فوقعت المخالفة من المخالف بالقدر السابق و الحكم القضائي و لا يتمكن أن يخالف أمره على الكشف فانحجب بالإرسال انحجابه بالأسباب فوقع الذم على الأسباب فهي وقاية الرحمن فما خالف أحد الله تعالى و ما خولف إلا الله تعالى فلا تزال الأسباب للمحجوبين مشهودة و لا يزال الحق للعارفين مشهودا مع عقلهم الحجب في حق من حجبته فكثف اللطيف عندهم و لطف الكثيف عند العارفين بالله

فيعلم العقل ما لا يشهد البصر و تشهد العين ما ترمي به الفكر

فجمع العارفون بين العقل و البصر فلهم قلوب يفقهون بها و لهم أعين يبصرون بها و لهم آذان يسمعون بها و المحجوبون على قسمين منهم من له قلب لا يفقه به و عين لا يبصر بها و منهم من له قلب يفقه به و له عين لا يبصر بها و هم المؤمنون فيعلمون و لا يشهدون و من عداهم لا يعلمون و لا يشهدون و أهل الله يعلمون و يشهدون و لهذا إذا خاطبهم يسمعون و يطيعون و يشهدون ذواتهم محلا لما يخلق الله فيها مما يحكم فيه أنه مخالفة و موافقة فهو مطيع مهيا لقبول ما يتكون فيه كالرحم من المرأة مهيأ لما يتكون فيه غير ممتنع فالعبد الذي بهذه المثابة شجنة موجدة فهو رحمان في العالم رحيم بالمؤمنين فالرب زمانه المربوب و المربوب زمانه الرب لأنه ما ثبت الحكم لكل واحد بما حكم عليه به إلا بالآخر فمن كون كل واحد ينطلق عليه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لا يكون واحد منهما زمانا للآخر لارتفاع النسب و هذا لا يكون إلا بالنظر لعين كل واحد لا لحكمه فإذا انتقلت إلى النظر في الحكم الذي هو موقوف على العالم به و على الحق بالعالم صح أن يكون الحكم من كل واحد زمانا للآخر كالمتضايفين متى صحت الأبوة لزيد على عمرو قيل حين صحت البنوة لعمرو من زيد فزمان أبوة زيد بنوة عمرو و زمان بنوة عمر و أبوة زيد فالأب زمانه الابن و الابن زمانه الأب كذلك الملك و الملك و المالك و القادر و المقدور و المريد و المراد و العالم و المعلوم غير أن العالم و المعلوم قد تكون العين واحدة لأنه قد يكون العالم يعلم نفسه فهو المعلوم لنفسه و هو العالم بنفسه فهو العالم المعلوم له بخلاف المريد و المراد لأن المراد لا يكون أبدا إلا معدوما و لا يكون المريد إلا موجودا و كذلك القادر و المقدور لا يكون المقدور أبدا إلا معدوما فإذا وجد فلا معدم له بعد وجوده إلا بنفسه أو إمساك شرط بقائه أي بقاء الوجود عليه غير ذلك لا يكون فقوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ يريد به مسك الشرط المصحح لبقاء الوجود عليكم فتنعدمون إذ لم يوجده سبحانه فإن له التخيير في إيجاد كل ممكن أو تركه على حاله من اتصافه بالعدم فإذ قد علمت بما ذكرناه ما هو الزمان فبعد ذلك أدخل مع الناس فيما دخلوا فيه من أن الزمان الليل و النهار و الأيام أو الزمان مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك أو الزمان مقارنة حادث لحادث يسأل عنه بمتى و أمثال هذه الأقوال و لا يضرك القول

بها فإنها قد استقرت و لها صحة في النسب الزماني وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بالإيلاج و الغشيان و التكوير لإيجاد ما سبق في علمه أن يظهر فيه من الأحكام و الأعيان في العالم العنصري فنحن أولاد الليل و النهار فما حدث في النهار فالنهار أمه و الليل أبوه لأن لهما عليه ولادة و ما ولد في الليل فالليل أمه و النهار أبوه فإن لهما عليه ولادة فلا يزال الحال في الدنيا ما دام الليل و النهار يغشى أحدهما الآخر فنحن أبناء أم و أب لمن ولد معنا في يومنا أو في ليلنا خاصة و ما ولد في الليلة الثانية و النهار الثاني فأمثالنا ما هم إخوتنا لأن الليل و النهار جديدان فأبوانا قد انعدما فهذان أمثالهما لا أعيانهما و إن تشابها فهو تشابه الأمثال فإذا كان في الآخرة كان الليل في دار جهنم و النهار في دار الجنة فلم يجتمعا مع الولادة التي توجد في النار و الجنان من حدوث التكوين فيهما فذلك مثل حواء من آدم و مثل عيسى من مريم فهذه هي ولادة الآخرة ضرب الله بعيسى و مريم و حواء و آدم مثلا لنا فيما يتكون في الآخرة فليس توليد الأكوان في الآخرة عن نكاح زماني بإيلاج ليل في نهار و نهار في ليل فإنهما مثلان في الزمان الذي هو اليوم الجامع لهما فقسمه الله في الآخرة بين الجنة و النار فأعطى ظلمة الليل للنار و أعطى نور النهار للجنة و من مجموعهما يكون اليوم و هو يوم الآخرة فإنه جامع للدارين و الزمان محصور في سنة و شهر و جمعة و يوم فيقسم الزمان على أربعة أقسام لأن الفصول الطبيعية أربعة لأن الأصل في وجود الزمان الطبيعة و رتبتها دون النفس و فوق الهباء الذي يسميه الحكماء الهيولى الكل و حكم التربيع فيها من حكم التربيع في الأحكام الإلهية من حياة و علم و قدرة و إرادة بهذه الأربعة ثبتت الألوهة للاله فظهر التربيع في الطبيعة ثم نزل الأمر فظهر التربيع في الزمان الأكبر و هو السنة فانقسمت السنة إلى أربعة فصول ربيع و صيف و خريف و شتاء أحدث هذا الحكم فيها نزول الشمس في البروج و البروج قسمتها الطبيعة تقسيمها العناصر التي هي الأركان إلى نارية و هوائية و مائية و ترابية كما قسمت العناصر إلى نار و هواء و ماء و تراب كما قسمت الأخلاط في الحيوان إلى صفراء و دم و بلغم و سوداء ثم اندرج الزمان الصغير الذي هو الشهر و الجمعة في الزمان الكبير و تعددت الشهود بتعداد البروج اثني عشر شهرا فقسمت عليها الأيام بحكم الرأي إلا أيام العرب أعني شهور العرب فإنها مقسمة بسير القمر فهي مقسمة بتقسيم الله لا بتقسيمنا فلما ظهرت السنة بقطع الشمس هذه البروج كذلك ظهر الشهر العربي بقطع القمر هذه البروج فالشهر الإلهي ثمانية و عشرون يوما و شهر الرؤية و التقدير بحسب الواقع ثم يقع التقدير في الزمان الممتد بأحد هذه الأربعة إما بالسنة أو بالشهر أو بالجمعة أو باليوم لا يقع التقدير إلا بهذا و أعني باليوم الصغير من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس مثلا و هو الذي يحدث عنه انتهاء دورة الفلك المحيط الذي يدور بالكل و هو الذي يتعين بالعين كما قلنا بطلوع الشمس طلوع الشمس مثلا فيعلم إن الدورة المحيطة بالأفلاك قد انتهت في أعيننا و لا حد لها في نفسها في الفلك المحيط سوى دورة واحدة لا تتصف بالانتهاء فنحن فرضنا فيها البدء و الغاية و الإعادة و التكرار ما هي في نفسها بهذا الحكم و الأيام كثيرة و لكن لا تعد إلا بهذا اليوم الصغير المعلوم عندنا الجامع لليل و النهار فتعد الأيام به أو بالشهر أو بالسنة لا غير و قد ورد إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ بهذا اليوم الصغير و قد

ورد في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وأيام الدجال يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة و سائر أيامه كأيامنا المعهودة فاليوم الذي نعد به الأيام الكبار هو يوم الشمس و يوم القمر ثمانية و عشرونيوما من أيام الشمس و كذلك نأخذ أيام كل كوكب بهذا اليوم الحاكم على الكل إذ كان انتهاء دورة الفلك المحيط فنأخذ يوم كل كوكب بقدر قطعه الفلك الأقصى و هو الأطلس الذي لا كوكب فيه فأكبرها قطعا فيه فلك الكواكب الثابتة و إنما سميت ثابتة لأن الأعمار لا تدرك حركتها القصر الأعمار لأن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى في مائة سنة إلى أن تنتهي إليها فما اجتمع من السنين فهو يوم ذلك الكواكب فيحسب ثلاثمائة و ستين درجة كل درجة مائة سنة و قد ذكر لنا في التأريخ المتقدم أن تاريخ أهرام مصر بنيت و النسر في الأسد و هو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الأهرام

فلم يدر بانيها و لم يدر أمرها　　　على أن بانيها من الناس بالقطع

و لقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم و أنا طائف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم فأنشدونا بيتين ثبت على البيت الواحد و مضى عني الآخر فكان الذي ثبت عليه من ذلك

لقد طفنا كما طفتم سنينا　　　بهذا البيت طرا أجمعينا

و خرج عني البيت الآخر فتعجبت من ذلك فقال لي واحد منهم و تسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم ثم قال لي أنا من أجدادك قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع و أربعون ألف سنة فقلت له فما لآدم هذا القدر من السنين فقال لي عن أي آدم تقول عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره فتذكرت حديثا عن رسول الله ص إن الله خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك و التأريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك فإن العالم لا تصح له رتبة القدم أي نفي الأولية لأنه مفعول لله أوجده عن عدم مرجح بوجود مرجح لأن الإمكان له من ذاته فالترجيح لا يزال له و كل ما زاد على الأعيان التي هي محل ظهور الأحكام فصورتها صورة الزمان نسب و إضافات لا أعيان لها من أكوان و ألوان و نعوت و صفات و لكل نسبة و إضافة و كون و لون و نعت و صفة اسم خاص أو أسماء هذا تحقيق الأمر في كل ما ذكرناه و قل بعد ذلك ما شئت

«الباب الأحد و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة المسلك السيال الذي لا يثبت عليه أقدام الرجال السؤال»

رأيت الحق في الأعيان حقا　　　و في الأسماء فلم أره سوائي

و لست بحاكم في ذاك وحدي　　　فهذا حكمه في كل رائي

و عند المثبتين خلاف هذا　　　هو الرائي و نحن له المرائي

قال الله عز و جل فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و هو القائل وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فأظهر آمرا و أمرا و مأمورا في هذا الخطاب التكليفي فلما وقع الامتثال و ظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما هم أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أي آلة كانت للقتل فالقتل وقع في المقتول بالآلة و لم يقل فيه إنه القاتل و قيل في الضارب إنه القاتل كذلك الضارب به بالنسبة إلينا مثل السيف له عنده فلا يقال في المكلف إنه القاتل بل الله هو القاتل بالمكلف و بالسيف فقام له المكلف مقام اليد الضاربة بالسيف كالحجر الأسود يمين الله في البيعة تقبيلا و استلاما كالمصافحة من الشخصين و تحرير هذه المنازلة معرفة الأمور الموجبة للاحكام هل لها أعيان وجودية أو هي نسب تطلبها الأحكام فهي معقولة بأحكامها و بقي العلم في المحل الذي ظهرت فيه هذه الأحكام ما هو هل هو عين الممكن و هذه النسب للمرجح مثل ما قال فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و قوله وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ أو هل المحل وجود الحق و هذه الأحكام أثر الممكنات في وجود الحق و هو ما يظهر فيه من الصور فكل صورة تشهد صورة و هي آثار الممكنات في وجود الحق فيرى زيد صورة خالد في وجود حق و يرى خالد صورة زيد في وجود حق و كذلك كل حالة يرى تلك الصورة عليها مثل الصورة سواء و كلا الأمرين قد قال به طائفة من أهل الله و كيفما كان على القولين فلا يتمكن لكل صاحب قول الثبات على أمر واحد بل بنفس ما يثبت الحكم لأمر يثبته لأمر آخر و ينفيه عن ذلك الأمر الأول فهو ينفي السابق و يثبت اللاحق فبأي أمر بدأ يكون له هذا الحكم في القولين معا مثل قوله وَما رَمَيْتَفنفى إِذْ رَمَيْتَ فأثبت الرمي لمن نفاه عنه ثم لم يثبت على الإثبات بل أعقب الإثبات نفيا كما أعقب النفي إثباتا فقال وَلَكِنَّ اللهَ رَمى فما أسرع ما نفى و ما أسرع ما أثبت لعين واحدة فلهذا سميت هذه المنازلة المسلك السيال تشبيها بسيلان الماء الذي لا يثبت على شيء من مسلكه إلا قدر مروره عليه فقدم رجاله غير ثابتة على شيء بعينه لأن المقام يعطي ذلك و هو عين قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و مقدار اليوم الزمن الفرد و كذلك قوله تعالى وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ مع كونهم سمعوا فانظر إلى هذا الذم كيف أشبه غاية الحمد فيمن كان الحق سمعه و بصره فمن كان الحق سمعه فقد سمع ضرورة فلم يسمع إلا بربه فهو سامع لا بنفسه و لا يصح أن يكون محلا لهوية ربه فعينه وجود الحق و الحكم للممكن فإن ذلك أثره وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ و الوجود هو الخير فيتصفون بالوجود وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ إذ أوجدهم لَتَوَلَّوْا إلى ذواتهم فيعلمون أنهم ما سمعوا فكنى عنه بالإعراض لأن الحق هو السامع و هم له كالأذن لنا آلة نسمع بها أصوات المصوتين و كلام المتكلمين فهو المخاطب و هو المتكلم السامع يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أي صدقوا بما قلنا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ فوحد الداعي بعد ذكر الاثنين فعلمنا إن الأمر واحد و ما سمعنا متكلما إلا الرسول بالسماع الحسي و سمعنا كلام الحق بسمع الحق بالسمع المعنوي فالله و الرسول اسمان للمتكلم فإن الكلام لله كما قال الله و المتكلم المشهود عين لسان محمد ص من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ

فما أبيت إياه فليس عيني سواه

الوجود يشهد إياه فمن يشاهد بعين

كما يراني أراه فنحن فيه سواء

و قد ذكرناه جماع هذا الباب مختصرا كافيا وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة من رحم رحمناه و من لم يرحم رحمناه ثم غضبنا عليه و نسيناه»

في وجود الملك و الملكوت من أراد الحق يطلبه

ما بدا من عالم عن ثبوت كلمات الحق ليست سوى

في مقام نحن عنه سكوت و الذي في ليس معدنه

فهو المدعو بالرحموت كلما نلناه من كرم

قائم في برزخ الجبروت و الذي البرهان يظهر

رهبوت عينه رغبوت ظاهر الأكوان باطنها

لمقر العفو و الرحموت فمال الكون أجمعه

قال الله تعالى في افتتاح كلامه الجامع بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ و أكد هذا العالم بأن نعته بأنه غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّٰالِّينَ و قال ص في الثابت عنه الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله و من قطعها قطعه الله و قال ص الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء و قال ص في حديث الشفاعة إن الله يقول شفعت الملائكة و شفع النبيون و المؤمنون و بقي أرحم الراحمين اعلم أن العالم لما أقام الله نشأته على التربيع و أعني بالعالم هنا الإنس و الجان الذين يعمرون الدارين الجنة و النار جعل في أم الكتاب الذي يقضي على جميع ما يتضمنه العالم أربع رحمات لكل ربع من كل شخص شخص رحمة فضمن الآية الأولى من أم الكتاب و هي البسملة رحمتان و هما قوله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ و ضمن الآية الثالثة منها أيضا رحمتين و هما قوله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فهو رحمن بالرحمتين العامة و هي رحمة الامتنان و هو رحيم بالرحمة الخاصة و هي الواجبة في قوله فَسَأَكْتُبُهٰا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الآيات و قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و أما رحمة الامتنان فهي التي تنال من غير استحقاق بعمل و برحمته الامتنان رحم الله من وفقه للعمل الصالح الذي أوجب له الرحمة الواجبة فبها ينال العاصي و أهل النار إزالة لعذاب عنهم و إن كانت مسكنهم و دارهم جهنم و هذه رحمة الامتنان قوله لنبيه ص فَبِمٰا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ و هذا معنى قوله صِرٰاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ أي الطريق الذي أنعمت بها عليهم و هي الرحمة التي أعطتهم التوفيق و الهداية في دار التكليف و هي رحمة عناية فكانوا بذلك غير

مغضوب عليهم و لا ضالين لما أعطاهم من الهداية فلم يحاروا يقول من غضب الله عليه امنن علينا بالرحمة التي مننت بها على أولئك ابتداء من غير استحقاق حتى وصفتهم بأنهم غير مغضوب عليهم إذ قد مننت عليهم بالهداية فأزالت الضلالة التي هي الحيرة عنهم فمن بالذي يزيل ما استحققناه من غضب الله فيرحمهم الله برحمة الامتنان و هي الرحمة التي في الآية الثالثة بالاسم الرحمن فيزيل عنهم العذاب و يعطيهم النعيم فيما هم فيه بالاسم الرحيم فليس في أم الكتاب آية غضب بل كلها رحمة و هي الحاكمة على كل آية في الكتاب لأنها الأم فسبقت رحمته غضبه و كيف لا يكون ذلك و النسب الذي بين العالم و بين الله إنما هو من الاسم الرحمن فجعل الرحم قطعة منه فلا تنتسب الرحم إلا إليه و ما في العالم إلا من عنده رحمة بأمر ما لا بد من ذلك و لا يتمكن أن تعم رحمة المحدث رحمة القديم في العموم لأن الحق يعم علمه كل معلوم و الحق لا يحيط أحد من علمه إلا بما شاء فيرحم الخلق على قدر علمهم كما رحم الله على قدر علمه فكل من غضب من العالم و انتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام فإنه شفاء له مما يجده من ألم الغضب و صدقة الإنسان على نفسه أفضل الصدقات فإذا رحم نفسه و زال الغضب أعقبته الرحمة و هي الندم الذي يجده الإنسان إذا عاقب أحدا و يقول لو شاء الله كان العفو عنه أحسن لا بد أن يقول ذلك إما دنيا و إما آخرة في انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن إقامة الحدود من هذا القبيل فإن إقامة الحدود شرع من عند الله ما للإنسان فيها تعمل فقد وصل الإنسان بهذا الفعل رحمه و إليه وصول الرحمة فلا بد أن ينال الخلق كلهم رحمة الله فمنهم العاجل و الآجل لأنه ما ثم إلا من وصل رحمه فوصله الله من ذلك الوجه و من قطع رحمه أي بعض رحمه لأن القطع لا يتمكن له أن يعم فإن عين قطع رحم خاص وصل رحم آخر له ففي قطعه وصل و ما في وصله قطع فيشفع الموصول من الأرحام و الشفاعة مقبولة و يقيم الوزن على المقطوع بالتعريف فإنه لا بد أن يكون أيضا ذلك المقطوع قد قطع رحما له فإذا طلب ممن قطع صلة الرحم عنه يقول له الحق كما آخذ لك آخذ منك و يعلمه بأنه أيضا قد قطع رحما له فيسأل الله العفو و التجاوز فيقول الله له فاعف أنت عن قاطع رحمه فيك حتى أعفو عنك فبالضرورة يقول قد عفوت لأن ذلك الموطن يطلب من الخائف طلب العفو فيعفو فيعفو الله عنه فتناله رحمة الله بعفو هذا و بوصل رحم آخر له فيشفع فيه و هذا معنى قول الله عز و جل يوم القيامة شفعت الملائكة و شفع النبيون و المؤمنون و بقي أرحم الراحمين فيكون منه في عباده ما ذكرناه و أمثاله من كل ما يستدعي الرحمة فإن رحمة الله سبقت غضبه فهي إمام الغضب فلا يزال غضب الله يجري في شأوه بالانتقام من العباد حتى ينتهي إلى آخر مداه فيجد الرحمة قد سبقته فتتناول منه العبيد المغضوب عليهم فتنبسط عليهم و يرجع الحكم لها فيهم و المدى الذي يعطيه الغضب هو ما بين الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الذي في البسملة و بين الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الذي بعد قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فالحمد لله رب العالمين هو المدى فأوله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و انتهاؤه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و إنما كان الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ عين المدى فإن في هذا المدى تظهر السراء و الضراء و لهذا كان فيه الحمد و هو الثناء و لم يقيد بضراء و لا سراء في هذا المدى لأنه يعم السراء و الضراء فكان رسول الله ص يقول في السراء الحمد لله المنعم

المفضل و في الضراء الحمد لله على كل حال فحمد الله قد جاء في السراء و الضراء فلهذا كان عين المدى و ما من أحد في الدار الآخرة إلا و هو يحمد الله و يرجو رحمته و يخاف عذابه و استمراره عليه فجعل الله عقيب قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قوله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فالعالم بين هذه الرحمة و رحمة البسملة بما هو عليه من محمود و مذموم و هذا شبيه بما جاء في سورة ألم نشرح قوله تعالى فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ثم إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً و لقد أنشد بعضهم في هذا

ففكر في ألم نشرح إذا ضاق بك الأمر

إذا ذكرته فافرح فعسر بين يسرين

لأنه سبحانه نكر اليسر و أدخل الألف و اللام اللتين للعهد و التعريف على العسر أي هذا العسر الثاني هو عين الأول و ليس ذلك في اليسر و هو تنبيه عجيب من الله لعباده ليقوى عندهم الرجاء و الطمع في رحمة الله فإنه أرحم الراحمين فإنه إن لم يزد على عبيده في الرحمة بحكم ليس لهم فما يكون أرحم الراحمين و هو أرحم الراحمين بلا شك فو الله لا خاب منأحاطت به رحمة الله من جميع جهاته فاعلم ذلك و إذا صحت الحقائق فليقل الأخرق ما شاء فإن جماعة نازعونا في ذلك و لو لا إن رحمة الله بهذه المثابة من الشمول لكان القائلون بمثل هذا لا ينالهم رحمة الله أبدا فالله أسأله أن لا يلحقنا بالجاهلين فإنه ما ثم صفة و لا عقوبة أقبح من الجهل فإن الجهل مفتاح كل شر و لهذا قال لمحمد ص فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ خاطبه بمثل هذا الخطاب لحداثة سنه و قوة شبابه فقابله بخطاب قوي في النهي عن ذلك و قال تعالى لنوح لما لم يكن له قوة الشباب و كان قد شاخ و حصل في العمر الذي لا يزال فيه محترما مرفوقا به في العرف و العادة إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ فرفق به في الخطاب حين وعظه فإنه لا بد من الفرق بين خطاب الشباب و خطاب الشيوخ كما أنه لا بد من الفرق في الخطاب بين الأحوال كما نفرق نحن في الثناء على الله بالأحوال فنقول في خطاب السراء الحمد لله المنعم المفضل و نقول في الضراء الحمد لله على كل حال لاختلاف الباعث على الحمد علمنا ذلك رسول الله ص بفعله فأما الرحماء من عباد الله بعباد الله بل بخلق الله مطلقا فإن الله يسرع إليهم بالرحمة عند ما يلقونه إذا رحموا الخلق لرحمة تقوم بنفوسهم بعطفهم على خلق الله فيرحمهم الله فإنها أعمالهم ترد عليهم كما ورد في الخبرفبرحمتهم رحمهم الله سبحانه

فلا تخالف و لا تشاقق وكن صدوقا و لا تفارق

فمن رحم خلق الله فإنما رحم نفسه ثم إن لله رحمة أخرى بهم زائدة على ما رحمهم به من أجل رحمتهم بخلق الله التي هي من أعمالهم و صورتها إن الراحم منا إذا رحم خلقا من خلق الله فلا يخلو إما أن تكون رحمته به إزالة ما يؤلم ذلك الخلق المرحوم خاصة أو يزيده مع ذلك إحسانا مثل من يخرج شخصا من السجن استحق العذاب و حال بينه و بين نزول العذاب به بشفاعة منه أو يكون هو الآخذ له ثم يعقبه بعد هذا الأمان إحسانا

إليه بتولية أو مال أو خلع أو تقريب فذلك أمر آخر فإذا رحم الله عبدا بعلمه الذي رحم العبد به حيوانا مثله إما بإزالة عذاب أو أضاف إلى ذلك زيادة إحسان فإن الله إذا وفاه رحمة جزاء عمله كان ما كان فإن الله يزيده على ذلك كما زاد هذا العبد على ما ذكرنا أو يزيد ابتداء منة منه تعالى لذلك قال الراحمون يرحمهم الرحمن و لم يقل يرحمهم الرحيم لأنه رحمن الدنيا و الآخرة و الرحيم اختصاص الرحمة بالآخرة و أما قوله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء لأنكم تشاهدون أصحاب البلايا و الزوايا و تتجاوزون عنهم فترحمونهم عن أمر الله بالرحمة التي تطلبها أحوالهم كل على حسب حاله يرحم و ليس في السماء إلا الملائكة فترحمنا بالاستغفار و هو قوله تعالى وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ثم قال أَلَا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و أما قوله في هذا الباب و نسيناه في هذه المنازلة فهو حد نسيان ذلك الإنسان الله في الأشياء فما عاد عليه إلا نسيانه و أضافه الحق إليه فقال نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ أي تركوا حق الله فترك الله الحق الذي يستحقونه بأجرامهم فلم يؤاخذهم و لا آخذهم أخذ الأبد فغفر لهم و رحمهم و هذا يخالف ما فهمه علماء الرسوم فإنه من باب الإشارة لا من باب التفسير لأن الناسي هنا إذا لم ينسب إلا حق الله الذي أمره الله بإتيانه شرعا فقد نسي الله فإنه ما شرعه له إلا الله فترك حق الله فأظهر الله كرمه فيه فترك حقه و لم يكن حق مثل هذا إلا ما يستحقه و هو العقاب فعفا عنه تركا بترك مقولا بلفظ النسيان و أما نهيه تعالى إيانا أن نكون كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فنسيهم فهو صحيح فإنها وصية إلهية نهانا أن ننسى الله مثل ما نسوه هؤلاء لنقوم بحق الله و نقيم حق الله في الأشياء على نية صالحة و حضور مع الله فيجازينا الله جزاء استحقاق استحققناه بأعمالنا التي وفقنا الله لها و الذين نسوا الله إنما ترك الله ما استحقوه من العقاب كما تركوا حق الله لا غير ثم إن أفضل عليهم أفضل عليهم منة منه ابتداء و إفضاله على العالمين المؤدين حقوق الله ليس منة فإذا زاد على ما يطلبه عملهم ذلك هو الامتنان كما نالوا ما استحقوا به هذا الثواب من طريق المنة فاعلم ذلك ألا ترى الله يقول في تمام هذه الآية لما قال و لا تكونوا كالذين نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ لم يقل إنهم هم الفاسقون بل قال إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ فابتدأ كلاما آخر ما فيه ضمير يعود على هؤلاء المذكورين و كل منافق فاسق لأنه خارج من كل باب له فيخرج للمؤمنين بصورة ما هم عليه و يخرج للكافرين بصورة ما هم عليه و قد تقدم في هذا الكتاب مرتبة المنافقين في المنازل فتنبه لما نبهتك عليه و كن من العالمين الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ . . . فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ و لا تقنع بعفو الله فتكون ممن نسي الله بل ارغب في إحسانه بأن يزيدك هنا عملا و مراقبة فيزيدك عنده جاها و حرمة و أما قوله تعالى ناهيا إيانا بقوله وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ فأعاد الضمير عليهم فهذا نمط آخر ذكرنا حقيقته في مسألة شرف النفاق و هو النفاق المحمود في المنازل فيما عبر من هذا الكتاب فلنذكر منه ما يليق بهذا الموضع من أجل النسيان و ذلك أن الله قال على لسان رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربه لما جعلنا دليلا عليه و لا ينبغي أن ننظر في معرفة نفوسنا إلا حتى نريد أن نعرف ربنا فإذا نسينا هذه المعرف فقد نسينا معرفة نفوسنا و هو الباب الواحد الذي كان ينبغي لنا أن نخرج عليه إلى هذه المعرفة فخرجنا على الباب الآخر و هو الذي نخرج منه إلى جهلنا

بنفوسنا و لما خلقنا الله على الصورة الإلهية كان في نسياننا الله إن إنسانا الله أنفسنا فنهينا عن ذلك فإنه من نسي نفسه بالضرورة نسي ما لله عليها من الحقوق و ما لها من الحقوق فتركوا الله إذا علموا أنهم لا يشهدون من الله ما هو الله عليه و إنما يشهدون من الله أعيانهم و أحوالهم لا غير فلما علم الله هذا من بعض عباده الذين لهم هذا الوصف أنساهم أنفسهم فلم يروا عند شهودهم أن أحوالهم عين ما رأوا فيقولون في ذلك الشهود قال لي الله و قلت له و أين هذا من مقام قولهم لا نرى من الحق إلا ما نحن عليه فلم يكن لهم ذلك إلا من كونه تعالى أنساهم أنفسهم ف أُولَئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ الخارجون عن طريق ما كانوا تحققوا به من أن الله لا يشهده أحدا لا من حيث حاله و ما هو عليه و لما وصف نفسه تعالى بأنه خَيْرُ الرَّاحِمِينَ من باب المفاضلة فمعلوم أنه ما يرحم أحد من المخلوقين أحدا إلا بالرحمة التي أوجدها الرحمن فيه فهي تعالى رحمته لا رحمتهم ظهرت في صورة مخلوق كما قال في سمع الله لمن حمده إن ذلك القول هو قول الله على لسان عبده فقوله تعالى الذي سمعه موسى أتم في الشرف من قوله تعالى على لسان قائل فوقع التفاضل بالمحل الذي سمع منه القول المعلوم أنه قول الله و كذلك أيضا رحمته من حيث ظهورها من مخلوق أدنى من رحمته بعبده في غير صورة مخلوق فتعين التفاضل و الأفضلية بالمحال إلا إن رحمة الله بعبده في صورة المخلوق تكون عظيمة فإنه يرحم عن ذوق فيزيل برحمته ما يجده الراحم من الألم في نفسه من هذا المرحوم و الحق ليس كذلك فرحمته خالصة لا يعود عليه منها إزالة ألم فهو خير الراحمين فرحمة المخلوق عن شفقة و رحمة الله مطلقة بخلاف بطشه و انتقامه مع شدته و لكن لا يبطش بطشا لا يكون فيه رحمة لأن قصارى الرحمة فيه إيجاده البطش بعبده فوجود البطش رحمة رحم الله بها المبطوش إذ أخرجه من العدم إلى الوجود و من كان مخلوقا من صفة الرحمة فلا بد أن يكون في بطشه رحمة فجاء أبو يزيد في هذا المقام لما سمع القارئ يقرأ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ قال أبو يزيد بطشي أشد لأن بطش الإنسان إذا بطش لا يكون في بطشه شيء من الرحمة لأنه لا يتمكن له أن يبطش بأحد و عنده رحمة به جملة واحدة فما يكون ذلك البطش إلا بحسب ما أعطاه محل الباطش و إن كان ذلك البطش خلقا لله و لكن ما خلقه إلا في هذا المحل فظهر بصورة المحل و المحل لا يطلب الانتقام من أحد و في قلبه رحمة ثم إن الله إذا بطش بعبده ففي بطشه نوع رحمة لأنه عبده بلا شك كما إن المخلوق إذا أراد أن يبطش بعبده لا بد أن يشوب بطشه نوع رحمة للمناسبة التي بينه و بين عبده و مملوكه لأنه المبقي عليه اسم المالك و السيادة فلا يمكن أن يستقصي في بطشه ما يذهب عينه فيكون عند ذلك قد بطش بنفسه و المخلوق ليس كذلك في الأجنبي الذي ليس بينه و بين الباطش نسبة عبودية و لا اكتسب من وجوده صفة سيادة فإذا بطش من هذه صفته بطش ببطش لا تشوبه رحمة فهو سبحانه خَيْرُ الرَّاحِمِينَ و ما جاء قط عنه تعالى أنه خير الآخذين و لا الباطشين و لا المنتقمين و لا المعذبين كما جاء خَيْرُ الْفاصِلِينَ و خَيْرُ الْغافِرِينَ و خَيْرُ الرَّاحِمِينَ و خير الشاكرين و أمثال هذا مع كونه يبطش و ينتقم و يأخذ و يهلك و يعذب لا بطريق الأفضلية فتحقق هذا الفاصل بين وصفه بالأخذ و الانتقام و بين وصفه بالرحمة و المغفرة وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منا زلة من وقف عند ما رأى ما هنا له هلك»

الخلق تقدير و ليس بكائن … و المبدعات هي التي تتكون

الروح والكلمات شيء واحد … و الحق فيه هو الذي يتعين

فالعالم النحرير ليس بثابت … في حاله فمقامه يتلون

فلذاك أعطى كل شيء خلقه … و هذا كم لكلامه فتبينوا

لو لم يكن عين الكلام وجودنا … لم نغتنمه فلم تلذ الأعين

بفنون أسماء الإله قلوبنا … و توجهات الحق بي تتفنن

فجميع ما جئنا به إن كنت ذا … فهم و تحقيق به تتيقن

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله تعالى لما سوى النشأة الإنسانية بل جميع ما أنشأه من أجسام العالم الطبيعية و العنصرية و عدلها على الترتيب الذي تقتضيه الحكمة في كل جسم و عدله و هياه لقبول ما يريد أن يهبه في نفخه فيه من الروح الإلهي نَفَخَ فِيهِ من رُوحِهِ فظهر فيه عند ذلك نفس مدبرة لذلك الهيكل و ظهرت بصورة مزاج الهيكل فتفاضلت النفوس كما تفاضلت الأمزجة كما يضرب نور الشمس في الألوان المختلفة التي في الزجاج فتعطي أنوارا مختلفة الألوان من أحمر و أصفر و أزرق و غير ذلك بحسب لون الزجاج في رأى العين فلم يكن ذلك الاختلاف في النور الذي حدث فيه إلا من المحل و لا تعين في نفسه جزءا عن غيره إلا بالمحل فالمحل عينه و المحل غيره كذلك النفوس المدبرة للهياكل الطبيعية و العنصرية فللنفوس الأثر في الهياكل بحكم التدبير و لا تقبل من التدبير فيها من هذه النفوس إلا بقدر استعدادها و للهياكل أثر في النفوس بحسب أمزجتها في أصل ظهورها عند تعيينها فمنهم الذكي و البليد بحسب مزاج الهيكل فالأمر عجيب بينهما فكل واحد منهما مؤثر فيمن هو مؤثر فيه ثم إن الله أخذ بأكثر أبصار جنس الإنس و الجان عن إدراك النفوس المدبرة الناطقة التي للمسمى جمادا و نباتا و حيوانا و كشف لبعض الناس عن ذلك و الدليل السمعي على ما قلناه قول الله وَإِنَّ مِنْها يعني من الحجارة لَما يَهْبِطُ من خَشْيَةِ الله فوصفها بالخشية و أما أمثالنا فلا يحتاج إلى خبر في ذلك فإن الله قد كشفها لنا عينا و أسمعنا تسبيحها و نطقها لله الحمد على ذلك وكذلك اندكاك الجبل لتجلى الرب له لولا العظمة التي في نفس الجبل من ربه لما تدكدك لتجليه له فإن الذوات لا تؤثر في أمثالها و إنما يؤثر في الأشياء قدرها و منزلتها في نفس المؤثر فيه فعلمه بقدر ذلك المتجلي أثر فيه ما أثر فيه ما ظهر له فإنا نرى الملك إذا دخل في صورة العامة و مشى في السوق بين الناس و هم لا يعرفون أنه الملك لم يقم له وزن في نفوسهم فإذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته و قدره فأثر فيه علمه به فاحترمه و تأدب و سجد له فإذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك العالم من الملك و أن منزلته لا

تعطي أن يظهر منه مثل هذا الفعل إلا مع الملك علموا أنه الملك فحادت إليه الأبصا ر و خشعت الأصوات و أوسعوا له و تبا د ر و الرؤيته و احترامه فهل أثر ذلك عندهم إلا ما قام بهم من العلم به فما احترموه لصورته فقد كانت صورته مشهودة لهم و ما علموا أنه الملك و كونه ملكا ليس عين صورته و إنما هي رتبة نسبية أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته ورد في الخبر الذي خرجه أبو نعيم الحافظ في دلائل النبوة في بعض إسراءات رسول الله ص أنه قال جاءه جبريل ع ليلة و معه شجرة فيها كوكرى الطائر فقعد رسول الله ص في الوكر الواحد و قعد جبريل ع في الوكر الآخر ثم إن الشجرة علت بهما حتى بلغا السماء فتدلى إليهما رفرف در و ياقوت فأما محمد ص فلم يعلم ما هو فلم يؤثر فيه و أما جبريل ع عند ما رآه غشي عليه فقال ص فعلمت فضله علي في العلم فإنه علم ما رأى فأثر فيه علمه بما رآه الغشي و لم يعلمه رسول الله ص فلم ير له أثر فيه فلا يؤثر في الأشياء إلا ما قام بها و ليس إلا العلم ألا ترى شخصان يقرءان القرآن فيخشع أحدهما و يبكي و الآخر ما عنده من ذلك كله خبر و لا يؤثر فيه هل ذلك إلا من أثر علمه القائم به لما تدل عليه تلك الآية و شهوده ما تضمنته من الأمر الذي أبكاه و خشع له و الآخر أعمى عن تلك المعاني لا يجاوز القرآن حنجرته و لا أثر لتلاوته فيه فلم يكن الأثر لصورة لفظ الآية و إنما الأثر لما قام بنفس العالم بها المشاهد ما نزلت له تلك الآية فلا يؤثر فيك إلا ما قام بك من حيث ما تعلم و تشهد فلو لا علمه بالأمر ما هاله و إذا لم يرتحل و وقف عند ما رآه و قد هاله ذلك فبالضرورة يهلك أي يغيب عن صوابه و حسه و يدهش أو يغشى عليه أو يموت فرقا منه على قدر قوة ذلك التالي أو ضعفه فهو مع ما حصل في نفسه من ذلك وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّماواتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا من شاءَ الله و هذا أمر إضافي فقد يكون الأمر عند زيد أهول منه عند عمرو و قد يكون عند عمرو أمر آخر أهول منه عند زيد فتؤثر الأهوال عند كل واحد منهما بحيث أن يقول كل واحد منهما عن صاحبه عجبت لفلان ما الذي رأى حتى أثر فيه بما ظهر عليه كيف به لو علم ما عندي من هذا الذي لم يرفع به رأسا كل واحد منهما يقول هذه المقالة و العالم الكامل الثالث يقول خلاف قولهما و يعلم السبب المؤثر في كل واحد منهما فيعلم منهما ما لا يعلمان من نفوسهما فسبحان الحكم العدل منزل الأشياء منا زلها و معين المراتب لأهلها فإذا علمت هذا علمت علما غريبا هو العجب العجاب يحتوي على سر لا يتمكن كشفه و لا ينبغي التصريح به فإن الله يغار على العبد أن يظهر مثل هذا فإنه أمر يقتضيه الوجود و هو عظيم الفائدة فما ظهر العالم إلا بالنسب و لا حصل القبول من العالم لما قبله من العالم أيضا إلا بالنسب فالموجد بالنسب و القابل بالنسب فالحكم لها و قد علمت ما هي النسب

صح للكون من الله نسب فيها صح وجودي و بها
امتنانا من معارف النسب فله الشكر على ما خصني
و بها صح للشقي الشقاء فبها صحت السعادة فينا

عجبا فيه كيف ليس يشاء　　عدم بحكم الوجود و أبدى

و هو الحق ليس فيه امتراء　　فهو الموجد المؤثر فينا

فالله غني عن العالمين و الغني صفة تنزيه و أعظم الثناء عندنا في حق الحق قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سواء كانت كاف الصفة أو كانت زائدة و كونها للصفة أبلغ في الثناء عند العالم باللسان الذي نزل به القرآن يقول رسول الله ص في دعائه و ثنائه على ربه عز و جل لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك يريد قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و قال الصديق الأكبر رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك و الحق سبحانه ما أثنى على نفسه بأعظم من نفي المثل فلا مثل له سبحانه و لهذا قال في حق العالم من حيث ما هو ناطق وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و التسبيح تنزيه فإذا أسندت العالم إليه تعالى في الوجود و قلت إنه موجد العالم لم يتمكن لك أن تعقل هذا إلا بنسب تثبتها من حياة و علم و قدرة و إرادة هذا حد نظر العقل و يثبت بالشرع أنه قائل فإن كانت أعيانا زائدة على ذات فما أوجد شيئا بها إلا عن تعلق بالذي حدث و التعلق نسبة منها إلى المتعلق و إن كانت هذه الصفات ليست بزائدة و إنما ثم عين واحدة و هي الذات و توجهاتها على إيجاد الممكنات فالتوجهات نسب و هي مختلفة لما يظهر في العالم من الاختلاف الذي هو دليل على حكمنا بها فعلى كل حال ما زالت من النسب و هي الثابتة في العقائد و في نفوس العلماء كانوا ما كانوا

عن النبي المصطفى　　جاء حديث وارد

في عقده على شفى　　بأن من خالفه

برء يكون و شفا　　و ما له من دائه

في أمره ثم وفى　　إلا إذا وافقه

به و إن زل عفا　　بكل ما خاطبه

و هو الإله و كفى　　عنه الذي كلفه

و هذا القول كله صحيح فهل حصل في معلومات الأنسب من جانب الحق و من جانب المخلوق فأوجدت بنسب و قبلت بنسب و أوضح من هذا الذي ذكرنا فما يكون وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة من تأدب وصل و من وصل لم يرجع و لو كان غير أديب»

ما كان لي أمل في الكون في العدم　　لولا الشهود و ما فيه من النعم

أعياننا لسماع الكون في الكلم		كناية فيه حتى قال كن فبدت
كنا حيارى كمثل العمي في الظلم		فلو فتحنا عيونا ما بها رمد
نورا فنحن بكون غير منقسم		و لم نكن فوجود النا ر أظهرنا
و فيه نسعى برجل أو بلا قدم		والنور أعياننا و النور خالقنا

اعلم أيدنا الله و إياك أن الوجود المطلق هو الخير المحض كما إن العدم المطلق هو الشر المحض و الممكنات بينهما فيما تقبل الوجود لها نصيب في الخيرية وبما تقبل العدم لها نصيب في الشر و ليس الأدب الإجماع الخير كله و لهذا سميت المأدبة مأدبة الاجتماع الناس فيها على الطعام و لا شك أن الخير ظهر في العالم متفرقا فلا يخلو ممكن عن خيرية و ما و الممكن الكامل المخلوق على الصورة الإلهية المخصوص بالسورة الإمامية لا بد و إن يكون جامعا لجميع الخير كله و لهذا استحق الإمامة و النيابة في العالم و لهذا قال في آدم ع وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها و ما ثم إلا اسم و مسمى و قد حصل علم الأسماء محمد ص حين قال علمت علم الأولين و الآخرين فعلمنا أنه قد حصل عنده علم الأسماء فإنه من العلم الأول و لأن آدم له الأولية فهو من الأولين في الوجود الحسي و قال عن نفسه فيما خص به على غيره إنه أوتي جوامع الكلم و الكلم جمع كلمة و الكلم أعيان المسميات قال تعالى وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ و ليست غير عيسى فأعيان الموجودات كلها كلمات الحق و هي لا تنفد فقد حصل له الأسماء و المسميات فقد جمع الخير كله فاستحق السيادة على جميع الناس و هو قوله أنا سيد الناس يوم القيامة و هناك تظهر سيادته لكون الآخرة محل تجلى الحق العالم فلا يتمكن لتجليه دعوى من أحد فيما ينبغي أن يكون لله أو يكون من الله لمن شاء من عباده فقوله و صل يعني إلى تحصيل الخير المحض و هو قوله تعالى كنت سمعه و بصره و أمثال هذا و هذا هو الوصول إلى السعادة الدائمة و هو الوصول المطلوب و لا شك أنه من وصل لم يرجع فإنه من المحال الرجوع بعد كشف الغطاء إلى محل صفة الحجاب فإن المعلوم لا يجهله العالم به بعد تعلق العلم به فرجال الله المكملون كشف الله الغطية عن بصائرهم و أبصارهم بما حصلوه من الصفات الإلهية و وقفوا عليه من الصفات الكونية و كلها كما تقدم إلهية و هؤلاء هم الأدباء الذين صلحوا البساط الحق جلساء الله و أهله و هم أهل الذكر و القرآن الذي هو الجمع و به سمي قرآنا و أما العامة فلا بد لهم من كشف الغطاء عن أبصارهم عند الموت فيرون الأمور على ما هي عليه و إن لم يكونوا من السعداء فيرون السعداء و السعادة و يرون الأشقياء و الشقاوة فلا يجهلون بعد هذا العلم و إن شقوا فهذا معنى قوله و من وصل لم يرجع و لو كان غير أديب أي غير جامع للخير و إنما سمي جامعا للخير و الخير أمر واحد لكون هذا الأمر الواحد ظهر في صور كثيرة مختلفة جمعها هذا الأديب فظهر في خيريته بكل صورة خير فسمي أديبا أي جامعا لهذه الصورة الخيرية و الخير في نفسه حقيقة واحدة ظاهرة في العالم في صور مختلفة

و ما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فالأديب ظاهر بصورة حق في العالم يفصل إجماله بصورة و يجمل تفصيله بذاته و متى لم تكن هذه الصفة و القوة في رجل فليس بأديب و هؤلاء هم الذين إذا رأوا ذكر الله و إذا ذكر الله فقد ضمن ذكره جميع العالم فمن ذكر الله بهذا اللسان فقد ذكر العالم لأن العالم صورة الحق و هو الاسم الظاهر الذي وقع فيه التفصيل و مدلوله أيضا الحق لأنه عين الدليل على نفسه فكان له من أجل هذا الاسم الباطن الذي وقع به الإجمال فالعلم واحد و هو في الباطن و تعلقاته متعددة بتعدد صور المعلومات فالعالم يكشف المعلومات ببصيرته على جهة الإحاطة بحقائقها أنها لا تتناهى معلوماته و لا مقدوراته و ما بقي في عين الممكن في قبوله الوجود نصيب للعدم و لا حكم إلا معقولية الإمكان و إن لم ينعدم بعد و لا يصح عدمه لأن خلاف المعلوم محال الوقوع و لا يكون عن الوجود عدم أصلا لأنه ليس في حقيقته صدور العدم عنه فما انعدم من الأمور التي يعطي الدليل عدمها إنما انعدم لنفسه أو لعدم الشرط في بقائه في الوجود و بهذا القدر انفصل وجود الممكن من وجود الحق فإن الإمكان لا يزول حكمه عقلا في الموجود المحدث لنفسه الممكن و الإمكان لا نصيب لوجود الحق فيه أصلا و إن كان وجود أعيان الممكنات لا ينعدم أصلا بعد وجودها و لكن كما قررناه و أما الأعراض التي قلنا إنها تنعدم لنفسها في الزمان الثاني من زمان وجودها فحقيقتها أنها أسباب عدمية لها أحكام معقولة مقولة لا يمكن جحدها و لا الحكم بها فلو كانت الأعراض أعيانا وجودية لاستحال عدمها مع حكم الإمكان فيها كما استحال في كل قائم بنفسه من الممكنات ثم إنك إذا أخذت تفصل بالحدود أعيان الموجودات وجدتها بالتفصيل نسبا و بالمجموع أمرا وجوديا لا يمكن لمخلوق أن يعلم صورة الأمر فيها فلا علم لمخلوق مما سوى الله و لا للعقل الأول أن يعقل كيفية اجتماع نسب يكون عن اجتماعها عين وجودية مستقلة في الظهور غير مستقلة في الغني مفتقرة بالإمكان المحكوم عليها به و هذا علم لا يعلمه إلا الله تعالى و ليس في الإمكان أن يعلمه غير الله تعالى و لا يقبل التعليم أعني أن يعلمه الله من شاء من عباده فأشبه العلم به العلم بذات الحق و العلم بذات الحق محال حصوله لغير الله فمن المحال حصول العلم بالعالم أو بالإنسان نفسه أو بنفس كل شيء لنفسه لغير الله فتفهم هذه المسألة فإني ما سمعت و لا علمت إن أحدا نبه عليها و إن كان يعلمها فإنها صعبة التصور مع أن فحول العلماء يقولون بها و لا يعلمون أنها هي كبلقيس تقول كَأَنَّهُ هُوَ و هو هو و كذلك من تكلم في الحق في حال ظهوره في صورة خاصة مع الحق فهو يشهده و لا يعلم أنه هو و هذا إسار حكمه في العالم لمن نظر و استبصر فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ لظهوره بنفسه فلا دليل عليه سواه له إذ ما ثم إلا الله تعالى وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة من دخل حضرتي و بقيت عليه حياته فعزاؤه علي في موت صاحبه»

عنده مفتاح الكرم منزل الآلاء و النعم

قدم في رتبة القدم و له الحدوث ليس له

ما له في الكون من قدم و هو حكم عينه عدم

قال الله تعالى وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و المعية صحبة و صح عن رسول الله ص المترجم عن ربه بلسان حق لا ينطق عن هوى لكونه شديد القوي اللهم أنت الصاحب في السفر فاتخذه صاحبا له في سفره و السفر من الأسفا ر و هو الظهور فهو ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق به و يطلق عليه فاعلم أن سر الحياة الإلهية سرى في الموجودات فحييت بحياة الحق فمنها ما ظهرت حياتها لأبصا رنا و منها ما أخذ الله بأبصا رنا عنها في الدنيا إلا الأنبياء و بعض أولياء الله فإنه كشف لهم عن حياة كل شيء و المحجوبون يد ركونها بالإيمان إذ كانوا مؤمنين و أما من ليس بمؤمن فلا يد رك ذلك لا بالكشف و لا بالإيمان نسأل الله العصمة من الكفر و لسريان هذه الحياة في أعيان الموجودات نطقت كلها مسبحة بالثناء على موجدها إلا أنه صحبت الدعوى في هذه الحياة لكل حي ابتدئ فيتخيلون أن حياتهم لهم حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ فرأوا الأمر على خلاف ما اعتقدوه و هو رؤيتهم أن الحياة التي كانوا بها أحياء هي حياة الحق لا بل هي الحق عينه كما ورد في الصحيح كنت سمعه و بصره و غير ذلك فمن جملة ذلك أنه حياته فعند ما أبصروا ذلك قالوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ و ما قال حياة ربكم و لهذا قلنا بل هو عين الحق قالُوا الْحَقَّ لما تبين لهم أنه الحق وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ عن الحلول و المحل و لكن نسب و إضافات و شهود حقائق فبالوجه الذي يقول فيه إنه سمع العبد به بعينه يقول إنه حياة العبد و علمه و جميع صفاته و قواه و هي نسب لا أعيان فهو الحي العالم السميع إلى غير ذلك فالعين واحدة و ليس إلا ما ظهر فيه عين ما ظهر فالعبد المتحقق بالحق ينكشف له فيتبين أنه الحق أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فالحياة التي كان يدعى فيها قبل دخوله إلى حضرة الحق لم تبق عليه في هذا الشهود أصلا و ضد الحياة الموت فإن اشتبهت عليه الحضرة و تخيل أنه دخل حضرة الحق و ما زالت عنه حياته أنها له كما تخيل صاف في عرش إبليس على البحر أنه العرش الذي استوى عليه الرحمن تعالى و جل فقال له رسول الله ص ذلك عرش إبليس كذلك صاحب هذا الشهود إذا رأى أن حياته باقية عليه منسوبة إليه فإن الحق قد مات في حقه و هو يدعي صحبة الحق فالحق يعزيه في موت صاحبه فإنه عنه في هذا الشهود أجنبي فهو الميت على الحقيقة فمن لم يصحبه الحق في جميع صفاته فما هو حق فإن الحق لا يتبعض فإذا كان كان و إذا لم يكن كان في نفس الأمر و لا نعرفه فكن عالما و لا تكن جاهلا و لهذا قيل ما اتخذ الله وليا جاهلا قط و إن الله يتولى بالفعل تعليم أوليائه مما يشهدهم إياه في تجلياته و مثل قوله ص إن الله لا يمل حتى تملوا فمللكم هو في الإشارة ملل الحق و لما كان الحق في حق كل أحد عين اعتقاده فيه و علمه به ثم غفل عن اعتقاده الذي هو ربه فقد ذهب عن محل عقده ففقده و هو كان صاحبه فعزاه الحق فيه من حيث ما هو لنفسه في الحق الذي كان متعلق عقده فرب كل إنسان على صورة عقده فيه و الحق الذي هو حق في نفس الأمر وراء كل معتقد لا بل هو صورة كل معتقد وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منا زلة من جمع المعا رف و العلوم حجبته عني و هو من الحضرة المحمدية»

ما أنت يا دنياي إلا غرور ألا إلى الله تصير الأمور
مع التلقي فكيف أهل الفجور أهل التقى لم يأمنوا كيدها
و ما لنا في مكره من شعور لها صفات الحق في مكرها
كانت لهم نعم البشير النذير لو أنها تنصف في حالها
أرت رحى الموت علينا تدور من صدقها في حالها أنها
موعظة مذكرة للخبير و كان لي فيها و ما عندها
كمال نعت الحق يوم النشور بها ينال العبد في كونها
عنها و من يجحد هذا يجوز و هو على النصف إذا ما مضى
يعلمه هو العليم القدير ميزانها قام بها و الذي
ملكه الله زمام الأمور كأحمد السبتي في الفعل إذ
إلا بها فهو المبين الغفور ما يظهر العبد بأسمائه

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن الله تعالى في نفسه وجل أن يعرفه عبده و استحال ذلك فلم يبق لنا معلوم نطلبه إلا النسب خاصة أو أعيان الممكنات و ما ينسب إليها فالمعرفة تتعلق بأعيان الذوات من الممكنات و العلوم تتعلق بما ينسب إليها فتعلم الذوات و الأعيان بالضرورة من غير فكر و لا نظر بل النفس تدركها بما ركز الله فيها و تعلم النسب إليها و هو علم الإخبار عنها مما توصف به أو يحكم به عليها بالدليل النظري أو بالأخبار الاعتصامي بغير هذا لا يوصل إلى العلم بذلك و الأحكام و الأخبار غير متناهية الكثرة فتفرق الناظر فيها و لا يجمعها و أراد الحق من عباده أن يجمعهم عليه لا على تتبع هذه الكثرة حتى تعلم بل أباح لبعض عباده منها ما يتعلق العلم بها الذي يجمعه عليه و هو قوله في النظر في ذلك حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ فمن افترق في نفسه في جمع علوم لا ينظر فيها من حيث دلالتها على الحق حجبته عن موضع الدلالة التي فيها على الحق كعلوم الحساب و الهندسة و علوم الرياضات و المنطق و العلم الطبيعي فما منها علم إلا و فيه دلالة و طريق إلى العلم بالله و لكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث طلبه ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم عليه و الحجاب عن هذه الدلالة ثم إن بعض الناس إذا نبهه الله على طلب موضع الدلالة من كل معلوم على الله فإن الله تعالى يفرقه في المعلومات و إن كان مطلوبه دلالتها على الله فلا نشك أن جمعه لهذه المعلومات التي هي محل نظره

حجاب عن الله أي عن الوجه الذي ينبغي أن يعلم منه ما في وسع القابل من الله و ليس له طريق إلى ذلك إلا بأن يترك جميع المعلومات و جميع العالم من خاطره و يجلس فارغ القلب مع الله بحضور و مراقبة و سكينة و ذكر إلهي بالاسم الله ذكر قلب و لا ينظر في دليل يوصله إلى علمه بالله فإذا لزم الباب و أد من القرع بالذكر و هذه هي الرحمة التي يؤتيه الله من عنده أعني توفيقه و الهامة لما ذكرناه فتولى الحق تعليمه شهودا كما تولى أهل الله كالخضر و غيره فيعلمه من لدنه علما قال تعالى آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً من الوجه الخاص الذي بينه و بين الله و هو لكل مخلوق إذ يستحيل أن يكون للأسباب أثر في المسببات فإن ذلك لسان الظاهر كما قال في عيسى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي لا بنفخك و النفخ سبب التكوين في الظاهر و التكوين ليس في الحقيقة إلا عن الأذن الإلهي و هذا وجه لا يطلع عليه من العبيد نبي مرسل و لا ملك مقرب من أحد و غاية العناية الإلهية بالشخص من ملك أو رسول أو ولي أن يوقفه الله من ذلك على الوجه الخاص به لا على وجه غيره كما قال الخضر لموسى ع أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت لأنه كان من الوجه الخاص الذي من الله لعبده لا يطلع على ذلك الوجه إلا صاحبه إذا اعتنى الله به و ما من مخلوق إلا و له ذلك الوجه و يعلمه الله منه أمورا كثيرة و لكن لا يعرف بعض العبيد أنه أتاه ذلك العلم من ذلك الوجه و هو كل علم ضروري يجده لا يتقدم له فيه فكر و لا تدبر و صاحب العناية يعلم أن الله أعطاه ذلك العلم من ذلك الوجه ثم قال له الخضر أيضا و أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فإن كان موسى قد علم وجهه الخاص عرف ما يأتيه العلم من ذلك الوجه و إن كان لم يعلم ذلك فقد نبهه الخضر عليه ليسأل الله فيه فإذا علم الأشياء كلها من ذلك الوجه فهو ملازم لتلك المشاهدة و الشئون الإلهية و الأشياء تتكون عن الله و هو ينظر إليها فلا تشغله مع كثرة ما يشاهد من الكائنات في العالم و هو مقام الصديق في قوله ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله و ذلك لما ذكرناه من شهوده صدور الأشياء عن الله بالتكوين فهو في شهود دائم و التكوينات تحدث فما من شيء حادث يحدث عن الله إلا و الله مشهود له قبل ذلك الحادث و ما نبه أحد فيما وصل إلينا على هذا الوجه و ما يتكون منه في قلب المعتكف على شهوده إلا أبو بكر الصديق و لكن نحن ما أخذناه من تنبيه أبي بكر الصديق عليه لكوننا ما فهمنا عنه ما أراد و لا فكرنا فيه و إنما اعتنى الله بنا فيه ففاجأنا العلم به ابتداء و لم نكن نعرفه فأنكرنا ذلك و قلنا هذا من أين ففتح الله بيننا و بينه ذلك الباب فعلمنا ما لنا من الحق على الخصوص و عرفنا إن هذا هو الوجه الخاص الذي من الله عز و جل لكل كائن عنه فلزمته و استرحت و علامة من يدعيه لزوم الأدب الشرعي و إن وقعت منه معصية بالتقدير الإلهي الذي لا بد من نفوذه فإن كان يراها معصية و مخالفة للأمر المشروع فيعلم أنه من أهل هذا الوجه و إن كان يعتقد خلاف هذا فنعلم إن الله ما أطلعه قط على هذا الوجه الخاص و لا فتح له فيه و أنه شخص لا يعبأ الله به فإنه ما من أحد أعظم أدبا مع الشرع و لا اعتقادا حقيقيا فيه إنه الحق كما يعلمه العامي سواء إلا أهل هذا الوجه فإنهم يعلمون الأمور على ما هي عليه فيعلمون إن حظهم من هذا الأمر المشروع و التكليف و حظ الآتي به و هو الرسول و حظ العامة المخاطبين أيضا به على السواء لا فضل لأحدهم على الآخر فيه لأنه

لذاته ورد لا لأمر آخر فالذي يحرم بالعموم في الخطاب المشروع على واحد يعم جميع المكلفين من غير اختصاص حتى لو قال بتحليل ذلك في حق شخص يتوجه عليه به لسان الذم في الظاهر كان كافرا عند الجميع و كان كاذبا في دعواه إنه من أهل هذا الوجه فإن أخص علوم هذا الوجه ما جاءت به الشرائع و لذلك قال رسول اللهص لما خطب الناس في حق علي بن أبي طالب إذ قيل له إنه يخطب ابنة أبي جهل على ابنته فاطمة ! ! ! فقال ص إن اطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها و يسرني ما يسرها و أنه ليس لي تحريم ما أحل الله و لا تحليل ما حرم الله فمع معرفته بالوجه الخاص الإلهي لم يعطه إلا إبقاء ما هو محرم على تحريمه و ما هو محلل على تحليله فما حرم على علي نكاح ابنة أبي جهل إذ كان حلالا له ذلك و لكنه قال إن أراد ذلك يطلق ابنتي فو الله ما تجتمع بنت عدو الله و بنت رسول اللهص تحت رجل واحد و أثنى على زوج ابنته الأخرى خيرا فرجع علي بن أبي طالب عن ذلك فلو كان ذلك الوجه يعطي ما يزعم هذا المجادل أنه أعطاه لكان رسول اللهص أولى بذلك و ما فعل و له الكشف الأتم و الحكم الأعم و الحظ الأوفر إذ هو السيد الأكبر و لا بد لكل شخص من خصوص وصف ينفرد به يعطيه الله ذلك من ذلك الوجه و به يسعد الله في المال من يقال فيه إنه لا يسعد و لا تناله رحمة الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فإنها صدرت من وجوه الاختصاص فعمت العالم و الجاهل و الطائع و العاصي جعلنا الله ممن نالته في أحواله كلها فيلقي الله و لم يجر عليه لسان ذنب بعد معرفته بهذا الوجه و أحكام المجتهدين و جميع الشرائع من هذا الوجه الخاص صدورها و التعبير للرؤيا بالقوة من غير نظر في كتاب و لا استدلال من هذا الوجه الخاص يكون فمن أراد تحصيله فليلزم ما قررناه وَ اللهيَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَيَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّٰالِحُ يَرْفَعُهُ هذا قول الله الصادق»

إن الرجال رجال الله كلهم — و العارفين و من يبقى و من غبرا
ما منهم أحد يدري حقيقته — إلا الذي جمع الآيات و السورا
و قام بالحق سباقا على قدم — و ما يبالي بمن قد ذم أو شكرا
من الإله علينا في خلافتنا — بخاتم الحكم لم يخصص به بشرا
و لا نريد بذا فخرا فيلحقنا — نقص لذلك أو يلحق بنا غيرا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الله عز و جل يقول وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهٰاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ و قال ص فمن كانت هجرته إلى اللهثمقال ص لا هجرة بعد الفتحيعني فتح مكة فإنه ما ثم إلى أين و قد جعل الله بيوت النفوس الإنسانية هذه الأجسام الطبيعية التي خلقها و سواها و عدلها بالبناء لسكنى هذه النفوس الإنسانية التي هي من جملة كلهم الحق فلما نفخها فيها و أسكنها و اعلم هذه النفس بما لها عند الله في تدبير هذه المملكة التي

ملكها الله و ركز في جبلتها علم التدبير مطلقا ثم عين لها في تدبيرها الخاص و العالم أوقات التدبير و مقادير ذلك و جهاته بلسان الشرع موافقا لميزان الطبع فيحمد ذلك التدبير الخاص و العالم فقال أهل هذا الشأن من علماء الطبيعة ما قال أحد في أصل هذا العلم أجمع و لا أبدع منقول رسول الله ص إذ قال المعدة بيت الداء و الحمية رأس الدواء و أصل كل داء البردة و أمر في الأكل إن كثر و لا بد فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس و قال ص بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه هذا في تدبير هذا البيت فما زال يحكم فيه بحكم الله إلى أن انقدح له في سره أنه و إن حكم فيه بحكم الله إنه إنما يحكم فيه الله بحكم الله مع ثبوت عينه عنده فلما عاين ذلك أنف من الحصر في ظلمة هذا الهيكل و طلب التنزيه عنه فوجد الله قد هيأ له من عمله مركبا ذلولا غير جموح برزخيا دون البغل و فوق الحمار سماه براقا لأنه تولد من عالم الطبيعة كما يتولد البرق في عالم الجو فأعطاه الله السرعة في السير فيضع حافره عند منتهى طرفه براكبه فخرج مهاجرا من مدينة جسمه و أخذ في ملكوت الملإ الأعلى و آياته بعين الاعتبار لما تعطيه الآيات من العلم بالله فتلقاه الحق عند وروده عليه من أكوانه و أكوان الموجودات فأنزله عنده خير منزل و عرفه بما لم يكن قبل ذلك يعرف معرفة خطاب إلهي و شهود مشيئة من أجل المناسبة حتى لا يفجؤه الأمر بغتة فيهلك عند ذلك كما صعق موسى ع فإنه تعالى ما يتجلى له إلا في صورة محمدية فيراه برؤية محمدية و هي أكمل رؤية يرى فيها الحق و بها فيرفعه بها منزلا لا يناله إلا المحمديون و هو منزل الهوية فلا يزال في الغيب مشهده فلا يرى له أثر في الحس و هذا كان مشهد أبي السعود ابن الشبل ببغداد من أخص أصحاب عبد القادر الجيلي فإذا كان صاحب هذا الشهود غير صاحب هوية بل يشهده في الملكوت مليكا و كل مشاهد لا بد أن يلبس صورة مشهوده فيظهر صاحب هذا الشهود بصورة الملك فيظهر بالاسم الظاهر في عالم الكون بالتأثير و التصريف و الحكم و الدعوى العريضة و القوة الإلهية كعبد القادر الجيلي و كأبي العباس السبتي بمراكش لقيته و فاوضته و كان شياعي الميزان أعطى ميزان الجود و عبد القادر أعطى الصولة و الهمة فكان أتم من السبتي في شغله و أصحاب هذا المقام على قسمين منهم من يحفظ عليه أدب اللسان كأبي يزيد البسطامي و سليمان الدنبلي و منهم من تغلب عليه الشطحات لتحققه بالحق كعبد القادر فيظهر العلو على أمثاله و أشكاله و على من هو أعلى منه في مقامه و هذا عندهم في الطريق سوء أدب بالنظر إلى المحفوظ فيه و أما الذي يشطح بالله على الله فذلك أكثر أدب مع الله من الذي يشطح على أمثاله فإن الله يقبل الشطح عليه لقبوله جميع الصور و المخلوق لا يقبل الشطح عليه لأنه مربوط بمقام إلهي عند الله مجهول من الوجه الخاص فالشاطح عليه قد يكذب من غير قصد و لا تعمد و على الله فما يكذب كالهيولى الكل التي تقبل كل صورة في العالم فأي صورة نسبت إليها أو أظهرتها صدقت في النسبة إليها و صدق الظهور فإن الصور تظهرها و الهيولى الصناعية لا تقبل ذلك و إنما تقبل صورا مخصوصة فقد يمكن أن يجهل إنسان في النسبة إليها فينسب إليها صورا لا تقبلها الهيولى الصناعية هكذا هو الأمر فيما ذكرناه من الشطح على الله و الشطح على أهل الله أصحاب المنازل و كان عبد القادر الجيلي رحمه الله ممن يشطح على

الأولياء و الأنبياء بصورة حق في حالهفكان غير معصوم اللسان و رأيت أقواما يشطحون على الله و على أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء ما لنا معهم كلام فإنهم مطرودون من باب الحق مبعدون عن مقعد الصدق فتراهم في أغلب أحوالهم لا يرفعون بالأحكام المشروعة رأسا و لا يقفون عند حدود الله مع وجود عقل التكليف عندهم و بالجملة فإن الإدلال على الله لا يصح من المقربين من أهل الله جملة واحدة و من ادعى التقريب مع الإدلال فلا علم له بمقام التقريب و لا بالأهلية الصحيحة وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة من وعظ الناس لم يعرفني و من ذكرهم عرفني فكن أي الرجلين شئت»

الخلق ظل لذات الحق ليس له كون يحققه علم و لا بصر
إن قام قام به أو سار سار به فعينه ليس هو و كونه بشر
فأعجب له من وجود لا وجود له و لو يزول لزال النفع و الضرر
هذا الذي قلته العقل يجهله و ليس يدريه إلا الشمس و القمر
فالشمس أنثى و بدر التم إن نظرت عين التفكر فيه حاكم ذكر
فكان بينهما إلا بنا و ليس هما سواهما فاعتبر إن كنت تعتبر
عجبت من واحد في ذاته عدد له الظهور و فيه الكون و الغير

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الله يقول سبحانه وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّٰامِ اللّٰهِ و قال تعالى فيما أمر به نبيه ص في كتابه العزيز قُلْ إِنَّمٰا أَعِظُكُمْ بِوٰاحِدَةٍ و قال عز و جل أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ فمدار هذه المنازلة على هذه الثلاثة الآيات فالتذكر للعلماء الغافلين و الوعظ لا يكون للناس أجمعين و لهذا قال من وعظ الناس لم يعرفني فإنه إنما يعظهم بما يكون مني لا بي و كذلك من يخوفهم إنما يخوف بما يكون مني لا مني فالترغيب لا يجري مجرى الترهيب فإن الترغيب قد يكون بي و الترهيب لا يكون إلا بما يكون مني لا مني و اليوم العقيم الذي لا ينتج زمانا مثله أي ليس بعده يوم يكون عنه لأن الأيام في الدنيا كل يوم هو ابن اليوم الذي قبله و هما توأمان ليلة و نهار فالليلة أنثى و النهار ذكر فينتاكحان فيولد إن النهار و الليل اللذين يأتيان بعدهما و يذهبان الأبوان فإنهما لا يجتمعان أبدا و في غشيان الليل و النهار و إيلاج بعضهما في بعض يكون ولادة ما يتكون في كل واحد منهما من الأمور و الكوائن التي هي من شئون الحق فيكون الليل ذكرا و النهار أنثى لما يتولد في النهار من الحوادث و يكون النهار ذكرا و الليل أنثى لما يتولد في الليل من الحوادث و تكون الليلة أنثى و النهار ذكر الولادة التوأمين و هما اليوم الثاني و ليلته و الليل أصل و النهار منه كحواء من آدم ثم يقع النكاح و النتاج «فصل» في الواحدة التي يعظ بها الواعظ و هي أن يقوم من أجل الله إذا رأيت من فعل الله في كونه ما أمرك أن تقوم له فيه إما غيرة و إما تعظيما فقوله في القيام

مثنى بالله و برسوله فإنه من أطاع الرسول فَقَدْ أَطاعَ اللهَ فقمت لله بكتاب أو سنة لا تقوم عن هوى نفس و لا غيرة طبيعية و لا تعظيم كوني و فرادي إما بالله خاصة أو لرسوله خاصة كما قال ص لا أرى أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الحديث عني فيقول اتل به علي قرآنا إنه و الله لمثل القرآن أو أكثر فقوله أكثر في رفع المنزلة فإن القرآن بينه و بين الله فيه الروح الأمين و الحديث من الله إليه و معلوم أن القرب في الإسناد أعظم رتبة من البعد فيه و لو بشخص واحد ينقص من الطريق و ذلك لأنه ينقص حكمه فيه فإنه لا بد أن يكتسب الخبر صورة من المبلغ فلا يبقى على ما هو عليه في الأصل الذي ينقل عنه و لا يكون في الصدق في قول المخبر هذا كلام فلان مثل من ينقله عنه أو يسمعه منه و ذلك لتبدل اللغة و اللسان فيه فإن الترجمان لا ينقل عين ما تكلم به من ينقل عنه و إنما يتكلم في نقله بما فهمه منه و إذا كنت أنت الذي تنقل عنه كنت في طبقته و قد تفهم منه أمرا لم يفهمه منه المترجم لك عنه فبهذا كان الحديث أكثر من القرآن و غايته أن يكون إذا نزل عن هذه الطبقة مثله و ما عدل رسول الله ص إلى الأكثرية إلا و الأمر أكثر بلا شك و إنما قلنا في القرآن إنه بواسطة لقوله تعالى نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ و قوله قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ من رَبِّكَ و قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ من قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً بما يكون من الله إليه برفع الواسطة و هو الحديث الذي لا يسمى قرآنا فلا ينبغي لواعظ أن يخرج في وعظه عن الكتاب أو السنة و لا يدخل في هذه الطوام فينقل عن اليهود و النصارى و المفسرين الذين ينقلون في كتب تفاسيرهم ما لا يليق بجناب الله و لا بمنزلة رسل الله ع كما روينا عن منصور بن عمار أنه رآه إنسان بعد موته و كان من الواعظين فقال له يا منصور ما لقيت فقال أوقفني الحق بين يديه و قال إلي يا منصور بم تقربت إلي فقلت له كنت أعظ الناس و أذكرهم فقال يا منصور بشعر زينب و سعاد تطلب القرب مني و تعظ عبادي و ذكر لي أشعارا كنت أنشد بها على المنبر مما قاله أهل المحبة في محبوباتهم فشدد علي ثم قال إن بعض أوليائي حضر مجلسك فقلت في ذلك المجلس اللهم اغفر لأقسانا قلبا و أجمدنا عينا فقال ذلك الولي الذي حضر عندك اللهم اغفر لمن هذه صفته فاطلعت فلم أر أجمد عينا و لا أقسى قلبا منك فاستجبت فيك دعاء وليي فغفرت لك فلا ينبغي أن ينشد واعظ في مجلسه إلا الشعر الذي قصد فيه قائله ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره فإنه من الكلام الذي يقوله أهل الله فهو حلال قولا و سماعا فإنه مما ذكر اسم الله عليه و لا ينبغي أن ينشد في حق الله شعرا قصد به قائله في أول وضعه غير الله نسيبا كان أو مديحا فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة قربة إلى الله فإن القول في الحدث حدث بلا شك و قد نبه الله في كتابه على هذه المنزلة بقوله وَ ما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ و قوله وَ لا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ و قال حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به و الشعر في غير الله مما أهل لغير الله به فإنه للنية أثر في الأشياء و الله يقول وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و الإخلاص النية و هذا الشارع ما نوى في شعره إلا التغزل في محبوبه و المديح فيمن ليس له بأهل لما شهد به فيه و لقد كتب إلي شخص من إخواني بكتاب يعظمني فيه بحيث أن لقبني فيه بثلاثة و ستين لقبا فكتبت له سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ و ذكرت له مع هذا في جواب كتابه إن رسول الله

ص قال لا أزكي على الله أحدا و لكن يقول أحسبه كذا و أظنه كذا و يقول الله تعالى فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى فلو نوى جانب الحق هذا القائل ابتداء في أي صورة شاء ربما كان ذلك القول قربة إلى الله فإن الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى فإن الله مطلع على ما في نفس الإنسان و لله يوم تبلى فيه السرائر و كل ما كان قربة إلى الله شرعا فهو مما ذكر اسم الله عليه و أهل به لله و إن كان بلفظ التغزل و ذكر الأماكن و البساتين و الجوار و كان القصد بهذا كله ما يناسبها من الاعتبار في المعارف الإلهية و العلوم الربانية فلا بأس و إن أنكر ذلك المنكر فإن لنا أصلا نرجع إليه فيه و هو أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة لعباده في صورة ينكر فيها حتى يتعوذوا منها فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا و هو يقول أنا ربكم و هو هو تعالى و هنا سر في تجليه فابحث عليه في معرفة العقائد و اختلافها كذلك هذه الألفاظ و إن كان صورة المسمى فيها في الظاهر غير الله و هو خلاف ما نواه القائل فإن الله ما يعامله إلا بما نواه في ذلك و تدل عليه أحوال القائل كما قيل ينظر إلى القول و قائله يريدون و حال قائله ما هو فإن كان وليا فهو الولاء و إن خشن و إن كان عدوا فهو البذاء و إن حسن كما نذكر نحن في أشعارنا فإنها كلها معارف إلهية في صور مختلفة من تشبيب و مديح و أسماء نساء و صفاتهن و أنهار و أماكن و نجوم و قد شرحنا من ذلك نظما لنا بمكة سميناه ترجمان الأشواق و شرحناه في كتاب سميناه الذخائر و الأغلاق فإن بعض فقهاء حلب اعترض علينا في كوننا ذكرنا أن جميع ما نظمناه في هذا الترجمان إنما المراد به معارف إلهية و أمثالها فقال إنما فعل ذلك لكونه منسوبا إلى الدين فما أراد أن ينسب إليه مثل هذا الغزل و النسيب فجزاه الله خيرا لهذه المقالة فإنها حرمت دواعينا إلى هذا الشرح فانتفع به الناس فأبدينا له و لأمثاله صدق ما نويناه و ما ادعيناه فلما وقف على شرحه تاب إلى الله من ذلك و رجع و لو رأينا رجلا ينظر إلى وجه امرأة و هو خاطب لها و نحن لا نعرف أنه خاطب و كنا منصفين في الأمر لم نقدم على الإنكار عليه إذا جهلنا حاله حتى نسأله ما دعاه إلى ذلك فإن قال أو قيل لنا إنه خاطب لها أو هو طبيب و بها مرض يستدعي ذلك المرض نظر الطبيب إلى وجهها علمنا أنه ما نظر إلا إلى ما يجوز له النظر إليه فيه بل نظره عبادة لو ورد الأمر من الرسول ص في ذلك و لا ينكر عليه ابتداء مع هذا الاحتمال فليس الإنكار عليه من المنكر بأولى من الإنكار على المنكر في ذلك مع إمكان وجود هذه الاحتمالات إذ لا تصح المنكرات إلا بما لا يتطرق إليها احتمال و هذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين فإن أصحاب الدين المتين أول ما يحتاط على نفسه و لا سيما في الإنكار خاصة فإن للمغير شروطا في التغيير فإن الله ندبنا إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن بهم فلا ينكر صاحب الدين مع الظن و قد سمع إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ فلعل هذا من ذلك البعض و إثمه أن ينطق به و إن وافق العلم في نفس الأمر فإن الله يؤاخذه بكونه ظن و ما علم فنطق فيه بأمر محتمل و لم يكن له ذلك و سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير لأنه من نفسه على بصيرة و ليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال فيه في حق نفسه إنه سيئ الظن بنفسه لأنه عالم بنفسه و إنما قلنا فيه إنه يسيء الظن بنفسه اتباعا لسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام و له وجه في الحقائق الشرعية فإنه بالنظر إلى نفسه ليس هو في فعله ما ينكره على

نفسه على الحقيقة عالما بأنه في فعله ذلك على منكر يعلمه بل هو على ظن فسوء الظن بنفسه أولى و ذلك أن لله عبادا قد قال لهم الله افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فما فعلوا إلا ما أباح الشرع لهم فعله و إن لم يعلموا أنهم ممن خوطبوا بذلك و هو في الحديث الصحيح فما فعل إلا ما هو مباح عند الله و هو لا علم له بذلك فهو عند الله بهذه المثابة فلهذا قلنا سوء الظن بنفسه إذ لم يكن فيها على بصيرة على الحقيقة مع هذا الاحتمال من جانب الحق و قد جعل الله لمن هذه صفته علامة يعرف بها نفسه أنه من أولئك القوم و لا يشك بالعلم الشرعي الصحيح أن حرمة نفس الإنسان عليه عند الله أعظم من حرمة غيره بما لا يتقارب و إنه من قتل نفسه أعظم في الجرم ممن قتل غيره و أن صدقته على نفسه أعظم في الأجر من صدقته على غيره فالعالم الصالح من استبرأ لدينه في كل أحواله في حق نفسه و في حق غيره و إلى الآن ما رأيت أحدا من أهل الانتماء إلى الدين و إلى العلم على هذا القدم فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله و حال بيننا و بين إهماله و لولا ما في ذكر هذا من المنفعة لعباد الله و النصيحة لهم ما بسطنا القول فيه هذا البسط و إن كان الفصل يقتضيه فإنه فصل المواعظة و الله يقول لنبيه ص فيما أنزله عليه ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ مثل هذه التي ذكرناها فإنها وصية منها إلى عباد الله جمعت بين الحكمة لأنا أنزلناها منزلتها و بين الحكم و الحكيم من ينزل الأمر منزلته و لا يتعدى به مرتبته و أما الموعظة الحسنة فهي الموعظة التي تكون عند المذكر بها عن شهود فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فكيف بمن حقق أنه يراه فإن ذلك أعظم و أحسن و قد يكون قوله مَثْنى يريد به التعاون في القيام لله تعالى في ذلك الأمر و صورة التعاون فيه إن الشرع في نفس الأمر قد أنكر هذا الفعل ممن صدر عنه عليه فينبغي للعالم المؤمن أن يقوم مع المشرع في ذلك فيعينه فيكون اثنان هو و الشرع وَ فُرادى أن يكون هذا المنكر لا يعلم أنه معين للشرع في إنكاره و وعظه فيقول قد انفردت بهذا الأمر و ما هو إلا معين للشرع و للملك الذي يقول بلمته للفاعل لا تفعل إذ يقول له الشيطان بلمته افعل فيكون مع الملك مثنى فإن الملك مكلف بأن ينهى العبد الذي قد ألزمه الله به أن ينهاه فيما كلفه الله به أن ينهاه عنه فيساعده الإنسان على ذلك فيكون ممن قام لله في ذلك مثنى و قد يكون معينا للشارع و هو الرسول ع فهو الذي أنكر أولا هذا الفعل على فاعله و تقدم في الوعظ في ذلك فيكون هذا الإنسان الواعظ مع وعظ الرسول المتقدم مثنى كما سأل بعض الناس رسول الله ص أن يجعله رفيقه في الجنة فقال له رسول الله ص أعني على نفسك بكثرة السجود فطلب منه العون فقد قاما في ذلك مثنى هو و رسول الله ص قال تعالى وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى و قال اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ فشرك نفسه مع عبده في الفعل و ما لا يفعله الله إلا بالأدلة فهو من هذا الباب و لا يعلم ذلك إلا العالم بأسرار الله و ما هي الحقائق عليه فلا تغفل عن هذا النفس و كن المعين لمن ذكرت لك تحمد عاقبتك و يحصل لك سهم في الإعانة مع المعين يقول العبد وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فيقول الحق هذه بيني و بين عبدي و لعبدي ما سأل فتبين قوله تعالى هذه بيني و بين عبدي فهي لله و له في حكم الإعانة إذا أراد الله وجود الصلاة فلا بد من استعداد المحل الذي به ظهور الصلاة فافهم «فصل» في قوله تعالى وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ و أما تذكيره بأيام الله فهي أيام الأنفاس على الحقيقة فإنها أقل ما

ينطلق عليه اسم يوم فهو أن تذكره بقوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فتلك أيام الله و أنت في غفلة عنها و تدخل في مضمون قوله تعالى إِنَّ فِي ذٰلِكَ إشارة إلى قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ مع غير ذلك لعبرة لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أي لمن له فطنة بالتقلب في الأحوال أو تقلب الأحوال عليه فيعلم من ذلك شئون الحق و حقائق الأيام التي الحق فيها في شأن فالشأن واحد العين و القوابل مختلفة كثيرة يتنوع فيها هذا الشأن بتنوعها و اختلافها فهو من الله واحدة و في صور العالم كثيرة كالصورة الواحدة في المرايا الكثيرة و الظلالات الكثيرة من الشخص الواحد للسرج المتعددة هكذا الأمر أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ لما يتلى عليه من قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و أمثاله وَ هُوَ شَهِيدٌ من نفسه تقلب أحواله فيكون على بصيرة في ذلك من الله فهذه أيام الله التي ينبغي أن يذكر العبد بها إلى أمثال ذلك من أيام الله و هي أيام النعم و أيام الانتقام التي أخذ الله فيها المقرون الماضية و اعلم أن البلايا أكثر من النعم في الدنيا فإنه ما من نعمة ينعمها الله على عباده تكون خالصة من البلاء فإن الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها و إضافتها إلى من يستحقها بالإيجاد و أن يصرفها في الموطن الذي أمره الحق أن يصرفها فيه فمن كان شهوده في النعم هذا الشهود متى يتفرغ للالتذاذ بها و كذلك في الرزايا هي في نفسها مصائب و بلايا و يتضمنها من التكليف ما يتضمنه النعم من طلب الصبر عليها و رجوعه إلى الحق في رفعها عنه و تلقيها بالرضى أو الصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى بالله إلى غير الله و هذا غاية الجهل بالله لأنك تشكو بالقوي إلى الضعيف لما تجد في حال الشكوى من الراحة مع كونك تشتكي إلى غير مشتكى لأنك تعلم أنه ما بيده شيء و لا يقدر على رفع ما نزل بك إلا من أنزله و قد علمت أن الدار دار بلاء لا يخلص فيها النعيم عن البلاء وقتا واحدا و أقله طلب الشكر من المنعم بها عليها و أي تكليف أشق منه على النفس و لذلك قال تعالى وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ لجهلهم بالنعم إنها نعم يجب الشكر عليها يؤيد ما قلناه قوله تعالى إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ في حق راكب البحر إذا اشتد الريح عليه و برد فيما فيها من النعمة يطلب منه الشكر عليها و بما فيها من الشدة و الخوف يطلب منه الصبر فافهم و تدبر كلام الله تغنم و ما أنزله الله إلا تذكرة للبيب كما قال لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ و لا تكن ممن ليس له منه نصيب إلا البلاغ «فصل» في اليوم العقيم و العقيم ما يوجب أن لا يولد منه فلا تكون له ولادة على مثله و سمي عقيما لأنه لا يوم بعده أصلا و هو من يوم الأسبوع يوم السبت و هو يوم الأبد فنهاره نور لأهل الجنة دائم لا يزال أبدا و ليلة ظلمة على أهل النار لا يزال أبدا و لهذا يموتون أهل الكبائر فيها الذين يخرجون منها بعد العقوبة إلى الجنة إذ لا خلود في النار إلا لأهلها الذين هم أهلها يقول رسول الله ص أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها و لا يحيون و لكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتهم الله فيها إماتة الحديث و هو صحيح فيناموں فيها نومة حتى لا يحسوا بالنار إذا مستهم عند ما تتسلط على آلات المعاصي بالأكل و هي الجوارح و الايمان يمنع من تخلصها إلى القلب فهذه عناية التوحيد الذي كان في قلوبهم فعلم التوحيد يميتهم في النار موتة النائم في حال نومه و الايمان على باب النار ينتظرهم حتى إذا بعثهم الله من تلك النومة و هم قد صاروا فحما أخرجهم سبحانه فغمسهم في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة تكون في حميل السيل ثم

يدخلون الجنة فلا يبقى في النا ر من علم إن الله إله واحد في الدنيا جملة واحدة و لأهل الجنة في الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة طلوع الشمس إلى غروبها في الدنيا و إن لم يكن في الجنة شمس فالحركة التي كانت تسير بالشمس فيظهر من أجلها طلوعها و غروبها موجودة في الفلك الأطلس الذي على الجنة و هو سقفها و الحركة بعينها فيه موجودة و لأهل الجنة كشف و رؤية إلى المقادير التي فيه المعبر عنها بالبروج فإن ذلك الفلك هو السماء الذي أقسم الله به في قوله وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ فيعلمون بها حد ما كان عليهم في الدنيا مما يسمى بكرة و عشيا و كان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغداء و العشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله عند ذلك برزق يرزقهم فيها كما قال لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا و هو رزق خاص في وقت خاص معلوم عندهم و ما عدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع و الدوام في الأكل إنما هو عين النعيم بما يكونبه الغذاء للجسم و لكن لا يشعر به كثير من الناس إلا العلماء بعلم الطبيعة و ذلك أعني صورة قوله أُكُلُهَا دَائِمٌ إن الإنسان إذا أكل الطعام حتى يشبع فذلك ليس بغذاء و لا بأكل على الحقيقة و إنما هو كالجاني الجامع مع المال في خزانته و المعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الأطعمة و الأشربة فإذا جعل فيها أعني في خزانة معدته و ما اختزنه فيها و رفع يده حينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير و ينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال و يغذيه بها في كل نفس يخرج عنه دائما فهو لا يزال في غذاء دائم و لو لا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ و الله حكيم فإذا خلت الخزانة حرك الطبع الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به فلا يزال الأمر هكذا دائما أبدا فهكذا صورة الغذاء في المتغذي فالتغذي في كل نفس دنيا و آخرة وكذلك أهل النا ر و قد وصفهم الله بالأكل و الشرب فيها على هذا الحد إلا أنها دا ر بلاء فيأكلون عن جوع و يشربون عن عطش و أهل الجنة يأكلون و يشربون عن شهوة لالتذاذ لا عن جوع فإنهم ما يتناولون الشيء المسمى غذاء إلا عن علم بأن الزمان الذي كان الاختزان فيه قد فرغ ما كان مختزنا فيه فيسا رع إلى الطبيعة بما تدبره فلا يزال في لذة و نعيم لا يحوج الطبيعة إلى طلب و حاجة للكشف الذي هم عليه كما إن أهل النا ر في الحجاب فلا يعلمون هذا القد ر فيجوعون و يظمئون لأن المقصود منهم أن يتألموا فتبين لك أنه لا لذة إلا العلم و لا ألم إلا الجهل و الشمس مكورة قد نزع نورها في أعينهم طالعة على أهل النا ر و غا ربة كما تطلع على أهل الدنيا في حال كسوفها و كذلك القمر يسبحان و جميع الد را ري على صورة سباحتهم الآن في أفلاكهم لكنها مطموسة في أعينهم فعلى ما هو الأمر في نفسه هم الذين طمس الله أعينهم إذ شاء عن إدراك الأنوار التي في المنيرات فالحجاب على أعينهم كما نعلم أن الشمس هنا في حال كسوفها ما زال نورها منها و إنما القمر حجبها عنا و لو لم يكن كذلك ما عرف أهل التعاليم متى يكون الكسوف و كم يذهب منها في الكسوف عن أعيننا و يقع ذلك على ما ذكروه فلو كان من الأمور التي لا تجري على مقادير موضوعة و موازين محكمة قد أعلمها الله من و فقه لطلب مثل هذا العلم ما علمه و هذا لا يقدح في قولنا إن الشمس قد كسفت أو قد زال نورها عن إدراك أعيننا فإن هذا القد ر و هذه الصورة ما ثم من يمنعنا أن نصطلح على أن نطلق عليها اسم كسوف و خسوف و تكوير و طمس فيشهد أهل النا ر أجرام السيا رة طالعة عليهم و غا ربة و لا يشهدون لها

نورا لما في الدخان من التطفيف فكما كانوا في الدنيا عمياء عن إدراك أنوار ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك هم في النار عمي عن إدراك أنوار هذه السيارة و غيرها من الكواكب وَمن كانَ في هذهِ أَعْمى فَهُوَ في الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا و إنما كان أضل سبيلا فإنه في الدنيا يجد من يرشده إلى الطريق و لكن لا يسمع و في النار ما يجد من يرشده إلى الطريق فإنه ما ثم طريق لكن يجد من يندمه على ما فاته ليزيده حسرة إلى حسرته و عذابا إلى عذابه فليل أهل النار لا صباح له و نهار أهل الجنة لا مساء له أي لا ليل فيه فمن وعظ الناس في عقده طلبا منه بذلك أن ينفع الناس في عقده فما عرف الله بخلاف المذكر فإنه يذكر و يعظ بما عنده و يعلم أن من السامعين من يكون له ذلك الوعظ شفاء و دواء و من الناس من يزيده مرضا إلى مرضه كما قال تعالى وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ و هي واحدة فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بورود العافية عليهم وَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ و السورة واحدة و المزاج مختلف فلا يعرف حقيقة هذه الآية إلا الأطباء الذين يعلمون أن العقار الفلاني فيه شفاء لمزاج خاص من مرض خاص و هو داء و علة لمزاج خاص و زيادة مرض في مرض خاص فالطبيب أحق الناس علما بهذه الآية و كذلك طبيب القلوب فيما يؤمنها و يخيفها فالحكيم هو الذي يأتي إلى العليل من ما منه و يظهر له بصورة من يعتقد فيه ليستدرجه إلى صورة الحق بالحق الذي يليق به و لكن وقع الأمر الإلهي في العالم بخلاف هذا لأن مشيئة الله تعلقت بأن الله لا يجمعهم على الهدى و أما الطريق في ذلك فمعلوم عند الله و عند أهله لا يشكون فيه فإن الذي يعتقد في مخلوق ما من حجر أو نبات أو حيوان أو كوكب إنه إلهه و هو يعبده و يخاطبه ذلك الإله المشهود له على الكشف بما هو الحق عليه يرجع إلى قوله لاعتقاده فيه كما يرجع إلى قوله في الآخرة و يتبرأ منه كما تبرأ إلهه منه و الله قادر على أن ينطقه في الدنيا بذلك في حق من يعبده لكن العلم السابق و المشيئة الإلهية منعا من ذلك ليكون الخلاف في العالم فجرى الأمر على ذلك في الدنيا و بعض الآخرة و يرجع الأمر إلى حكم أخذ الميثاق بالرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و التسعون و ثلاثمائة في معرفة منازلة منزل من دخله ضربت عنقه و ما بقي أحد إلا دخله»

لم يبق من يبقى و من يبقى	لو لا وجود الحق في الخلق
من غير ما تحكم فاستبق	قلت له إن كنت لي مغنيا
لأنني اعلم من يلقي	ما أنا غير لا و لا عينكم
في الحق إذ ينعت بالحق	فانظر إلى الحكمة مكشوفة

و هذا هو منزل الاتحاد الذي ما سلم أحد منه و لا سيما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه و مع هذا قالوا به فمنهم من قال به عن أمر إلهي و منهم من قال به بما أعطاه الوقت و الحال و منهم من قال به و لا يعلم أنه قال به فأحوال الخلق مختلفة فيه فأما أصحاب النظر العقلي فأحالوه

لأنه عندهم يصير الذاتين ذاتا واحدة و ذلك محال و نحن و أمثالنا نرى ذاتا واحدة لا ذاتين و يجعل الاختلاف في النسب و الوجوه و العين واحدة في الوجود و النسب عدمية و فيها وقع الاختلاف فتقبل الضدين الذات الواحدة من نسبتين مختلفتين فالله يقول فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و يقول و هو القائل على لسان عبده سمع الله لمن حمده و يقول كنت سمعه الذي يسمع به و بصره و لسانه و يده و رجله

و غير ذلك قولا شافيا لأنه ذكر أحكامها فقال الذي يبطش بها و يسعى بها و يتكلم به و يسمع به و يبصر به و يعلم و معلوم أنه يسمع بسمعه أو بذاته يسمع و على كل حال فجعل الحق هويته عين سمع عبده و بصره و يده و غير ذلك فأما ذات العبد و إما صفته و أما نسبته فهذا قول الحق الذي فيه يمترون و الملك يقول مع علمه بذلك وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ و الجن يقول أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ و الرسول يقول ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي به و من الناس من يقول أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ و السموات و الأرض و الجبال تأبى و تشفق من حمل الأمانة و تقول أَتَيْنا طائِعِينَ فما في العالم إلا من نسب الفعل إليه أي إلى نفسه مع علم العلماء بالله أن الفعل لله لا لغيره و الله يقول وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فأضاف العلم إليهم و هو خالقه و موجدة أعني العمل

من حال من يتبرأ   فأين حال الدعاوي

أحكامه فيه تترى   و الأمر في العين فرد

و قال الهدهد أَحَطْتُ علما بِما لَمْ تُحِطْ به و قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ و قال الله يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ و قالت الجلود أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ و قال وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فما ترك شيئا من المخلوقات إلا و أضاف الفعل إليه إلا إن هذا المنزل لا يتمكن لمن دخله أن يرأس عليه أحد من جنسه لا بل و لا أحد من المخلوقين و هو تعريف إلهي في حضرة خيال و مقامه أن يكشف له عن ماهية أحكام نفسه فيرى أنه محال أن يرأس عليه أحد فإن كشف له عن ماهيات أحكام نفوس العالم يرى أنه من المحال أن يرأس على أحد أو يرأس عليه أحد فإن الأمر واحد في نفسه و الواحد لا يرأس على نفسه و هو مشهد عزيز العالم كله فيه و لا يعلمه إلا من شاهده ثم من هذا المقام ما تخيله من لم يطلع على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه من

قوله تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فتخيل أنه عينه الثابت في العدم ربما حصل لها الوجود لما رآه من حكم عينها في وجود الحق حتى انطلق عليه اسم هذا العين و ما علم إن الوجود وجود الحق و الحكم حكم الممكن مع ثبوته في عدمه فلما تخيل بعض الممكنات هذا التخيل من اتصافه بالوجود حكم بأنه قد شارك الحق في الوجود فصح له المقام مقام الجمع بوجود الحق في الوجود و في نفس الأمر الوجود عين الحق ليس غيره فلما أدخله حضرته تعالى ضرب عنقه أي أزال جماعته لأن العنق الجماعة فلما زال عنه إطلاق الجماعة عليه بما أعطاه من أحدية الأمر و

علم أنه جهل في إمكانه نفسه و أن جميع الممكنات مثله في هذا الحكم و هو قوله و ما بقي أحد إلا دخله أي في نفس الأمر ما ثم إلا أحدية مجردة علمها من علمها و جهلها من جهلها و هذا الحكم يظهر في الشهادة في وجود الحق بالاسم الخاص الذي لذلك الممكن الذي يقال فيه إنه عالم و جاهل و ما كان من الأسماء و الأحكام للممكنات و الوجود للحق فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي أربعمائة في معرفة منازلة من ظهر لي بطنت له و من وقف عند حدي اطلعت عليه»

ظهوري بطون الحق في كل موطن … وحدي وجود الحق في كل مطلع

فإن كان عيني في وجودي لم يكن … و إن كان لم يظهر و ضاق من اتسع

فيا خيبة الأكوان إن لم يكن بها … و يا سعدها إن كان في عينها طلع

هو البرق إلا أنه هو خلب … فما يسبحه رعد و لا مطر يقع

اعلم أيدنا الله و إياك أن الله تعالى يقول عن الهوية هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ و ما ثم إلا أنا و هو و كان و لم يكن ثم كنت و عند وجودي قسم الصلاة بيني و بينه نصفين و ما ثم إلا مصل كل قد علم صلاته و تسبيحه و هو السمع و البصر مني فما أسمع إلا نفسه ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ ما هو أنا فإن الآلة لا حكم لها إلا بالصانع بها كما كان صانعا فيها فصنع فيها بها و بنفسه بها من حيث قبولها و بنفسه من حيث تجليه بخطابه

تعددت الأعيان و الأمر واحد … و أشهدت الأكوان و الله شاهد

فما ثم إلا الله ما ثم غيره … أقر بتوحيد ما هو جاحد

فإذا ظهرت بعيني في الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ بطن تعالى في خطابي و سمع إيماني و قال أثنى على عبدي فسمى آخريته عبدا و في الجواب هو الرب فالأولية ردها إلي فإنه لم يقل حتى قلت كما أني لم أوجد حتى قال كن فكنت أول سامع و كان أول قائل ثم كنت أول قائل و كان أول سامع فتعين الباطن و الظاهر وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ بي و بنفسه و ما ظهر إلا بي و ما بطن إلا بي و ما صحت الأولية إلا بي و ما ثبتت الآخرية إلا بي فإنا كل شيء فهو بي عليم فلو لم أكن بمن كان يكون عالما فأنا أعطيته العلم و هو أعطاني و الوجود فارتبطت الأمور بيني و بينه و قد اعترف لي بذلك في تقسيمه الصلاة بيني و بينه على السواء لأنه علم أنه لي كما أنه له فلا بد مني و منه فلا بد من واجب و ممكن و لو لم يكن كذلك لكان عاطلا غير حال فإنا زينته فهو أرضي إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فظهر بي اقتداره و نفوذ أحكامه و سلطان مشيئته فلو لم أكن لم تكن زينته ثم قلب الأمر فجعلني أرضا و كان زينة لي و قلدني الإمامة فلم أجد على من أكون إماما إلا عليه و عين إمامتي ما زينتي به و ما زينتي إلا بهويته فهو سمعي و بصري و لساني و يدي و رجلي و مؤيدي و جعلني نورا كلي فزينني به له وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها و هو نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و ذكر أن

الأرض ذلول و هل ثم أذل مني و أنا تحت عزته و لما خلق الخلق و عرفني بما خلق قال لي اجعل بالك و تفرج في صنعي بخلقي فكلف و أنا أنظر إلى ما يريد إظها ره مما لا علم لي به فحد الحدود فتجاوزتها العبيد و قال فلم يسمع له مقال و أمر فلم يمتثل أمره ابتداء و نهي فلم يمتثل له نهي ابتداء و قال فاعترض كيف تجعل فيها من يفسد فيها فجعلوا نظرهم أصلح من نظره و علمهم أتم من علمه فقال لي أنت قلت إنك ذلول و لا ذلة أعظم من ذلك و أي ذلة أعظم من ذلة من أذلة الذليل هذا الملك يعترض هذا الخليفة وليته و نهيته فعصى هذا اللعين أمرته بالسجود فأبى و ادعى الخيرية على من هو خير منه فهل رأيت بعينك إلا من اعترف بعظمتي و نفوذ اقتدا ري و مع ذلك خالفني و اعترض علي و تعدى حدي فلو كانت عزتي و عظمتي حالا لهم زينتهم بها ما وقع شيء من ذلك فهم أرض مرداء جرداء لا نبات فيها فلا زينة عليها فعلمت أنه متى أتيت علي فزينتهم بي فرأيتني زينتي فعظموني و ما عظمني إلا زينتي فقال المعترض لا علم لنا و قال من نهيته ربنا ظلمنا أنفسنا و قال من خالف أمري إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فأين هذا المقام من ذلك و أين دا ر رضوان من دا ر مالك ف إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فمن العزيز و من الذليل فلو لا ما اطلع على من تجاوز الحدود و الرسوم ما رجعوا إلى حدودهم فإن الاطلاع ما يكون إلا من رفيع و هو رَفِيعُ الدَّرَجاتِ فخافوا فاعترفوا كما قلنا بجهالتهم و ظلمهم أنفسهم و خوفهم من تعدى حدود سيدهم فقال يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ و تجاوزوا حدود سيدهم لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فإن الله للرحمة خلقهم و لهذا تسمى بالرحمن و استوى به على العرش و أرسل أكمل الرسل و أجلهم قد را و أعمهم رسالة رحمة للعالمين و لم يخص عالما من عالم فدخل المطيع و العاصي و المؤمن و المكذب و الموحد و المشرك في هذا الخطاب الذي هو مسمى العالم و لما أعطاه صمقام الغيرة على جناب الله تعالى و ما يستحقه أخذ يقنت في صلاته شهرا يدعو على طائفة من عباد الله بالهلاك رعل و ذكوان و عصية عصت الله و رسوله فأنزل الله عليه وحيه بواسطة الروح الأمين يا محمد إن الله يقول لك ما أرسلك سبابا و لا لعانا و إنما بعثك رحمة أي لترحم مثل هؤلاء كأنه يقول له بدل دعائك عليهم كنت تدعوني لهم ثم تلا عليه كلام ربه وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ أي لترحمهم فإنك إذا دعوتني لهم ربما وفقتهم لطاعتي فترى سرور عينك و قرتها في طاعتهم و إذا لعنتهم و دعوت عليهم و أجبت دعاك فيهم لم يتمكن أن آخذهم إلا بأن يزيدوا طغيانا و إثما مبينا و ذلك كله إنما كا ن بدعائك عليهم فكانت أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي نؤاخذهم به فتنبه رسول الله ص لما أدبه به ربه فقال ص إن الله أدبني فحسن أدبي و قال بعد ذلك اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون و قام ليلة إلى الصباح لا يتلو فيها إلا قوله تعالى إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و هو قول عيسى ع و الله تعالى قد قال له لما ذكر رسله أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و كان من هدى عيسى ع هذه الآية التي قام بها رسول الله ص ليلة كله إلى الصباح أين هذا المقام من دعائه ص على رعل و ذكوان اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و ما خص ذنبا من ذنب كما لم يخص إسرافا من إسراف كما لم يخص في إرسال محمد ص عالما من عالم إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ بالألف و اللام للشمول مع عمارة الدا رين فلا بد من شمول

الرحمة و لو لا إن الأمور قد عين الله لها آجالا مسماة و أياما معدودات لكان عين الانتقال بالموت إلى الله عين الرحمة بهم التي تكون لهم بعد استيفاء الحدود لتعديهم الحدود فتعديهم الحدود هو الذي أقام عليهم في الدار الآخرة الحدود كما أقامها على بعضهم في الدار الدنيا فما مات أحد من خلق الله إلا كما ولد مؤمنا و ما وقع الأخذ إلا بما كان بين الإيمانين فإن رحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ و لهذا قال من ظهر لي بطنت له لأنه ما ظهر أحد لله حتى فارقه إذ لو لم يفارقه لما ميز نفسه عنه فبطن الحق في ظهوره فهو السور الذي باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذابُ و الناس لا يشعرون و الكلام في هذا الباب لا يتناهى فصوله و هذا القدر من التنبيه على ما فيه كاف إن شاء الله لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«انتهى الجزء الثالث من كتاب الفتوحات المكية بحمد الله و عونه و حسن توفيقه

و يتلوه المجلد الرابع أوله الباب الحادي و أربعمائة»